مجمع البيان

في تفسير القرآن

للشيخ ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي

تصحيح وتحقيق وتعليق

السيد هاشم الرسولي المحلاتي و السيد فضل الله اليزدي الطباطبائي

عفا الله عنهما

دار المعرفة

كتابخانه
بنياد دايرة المعارف اسلامى

مجمع البيان

في

تفسير القرآن

كتابخانه شماره ٢٥
بنياد دايرة المعارف اسلامى

لمؤلفه
الشيخ ابى على الفضل بن الحسن الطبرسى
من أكابر علماء الإمامية في القرن السادس

تصحيح وتحقيق وتعليق

السيد هاشم الرسولي المحلاتي و السيد فضل الله اليزدي الطباطبائي
عفا الله عنهما

الجزء الخامس

شماره ثبت ٣٥٤٤١
رده بندى
تاريخ ١٣٢٦/٤/٢٢

دار المعرفة
للطباعة والنشر

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

دار المعرفة
للطباعة والنشر والتوزيع
DAR EL-MAREFAH
Publishing & Distributing

مستديرة المطار ـ شارع البرجاوي ص.ب ٧٨٧٦ تلفون: ٨٣٤٣٠١-٨٣٤٣٣٢ ـ برقياً معرفكار بيروت. لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

(٩) سورة التوبة مدنية وآياتها تسع وعشرون ومائة

وهي مدنية كلها وقال بعضهم غير آيتين لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر السورة نزلت سنة تسع من الهجرة وفتحت مكة سنة ثمان وحجَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حجة الوداع سنة عشر وقال قتادة ومجاهد وهي آخر ما نزلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة .

[**عدد آيها**] هي مائة وتسع وعشرون آية كوفي وثلاثون في الباقين .

[**إختلافها**] ثلاث آيات بريء من المشركين بصري عذاباً أليماً شامي وعاد وثمود حجازي .

[**أسماؤها عشرة**] سورة براءة سميت بذلك لأنها مفتتحة بها ونزلت بإظهار البراءة من الكفار ـ التوبة ـ سميت بذلك لكثرة ما فيها من التوبة كقوله ﴿ **ويتوب الله على من يشاء** ﴾ فإن يتوبوا يك خيراً لهم ثم تاب عليهم ليتوبوا ـ الفاضحة ـ عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس سورة التوبة فقال تلك الفاضحة ما زال ينزل حتى خشينا أن لا يبقى منهم أحد إلا ذكر وسميت بذلك لأنها فضحت المنافقين بإظهار نفاقهم ـ المبعثرة ـ عن ابن عباس أيضاً سمّاها بذلك لأنها تبعثر عن أسرار المنافقين أي تبحث عنها ـ المقشقشة ـ عن ابن عباس سماها بذلك لأنها تبرىء من آمن بها من النفاق والشرك لما فيها من الدعاء إلى الإخلاص وفي الحديث كان يقال لسورتي ﴿ **قل يا أيها الكافرون** ﴾ و ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ المقشقشتان سميتا بذلك لأنهما تبرئان من الشرك والنفاق يقال قشقشه إذا برأه وتقشقش المريض من علته إذا أفاق وبرىء منها ـ البحوث ـ عن أبي أيوب الأنصاري سمّاها بذلك لأنها تتضمن ذكر المنافقين والبحث عن سرائرهم ـ المدمدمة ـ عن سفيان بن عيينة أي المهلكة ومنه قوله

﴿ فدمدم عليهم ربهم ﴾ (الحافرة) عن الحسن لأنها حفرت عن قلوب المنافقين ما كـانوا يسترونه ـ المثيرة ـ عن قتادة لأنها أثارت مخازيهم ومقابحهم ـ سورة العذاب ـ عن حذيفة بن اليمان لأنها نزلت بعذاب الكفار وروى عاصم بن زرّ بن حبيش عن حذيفة قال يسمُّونها سورة التوبة وهي سورة العذاب فهذه عشرة أسماء .

[**فضلها**] أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من قرأ سورة الأنفال وبراءة فأنا شفيع له الخبر بتمامه وقد مضى ذكره مع ما في معناه في أول الأنفال وقد روي عن أبي عبد الله (ع) أنه قال الأنفال والبراءة واحد وروي ذلـك عن سعيد بن المسيب وروى الثعلبي بإسناده عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ما نزل علي القرآن إلا آية آية وحرفاً حرفاً خلا سورة البراءة وقل هو الله أحد فإنهما نزلتا عليَ ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة كل يقول يا محمد استوص بنسبة الله خيراً ـ علة ترك التسمية ـ في أولها قراءة وكتابة للعلماء والمفسرين فيه أقوال ـ (أحدهـا) ـ أنها ضمت إلى الأنفـال بالمقـاربة فصارتا كسورة واحدة إذ الأولى في ذكر العهود والثـانية في رفـع العهود عن أبي بن كعب ـ (وثانيها) ـ أنه لم ينزل بسم الله الرحمن الرحيم على رأس سورة براءة لأن بسم الله للأمان والرحمة ونزلت براءة لرفع الأمان بالسيف عن علي عليه السلام وسفيان بن عيينة إختاره أبو العباس المبرد ـ (وثالثها) ـ ما روي عن ابن عباس أنه قال قلت لعثمان بن عفان ما حملكم على أن عمدتم إلى براءة وهي من المئين وإلى الأنفـال وهي من المثاني فجعلتمـوهما في السبع الطوال ولـم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم فقال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم تنزل عليه الآيات فيدعو بعض من يكتب له فيقول له ضع هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الأنفال من أول ما نزل من القرآن بالمدينة وكانت براءة من آخر ما نزل من القرآن وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننا أنها منها وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يبيّن أنها منها فوضعناهما في السبع الطول ولم نكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم وكانتا تدعيان القرينتين .

[**تفسيرها**] لمَّا ختم الله سبحانه سورة الأنفال بإيجاب البراءة عن الكفار إفتتح هـذه السورة بأنه تعالى ورسوله بريئان منهم كما أمر المسلمين بالبراءة منهم فقال .

﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾
فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢﴾

[اللغة] معنى البراءة إنقطاع العصمة يقال برأ يَبرأ براءة وتَبَرّءَ تَبرُوءً وأبرأه إبراء والسيح السير على مهل يقال ساح سِيح سَيْحاً وسِياحة وسُيُوحاً وسَيَحانا والإعجاز إيجاد العجز والعجز ضدُّ القدرة عند من أثبته معنى والإخزاء الإذلال بما فيه الفضيحة والعار والخزي النكال الفاضح .

[الإعراب] براءة ترتفع على أنها خبر مبتدأ محذوف وتقديره هذه الآيات براءة ويحتمل أن يكون مبتدأ وخبره في الظرف وهو قوله ﴿ **إلى الذين** ﴾ وجاز أن يكون المبتدأ نكرة لأنها موصوفة والأول أجود لأنه يدلُّ على حضور المدرك كما تقول لمن تراه حاضراً حسن والله أي هذا حسن .

[المعنى] ﴿ **براءة من الله** ﴾ أي هذه براءة من الله ﴿ **ورسوله** ﴾ أي إنقطاع للعصمة ورفع للأمان وخروج من العهود ﴿ **إلى الذين عاهدتم من المشركين** ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وللمسلمين والمعنى تبرؤا ممن كان بينكم وبينهم عهد من المشركين فإن الله ورسوله بريئان منهم قال الزجاج معناه قد برىء الله ورسوله من إعطائهم العهود والوفاء لهم بهما إذ نكثوا وإذا قيل كيف يجوز أن ينقض النبي صلى الله عليه وآله وسلم العهد فالقول فيه أنه يجوز أن ينقض ذلك على أحد ثلاثة أوجه إما أن يكون العهد مشروطاً بأن يبقى إلى أن يرفعه الله تعالى بوحي وإما أن يكون قد ظهر من المشركين خيانة ونقض فأمر الله سبحانه بأن ينبذ إليهم عهدهم وإما أن يكون مؤجلاً إلى مدة فتنقضي المدة وينتقض العهد وقد وردت الرواية بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم شرط عليهم ما ذكرناه وروي أيضاً أن المشركين كانوا قد نقضوا العهد أو همُّوا بذلك فأمره الله سبحانه أن ينقض عهودهم ثم خاطب الله سبحانه المشركين فقال ﴿ **فسيحوا في الأرض** ﴾ أي سيروا في الأرض على وجه المهل وتصرَّفوا في حوائجكم آمنين من السيف ﴿ **أربعة أشهر** ﴾ فإذا إنقضت هذه المدة ولم تسلموا إنقطعت العصمة عن دمائكم وأموالكم ﴿ **واعلموا أنكم غير معجزي الله** ﴾ أي غير فائتين عن الله كما يفوت ما يعجز عنه لأنكم حيث كنتم في سلطان الله وملكه ﴿ **وإن الله مخزي الكافرين** ﴾ أي مذلُّهم ومهينهم واختلف في هذه الأشهر الأربعة فقيل كان ابتداؤها يوم النحر إلى العاشر من شهر ربيع الآخر عن مجاهد ومحمد بن كعب القرظي وهو المروي عن أبي عبد الله(ع) وقيل إنما ابتداء أجلهم الأشهر الأربعة من أول شوال إلى آخر المحرم لأن هذه الآية نزلت في شوال عن ابن عباس والزهري قال الفراء كانت المدة إلى آخر المحرم لأنه كان فيهم

من كانت مدته خمسين ليلة وهو من لم يكن له عهد من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجعل الله له ذلك وقيل إن من كان له عهد من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أكثر من أربعة أشهر حطّ إلى أربعة أشهر ومن كان له عهد أقلّ منها رفع إليها عن الحسن وابن إسحاق قيل كان إبتداء الأشهر الأربعة يوم النحر لعشرين من ذي القعدة إلى عشرين من شهر ربيع الأول لأن الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة وفيها حجة الوداع وكان سبب ذلك النسيء الذي كانوا يفعلونه في الجاهلية على ما سيأتي بيانه إن شاء تعالى عن الجبائي .

[**القصة**] أجمع المفسرون ونقلة الأخبار أنه لما نزلت براءة دفعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أبي بكر ثم أخذها منه ودفعها إلى علي بن أبي طالب (ع) واختلفوا في تفصيل ذلك فقيل أنه بعثه وأمره أن يقرأ عشر آيات من أول هذه السورة وأن ينبذ إلى كل ذي عهد عهده ثم بعث علياً خلفه ليأخذها ويقرأها على الناس فخرج على ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العضباء حتى أدرك أبا بكر بذي الحليفة فأخذها منه وقيل أن أبا بكر رجع فقال هل نزل فيَّ شيء فقال صلى الله عليه وآله وسلم لا إلّا خيراً ولكن لا يؤدّي عني إلا أنا أو رجل مني وقيل أنه قرأ عليٌّ براءة على الناس وكان أبو بكر أميراً على الموسم عن الحسن وقتادة وقيل أنه صلى الله عليه وآله وسلم أخذها من أبي بكر قبل الخروج ودفعها إلى علي (ع) وقال لا يبلغ عني إلا أنا أو رجل مني عن عروة بن الزبير وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة وروى أصحابنا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولّاه أيضاً الموسم وأنه حين أخذ البراءة من أبي بكر رجع أبو بكر وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده عن سماك بن حرب عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث ببراءة مع أبي بكر إلى أهل مكة فلما بلغ ذا الحليفة بعث إليه فردَّه وقال لا يذهب بهذا إلا رجل من أهل بيتي فبعث علياً (ع) وروى الشعبي عن محرز بن أبي هريرة عن أبي هريرة قال كنت أنادي مع عليّ حين أذن المشركين فكان إذا صحل صوته(١) فيما ينادي دعوت مكانه قال فقلت يا أبتِ أيُّ شيء كنتم تقولون قال كنا نقول لا يحجُّ بعد عامنا هذا مشرك ولا يطوفنَّ بالبيت عريان ولا يدخل البيت إلا مؤمن ومن كانت بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مدَّة فإن أجله إلى أربعة أشهر فإذا اِنقضت الأربعة الأشهر فإن الله بريءٌ من المشركين ورسوله وروى عاصم بن حميد عن أبي بصير عن أبي جعفر (ع) قال خطب علي (ع) الناس واخترط

(١) صحل صوته : بَحّ وخشن .

سيفه فقال لا يطوفنَّ بالبيت عريان ولا يحجن البيت مشرك ومن كانت له مدة فهو إلى مدته ومن لم يكن له مدة فمدته أربعة أشهر وكان خطب يوم النحر وكانت عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من شهر ربيع الآخر وقال يوم النحر يوم الحج الأكبر وذكر أبو عبد الله الحافظ بإسناده عن زيد بن نفيع قال سألنا علياً (ع) بأيّ شيء بعثت في ذي الحجة قال بعثت بأربعة لا يدخل الكعبة إلا نفس مؤمنة ولا يطوف بالبيت عريان ولا يجتمع مؤمن وكافر في المسجد الحرام بعد عامه هذا ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عهد فعهده إلى مدته ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر وروي أنه عليه السلام قام عند جمرة العقبة وقال يا أيها الناس أني رسول الله إليكم بأن لا يدخل البيت كافر ولا يحجّ البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد عند رسول الله فله عهده إلى أربعة أشهر ومن لا عهد له فله مدة بقية الأشهر الحرم وقرأ عليهم سورة براءة وقيل قرأ عليهم ثلاث عشرة آية من أول براءة وروي أنه عليه السلام لما نادى فيهم أن الله بريء من المشركين أي من كل مشرك قال المشركون نحن نتبرأ من عهدك وعهد ابن عمك ثم لما كانت السنة المقبلة وهي سنة عشر حجَّ النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وقفل[1] إلى المدينة ومكث بقية ذي الحجة الحرام والمحرم وصفر وليالي من شهر ربيع الأول حتى لحق بالله عز وجل .

﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾

[**القراءة**] قرأ يعقوب برواية روح وزيد ورسولَه بالنصب وهي قراءة الحسن وابن أبي

(١) أي رجع .

إسحاق وعيسى بن عمرو وقرأ سائر القراء ورسولُه بالرفع وفي الشواذ قراءة عكرمـة وعطا لم ينقضوكم بالضاد المعجمة .

[**الحجة**] من قرأ ورسوله بالرفع فإنه على الابتداء وخبره محذوف ويدل عليه ما تقدَّمه وتقديره ورسوله أيضاً بريءٌ منهم ويجوز أن يكون معـطوفاً على المضمـر في بريء وحسن العطف عليه وإن كان غير مؤكد لأن قوله من المشركين قام مقام التوكيد وذكر سيبويـه وجهاً ثالثاً وهو أن يكون معطوفاً على موضع أنَّ وهذا وهم منه لأن أنَّ المفتوحة مع ما بعـدها في تأويل المصدر فقد تغيَّرت عن حكم المبتدأ وصارت في حكم ليت ولعل وكَأَنَّ في إحداثها معنى يفارق المبتدأ فكما لا يجوز العطف على مواضعهن فكذا لا يجوز العطف على موضع أنَّ وإنما يجوز العطف على موضع إن المكسورة كما قال الشاعر :

فَـمَنْ يَـكُ أمْسـىٰ بِـالْمَـدِينَـةِ رَحْـلُهُ فَـإنِّـي وَقَـيَّـارٌ بِـهَـا لَـغَـرِيـبُ[١]

ولعلَّ سيبويه توهم أنها مكسورة فحمل على موضعها فقد قرأ في الشواذ إنَّ الله بريء بالكسر فلعله تأوَّل على هذه القراءة ومن نصب عطفه على اسم الله تعالى وعلى هذا فيكون خبره محذوفاً أيضاً ومن قرأ لم ينقضوكم فمعناه لم ينقضوا أموركم وعهودكم .

[**اللغة**] الأذان الأعلام يقال أذنته بكذا فأذن أي أعلمته فعلم وقيل إن أصله من النداء الـذي يسمع بـالأذن ومعناه أوقعـه في أذنه وتـأذَّن بمعنى آذن كما يقـال تيقَّن وأيقن والمدة والزمان والحين نظائر وأصله من مددت الشيء مدّاً فكأنه زمان طويـل الفسحة والمـدة عند المتكلمين إسم للمعدود من حركات الفلك وهو محدث .

[**الإعراب**] وأذان عطف على براءة عن الزجاج وقيل إن تقديره عليكم أذان لأن فيه معنى الأمر فيكون مبتدأ وخبره محذوف عن علي بن عيسى ويجوز أن يكون مبتدأ والخبر قوله أن الله بريء على حذف الباء كأنه قال بأن الله وعلى الوجهين الأولين يكون موضع أن نصباً على أنه مفعول له وقوله ﴿ **الذين عاهدتم** ﴾ في موضع نصب على الاستثناء وبَشِّر معطوف على معنى الأذان أي أذن وبَشّر عن أبي مسلم .

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه أنه يجب إعلام المشركين ببراءة منهم لئلا ينسبوا المسلمين إلى الغدر فقال ﴿ **وأذان من الله ورسوله إلى الناس** ﴾ معناه وإعلام وفيه معنى الأمر أي أذنوا

---

(١) قائله ضائى بن الحارث البرجمي قالها حين حبسه عثمان بالمدينة لجرم اقترفه . وقيار : إسم فرس وقيل غلامه .

الناس يعني أهل العهد وقيل المراد بالناس المؤمن والمشرك لأن الكل داخلون في هذا الإعلام وقوله إلى الناس أي للناس يقال هذا إعلام لك وإليك ﴿ **يوم الحج الأكبر** ﴾ فيه ثلاثة أقوال (أحدها) أنه يوم عرفة من عُمَرْو سعيد بن المسيب وعطا وطاووس ومجاهد وروي ذلك عن علي (ع) ورواه المسور بن مخزمة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال عطا الحج الأكبر الذي فيه الوقوف والحج الأصغر الذي ليس فيه وقوف وهو لعمرة (وثانيها) أنه يوم النحر عن علي وابن عباس وسعيد بن جبير وابن زيد والنخعي ومجاهد والشعبي والسدي وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) ورواه ابن أبي أوفى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الحسن وسمي الحج الأكبر لأنه حجَّ فيه المشركون والمسلمون ولم يحجّ بعدها مشرك (وثالثها) أنه جميع أيام الحج عن مجاهد أيضاً وسفيان فمعناه أيام الحج كلها كما يقال يوم الجمل ويوم صفين ويوم بعاث[1] يراد به الحين والزمان لأن كل حرب من هذه الحروب دامت أياماً ﴿ **إن الله بريء من المشركين** ﴾ أي من عهد المشركين فحذف المضاف ﴿ **ورسوله** ﴾ معناه ورسوله أيضاً بريء منه وقيل إن البراءة الأولى لنقض العهد والبراءة الثانية لقطع الموالاة والإحسان فليس بتكرار ﴿ **فإن تبتم فهو خير لكم** ﴾ معناه فإن تبتم في هذه المدة أيها المشركون ورجعتم عن الشرك إلى توحيد الله فهو خير لكم من الإقامة على الشرك لأنكم تنجون به مْن خزي الدنيا وعذاب الآخرة ﴿ **وإن توليتم** ﴾ عن الإيمان وصبرتم على الكفر ﴿ **فاعلموا أنكم غير معجزي الله** ﴾ أي لا تعجزونه عن تعذيبكم ولا تفوتون بأنفسكم من أن يحلَّ بكم عذابه في الدنيا وفي هذا إعلام بأن الأمهال ليس بعجز وإنما هو لإظهار الحجة والمصلحة ثم أوعدهم بعذاب الآخرة فقال ﴿ **وَبَشِّر الذين كفروا بعذاب أليم** ﴾ أي أخبرهم مكان البشارة بعذاب موجع وهو عذاب النار في الآخرة ﴿ **إلا الذين عاهدتم من المشركين** ﴾ قال الفراء إستثنى الله تعالى من براءته وبراءة رسوله من المشركين قوماً من بني كنانة وبني ضمرة كان قد بقي من أجلهم تسعة أشهر أمر بإتمامها لهم لأنهم لم يظاهروا على المؤمنين ولم ينقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال ابن عباس عنى به كل من كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عهد قبل براءة وينبغي أن يكون ابن عباس أراد بذلك من كان بينه وبينه عقد هدنة ولم يتعرض له بعداوة ولا ظاهر عليه عدواً لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صالح أهل هجر وأهل البحرين وايلة ودومة الجندل

---

(١) قال القلقشندي : يوم بعاث كان بين الأوس والخزرج « إنتهى » وقيل سمى بذلك لأن الأوس طلبوا من الخزرج أن يوقفوا الحرب فطلب الخزرج منهم رهائن فبعثوا لهم بأربعين غلاماً منهم ففرقهم الخزرج في دورهم وقال الحموي : بعاث موضع في نواحي المدينة كانت به وقايع بين الأوس والخزرج في الجاهلية .

وله عهود بالصلح والجزية ولم ينبذ إليهم بنقض عهد ولا حاربهم بعد وكانوا أهل ذمة إلى أن مضى لسبيله صلى الله عليه وآله وسلم ووفى لهم بذلك من بعده ﴿ **ثم لم ينقصوكم شيئاً** ﴾ معناه لم ينقصوكم من شروط الهد شيئاً وقيل معناه لم يضرُّوكم شيئاً ﴿ **ولم يظاهروا عليكم أحداً** ﴾ أي لم يعاونوا عليكم أيها المؤمنون أحداً من أعدائكم ﴿ **فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم** ﴾ أي إلى إنقضاء مدتهم التي وقعت المعاهدة بينكم إليها ﴿ **إن الله يحب المتقين** ﴾ لنقض العهود .

﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

[**اللغة**] الإنسلاخ خروج الشيء مما لابسه وأصله من سلخ الشاة وهو نزع الجلد عنها وسلخنا شهر كذا نسلخه سَلْخا وسلوخا والحصر المنع من الخروج عن محيط والحَصر والحبس والأسر نظائر والمرصد الطريق ومثله المرقب والمربأ ورَصَده يَرصُده رَصْدَاً .

[**الإعراب**] قال أبو الحسن الأخفش قوله كل مرصد المعنى على كل مرصد فحذفت على وأنشد :

نُغالِي الْلَّحْمَ لِلأَضْيافِ نَيّا وَنَرْخُصُهُ إذا نَضَجَ الْقُدُورُ[1]

المعنى نغالي باللحم فحذفت الباء قال الزجاج كل مرصد ظرف كقولك ذهبت مذهباً وذهبت طريقاً وذهبت كل طريق قال أبو علي لا يحتاج في هذا إلى تقدير على إذا كان المرصد إسماً للمكان كما إنك إذا قلت ذهبت مذهباً ودخلت مدخلاً إذا جعلت المذهب والمدخل إسمين للمكان لم يحتج إلى عَلى ولا إلى تقدير حرف جرّ إلا أن أبا الحسن ذهب

---

(١) النيء : اللحم الذي لم ينضج وأصله نيء فترك الهمز وقلب ياءاً . يقول : نشتري اللحم غالياً ثم نبذله ونطعمه إذا نضج في قدورنا .

إلى أن المرصد إسم للطريق وإذا كان إسماً للطريق كان مخصوصاً وإذا كان مخصوصاً وجب أن لا يصل الفعل الذي لا يتعدى إليه إلا بحرف جر نحو قعدت على الطريق إلا أن يجيء في ذلك إتساع نحو ما حكاه سيبويه من قولهم ذهبت الشام ودخلت البيت وقد غلط أبو إسحاق الزجاج في قوله كل مرصد ظرف كقولك ذهبت مذهباً وذهبت طريقاً في أن جعل الطريق ظرْفاً كالمذهب وليس الطريق بظرف لأنه مكان مخصوص وقد نصَّ سيبويه على إختصاصه ألا ترى أنه حمل قول ساعدة .

لَـدْنٌ بِهَـزِّ الْكَـفِّ يَعْسِـلُ مَتْنُـهُ فِيـهِ كَمَا عَسَـلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ(١)

على أنه قد حذف منه الحرف إتساعاً كما حذف من ذهبت الشام وإذا أثبت ذلك فالمرصد مثله أيضاً في الاختصاص وأن لا يكون ظرفاً إذا كان إسماً للطريق وقوله أحد فإعرابه أنه مرفوع بفعل مضمر الذي ظهر تفسيره ، المعنى وأن استجارك أحد قال الزجاج ومن زعم أنه يرفع أحداً بالابتداء فقد أخطأ لأن إن الجزاء لا يتخطى ما يرفع بالابتداء ويعمل فيما بعده فلو أظهرت المستقبل لقلت أن أحد يَقُم أكرِمْه ولا يجوز أن أحد يقم زيد يقم لا يجوز أن يرفع زيد بفعل مضمر الذي ظهر تفسيره ويجزم وإنما جاز في أن لأن أن يلزمها الفعل وجواب الجزاء يكون بالفعل وغيره ولا يجوز أن تضمر وتجزم بعد المبتدأ لأنك تقول هاهنا إنْ تأتني فزيد يقوم فالموضع موضع ابتداء قال أبو علي أعلم أن جواب الشرط وإن كان بغير الفعل فالأصل فيه الفعل والفاء وإذا واقعان موقع الفعل بدلالة أن قوله ﴿ ويذرهم ﴾ على قراءة من قرأ بالجزم فمحمول على الموضع من قوله ﴿ فلا هادي له ﴾ وأما قول أبي إسحاق لا يجوز أن تضمر وتجزم بعد المبتدأ ولعمري أنه لا يجوز أن يضمر الفعل فيرفع الاسم الذي يرتفع بالابتداء بالفعل المضمر في نحو قولك أن تأتني فزيد يقوم لأن الجزم لا يقع بعد المبتدأ ولكن لا يمتنع أن يقع الجزم بعد الفاعل في الجزاء كما يقع في الشرط لأن الجزاء موضع فعل كما أن الشرط موضع فعل فالمسألة التي منع أبو إسحاق إجازتها جائزة لا إشكال في جوازها وهي قوله أن يقم أحد زيد يقم وقد نصَّ سيبويه على إجازة ذلك قال الزجاج وإنما يجوز الفصل في باب إن لأن إن أمُّ الجزاء ولا يزول عنه إلى غيره فأما اخواتها فلا يجوز ذلك فيها إلا في الشعر قال :

(١) رمح لدن لين المهزة . وعسل الثعلب : مضى مسرعاً واضطرب في عدوه وهز رأسه يصف الشاعر رمحه باللدونة . قال في اللسان ويروى « لذ » .

فَمَتَىٰ وَاغِلٌ يَنُبْهُمْ يُحَيُّوهُ وَتُعْطَفْ عَلَيْهِ كَأْسُ السَّاقِي[1]

[المعنى] ثم بيَّن سبحانه الحكم في المشركين بعد انقضاء المدة فقال ﴿ **فإذا انسلخ الأشهر الحرم** ﴾ قيل هي الأشهر الحرم المعروفة ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ثلاثة سَرد وواحد فرد عن جماعة وقيل هي الأشهر الأربعة التي حرَّم القتال فيها وجعل الله للمشركين أن يسيحوا في الأرض آمنين على ما ذكَرناه من اختلاف المفسرين فيها وعلى هذا فمنهم من قال معناه فإذا انسلخ الأشهر بانسلاخ المحرم لأن المشركين من كان منهم لهم عهد أمهلوا أربعة أشهر من حين نزلت براءة ونزلت في شوال ومن لا عهد لهم فأجلهم من يوم نزول النداء وهو يوم عرفة أو يوم النحر إلى تمام الأشهر الحرم وهي بقية ذي الحجة والمحرم كله فيكون ذلك خمسين يوماً فإذا انقضت هذه الخمسون يوماً انقضى الأجلان وحلَّ قتالهم سواء كان لهم عهد خاص أو عام ومنهم من قال معناه إذا انسلخ الأشهر الأربعة التي هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من شهر ربيع الآخر إذ حرَّمنا فيها دماء المشركين وجعلنا لهم أن يسيحوا فيها آمنين ﴿ **فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم** ﴾ أي فضعوا السيف فيهم حيث كانوا في الأشهر الحرم وغيرها في الحلّ أو في الحرم وهذا ناسخ لكل آية وردت في الصلح والاعراض عنهم ﴿ **وخذوهم** ﴾ قيل فيه تقديم وتأخير وتقديره فخذوا المشركين حيث وجدتموهم واقتلوهم وقيل ليس فيه تقديم وتأخير وتقديره فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم أو خذوهم واحصروهم على وجه التخيير في اعتبار الأصلح من الأمرين وقوله ﴿ **واحصروهم** ﴾ معناه واحبسوهم واسترقوهم أو فادوهم بمال وقيل وامنعوهم دخول مكة والتصرف في بلاد الإسلام ﴿ **واقعدوا لهم كل مرصد** ﴾ أي بكل طريق وبكل مكان تظنُّون أنهم يمرّون فيه وضيِّقوا المسالك عليهم لتمكنوا من أخذهم وقوله لهم معناه لقتلهم وأسرهم ﴿ **فإن تابوا** ﴾ أي رجعوا من الكفر وانقادوا للشرع ﴿ **وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾ أي قبلوا إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة لأن عصمة الدم لا تقف على إقامة الصلاة واداء الزكاة فثبت أن المراد به القبول ﴿ **فخلُّوا سبيلهم** ﴾ أي دعوهم يتصرَّفون في بلاد الإسلام لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم وقيل معناه فخلُّوا سبيلهم إلى البيت أي دعوهم يحجُّوا معكم ﴿ **إن الله غفور رحيم** ﴾ واستدلُّوا بهذه الآية على أن من ترك الصلاة متعمّداً يجب قتله لأن الله تعالى أوجب الامتناع من قتل المشركين بشرط أن يتوبوا ويقيموا

(١) الواغل: الذي يدخل على القوم في طعامهم وشرابهم من غير أن يدعوه إليه. يصف قومه بالجود.

الصلاة فإذا لم يقيموها وجب قتلهم ﴿ **وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله** ﴾ معناه وإن طلب أحد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم منك الأمان من القتل بعد الأشهر الأربعة ليسمع دعوتك واحتجاجك عليه بالقرآن فأمنه وبيّن له ما يريد وأمهله حتى يسمع كلام الله ويتدبَّره وإنما خصَّ كلام الله لأن معظم الأدلة فيه ﴿ **ثم أبلغه مأمنه** ﴾ معناه فإن دخل في الإسلام نال خير الدارين وإن لم يدخل في الإسلام فلا تقتله فتكون قد غدرت به ولكن أوصله إلى ديار قومه التي يأمن فيها على نفسه وماله ﴿ **ذلك بأنهم قوم لا يعلمون** ﴾ أي ذلك الأمان لهم بأنهم قوم لا يعلمون الإيمان والدلائل فآمنهم حتى يسمعوا ويتدبَّروا ويعلموا وفي هذا دلالة على بطلان قول من قال المعارف ضرورية وفي الآية دلالة على أن المتلو والمسموع كلام الله لأنَّ الشرع والعرب جعلا الحكاية كعين المحكي يقال هذا كلام سيبويه وشعر امرىء القيس ومن ظنَّ أن الحكاية تفارق المحكي لأجل هذا الظاهر فقد غلط لأن المراد ما ذكرناه .

﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَـٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨﴾

[**القراءة**] في الشواذ قراءة عكرمة ايلا بياء بعد الهمزة .

[**الحجة**] يمكن أن يكون أراد إلّاً كقراءة الجماعة إلا أنه أبدل اللام الأولى ياءاً لثقل الادغام ولكسر الهمزة كما قالوا دينار وقيراط والأصل دنار وقراط لقولهم دنانير وقراريط وقد جاء مع التضعيف وحده قال :

يَـا لَيْتَمَـا أُمُّنَـا شَـالَتْ نُعَـامَتُهَـا ... أَيْمَـا إِلىٰ جَنَّـةٍ أَيْمَـا إِلَىٰ نَـارِ[١]

(١) قائله نحيت الخدري يهجو أمه وكان شريراً أو عاقاً لها. وشالت من شالت الناقة ذنبها أي رفعته. والنعامة: باطن القدم. وذلك كناية عن موتها .

[**اللغة**] الظهور العلو بالغلبة وأصله خروج الشيء إلى حيث يصحّ أن يدرك الرقبة والانتظار والمراقبة والمراعاة والمحافظة نظائر والرقيب الحافظ والإلُّ العهد مأخوذ من الاليل وهو البريق يقال أَلَّ يَؤُلُّ أَلًّا إذا لمع والآلة الحربة للمعانها وأُذُن مُؤَلَّلة مشبهة للحربة في تحديدها قال الشاعر :

وَجَدْنَاهُمُ كَاذِباً إِلُّهُم وَذُو الإلِّ وَالْعَهْدِ لا يَكْذِبُ

والإلُّ القرابة قال حسان :

لَعَمْرُكَ إنَّ إِلَّكَ مِنْ قُرَيْشٍ كَإلِّ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعَامِ (١)

[**المعنى**] لما أمر سبحانه بنبذ العهد إلى المشركين بيَّن أن العلة في ذلك ما ظهر منهم من الغدر وأمر بإتمام العهد لمن استقام على الأمر فقال ﴿ **كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله** ﴾ أي كيف يكون لهؤلاء عهد صحيح مع اضمارهم الغدر والنكث وهذا يكون على التعجب أو على الجحد ويدلُّ عليه ما روي أن في قراءة عبد الله كيف يكون عهد عند الله ولا ذمة فأدخل الكلام لا لأن معنى الأول جحد أي لا يكون لهم عهد وقيل معناه كيف يأمر الله ورسوله بالكف عن دماء المشركين ثم استثنى سبحانه فقال ﴿ **إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام** ﴾ أي فإنَّ لهم عهداً عند الله لأنهم لهم يضمروا الغدر بك والخيانة لك واختلف في هؤلاء من هم فقيل هم قريش عن ابن عباس وقيل هم أهل مكة الذين عاهدهم رسول الله يوم الحديبية فلم يستقيموا ونقضوا العهد بأن أعانوا بني بكر على خزاعة فضرب لهم رسول الله ﷺ بعد الفتح أربعة أشهر يختارون أمرهم أما أن يسلموا وأما أن يلحقوا بأيّ بلاد شاءوا فأسلموا قبل الأربعة الأشهر عن قتادة وابن زيد وقيل هم من قبائل بكر بنو خزيمة وبنو مدلج وبنو ضمرة وبنو الدئل وهم الذين كانوا قد دخلوا عهد قريش يوم الحديبية إلى المدة التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين قريش فلم يكن نقضها إلا قريش وبنو الدئل من بكر فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن له نقض إلى مدته وهذا القول أقرب إلى الصواب لأن هذه الآيات نزلت بعد نقض قريش العهد وبعد فتح مكة ﴿ **فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم** ﴾ معناه فما استقاموا لكم على العهد أي ما داموا باقين معكم على الطريقة المستقيمة فكونوا معهم كذلك ﴿ **إن الله يحبُّ المتقين** ﴾ للنكث والغدر ﴿ **كيف وإن يظهروا**

(١) السقب: ولد الناقة ساعة يولد. والرأل: ولد النعام. يقول: ان قرابتك من قريش كقرابة ولد الناقة لرأل النعام أي لست منهم في نسب.

عليكم ﴾ هاهنا حذف وتقديره كيف يكون لهم عهد وكيف لا تقتلونهم وإنما حذفه لأنَّ ما قبله من قوله كيف يكون للمشركين عهد يدلُّ على ذلك ومثله قول الشاعر يرثي أخاً له قد مات :

وَخَبَّـرتُمَاني أَنَّمَـا الْمَوْتُ بِـالْقُـرىٰ فَـكَيْـفَ وَهْـاتـا هَـضْبَـةٌ وَقَـليبُ(١)

أي فكيف مات وليس بقرية ومثله قول الحطيئة :

فَـكَيْـفَ وَلَـمْ أَعْـلَمْـهُـمْ خَـذَلُـوكُـمُ عَـلىٰ مُعْـظَمٍ وَلا أَديـمَـكُـمُ قَـدُّوا(٢)

أي وكيف تلومونني على مدح قوم وتذمُّـونهم فاستغنى عن ذكـر ذلك لأنـه جرى في القصيدة ما يدلُّ على ما أضمره ومعناه كيف يكون لهؤلاء عهد عند الله وعند رسوله وهم بحال أن يظهروا عليكم ويظفروا بكم ويغلبوكم ﴿ **لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة** ﴾ أي لا يحفظوا ولا يـراعوا فيكم قـرابة ولا عهـداً والإل القرابـة عن ابن عباس والضحـاك والعهد عن مجـاهد والسدي والجوار عن الحسن والحلف عن قتادة واليمين عن أبي عبيدة وقيل أن الإل اسم الله تعالى عن مجاهد وروى أن أبا بكر قرىء عليه كلام مسيلمة فقال لم يخرج هذا من إل فأين يذهب بكم ومن قال إن الإل هو العهد قال جمع بينه وبين الذمة وإن كان بمعناه لاختلاف معنى اللفـظين كما قـال « وألفى قولهـا كذبـاً ومينا » وقـال « متى أدنُ منه ينـأ عنّي ويبعد » ﴿ **يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم** ﴾ معناه يتكلّمـون بكلام المـوالين لكم لترضـوا عنهم وتأبى قلوبهم إلا العداوة والغدر ونقض العهد ﴿ **وأكثرهم فاسقون** ﴾ أي متمرّدون في الكفر والشرك عن ابن الأخشيد وقال الجبائي أراد كلهم فـاسقون لكنّـه وضع الخصـوص موضـع العموم وقال القاضي معناه أكثرهم خارجون عن طريق الوفاء بالعهد وأراد بذلك رؤساءُهم .

﴿ ٱشْتَرَوْاْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ

(١) قائله كعب بن سعد الغنوي . والهضبة : الجبل . الرابية .

(٢) حدل حدلاً وحدولاً جار وظلم . وفي التبيان « خذلوكم بمعجمتين وقد الاديم »قيل : هيهنا كناية عن هتك العرض .

يَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي
دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ
يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ
ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن
كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة والشام أئمة الكفر بهمزتين وقرأ الباقون أيمة بهمزة واحدة وياء بعدها وقرأ ابن عامر لا إيمان بكسر الهمزة ورواه ابن عقدة بإسناده عن عريف بن الوضاح الجعفي عن جعفر بن محمد عليهما السلام والباقون بفتحها .

[**الحجة**] قال أبو علي أئمة أصله أفعلة واحدها إمام فإذا جمعته على أفعلة ففيه همزة هي فاء الفعل ويزيد عليها همزة أفعلة الزائدة فيجتمع همزتان واجتماع الهمزتين في كلمة لا يستعمل بحقيقتهما قال الزجاج أصله أئمة ولكن الميمين لما اجتمعتا أدغمت الأولى في الثانية وألقيت حركتها على الهمزة فصارت أئمة فأبدل النحويون من الهمزة المكسورة الياء قال ومن قال هذا أوَمّ من هذا[١] كان أصله أأَمّ فجعلها واواً مفتوحة كما قالوا في جمع آدم أوادم قال أبو علي ومن جمع بين الهمزتين في أئمة فحجته أن سيبويه قال زعموا أن ابن أبي إسحاق كان يحقّق الهمزتين في اناس معه وقد يتكلم ببعضه العرب وهو رديء ووجهه من القياس أن تقول أن الهمزة حرف من حروف الحلق كالعين وغيره وقد جمع بينهما في نحو كعاعة وكَعَّ يَكُعُّ فكما جاز اجتماع العينين جاز اجتماع الهمزتين قال علي بن عيسى إنما جاز اجتماع الهمزتين هنا لئلا يجتمع على الكلمة تغيُّران الإدغام والقلب مع خفة التحقيق لأجل ما بعده من السكون وعلى هذا تقول هذا أءَمّ من هذا بهمزتين قال وإنما قلبت الهمزة من أئمة[٢] دون حركة ما قبلها لأن الحركة إنما نقلت من الميم إلى الهمزة لبيان زنة الكلمة فلو ذهبت بقلبها على ما قبلها لكنت مناقضاً للغرض فيها وأما قوله ﴿ **لا أيمان لهم** ﴾ فمن فتح الهمزة قال هو أشبه بالموضع فقد قال نكثوا ايمانهم ومن كسرها جعله مصدر آمنته إيماناً

(١) أي أحسن امامة منه .

(٢) [على حركتها] .

خلاف خوَّفته ولا يريد مصدراً من الذي هو صَدَّقَ فيكون تكراراً لدلالة ما تقدم من قوله فقاتلوا أئمة الكفر على أن أهل الكفر لا ايمان لهم .

[اللغة] الأيمان جمع يمين وهو القَسَم والطعن الاعتماد بالعيب وأصله الطعن بالرمح والإمام هو المتقدم للاتباع فالإمام في الخير مهتد هاد وفي الشرّ ضال مضلّ والهمّ مقارنة الفعل بالعزم من غير إيقاع له وقد ذمّوا بهذا الهم ففيه دليل على العزم وقد يستعمل الهمُّ على مقارنة العزم والبدء فعل الشيء من قبل غيره وهو فعل الشيء أولاً والمرة فعل لم يتكرر وهي الفعلة من المرّ والمرة والدفعة والكرة نظائر .

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه خصال القوم فقال ﴿ **اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً فصدُّوا عن سبيله** ﴾ ومعناه أعرضوا عن دين الله وصدُّوا الناس عنه بشيء يسير نالوه من الدنيا وأصل الاشتراء استبدال ما كان من المتاع بالثمن ونقيضه البيع وهو العقد على تسليم المتاع بالثمن ومعنى الفاء هنا أن اشتراءهم هذا ادّاهم إلى الصدِّ عن الإسلام وهذا ورد في قوم من العرب جمعهم أبو سفيان على طعامه ليستميلهم على عداوة النبي ﷺ عن مجاهد وقيل ورد في اليهود الذين كانوا يأخذون الرشا من العوام على الحكم بالباطل عن الجبائي ﴿ **أنهم ساء ما كانوا يعملون** ﴾ أي بئس العمل عملهم ﴿ **لا يرقبون في مؤمن الاًّ ولا ذمّة** ﴾ سبق معناه والفائدة في الإعادة أن الأول في صفة الناقضين للعهد والثاني في صفة الذين اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً وقيل إنما كرَّر تأكيداً ﴿ **وأولئك هم المعتدون** ﴾ أي المجاوزون الحدَّ في الكفر والطغيان ﴿ **فإن تابوا** ﴾ أي ندموا على ما كان منهم من الشرك وعزموا على ترك العود إليه وقبلوا الإسلام ﴿ **وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾ أي قبلوهما وأدُّوهما عند لزومهما ﴿ **فأخوانكم في الدين** ﴾ أي فهم اخوانكم في الدين فعاملوهم معاملة أخوانكم من المؤمنين ﴿ **ونفصّل الآيات** ﴾ أي نبيّنها ونميّزها بخاصة لكل واحدة منها تتميَّز بها من غيرها حتى يظهر مدلولها على أتمّ ما يكون من الظهور فيها ﴿ **لقوم يعلمون** ﴾ ذلك ويتبيّنونه دون الجهال الذين لا يتفكّرون ﴿ **وإن نكثوا** ﴾ أي نقضوا ﴿ **إيمانهم** ﴾ أي عهودهم وما حلفوا عليه ﴿ **من بعد عهدهم** ﴾ أي من بعد أن عقدوه ﴿ **وطعنوا في دينكم** ﴾ أي عابوه وقدحوا فيه ﴿ **فقاتلوا أئمة الكفر** ﴾ أي رؤساء الكفر والضلالة وخصَّهم بالأمر بقتالهم لأنهم يضلّون اتباعهم قال الحسن وأراد به جماعة الكفار وكل كافر إمام لنفسه في الكفر ولغيره في الدعاء إليه وقال ابن عباس وقتادة أراد به رؤساء قريش مثل الحرث بن هشام وأبي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وسائر رؤساء قريش الذين نقضوا العهد وكان حذيفة بن اليمان يقول لم يأت أهل

هذه الآية بعد وقال مجاهدهم أهل فارس والروم وقرأ علي عليه السلام هذه الآية يوم البصرة ثم قال أما والله لقد عهد إليَّ رسول الله ﷺ وقال لي يا علي لتقاتلن الفئة الناكثة والفئة الباغية والفئة المارقة ﴿ **إنهم لا أيمان لهم** ﴾ من قرأ بفتح الهمزة فمعناه أنهم لا يحفظون العهد واليمين كما يقال فلان لا عهد له أي لا وفاء له بالعهد ومن قرأ بالكسر فمعناه لا تؤمنوهم بعد نكثهم العهد ويحتمل أن يكون معناه انهم إذا آمنوا انساناً لا يفون به ويحتمل ان يكون معناه أنهم كفروا فلا إيمان لهم ﴿**لعلهم ينتهون**﴾ معناه قاتلوهم لينتهوا عن الكفر فإنهم لا ينتهون عنه بدون القتال وقيل معناه ليكن قصدكم في قتالكم انتهاؤهم عن الشرك فإن قيل كيف نفى بقوله لا إيمان لهم ما أثبته بقوله وان نكثوا أيمانهم قيل له ان الايمان التي اثبتها هي ما حلفوا بها وعقدوا عليها وإنما نفاها من بعد لأنهم لم يفوا بها ولم يتمسكوا بموجبها ﴿ **ألا تقاتلون قوماً نكثوا ايمانهم وهمُّوا بإخراج الرسول**﴾ الالف للاستفهام والمراد به التحضيض والايجاب ومعناه هلا تقاتلونهم وقد نقضوا عهودهم التي عقدوها واختلف في هؤلاء فقيل هم اليهود الذين نقضوا العهد وخرجوا مع الأحزاب وهمُّوا باخراج الرسول من المدينة كما أخرجه المشركون من مكة عن الجبائي والقاضي وقيل هم مشركوا قريش وأهل مكة ﴿**وهم بدؤكم أول مرة**﴾ أي بدؤكم بنقض العهد عن ابن إسحاق والجبائي وقيل بدؤكم بقتال حلفاء النبي ﷺ من خزاعة عن الزجاج وقيل بدؤكم بالقتال يوم بدر وقالوا حين سلم العير لا ننصرف حتى نستأصل محمداً ومن معه ﴿**أتخشونهم**﴾ أي أتخافون ان ينالكم من قتالكم مكروه لفظه استفهام والمراد به تشجيع المؤمنين وفي ذلك غاية الفصاحة لأنه جمع بين التقريع والتشجيع ﴿**فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين**﴾ المعنى لا تخشوهم ولا تتركوا قتالهم خوفاً على أنفسكم منهم فإنه سبحانه أحقُّ أن تخافوا عقابه في ترك امره بقتالهم ان كنتم مصدقين بعقاب الله وثوابه أي إن كنتم مؤمنين فخشية الله أحقُّ بكم من خشية غيره والله أعلم وأحكم .

﴿ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾

[**القراءة**] في الشواذ قراءة الأعرج وابن أبي إسحاق وعيسى الثقفي وعمرو بن عبيد ويتوب الله بالنصب ورويت عن أبي عمرو أيضاً .

[**الحجـة**] قال ابن جني إذا نصب فـالتوبـة داخلة في جواب الشـرط وإذا رفـع فهـو استئناف وتقديره في النصب ان تقاتلوهم تكن هذه الأشياء كلها التي احدها التوبـة من الله على من يشاء والوجه قراءة الجماعة على الاستئناف لأنه تمَّ الكلام على قوله ويذهب غيظ قلوبهم ثم استأنف فقال ويتوب الله على من يشاء لأن التوبة منه سبحانه على من يشاء ليست مسببة عن قتالهم .

[**المعنى**] ثم أكَّد سبحانه ما تقدَّم بأن أمر المسلمين بقتالهم وبشَّرهم بالنصر والظفر عليهم فقال ﴿**قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم**﴾ قتلاً وأسراً ﴿**ويخزهم**﴾ أي ويذلّهم ﴿**وينصركم عليهم**﴾ أي ويعنكم ايها المؤمنون عليهم ﴿**ويشف صدور قوم مؤمنين**﴾ يعني صـدور بني خزاعة الذين بيَّت عليهم بنو بكر عن مجاهد والسدي لأنهم كانوا حلفاء النبي ﷺ ﴿**ويذهب غيظ قلوبهم**﴾ معناه ويكون ذلك النصر شفاء لقلوب المؤمنين التي امتلأت غيـظاً لكثرة مـا نالهم من الأذى من جهتهم ثم استأنف سبحانه فقال ﴿**ويتوب الله على من يشاء**﴾ أي ويقبل توبة من تاب منهم مع فرط تعدّيهم رحمة وفضلاً ﴿**والله عليم حكيم**﴾ عليم بتوبتهم إذا تابوا حكيم في أمركم بقتالهم اذا نكثوا قبل أن يتوبوا ويرجعوا لأن أفعاله كلها صواب وحكمة وفي هذا دلالة على نبوة نبينا ﷺ لأنه وافق خبره المخبر .

[**النظم**] والوجه في اتصال قوله ويتوب الله على من يشاء بما قبله شيئـان (أحدهما) البشارة بأن فيهم من يتوب ويرجع عن الكفر الى الإيمان (والآخر) بيان أنه ليس في قتالهم اقتطاع لأحد منهم عن التوبة .

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

[**اللغة**] الحسبان قوة المعنى في النفس من غير قطع وهو مشتق من الحساب لدخوله فيما يحتسب به والـترك ضدّ ينافي الفعل المبتدأ في محل القدرة عليه ويستعمل بمعنى ان لا يفعل كقوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون والوليجة الدخيلة في القرم من غيرهم والبطانـة مثله وليجة الرجل من يختصُّ بدخلة أمره دون الناس الواحد والجمـع فيه سـواء وكل شيء دخل في شيء ليس منه فهو وليجة قال طرفة :

فَــإِنَّ الـقَــوافـي يَـتَّـلِجْـنَ مَــوالِـجاً تَـضـايَـقُ عَـنْـهُ أنْ تَــوَلَّـجَــهُ الإبَـرُ

[**الإعراب**] أم حرف عطف يعطف به الاستفهام وام حسبتم معطوف على ما تقدم من قوله ﴿**الا تقاتلون**﴾ وهو من الاستفهام المعترض في وسط الكلام فجعل بأم ليفرّق بينه وبين الاستفهام المبتدأ لما يفعل نفي الفعل مع تقريب لوقوعه ولم يفعل نفي الفعل بعد اطماع في وقوعه .

[**المعنى**] ثم نبَّه سبحانه على جلالة موقع الجهاد فقال ﴿**أم حسبتم أن تتركوا**﴾ معناه أظننتم أيها المؤمنون ان تتركوا من دون ان تكلّفوا الجهاد في سبيل الله مع الاخلاص ﴿**ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم**﴾ معناه ولما يظهر ما علم الله منكم فذكر نفي العلم والمراد نفي المعلوم تأكيداً للنفي وإلا فإن الله عزَّ اسمه عالم بما يكون قبل أن كان وبما لا يكون لو كان كيف كان يكون وتقديره أظننتم ان تتركوا ولم تجاهدوا ﴿**ول يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة**﴾ أي ولم يعلم الله الذين لم يتخذوا سوى الله وسوى رسوله والمؤمنين بطانة وأولياء يوالونهم ويفشون اليهم أسرارهم وقال الجبائي هو أن يكونوا منافقين وهو قول الحسن وفي هـذه دلالة على تحـريم موالاة الكفـار والفساق والآلف بهم ﴿**والله خبير بما تعملون**﴾ أي عليم بأعمالكم فيجازيكم عليها .

[**النظم**] وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه لما تقدم الأمر بالقتال عطف عليه بهذا الشرط وهو الاخلاص في الجهاد على وجه قطع العصمة ليظهر الظفر ويستحقّ الثواب .

﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ شَـٰهِدِينَ
عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ أُوْلَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ
خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ
ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ
أُوْلَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾

[**القراءة**] قرأ أهل البصرة وابن كثير مسجد الله على الـواحد وهـو قراءة ابن عبـاس وسعيد بن جبير ومجاهد والباقون مساجد الله .

[**الحجة**] حجة من أفرد أنه عني بـه المسجد الحـرام وحجة من جمـع أنه عنى بـه المسجد الحرام وغيره من المساجد ويحتمل أن يكون أراد المسجد الحرام وإنما جمع لأن كل موضع منه مسجد يسجد عليه فيكون القراءتان بمعنى .

[**اللغة**] الأصل في المسجد هو موضع السجود في العرف ويعبَّر به عن البيت المهيّأ لصلاة الجماعة فيه والعمارة أن يجدّد منه ما استرم من الأبنية ومنه اعتمر إذا زار لأنـه يجدّد بالزيارة ما استرم من الحال .

[**المعنى**] لما أمر الله سبحـانه بقتـال المشركين وقـطع العصمة والمـوالاة عنهم أمر بمنعهم عن المسـاجد فقـال **﴿ما كـان للمشركين أن يعمـروا مساجـد الله﴾** معناه لا ينبغي للمشـركين أن يكونـوا قوامـاً على عمارة مسـاجد الله ومتـولين لأمـرهـا وينبغي أن يعمـرهـا المسلمون وقيل ان المراد بذلك المسجد الحرام خاصة وقيل هي عامة في جميع المساجد **﴿شاهدين على أنفسهم بـالكفر﴾** أي حـال شهادتهم على أنفسهم بـالكفر أو مـع شهادتهم واختلف في العمارة للمسجد فقيل هي بدخوله ونزوله كما يقال فلان يعمر مجلس فلان إذا أكثر غشيانه لأن المسجد تكون عمارته بطاعة الله وعبادته وقيل هي باستصلاحه ورَمِّ ما استرم منه لأنه إنما يعمر للعبادة عن الجبائي وقيل هي بأن يكـونوا من أهله أي لا ينبغي أن يتـرك المشركون فيكـونوا أهـل المسجد الحـرام عن الحسن واختلف في شهادتهم على أنفسهم بالكفر كيف هي فقيل هي أن النصراني يسأل ما أنت فيقول أنا نصراني واليهودي يقـول أنا يهودي وكذلك المشرك إذا سئل ما دينك يقول مشرك لا يقولها أحد غير العرب عن السدي وقيل معناه ان كلامهم يدل على كفـرهـم كما يقـال كلام فـلان يدل على بـطلان دعواه عن الحسن وقيل هي قولهم لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك وقيل شهادتهم سجودهم لأصنامهم مـع اقرارهم بـأنها مخلوقـة عن ابن عباس ومعنـاه أنهم يشهدون على أنفسهم بأفعالهم وأحوالهم ومن أظهر شيئاً وبيَّنه يقال قد شهد به **﴿أولئك حبطت أعمالهم﴾** التي هي من جنس الطاعة من المؤمنين أي بطلت لأنهم أوقعوها على الوجه الذي لا يستحق لأجله الثواب عليها عنـد الله **﴿وفي النار هم خـالدون﴾** أي مقيمـون مؤبَّدون **﴿إنمـا يعمر مساجد الله﴾** ولفظة إنما لاثبات المذكور ونفي ما عداه فمعناه لا يعمر مساجـد الله بزيـارتها واقامة العبادات فيها أو ببنائها ورمِّ المسترم منها إلا **﴿من آمن بالله واليوم الآخر﴾** أي من أقرَّ بوحدانية الله واعترف بالقيامـة **﴿وأقام الصـلاة﴾** بحدودهـا **﴿وآتى الزكـاة﴾** أي أعطاهـا إن وجبت عليه إلى مستحقها **﴿ولم يخش إلا الله﴾** أي لم يخف سوى الله أحداً من المخلوقين

وهذا راجع إلى قوله ﴿**أتخشونهم فالله أحقُّ أن تخشوه**﴾ أي إن خشيتموهم فقد ساويتموهم في الاشراك كما قال فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله الآية ﴿**فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين**﴾ إلى الجنة ونيل ثوابها لأن عسى من الله واجبة عن ابن عباس والحسن وفي ذكر الصلاة والزكاة وغير ذلك بعد ذكر الإيمان بالله دلالة على أن الإيمان لا يتناول افعال الجوارح إذ لو تناولها لما جاز عطف ما دخل فيه عليه ومن قال ان المراد فيه التفصيل وزيادة البيان فقد ترك الظاهر .

﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾

[**القراءة**] في الشواذ قراءة محمد بن علي الباقر (ع) وابن الزبير وأبي وجرة السواري وأبي جعفر السعدي القارىء أجعلتم سُقاة الحاج وعمَرة المسجد الحرام وقرأ الضحاك سُقاية الحاج بالضم وعَمَرة المسجد .

[**الحجة**] أما سقاة فهو جمع ساق وعمرة جمع عامر وأما سقاية فقد قال ابن جني فيه نعلر ووجهه أن يكون جمعاً جاء على فعال كعِرق وعُراق ورِخْل ورُخال(١) وظِئْر وظُؤار وتَوْم

(١) الرخل: الانثى من اولاد الضأن .

وتُوام وبريء وبُراء وانسان وأُناس ثم أنَّث كما يؤنَّث من الجموع أشياء نحو حجارة وعُيُورة[١] وكأن من عدل عن قراءة الجماعة سقاية الحاج وعمارة المسجد إلى هذا إنما هرب من أن يقابل الحدث بالجواهر وذلك أن من آمن جوهر وسقاية وعمارة مصدران فلا بدَّ إذن من حذف المضاف أي أجعلتم هذين الفعلين كفعل من آمن بالله فلما رأى أنه لا بدَّ من حذف المضاف قرأ سقاة وعمرة على ما مضى .

[**اللغة**] السِّقاية آلة تتخذ لسَقي الماء والسِّقاية مصدر كالسَقْي أيضاً وقيل إنهم كانوا يسقون الحجيج الماء والشراب وبيت البئر سقاية أيضاً والبشارة الدلالة على ما يظهر به السرور في بشرة الوجه كما يقال بشَّرته أبشِّرُه بُشرىٰ ورضوان هو معنى يستحق بالإحسان ويدعو إلى الحمد على ما كان ويضاد سخط العصيان والنعيم مشتق من النعمة وهي اللين فأما النعمة بكسر النون فهي منفعة يستحق بها الشكر لأنها كنعمة العيش وأبداً للزمان المستقبل من غير آخر كما ان قطُّ للماضي يقال ما رأيته قطُّ ولا أراه أبداً وجمع الأبد آباد وأبود يقال لا أفعل ذلك أبد الأبيد وأبد الآبدين وتأبَّد المنزل أتى عليه والأوابد الوحش سميت بذلك لطول أعمارها وقيل لم يمت وحشي حتف أنفه وإنما يموت بآفة والآبدة الداهية .

[**النزول**] قيل أنها نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام والعباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبة وذلك أنهم افتخروا فقال طلحة أنا صاحب البيت وبيدي مفتاحه ولو أشاء بت فيه وقال العباس أنا صاحب السقاية والقائم عليها وقال علي (ع) ما أدري ما تقولان لقد صلّيت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد عن الحسن والشعبي ومحمد بن كعب القرظي وقيل إن علياً (ع) قال للعباس يا عم ألا تهاجر والا تلحق برسول الله فقال ألست في أفضل من الهجرة أعمر المسجد الحرام واسقي حاج بيت الله فنزلت أجعلتم سقاية الحاج عن ابن سيرين ومرة الهمداني وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده عن ابن بريدة عن أبيه قال بينا شيبة والعباس يتفاخران إذا مرَّ بهما علي بن أبي طالب عليه السلام فقال بماذا تتفاخران فقال العباس لقد أوتيت من الفضل ما لم يؤتَ أحد سقاية الحاج وقال شيبة أوتيت عمارة المسجد الحرام فقال علي (ع) استحييت لكما فقد أوتيت على صغري ما لم تؤتيا فقالا وما أوتيت يا علي قال ضربت خراطيمكما بالسيف حتى آمنتما بالله ورسوله فقام العباس مغضباً يجرُّ ذيله حتى دخل على رسول الله ﷺ وقال أما ترى إلى ما يستقبلني به

---

(١) عيورة جمع العير: الحمار وحشياً أو أهلياً وقد غلب على الوحشي .

علي فقال ادعوا لي علياً فدعي له فقال ما حملك على ما استقبلت به عمّك فقال يا رسول الله صدمته بالحق فمن شاء فليغضب ومن شاء فليرض فنزل جبرائيـل (ع) فقال يـا محمد إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول أُتل عليهم أجعلتم سقاية الحاج الآيات فقال العباس إنـا قد رضينا ثلاث مرات وفي تفسير أبي حمزة أن العباس لما أسر يـوم بدر أقبـل عليه أنـاس من المهاجرين والانصار فعيَّروه بالكفر وقطيعة الرحم فقال مـا لكم تذكـرون مساوئنـا وتكتمون محاسننا قالوا وهل لكم من محاسن قال نعم والله لتعمر المسجـد الحرام ونحجب الكعبـة ونسقي الحـاج ونفكّ العـاني(١) فأنـزل الله تعالى مـا كان للمشـركين ان يعمـروا إلى آخر الآيات .

[المعنى] ﴿**أجعلتم سقـاية الحـاج وعمارة المسجـد الحرام كمن آمن بـالله**﴾ هـذا استفهام معناه الانكار أي لا تجعلوا وفيه حذف يدلُّ الكلام عليه وتقديره أجعلتم أهل سقاية الحاج وأهل عمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله حتى يكون مقابلة الشخص بالشخص أو يكون تقديره أجعلتم السقاية والعمارة كإيمان من آمن بالله حتى تكون مقابلة الفعل بـالفعل وسقاية الحاج سقيهم الشراب قال الحسن وكان نبيذ زبيب يسقون الحاج في الموسم بيَّن الله سبحانه أنه لا يقابل هذه الأشياء بالإيمان بالله ﴿**واليوم الآخر**﴾ وبـالجهاد في سبيله فـإنه لا مساواة بين الأمرين ﴿**لا يستوون عند الله**﴾ في الفضل والثواب ﴿**والله لا يهدي**﴾ إلى طريق ثوابه ﴿**القوم الظالمين**﴾ كما يهدي إليه من كان عارفاً به فاعلاً لطاعتـه مجتنباً لمعصيتـه ثم ابتدأ سبحانه فقال ﴿**الذين آمنوا**﴾ أي صدَّقوا واعترفوا بوحدانية الله ﴿**وهاجـروا**﴾ أوطانهم التي هي دار الكفر إلى دار الإسلام ﴿**وجاهدوا في سبيل الله**﴾ أي تحمَّلوا المشاق في ملاقاة اعداء الدين ﴿**بأموالهم وأنفسهم اعظم درجة عنـد الله**﴾ من غيرهم من المؤمنين الـذين لم يفعلوا هذه الأشياء ﴿**وأُولئك هم الفائزون**﴾ أي الظافرون بالبغية ﴿**يبشرهم ربهم**﴾ برحمة في الدنيا على ألسنة الرسل وبما بيَّن في كتبه من الثواب الموعود على الجهاد ﴿**برحمة منه ورضوان**﴾ في الآخرة ﴿**وجنات لهم فيها نعيم مقيم**﴾ أي دائم لا يزول ولا ينقطع ﴿**خالدين فيها أبداً**﴾ أي دائمين فيها مع كـون النعيم مقيماً لهم ﴿**إن الله عنـده أجر**﴾ أي جـزاء على العمل ﴿**عظيم**﴾ أي كثير متضاعف لا يبلغه نعمة غيره من الخلق .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ

(١) العاني : الاسير وكل من ذل واستكان وخضع .

أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ
وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا
وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ
ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ
وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾

[**القراءة**] قرأ أبو بكر عن عاصم وعشيراتكم على الجمع والباقـون وعشيرتكم على التوحيد .

[**الحجة**] من أفرد فلأنَّ العشيرة يقع على الجمع وقال أبو الحسن العـرب لا تجمع العشيرة عشيرات وإنما تقول عشائر ومن جمع فلأن كل واحد من المخاطبين له عشيرة .

[**اللغـة**] الاستحباب طلب المحبـة ويجوز أن يكـون استحبَّ بمعنى أحبَّ كمـا أن استجـاب يكون بمعنى أجاب فيكون كأنه طلب محبة فوقع له والعشيرة الجماعة ترجع الى عقد واحد كالعشرة ومنه المعاشرة والاقتراف اقتطاع الشيء من مكانـه إلى غيره من قـرفت القرحة إذا قشـرتها والقِـرْف القشر والتـربص التثبت في الشيء حتى يجيء وقته والتـربص والتثبت والتنظر والتوقف نظائر ونقيضه التعجل .

[**النزول**] روي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أنها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حيث كتب الى قريش يخبرهم بخبر النبي ﷺ لما أراد فتح مكة .

[**المعنى**] ثم نهى الله سبحانه المؤمنين عن مـوالاة الكافـرين وإن كانـوا في النسب الأقربين فقال ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء**﴾ وهذا في أمر الدين فأما في أمر الدنيا فلا بأس بمجالستهم ومعاشرتهم لقوله سبحانه وصاحبهما في الدنيا معروفاً قال ابن عباس لمّا أمر الله تعالى المؤمنين بالهجرة وأرادوا الهجرة فمنهم من تعلَّقت به زوجته ومنهم من تعلَّق به أبواه وأولاده فكانوا يمنعونهم من الهجرة فيتـركون الهجـرة لأجلهم فبيَّن

سبحانه ان أمر الدين مقدَّم على النسب وإذا وجب قطع قرابة الأبوين فالأجنبي أولى ﴿إن استحبُّوا الكفر على الإيمان﴾ أي إن اختاروا الكفر وآثروه على الإيمان قال الحسن من تولى الشرك فهو مشرك وهذا إذا كان راضياً بشركه ﴿ومن يتولهم منكم﴾ فترك طاعة الله لأجلهم واطَّلعهم على أسرار المسلمين ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ نفوسهم والباخسون حقَّها من الثواب لأنهم وضعوا الموالاة في غير موضعها لأن موضعها أهل الإيمان ﴿قل﴾ يا محمد لهؤلاء المتخلفين عن الهجرة إلى دار الإسلام ﴿إن كان آباؤكم﴾ الذين ولدوكم ﴿وأبناؤكم﴾ الذي ولدتموهم وهم الأولاد الذكور ﴿وإخوانكم﴾ في النسب ﴿وأزواجكم﴾ اللاتي عقدتم عليهن عقدة النكاح ﴿وعشيرتكم﴾ أي وأقاربكم ﴿وأموال اقترفتموها﴾ أي اكتسبتموها واقتطعتموها وجمعتموها ﴿وتجارة تخشون كسادها﴾ أي تخشون أنها تكسد إذا اشتغلتم بطاعة الله تعالى والجهاد ﴿ومساكن ترضونها﴾ أي مساكن اخترتموخا لأنفسكم ويعجبكم المقام فيها ﴿أحب إليكم﴾ أي آثر في نفوسكم وأقرب إلى قلوبكم ﴿من الله ورسوله﴾ أي من طاعة الله وطاعة رسوله ﴿وجهاد في سبيله﴾ أي ومن الجهاد في سبيل الله ﴿فتربصوا﴾ أي انتظروا ﴿حتى يأتي الله بأمره﴾ أي بحكمه فيكم وقيل بعقوبتكم على اختياركم هذه الأشياء على الجهاد وطاعة الله إما عاجلاً وإما آجلاً وفيه وعيد شديد عن الحسن والجبائي وقيل بفتح مكة عن مجاهد وقال بعضهم وهذا لا يصحّ لأن سورة براءة نزلت بعد فتح مكة ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ مضى تفسيره .

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ
كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا
وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾
ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا
لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾
ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾

[اللغة] الموطن الموضع الذي يقيم فيه صاحبه وهو مفعل من الوطن واستوطن

بالمكان إذا اتَّخذه وطناً وحنين اسم واد بين مكة والطايف والإعجاب السرور بما يتعجَّب منه والعجب السرور بالنفس والرحب السعة في المكان وضده الضيق وقولهم مرحباً معناه أتيت سعة والسكينة الطمأنينة والامنة وهي فعيلة من السكون قال الشاعر :

لِلَّهِ قَبْرٌ غالَها ماذا أَجَنَّ ... لَقَدْ أَجَنَّ سَكِينَةً وَوَقاراً[١]

والجنود الجموع التي تصلح للحروب .

[**الإعراب**] مواطن لا ينصرف لأنه جمع ليس على مثال الآحاد ويوم حنين أي وفي يوم حنين عطَف على مواطن أي ونصركم في يوم حنين وإنما صرف حنيناً لأنه اسم لمذكر وهو واد ولو ترك صرفه على أنه اسم للبقعة لجاز قال الشاعر :

نَصَرُوا نَبِيَّهُمْ وَشَدُّوا أَزْرَهُم ... بِحُنَيْنَ يَوْمَ تَواكُلِ الأَبْطالِ[٢]

وما في قوله بما رحبت مصدرية أي برحبها وسعتها .

[**المعنى**] لمّا تقدَّم أمر المؤمنين بالقتال ذكرهم بعده بما أتاهم من النصر حالاً بعد حال فقال **﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة﴾** اللام للقسم فكأنه سبحانه أقسم بأنه نصر المؤمنين أي أعانهم على أعدائهم في مواضع كثيرة على ضعفهم وقلة عددهم حثاً لهم على الانقطاع اليه ومفارقة الأهلين والأقربين في طاعته وورد عن الصادقين (ع) انهم قالوا كانت المواطن ثمانين موطناً وروي ان المتوكل اشتكى شكاية شديدة فتذر ان يتصدق بمال كثير ان شفاه الله فلما عوفي سأل العلماء عن حدِّ المال الكثير فاختلفت أقوالهم فأشير عليه أن يسأل أبا الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى (ع) وقد كان حبسه[٣] في داره فأمر أن يكتب إليه فكتب يتصدق بثمانين درهماً ثم سألوه عن العلة في ذلك فقرأ هذه الآية وقال عددنا تلك المواطن فبلغت ثمانين موطناً **﴿ويوم حنين﴾** أي وفي يوم حنين **﴿إذ أعجبتكم كثرتكم﴾** أي سرَّتكم وصرتم معجبين بكثرتكم قال قتادة وكان سبب انهزام المسلمين يوم حنين ان بعضهم قال حين رأى كثرة المسلمين لن نغلب اليوم عن قلة فانهزموا بعد ساعة وكانوا اثني عشر الفاً وقيل انهم كانوا عشرة آلاف وقيل ثمانية آلاف والأول أصح وأكثر في الرواية **﴿فلم تغن عنكم**

---

(١) عال الشيء فلاناً : غلبه وثقل عليه . وفي التبيان « غالها » بالغين المعجمة ومعناه أهلكها . وأجن بمعنى ستر .

(٢) قائله حسان بن ثابت وفي الديوان واللسان ومعجم البلدان « أزره » مكان « أزرهم » وهو الظاهر وتواكل الابطال اي ضعفهم واتكالهم على غيرهم .

(٣) وفي نسخة مخطوطة « وقد كان حينئذ » .

شيئاً﴾ أي فلم يدفع عنكم كثرتكم سوءاً **﴿وضاقت عليكم الأرض بما رحبت﴾** أي برحبتها والباء بمعنى مع والمعنى ضاقت عليكم الأرض مع سعتها كما يقال اخرج بنا الى موضع كذا أي معنا والمراد لم تجدوا من الأرض موضعاً للفرار اليه **﴿ثم وليتم مدبرين﴾** أي وليتم عن عدوِّكم منهزمين وتقديره ولّيتموهم أدباركم وانهزمتم **﴿ثمن أنزل الله سكينته﴾** أي رحمته التي تسكن اليها النفس ويزول معها الخوف **﴿على رسوله وعلى المؤمنين﴾** حين رجعوا اليهم وقاتلوهم وقيل على المؤمنين الذين ثبتوا مع رسول الله علي والعباس في نفر من بني هاشم عن الضحاك بن مزاحم وروى الحسن بن علي بن فضال عن أبي الحسن الرضا انه قال السكينة ريح من الجنة تخرج طيبة لها صورة كصورة وجه الإنسان فتكون مع الأنبياء أورده العياشي مسنداً **﴿وأنزل جنوداً لم تروها﴾** أراد به جنوداً من الملائكة وقيل ان الملائكة نزلوا يوم حنين بتقوية قلوب المؤمنين وتشجيعهم ولم يباشروا القتال يومئذ ولم يقاتلوا إلا يوم بدر خاصة عن الجبائي **﴿وعذَّب الذين كفروا﴾** بالقتل والأسر وسلب الأموال والأولاد **﴿وذلك جزاء الكافرين﴾** أي وذلك العذاب جزاء الكافرين على كفرهم **﴿ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء﴾**ذكر سبحانه ثم في ثلاثة مواضع متقاربة (الأول) **﴿ثم وليتم مدبرين﴾**عطف على ما قبله من الفعل وهو قوله **﴿ضاقت عليكم﴾** (والثاني) **﴿ثم أنزل الله سكينته﴾** عطف على وليتم مدبرين (والثالث) **﴿ثم يتوب الله﴾** عطف على أنزل وإنما حسن عطف المستقبل على الماضي لأنه يشاكله فإن الأول تذكير بنعمة الله والثاني وعد بنعمة الله والمعنى ثم يقبل الله توبة من تاب عن الشرك ورجع إلى طاعة الله والإسلام وندم على ما فعل من القبيح ويجوز أن يريد ثم يقبل الله توبة من انهزم من بعد هزيمته ويجوز أن يريد يقبل توبتهم عن اعجابهم بالكثرة وانما علَّقه بالمشيئة لأن قبول التوبة تفضّل من الله ولو كان واجباً على ما قاله أهل الوعيد لما جاز تعليقه بالمشيئة كما لا يجوز تعليق الثواب على الطاعة بالمشيئة ومن خالف في ذلك قال إنما علَّقها بالمشيئة لأن منهم من له لطف يصلح به ويتوب ويؤمن عنده ومنهم من لا لطف له منه **﴿والله غفور﴾** أي ستّار للذنوب **﴿رحيم﴾** بعباده .

[**القصة**] ذكر أهل التفسير وأصحاب السير أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة خرج منها متوجهاً إلى حنين لقتال هوازن وثقيف في آخر شهر رمضان أو في شوال من سنة ثمان من الهجرة وقد اجتمع رؤساء هوازن الى مالك بن عوف النصري وساقوا معهم أموالهم ونساءهم وذراريهم ونزلوا بأوطاس[١] وقال وكان دريد بن الصمة في القوم وكان رئيس جُشَمْ وكان

---

(١) أوطاس: واد بديار هوازن جنوبي مكة بنحو ثلاث مراحل، وهي من النوادر التي جاء بلفظ الجمع الواحد.

شيخاً كبيراً قد ذهب بصره من الكبر فقال بأيّ واد أنتم قالوا بأوطاس قال نعم مجال الخيل لا حَزْن ضَرِس ولا سَهْل دَهِس[١] مالي اسمع رغاء البعير ونهيق الحمير وخوار البقر وثغاء الشاة وبكاء الصبيان فقالوا ان مالك بن عوف ساق مع الناس ابناءهم وأموالهم ونساءهم ليقاتل كل منهم عن أهله وماله فقال دريد راعي ضأن ورب الكعبة ثم قال ائتوني بمالك فلما جاءه قال يا مالك انك اصبحت رئيس قومك وهذا يوم له ما بعده ردّ قومك إلى عليا بلادهم والق الرجال على متون الخيل فإنه لا ينفعك إلا رجل بسيفه وفرسه فإن كانت لك لحق بك من ورائك وإن كانت عليك لا تكون فضحت في أهلك وعيالك فقال له مالك إنك قد كبرت وذهب علمك وعقلك وعقد رسول الله ﷺ لواءه الاكبر ودفعه الى علي بن أبي طالب (ع) وكل من دخل مكة براية امره أن يحملها وخرج بعد ان قام بمكة خمسة عشر يوماً وبعث إلى صفوان بن أمية فاستعار منه مائة درع فقال صفوان عارية أم غصب فقال ﷺ عارية مضمونة مؤداة فأعاره صفوان مائة درع وخرج معه وخرج من مسلمة الفتح ألفا رجل وكان (ع) دخل مكة في عشرة آلاف رجل وخرج منها في اثني عشر الفاً وبعث رسول الله ﷺ رجلاً من اصحابه فانتهى الى مالك بن عوف وهو يقول لقومه ليصير كل رجل منكم اهله وماله خلف ظهر واكسروا جفون سيوفكم واكمنوا في شعاب هذا الوادي وفي الشجر فإذا كان في غبش الصبح[٢] فاحملوا حملة رجل واحد فهدّوا القوم فإن محمداً لم يلق احداً يحسن الحرب ولما صلى رسول الله ﷺ بأصحابه الغداة انحدر في وادي حنين فخرجت عليهم كتائب هوازن من كل ناحية وانهزمت بنو سليم وكانوا على المقدمة وانهزم ما وراءهم وخلّى الله تعالى بينهم وبين عدوّهم لإعجابهم بكثرتهم وبقي علي (ع) ومعه الراية يقاتلهم في نفر قليل ومرّ المنهزمون برسول الله ﷺ لا يلوون على شيء وكان العباس بن عبد المطلب آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ والفضل عن يمينه وأبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب عن يساره ونوفل بن الحرث وربيعة بن الحرث في تسعة من بني هاشم وعاشرهم ايمن بن أم ايمن وقتل يومئذ وفي ذلك يقول العباس :

نَصَرْنا رَسُولَ اللّهِ فِي الْحَرْبِ تِسْعَةً ... وَقَدْ فَرَّ مَنْ قَدْ فَرَّ عَنْهُ فَاقْشَعُوا[٣]

(١) الحزن ـ بالفتح : المكان الغليظ الخشن. والضرس: الاكمة الخشنة الغليظة الخشن كأنها مضرسة والدهس: ماسهل ولان من الأرض ولم يبلغ ان يكون رملاً .

(٢) الغبش: ظلمة آخر الليل. وقيل هو مما يلي الصبح .

(٣) اقشعوا اي تفرقوا.

وَقَوْلي إذا مَا الْفَضْلُ كَرَّ بِسَيْفِهِ عَلَى الْقَوْمِ أُخْرىٰ يَا بُنَيَّ لِيَرْجِعُوا(١)
وَعَاشِرُنا لاَقَى الحِمَامَ بِنَفْسِهِ لِمَا نالَهُ فِي اللَّهِ لا يَتَوَجَّعُ(٢)

ولما رأى رسول الله ﷺ هزيمة القوم عنه قال للعباس وكان جهورياً صيتا اصعد هذا الظرب(٣) فناد يا معشر المهاجرين والانصار يا اصحاب سورة البقرة يا أهل بيعة الشجرة إلى اين تفرون هذا رسول الله فلما سمع المسلمون صوت العباس تراجعوا وقالوا لبيك لبيك وتبادر الانصار خاصة وقاتلوا المشركين حتى قال رسول الله ﷺ الآن حمي الوطيس «انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب» ونزل النصر من عند الله تعالى وانهزمت هوازن هزيمة قبيحة فمرُّوا في كل وجه ولم يزل المسلمون في آثارهم ومرَّ مالك بن عوف فدخل حصن الطايف وقتل منهم زهاء مائة رجل واغنم الله المسلمين اموالهم ونساءهم وأمر رسول الله بالذراري والاموال ان تحدر إلى الجعرانة وولى على الغنائم بديل بن ورقاء الخزاعي ومضى ﷺ في أثر القوم فوافى الطايف في طلب مالك بن عوف فحاصر اهل الطايف بقية الشهر فلما دخل ذو القعدة انصرف وأتى الجعرانة وقسم بها غنائم حنين واوطاس قال سعيد بن المسيب حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن واصحاب رسول الله لم يقفوا لنا حلب شاة فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم حتى إذ انتهينا إلى صاحب البغلة الشهباء يعني رسول الله فتلقانا رجال بيض الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا وركبوا أكتافنا فكانوا اياها يعني الملائكة قال الزهري وبلغني أن شيبة بن عثمان قال استدبرت رسول الله ﷺ يوم حنين وانا أُريد ان اقتله بطلحة بن عثمان وعثمان بن طلحة وكانا قد قتلا يوم أُحد فاطلع الله رسوله على ما في نفسي فالتفت إليَّ وضرب في صدري وقال أُعيذك بالله يا شيبة فأرعدت فرائصي فنظرت اليه هو أَحب إليَّ من سمعي وبصري فقلت اشهد انك رسول الله وان الله اطّلعك على ما في نفسي وقسم رسول الله الغنائم بالجعرانة وكان معه من سبي هوازن ستة آلاف من الذراري والنساء ومن الإبل والشاء ما لا يدري عدته قال ابو سعيد الخدري قسم رسول الله للمتألفين من قريش من سائر العرب ما قسم ولم يكن في الانصار منها شيء قليل ولا كثير فمشى سعد بن عبادة إلى رسول الله فقال يا رسول الله ان هذا الحيّ من الانصار قد وجدوا عليك في قسمك هذه الغنائم في قومك وفي سائر العرب ولم يكن

(١) اي اضرب ضربة اخرى يرجع القوم على ادبارهم.
(٢) الحمام: الموت.
(٣) الضرب: التل الصغير.

فيهم من ذلك شيء فقال ﷺ فأين انت من ذلك يا سعد فقال ما انا إلا امرؤ من قومي فقال رسول الله فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة فجمعهم فخرج رسول الله فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا معشر الانصار او لم آتكم ضلالاً فهداكم الله وعالة فأغناكم الله واعداء فألّف بين قلوبكم قالوا بلى يا رسول الله ثم قال الا تجيبوني يا معشر الانصار فقالوا وما نقول وبماذا نجيبك المنّ لله ولرسوله فقال رسول الله أما والله لو شئتم لقلتم فصدّقتم جئتنا طريداً فآويناك وعائلاً فآسيناك وخائفاً فآمناك ومخذولاً فنصرناك فقالوا المنّ لله ولرسوله فقال رسول الله ﷺ وجدتم في أنفسكم يا معشر الانصار في لعاعة[١] من الدنيا تألفت بها قوماً لِيُسْلِمُوا وَوَكَلْتُكُم إلى ما قسم الله لكم من الإسلام أفلا ترضون يا معشر الانصار أن يذهب الناس إلى رحالهم بالشاء والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم فوالذي نفسي بيده لو ان الناس سلكوا شعباً وسلكت الانصار شعباً لسلكت شعب الانصار ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الانصار اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار وابناء ابناء الانصار فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم وقالوا رضينا بالله ورسوله قسماً ثم تفرقوا وقال انس بن مالك وكان رسول الله ﷺ أمر منادياً فنادى يوم اوطاس ألا لاتوطأ الحبالى حتى يضعن ولا غير الحبالى حتى يستبرأن بحيضة ثم أقبلت وفود هوازن وقدمت على رسول الله ﷺ بالجعرانة مسلمين فقام خطيبهم وقال يا رسول الله إنما في الحظائر من السبايا خالاتك وحواضنك اللاتي كُنَّ يكفلنك فلو انامكنا ابن أبي شمر أو النعمان بن المنذر[٢] ثم أصابنا منهما مثل الذي اصابنا منك رجونا عائدتهما وعطفهما وانت خير الكفولين ثم انشد ابياتاً فقال ﷺ أيّ الأمرين أحب اليكم السبي أو الاموال قالوا يا رسول الله خيرتنا بين الحسب وبين الاموال والحسب أحب الينا ولا نتكلم في شاة ولا بعير فقال رسول الله ﷺ أما الذي لبني هاشم فهو لكم وسوف أكلم لكم المسلمين واشفع لكم فكلّموهم واظهروا إسلامكم فلما صلى رسول الله ﷺ الهاجرة قاموا فتكلموا فقال النبي ﷺ قد رددت الذي لبني هاشم والذي بيدي عليهم فمن أحب منكم ان يعطي غير مكره فليفعل ومن كره ان يعطي فليأخذ الفداء وعليَّ فداؤهم فأعطى الناس ما كان بأيديهم منهم إلا قليلاً من الناس سألوا الفداء وارسل الله ﷺ إلى مالك ابن عوف وقال إن جئتني مسلماً رددت اليك أهلك ومالك ولك عندي مائة ناقة فخرج اليه من الطائف فردَّ عليه أهله وماله واعطاه مائة من الإبل واستعمله على من اسلم من قومه.

---

(١) اللعاعة: مقلة خضراء ناعمة، شبه بها زهرة الدنيا ونعيمها.

(٢) وابن أبي شمر هو الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الشام من العرب والنعمان بن منذر ملك العراق من العرب.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾

[**القراءة**] في الشواذ قراءة ابن السميفع انجاس على الجمع وفي مصحف عبد الله ابن مسعود وإن خفتم عائلة.

[**الحجة**] قال ابن جني هذا من المصادر التي جاءت على فاعلة كالعاقبة والعافية واللاغية.

[**اللغة**] كل مستقذر نجس يقال رجل نجس وامرأة نجس وقوم نجس لأنه مصدر وإذا استعملت هذه اللفظة مع الرجس قيل رجس نجس بكسر النون والعيلة الفقر تقول عال يعيل إذا افتقر قال الشاعر:

وَمَا يَدْرِي الْفَقِيرُ مَتَى غِنَاهُ وَمَا يَدْرِي الْغَنِيُّ مَتَى يَعِيلُ

[**المعنى**] لمّا تقدم النهي عن ولاية المشركين أزال سبحانه ولايتهم عن المسجد الحرام وحظر عليهم دخوله فقال **﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس﴾** معناه ان الكافرين انجاس **﴿فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾** أي فامنعوهم عن المسجد الحرام قيل المراد به منعهم من دخول الحرم عن عطا قال والحرم كله مسجد وقبلة والعام الذي اشار إليه هو سنة تسع الذي نادى فيه علي (ع) بالبراءة وقال لا يحجّن بعد هذا العام مشرك وقيل المراد به منعهم من دخول المسجد الحرام على طريق الولاية للموسم والعمرة وقيل منعوا من الدخول اصلاً في المسجد ومنعوا من حضور الموسم ودخول الحرم عن الجبائي واختلف في نجاسة الكافر فقال قوم من الفقهاء ان الكافر نجس العين وظاهر الآية يدل على ذلك وروي عن عمر بن عبد العزيز انه كتب امنعوا اليهود والنصارى من دخول مساجد المسلمين واتبع نهيه قول الله تعالى إنما المشركون نجس الآية وعن الحسن قال لا تصافحوا المشركين فمن صافحهم فليتوضأ وهذا يوافق ما ذهب إليه اصحابنا من انّ من صافح الكافر ويده رطبة وجب ان يغسل يده وان كانت ايديهما يابستين مسحهما بالحائط وقال آخرون انما سمّاهم الله نجساً لخبث اعتقادهم وافعالهم وأقوالهم واجازوا للذمي دخول

المساجد قالوا إنما يمنعون من دخول مكة للحج قال قتادة سماهم نجساً لأنهم يجنبون ولا يغتسلون ويحدثون ولا يتوضؤن فمنعوا من دخول المسجد لأن الجنب لا يجوز له دخول المسجد ﴿وان خفتم عيلة﴾ اي فقرا وحاجة وكانوا قد خافوا انقطاع المتاجر بمنع المشركين عن دخول الحرم ﴿فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء﴾ أي فسوف يغنيكم الله من جهة أخرى ان شاء ان يغنيكم بأن يرغب الناس من أهل الآفاق في حمل الميرة اليكم رحمة منه ونعمة عليكم قال مقاتل اسلم أهل نجدة وصنعاء وجرش من اليمن وحملوا الطعام إلى مكة على ظهور الإبل والدواب وكفاهم الله تعالى ما كانوا يتخوفون وقيل معناه يغنيكم بالجزية المأخوذة من اهل الكتاب وقيل بالمطر والنبات وقيل بإباحة الغنائم وإذا سئل عن معنى المشيئة في قوله ان شاء فالقول فيه ان الله تعالى قد علم ان منهم من يبقى إلى وقت فتح البلاد واغتنام أموال الأكاسرة فيستغني ومنهم من لا يبقى إلى ذلك الوقت فلهذا علَّقه بالمشيئة وقيل إنما علَّقه بالمشيئة ليرغب الإنسان إلى الله تعالى في طلب الغنى منه وليعلم ان الغنى لا يكون بالاجتهاد ﴿ إن الله عليم ﴾ بالمصالح وتدبير العباد وبكل شيء ﴿ حكيم ﴾ فيما يأمر وينهي .

﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾

[اللغة] الدين في الأصل الطاعة قال زهير :

لَئِنْ حَلَلْتَ بِجَوٍ في بني أَسَدٍ في دينِ عَمْرٍو وَحالَتْ بَيْنَنا فَدَكُ(١)

والجزية فعلة من جزى يجزي مثل القَعدة والجلسة وهي عطية مخصوصة وجزاء لهم على تمسكهم بالكفر عقوبة لهم عن علي بن عيسى والصغار والذل والنكال الذي يصغر قدر صاحبه يقال صغر يصغر صغاراً فهو صاغر .

---

(١) الجو : الارض المطمئنة . واسم اليمامة وجواب الشرط في قوله «لئن حللت» . في شعر بعده وهو: «ليأتينك منى منطق قذع * باق كما دنس القبطية الودك» ومنطق قذع : فاحش .

[**الإعراب**] عن يد في موضع نصب على الحال أي نقداً كما يقال باعه يداً بيد.

[**النزول**] قيل هذه الآية نزلت حين أمر رسول الله ﷺ بحرب الروم فغزا بعد نزولها غزوة تبوك عن مجاهد وقيل هي على العموم .

[**المعنى**] ثم بيَّن الله سبحانه ان من الكفار من يجوز تبقيته بالجزية فقال ﴿**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر**﴾ يعني الذين لا يعترفون بتوحيد الله ولا يقرُّون بالبعث والنشور وهذا يدلُّ على صحة ما يذهب اصحابنا اليه من انه لا يجوز ان يكون في جملة الكفار من هو عارف بالله وان أقرَّ باللسان وإنما يكونون معتقدين لذلك اعتقاداً ليس بعلم لأنه صريح في ان اهل الكتاب الذين يؤخذ منهم الجزية لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ومن قال انه يجوز ان يكونوا عارفين بالله قال ان الآية خرجت مخرج الذم لهم لأنهم بمنزلة من لا يقرّ به في عظم الجرم قال الجبائي لأنهم يضيفون إليه ما لا يليق به فكأنهم لا يعرفونه وإنما جمعت هذه الأوصاف لهم ولم يذكروا بالكفار من أهل الكتاب للتحريض على قتالهم لما هم عليه من صفات الذم التي توجب البراءة منهم والعداوة لهم ﴿**ولا يحرّمون ما حرَّم الله ورسوله**﴾ موسى وعيسى عليهما السلام من كتمان نعت محمد ﷺ وقيل يعني ما حرَّمه محمد ﷺ ﴿**ولا يدينون دين الحق**﴾ وقيل الحق ههنا هو الله تعالى أي دين الله والعمل بما في التوراة من اتباع نبينا عليه السلام وقيل الحق هو الله ودينه الإسلام عن قتادة وقيل معناه ولا يطيعون الله طاعة أهل الإسلام عن ابي عبيدة وقيل معناه لا يعترفون بالإسلام الذي هو الدين الحق ﴿**من الذين اوتوا الكتاب**﴾ وصف الذين ذكرهم بأنهم من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وقال اصحابنا ان المجوس حكمهم حكم اليهود والنصارى ﴿**حتى يعطوا الجزية عن يد**﴾ أي نقداً من يده إلى يد من يدفعه إليه من غير نائب كما يقال كلمته فماً بفم وقيل معناه عن قدرة لكم عليهم وقهر لهم كما يقال كان اليد لفلان وقيل يدلكم عليهم ونعمة تسدونها اليهم بقبول الجزية منهم ﴿ **وهم صاغرون** ﴾ أي ذليلون مقهورون يجرون إلى الموضع الذي يقبض منهم فيه بالعنف حتى يؤدُّوها وقيل هو أن يعطوا الجزية قائمين والآخذ جالس عن عكرمة .

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ
عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم
بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ

يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾

[**القراءة**] قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وسهل عزير منوناً والباقون عزير ابن الله بغير تنوين وقرأ عاصم وحده يضاهئون بالهمزة وقرأ الباقون يضاهون بغير الهمزة .

[**الحجة**] قال أبو علي من نوَّن عزيراً جعله مبتدأ وجعل ابناً خبره وإذا كان كذلك فلا بدَّ من اثبات التنوين في حال السعة والاختيار لأن عزيراً ونحوه ينصرف عجمياً كان أو عربياً وأما من حذف التنوين فإنه حذفه على وجهين (أحدهما) أنه جعل الصفة والموصوف بمنزلة اسم واحد كما جعلهما كذلك في قوله لا رجل ظريف وحذف التنوين ولم يحرّك لالتقاء الساكنين كما يحرّك في زيد العاقل لأن الساكنين كأنهما التقيا في تضاعيف كلمة واحدة فحذف الأول منهما ولم يحرك لكثرة الاستعمال ولا يجوز اثبات التنوين في هذا الباب إذا كان صفة وان كان الأصل لأنهم جعلوا من الاصول المرفوضة كما ان اظهار الاول من المثلين في نحو ظننوا لا يجوز في الكلام فإذا كانا بمنزلة اسم مفرد والمفرد لا يكون جملة مستقلة بنفسها مفيدة في هذا النحو فلا بدَّ من اضمار جزء آخر يقدر انضمامه إليه ليتمّ جملة ويجعله الظاهر اما مبتدأ أو خبر مبتدأ فيكون التقدير صاحبنا أو نسيبنا أو نبينا عزير ابن الله ان قدرت المضمر المبتدأ وان قدرت بعكس ذلك جاز فهذا احد الوجهين والوجه الآخر أن لا تجعلهما اسماً واحداً ولكن يجعل الأول من الأسمين المبتدأ والآخر الخبر فيكون المعنى فيه على هذا كالمعنى في اثبات التنوين وتكون القراءتان متفقتين الا أنك حذفت التنوين لالتقاء الساكنين وعلى هذا ما يروي من قراءة بعضهم أحد الله الصمد فحذف التنوين لالتقاء الساكنين وقد جاء ذلك في الشعر كثيراً قال الشاعر :

حُمَيْدُ الَّذي أَمَجُ دارُهُ أَخُو الخَمْرِ ذُو الشَّيْبَةِ الأَصْلَعُ[١]

وقال«وَحاتمِ الطَّائيّ وَهَّابُ المِئي»[٢] فاما يضاهئون فقد قال الزجاج اصل المضاهاة

(١) قائله حميد الامجي وقبله «شربت المدام فلم أقلع * وعوتبت فيها فلم اسمع» وأمج : موضع بين مكة والمدينة .

(٢) وقبله «حيدة خالي ولقيط وعلى» قائلته امرأة من بني عقيل تفخر بأخوالها من اليمن.

المشابهة والاكثر ترك الهمزة واشتقاقه من قولهم امرأة ضهياء وهي التي لا ينبت لها ثدي وقيل هي التي لا تحيض ومعناها انها قد اشبهت الرجال في انه لا ثدي لها وكذلك إذا لم تحض وضهياء فعلاء الهمزة زائدة كما زيدت في شمأل وغرقىء البيض ولا نعلم الهمزة زيدت غير اول الا في هذه الاشياء ويجوز ان يكون فَعْيَلاً وان كانت بنية ليس لها في الكلام نظير قال ابو علي ليس قوله يضاهئون من امرأة ضهياء لأن هذه الهمزة زائدة غير اصلية وليس بفعيل لأنه لو كان اياه لكان مكسور الصدر وإنما ادخله في هذا ما رامه من اشتقاق يضاهئون وقد يجوز ان تجيء الكلمة من غير مشتقة وذلك اكثر من ان يحصى.

[**اللغة**] الحبر العالم الذي صنعته تحبير المعاني بحسن البيان عنها وهو الحَبر والحِبر بفتح الحاء وكسرها والرهبان جمع الراهب وهو الخاشي الذي يظهر عليه لباس الخشية وقد كثر استعماله على متنسكي النصارى.

[**المعنى**] ثم حكى الله سبحانه عن اليهود والنصارى اقوالهم الشنيعة فقال ﴿**وقالت اليهود عزير ابن الله**﴾ وقال ابن عباس القائل لذلك جماعة منهم جاؤا إلى النبي ﷺ منهم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الضيف فقالوا ذلك قيل وإنما قال ذلك جماعة منهم من قبل وقد انقرضوا وان عزيراً املى التوراة من ظهر قلبه وقد علمه جبرائيل (ع) فقالوا انه ابن الله الا ان الله تعالى اضاف ذلك إلى جميعهم وان كانوا لا يقولون ذلك اليوم كما يقال ان الخوارج يقولون بتعذيب اطفال المشركين وإنما يقوله الأزارقة منهم خاصة(1) ويدل على ان هذا مذهب اليهود انهم لم ينكروا ذلك لما سمعوا هذه الآية مع شدة حرصهم على تكذيب الرسول ﷺ ﴿**وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم**﴾ معناه انهم اخترعوا ذلك القول بافواههم لم يأتهم به كتاب ولا رسول وليس عليه حجة ولا برهان ولا له صحة وقيل انه لم يذكر القول مقروناً بالأفواه الا إذا كان ذلك القول زوراً كقوله يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم ﴿**يضاهئون**﴾ يشابهون عن ابن عباس وقيل يوافقون عن الحسن ﴿**قول الذين كفروا**﴾ يعني عباد الاوثان في عبادتهم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى عن ابن عباس ومجاهد والفراء وقيل في عبادتهم الملائكة وقولهم انهم بنات الله ﴿**من قبل**﴾ أي ضاهت النصارى قول اليهود من قبل فقالت النصارى المسيح ابن الله كما قالت اليهود عزير ابن الله عن قتادة والسدي وقيل شبَّه كفرهم بكفر الذين مضوا من الامم

(1) قال الجوهري: الا زارقة: صنف من الخوارج تنسب الى نافع بن الأزرق.

الكافرة عن الحسن ﴿**قاتلهم الله**﴾ أي لعنهم الله عن ابن عباس قال ابن الانباري المقاتلة اصلها من القتل فإذا اخبر عن الله بها كانت بمعنى اللعنة لان من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك ﴿**انّى يؤفكون**﴾ اي كيف يصرفون عن الحق إلى الإفك الذي هو الكذب فكأنه قال لأيّ داعٍ مالوا إلى ذلك القول ﴿**اتَّخَذُوا احبارهم**﴾ أي علماءهم ﴿**ورهبانهم**﴾ أي عبادهم ﴿**ارباباً من دون الله**﴾ روي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام انهما قالا اما والله ما صاموا ولا صلّوا ولكنهم احلُّوا لهم حراماً وحرَّموا عليهم حلالاً فاتبعوهم وعبدوهم من حيث لا يشعرون وروى الثعلبي بإسناده عن عدي بن حاتم قال اتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب فقال لي يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك قال فطرحته ثم انتهيت إليه وهو يقرأ من سورة البراءة هذه الآية ﴿**اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً**﴾ حتى فرغ منها فقلت له انا لسناً نعبدهم فقال اليس يحرّمون ما احلَّ الله فتحرَّمونه ويحلوَّن ما حرَّم الله فتستحلونه قال فقلت بلى قال فتلك عبادتهم ﴿**والمسيح ابن مريم**﴾ أي اتخذوا المسيح إلَهاً من دون الله ﴿**وما امروا الا ليعبدوا إلَهاً واحداً**﴾ أي معبوداً واحداً هو الله تعالى ﴿**لا إلَه إلا هو**﴾ أي لا تحق العبادة إلا له ولا يستحق العبادة سواه ﴿**سبحانه**﴾ تنزيهاً له ﴿**عما يشركون**﴾ اي عن شركهم وعما يقولونه وعما لا يليق به .

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾

[**اللغة**] الاطفاء اذهاب نور النار ثم استعمل في اذهاب كل نور والأفواه جمع فم وأصله فوه فحذفت الهاء وابدلت من الواو ميم لأنه حرف صحيح من مخرج الواو مشاكل لها والإباء الامتناع مما طلب من المعنى قال الشاعر (وإن أرادوا ظلمنا أبينا) أي منعنا من الظلم .

[**الإعراب**] قوله إلا ان يتم نوره إنما دخلت إلا لأن في أبيت ضرباً من الجحد تقول أبيت أن أفعل كذا فيكون معناه لم أفعل كذا قال الشاعر :

أَبَـى الـلَّهُ إلاَّ أَنْ أكُـونَ لَـهـا إبْـنـاً وَهَـلْ لِـيَ أُمٌّ غَـيْـرُهـا إنْ تَـرَكْـتُـهـا

قال الزجاج في الآية حذف تقديره يأبى الله كل شيء إلا إتمام نوره قال ولا يكون

الإيجاب جحداً ولو جاز ذلك على يكون فيه طرف من الجحد لجاز كرهت إلا أخاك مثل ابيت إلا ان ابيت الحذف مستعمل معها .

[المعنى] ثم اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى انهم **﴿يريدون ان يطفئوا نور الله﴾** وهو القرآن والإسلام عن اكثر المفسرين وقيل نور الله الدلالة والبرهان لأنهما يهتدى بهما كما يهتدى بالأنوار عن الجبائي قال ولما سمّى سبحانه الحجج والبراهين أنواراً سمى معارضتهم لذلك اطفاء ثم قال **﴿بأفواههم﴾** لأن الاطفاء يكون بالأفواه وهو النفخ وهذا من عجيب البيان مع ما فيه من تصغير شأنهم وتضعيف كيدهم لأن الفم يؤثر في الأنوار الضعيفة دون الأقباس العظيمة **﴿ويأبى الله إلا أن يتم نوره﴾** معناه ويمنع الله إلا أن يظهر أمر القرآن وأمر الإسلام وحجته على التمام وأصل الاباء المنع والامتناع دون الكراهية على ما ادعته المجبرة ولهذا تقول العرب فلان يأبى الضيم وهو ابي الضيم ولا مدحة في كراهية الضيم لأنه يستوي فيه القوي والضعيف وإنما المدحة في الامتناع أو المنع منه **﴿ولو كره الكافرون﴾** أي على كره من الكافرين **﴿هو الذي أرسل رسوله﴾** محمداً وحمله الرسالات التي يؤدّيها الى أمته **﴿بالهدى﴾** أي بالحجج والبينات والدلائل والبراهين **﴿ودين الحق﴾** وهو الإسلام وما تضمنّه من الشرائع التي يستحقُّ عليها الجزاء بالثواب وكل دين سواه باطل يستحق به العقاب **﴿ليظهره على الدين كله﴾** معناه ليعلي دين الإسلام على جميع الأديان بالحجة والغلبة والقهر لها حتى لا يبقى على وجه الأرض دين إلا مغلوباً ولا يغلب احد أهل الإسلام بالحجة وهم يغلبون أهل سائر الأديان بالحجة وأما الظهور بالغلبة فهو انّ كل طائفة من المسلمين قد غلبوا على ناحية من نواحي أهل الشرك ولحقهم قهر من جهتهم وقيل أراد عند نزول عيسى بن مريم لا يبقى أهل دين إلا اسلم أو أدَّى الجزية عن الضحاك وقال ابو جعفر (ع) ان ذلك يكون عند خروج المهدي من آل محمد فلا يبقى أحد إلا أقرَّ بمحمد وهو قول السدي وقال الكلبي لا يبقى دين إلا ظهر عليه الإسلام وسيكون ذلك ولم يكن بعد ولا تقوم الساعة حتى يكون ذلك وقال المقداد بن الاسود سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام اما بعزِّ عزيز واما بذلِّ ذليل اما يعزّهم فيجعلهم الله من اهله فيعزُّوا به واما يذّلهم فيدينون له وقيل ان الهاء في ليظهره عائدة إلى الرسول ﷺ أي ليعلمه الله الأديان كلها حتى لا يخفى عليه شيء منها عن ابن عباس **﴿ ولو كره المشركون ﴾** أي وإن كرهوا هذا الدين فإن الله يظهره رغماً لهم .

﴿ * يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ

كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ
وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ
وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ
عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ
هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾

[**اللغة**] الكنز في الأصل هو الشيء الذي جمع بعضه إلى بعض ويقال للشيء المجتمع مكتنز وناقة كناز اللحم مجتمعة قال نفطويه سمي الذهب ذهباً لأنه يذهب ولا يبقى وسميت الفضة فضة لأنها تنفض أي تتفرق فلا تبقى وحسبك بالاسمين دلالة على فنائهما والاحماء جعل الشيء حاراً في الاحساس وهو فوق الأسخان وضدُّه التبريد يقال حمى يحمي حمّى واحماه غيره والكي الصاق الشيء الحار بالعضو من البدن .

[**الإعراب**] الذين يكنزون موضعه نصب لأنه معطوف على اسم إنَّ ويكون المعنى وان الذين يكنزون الذهب والفضة ولا يأكلونها ويجوز ان يكون رفعاً على الإستئناف وذكر في قوله ولا ينفقونها وجوه (أحدها) أنه أراد لا ينفقون الكنوز فرجع الضمير إلى ما دلَّ عليه الكلام (والثاني) أنه لما ذكر الذهب والفضة دل على الأموال فكأنه قال ولا ينفقون الأموال (والثالث) أن الذهب مؤنث وهو جمع واحده ذهبة وهذا الجمع الذي ليس بينه وبين واحده إلا الهاء يذكّر ويؤنَّث ثم لما اجتمعا في التأنيث وكان كل واحد منهما يؤخذ عن صاحبه في الزكاة على قول جمهور العلماء جعلهما كالشيء الواحد وردّ الضمير اليهما بلفظ التأنيث (والرابع) انه اكتفى بإحدهما عن الآخر للإيجاز وردّ الضمير إلى الفضة لأنها أقرب إليه كما قال حسان .

إنَّ شَرْخَ الشَّبَابِ وَالشَّعَرَ الأَسْوَدَ مَا لَمْ يُعَاصَ كَانَ جُنُونا[١]

وقد مرَّ ذكر امثاله فيما مضى :

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه حال الأحبار والرهبان فقال ﴿**يا أيها الذين آمنوا انّ كثيراً من**

---

(١) شرخ الشباب : أوله وقوته ونضارته، وقوله ما لم يعاص أي ما لم يعص.

الأحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل﴾ أي يأخذون الرشى على الحكم عن الحسن والجبائي واكل المال بالباطل تملّكه من الجهات التي يحرم منها اخذه الا انه لما كان معظم التصرف والتملك للأكل وضع الأكل موضع ذلك وقيل إن معناه يأكلون متاع اموال الناس من الطعام فكأنهم يأكلون الاموال لأنها ثمن المأكول كما قال الشاعر:

ذَرِ الآكِلِينَ الْمَاءَ لَوْماً فما أرىٰ يَنَالُونَ خَيْراً بَعْدَ أكْلِهِم الْمَاءَ

أي ثمن الماء **﴿ويصدُّون عن سبيل الله﴾** اي يمنعون غيرهم عن اتباع الإسلام الذي هو سبيل الله التي دعاهم إلى سلوكها وعن اتباع محمدﷺ **﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله﴾** أي يجمعون المال ولا يؤدُّون زكاته فقد روي عن النبيﷺ انه قال كل ما لم تؤدّ زكاته فهو كنز وان كان ظاهراً وكل مال ادّيت زكاته فليس بكنز وان كان مدفوناً في الأرض وبه قال ابن عباس والحسن والشعبي والسدي قال الجبائي وهو اجماع وروي عن علي عليه السلام ما زاد على اربعة آلاف فهو كنز ادّى زكاته أو لم يؤدّ وما دونها فهو نفقة وتقدير الآية **﴿والذين يكنزون الذهب ولا ينفقونه في سبيل الله﴾** ويكنزون الفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فحذف المعطوف من الأول لدلالة الثاني عليه كما حذف المفعول في الثاني لدلالة الاول عليه في قوله والذاكرين الله كثيراً والذاكرات وتقديره والذاكرات الله واكثر المفسرين على ان قوله والذين يكنزون على الاستئناف وان المراد بذلك مانعوا الزكاة من هذه الأمة وقيل انه معطوف على ما قبله والاولى ان يكون محمولاً على العموم في الفريقين **﴿فبشّرهم بعذاب اليم﴾** أي اخبرهم بعذاب موجع وروى سالم بن ابي الجعد ان رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية قال تبّاً للذهب تبّاً للفضة يكررّها ثلاثاً فشقّ ذلك على اصحابه فسأله عمر فقال يا رسول الله أيّ المال نتخذ فقال لساناً ذاكراً وقلباً شاكراً وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على دينه **﴿يوم يحمى عليها في نار جهنم﴾** أي يوقد على الكنوز أو على الذهب والفضة في نارجهنم حتى تصير ناراً **﴿فتكوى بها﴾** أي بتلك الكنوز المحماة والاموال التي منعوا حق الله فيها بأعيانها **﴿جباههم وجنوبهم وظهورهم﴾** وإنما خص هذه الاعضاء لأنها معظم البدن وكان ابو ذر الغفاري يقول بشرّ الكانزين بكيّ في الجباه وكَيّ في الجنوب وكيّ في الظهور حتى يلتقي الحرّ في أجوافهم وفي هذا المعنى الذي أشار إليه أبو ذر خصَّت هذه المواضع بالكي لأن داخلها جوف بخلاف اليد والرجل وقيل إنما خصّت هذه المواضع بالعذاب لأن الجبهة محل الوسم لظهورها والجنب محل الالم والظهر محل الحدود وقيل لأن الجبهة محل السجود فلم تقم فيه بحقّه والجنب يقابل القلب الذي لم

يخلص في معتقده والظهر محمل الأوزار قال يحملون أوزارهم على ظهورهم عن الماوردي وقيل لأن صاحب المال إذا رأى الفقير قبض جبهته وزوى عينيه وطوى عنه كشحه وولّاه ظهره عن أبي بكر الوراق ﴿**هذا ما كنزتم لأنفسكم**﴾ أي يقال لهم في حال الكي أو بعده هذا جزاء ما كنزتم وجمعتم المال ولم تؤدّوا حق الله عنها وجعلتموها ذخيرة لأنفسكم ﴿**فذوقوا ما كنتم تكنزون**﴾ أي فذوقوا العذاب بسبب ما كنتم تكنزون أي تجمعون وتمنعون حق الله منه فحذف لدلالة الكلام عليه وقال رسول الله ﷺ ما من عبد له مال ولا يؤدّي زكاته إلا جمع يوم القيامة صفائح يحمي عليها في نار جهنم فتكوي به جبهته وجنباه وظهره حتى يقضي الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين الف سنة مما تعدّون ثم يرى سبيله اما إلى الجنة واما إلى النار أورده مسلم بن الحجاج في الصحيح وروى ثوبان عن النبي ﷺ قال من ترك كنزاً مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان[1] يتبعه ويقول ويلك ما انت فيقول انا كنزك الذي تركت بعدك فلا يزال يتبعه حتى يلقمه يده فيقصمها ثم يتبعه سائر جسده وروى الثعلبي بإسناده عن الأعمش عن المعرور بن سويد عن ابي ذر قال أتيت رسول الله ﷺ وهو في ظل الكعبة فلما رآني قد أقبلت قال هم الأخسرون ورب الكعبة هم الأخسرون ورب الكعبة قال فدخلني غمّ وجعلت اتنّفس وقلت هذا شيء حدث فيَّ قال قلت من هم فداك أبي وأمي قال الاكثرون إلا من قال بالمال في عباد الله هكذا وهكذا عن يمينه وشماله ومن خلفه وقليل ما هم وروي عن أبي ذر انه قال من ترك بيضاء أو حمراء كوّي به يوم القيامة.

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر اثنا عشر واحد عشر وتسعة عشر بسكون العين والباقون بفتحها.

---

(١) زبيبتان : نقطتان سوداوان فوق عيني الحية .

[**الحجة**] الوجه في ذلك ان الاسمين لما جعلا كالاسم الواحد وبني الأول منهما لأنه كصدر الاسم والثاني منهما لتضمنه معنى واو العطف جعل تسكين أول الثاني دليلاً على انهما قد صارا كالاسم الواحد .

[**اللغة والاعراب**] كافة بمعنى الإحاطة مأخوذ من كافة الشيء وهي حرفه وإذا انتهى الشيء إلى ذلك كفَّ عن الزيادة واصل الكف المنع ومنه المكفوف وهو الممنوع البصر وكافة نصب على المصدر ولا يدخل عليها الألف واللام لأنه من المصادر التي لا تتصرف لوقوعه موقع معاً وجميعاً بمعنى المصدر الذي في موضع الحال المؤكدة فهو في لزوم النكرة نظير اجمعين في لزوم المعرفة هذا قول الفراء وقال الزجاج كافة تنصب على الحال وهو مصدر على فاعله كالعافية والعاقبة وهو في موضع قاتلوا المشركين محيطين بهم باعتقاد مقاتلهم ولا يثّني ولا يجمع فلا يقال قاتلوهم كافات ولا كافين كما أنك إذا قلت قاتلوهم عامة لم تثن ولم تجمع وكذلك خاصة هذا مذهب النحويين .

[**المعنى**] لما ذكر الله سبحانه وسيد الظالم لنفسه بكنز المال من غير اخراج الزكاة وغيرها من حقوق الله منه اقتضى ذلك ان يذكر النهي عن مثل حاله وهو الظلم في الاشهر الحرم الذي يؤدّي إلى مثل حاله أو شرّ منه في المنقلب فقال ﴿**إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً**﴾ أي عدد شهور السنة في حكم الله وتقديره اثنا عشر شهراً وإنما تعبَّد الله المسلمين ان يجعلوا سنيهم على اثني عشر شهراً ليوافق ذلك عدد الأهلة ومنازل القمر دون ما دان به أهل الكتاب والشهر مأخوذ من شهرة الأمر لحاجة الناس إليه في معاملاتهم ومحل ديونهم وحجّهم وصومهم وغير ذلك من مصالحهم المتعلقة بالشهور وقوله ﴿**في كتاب الله**﴾ معناه فيما كتب الله في اللوح المحفوظ وفي الكتب المنزلة على انبيائه وقيل في القرآن وقيل في حكمه وقضائه عن أبي مسلم وقوله ﴿**يوم خلق السماوات والأرض**﴾ متصل بقوله عند الله والعامل فيهما الاستقرار وإنما قال ذلك لأنه يوم خلق السماوات والأرض أجرى فيها الشمس والقمر وبمسيرهما تكون الشهور والأيام وبهما تعرف الشهور ﴿**منها اربعة حرم**﴾ أي من هذه الأثني عشر شهراً أربعة اشهر حرم ثلاثة منها سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب ومعنى حرم أنه يعظم انتهاك المحارم فيها اكثر مما يعظم في غيرها وكانت العرب تعظمها حتى لو ان رجلاً لقي قاتل أبيه فيها لم يهجه لحرمتها وإنما جعل الله تعالى بعض هذه الشهور أعظم حرمة من بعض لما علم من المصلحة في الكفّ عن الظلم فيها لعظم منزلتها ولأنه ربما أدّى ذلك إلى ترك الظلم أصلا لانطفاء النائرة وانكسار

الحمية في تلك المدة فإن الاشياء تجرّ إلى اشكالها وشهور السنة المحرم سمي بذلك لتحريم القتال فيه وصفر سمي بذلك لأن مكة تصفر من الناس فيه أي تخلو وقيل لأنه وقع وباء فيه فاصفّرت وجوههم وقال ابو عبيدة سمي بذلك لأنه صفرت فيه اوطابهم عن اللبن(١) وشهرا ربيع سميا بذلك لإنبات الأرض وإمراعها فيهما وقيل لارتباع القوم أي إقامتهم وجماديان سميتا بذلك لجمود الماء فيهما ورجب سمي بذلك لأنهم كانوا يرجبونه أي يعظمونه يقال رجبته ورجبته بالتخفيف والتشديد قال الكميت.

وَلا غَيْرَهُمْ ابغي لِنَفْسِي جُنَّةً ... وَلا غَيْرُهُم مِمَّنْ أُجِلُّ وَأرْجُبُ

وقيل سمي بذلك لترك القتال فيه من قولهم رجل ارجب إذا كان أقطع لا يمكنه العمل وروي عن النبي ﷺ انه قال ان في الجنة نهراً يقال له رجب ماؤه أشدّ بياضاً من الثلج وأحلى من العسل من صام يوماً من رجب شرب منه وشعبان سمي بذلك لتشعب القبائل فيه عن أبي عمرو وروى زياد بن ميمون ان النبي ﷺ قال إنما سمي شعبان لأنه يشعب فيه خير كثير لرمضان وشهر رمضان سمي بذلك لأنه يرمض الذنوب وقيل سمي بذلك لشدة الحرّ وقيل ان رمضان من اسماء الله وشوال سمي بذلك لأن القبائل كانت تشول فيه اي تبرح عن امكنتها وقيل لشولان النوق اذنابها فيه ذو القعدة سمي بذلك لقعودهم فيه عن القتال وذو الحجة لقضاء الحج فيه ﴿ذلك الدين القيم﴾ أي ذلك الحساب المستقيم الصحيح لاما كانت العرب تفعله من النسيء ومنه قوله الكيّس من دان نفسه أي حاسبها وسمي الحساب ديناً لوجوب الدوام عليه ولزومه كلزوم الدين والعبادة وقيل معناه ذلك القضاء المستقيم الحق عن الكلبي وقيل معناه ذلك الدين تعبّد به فهو اللازم ﴿فلا تظلموا فيهن﴾ أي في هذه الشهور كلها عن ابن عباس وقيل في هذه الاشهر الحرم الأربعة عن قتادة واختاره الفراء قال لأنه لو أراد الأثني عشر شهراً لقال فيها ﴿أنفسكم﴾ بترك أوامر الله وارتكاب نواهيه وإذا عاد الضمير إلى جميع الشهور فإنه يكون نهياً عن الظلم في جميع العمر وإذا عاد إلى الاشهر الحرم ففائدة التخصيص ان الطاعة فيها اعظم ثواباً والمعصية اعظم عقاباً وذلك حكم الله في جميع الاوقات الشريفة والبقاع المقدسة ﴿وقاتلوا المشركين كافة﴾ أي قاتلوهم جميعاً مؤتلفين غير مختلفين ﴿كما يقاتلونكم كافة﴾ أي جميعاً كذلك فتكون كافة حالاً عن المسلمين ويجوز ان تكون حالاً من المشركين أي قاتلوا المشركين جميعاً ولا تمسكوا منهم

---

(١) الوطب: سقاء اللبن وهو جلد الجذع فما فوقه. وصفر الوطب عن اللبن أي خلا.

بعهد ولا ذمة إلا من كان من أهل الجزية واعطاها عن صغار والظاهر هو الأول وقيل معناه قاتلوهم خلفاً بعد سلف كما انه يخلف بعضهم بعضاً في قتالكم عن الأصم ﴿**واعلموا ان الله مع المتقين**﴾ بالنصرة والولاية وفي هذه الآية دلالة على ان الاعتبار في السنين بالشهور القمرية لا بالشمسية والاحكام الشرعية معلقة بها وذلك لما علم الله سبحانه فيه من المصلحة ولسهولة معرفة ذلك على الخاص والعام .

﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر النسيء بالتشديد من غير همزة وقرأ جعفر بن محمد عليهما السلام والزهري النَسْئُ مخففاً في وزن الهَدْى بغير همز وروي مثل ذلك أيضاً عن شبل عن ابن كثير والباقون النسيء بالمد والهمز وقرأ يُضَل بضم الياء وفتح الضاد أهل الكوفة غير ابي بكر وقرأ يُضِل بضم الياء وكسر الضاد أوقية من طريق ابن مقسم عن أبي عمرو ورويس عن يعقوب والباقون يَضِل بفتح الياء وكسر الضاد .

[**الحجة**] قال أبو علي النسيء مصدر كالنذير والنكير وعذير الحي ولا يجوز ان يكون فعيلاً بمعنى مفعول كما قاله بعض الناس لأنه ان حمل على ذلك كان معناه إنما المؤخر زيادة في الكفر والمؤخر الشهر وليس الشهر نفسه بزيادة في الكفر وإنما الزيادة في الكفر تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر ليست له تلك الحرمة فأما نفس الشهر فلا واما ما روي من النَسّي بالياء فذلك يكون على ابدال الياء من الهمزة ولا اعلمها لغة في التأخير كما إن ارجيت لغة في ارجأت وما روي من النسيّ بتشديد الياء فعلى تخفيف الهمزة وليس هذا القلب مثل القلب في النسي بالياء لأن النسيّ بتشديد الياء على وزن فعيل تخفيف قياسي كما ان مقروة في مقرؤة تخفيف قياسي وليس النسيء كذلك وذكر ابن جني فيه ثلاثة أوجه (احدها) أن يكون اراد النسيء ثم خفف بأن أبدلت الهمزة ياء كما قال الشاعر « أَهْبَي التُرابَ فَوْقَهُ إهْبَايا »[١] أراد اهباء

(١) أهبى الغبار: أثاره.

(والثاني) أن يكون فعلاً من نسيت لأن الشيء إذا أخّر فكأنه نسي (والثالث) وفي الصيغة أن يكون اراد النسيء على فعيل ثم خفف وادغم فصار النسي ثم قصر فعيلاً بحذف يائه فصار نسى ثم أسكن عين فعل فصار نَسْي كما قيل في سميح سمح وفي طريب رطب وفي جديب جدب فأما قوله يضل فليس في يضل اشكال ولا في يضل لأن المضل لغيره ضال بفعله اضلال غيره فأما يُضل فالمعنى فيه أن كبراءهم واشرافهم يضلونهم بحملهم على هذا التأخير في الشهور وقرىء في الشواذ يضل بفتح الياء والضاد وهذه لغة اعني ضللت أضَلُّ .

[**اللغة**] قال أبو زيد نسأت الإبل في ظمئها يوماً أو يومين أو أكثر من ذلك والمصدر النسيء يقال نسأت الإبل عن الحوض انساها نساءً إذا اخرتها عنه والمواطأة الموافقة يقال واطأ في الشعر إذا قال بيتين على قافية واحدة وأوطأ مثله .

[**المعنى**] لما قدَّم سبحانه ذكر السنة والشهر عقَّبه بذكر ما كانوا يفعلونه من النسيء فقال **﴿إنما النسيء زيادة في الكفر﴾** يعني تأخير الاشهر الحرم عما رتَّبها الله سبحانه عليه وكانت العرب تحرم الشهور الاربعة وذلك مما تمسكت به من ملة إبراهيم وإسماعيل وهم كانوا اصحاب غارات وحروب فربما كان يشقُّ عليهم ان يمكثوا ثلاثة اشهر متوالية لا يغزون فيها[1] فكانوا يؤخّرون تحريم المحرم إلى صفر فيحرّمونه ويستحلّون المحرم فيمكثون بذلك زماناً ثم يزول التحريم إلى المحرم ولا يفعلون ذلك إلا في ذي الحجة قال ابن عباس ومعنى قوله زيادة في الكفر انهم كانوا أحلّوا ما حرّم الله وحرموا ما أحلّ الله قال الفراء والذي كان يقوم به رجل من كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان رئيس الموسم فيقول انا الذي لا اعاب ولا أخاب ولا يرّد لي قضاء فيقولون نعم صدقت السئنا شهراً أو أخرّ عنا حرمة المحرم واجعلها في صفر وأحلّ المحرم فيفعل ذلك والذي كان ينسأها حين جاء الإسلام جنادة بن عوف بن أمية الكناني قال ابن عباس وأول من سنَّ النسيء عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف وقال ابو مسلم بن اسلم بل رجل من بني كنانة يقال له القلمس كان يقول اني قد نسأت المحرم العام وهما العام صفران فإذا كان العام القابل قضينا فجعلناهما مجرمين قال شاعرهم «وما ناسيء الشهر القلمس» وقال الكميت .

وَنَحْنُ النَّاسِؤُن عَلىٰ مَعَدٍّ شُهُورَ الحِّلِ نَجْعَلُها حَراماً

وقال مجاهد كان المشركون يحجّون في كل شهر عامين فحجّوا في ذي الحجة عامين ثم حجّوا في المحرم عامين ثم حجّوا في صفر عامين وكذلك في الشهور حتى وافقت الحجة

(١) وفي بعض النسخ « لا يغيرون فيها».

التي قبل حجة الوداع في ذي القعدة ثم حجَّ النبي ﷺ في العام القابل حجة الوداع فوافقت في ذي الحجة فذلك حين قال النبي ﷺ وذكر في خطبته إلا وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض السنة اثنا عشر شهراً منها اربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان أراد عليه السلام الاشهر الحرم رجعت إلى مواضعها وعاد الحج إلى ذي الحجة وبطل النسيء ﴿**يضل به الذين كفروا**﴾ أي يضل بهذا النسيء الذين كفروا ومن قرأ بضم الباء فمعناه يضلون به غيرهم واضلالهم انهم فعلوا ذلك ليحللوا للناس الاشهر الحرم التي حرّم الله القتال فيها واوجب الحج في بعضها فيستحلّون ترك الحج في الوقت الذي هو واجب فيه ويوجبونه في الوقت الذي لا يجب فيه وجوّزوا ذلك عليهم حتى ضلوا باتباعهم ﴿**يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً**﴾ أي يجعلون الشهر الحرام حلالاً إذا احتاجوا إلى القتال فيه ويجعلون الشهر الحلال حراماً ويقولون شهر بشهر وإذا لم يحتاجوا إلى القتال لم يفعلوا ذلك ﴿**ليواطئوا عدة ما حرَّم الله**﴾ معناه انهم لم يحلّوا شهراً من الحرم إلا حرّموا مكانه شهراً من الحلال ولم يحرّموا شهراً من الحلال إلا أحلّوا مكانه شهراً من الحرم ليكون موافقة في العدد وذلك المواطأة ﴿**زين لهم سوء اعمالهم**﴾ أي زينت لهم انفسهم او زين لهم الشيطان سوء أعمالهم عن الحسن وقيل معناه استحسنوا ذلك بهواهم ﴿**والله لا يهدي القوم الكافرين**﴾ مرَّ تفسيره.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

[**اللغة**] النفر الخروج إلى الشيء لأمر هيج عليه ومنه نفور الدابة يقال نفرت الدابة نفوراً ونفر إلى الثغر نفراً ونفيراً والتثاقل تعاطي اظهار ثقل النفس ومثله التباطؤ وضده التسرع والمتاع الانتفاع بما يظهر للحواس ومنه قولهم تمتع بالرياض والمناظر الحسان ويقال للاشياء

التي لها اثمان متاع تشبيهاً به والاستبدال جعل أحد الشيئين بدل الآخر مع الطلب له.

[**الإعراب**] اثاقلتم إفاعلتم وأصله تفاعلتم ادغمت التاء في الثاء لمناسبتها لها ثم أدخلت الف الوصل ليمكن الابتداء بها ومثله إدّاركوا واتّابع في قول الشاعر:

تُـولي الضَجَيـعَ إذا مـا أشتاقَهـا خَصِـراً عَـذْبَ المَـذاق إذا مَـا اتَّـابَـعَ الْقُبَـلُ(١)

[**النزول**] قالوا لما رجع رسول الله ﷺ من الطائف أمر بالجهاد لغزوة الروم وذلك في زمان ادراك الثمار فأحبُّوا المقام في المسكن والمال وشقَّ عليهم الخروج إلى القتال وكان (ع) قلّما خرج في غزوة إلا كّنى عنها وروي بغيرها إلا غزوة تبوك لبعد شقتها وكثرة العدو ليتأهب الناس فأخبرهم بالذي يريد فلما علم الله سبحانه تثاقل الناس أنزل الآية.

[**المعنى**] ثم عاتب سبحانه المؤمنين في التثاقل عن الجهاد فقال ﴿**يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم**﴾ أي إذا دعاكم رسول الله ﷺ وقال لكم ﴿**انفروا في سبيل الله**﴾ أي اخرجوا إلى مجاهدة المشركين وهو ههنا غزوة تبوك عن الحسن ومجاهد ﴿**اثاقلتم إلى الأرض**﴾ أي تثاقلتم وملتم إلى الإقامة في الأرض التي أنتم عليها قال الجبائي هذا الاستبطاء مخصوص بنفر من المؤمنين لأن جميعهم لم يتثاقلوا عن الجهاد فهو عموم اريد به الخصوص بدليل ﴿**أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة**﴾ هذا استفهام يراد به الانكار ومعناه آثرتم الحياة الدنيا الفانية على الحياة في الآخرة الباقية في النعيم الدائم ﴿**فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل**﴾ أي فما فوائد الدنيا ومقاصدها في فوائد الآخرة ومقاصدها إلا قليل لانقطاع هذه ودوام تلك ثم عقَّبه سبحانه بالتهديد والوعيد فقال ﴿**ان لا تنفروا يعذبكم الله عذاباً اليماً**﴾ ومعناه لا تخرجوا إلى القتال الذي دعاكم اليه الرسول وتقعدوا عنه يعذّبكم الله عذاباً اليماً مؤلما في الآخرة وقيل في الدنيا ﴿**ويستبدل**﴾ بكم ﴿**قوماً غيركم**﴾ لا يتخلّفون عن الجهاد وقيل هم أبناء فارس عن سعيد بن جبير وقيل هم أهل اليمن عن أبي روق وقيل هم الذين أسلموا بعد نزول هذه الآية عن الجبائي ﴿**ولا تضروه شيئاً**﴾ أي ولا تضروا الله بهذا القعود شيئاً لأنه غنّي لنفسه لا يحتاج إلى شيء عن الحسن وابي علي وقيل معناه ولا تضرّوا الرسول شيئاً لأن الله عصمه من جميع الناس وينصره بالملائكة أو بقوم آخرين من المؤمنين ﴿**والله على كل شيء قدير**﴾ فهو القادر على الاستبدال بكم وعلى غير ذلك من الأشياء قال الزجاج وهذا وعيد شديد في التخلف عن الجهاد.

---

(١) اوليته خيراً أي اعطيت. والخصر: البارد و اراد منه ريقها والقبل جمع القبلة.

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

[**القراءة**] قرأ يعقوب وحده كلمة الله بالنصب والباقون بالرفع .

[**الحجة**] من نصب عطفه على قوله ﴿ **وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وجعل كلمة الله هي العليا** ﴾ ومن رفع إستأنف وهو أبلغ لأنه يفيد أن كلمة الله هي العليا على كل حال .

[**الإعراب**] ثاني إثنين نصب على الحال وللعرب في هذا مذهبان (أحدهما) قولهم هذا ثاني إثنين وثالث ثلاثة ورابع أربعة وخامس خمسة أي أحد إثنين وأحد ثلاثة وأحد أربعة وأحد خمسة (والآخر) قولهم ثالث إثنين وخامس أربعة بمعنى أنه ثلث إثنين وخمس أربعة فالأول إضافة حقيقية محضة والثاني إضافة غير محضة إذ هو في تقدير الإنفصال ، إذ هما في الغار بدل من قوله ﴿ **إذ أخرجه الذين كفروا** ﴾ وضع أحد الزمانين في موضع الآخر لتقاربهما .

[**المعنى**] ثم أعلمهم الله سبحانه أنهم إن تركوا نصرة رسوله لم يضرُّه ذلك شيئاً كما لم يضره قلة ناصريه حين كان بمكة وهمَّ به الكفار فتولّى الله نصره فقال ﴿ **الا تنصروه فقد نصره الله** ﴾ معناه إن لم تنصروا النبي صلى الله عليه وآله وسلم على قتال العدوّ فقد فعل الله به النصر ﴿ **إذ أخرجه الذين كفروا** ﴾ من مكة فخرج يريد المدينة ﴿ **ثاني إثنين** ﴾ يعني أنه كان هو وأبو بكر ﴿ **إذ هما في الغار** ﴾ ليس معهما ثالث أي وهو أحد إثنين ومعناه فقد نصره الله منفرداً من كل شيء إلا من أبي بكر والغار الثقب العظيم في الجبل وأراد به هنا غار ثور وهو جبل بمكة ﴿ **إذ يقول لصاحبه** ﴾ أي إذ يقول الرسول لأبي بكر ﴿ **لا تحزن** ﴾ أي لا تحزن ﴿ **إن الله معنا** ﴾ يريد أنه مطّلع علينا عالم بحالنا فهو يحفظنا وينصرنا قال الزهري لما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبو بكر الغار أرسل الله زوجاً من حمام حتى باضا

في أسفل الثقب والعنكبوت حتى تنسج بيتاً فلما جاء سراقة بن مالك في طلبهما فرأى بيض الحمام وبيت العنكبوت قال لو دخله أحد لأنكسر البيض وتفسخ بيت العنكبوت فانصرف وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اللهم أعمِ أبصارهم فعميت أبصارهم عن دخوله وجعلوا يضربون يميناً وشمالاً حول الغار وقال أبو بكر لو نظروا إلى أقدامهم لرأونا وروى علي بن إبراهيم بن هاشم قال كان رجل من خزاعة فيهم يقال له أبو كرز فما زال يقفو أثر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى وقف بهم باب الغار فقال لهم هذه قدم محمد صلى الله عليه وسلم هي والله أخت القدم التي في المقام وقال هذه قدم أبي قحافة أو ابنه وقال ما جازوا هذا المكان إما أن يكونوا قد صعدوا في السماء أو دخلوا في الأرض وجاء فارس من الملائكة في صورة الإنس فوقف على باب الغار وهو يقول لهم أطلبوه في هذه الشعاب فليس ههنا وكانت العنكبوت نسجت على باب الغار ونزل رجل من قريش فبال على باب الغار فقال أبو بكر قد أبصرونا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وآله وسلم لو أبصرونا ما استقبلونا بعوراتهم ﴿ **فأنزل الله سكينته عليه** ﴾ يعني على محمد صلى الله عليه وسلم أي ألقى في قلبه ما سكن به وعلم أنهم غير واصلين إليه عن الزجاج ﴿ **وأيّده** ﴾ أي قوّاه ونصره ﴿ **بجنود لم تروها** ﴾ أي بملائكة يضربون وجوه الكفار وأبصارهم عن أن يروه عن الزجاج وقيل معناه قوّاه بملائكة يدعون الله تعالى له عن ابن عباس وقيل معناه وأعانه بالملائكة يوم بدر وأخبر الله سبحانه أنه صرف عنه كيد أعدائه وهو في الغار ثم أظهر نصره بالملائكة يوم بدر عن مجاهد والكلبي وقال بعضهم يجوز أن تكون الهاء التي في عليه راجعة إلى أبي بكر وهذا بعيد لأن الضمائر قبل هذا وبعده تعود إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بلا خلاف وذلك في قوله ﴿ **إلّا تنصروه فقد نصره الله** ﴾ وفي قوله ﴿ **إذ أخرجه** ﴾ وقوله لصاحبه وقوله فيما بعد وأيّده فكيف يتخلّلها ضمير عائد إلى غيره هذا وقد قال سبحانه في هذه السورة ﴿ **ثم أنزل الله سكينته** ﴾ على رسوله وعلى المؤمنين وقال في سورة الفتح ﴿ **فأنزل الله سكينته** ﴾ على رسوله وعلى المؤمنين وقد ذكرت الشيعة في تخصيص النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الآية بالسكينة كلاماً رأينا الإضراب عن ذكره أحرى لئلا ينسبنا ناسب إلى شيء ﴿ **وجعل كلمة الذين كفروا السفلى** ﴾ معناه أن الله سبحانه جعل كلمتهم نازلة دنية وأراد به أنه سفل وعيدهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وتخويفهم إياه وأبطله بأن نصره عليهم فعبَّر عن ذلك بأنه جعل كلمتهم السفلى لا أنه خلق كلمتهم ﴿ **وكلمة الله هي العليا** ﴾ أي هي المرتفعة المنصورة بغير جعل جاعل لأنها لا يجوز أنتدعو إلى خلاف الحكمة وقيل إنّ كلمة الكفار كلمة الشرك وكلمة الله هي كلمة التوحيد وهي قوله ﴿ **لا إله إلا الله** ﴾ فمعناه جعل

كلمة الكفار السفلى بأن جعلهم أذلّة أسفلين وأعلى كلمة الله بأن أعز الإسلام والمسلمين ﴿ **والله عزيز** ﴾ في إنتقامه من أهل الشرك ﴿ **حكيم** ﴾ في تدبيره .

﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾

[**القراءة**] في الشواذ قراءة الأعمش لو استطعنا بضم الواو وقد مضى الكلام فيه في أوائل سورة البقرة .

[**اللغة**] القاصد السهل المقصد عن غير طول لأنه مما يقصد لسهولته وسُمّي العدل قصداً لأنه مما ينبغي أن يقصد والشقة القطعة من الأرض التي يشقّ ركوبها على صاحبها لبعدها ويحتمل أن يكون من الشق الذي هو الناحية من الجبل ويحتمل أن يكون من المشقة والشقة السفر والمسافة وقريش يضمّون الشين وقيس يكسرونها وقريش يضمُّون العين من بعدت وقيس يكسرونها .

[**المعنى**] ثم أمر سبحانه بالجهاد وبيَّن تأكيد وجوبه على العباد فقال ﴿ **انفروا** ﴾ أي أخرجوا إلى الغزو ﴿ **خفافاً وثقالاً** ﴾ أي شباناً وشيوخاً عن الحسن ومجاهد وعكرمة والضحاك وغيرهم وقيل نشاطاً وغير نشاط عن ابن عباس وقتادة وقيل مشاغيل وغير مشاغيل عن الحكم وقيل أغنياء وفقراء عن أبي صالح وقيل أراد بالخفاف أهل العسرة من المال وقلة العيال وبالثقال أهل الميسرة في المال وكثرة العيال عن الفراء وقيل معناه ركباناً ومشاة عن أبي عمرو وعطية العوفي وقيل ذا صنعة وغير ذي صنعة عن ابن زيد وقيل عزاباً ومتأهلين عن يمان والوجه أن يحمل على الجميع فيقال معناه أخرجوا إلى الجهاد خفّ عليكم أو شقّ على أيّ

حالة كنتم لأن أحوال الإنسان لا تخلو من أحد هذه الأشياء ﴿ **وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله** ﴾ وهذا يدلُّ على أن الجهاد بالنفس والمال واجب على من إستطاع بهما ومن لم يستطع على الوجهين فعليه أن يجاهد بما استطاع ﴿ **ذلكم خير لكم** ﴾ معناه أنّ الخروج والجهاد بالنفس والمال خير لكم من التثاقل وترك الجهاد إلى مباح ﴿**إن كنتم تعلمون**﴾ إن الله عزَّ اسمه صادق في وعده ووعيده وقيل معناه إن كنتم تعلمون الخير في الجملة فاعلموا أن هذا خير قال السدي لما نزلت هذه الآية إشتدَّ شأنها على الناس فنسخها الله تعالى بقوله ﴿ **ليس على الضعفاء ولا على المرضى** ﴾ الآية ﴿ **لو كان عرضاً قريباً** ﴾ معناه لو كان ما دعوتهم إليه غنيمة حاضرة ﴿ **وسفراً قاصداً** ﴾ أي قريباً هيّناً وقيل قاصداً أي ذا قصد نحو تامر ولابن[1] عن المبرد وقيل سهلاً متوسطاً غير شاق ﴿ **لاتّبعوك** ﴾ طمعاً في المال ﴿ **ولكن بعدت عليهم الشقة** ﴾ أي المسافة يعني غزوة تبوك أمروا فيها بالخروج إلى الشام ﴿ **وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم** ﴾ معناه إن هؤلاء سيعتذرون إليك في قعودهم عن الجهاد ويحلفون لو استطعنا وقدرنا وتمكنّا من الخروج لخرجنا معكم ثم أخبر سبحانه أنهم ﴿ **يهلكون أنفسهم** ﴾ بما أسرَّوه من الشرك وقيل باليمين الكاذبة والعذر الباطل لما يستحقُّون عليها من العقاب ﴿ **والله يعلم أنهم لكاذبون** ﴾ في هذا الاعتذار والحلف وفي هذه دلالة على صحة نبوة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم إذ أخبر أنهم سيحلفون قبل وقوعه فحلفوا وكان مخبره على ما أخبر به وفيه أيضاً دلالة واضحة على أن القدرة قبل الفعل لأن هؤلاء لا يخلو إما أن يكونوا مستطيعين من الخروج قادرين عليه ولم يخرجوا أو لم يكونوا قادرين عليه وإنما حلفوا لو أنهم قدروا في المستقبل لخرجوا فإن كان الأول فقد ثبت أن القدرة قبل الفعل وإن كان الثاني فقد كذَّبهم الله تعالى في ذلك وبيَّن أنه لو فعل لهم الاستطاعة لما خرجوا وفي ذلك أيضاً وجوب تقدم القدرة على المقدور فإن حملوا الإستطاعة على وجود الآلة وعدة السفر فقد تركوا الظاهر من غير ضرورة فإن حقيقة الإستطاعة القدرة على أنه لو كان عدم الآلة والعدة عذراً في التأخر فعدم القدرة أصلاً أَحْرىٰ وأولى أن يكون عذراً فيه ثم خاطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما فيه بعض العتاب في أذنه لمن استأذنه في التأخر عن الخروج معه إلى تبوك فقال ﴿ **عفا الله عنك لم أذنت لهم** ﴾ في التخلّف عنك قال قتادة وعمرو بن ميمون إثنان فعلهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يؤمر بهما أذنه للمنافقين وأخذه الفداء من الأسارى فعاتبه الله كما تسمعون وهذا من لطيف المعاتبة بدأه بالعفو قبل

١) أي ذو تمر وذو لبن .

العتاب وهل كان هذا الأذن قبيحاً أم لا قال الجبائي كان قبيحاً ووقع صغيراً لأنه لا يقال في المباح لم فعلته وهذا غير صحيح لأنه يجوز أن يقال فيما غيره أفضل منه لم فعلته كما يقول القائل لغيره إذا رآه يعاتب أخاً له لم عاتبته وكلَّمته بما يشقّ عليه وإن كان يجوز له معاتبته بما يشقّ عليه وكيف يكون أذنه لهم قبيحاً وقد قال سبحانه في موضع آخر ﴿ **فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فآذن لمن شئت منهم** ﴾ وقيل معناه أدام الله لك العفو لم أذنت لهؤلاء في الخروج لأنهم استأذنوا فيه تملقاً ولو خرجوا لأرادوا الخبال والفساد ولم يعلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك من سريرتهم عن أبي مسلم ﴿ **حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين** ﴾ أي حتى تعرف من له العذر منهم في التخلف ومن لا عذر له فيكون أذنك لمن أذنت له على علم قال ابن عباس وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يعرف المنافقين يومئذ وقيل أنه (ع) إنما خيَّرهم بين الظعن والإقامة متوعداً لهم ولم يأذن فاغتنم القوم ذلك وفي هذا إخبار من الله سبحانه أنه كان الأولى أن يلزمهم الخروج معه حتى إذا لم يخرجوا أظهر نفاقهم لأنه متى أذن لهم ثم تأخّروا لم يعلم النِفاق كان تأخرهم أم لغيره وكان الذين استأذنوه منافقين ومنهم جد بن قيس ومعتب بن قشير وهما من الأنصار .

﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ (٤٤) إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (٤٥)

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه حال المؤمنين والمنافقين في الاستئذان فقال ﴿ **لا يستأذنك** ﴾ أي لا يطلب منك الإذن في القعود عن الجهاد معك بالمعاذير الفاسدة وقيل معناه لا يستأذنك في الخروج لأنه مستغن عنه بدعائك إلى ذلك بل يتأهَّب له عن أبي مسلم ﴿ **الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم** ﴾ والمعنى في أن يجاهدوا فحذف في فافضى الفعل ﴿ **والله عليم بالمتقين** ﴾ قال ابن عباس هذا تعيير للمنافقين حين استأذنوه في القعود عن الجهاد وعذر للمؤمنين في قوله ﴿ **لم يذهبوا حتى يستأذنوه** ﴾ والمعنى أنه لم يخرجهم من صفة المتقين إلا لأنه علم أنهم ليسوا منهم ﴿ **إنما يستأذنك** ﴾

في التأخر عن الجهاد والتخلف عن القتال معك وقيل في الخروج لأن المنافق إنما يستأذنك في الخروج تملقاً ولا يتأهب المؤمنون عن أبي مسلم ﴿ **الذين لا يؤمنون بالله** ﴾ أي لا يصدّقون به ﴿ **واليوم الآخر** ﴾ يعني بالبعث والنشور ﴿ **وارتابت قلوبهم** ﴾ أي إضطربت وشكّت ﴿ **فهم في ريبهم يتردَّدون** ﴾ فهم في شكّهم يذهبون ويرجعون والتردد هو التصرف بالذهاب والرجوع مرّات متقاربة مثل التحير وأراد به المنافقين أي يتوقعون الإذن لشكّهم في دين الله وفيما وعد المجاهدين ولو أنهم كانوا مخلصين لوثقوا بالنصر وبثواب الله فبادروا إلى الجهاد ولم يستأذنوك فيه .

﴿ * وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَـٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾

[**اللغة**] العدة والأهبة والآلة نظائر والإنبعاث الإنطلاق بسرعة في الأمر وفلان لا ينبعث في الحاجة أي ليس له نفاذ فيها والتثبيط التوقيف عن الأمر بالتزهيد فيه ومثله التربيث والخَبَال الفساد والخَبَال الموت والخَبَال الإضطراب في الرأي والخَبْل بسكون الباء وفتحها الجنون والخَبْل فساد الأعضاء قال:

أَبَنِي لُبَيْنَىٰ لَسْتُمُ بِيَدٍ إلاَّ يَداً مَخْبُولَةَ الْعَضُدِ[1]

والإيضاع الإسراع في السير قال امرؤ القيس :

---

١) لبينى : اسم ابنة إبليس واسم ابنة لقيس .

أَرَانَا مُوضِعِينَ لِحَتْمِ غَيْبٍ وَنُسْحَرُ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ(١)

وربما قالوا للراكب وضع بغير ألف ووضعت الناقة تضع وَضْعاً ووُضوعاً وأوضعتها إيضاعاً قال :

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعْ أَخَبُّ فِيهَا وَأَضَعْ(٢)

خلالكم أي بينكم مشتق من التخلل وفي الحديث تراصوا بين الصفوف لا يتخللكم الشياطين كأنها بنات حَذَفٍ(٣) والتقليب تصريف الشيء بجعل أعلاه أسفله ورجل حُوَّلٌ قُلَّبٌ كأنه يقلب الآراء في الأمور ويحوّلها .

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه عن هؤلاء المنافقين فقال ﴿ **ولو أرادوا الخروج** ﴾ مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم نصرة له أو رغبة في جهاد الكفار كما أراد المؤمنون ذلك ﴿ **لأعدّوا له عدّة** ﴾ أي لاستعدّوا للخروج عدة وهي ما يعدّ لأمر يحدث قبل وقوعه والمراد لأخذوا أهبة الحرب من الكراع والسلاح لأن إمارة من أراد أمراً أن يتأهب له قبل حدوثه ﴿ **ولكن كره الله إنبعاثهم** ﴾ معناه ولكن كره الله خروجهم إلى الغزو ولعلمه أنهم لو خرجوا لكانوا يمشون بالنميمة بين المسلمين وكانوا عيوناً للمشركين وكان الضرر في خروجهم أكثر من الفائدة ﴿ **فثبّطهم** ﴾ عن الخروج الذي عزموا عليه لا عن الخروج الذي أمرهم به لأن الأول كفر والثاني طاعة ولا ينبغي أن يقال كيف كره إنبعاثهم بعدما أمر به في الآية الأولى لأنه إنما أمر بذلك على وجه الذبّ عن الدين ونية الجهاد وكره ذلك على نية التضريب والفساد فقد كره غير ما أمر به ومعنى ثبّطهم بطأ بهم وخذلهم لما يعلم منهم من الفساد ﴿ **وقيل اقعدوا مع القاعدين** ﴾ أي وقيل لهم أقعدوا مع النساء والصبيان ويحتمل أن يكون القائلون لهم ذلك أصحابهم الذين نهوهم عن الخروج مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم للجهاد ويحتمل أن يكون ذلك من كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم على وجه التهديد والوعيد لا على وجه الإذن ويجوز أن يكون أيضاً على وجه الإذن لهم في القعود الذي عاتبه الله تعالى عليه إذ كان الأولى أن لا يأذن لهم ليظهر للناس نفاقهم قال أبو مسلم هذا يدل على

(١) قوله موضعين أي مسرعين ويريد بقوله لحتم غيب الموت والسحر: الغداء يقول: لنسرع إلى الموت وقد غيب عنا وقته ونحن نلهى عنه بالطعام والشراب .

(٢) قائله دريد بن صمة قاله في وقعة حنين . والجذع : الشاب والخب والوضع : ضربان من السير .

(٣) الحذف : الغنم الصغار الحجازية .

أن الاستئذان كان في الخروج وإن الأذن من النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم كان في الخروج لأنه إذا كره الله سبحانه خروجهم وأراد قعودهم وأذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قعودهم فلا عتب عليه ولكنهم إستأذنوا في الخروج تملقاً وإرادة للفساد فأذن النب صلى الله عليه وآله وسلم لهم فيه ولم يعلم ضمائرهم فعلم الله تعالى ذلك من نياتهم ومنعهم من الخروج إذ كره خروجهم ثم بيَّن سبحانه وجه الحكمة في كراهية إنبعاثهم وتثبيطهم عن الخروج فقال ﴿ **لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً** ﴾ معناه لو خرج هؤلاء المنافقون معكم إلى الجهاد ما زادوكم بخروجهم إلا شرّاً وفساداً وقيل غدراً ومكراً عن الضحاك وقيل يريد عجزاً وجبناً عن ابن عباس أي أنهم كانوا يجبّنونكم عن لقاء العدوّ بتهويل الأمر عليكم ﴿ **ولأوضعوا خلالكم** ﴾ أي لأسرعوا في الدخول بينكم بالتضريب والإفساد والنميمة يريد ولَسَعْوا فيما بينكم بالتفريق بين المسلمين ويكون تقديره ولأعدوا الإبل وسطكم وقيل معناه لا وضعوا إبلهم خلالكم يتخلل الراكب الرجلين حتى يدخل بينهما فيقول ما لا ينبغي ﴿ **يبغونكم الفتنة** ﴾ بعدو الإبل وسطكم ومعنى يبغونكم يبغون لكم أو فيكم أي يطلبون لكم المحنة باختلاف الكلمة والفرقة وقيل معناه يبغونكم أن تكونوا مشركين والفتنة الشرك عن الحسن وقيل معناه يخوّفونكم بالعدوّ ويخبرونكم أنكم منهزمون وإن عدّوكم سيظهر عليكم عن الضحاك ﴿ **وفيكم سمّاعون لهم** ﴾ أي وفيكم عيون للمنافقين ينقلون إليهم ما يسمعون منكم عن مجاهد وابن زيد وقيل معناه وفيكم قائلون منهم عند سماع قولهم يريد ضعفة المسلمين عن قتادة وابن إسحاق وجماعة ﴿ **والله عليم بالظالمين** ﴾ أي بهؤلاء المنافقين الذين ظلموا أنفسهم لما أضمروا عليه من الفساد منهم عبد الله بن أبي وجد بن قيس وأوس بن قبطي ثم أقسم الله سبحانه فقال ﴿ **لقد ابتغوا الفتنة من قبل** ﴾ الفتنة اسم يقع على كل سوء وشرّ والمعنى لقد طلب هؤلاء المنافقون إختلاف كلمتكم وتشتيت أهوائكم وافتراق آرائكم من قبل غزوة تبوك أي في يوم أحد حين إنصرف عبد الله بن أبيّ بأصحابه وخذل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فصرف الله سبحانه عن المسلمين فتنتهم وقيل أراد بالفتنة صرف الناس عن الإيمان وإلقاء الشبهة الى ضعفاء المسلمين عن الحسن وقيل أراد بالفتنة الفتك بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك ليلة العقبة وكانوا إثني عشر رجلاً من المنافقين وقفوا على الثنية ليفتكوا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم عن سعيد بن جبير وابن جريج ﴿ **وقلبوا لك الأمور** ﴾ أي إحتالوا في توهين أمرك وإيقاع الاختلاف بين المؤمنين وفي قتلك بكل ما أمكنهم فيه فلم يقدروا عليه وقيل أنهم كانوا يريدون في كيده وجهاً من التدبير فإذا لم يتمّ ذلك فيه تركوه وطلبوا المكيدة في غيرة فهذا تقليب الأمور عن أبي مسلم ﴿ **حتى**

جاء الحق ﴾ معناه حتى جاء النصر والظفر الذي وعده الله به ﴿ **وظهر أمر الله** ﴾ أي دينه وهو الإسلام على الكفار على رغمهم ﴿ **وهم كارهون** ﴾ أي في حال كراهيتهم لذلك فهي جملة في موضع الحال .

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾

[**القراءة**] القراءة المشهورة لن يصيبنا وقرأ طلحة بن مصرف ﴿ **قل هل يصيبنا** ﴾ وكذلك هو في مصحف ابن مسعود .

[**النزول**] قيل إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما استنفر الناس إلى تبوك قال إنفروا لعلكم تغنمون بنات الأصفر(١) فقام جد ابن قيس أخو بني سلمة بن بني الخزرج فقال يا رسول الله إئذن لي ولا تفتني ببنات الأصفر فأني أخاف أن افتتن بهنّ فقال قد أذنت لك فأنزل الله تعالى ﴿ **ومنهم من يقول أئذن لي** ﴾ الآيات عن ابن عباس ومجاهد فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبني سلمة مَنْ سيّدكم قالوا جدّ بن قيس غير أنه

---

(١) قال الجزري : وفي الحديث « اغزوا تغنموا بنات الاصفر » يعني الروم لأنّ اباهم الأول كان أصفر اللون وهو روم بن عيصو بن اسحق بن ابراهيم .

بخيل جبان فقال عليه السلام وأيّ داء أدوى من البخل بل سيّدكم الفتى الأبيض الجعد بشر بن البراء بن المعرور فقال في ذلك حسان بن ثابت :

وَقالَ رَسُولُ اللهِ وَالقَوْلُ لاحِقٌ ... بِمَنْ قالَ مِنّا مَنْ تَعُدُّونَ سَيِّداً
فَقُلْنا لَهُ جَدُّ بْنُ قَيْسٍ عَلَى الَّذِي ... نُبَخِّلُهُ فِينا وَإنْ كانَ أنْكَدا
فَقالَ وَأيُّ الدّاءِ أدْوىٰ مِنَ الَّذِي ... رَمَيْتُمْ بِهِ جَدّاً وَإنْ كانَ أمْجَدا
وَسُوِّدَ بِشْرُ بْنُ الْبَراءِ لِجُودِهِ ... وَحَقٌّ لِبِشْرٍ ذِي النَّدا أنْ يُسَوَّدا
إذا ما أتاهُ الْوَفْدُ أنْهَبَ مالَهُ ... وَقالَ خُذُوهُ إنَّهُ عائِدُ غَدِ

[المعنى] ﴿ **ومنهم** ﴾ أي ومن المنافقين ﴿ **من يقول ائذن لي** ﴾ في القعود عن الجهاد ﴿ **ولا تفتنّي** ﴾ ببنات الأصفر عن ابن عباس ومجاهد قال الفراء سميت الروم أصفر لأن حبشياً غلب على ناحية الروم وكان له بنات قد أخذن من بياض الروم وسواد الحبشة فكنَّ صفراً لعْساً(١) وقيل معناه لا تؤثمني أي لا توقعني في الإثم بالعصيان لمخالفة أمرك بالخروج إلى الجهاد وذلك غير متيسّر لي عن الحسن وقتادة والجبائي والزجاج ﴿ **إلا في الفتنة سقطوا** ﴾ معناه إلا في العصيان والكفر وقعوا بمخالفتهم أمرك في الخروج والجهاد وقيل معناه لا تعذّبني بتكليف الخروج في شدة الحر إلا قد سقطوا في حرّ أعظم من ذلك وهو حرّ نار جهنم عن أبي مسلم ويدل عليه قوله ﴿ **وقالوا لا تنفروا** ﴾ في الحرّ قل نار جهنم أشد حرّاً ﴿ **وإن جهنم لمحيطة بالكافرين** ﴾ أي ستحيط بهم فلا مخلص لهم منها ﴿ **أن تصبك حسنة تسوءهم** ﴾ هذا خطاب من الله سبحانه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعناه أن تلك نعمة من الله وفتح وغنيمة يحزن المنافقون ﴿ **وإن تصبك مصيبة** ﴾ معناه وإن تصبك شدة ونكبة وآفة في النفس أو المال ﴿ **يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل** ﴾ أي أخذنا حذرنا واحترزنا بالقعود من قبل هذه المصيبة عن مجاهد ومعناه أخذنا أمرنا من مواضع الهلكة فسلمنا مما وقعوا فيه ﴿ **ويتولوا وهم فرحون** ﴾ أي رجعوا إلى بيوتهم فرحين بما أصاب المؤمنين من الشدة ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهم ﴿ **لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا** ﴾ أي كل ما يصيبنا من خير أو شرّ فهو ما كتبه الله في اللوح المحفوظ من أمرنا وليس على ما تظنّون وتتوهّمون من إهمالنا من غير أن يرجع أمرنا إلى تدبير عن الحسن وقيل معناه لن يصيبنا في عاقبة أمرنا إلا ما كتب الله لنا في القرآن من النصر الذي وعدنا وأنا نظفر بالأعداء فتكون النصرة حسنى لنا أو نقتل فتكون

(١) أي يضرب لونهنّ إلى السواد .

الشهادة حسنى لنا أيضاً أي فقد كتب الله لنا ما يصيبنا وعلمنا ما لنا فيه من الحظ عن الزجاج والجبائي ﴿ **هو مولانا** ﴾ أي هو مالكنا ونحن عبيده وقيل هو ولينا وناصرنا يحفظنا ويتولى حياطتنا ودفع الضرر عنا ﴿ **وعلى الله فليتوكل المؤمنون** ﴾ هذا أمر من الله تعالى للمؤمنين بالتوكل عليه والرضا بتدبيره وتقديره فليتوكل على الله المؤمنون ﴿ **قل**﴾ يا محمد لهؤلاء المنافقين ﴿ **هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين** ﴾ معناه هل تنتظرون لنا إلا احدى الخصلتين الحميدتين والنعمتين العظيمتين إما الغلبة والغنيمة في العاجل وإما الشهادة مع الثواب الدائم في الآجل عن ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم وهل وإن كان حرف الاستفهام فمعناه هنا التقريع بالتربص المؤدّي صاحبه إلى كل ما كرهه من خيبة وفوز خصمه ومن هلاكه ونجاة خصمه ومن شقوته وسعادة خصمه ﴿ **ونحن نتربّص بكم** ﴾ أي ونحن نتوقع بكم ﴿ **أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا** ﴾ أي يوقع الله بكم عذاباً من عنده يهلككم به أو بأن ينصرنا عليكم فيقتلكم بأيدينا ﴿ **فتربصوا** ﴾ صورته صورة الأمر والمراد به التهديد كقوله ﴿ **إعملوا ما شئتم** ﴾ لأنه لو كان أمراً لهم لكانوا في تربصهم بالمؤمنين القتل مطيعين الله ﴿ **إنا معكم متربصون** ﴾ أي منتظرون إما الشهادة والجنة وإما الغنيمة والأجر لنا وإما البقاء في الذلّ والخزي وإما الموت أو القتل مع المصير إلى النار لكم وهذه الآية تفسير لقوله تعالى ﴿ **قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا** ﴾ وقيل معناه فتربصوا هلاكنا فإنا متربصون هلاككم وقيل تربصوا مواعيد الشيطان في إبطال دين الله ونحن متربصون مواعيد الله في إظهار دينه ونصرة نبيّه واستئصال مخالفيه .

﴿ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا
لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ
مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ
إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ
أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة غير عاصم أن يقبل بالياء والباقون بالتاء .

[**الحجة**] وجه القراءة بالتاء أن الفعل مسند إلى مؤنث في اللفظ ووجه الياء إن التأنيث ليس بحقيقي فجاز أن يذكر كما جاء فمن جاءه موعظة .

[**اللغة**] الطوع الإنقياد بإرادة لم يحمل عليها والكره فعل الشيء بكراهة حمل عليها والمنع أمر يضاد الفعل وينافيه وهو على وجهين منع أن يفعل ومنع أن يفعل به فهؤلاء منعوا من أن يفعل بهم قبول نفقتهم والزهق الخروج بصعوبة وأصله الهلاك وكل هالك زاهق زَهَقَ يَزْهَقُ زُهوقاً والزاهق من الدواب السمين الشديد السمن لأنه هالك بثقل بدنه في السير والكرّ والفرّ وزهق فلان بين أيدي القوم إذا ذهب سابقاً لهم حتى يهلك منهم والإعجاب السرور بما يتعجب منه يقال أعجبني حديثه أي سرَّني .

[**الإعراب**] أنفقوا طوعاً أو كرهاً لفظ أمر ومعناه معنى الشرط والجزاء ، المعنى إن أنفقتم طائعين أو مكرهين لن يتقبل منكم ومثله من الشعر قول كُثَيِّر :

أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لا مَلُومَةٌ لَدَيْنَا وَلاَ مَقْلِيَّةٌ إنْ تَقَلَّتِ[(١)]

فلم يأمرها بالإساءة ولكن أعلمها إن أساءت أو أحسنت فهو على عهدها فكأنه قال إن أحسنت أو أسأت فلا تلامي قال الزجاج فإن قال قائل كيف يكون الأمر في معنى الخبر قيل له إذا كان في الكلام دليل عليه جاز كما يكون لفظ الخبر في معنى الأمر والدعاء كقولك غفر الله لزيد ورحمه الله ومعناه اللهم اغفر له وارحمه وقوله ﴿ **أن تُقْبَل** ﴾ في موضع نصب وتقديره من أن تقبل ، وأنهم كفروا بالله في موضع رفع ، المعنى ما منعهم من قبول نفقاتهم إلا كفرهم ويجوز أن يكون التقدير وما منعهم الله منه إلا لأنهم كفروا .

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه أن هؤلاء المنافقين لا ينتفعون بما ينفقونه مع إقامتهم على الكفر فقال ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهؤلاء ﴿ **أنفقوا طوعاً أو كرهاً** ﴾ أي طائعين أو مكرهين ﴿ **لن يتقبل منكم انكم كنتم قوماً فاسقين** ﴾ معناه وإنما لم يتقبل منكم لأنكم كنتم متمرّدين عن طاعة الله والله سبحانه إنما يتقبل من المؤمنين المخلصين ﴿ **وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله** ﴾ أي وما يمنع هؤلاء المنافقين أن يثابوا على نفقاتهم إلا كفرهم بالله وبرسوله وذلك مما يحبط الأعمال ويمنع من استحقاق الثواب عليها ﴿ **ولا**

(١) القلا : البَغض . وتقلى أي تبغض . وفي الشعر التفات من الخطاب إلى الغيبة .

يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ﴾ أي متثاقلين والمعنى لم يؤدُّوها على الوجه الذي أمروا أن يؤدُّوها على ذلك الوجه ﴿ **ولا ينفقون إلا وهم كارهون** ﴾ لذلك لأنهم إنما يصلون وينفقون للرياء والتستر بالإسلام لا لابتغاء مرضاة الله تعالى وفي هذا دلالة على أن الكفار مخاطبون بالشرائع لأنه سبحانه ذمَّهم على ترك الصلاة والزكاة ولولا وجوبهما عليهم لم يذمّوا بتركهما ﴿ **فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم** ﴾ الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد جميع المؤمنين وقيل يريد لا تعجبك أيها السامع أي لا يأخذ بقلبك ما تراه من كثرة أموال هؤلاء المنافقين وكثرة أولادهم ولا تنظر إليهم بعين الإعجاب ﴿ **إنما يريد الله أن يعذّبهم بها في الحياة الدنيا** ﴾ قد ذكر في معناه وجوه (أحدها) أن فيه تقديماً وتأخيراً أي لا يسرّك أموالهم وأولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذّبهم بها في الآخرة عن ابن عباس وقتادة فيكون الظرف على هذا متعلقاً بأموالهم وأولادهم ومثله قوله تعالى ﴿ **فألقه إليهم ثم تولّ عنهم فانظر ماذا يرجعون** ﴾ والتقدير فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم (وثانيها) إن معناه إنما يريد الله أن يعذّبهم بها في الدنيا بالتشديد عليهم في التكليف وأمرهم بالإنفاق في الزكاة والغزو فيؤدُّونها على كره منهم ومشقة إذ لا يرجون به ثواباً في الآخرة فيكون ذلك عذاباً لهم عن الحسن والبلخي (وثالثها) إن معناه إنما يريد الله ليعذّبهم بحفظها والمصائب فيها مع حرمان المنفعة بها عن ابن زيد (ورابعها) إن معناه إنما يريد الله ليعذّبهم بها في الدنيا أي بسبي الأولاد وغنيمة الأموال عند تمكن المؤمنين من أخذها وغنمها فيتحسَّرون عليها فيكون ذلك جزاء على كفرهم عن الجبائي (وخامسها) إن المراد يعذبهم بجمعها وحفظها وحبّها والبخل بها والحزن عليها وكل هذا عذاب وكذلك خروجهم عنها بالموت لأنهم يفارقونها ولا يدرون إلى ماذا يصيرون واللام في قوله ﴿ **ليعذبهم** ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى أنْ ويحتمل أن يكون لام العاقبة والتقدير إنما يريد الله أنْ يملي لهم فيها ليعذّبهم ﴿ **وتزهق أنفسهم** ﴾ أي تهلك وتذهب بالموت ﴿ **وهم كافرون** ﴾ جملة في موضع الحال أي حال كونهم كافرين والإرادة تعلقت بزهوق أنفسهم لا بالكفر وهذا كما تقول أريد أن أضربه وهو عاص فالإرادة تعلقت بالضرب لا بالعصيان .

﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ
وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً
أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾

[**القراءة**] قرأ يعقوب وسهل أو مدخلاً بفتح الميم وسكون الدال وهو قراءة ابن أبي إسحاق والحسن والباقون مُدَّخَلا وفي الشواذ قراءة مسلمة بن محارب ومُدْخَلا بضم الميم وسكون الدال وقراءة الأعرج مُدَّخَّلا بتشديد الدال والخاء وقرأ أنس وهم يجمزون رواه الأعمش عنه .

[**الحجة**] أما قوله ﴿ **مُدَّخَلاً** ﴾ في القراءة المشهورة فأصله مدتخلاً لكن التاء تبدل بعد الدال دالاً لأن التاء مهموسة والدال مجهورة والتاء والدال من مكان واحد فكان الكلام من وجه أحد أخفّ ومن قرأ مَدْخلاً فهو من دخل يدخل مدخلاً ومن قرأ مُدْخَلاً فهو من أدخلته مدخلاً قال :

أَلْحَمْدُ للهِ مُمْسانا وَمُصْبَحَنا ... بِالْخَيْرِ صَبَّحَنا رَبِّي وَمَسَّانا

ومن قرأ مُدَّخَّلاً بتشديد الدال والخاء جعله متدخلاً ثم أدغم التاء في الدال وفي رواية الأعمش أنه سمع أنساً يقرأ يجمزون فقال وما يجمزون قال يجمزون ويجمحون ويشتدون واحد .

[**اللغة**] الفَرَق إنزعاج النفس بتوقع الضرر وأصله من مفارقة الأموال حال الإنزعاج والملجأ الموضع الذي يتحصن فيه ومثله المعقل والموئل والمعتصم والمعتمد . والمغارات جمع مغارة مفعلة من غار الشيء في الشيء يغور إذا دخل مِنه في موضع يستره والغار النقب في الجبل والمدخل المسلك الذي يتدسّس بالدخول فيه وهو مفتعل والجماح مضي المار مسرعاً على وجهه لا يردّه شيء عنه وقيل هو المشي بين الشيئين قال مهلهل .

لَقَدْ جَمَحْتُ جِماحَا فِي دِمائِهِم ... حَتّى رَأَيْتُ ذَوِي أَحْسابِهِمْ خَمَدُوا

والجموح الراكب هواه قال :

خَلَعْتُ عِذارِي جامِحاً ما يَرُدَّنِي ... عنِ الْبِيضِ أَمْثالِ الدُّمىٰ زَجْرُ زاجِرِ(١)

[**المعنى**] ثم أظهر سبحانه سرّاً من أسرار القوم فقال ﴿ **ويحلفون بالله انهم لمنكم** ﴾ أي يقسم هؤلاء المنافقون أنهم لمن جملتكم أيها المؤمنون أي مؤمنون أمثالكم ﴿ **وما هم منكم** ﴾ أي ليسوا مؤمنين بالله كما أنتم كذلك ﴿ **ولكنهم قوم يفرقون** ﴾ أي يخافون القتل

(١) العِذار : ما سال من اللجام على خدّ الفرس ويقال للشاب المنهمك في العي خلع عِذاره أي اتبع هواه وما يبالي بشيء كالفرس بلا لجام والدُّمى جمع الدمية : الصورة ويكنى بها عن المرئة .

والأسر إن لم يظهروا الإيمان ﴿ **أو يجدون ملجأ** ﴾ أي لو يجد هؤلاء المنافقون حرزاً عن ابن عباس وقيل حصناً عن قتادة ﴿ **أو مغارات** ﴾ أي غيراناً في الجبال عن ابن عباس وقيل سراديب عن عطا ﴿ **أو مدخلاً** ﴾ أي موضع دخول يأوون إليه عن الضحاك وقيل نفقاً كنفق اليربوع عن ابن زيد وقيل أسراباً في الأرض عن ابن عباس وأبي جعفر (ع) وقيل وجهاً يدخلونه على خلاف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الحسن ﴿ **لولّوا إليه** ﴾ أي لعدلوا إليه وقيل لأعرضوا عنكم إليه ﴿ **وهم يجمحون** ﴾ أي يسرعون في الذهاب إليه ومعنى الآية أنهم من خبث دخلتهم وسوء سريرتهم وحرصهم على إظهار ما في نفوسهم من النفاق والكفر لو أصابوا شيئاً من هذه الأشياء لآووا إليه ليجاهروا بما يضمرونه واعرضوا عنك .

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾

[**القراءة**] قرأ يعقوب يلمُزك بضم الميم وهي قراءة الحسن والأعرج والباقون بكسرالميم .

[**اللغة**] يقال لمزت الرجل المَزُهُ والمِزُه إذا عبته وكذلك هَمَزْتُه قال الشاعر :

إذا لَقَيْتُكَ تُبْدِي لِي مُكَاشِرَةً وَإِنْ تَغَيَّبْتُ كُنْتَ الْهَامِزَ اللُّمَزَهْ[1]

وقيل الهمز العيب بكسر العين وغمزها أي يكسر عينه[2] إذا غاب واللمز العيب على وجه المسارة وقيل لأعرابي أتهمز الفارة قال الهرُّ يهمزها فأوقع الهمز على الأكل والهمز كاللمز .

[**النزول**] عن أبي سعيد الخدري قال بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقسم قسماً وقال ابن عباس كانت غنائم هوازن يوم حنين إذ جاءه ابن أبي ذي الخويصرة التميمي

---

(١) كاشره : ضحك في وجهه وباسطه .

(٢) وفي نسخة مطبوعة « يكثر عليه » .

وهو حرقوص بن زهير أصل الخوارج فقال أعدل يا رسول الله فقال ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل فقال عمر يا رسول الله أئذن لي فأضرب عنقه فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعه فإن له أصحاباً يحتقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في رصافه[1] فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في نصله فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل أسود في إحدى ثدييه أو قال في إحدى يديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تُدَرْدِرُ يخرجون على فترة من الناس وفي حديث آخر فإذا خرجوا فاقتلوهم ثم إذا خرجوا فاقتلوهم فنزلت ﴿ **ومنهم من يلمزك** ﴾ الآية قال أبو سعيد الخدري أشهد أني سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأشهد أن علياً (ع) حين قتلهم وأنا معه جيء بالرجل على النعت الذي نعته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رواه الثعلبي بإسناده في تفسيره وقال الكلبي نزلت ﴿ **في المؤلفة قلوبهم وهم المنافقون** ﴾ قال رجل منهم يقال له ابن الجواظ لم يقسم بالسوية فأنزل الله الآية وقال الحسن أتاه رجل وهو يقسم فقال ألست تزعم أن الله تعالى أمرك أن تضع الصدقات في الفقراء والمساكين قال بلى قال فما لك تضعها في رعاة الغنم قال أن نبي الله موسى (ع) كان راعي غنم فلما ولّى الرجل قال عليه السلام أحذروا هذا وقال ابن زيد قال المنافقون ما يعطيها محمد إلا من أحبّ ولا يؤثر بها إلا هواه فنزلت الآية .

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه عنهم فقال ﴿ **ومنهم** ﴾ أي ومن هؤلاء المنافقين ﴿ **من يلمزك في الصدقات** ﴾ أي يعيبك ويطعن عليك في أمر الصدقات ﴿ **فإن أعطوا منها** ﴾ أي من تلك الصدقات ﴿ **رضوا** ﴾ وأقرُّوا بالعدل ﴿ **وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون** ﴾ أي يغضبون ويعيبون وقال أبو عبد الله (ع) أهل هذه الآية أكثر من ثلثي الناس ﴿ **ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله** ﴾ معناه ولو أنَّ هؤلاء المنافقين الذين طلبوا منك الصدقات وعابوك بها رضوا بما أعطاهم الله ورسوله ﴿ **وقالوا** ﴾ مع ذلك ﴿ **حسبنا الله** ﴾ أي كفانا الله أو كافينا الله ﴿ **سيؤتينا الله من فضله ورسوله** ﴾ أي سيعطينا الله من فضله وإنعامه ويعطينا رسوله مثل ذلك وقالوا ﴿ **إنا إلى الله راغبون** ﴾ في أن يوسع علينا من فضله فيغنينا عن أموال الناس وقيل يعني راغبون إليه فيما يعطينا من الثواب ويصرف عنا من العذاب وجواب أو محذوف وتقديره لكان خيراً لهم وأعود عليهم وحذف الجواب في مثل هذا الموضع أبلغ على ما تقدَّم بيانه .

(١) القذذ : ريش السهم . الرصاف : العقب الذي يلوى على مدخل النصل .

﴿ * إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ
وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى
سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾

[**الإعراب**] قال الزجاج فريضة منصوب على التوكيد لأن قوله ﴿ **إنما الصدقات لهؤلاء** ﴾ كقولك فرض الله الصدقات لهؤلاء .

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه لمن الصدقات فقال ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين** ﴾ ومعناه ليست الصدقات التي هي زكاة الأموال إلا لهؤلاء واختلف في الفرق بين الفقير والمسكين على قولين (أحدهما) أنهما صنف واحد وإنما ذكر الصنفان تأكيداً للأمر وهو قول أبي علي الجبائي وإليه ذهب أبو يوسف ومحمد فقالا فيمن قال ثلث مالي للفقراء والمساكين وفلان إن لفلان نصف الثلث ونصفه الآخر للفقراء والمساكين لأنهما صنف واحد والآخر وهو قول الأكثرين أنهما صنفان وهو قول الشافعي وأبي حنيفة فإنه قال في المسألة المذكورة أن لفلان ثلث الثلث وثلثي الثلث للفقراء والمساكين ثم اختلف هؤلاء على أقوال فقيل إن الفقير هو المتعفف الذي لا يسأل والمسكين الذي يسأل عن ابن عباس والحسن والزهري ومجاهد ذهبوا إلى أن المسكين مشتق من المسكنة بالمسألة وروي ذلك عن أبي جعفر (ع) وقيل أت الفقير الذي يسأل والمسكين الذي لا يسأل وجاء في الحديث ما يدلّ على ذلك فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال ليس المسكين الذي يردّه الأكلة والأكلتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنياً فيغنيه ولا يسأل الناس شيئاً ولا يفطن به فيتصدق عليه وقيل الفقير هو الزمن المحتاج والمسكين هو الصحيح المحتاج عن قتادة وقيل الفقراء المهاجرون والمساكين غير المهاجرين عن الضحاك وإبراهيم ثم إختلفوا من وجه آخر فقيل إن الفقير أسوأ حالاً من المسكين فإن الفقير هو الذي لا شيء له والمسكين الذي له بلغة من العيش لا تكفيه وإليه ذهب الشافعي وابن الأنباري واحتجا بقوله تعالى ﴿ **أما السفينة** ﴾ فكانت لمساكين يعملون في البحر وبأن الفقير مشتق من فقار الظهر فكأن الحاجة قد كسرت فقار ظهره وقيل إن المسكين أسوأ حالاً من الفقير الذي له بلغة من العيش والمسكين الذي لا شيء له وهو قول أبي حنيفة والقتيبي وابن دريد وأئمة اللغة وأنشد يونس :

أمـا الْـفَقِيـرُ الَّـذِي كـانَـتْ حَـلُوبَـتُـهُ وَفْـقَ العِيـال فَلَمْ يُـتْـرَكْ لَـهُ سَـبَـدُ(١)

فسمّاه فقيراً وجعل له حلوبة وأجابوا عن السفينة بأنها كانت مشتركة بين جماعة ولكل واحد منهم الشيء اليسير وأيضاً فإنه يجوز أن يكون سمّاهم مساكين على وجه الرحمة كما جاء في الحديث مساكين أهل النار وقال الشاعر :

مَسَاكِيـنُ أَهْـلُ الْحُـبِّ حَتَّى قُبُـورُهُـمْ عَـلَيْهَـا تُـرَابُ الـذُّلِ بَيْنَ الـمَقَـابِـرِ

وقيل أنهم كانوا يعملون عليها فأضيفت إليهم ﴿والعاملين عليها﴾ يعني سعاة الزكاة وجباتها ﴿ **والمؤلفة قلوبهم** ﴾ وكان هؤلاء قوماً من الأشـراف في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان يعطيهم سهماً من الزكاة ليتألّفهم به على الإسـلام ويستعين بهم على قتال العدوّ ثم إختلف في هذا السهم هل هو ثابت بعد النبي أم لا فقيل هو ثابت في كل زمان عن الشافعي واختاره الجبائي وهو المروي عن أبي جعفر (ع) إلا أنه قال من شرطه أن يكـون هناك إمام عادل يتألّفهم على ذلك به وقيل إن ذلك كان خاصاً على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم سقط بعده لأن الله سبحانه أعز الإسلام وقهر الشرك عن الحسن والشعبي وهو قول أبي حنيفة وأصحابه ﴿ **وفي الرقـاب** ﴾ يعني في فكّ الـرقاب من العتق وأراد بـه المكاتبين وأجاز أصحابنا أن يشتري منه عبد مؤمن إذا كان في شدة ويعتق ويكون ولاؤه لأرباب الزكاة وهـو قول ابن عبـاس والحسن ومالـك ﴿ **والغارمين** ﴾ وهم الـذين ركبتهم الديـون في غير معصية ولا إسراف يقضي عنهم الديون ﴿ **وفي سبيل الله** ﴾ وهو الجهاد بلا خلاف ويدخل فيه عند أصحابنا جميع مصالح المسلمين وهو قول ابن عمر وعطا وهو إختيار البلخي وجعفر بن مبشر قالوا يبنى منه المساجد والقناطر وغير ذلك ﴿ **وابن السبيل** ﴾ وهو المسافر المنقـطع به يعطى من الزكاة وإن كان غنياً في بلده ذا يسار وإنما سمي ابن السبيل للزومه الطريق فنسب إليه كما قال الشاعر :

أَنَـا ابْـنُ الْـحَـرْبِ رَبَّـتْـنِـي وَلِـيـداً إلـىٰ أنْ شِـبْـتُ وَاكْـتَـهَـلَتْ لِـدَاتِـي(٢)

وقيل هو الضيف عن قتادة ﴿ **فريضـة من الله** ﴾ أي مقدّرة واجبـة قدَّرهـا الله وحتمها

---

(١) قائله الراعي يمدح عبد الملك بن مروان ويشكر إليه سعاته . وفي نسخة مخطوطة كنسخة التبيان « أنـا الفقير » . والحلوبة : الناقة التي تحلب ويقال حلوبة فلان وِفْق عياله أي لما لبن قدر كفايتهم لا فضل فيه . والسبد : كناية عن القليل .

(٢) الوليد : المولود حين يولد . ولِدات جمع اللِّدة ، التِرب وهو الذي ولد معك أو تربى معك .

﴿ والله عليم ﴾ بحاجة خلقه ﴿ حكيم ﴾ فيما فرض عليهم وأوجب من إخراج الصدقات وغير ذلك .

﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦١) يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ (٦٢) أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ (٦٣) ﴾

[**القراءة**] قرأ عاصم في رواية الأعمش والبرجمي عن أبي بكر قل أذنٌ خيرٌ لكم بالضم والتنوين فيهما وهو قراءة الحسن وقتادة وعيسى بن عمر وغيرهم وقرأ الباقون أذنُ خيرٍ لكم بالإضافة وقرأ نافع أذن خير ساكنة الذال في كل القرآن وقرأ حمزة وحده ورحمةٍ للذين آمنوا بالجرّ والباقون ورحمةٌ بالرفع .

[**الحجة**] قال أبو علي أذن في الآية إذا خففت أو ثقلت فإنه يجوز أن يطلق على الجملة وإن كانت عبارة عن جارحة منها كما قال الخليل في الناب من الإبل انه سميت به لمكان الناب البازل فمسيت الجملة كلها به وقالوا للرئيس هو عين القوم وللربيئة[1] هو عينهم ويجوز فيه شيء آخر وهو ان الاسم يجري عليه كالوصف له لوجود معنى ذلك الاسم فيه كقول جرير:

تَبْدُو فَتُبْدِي جَمالاً زانَهُ خَفَرُ   إذا تَرارَأَتِ السُّودُ العَناكِيبُ[2]

فأجرى العناكيب وصفا عليهنّ يريد أنهنّ من الحقارة والدمامة كالعناكيب وقال آخر

(١) الربيئة: الطليعة وهو الذي ينظر للقوم لئلا يدهمهم عدو، والتأنيث باعتبار العين.

(٢) الخفر: شدة الحيا.

فَـلَـوْلَا الـلَّهُ وَالْـمُـهْـرُ الـمُـفَـدَّىٰ   لأبــتَ وأنْـتَ عِـرْبَـالُ الإِهَـابِ[1]

فجعله غربالاً لكثرة الخروق فيه من آثار الطعن وكذلك قوله هو أذن أجرى على الجملة اسم الجارحة لما أراد به من كثرة استعماله لها في الإصغاء بها ويجوز ان يكون فعلاً من اذن يأذن أذناً إذا استمع ومنه قوله تعالى ﴿**وأذنت لربها**﴾ أي استمعت وقوله ﴿**ائذن لي**﴾ أي استمع لي وفي الحديث ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن فعلى هذا يكون معناه أنه كثير الاستماع مثل أنف وسجح قال أبو زيد رجل أذن إذا كان يصدّق بكل ما يسمع وقوله ﴿**أذن خير لكم**﴾ بالإضافة وهو الأكثر في القراءة فمعناه أنه أذن خير أي مستمع خير وصلاح لكم ومصغ إليه لا مستمع شرّ وفساد من قرأ أذنٌ خيرٌ لكم قال الزجاج معناه من يستمع منكم فيكون قريباً منكم قابلاً للعذر خير لكم قال أبو علي ومن رفع ورحمةٌ كان المعنى هو أذن خير لكم ورحمة جعله الرحمة لكثرة هذا المعنى فيه وعلى هذا ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ ويجوز أن يقدّر حذف المضاف من المصدر وأما الجرّ في رحمةٍ فعلى العطف على خير كأنه أذن خيرٍ ورحمةٍ فإن قلت فيكون أذن رحمة فإن هذا لا يمتنع لأن الاذن في معنى مستمع في الأقوال الثلاثة التي تقدّمت فكأنه مستمع رحمة فجاز هذا كما جاز مستمع خير ألا ترى أن الرحمة من الخير فإن قلت فهلّا استغنى بشمول الخير للرحمة وغيرها عن تقدير عطف الرحمة عليه فالقول فيه ان ذلك لا يمتنع كما لا يمتنع ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق**﴾ ثم خصّ فقال خلق الإنسان وان كان قوله خلق يعمّ الإنسان وغيره فكذلك الرحمة إذا كانت من الخير لم يمتنع ان تعطف فتخصص الرحمة بالذكر من ضروب الخير لغلبة من ذلك في وصفه كثرته كما خصّص الإنسان بالذكر وان كان الخلق قد عمَّه وغيره والبعد بين الجار وما عطف عليه لا يمنع من العطف الا ترى أن من قرأ وقيله يا رب إنما يحمله على وعنده علم الساعة وعلم قيله .

[**اللغة**] الفرق بين الأحقّ والأصلح أن الأحقّ قد يكون من غير صفات الفعل كقولك زيد أحقّ بالمال والأصلح لا يقع هذا الموقع لأنه من صفات الفعل وتقول الله احق بأن يطاع ولا تقول أصلح والمحادة مجاوزة الحدّ بالمشاقة وهي والمخالفة والمجانبة والمعاداة نظائر وأصله المنع والمحادَّة ما يعتري الإنسان من النزق لأنه يمنعه من الواجب والخزي الهوان وما يستحيي منه .

---

(١) الأوب : الرجوع والاهاب : الجلد .

[**الإعراب**] اذن خير خبر مبتدأ محذوف ومن لم يضف جعل خيراً صفة لأذن واللام في قوله ﴿ **يؤمن للمؤمنين** ﴾ على حدّ اللام في قوله ردف لكم أو على المعنى لأن معنى يؤمن يصدّق فعدّى باللام كما عدّى مصدّقاً به في نحو قوله مصدّقاً لما بين يديه وقيل إنما دخلت اللام للفرق بين إيمان التصديق وإيمان الأمان قوله فإن له نار جهنم يحتمل أن يكون العامل في أنَّ أحد أمرين أما ان يكون على تقدير حذف الجار على معنى فلأنَّ له نار جهنم أو فـبِأنَّ له نار جهنم وأما أن يكون أعاد ان الأولى على التكرير للتوكيد بسبب طول الكلام عن الزجاج وأقول ان هذا على مذهب أبي الحسن وأبي علي الفارسي يرتفع قوله انّ له نار جهنم بظرف مضمر محذوف من هذا الموضـع لطول الكـلام وتقديـره فله أن له نـار جهنم والمعنى فله وجوب نار جهنم ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف والتقدير فأمره أو وشأنه أنَّ له نار جهنم ولا يجوز أن يرتفع بفعل مضمر لأن الفعل لا يقع بعد الفاء في جواب الشرط وإنما يـدخل الفاء في جواب الشرط إذا كان مبتدأ أو خبراً أو جملة فعلية غير خبرية نحو قوله فقولي إني نذرت هذا مذهب سيبويه قال الزجاج ولو قرىء فإنَّ له بكسـر الهمزة على وجـه الاستئناف لكان جائزاً فيكون كقولك فله نار جهنم غير أنه لم يقرأ به أحد .

[**النزول**] قيل نزلت في جماعـة من المنافقين منهم الجـلاس بن سويـد وشاس بن قيس ومخشى بن حمير ورفاعة بن عبد المنذر وغيرهم قالوا ما لا ينبغي فقال رجل منهم لا تفعلوا فإنا نخاف أن يبلغ محمداً ما تقولون فيوقع بنا فقال الجلاس بل نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول فإن محمداً أذن سامعة فأنزل الله الآية وقيل نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحرث وكان رجلاً ادلم أحمر العينين اسفع الخدين(١) مشوّه الخلقـة وكان ينم حديث النبي ﷺ إلى المنافقين فقيل له لا تفعل فقال إنمـا محمد أذن من حـدَّثه شيئـاً صدّقه نقول ما شئنا ثم نأتيه ونحلف له فيصدّقنا وهو الذي قال فيه النبي ﷺ من أراد أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحرث عن محمد بن اسحاق وغيره وقوله ﴿**يحلفون بـالله لكم ليرضوكم**﴾ الآية قيل أنها نزلت في رهط من المنافقين تخلّفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله ﷺ من تبوك أتوا المؤمنين يعتذرون اليهم من تخلّفهم ويعتلون ويحلفـون فنزلت الآية عن مقاتل والكلبي وقيل في جلاس بن سويد وغيره من المنافقين قالوا لئن كان ما يقول محمد حقاً فنحن شرٌّ من الحمير وكان عندهم غلام من الأنصار يقال له عامر بـن قيس فقال والله إنما يقول محمد حق وأنتم شرٌّ من الحميـر ثم أتى النبي ﷺ فأخبـره فدعـاهم فسألهم

---

(١) الاسفع : اسود اللون الى حمرة .

فحلفوا ان عامراً كذّاب فنزلت الآية عن قتادة والسدي .

[**المعنى**] ثم رجع سبحانه إلى ذكر المنافقين فقال ﴿**ومنهم**﴾ أي ومن هؤلاء المنافقين ﴿**الذين يؤذون النبي**﴾ والأذى قد يكون بالفعل وقد يكون بالقول وهو هنا بالقول ﴿**ويقولون هو اذن**﴾ معناه أنه يستمع إلى ما يقال له ويصغي اليه ويقبله ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**أذن خير لكم**﴾ أي هو أذن خير يستمع إلى ما هو خير لكم وهو الوحي وقيل معناه هو يسمع الخير ويعمل به ومن قرأ أذنٌ خيرٌ لكم فمعناه قل كونه أذناً أصلح لكم لأنه يقبل عذركم ويستمع إليكم ولو لم يقبل عذركم لكان شراً لكم فكيف تعيبونه بما هو خير لكم وأصلح ﴿**يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين**﴾ معناه أنه لا يضرّه كونه آذناً فإنه أذن خير فلا يقبل إلا الخبر الصادق من الله ويصدّق المؤمنين أيضاً فيما يخبرونه ويقبل منهم دون المنافقين عن ابن عباس فإيمانه للمؤمنين تصديقه لهم على هذا القول وقيل يؤمن للمؤمنين أي يؤمنهم فيما يلقى اليهم من الأمان ولا يؤمن للمنافقين بل يكونون على خوف وان حلفوا ﴿**ورحمة للذين آمنوا منكم**﴾ أي وهو رحمة لهم لأنهم إنما نالوا الإيمان بهدايته ودعائه إياهم ﴿**والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم**﴾ في الآخرة ﴿**يحلفون بالله لكم ليرضوكم**﴾ أخبر سبحانه أنّ هؤلاء المنافقين يقسمون بالله ان الذي بلغكم عنهم باطل اعتذاراً اليكم وطلباً لمرضاتكم ﴿**والله ورسوله أحق أن يرضوه**﴾ أي والله ورسوله أحق وأولى بأن يطلبوا مرضاتهما ﴿**ان كانوا مؤمنين**﴾ مصدّقين بالله مقرّين بنبوة نبيه محمد ﷺ وتقديره والله أحق أن يرضوه ورسوله احق أن يرضوه فحذف للتخفيف ولدلالة الكلام عليه كما قال الشاعر:

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ والرَأْيُ مُخْتَلِفُ

والمعنى نحن بما عندنا راضون وأنت بما عندك راض ثم قال سبحانه على وجه التقريع والتوبيخ لهؤلاء المنافقين ﴿**ألم يعلموا**﴾ أي وما يعلموا ﴿**أنه من يحادد الله ورسوله**﴾ أي من تجاوز حدود الله التي أمر الملكفين ألا يتجاوزوها وإنما قال ألم يعلما لمن لا يعلم على وجه الاستبطاء لهم والتخلف عن عمله أي هلاّ علموا بعد ان مكنوا من عمله وقيل هو امر بالعلم أي يجب ان يعلموا بهذا الخبر وبالدلائل وقيل معناه ألم يخبرهم النبي ﷺ بذلك عن الجبائي ﴿**فإنّ له نار جهنم خالداً فيها**﴾ أي دائماً ﴿**ذلك الخزي**﴾ أي الهوان والذلّ ﴿**العظيم**﴾ .

﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ

عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾

[**القراءة**] قرأ عاصم أن نعف ونعذب فيهما بالنون طائفة بالنصب وقرأ الباقون أن يعف بالياء وضمها وفتح الفاء تعذب بالتاء وضمها طائفة بالرفع .

[**الحجة**] قال أبو علي حجة من قرأ ان نعف قوله ثم عفونا عنكم ومن قرأ أن يعف فالمعنى معنى نعف وأما تعذب بالتاء فلأن الفعل في اللفظ مسند إلى مؤنث ظاهر .

[**اللغة**] الحذر اعداد ما ينفي الضرر ورجل حذر متيقظ متحرز ورجل حِذْريان كثير الحذر شديد الفزع والمنافق الذي يظهر من الإيمان خلاف ما يبطنه من الكفر مشتق من نافقاء اليربوع لأنه يخفي باباً ويظهر باباً ليكون إذا أتي من أحدهما خرج من الآخر والخوض دخول القدم فيما كان مائعاً من الماء والطين ثم كثر حتى استعمل في غيره واللعب فعل ما فيه سقوط المنزلة لتعجل اللذة كفعل الصبي ولذلك قالوا ملاعب الاسنة أي أنه لشجاعته يقدم على الاسنة كفعل الصبي الذي لا يفكر في عاقبة امره والاعتذار اظهار ما يقتضي العذر والاجرام الانقطاع عن الحق إلى الباطل يقال جرم الثمر إذا صرمه وتجرمت السنة تصرمت .

[**النزول**] قيل نزلت في اثني عشر رجلاً وقفوا على العقبة ليفتكوا برسول الله ﷺ عند رجوعه من تبوك فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بذلك وأمره أن يرسل إليهم ويضرب وجوه رواحلهم وعمار كان يقود دابة رسول الله ﷺ وحذيفة يسوقها فقال لحذيفة اضرب وجوه رواحلهم فضربها حتى نحاهم فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم قال لم أعرف منهم أحداً فقال رسول الله ﷺ إنه فلان وفلان حتى عدَّهم كلهم فقال حذيفة ألا تبعث اليهم فتقتلهم فقال اكره أن تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم عن ابن كيسان وروي عن

أبي جعفر الباقر (ع) مثله إلا أنه قال ائتمروا بينهم ليقتلوه وقال بعضهم لبعض ان فطن نقول انا كنا نخوض ونلعب وان لم يفطن نقتله وقيل ان جماعة من المنافقين قالوا في غزوة تبوك يظن هذا الرجل ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاطلع الله نبيّه ﷺ على ذلك فقال احبسوا علي الركب فدعاهم فقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله إنما كنا نخوض ونلعب وحلفوا على ذلك فنزلت الآية ولئن سألتهم ليقولنّ (الخ) عن الحسن وقتادة وقيل كان ذلك عند منصرفه من غزوة تبوك إلى المدينة وكان بين يديه أربعة نفر أو ثلاثة يستهزؤون ويضحكون واحدهم يضحك ولا يتكلم فنزل جبريل وأخبر رسول الله ﷺ بذلك فدعا عمار بن ياسر وقال ان هؤلاء يستهزؤون بي وبالقرآن أخبرني جبرائيل بذلك ولئن سألتهم ليقولن كنا نتحدث بحديث الركب فاتبعهم عمار وقال لهم ممَّ تضحكون قالوا نتحدث بحديث الركب فقال عمار صدق الله ورسوله احترقتم أحرقكم الله فأقبلوا إلى النبي ﷺ يعتذرون فأنزل الله تعالى الآيات عن الكلبي وعلي بن إبراهيم وأبي حمزة وقيل ان رجلاً قال في غزوة تبوك ما رأيت اكذب لساناً ولا أجبن عند اللقاء من هؤلاء يعني رسول الله وأصحابه فقال له عوف بن مالك كذبت ولكنك منافق وأراد أن يخبر رسول الله ﷺ بذلك فجاء وقد سبقه الوحي فجاء الرجل معتذراً وقال انما كنا نخوض ونلعب ففيه نزلت الآية عن ابن عمر وزيد بن أسلم ومحمد بن كعب وقيل أنّ رجلاً من المنافقين قال يحدثنا محمد ان ناقة فلان بوادي كذا وكذا وما يدريه ما الغيب فنزلت الآية عن مجاهد وقيل نزلت في عبد الله بن أبي ورهطه عن الضحاك .

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه عنهم فقال ﴿**يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم**﴾ فيه قولان (أحدهما) أنه اخبار بأنهم يخافون أن يفشوا سرائرهم ويحذرون ذلك عن الحسن ومجاهد والجبائي وأكثر المفسرين والمعنى أنه يحذرون من أن ينزّل الله عليهم أي على النبي والمؤمنين سورة تخبر عما في قلوبهم من النفاق والشرك وقد قيل ان ذلك الحذر إنما أظهره على وجه الاستهزاء لا على سبيل التصديق لأنهم حين رأوا رسول الله ﷺ ينطق في كل شيء عن الوحي قال بعضهم لبعض أحذروا ألا ينزل وحي فيكم يتناجون بذلك ويضحكون عن أبي مسلم وقيل أنهم كانوا يخافون أن يكون عليه السلام صادقاً فينزل عليه الوحي فيفتضحون عن الجبائي وقيل أنهم كانوا يقولون القول فيما بينهم ثم يقولون عسى الله أن لا يفشي علينا سرّنا عن مجاهد (والثاني) إن هذا اللفظ لفظه الخبر ومعناه الأمر فهو كقولك ليحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تخبرهم بما في قلوبهم من

النفاق وحسن ذلك لأن موضع الكلام على التهديد **﴿قل استهزئوا﴾** معناه قل يا محمد لهؤلاء المنافقين استهزؤا أي اطلبوا الهزء وهو وعيد بلفظ الأمر **﴿إن الله مخرج ما تحذرون﴾** أي مظهر ما تحذرون من ظهوره والمعنى ان الله يبيّن لنبيه باطن حالكم ونفاقكم **﴿ولئن سألتهم﴾** عن طعنهم في الدين واستهزائهم بالنبي ﷺ وبالمسلمين **﴿ليقولنَّ إنما كنا نخوض ونلعب﴾** واللام للتأكيد والقسم ومعناه لقالوا كنا نخوض خوض الركب في الطريق لا على طريق الجد ولكن على طريق اللعب واللهو فكان عذرهم أشد من جرمهم **﴿قل﴾** يا محمد **﴿أبالله وآياته﴾** أي حججه وبيناته وكتابه **﴿ورسوله﴾** محمد ﷺ **﴿كنتم تستهزئون﴾** ثم أمر الله سبحانه نبيه ﷺ ان يقول لهؤلاء المنافقين **﴿لا تعتذروا﴾** بالمعاذير الكاذبة **﴿قد كفرتم بعد إيمانكم﴾** أي فإنكم بما فعلتموه قد كفرتم بعد أن كنتم مظهرين الإيمان الذي يحكم لمن أظهره بأنه مؤمن ولا يجوز أن يكونوا مؤمنين على الحقيقة مستحقين للثواب ثم يرتدون على ما تقرّر بالدليل وذكر في غير هذا الموضع أن المؤمن لا يجوز أن يكفر **﴿أن نعف عن طائفة منكم نعذّب طائفة بأنهم كانوا مجرمين﴾** أي كافرين مصرّين على النفاق هذا اخبار منه سبحانه انه ان عفا عن قوم منهم إذا تابوا يعذّب طائفة أخرى لم يتوبوا وأقاموا على النفاق والطائفة اسم للجماعة على الحقيقة لأنه اسم لما يطيف بغيره ويحيط به وقد سمي الواحد طائفة على معنى انها نفس طائفة وقد ورد القرآن بذلك في قوله **﴿وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾** فقد ورد في الآثار عن أئمتنا (ع) ان أقل من يحذر عذابهما واحد من المؤمنين فصاعداً وروي ان هاتين الطائفتين كانوا ثلاثة نفر فهذا اثنان وضحك واحد وهو الذي تاب من نفاقه واسمه مخشى بن حمير فعفا الله عنه .

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ

مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَـٰدًا
فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَـٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَـٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ
مِن قَبْلِكُم بِخَلَـٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ
يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ
وَأَصْحَـٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ فَمَا كَانَ
ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾

[**اللغة**] الاستمتاع طلب المتعة وهي فعل ما فيه اللذة من المأكل والمشرب والمناكح والخلاف النصيب سواء كان عاجلاً أو آجلاً وقال الزجاج النصيب الذي هو عند صاحبه وافر الحظ والمؤتفكات جمع مؤتفكة قد ائتفكت بهم الأرض أي انقلبت .

[**الإعراب**] موضع الكاف من قوله ﴿**كالذين من قبلكم نصب**﴾ أي وعدكم الله على الكفر به كما وعد الذين من قبلكم والكاف في قوله كما استمتع وكالذين خاضوا نصب بأنه صفة لمصدر محذوف وتقديره استمتعتم استمتاعاً مثل استمتاعهم وخضتم خوضاً مثل خوضهم. قال جامع العلوم النحوي البصير: كالذي خاضوا تقديره على قياس قول سيبويه كالذي خاضوا فيه فحذف في فصار كالذي خاضوه ثم حذف الهاء وهو على قول يونس والأخفش الذي مصدري والتقدير كالخوض الذي خاضوا فيه ومثل هذا اختلافهم في قوله ذلك الذي يبشر الله عباده على قول سيبويه تقديره يبشر الله به على قول يونس والأخفش ذلك تبشير الله عباده .

[**المعنى**] ثم ذكر سبحانه أحوال أهل النفاق فقال ﴿**المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض**﴾ أي بعضهم من جملة بعض وبعضهم مضاف الى بعض في الاجتماع على النفاق والشرك كما تقول أنا من فلان وفلان مني أي امرنا واحد وكلمتنا واحدة وقيل معناه بعضهم على دين بعض عن الكلبي وقيل بعضهم من بعض على لحوق مقت الله بهم جميعاً عن أبي

مسلم ﴿**يأمرون بالمنكر**﴾ أي بالشرك والمعاصي ﴿**وينهون عن المعروف**﴾ أي عن الافعال الحسنة التي أمر الله بها وحثَّ عليها ﴿**ويقبضون أيديهم**﴾ أي يمسكون أموالهم عن انفاقها في طاعة الله ومرضاته عن الحسن وقتادة وقيل معناه يمسكون أيديهم عن الجهـاد في سبيل الله عن الجبائي ﴿**نسوا الله فنسيهم**﴾ أي تركوا طاعته فتركهم في النار وترك رحمتهم واثابتهم عن الأصم وقيـل معنـاه جعلوا الله كـالمنسي حيث لم يتفكـروا في أن لهم صـانعـاً يثيبهم ويعاقبهم ليمنعهم ذلك عن الكفر والافعال القبيحة فجعلهم سبحانـه في حكم المنسي عن الثـواب وذكر ذلـك لازدواج الكلام لأن النسيـان لا يجوز عليـه تعـالى ﴿**ان المنـافقين هم الفاسقون**﴾ أي الخارجون عن الإيمان بالله ورسوله وعن طاعته وقيل الفاسقون المتردّدون في الشرك ﴿**وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نـار جهنم**﴾ أخبر سبحـانه أنـه وعد الـذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر النار وكذلك الكفار وإنما فصل النفـاق من الكفر وان كـان النفاق كفراً ليبيّن الوعيد على كل واحد من الصنفين ﴿**خالدين فيها**﴾ أي دائمين فيها ﴿**هي حسبهم**﴾ معناه نار جهنم والعقـاب فيها كفـاية ذنـوبهم كما يقـول عذبتـك حسب ما فعلت وحسب فلان ما نزل به اي ذلك على قدر فعله ﴿**ولعنهم الله**﴾ أي أبعدهم من جنته وخيـره ﴿**ولهم عـذاب مقيم**﴾ أي دائم لا يـزول ﴿**كـالـذين من قبلكم**﴾ أي وعـدكم على النفـاق والاستهزاء كما وعد الذين من قبلكم من الكفار الذين فعلوا مثل فعلكم عن الزجاج والجبائي وقيل معناه فعلكم كفعل الذين من قبلكم من كفار الأمم الخالية ﴿**كانوا أشدَّ منكم قوة**﴾ في أبـدانهم ﴿**وأكثـر أمـوالاً وأولاداً**﴾ فلم ينفعهم ذلـك شيئـاً وحـلَّ بهم عـذاب الله تعـالى ﴿**فاستمتعوا بخلاقهم**﴾ أي بنصيبهم وحظّهم من الدنيا بأن صرفوها في شهواتهم المحرَّمـة عليه م وفيما نهاهم الله عنه ثم اهلكوا ﴿**فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم**﴾ أي فاستمتعتم أنتم أيضاً بحظّكم في الدنيا كما استمتعوا هُمْ ﴿**وخضتم كـالذي خاضوا**﴾ أي وخضتم في الكفر والاستهزاء بـالمؤمنين كما خـاض الأولون ﴿**أولئـك الذين حبطت أعمالهم**﴾ التي تقع طاعـة من المؤمنين مثل الانفـاق في وجوه الخيـر وصلة الرحم وغيرها ﴿**في الدنيا والآخرة**﴾ إذ لم يستحقوا عليها ثواباً في الآخرة ولا تعظيماً وتبجيـلاً في الدنيا لكفرهم وشركهم ﴿**وأولئك هم الخاسرون**﴾ خسروا أنفسهم وأهلكوها بفعل المعاصي المؤدّية إلى الهلاك ووردت الرواية عن ابن عباس انه قال في هذه الآية ما أشبه الليلة بالبارحة كالذين من قبلكم هؤلاء بنو إسرائيل شبهنا بهم لا أعلم إلا أنه قال والذي نفسي بيده لتتبعنهم حتى لو دخل الرحل منهم جُحر ضب لدخلتمـوه وروي مثل ذلـك عن أبي هريـرة عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال لتأخذن كما أخـذت الأمم من قبلكم ذراعاً بـذراع وشبراً

بشبر وباعاً بباع حتى لو أن أحداً من أولئك دخل جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله كما صنعت فارس والروم وأهل الكتاب قال فهل الناس الاهم وقال عبد الله بن مسعود انتم أشبه الأمم ببني إسرائيل سمتاً وهدياً(١) تتبعون عملهم حـذو القذة بـالقذة(٢) غيـر أني لا أدري أتعبدون العجل أم لا وقال حذيفة المنافقون الذين فيكم اليوم شرّ من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ قلنا وكيف قال أولئك كانوا يخفون نفاقهم وهؤلاء اعلنوه اورد ذلك جميعاً الثـعلبي في تفسيره ثم قال سبحانه ﴿**ألم يأتهم**﴾ أي ألم يأت هؤلاء المنافقين الذين وصفهم ﴿**نبأ الذين من قبلهم**﴾ أي خبر من كان قبلهم ﴿**قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم واصحاب مدين**﴾ ذكر سبحانه الأمم الماضية والقرون السالفة وانه سبحانه أهلكها ودمَّر عليها لتكذيبها رسلها لئلا يأمنوا ان ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك فأهلك سبحانه قوم نوح بالغـرق وعاداً قوم هود بالريح الصرصر وثمود قوم صالح بالرجفة وقوم إبراهيم بسلب النعمة وهلاك نمرود وأصحاب مدين وهي البلدة التي فيها قوم شعيب بعذاب يوم الظلة وقيل ان مدين اسم نسبت البلد اليه وقد مرَّ ذكره ﴿**والمؤتفكات**﴾ أي المنقلبات وهي ثلاث قرى كان فيها قـوم لوط ولذلك جمعها بالألف والتاء عن الحسن وقتادة وقال في موضع آخـر والمؤتفكة اهـوى فجـاء بها على طـريق الجنس اهلكهم الله بالخسف وقلب المـدينـة عليهم ﴿**أتتهم رسلهم بالبينات**﴾ أي بالحجج والمعجزات ﴿**فما كان الله ليظلمهم**﴾ أي مـا يظلمهم الله بـاهلاكهم ﴿**ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**﴾ أي ولكن عاقبهم باستحقاق إذ كذَّبوا رسل الله كـمـا فعلتم فأهلكهم بكفرهم وعصيانهم .

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ

(١) السمت: الهيئة. والهدي: السيرة والطريقة .

(٢) القذة ريش السهم . قال ابن الاثير في معنى الحديث: يضرب مثلاً للشيئين يستويان ولا يتفاوتان .

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾

[**اللغة**] العدن والاقامة والخلود نظائر ومنه المعدن وقال الأعشى :

فَـإنْ يَسْتَضِيفُـوا إلىٰ حُـكْمِـهِ   يُضَافُـوا إلىٰ رَاجِـحٍ قَـدْ عَـدَن[١]

والرضوان مصدر رضي يرضَى رِضىً ورِضواناً والجهاد ممارسة الأمر الشاق وأصله من الجهد .

[**المعنى**] لما ذكر الله تعالى المنافقين ووصفهم بقبيح خصالهم اقتضت الحكمة ان يذكر المؤمنين ويصفهم بضدّ أوصافهم ليتصل الكلام بما قبله اتصال النقيض بالنقيض فقال **﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾** أي بعضهم انصار بعض يلزم كل واحد منهم نصرة صاحبه وموالاته حتى ان المرأة تهيء اسباب السفر لزوجها إذا خرج وتحفظ غيبة زوجها وهم يد واحدة على من سواهم **﴿يأمرون بالمعروف﴾** وهو ما أوجب الله فعله أو رغَّب فيه عقلاً أو شرعاً **﴿وينهون عن المنكر﴾** وهو ما نهى الله عن فعله وزهد فيه عقلاً أو شرعاً **﴿ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله﴾** أي يداومون على فعل الصلاة واخراج الزكاة من أموالهم ووضعها حيث أمر الله تعالى بوضعها فيه ويمتثلون طاعة الله ورسوله ويتبعون إراداتهما ورضاهما **﴿أولئك سيرحمهم الله﴾** أي الذين هذه صفتهم يرحمهم الله في الآخرة **﴿إن الله عزيز حكيم﴾** أي قادر على الرحمة والعذاب واضع كل واحد منهما موضعه وفي الآية دلالة على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الأعيان لأنه جعلهما من صفات جميع المؤمنين ولم يخصّ قوماً منهم دون قوم **﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾** أي من تحت أشجارها الأنهار والماء فيها **﴿خالدين فيها ومساكن طيبة﴾** يطيب العيش فيها بناها الله تعالى من اللآلىء والياقوت الأحمر

---

(١) وفي اللسان « يضافوا الى عادل قد وزن واستضاف الى فلان : لجأ اليه وأضاف اليه : مال ودنا .

والزبرجد الأخضر لا أذى فيها ولا وصب[١] ولا نصب عن الحسن ﴿**في جنات عدن**﴾ أي في جنات اقامة وخلد وقيل هي بطنان الجنـة أي وسطهـا عن ابن مسعود وقيـل هي مدينـة في الجنـة وفيها الـرسل والأنبيـاء والشهداء وأئمـة الهدى والنـاس حولهم والجنـان حولهـا عن الضحاك وقيل إن عدنا أعلى درجة في الجنة وفيها عين التسنيم والجنان حولها محدقة بهـا وهي مغطاة من يوم خلقهـا الله عز وجـل حتى ينزلهـا أهلها الأنبيـاء والصديقـون والشهداء والصالحون ومن شاء الله وفيها قصـور الدرّ واليـواقيت والذهب فتهب ريـح طيبة من تحت العرش فتدخل عليهم كثبان المسك الأبيض عن مقاتل والكلبي وروي عن النبي ﷺ أنه قال عـدن دار الله التي لم ترهـا عين ولم تخـطر على قلب بشـر لا يسكنهـا غيـر ثـلاثـة النبيين والصديقين والشهداء يقول الله عز وجل طوبى لمن دخلك ﴿**ورضـوان من الله أكبر**﴾ رفـع على الابتداء أي ورضا الله تعالى عنهم أكبر من ذلك كله قال الجبائي إنما صار الرضوان اكبر من الثواب لأنه لا يوجد شيء منه إلا بالرضوان وهو الداعي اليه الموجب له وقال الحسن لأن ما يصل إلى القلب من السـرور برضـوان الله أكبر من جميـع ذلك وإنمـا رفع رضـوان لأنه استأنفه للتعظيم كما يقول القائل اعطيتك ووصلتك ثم يقول وحسن رأيي فيك ورضاي عنك خير من جميع ذلك ﴿**ذلك هـو الفوز العـظيم**﴾ أي ذلك النعيم الـذي وصفت هو النجـاح العظيم الذي لا شيء أعظم منه ثم أمر سبحانه بالجهاد فقال ﴿**يا أيها النبي جاهد الكفار**﴾ بالسيف والقتال ﴿ **والمنافقين** ﴾ واختلفوا في كيفية جهاد المنافقين فقيل ان جهادهم باللسان والوعظ والتخويف عن الجبائي وقيل جهادهم بإقامة الحدود عليهم وكان نصيبهم من الحدود أكثر وقيل هو بالأنواع الثلاثة بحسب الامكان يريد باليد فإن لم يستطع فباللسان فإن لم يستطع فبالقلب فإن لم يقدر فليكفهر في وجوههم[٢] عن ابن مسعود وروي في قراءة أهل البيت جـاهد الكفـار بالمنافقين قالوا لأن النبي ﷺ لم يكن يقاتل المنافقين . وإنما كان يتألفهم لأن المنافقين لا يظهرون الكفر وعلم الله تعالى بكفرهم لا يبيح قتلهم إذا كانوا يظهرون الإيمان ﴿ **وأغلظ عليهم** ﴾ ومعناه وأسمعهم الكلام الغليظ الشـديد ولا تـرق عليهم ﴿ **ومأواهم جهنم** ﴾ أي منزلهم ومقامهم ومسكنهم جهنم يريد مأوى الفريقين ﴿ **وبئس المصير** ﴾ أي بئس المرجع والمأوى .

﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ

---

(١) الوصب: المرض والتعب والوجع الدائم. (٢) اكفهر: عبس.

وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْۖ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾

[**اللغة**] الهم مقارنة الفعل بتقليبه في النفس تقول همَّ بـالشيء يهُمّ هماً وليس الهم من العزم في شيء إلا أن يبلغ نهاية القوة في النفس والنيل لحوق الأمر يقال نال ما اشتهى او تمنى اي أدركه ونقم منه شيئاً أي أنكر قال:

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّة إلاّ أَنَّهُمْ يَحْلِمون إنْ غَضِبُوا

والفضل الزيادة في الخير على مقدار ما وأما التفضل فهو الزيادة من الخير الذي كان للقادر عليه ان يفعله وان لا يفعله .

[**النزول**] اختلف في من نزلت فيه هذه الآية فقيل أن رسول الله ﷺ كان جالساً في ظل شجرة فقال انه سيأتيكم إنسان فينظر إليكم بعيني الشيطان فلم يلبثوا أن طلع رجل أزرق فدعاه رسول الله ﷺ فقال علام تشتمني أنت وأصحابك فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا فأنزل الله هذه الآية عن ابن عباس وقيل خرج المنافقون مع رسول الله ﷺ إلى تبوك فكانوا إذا خلا بعضهم ببعض سبُّوا رسول الله ﷺ وأصحابه وطعنوا في الدين فنقل ذلك حذيفة إلى رسول الله ﷺ فقال لهم ما هذا الذي بلغني عنكم فحلفوا بالله ما قالوا شيئاً من ذلك عن الضحاك وقيل نزلت في جلاس بن سويد بن الصامت وذلك أن رسول الله ﷺ خطب ذات يوم بتبوك وذكر المنافقين فسمّاهم رجساً وعابهم فقال الجلاس والله لئن كان محمد صادقاً فيما يقول فنحن شرّ من الحمير فسمعه عامر بن قيس فقال أجل والله ان محمداً لصادق وأنتم شرّ من الحمير فلما انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة أتاه عامر بن قيس فأخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب يا رسول الله فأمرهما رسول الله أن يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر فحلف بالله ما قال ثم قام عامر فحلف بالله لقد قاله ثم قال اللهم أنزل على نبيك الصادق منا الصدق فقال رسول الله ﷺ والمؤمنون آمين فنزل جبرائيل (ع) قبل أن يتفرقا بهذه الآية حتى بلغ فإن يتوبوا يك خيراً لهم فقام الجلاس فقال يا رسول الله اسمع الله قد عرض عليَّ التوبة صدق عامر بن قيس فيما قال لك لقد قلته وأنا أستغفر الله

وأتوب إليه فقبل رسول الله ﷺ ذلك منه عن الكلبي ومحمد بن اسحاق ومجاهد وقيل نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول حين قال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزَّ منها الأذل عن قتادة وقيل نزلت في أهل العقبة فإنهم ائتمروا في أن يغتالوا رسول الله ﷺ في عقبه عند مرجعهم من تبوك وأرادوا أن يقطعوا انساع راحلته[1] ثم ينخسوا به فأطلعه الله تعالى على ذلك وكان من جملة معجزاته لأنه لا يمكن معرفة مثل ذلك إلا بوحي من الله تعالى فسار رسول الله ﷺ في العقبة وعمار وحذيفة معه أحدهما يقود ناقته والآخر يسوقها وأمر الناس كلهم بسلوك بطن الوادي وكان الذين همّوا بقتله اثني عشر رجلاً أو خمسة عشر رجلاً على الخلاف فيه عرفهم رسول الله ﷺ وسمّاهم بأسمائهم واحداً واحداً عن الزجاج والواقدي والكلبي والقصة مشروحة في كتاب الواقدي وقال الباقر عليه السلام كانت ثمانية منهم من قريش وأربعة من العرب .

[**المعنى**] ثم أظهر سبحانه أسرار المنافقين فقال ﴿**يحلفون بالله ما قالوا**﴾ يعني أنهم حلفوا كاذبين ما قالوا ما حكي عنهم ثم حقَّق عليهم ذلك وأقسم سبحانه بأنهم قالوا ذلك لأن اللام في ﴿**لقد قالوا**﴾ لام القسم و ﴿**كلمة الكفر**﴾ كل كلمة فيها جحد لنعم الله تعالى وكانوا يطعنون في الإسلام ﴿**وكفروا بعد إسلامهم**﴾ أي بعد اظهار إسلامهم يعني ظهر كفرهم بعد أن كان باطناً ﴿**وهمّوا بما لم ينالوا**﴾ قيل فيه ثلاثة أقوال (أحدها) انهم همّوا بقتل النبي ﷺ ليلة العقبة والتنفير بناقته عن الكلبي ومجاهد وغيرهما (وثانيها) انهم همّوا باخراج الرسول من المدينة فلم يبلغوا ذلك عن قتادة والسدي (وثالثها) انهم همّوا بالفساد والتضريب بين أصحابه ولم ينالوا ذلك عن الجبائي ﴿**وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله**﴾ معناه أنهم عملوا بضدّ الواجب فجعلوا موضع شكر النعمة ان نقموها وبيانه انهم نقموا فيما ليس بموضع للنقمة فإنه لم يكن للمسلمين ذنب ينقمونه منهم بل الله تعالى أباح لهم الغنائم وأغناهم بذلك فقابلوا النعمة بالكفران وكان من حقهم أن يقابلوها بالشكر وقد مرَّ هذا المعنى عند قوله ﴿**قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا**﴾ الآية في سورة المائدة وإنما لم يقل من فضلهما لأنه لا يجمع بين اسم الله واسم غيره في الكناية تعظيماً لله ولذلك قال النبي ﷺ لمن سمعه يقول من أطاع الله ورسوله فقد اهتدى ومن عصاهما فقد غوى بئس خطيب القوم انت فقال كيف أقول يا رسول الله ﷺ قال قل ومن يعص الله ورسوله وهكذا القول في قوله سبحانه ﴿**والله ورسوله أحق أن يرضوه**﴾ وقيل إنما لم يقل من فضلها لأن فضل الله سبحانه

---

(١) الانساع جمع النِسْع : حبل طويل تشد به الرحال .

منه وفضل رسول الله من فضل الله ﴿**فإن يتوبوا يك خيراً لهم**﴾أي فإن يتب هؤلاء المنافقون ويرجعوا إلى الحق يكن ذلك خيراً لهم في الدنيا والآخرة فإنهم ينالون بذلك رضا الله ورسوله والجنة ﴿**وإن يتولوا**﴾ أي يعرضوا عن الرجوع إلى الحق وسلوك الطريق المستقيم ﴿**يعذبهم الله عذاباً أليماً**﴾ مؤلماً ﴿**في الدنيا**﴾ بما ينالهم من الحسرة والغم وسوء الذكر ﴿**و**﴾ في ﴿**الآخرة**﴾ بعذاب النار ﴿**وما لهم في الأرض**﴾ أي ليس لهم في الأرض ﴿**من وليّ**﴾ أي محبّ ﴿**ولا نصير**﴾ ينصرهم ويدفع عنهم عذاب الله .

﴿ * وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾

[**اللغة**] المعاهدة هي أن تقول علي عهد الله لأفعلنَّ كذا فإنه يكون بذلك قد عقد على نفسه وجوب ما ذكره لأن الله تعالى قد حكم بذلك وقدَّر وجوبه عليه في الشرع والبخل منع السائل لشدة الاعطاء ثم صار في الشرع لمنع الواجب لأنَّ من منع الزكاة فهو بخيل قال الرماني لا يجوز ان يكون البخل منع الواجب لمشقة الاعطاء كما قال زهير

إنَّ الْبَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلَـ . . . ـكِنَّ الْجَوادَ عَلىٰ عِلاّتِـهِ هَـرِمُ(١)

قال لأنه يلزم على ذلك أن يكون الجود هو بذل الواجب من غير مشقة الاعطاء وكان من قضى ديناً عليه يكون جواداً لأنه أدّى الواجب من غير مشقة وإنما قال زهير ما قاله لأن البخل

(١) قوله علاته أي على كل حال . وهرم : صاحب زهير وهو هرم بن سنان بن أبي حارثة المري من بني مرة بن عوف .

صفة نقص قال ومن منع ما لا يضرّه بذله ولا ينفعه منعه مما تدعو اليه الحكمة فهو بخيل لأنه لا يقع المنع على هذه الصفة إلا لشدة في النفس وإن لم يرجع الى ضرّ اذ الشدة من غير ضرّ معقولة كما يصفون الجورة بأنها لئيمة لاجل الشدّة وأعقبه وأورثه وادّاه نظاير وقد يكون اعقبه بمعنى جازاه قال النابغة

فَمَنْ أَطَاعَ فَأَعْقِبْهُ بِطَاعَتِهِ كَمَا أَطَاعَكَ وأدْلُلْهُ عَلَى الرَّشَدِ
وَمَنْ عَصَاكَ فَعَاقِبْهُ مُعَاقَبَةً تَنْهَى الظَّلُومَ ولَا تَقْعُدْ علىٰ ضَمَدٍ(١)

والنجوى الكلام الخفي يقال ناجيته وتناجوا وانتجوا وفلان نجيّ فلان والجمع أنجية قال:

إِنِّي إذا مَا القَوْمُ كَانُوا أَنْجِيَة وَاضْطَرَبَ الْقَوْمُ اضْطِرَابَ الأَرْشِيَة(٢)

وأصله من النجوى وهو البعد كأن المتناجين قد تباعدا من غيرهما وقيل هو من النجوة أي المكان المرتفع الذي لا يصل اليه السيل فكأنهما رجعا حديثهما إلى حيث لا يصل إليه غيرهما .

[**الإعراب**] معنى لمّا معنى إذا لأن لما الغالب عليها الجزاء وهي اسم يقع في جواب متى يقال متى كان كذا فيقول السامع لمّا كان كذا ولمّا ولولا يكونان لما مضى بخلاف إنْ وإذا فإنهما لما يستقبل الا أن لولا على تقدير نفي وجوب الثاني لانتفاء الأول ولمّا يدل على وقوع الثاني لوقوع الأول. فلما آتاهم من فضله المفعول الثاني محذوف تقديره فلما آتاهم ما تمنوه من فضله لنصَّدقنَّ أصله لنتصدَّقن أدغمت التاء في الصاد .

[**النزول**] قيل نزلت في ثعلبة بن حاطب وكان من الأنصار فقال للنبي ﷺ ادع الله أن يرزقني مالاً فقال يا ثعلبة قليل تؤدّي شكره خير من كثير لا تطيقه أما لك في رسول الله أسوة حسنة والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت ثم أتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالاً لأعطينَّ كل ذي حقّ حقّه فقال ﷺ اللهم ارزق ثعلبة مالاً قال فاتخذ غنماً فنمت كما ينمو الدود فضاقت

(١) الظلوم : الظالم والضمد : الحقد أي عاقبة بمقدار يتنبّه منه لا بمقدار شفاء الغيظ والحقد .

(٢) قائله سحيم بن وثيل اليربوعي . والارشية جمع الرشاء : الحبل عموماً أو حبل الدلو، وخبر إنَّ في بيت بعده وهو قوله « هناك أوصيني ولا تومي بيه » .

عليه المدينة فتنحى عنها فنزل وادياً من أوديتها ثم كثرت نموّاً حتى تباعد عن المدينة فاشتغل بذلك عن الجمعة والجماعة وبعث رسول الله ﷺ اليه المصدق ليأخذ الصدقة فأبى وبخل وقال ما هذه إلا أخت الجزية فقال رسول الله ﷺ يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة وأنزل الله الآيات عن أبي أمامة الباهلي وروى ذلك مرفوعاً وقيل ان ثعلبة أتى مجلساً من الأنصار فأشهدهم فقال لئن أتاني الله من فضله تصدقت منه وآتيت كل ذي حق حقه ووصلت منه القرابة فابتلاه الله فمات ابن عم له فورثه مالاً ولم يف بما قال فنزلت عن ابن عباس وسعيد ابن جبير وقتادة وقيل نزلت في ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وهما من بني عمرو بن عوف قالا لئن رزقنا الله مالاً لنصَّدقنَّ فلما رزقهما الله المال بخلا به عن الحسن ومجاهد وقيل نزلت في رجال من المنافقين نبتل بن الحارث وجدّ بن قيس وثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير عن الضحاك وقيل نزلت في حاطب بن أبي بلتعة كان له مال بالشام فأبطأ عليه وجهد لذلك جهداً شديداً فحلف لئن آتاه الله ذلك المال ليصدقن فآتاه الله تعالى ذلك فلم يفعل عن الكلبي .

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه عنهم فقال ﴿**ومنهم**﴾ أي من جملة المنافقين الذين تقدَّم ذكرهم ﴿**من عاهد الله لئن آتانا من فضله**﴾ أي لئن أعطانا من رزقه ﴿**لنصَّدقنَّ**﴾ أي لنتصدقنّ على الفقراء ﴿**ولنكونن من الصالحين**﴾ بإنفاقه في طاعة الله وصلة الرحم ومؤاساة اهل الحاجة ﴿**فلما آتاهم من فضله**﴾ أي أعطاهم ما اقترحوه ورزقهم ما تمنّوه من الأموال ﴿**بخلوا به**﴾ أي شحّت نفوسهم عن الوفاء بالعهد ومنعوا حق الله منه ﴿**وتولوا**﴾ عن فعل ما أمرهم الله به ﴿**وهم معرضون**﴾ عن دين الله تعالى ﴿**فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم**﴾ أي فأورثهم بخلهم بما أوجبوا الله تعالى على أنفسهم النفاق في قلوبهم وأدّاهم الى ذلك عن الحسن كأنهم حصلوا على النفاق بسبب البخل وهذا كمن يقول لابنه اعقبك صحبة فلان ترك التعلم وقيل معناه أعقبهم الله بذلك حرمان التوبة كما حرم ابليس عن مجاهد وأراد بذلك أنه دلّنا على أنه لا يتوب كما دلّنا من حال ابليس على أنه لا يتوب لأنه سلب عنه قدرة التوبة ﴿**إلى يوم يلقونه**﴾ أي يلقون جزاء البخل فذكر البخل وأراد به جزاءه كقوله سبحانه ﴿**أعمالهم كرماد اشتدت به الريح**﴾ وعلى القول الثاني فمعناه الى يوم يلقون الله أي اليوم الذي لا يملك فيه النفع والضرّ الا الله تعالى وهذا اخبار من الله تعالى عن هؤلاء المنافقين انهم يموتون على النفاق وكان ذلك معجزة للنبي ﷺ لأنه خرج مخبره على وفق خبره ﴿**بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون**﴾ بيّن سبحانه أن هذا إنما أصابهم بفعلهم السيء وهو اخلافهم الوعد وكذبهم ﴿**ألم يعلموا**﴾ أي ألم يعلم هؤلاء المنافقون ان الله يعلم سرَّهم أي ما يخفون في أنفسهم

﴿ **ونجواهم**﴾ ما يتناجون به بينهم وهذا استفهام يراد به التوبيخ المعنى أنه يجب عليهم أن يعلموا ذلك ﴿**وإن الله علام الغيوب**﴾ جمع غيب وهو كل ما غاب عن الاجسام ومعناه يعلم كل ما غاب عن العباد وعن ادراكهم من موجود أو معدوم من كل وجه يصح ان يعلم منه لأن الا صيغة مبالغة وفي قوله ﴿**فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم**﴾ الآية دلالة على أن بعض المعاصي قد يدعو إلى بعض بأنهم لما تهاونوا باداء هذا الحق دعاهم ذلك إلى الثبات على النفاق الى الممات وكذلك يدعو بعض الطاعات الى بعض وعلى ذلك ترتيب الشرائع وفيه دلالة على أن الاخلاف والخيانة والكذب من اخلاق أهل النفاق وقد صحَّ في الحديث عن النبي ﷺ انه قال للمنافق ثلاث علامات اذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان.

﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾

[**اللغة**] المطوع أصله المتطوع أدغمت التاء في الطاء لأنها من مخرجها والطاء أفضل منها بالاستعلاء والاطباق والتطوع كل فعل يستحق المدح بفعله ولا يستحق الذم بتركه ونظيره النافلة والفضيلة والجهد والجُهد بمعنى وهو الحمل على النفس بما يشقّ وقيل بينهما فرق والجَهد بالفتح في العمل وبالضم في القوت عن الشعبي وقيل الجَهد بالفتح المشقة وبالضم الطاعة عن القتيبي .

[**الإعراب**] يجوز أن يكون موضع الذين يلمزون جراً بأن يكون بدلاً من الهاء والميم في قوله ومنهم من عاهد الله ويحتمل أن يكون رفعاً على الابتداء وخبره سخر الله منهم وهذا أولى وقوله في الصدقات من صلة يلمزون ولا يكون من صلة المطوعين لأنه فصَّل بينهما قوله من المؤمنين والذين لا يجدون عطف على الذين يلمزون .

[**المعنى**] ثم وصفهم الله بصفة أخرى فقال ﴿**الذين يلمزون**﴾ أي يعيبون

﴿**المطوِّعين**﴾ المتطوعين بالصدقة ﴿**من المؤمنين**﴾ ويطعنون عليهم ﴿**في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم**﴾ أي ويعيبون الذين لا يجدون إلا طاقتهم فيتصدقون بالقليل قيل اتاه عبد الرحمن بن عوف بصُرَّة من دارهم تملأ الكف وأتاه عقبة بن زيد الحارثي بصاع من تمر وقال يا رسول الله عملت في النخل بصاعين فصاعاً تركته لأهلي وصاعاً اقرضته ربي وجاء زيد بن أسلم بصدقة فقال معتب بن قشير وعبد الله بن نبتل ان عبد الرحمن رجل يحبّ الريا ويبتغي الذكر بذلك وان الله غني عن الصاع من التمر فعابوا المكثر بالريا والمقلَّ بالاقلال ﴿**فيسخرون منهم**﴾ أي فيستهزؤون منهم ﴿**سخر الله منهم**﴾ أي جازاهم جزاء سخريتهم حيث صاروا إلى النار ﴿**ولهم عذاب أليم**﴾ أي موجع مؤلم وروي عن النبي ﷺ انه سئل فقيل يا رسول الله أيّ الصدقة أفضل قال جهد المقلّ[1] ﴿**استغفر لهم أو لا تستغفر لهم**﴾ صيغته صيغة الأمر والمراد به المبالغة في الاياس من المغفرة بأنه لو طلبها طلب المأمور بها أو تركها ترك المنهي عنها لكان ذلك سواء في أن الله تعالى لا يفعلها كما قال سبحانه في موضع آخر سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ﴿**ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم**﴾ الوجه في تعليق الاستغفار بسبعين مرة المبالغة لا العدد المخصوص ويجري ذلك مجرى قول القائل « لو قلت لي الف مرة ما قبلت » والمراد اني لا أقبل منك فكذلك الآية والمراد بذلك فيها نفي الغفران جملة وقيل ان العرب تبالغ بالسبعة والسبعين ولهذا قيل للأسد السبع لأنهم تأوّلوا فيه لقوته انها ضوعفت له سبع مرات واما ما ورد أن النبي ﷺ قال والله لأزيدنَّ عن السبعين فإنه خبر واحد لا يعوّل عليه ولا يتضمن ان النبي ﷺ يستغفر للكفار وذلك غير جائز بالاجماع وقد روي انه قال لو علمت أنه لو زدت على السبعين مرة غفر لهم لفعلت ويحتمل أن يكون النبي ﷺ يرجو أن يكون لهم لطف يصلحون به فعزم على الاستغفار لهم فلما بيَّن الله عزّ اسمه انه ليس لهم لطف ترك ذلك ويحتمل أن يكون قد استغفر لهم قبل ان يعلم بكفرهم ونفاقهم ويحتمل أن يكون قد استغفر لهم قبل أن يخبر بأن الكافر لا يغفر له أو قبل أن يمنع منه ويجوز ان يكون استغفاره لهم واقعاً بشرط التوبة من الكفر فمنعه الله منه وأخبره بأنهم لا يؤمنون أبداً فلا فائدة في الاستغفار لهم والله أعلم بحقيقة الأمر ﴿**ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله**﴾ معناه أنّ حرمان المغفرة لهم بكفرهم بالله ورسوله ﴿**والله لا يهدي القوم الفاسقين**﴾ مرَّ معناه .

﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ

(١) أي قدر ما يحتمله حال القليل المال قاله الجزري في النهاية.

بِمَقْعَدِهِمْ خِلَـٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ
أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ
كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ
مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُواْ
مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾

[**اللغة**] المُخَلَّف المتروك خلف من مضى ومثله المُؤَخَّر عمن مضى والفرح ضدُّ الغم وهو لذة في القلب بنيل المشتهى ومثله السرور وقال البصريون من المعتزلة ان السرور والغمّ يرجعان إلى الاعتقاد فالسرور اعتقاد وصول منفعة اليه في المستقبل أو دفع ضرر مظنون عنه أو معلوم والغمّ اعتقاد وصول ضرر إليه في المستقبل أو فوت منفعة عنه وإليه ذهب المرتضى قدّس الله روحه والخلاف مصدر خالفته مخالفة وخلافاً وزعم أبو عبيدة أن معناه بعد وانشد :

عَقَبَ الـرَّبِيـعُ خِـلافَهُـم فَكَـأَنَّـمـا بَـسَطَ الشَّـواطِبُ بَيْـنَهُـنَّ حَـصيـراً

والشواطب النساء يقددن الأديم بعد ما يقدرنه والخالف كل من تأخرَّ عن الشاخص والمتخلف بمعناه والضحك حال تفتح وانبساط يظهر في وجه الإنسان عن تعجب مع فرح والبكاء حال تقبض يظهر عن غم في الوجه مع جري الدموع على الخدّ.

[**الإعراب**] خلاف نصب على المصدر بمعنى المفعول له إذا جعلته بمعنى المخالفة وإذا جعلته بمعنى خلف فهو نصب على الظرف فليضحكوا إنما سكنت لام الأمر ولم تسكن لام الإضافة لأنها تؤذن بعملها للجر المناسب لها فلذلك الزمت الحركة مع ان العوامل في الاسماء أقوى من العوامل في الأفعال جزاءً نصب على المصدر أي يجزون جزاءً على افعالهم التي اكتسبوها.

[**المعنى**]ثم أخبر سبحانه ان جماعة من المنافقين الذين خلَفهم النبي ﷺ ولم

يخـرجهم معه إلى تبـوك(١) استأذنـوه في التأخـر فأذن لهم فـرحوا بقعـودهم فقـال ﴿**فـرح المخلفون بمقعدهم**﴾ أي بقعودهم عن الجهاد ﴿**خلاف رسول الله**﴾ أي بعـده وقيل معنـاه لمخالفتهم النبي ﷺ ﴿**وكرهوا ان يجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله**﴾ ظاهر المعنى ﴿**وقالوا**﴾ أي قالوا للمسلمين ليصدّوهم عن الغزو ﴿**لا تنفروا في الحرّ**﴾ أي لا تخرجوا إلى الغزو سراعاً في هذا الحرّ وقيل بل معناه قال بعضهم لبعض ذلك طلباً للراحة والدعة وعدولاً عن تحمل المشاق في طاعة الله ومرضاته ﴿**قل**﴾ يا محمد لهم ﴿**نار جهنم**﴾ التي وجبت لهم بالتخلف عن أمر الله تعالى ﴿**أشدُّ حرّاً**﴾ من هذا الحرّ فهي اولى بالاحتراز والحذر عنها إذ لا يعتد بهذا الحر في جنب ذلك الحر ﴿**لو كـانوا يفقهـون**﴾ أوامر الله تعـالى ووعده ووعيـده ﴿**فليضحكـوا قليلاً وليبكـوا كثيراً**﴾ هـذا تهديـد لهم في صورة الأمـر أي فليضحك هؤلاء المنافقون في الدنيا قليلاً لأن ذلك يفنى وان دام إلى الموت ولأن الضحك في الدنيا قليـل لكثرة احزانها وهمومها وليبكوا كثيراً في الآخرة لأن ذلك يوم مقداره وخمسين الف سنة وهم فيه يبكون فصار بكاؤهم كثيراً ﴿**جزاء بما كانوا يكسبون**﴾ من الكفر والنفاق والتخلف بغير عذر عن الجهاد قال ابن عباس ان أهل النفاق ليبكون في النار عمر الدنيا فلا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم وروى انس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ﴿**فإن رجعك الله**﴾ يا محمد أي فإن ردَّك الله من غزوتك هذه وسفرك هذا ﴿**إلى طائفة منهم**﴾ أي من المنافقين الذين تخلَّفوا عنك وعن الخروج معك ﴿**فـاستأذنـوك للخروج**﴾ معك إلى غزوة أخرى ﴿**فقل لن تخرجوا معي ابداً**﴾ إلى غزوة ﴿**ولن تقاتلوا معي عدوّاً**﴾ ثم بيَّن سبحانه سبب ذلك فقال ﴿**أنكم رضيتم بالقعود أول مرة**﴾ أي عن غزوة تبوك ﴿**فاقعدوا مع الخالفين**﴾ في كل غزوة واختلف في المراد بالخالفين فقيل معناه مع النسـاء والصبيان عن الحسن والضحاك وقيل مع الرجال الذين تخلفوا من غير عذر عن ابن عباس وقيل مع المخالفين قال الفراء يقال عبد خالف وصـاحب خالف إذا كـان مخالفـاً وقيل مـع الخساس والادنياء يقال فلان خالفة اهله إذا كان ادونهم وقيل مع أهل الفساد من قولهم خلف الرجل على أهله يخلف خلوفاً إذا فسد ونبيذ خالف أي فاسد وخلف فم الصائم إذا تغيرت ريحه وقيل مع المرضى والزمنى وكل من تأخر لنقص عن الجبائي .

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ

(١) [لما] .

كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

[**الإعراب**] مات جملة في موضع جرّ صفة لاحد وتقديره على أحد ميت منهم وابداً منصوب لأنه ظرف لقوله تصلّ وإنما كسرانَّ من قوله إنّهم كفروا وان كان في موضع التعليل لتحقيق الاخبار بأنهم على الصفة التي ذكرها.

[**المعنى**] ثم نهى سبحانه نبيَّه ﷺ عن الصلاة عليهم فقال **﴿ولا تُصَلّ﴾** يا محمد **﴿على أحد منهم﴾** أي من المنافقين **﴿مات ابداً﴾** أي بعد موته فإنه عليه السلام كان يصلّي عليهم ويجزي عليهم احكام المسلمين **﴿ولا تقم على قبره﴾** أي لا تقف على قبره للدعاء فإنه (ع) كان إذا صلّى على ميت يقف على قبره ساعة ويدعو له فنهاه الله تعالى عن الصلاة على المنافقين والوقوف على قبورهم والدعاء لهم ثم بيَّن سبحانه سبب الأمرين فقال **﴿انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾** فما صلّى رسول الله ﷺ بعد ذلك على منافق حتى قبض وفي هذه الآية دلالة على أن القيام على القبر للدعاء عبادة مشروعة ولولا ذلك لم يخصَّ سبحانه بالنهي عنه الكافر وروي أنه ﷺ صلّى على عبد الله بن أبي والبسه قميصه قبل ان ينهي عن الصلاة على المنافقين عن ابن عباس وجابر وقتادة وقيل إنه ﷺ أراد أن يصلي عليه فأخذ جبرائيل بثوبه وتلا عليه ولا تصلِّ على أحد منهم الآية عن انس والحسن وروي أنه قيل لرسول الله لم وجَّهت بقميصك اليه يكفن فيه وهو كافر فقال ان قميصي لن تغني عنه من الله شيئاً واني اؤمل من الله ان يدخل بهذا السبب في الإسلام خلق كثير فروي أنه اسلم الف من الخزرج لما رأوه يطلب الاستشفاء بثوب رسول الله ﷺ ذكره الزجاج قال والاكثر في الرواية أنه لم يصلّ عليه **﴿ولا تعجبك أموالهم وأولادهم﴾** الخطاب للنبي ﷺ والمراد به الأمة **﴿إنما يريد الله أن يعذّبهم بها في الدنيا﴾** بما يلحقهم فيها من المصائب والغموم وبما يأخذها منهم المسلمون على وجه الغنيمة وبما يشقّ عليهم من اخراجها في الزكاة والانفاق في سبيل الله مع اعتقادهم بطلان الإسلام فيشدُّ عليهم فيكون ذلك عذاباً لهم **﴿وتزهق انفسهم﴾** أي تهلك بالموت **﴿وهم كافرون﴾** أي في حال كفرهم وقد مضى تفسير مثل هذه الآية وإنما كرّر للتذكير في موطنين مع بعد أحدهما عن الآخر

ويجوز ان يكون الآيتان في فريقين من المنافقين فيكون كما يقول القائل لا تعجبك حال زيد ولا تعجبك حال عمرو عن الجبائي .

﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾

[**اللغة**] قال الزجاج الخوالف النساء لتخلفن عن الجهاد ويجوز أن يكون جمع خالفة في الرجال والخالف والخالفة الذي هو غير نجيب ولم يأت في فاعل فواعل صفة إلا في حرفين قالوا فارس وفوارس وهالك وهوالك والطبع والختم بمعنى واحد والخيرات المنافع التي تسكن النفس اليها وترتاح لها من النساء الحسان وغيرهن من نعيم الجنان واحدها خيرة قال الشاعر:

وَلَقَدْ طَعَنْتُ مَجَامِعَ الرَّبَلاتِ رَبَلاتِ هِنْدٍ خَيْرَةِ المَلَكَاتِ(١)

وقال المبرد الخيرات الجواري الفاضلات جمع خيرة وقيل يجوز أن يكون خيرة بالتشديد فخففت نحو هين وهين والاعداد جعل الشيء مهيئاً لغيره وأصله من العدد لأنه قد عدد الله جميع ما يحتاج إلى تقديمه له من الأمور ومثله اتخاذ الاعتاد .

[**الأعراب**] ان آمنوا في موضع نصب بحذف حرف الجر على تقدير بأن آمنوا أي

---

(١) الربلات جمع الربلة : كل لحمة غليظة وقيل هي باطن الفخذ .

بالإيمان ولا يجوز الحذف مع صريح المصدر .

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه تمام اخبار المنافقين فقال ﴿**وإذا أنزلت سورة**﴾ من القرآن على محمد ﷺ ﴿**أن آمنوا بالله**﴾ أي بأن آمنوا وهو خطاب للمؤمنين وأمر لهم بأن يدوموا على الإيمان ويتمسَّكوا به في مستقبل الاوقات ويدخل فيه المنافق ويتناوله الأمر بأن يستأنف الإيمان ويترك النفاق ﴿**وجاهدوا مع رسوله**﴾ أي اخرجوا إلى الجهاد معه فكأنه قال آمنوا أنتم وادعوا الى الإيمان غيركم ﴿**استأذنك**﴾ أي طلب الأذن منك في القعود ﴿**أولوا الطول**﴾ أي أولوا المال والقدرة والغنى عن ابن عباس وغيره ﴿**منهم**﴾ أي من المنافقين ﴿**وقالوا ذرنا**﴾ أي دعنا ﴿**نكن مع القاعدين**﴾ أي المتخلفين عن الجهاد من النساء والصبيان وإنما لحق هؤلاء الذم لأنهم أقوى على الجهاد ﴿**ورضوا بأن يكونوا مع الخوالف**﴾ أي رضوا لنفوسهم ان يقعدوا مع النساء والصبيان والمرضى والمقعدين ﴿**وطبع على قلوبهم**﴾ ذكرنا معنى الطبع فيما تقدم قال الحسن هؤلاء قوم قد بلغوا الحد الذي من بلغه مات قلبه ﴿**فهم لا يفقهون**﴾ أوامر الله ونواهيه ولا يتدبَّرون الأدلة ثم مدح النبي ﷺ والمؤمنين فقال سبحانه ﴿**لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم**﴾ ينفقونها في سبيل الله ومرضاته ﴿**وأنفسهم**﴾ يقاتلون الكفار ثم اخبر سبحانه عما أعدَّ لهم من الجزاء على انقيادهم الله ورسوله فقال ﴿**وأولئك لهم الخيرات**﴾ من الجنة ونعيمها وقيل الخيرات المنافع والمدح والتعظيم في الدنيا والثواب والجنة في الآخرة ﴿**وأولئك هم المفلحون**﴾ أي الظافرون بالوصول إلى البغية ﴿**أعدَّ الله لهم**﴾ أي هيَّأ وخلق لهم ﴿**جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها**﴾ مضى تفسيره في غير موضع ﴿**ذلك**﴾ اشارة إلى ما تقدَّم ذكره ﴿**الفوز العظيم**﴾ والفوز النجاة من الهلكة الى حال النعمة وسميت المهلكة مفازة تفاؤلاً لها بالنجاة وإنما وصفه بالعظيم لأنه حاصل على وجه الدوام وبالأعزاز والاجلال والاكرام .

﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾

[**القراءة**] قرأ يعقوب وقتيبة المُعْذرون بسكون العين وتخفيف الذال وهي قراءة ابن عباس والضحاك ومجاهد والباقون بفتح العين وتشديد الذال .

[**الحجة**] من قرأ بالتخفيف أراد الذين يأتون بالعذر ومن قرأ بالتشديد احتمل أمرين

(أحدهما) ان يكون المراد المتعذرون كان لهم عذر أو لم يكن وإنما ادغم التاء في الذال لقرب مخرجهما (والثاني) أنه أراد المقصرون من التعذير فالمعذر المقصر الذي يريك انه معذور ولا عذر له والمعذر المبالغ الذي له عذر والمعتذر يقال لمن عذر ولمن لا عذر له قال لبيد «ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر» أي اتى بعذر.

[**المعنى**] لمّا تقدم حديث المخلفين صنّف الله تعالى الاعراب منهم صنفين فقال سبحانه ﴿**وجاء المعذرون من الاعراب**﴾ أي المقصّرون الذين يعتذرون وليس لهم عذر عن اكثر المفسرين وقيل هم المعتذرون الذين لهم عذر وهم نفر من بني غفار عن ابن عباس قال ويدلّ عليه قوله ﴿**وقعد الذين كذبوا الله ورسوله**﴾ فعطف الكاذبين عليهم فدلّ ذلك على ان الأولين في اعتذارهم صادقون وقيل معناه الذين يتصوّرون بصورة اهل العذر وليسوا كذلك ﴿**ليؤذن لهم**﴾ في التخلف عن الجبائي ﴿**وقعد الذين كذبوا الله ورسوله**﴾ أي وقعدت طائفة من المنافقين من غير ان اعتذروا وهم الذين كذبوا فيما كانوا يظهرونه من الإيمان ﴿**سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم**﴾ قال أبو عمرو بن العلافي هذه الآية كلا الفريقين كان مسيئاً جاء قوم فعذروا وجنح آخرون فقعدوا يريد أن قوماً تكلّفوا عذراً بالباطل وتخلّف آخرون من غير تكلف عذر واظهار علة جرأة على الله ورسوله .

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى
ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ
وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾
وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ
عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا
يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ
أَغْنِيَآءُ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ
فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

[**اللغة**] النصح اخلاص العمل من الغش والحمل اعطاء المركوب من فرس او بعير أو غير ذلك تقول حمله يحمله حملاً إذا اعطاه ما يحمل عليه قال:

أَلَا فَتًى عِنْدَهُ خُفَّانِ يَحْمِلُنِي عَلَيْهِمَا إِنَّنِي شَيْخٌ عَلَى سَفَرِ

والفيض الجري عن امتلاء من قولهم فاض الاناء بما فيه والحزن الم في القلب بفوت أمر مأخوذ من حزن الأرض وهي الأرض الغليظة المسلك.

[**الإعراب**] حزناً نصب لأنه مفعول له أي يبكون للحزن ولا يجدوا منصوب بأن وموضع ان لا يجدوا نصب تقديره لأن لا يجدوا حذف الجار فوصل الفعل.

[**النزول**] قيل إن الآية الاولى نزلت في عبد الله بن زائدة وهو ابن أم مكتوم وكان ضرير البصر جاء إلى رسول الله ﷺ فقال يا نبي الله أني شيخ ضرير خفيف الحال نحيف الجسم وليس لي قائد فهل لي رخصة في التخلف عن الجهاد فسكت النبي ﷺ فأنزل الله الآية عن الضحاك وقيل نزلت في عائذ بن عمرو واصحابه عن قتادة والآية الثانية نزلت في البكائين وهم سبعة نفر منهم عبد الرحمن بن كعب وعتبة بن زيد وعمرو بن غنمة وهؤلاء من بني النجار وسالم بن عمير وهرم بن عبد الله وعبد الله بن عمرو بن عوف وعبد الله بن معقل من مزينة جاؤا إلى رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله أحملنا فإنه ليس لنا ما نخرج عليه فقال لا أجد ما احملكم عليه عن أبي حمزة الثمالي وقيل نزلت في سبعة نفر من قبائل شتى اتوا النبي ﷺ فقالوا له احملنا على الخفاف والبغال عن محمد بن كعب وابن إسحاق وقيل كانوا جماعة من مزينة عن مجاهد وقيل كانوا سبعة من فقراء الانصار فلما بكوا حمل عثمان منهم رجلين والعباس بن عبد المطلب رجلين ويامين بن كعب النضري ثلاثة عن الواقدي قال وكان الناس بتبوك مع رسول الله ﷺ ثلاثين الفاً منهم عشرة آلاف فارس.

[**المعنى**] ثم ذكر سبحانه أهل العذر فقال ﴿**ليس على الضعفاء**﴾ وهم الذين قوتهم ناقصة بالزمانة والعجز عن ابن عباس وقيل هم الذين لا يقدرون على الخروج ﴿**ولا على المرضى**﴾ وهم أصحاب العلل المانعة من الخروج ﴿**ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون**﴾ يعني من ليست معه نفقة الخروج وآلة السفر ﴿**حرج**﴾ أي ضيق وجناح في التخلف وترك الخروج مع رسول الله ﷺ ﴿**إذا نصحوا لله ورسوله**﴾ بأن يخلصوا العمل من الغش ثم قال سبحانه ﴿**ما على المحسنين من سبيل**﴾ أي ليس على من فعل الحسن الجميل في التخلف عن الجهاد طريق للتقريع في الدنيا والعذاب في الآخرة وقيل هو عام في كل محسن

والإحسان هو ايصال النفع إلى الغير لينتفع به من تعريه من وجوه القبح ويصحُّ ان يحسن الإنسان إلى نفسه ويحمد على ذلك وهو إذا فعل الأفعال الجميلة التي يستحق بها المدح والثواب ﴿**والله غفور**﴾ أي ساتر على ذوي الأعذار بقبول العذر منهم ﴿**رحيم**﴾ بهم لا يلزمهم ما فوق طاقتهم ثم عطف عليه فقال ﴿**ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم**﴾ أي ولا على الذين إذا جاؤك يسألونك مركباً يركبونه فيخرجون معك إلى الجهاد إذ ليس معهم من الأموال والظهر ما يمكنهم الخروج به في سبيل الله ﴿**قلت لا أجد ما احملكم عليه**﴾ أي لا أجد مركباً تركبونه ولا ما اسوّي به أمركم ﴿**تولّوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً الا يجدوا ما ينفقون**﴾ أي رجعوا عنك وأعينهم تسيل بالدمع لحزنهم ان لا يجدوا ما يركبونه من الدواب وينفقونه في الطريق ليخرجوا معكم ولحرصهم على الخروج المعنى وليس على هؤلاء أيضاً حرج في التخلف عن الجهاد وليس عليهم سبيل للذّم والعقاب ﴿**إنما السبيل**﴾ والطريق بالعقاب والحرج ﴿**على الذين يستأذنونك وهم اغنياء**﴾ أي يطلبون الاذن منك يا محمد في المقام وهم مع ذلك اغنياء متمكنون من الجهاد في سبيل الله ﴿**رضوا بأن يكونوا مع الخوالف**﴾ من النساء والصبيان ومن لا حراك به ﴿**وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون**﴾ قد تقدَّم بيانه.

﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا
تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى اللَّهُ
عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ
لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ
جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن
تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾

[النزول] قيل نزلت الآيات في جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما من

المنافقين وكانوا ثمانين رجلاً ولما قدم النبي ﷺ المدينة راجعاً من تبوك قال لا تجالسوهم ولا تكلموهم عن ابن عباس وقيل نزلت في عبد الله بن ابي حلف للنبي ﷺ ان لا يتخلف عنه بعدها وطلب الى النبي ﷺ ان يرضى عنه عن مقاتل.

[**المعنى**] ثم اخبر الله سبحانه عن هؤلاء القوم الذين تأخروا عن الخروج مع النبي ﷺ فقال ﴿**يعتذرون اليكم**﴾ من تأخرهم عنكم بالأباطيل والكذب إذا رجعتم اليهم أي إذا انصرفتم إلى المدينة من غزوة تبوك ﴿**قل** ﴾ يا محمد ﴿**لا تعتذروا لن نؤمن لكم**﴾ أي لسنا نصدّقكم على ما تقولون ﴿**قد نبّأنا الله من اخباركم**﴾ أي قد أخبرنا الله واعلمنا من اخباركم وحقيقة أمركم ما علمنا به كذبكم وقيل انه أراد به قوله سبحانه لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالاً الآية ﴿**وسيرى الله عملكم ورسوله**﴾ أي سيعلم الله فيما بعد ورسوله عملكم هل تتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه وقيل معناه سيعلم الله أعمالكم وعزائمكم في المستقبل ويظهر ذلك لرسوله فيعلمه الرسول بإعلامه إياه فيصير كالشيء المرئي لأن أظهر ما يكون الشيء أن يكون مرئياً كما علم ذلك في الماضي فأعلم به الرسول ﴿**ثم تردّون إلى عالم الغيب والشهادة**﴾ أي ترجعون بعد الموت إلى الله سبحانه الذي يعلم ما غاب وما حضر وما يخفي عليه السر والعلانية ﴿**فينبئكم بما كنتم تعملون**﴾ أي يخبركم باعمالكم كلها حسنها وقبيحها فيجازيكم عليها اجمع ﴿**سيحلفون بالله لكم**﴾ أي سيقسم هؤلاء المنافقون والمتخلفون فيما يعتذرون به اليكم أيها المؤمنون ﴿**إذا انقلبتم إليهم**﴾ انهم إنما تخلفوا العذر ﴿**لتعرضوا عنهم**﴾ أي لتصفحوا عن جرمهم ولا توبّخوهم ولا تعنفّوهم ثم أمر الله سبحانه نبيه ﷺ والمؤمنين فقال ﴿**فأعرضوا عنهم**﴾ أي اعراض ردّ وانكار وتكذيب ومقت ثم بيّن عن سبب الإعراض فقال ﴿**انهم رجس**﴾ أي نجس ومعناه انهم كالشيء المنتن الذي يجب الاجتناب عنه فاجتنبوهم كما تجتنب الأنجاس ﴿**ومأواهم جهنم**﴾ أي مصيرهم ومالهم ومستقرهم جهنم ﴿**جزاء بما كانوا يكسبون**﴾ أي مكافاة على ما كانوا يكسبونه من المعاصي ﴿**يحلفون لكم لترضوا عنهم**﴾ أي طلباً لمرضاتكم عنهم أيها المؤمنون ﴿**فإن ترضوا عنهم**﴾ لجهلكم بحالهم ﴿**فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين**﴾ الخارجين من طاعته إلى معصيته لعلمه بحالهم ومعناه أنه لا ينفعهم رضاكم عنهم مع سخط الله عليهم وارتفاع رضاه عنهم وإنما قال سبحانه ذلك لئلا يتوهم انه إذا رضي المؤمنون فقد رضي الله والمراد بذلك أنه إذا كان الله لا يرضى عنهم فينبغي لكم أيضاً ان لا ترضوا عنهم وفي هذا دلالة على ان من طلب بفعله رضا الناس ولم يطلب رضا الله سبحانه فإن الله يسخط الناس عليه كما جاء في

الحديث عن النبي ﷺ أنه قال من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وارضى عنه الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه واسخط عليه الناس .

﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير وأبو عمرو دائرة السُوء بضم السين وفي سورة الفتح مثله والباقون بفتح السين وقرأ ورش وإسماعيل عن نافع قُرُبة بضم الراء والباقون قُرْبة بسكون الراء .

[**الحجة**] قال أبو علي الدائرة لا تخلو اما ان تكون صفة أو بمنزلة العاقبة والعافية والصفة أكثر في الكلام فينبغي ان يحمل عليها فالمعنى عليها انها خلة تحيط بالانسان حتى لا يكون له منها مخلص واضيفت إلى السَوْء أو إلى السُوء على الوجهين على وجه التأكيد والزيادة في التبيين ولو لم تضف لعلم هذا المعنى منها كما ان نحو قوله شمس النهار كذلك والسوء الرداءة والفساد وهو خلاف الصدق الذي في قولك ثوب صدق وليس الصدق من صدق اللسان كما ان السوء ليس من سُؤْتُهُ في المعنى وان كان اللفظ واحداً يدلك على ذلك أناك اضفته إلى ما لا يجوز عليه الصدق والكذب في الأخبار واما دائرة السُوء بالضمة فكقولك دائرة الهزيمة ودائرة البلاء فاجتمعا في جواز اضافة الدائرة اليهما من حيث اريد بكل واحد منهما الرداءة والفساد فمن قال دائرة السوء فتقديره الاضافة الى الرداءة والفساد ومن قال

دائرة السوء فتقديره دائرة الضرر والمكروه من قولهم سُؤْتُهُ مساءة ومسائية والمعنيان متقاربان قال أبو الحسن دائرة السوء كما تقول رجل السوء وانشد :

وَكُنْتَ كَـذِئـبِ الـسَّـوْءِ لَـمَّـا رَأى دَمـاً بِصَـاحِبِهِ يَـوْمـاً أَحَـالَ عَلَى الـدَّمِ (١)

واما قوله قربة فالأصل حركة الراء والاسكان للتخفيف كما في الرسل والكتب والأذن والطنب واما قربات فينبغي ان يثقل لأنه إذا ثقل ما اصله التخفيف نحو الظلمات والغرفات فإن تقرّ الحركة الثانية في الكلمة الواحدة اجدر ومثل قولهم قُرْبة وقُرُبة يُسْرة ويُسُرة هُذْنة وهُذُنة حكاه محمد بن يزيد .

[اللغة] رجل عربي اذا كان من العرب وان سكن البلاد ورجل اعرابي إذا كان ساكناً في البادية والعرب صنفان عدنانية وقحطانية والفضل للعدنانية برسول الله ﷺ واجدر مأخوذ من جدر الحائط بسكون الدال وهو اصله واساسه والمغرم الغرم وهو نزول نائبة بالمال من غير خيانة واصله لزوم الأمر ومنه قوله ان عذابها كان غراماً أي لازما وحب غرام أي لازم والغريم يقال لكل واحد من المتداينين للزوم أحدهما الآخر وغرمته كذا أي الزمته إياه في ماله والتربص الأنتظار ومنه التربص بالطعام لزيادة الاسعار واصله التمسك بالشيء لعاقبة والدوائر جمع دائرة هي من حوادث الدهر وقيل الحال المنقلبة عن النعمة الى البلية والدائرة الدولة والقربة هي طلب الثواب والكرامة من الله تعالى بحسن الطاعة .

[**الإعراب**] أجدر ان لا يعلموا أنْ في موضع نصب لأن الباء محذوفة والمعنى اجدر بترك العلم تقول أنت جدير أن تفعل وجدير بأن تفعل أي هذا الفعل ميسرّ لك وإذا حذفت الباء لم يصلح إلا بأن وان اثبت الباء صلح بأن وغيرها تقول أنت جدير بأن تقوم وجدير بالقيام وإنما صلح مع ان الحذف لأن ان يدل على الاستقبال فكأنهما عوض من المحذوف وصلوات الرسول عطف على قوله ما ينفق وموضعه نصب وتقديره ويتخذ النفقة وصلوات الرسول ويتخذ قربات وقيل صلوات معطوف على قربات على معنى يطلبون بالانفاق قربة الله وصلوات الرسول عن الجبائي .

[**المعنى**] لمَّا تقدَّم ذكر المنافقين بيَّن سبحانه أن الاعراب منهم اشدّ في ذلك وأكثر جهلاً فقال ﴿**الاعراب أشدُّ كفراً ونفاقاً**﴾ يريد الاعراب الذين كانوا حول المدينة وإنما كان

---

(١) قائله الفرزدق يذمُّ صاحبه بالجفاء فإن الذئاب (على ما حكى عن الدميري) ان اجتمعت على انسان وأدمى الانسان واحداً منها وثب الباقون على المدمى فمزّقوه وتركوا الانسان.

كفرهم اشد لأنهم اقسى واجفى من أهل المدن وهم أيضاً ابعد من سماع التنزيل وانذار الرسل عن الزجاج ومعناه أنّ سكان البوادي إذا كانوا كفاراً أو منافقين فهم أشدُّ كفراً من أهل الحضر لبعدهم عن مواضع العلم واستماع الحجج ومشاهدة المعجزات وبركات الوحي ﴿**واجدر أن لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله**﴾ أي وهم أحرى وأولى بأن لا يعلموا حدود الله في الفرائض والسنن والحلال والحرام ﴿**والله عليم**﴾ باحوالهم ﴿**حكيم**﴾ فيما يحكم به عليهم ﴿**ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً**﴾ أي ومن منافقي الاعراب من يَعُدُّ ما ينفق في الجهاد وفي سبيل الخير مغرماً لحقه لأنه لا يرجو به ثواباً ﴿**ويتربَّص بكم الدوائر**﴾ أي وينتظر بكم الدوائر أي صروف الزمان وحوادث الايام والعواقب المذمومة قال الزجاج والفراء كانوا يتربصون بهم الموت أو القتل فكانوا ينتظرون موت النبي ﷺ ليرجعوا إلى دين المشركين واكثر ما يستعمل الدائرة في زوال النعمة إلى الشدة والعافية إلى البلاء ويقولون كانت الدائرة عليهم وكانت الدائرة لهم ثم ردَّ سبحانه ذلك عليهم فقال ﴿**عليهم دائرة السوء**﴾ أي على هؤلاء المنافقين دائرة البلاء يعني أن ما ينتظرون بكم هؤلاء حقٌّ بهم وهم المغبون أبداً ﴿ **والله سميع** ﴾ لمقالاتهم ﴿ **عليم** ﴾ بنياتهم لا يخفى عليه شيء من حالاتهم بيَّن سبحانه من الاعراب المؤمنين فقال ﴿ **ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر**﴾ ومنهم من يرجع إلى سلامة الاعتقاد في التصديق بالله وبالقيامة والجنة والنار ﴿**ويتخذ ما ينفق قربات عند الله**﴾ أي ويريد بنفقته في الجهاد وغير ذلك من اعمال البرّ قربات جمع قربة وهي الطاعة أي طاعات عند الله وتعظيم امره ورعاية حقه وقيل معناه يتقرّب الى الله بإنفاقه ويطلب بذلك ثوابه ورضاه ﴿**وصلوات الرسول**﴾ أي دعاؤه بالخير والبركة عن قتادة وقيل استغفاره عن ابن عباس والحسن ومعناه انه يرغب في دعاء النبي ﷺ ﴿**الا انها قربة لهم**﴾ معناه الا ان صلوات الرسول قربة لهم تقرّبهم إلى ثواب الله ويجوز ان يكون المعنى إنَّ نفقتهم قربة لهم إلى الله ﴿**سيدخلهم الله في رحمته**﴾ هذا وعد منه سبحانه بأن يرحمهم ويدخلهم الجنة وفيه مبالغة بأن الرحمة غمرتهم ووسعتهم ﴿**ان الله غفور**﴾ لذنوبهم ﴿**رحيم**﴾ بأهل طاعته وهما من الفاظ المبالغة في الوصف بالمغفرة والرحمة .

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ
وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ
لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ

ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾

[**القراءة**] قرأ يعقوب والانصار بالرفع وهي قراءة عمر بن الخطاب والحسن وقتادة والقراءة المشهورة والانصار بالجر وقرأ ابن كثير وحده من تحتها بزيادة من وكذلك هو في مصاحف مكة وقرأ الباقون تحتها بغير من وعليه سائر المصاحف والمعنى واحد.

[**الحجة**] من قرأ بالرفع عطفه على قوله السابقون ومن قرأ بالجر عطفه على المهاجرين واما قوله والذين اتبعوهم باحسان فيجوز ان يكون معطوفاً على الانصار في رفعه وجرّه ويجوز أن يكون معطوفاً على السابقون وان يكون معطوفاً على الانصار اولى لقربه منه .

[**الاعراب**] السابقون مبتدأ والأولون صفته من المهاجرين تبيين لهم والذين اتبعوهم ان حملته على السابقون كان مرفوعاً وان حملته على الانصار كان مجروراً وخبر الاسماء كلها رضي الله عنهم ورضوا عنه واعدَّ لهم عطف على رضي فالوقف على قوله خالدين فيها ابداً .

[**النزول**] قيل نزلت هذه الآية فيمن صلى الى القبلتين عن سعيد بن المسيب والحسن وابن سيرين وقتادة وقيل نزلت فيمن بايع بيعة الرضوان وهي بيعة للحديبية عن الشعبي قال ومن اسلم بعد ذلك وهاجر فليس من المهاجرين الأولين وقيل هم اهل بدر عن عطاء بن رياح وقيل هم الذين اسلموا قبل الهجرة عن الجبائي .

[**المعنى**] لمّا تقدم ذكر المنافقين والكفار عقَّبه سبحانه بذكر السابقين إلى الإيمان فقال **﴿والسابقون الأولون﴾** أي السابقون إلى الإيمان وإلى الطاعات وإنما مدحهم بالسبق لأن السابق إلى الشيء يتبعه غيره فيكون متبوعاً وغيره تابع له فهو إمام فيه وداع له إلى الخير بسبقه إليه وكذلك من سبق الى الشرّ يكون اسوء حالاً لهذه العلة **﴿من المهاجرين﴾** الذين هاجروا من مكة إلى المدينة وإلى الحبشة **﴿والانصار﴾** أي ومن الأنصار الذين سبقوا نظراءهم من اهل المدينة إلى الإسلام ومن قرأ والأنصارُ بالرفع لم يجعلهم من السابقين وجعل السبق للمهاجرين خاصة **﴿والذين اتبعوهم بإحسٰن﴾** أي بأفعال الخير والدخول في الإسلام بعدهم وسلوك مِنهاجهم ويدخل في ذلك من يجيء بعدهم إلى يوم القيامة **﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾** أخبر سبحانه أنه رضي عنهم افعالهم ورضوا عن الله سبحانه لما اجزل لهم من الثواب على طاعاتهم وإيمانهم به ويقينهم **﴿وأعدَّ لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها ابداً﴾** أي يبقون ببقاء الله منعمين **﴿ذلك الفوز العظيم﴾** أي الفلاح

العظيم الذي يصغر في جنبه كل نعيم وفي هذه الآية دلالة على فضل السابقين ومزيتهم على غيرهم لما لحقهم من انواع المشقة في نصرة الدين فمنها مفارقة العشائر والأقربين ومنها مباينة المألوف من الدين ومنها نصرة الإسلام وقلة العدد وكثرة العدو ومنها السبق الى الإيمان والدعاء إليه واختلف في أول من أسلم من المهاجرين فقيل ان أول من آمن خديجة بنت خويلد ثم علي بن أبي طالب (ع) وهو قول ابن عباس وجابر بن عبد الله وانس وزيد بن ارقم ومجاهد وقتادة وابن إسحاق وغيرهم قال انس بعث النبي ﷺ يوم الأثنين وصلى عليّ عليه السلام وأسلم يوم الثلاثاء وقال مجاهد وابن إسحاق انه أسلم وهو ابن عشر سنين وكان مع رسول الله ﷺ أخذه من أبي طالب وضمَّه إلى نفسه يربيه في حجره وكان معه حتى بعث نبياً وقال الكلبي أنه اسلم وله تسع سنين وقيل اثنتا عشرة سنة عن أبي الأسود قال السيد أبو طالب الهروي وهو الصحيح وفي تفسير الثعلبي روى إسماعيل بن أياس بن عفيف عن أبيه عن جده عفيف قال كنت امرءاً تاجراً فقدمت مكة أيام الحج فنزلت على العباس بن عبد المطلب وكان العباس لي صديقاً وكان يختلف إلى اليمن يشتري العطر فيبيعه أيام الموسم فبينما أنا والعباس بمنى إذ جاء رجل شاب حين حلقت الشمس في السماء فرمى ببصره إلى السماء ثم استقبل الكعبة فقام مستقبلها فلم يلبث حتى جاء غلام فقام عن يمينه فلم يلبث ان جاءت امرأة فقامت خلفهما فركع الشاب فركع الغلام والمرأة فخرَّ الشاب ساجداً فسجدا معه فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة فقلت يا عباس أمر عظيم فقال أمر عظيم فقلت ويحك ما هذا فقال هذا ابن أخي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يزعم ان الله بعثه رسولاً وان كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه وهذا الغلام علي بن ابي طالب وهذه المرأة خديجة بنت خويلد وزوجة محمد تابعاه على دينه وأيم الله ما على ظهر الأرض كلها احد على هذا الدين غير هؤلاء فقال عفيف الكندي بعد ما اسلم ورسخ الإسلام في قلبه يا ليتني كنت رابعاً وروي ان ابا طالب قال لعلي عليه السلام اي بني ما هذا الدين الذي أنت عليه قال يا أبه آمنت بالله ورسوله وصدقته فيما جاء به وصليت معه لله فقال له ان محمداً ﷺ لا يدعو الا إلى خير فالزمه وروى عبد الله بن موسى عن العلاء بن صالح عن المنهال بن عمرو عن عبادة بن عبد الله قال سمعت علياً (ع) يقول انا عبد الله وأخو رسوله وانا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي الا كذابٌ مفتر صليت قبل الناس بسبع سنين وفي مسند السيد أبي طالب الهروي مرفوعاً إلى أبي أيوب عن النبي ﷺ قال صلت الملائكة عَلَيَّ وعلى عَلّي سبع سنين وذلك انه لم يصل فيها أحد غيري وغيره وقيل ان اول من أسلم بعد خديجة أبو بكر عن إبراهيم النخعي وقيل اول من اسلم بعدها زيد بن حارثة عن الزهري وسليمان بن يسار وعروة بن الزبير وروى

الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده مرفوعاً إلى عبد الرحمن بن عوف في قوله سبحانه والسابقون الأولون قال هم عشرة من قريش اولهم إسلاماً علي بن أبي طالب (ع) .

﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾

[**اللغة**] حول الشيء المحيط به من حال يحول إذا دار بالانقلاب ومنه الحول للسنة والمحالة لأنها تدور في المحور والمراد أصله الملاسة ومنه صرح ممّرد أي مملس والأمرد الذي لا شعر على وجهه والمرداء الرملة التي لا تنبت شيئاً ذكره علي بن عيسى وقيل اصله الظهور والمارد الذي ظهر شرّه وشجرة مرداء إذا تساقط ورقها فظهرت عيدانها ورجل امرد لظهور مكان الشعر منه عن ابن عرفة ومرد الرجل يمرد مروداً إذا عتا وخرج من الطاعة واعياً خبثا ومنه شيطان مارد ومريد وفي المثل تمرد مارد وعز الابلق وهما حصنان .

الإعراب] ومن أهل المدينة مردوا أي قوم مردوا فحذف الموصوف ويجوز ان يكون التقدير ومن اهل المدينة منافقون مردوا على النفاق ففصل بين الصفة والموصوف بالظرف وآخرون اعترفوا معطوف على قوله من الاعراب منافقون وكذلك وآخرون مرجون وان شئت قدّرت ومنهم آخرون .

[**المعنى**] ثم عاد الكلام إلى ذكر المنافقين فقال سبحانه ﴿**وممن حولكم**﴾ اي ومن جملة من حولكم يعني حول مدينتكم ﴿**من الاعراب**﴾ وهم الذين يسكنون البدو إذا كانوا مطبوعين على العربية ﴿**منافقون**﴾ يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر وقيل انهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار وكانت منازلهم حول المدينة ﴿**ومن اهل المدينة**﴾ أيضاً منافقون وإنما حذف لدلالة الأول عليه ﴿**مردوا على النفاق**﴾ أي مرنوا على النفاق وتجرءوا عليه عن الفراء وقيل معناه أقاموا عليه لم يتوبوا منه كما تاب غيرهم عن ابن زيد وابان بن تغلب وقيل معناه

لجوافيه وأبوا غيره عن ابن إسحاق وقيل فيه تقديم وتأخير وتقديره وممن حولكم من الاعراب منافقون مردوا على النفاق ومن اهل المدينة ايضاً مثل ذلك عن الزجاج **﴿لا تعلمهم﴾** يا محمد أي لا تعرفهم **﴿نحن نعلمهم﴾** اي نعرفهم **﴿سنعذّبهم مرتين﴾** فيه اقوال (أحدها) ان معناه نعذّبهم في الدنيا بالفضيحة فإن النبي ﷺ ذكر رجالاً منهم وأخرجهم من المسجد يوم الجمعة في خطبته وقال أخرجوا فإنكم منافقون ويعذّبهم في القبر عن ابن عباس والسدي والكلبي وقيل مرة في الدنيا بالسبي والقتل ومرة في الآخرة بعذاب القبر عن مجاهد وروى حصيف عنه عذبوا بالجوع مرتين وقيل أحداهما أخذ الزكاة منهم والأخرى عذاب القبر عن الحسن وقيل أحداهما غيظهم من أهل الإسلام والأخرى عذاب القبر عن ابن إسحاق وقيل ان الأولى ضرب الملائكة وجوههم وادبارهم عند قبض ارواحهم والأخرى عذاب القبر وقيل ان الأولى إقامة الحدود عليهم والأخرى عذاب القبر عن ابن عباس وكل ذلك محتمل غير انا نعلم ان المرتين معاً قبل أن يردّوا إلى عذاب النار **﴿ثم يردّون إلى عذاب عظيم﴾** أي يرجعون يوم القيامة إلى عذاب مؤبد في النار **﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم﴾** يعني من أهل المدينة أو من الاعراب آخرون أقرُّوا بذنوبهم وليس براجع الى المنافقين والاعتراف الإقرار بالشيء عن معرفة **﴿خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً﴾** يعني انهم يفعلون أفعالاً جميلة ويفعلون افعالاً سيئة قبيحة والتقدير وعملاً آخر سيئاً **﴿عسى الله ان يتوب عليهم﴾** قال المفسرون عسى من الله واجبة وإنما قال عسى حتى يكونوا بين طمع واشفاق فيكون ذلك ابعد من الاتكال على العفو واهمال التوبة وفي هذا دلالة على بطلان القول بالإحباط لأنه لو صحَّ الاحباط لكان احد العملين إذا طرأ على الآخر احبطه وابطله فلم يجتمعا فلا يكون لقوله خلطوا معنى وقال بعض التابعين ما في القرآن آية ارجى لهذه الأمة من هذه الآية وقد يستعمل لفظ الخلط في الجمع من غير امتزاج يقال خلط الدراهم والدنانير وقيل أنه يجري مجرى قولهم استوى الماء والخشبة أي مع الخشبة وقيل ان خلط بالتخفيف في الخير وخلط بالتشديد في الشر **﴿ان الله غفور رحيم﴾** هذا تعليل لقبول التوبة من العصاة اي لأنه غفور رحيم.

[النزول] قال أبو حمزة الثمالي بلغنا أنهم ثلاثة نفر من الأنصار أبو لبابة بن عبد المنذر وثعلبة بن وديعة وأوس بن حذام تخلّفوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند مخرجه إلى تبوك فلما بلغهم ما أنزل الله فيمن تخلف عن نبيه أيقنوا بالهلاك وأوثقوا أنفسهم بسواري[1] المسجد فلم يزالوا كذلك حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(١) جمع السارية : بمعنى الاسطوانة .

فسأل عنهم فذكر له أنهم أقسموا أن لا يحلّون أنفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحلّهم وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا أقسم لا أكون أول من حلّهم إلا أن أؤمر فيهم بأمر فلما نزل ﴿**عسى الله أن يتوب عليهم**﴾ عمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليهم فحلّهم فانطلقوا فجاؤا بأموالهم إلى رسول الله فقالوا هذه أموالنا التي خلفتنا عنك فخذها وتصدّق بها عنا قال (ع) ما أمرت فيها فنزل﴿**خذ من أموالهم صدقة**﴾الآيات وقيل أنهم كانوا عشرة رهط منهم أبو لبابة عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وقيل كانوا ثمانية منهم أبو لبابة وهلال وكردم وأبو قيس عن سعيد بن جبير وزيد بن أسلم وقيل كانوا سبعة عن قتادة وقيل كانوا خمسة وروي عن أبي جعفر الباقر (ع) أنها نزلت في أبي لبابة ولم يذكر غيره معه وسبب نزولها فيه ما جرى منه في بني قريظة حين قال إن نزلتم على حكمه فهو الذبح وبه قال مجاهد وقيل نزلت فيه خاصة حين تأخر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك فربط نفسه بسارية على ما تقدم ذكره عن الزهري ثم قال أبو لباب يا رسول الله إن من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأنا أنخلع من مالي كله قال يجزيك يا أبا لبابة الثلث وفي جميع الأقوال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث أموالهم وترك الثلثين لأن الله تعالى قال ﴿ **خذ من أموالهم** ﴾ ولم يقل خذ أموالهم .

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً
تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ
وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ
عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾
وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ
إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر أن صلاتك وفي هود أصلاتك على التوحيد وقرأ الباقون أن صلواتك أصلواتك على الجمع .

[**الحجة**] قال أبو علي الصلاة في اللغة الدعاء قال الأعشى في الخمر :

وَقَابَلَهَا الرِّيحُ فِي دَنِّهَا وَصَلَّى عَلَى دَنِّهَا وَآرْتَسَمْ(١)

فكان معنى صَلِّ عليهم إدع لهم فإن دعاءك لهم تسكن إليه نفوسهم وتطيب به فأما قولهم صلى الله على رسوله وملائكته فلا يقال فيه أنه دعاء لهم من الله تعالى كما لا يقال في نحو ويل للمطففين ونحوه أنه دعاء عليهم ولكن المعني فيه أن هؤلاء ممن يستحق عندكم أن يقال فيهم هذا النحو من الكلام وكذلك قوله ﴿ **بل عجبت** ﴾ ويُسخرون فيمن ضم الياء وهذا مذهب سيبويه فإذا كانت الصلاة مصدراً وقع على الجمع والمفرد على لفظ واحد كصوت الحمير فإذا إختلف جاز أن يجمع لاختلاف ضروبه كما قال إن أنكر الأصوات فأما من زعم أن الصلاة أولى لأن الصلاة للكثرة والصلوات للقليل فلم يكن قوله متجهاً لأن الجمع بالتاء قد يقع على الكثير كما يقع على القليل كقوله ﴿ **وهم في الغرفات آمنون** ﴾ وقوله ﴿ **إن المسلمين والمسلمات** ﴾ وقوله ﴿ **إن المصدقين والمصدقات** ﴾ فقد يقع هذا الجمع على الكثير كما يقع على القليل .

[**الإعراب**] قوله ﴿ **تطهّرهم** ﴾ إنما ارتفع لأحد أمرين إما أن يكون صفة لصدقة ويكون التاء للتأنيث ويكون قوله بها للتبيين ويكون التقدير صدقة مطهرة وإما أن يكون التاء خطاباً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والتقدير فإنك تطهّرهم بها فتكون صفة لصدقة أيضاً ويكون الضمير في بها للصدقة الموصوفة وأما وتزكّيهم فلا يكون إلا للخطاب وقيل أن تطهرهم يجوز أن يكون على الاستئناف وحمله على الإتصال أولى .

[**المعنى**] ثم خاطب سبحانه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمره بأخذ الصدقة من أموالهم تطهيراً لهم وتكفيراً لسيئاتهم فقال ﴿ **خذ** ﴾ يا محمد ﴿ **من أموالهم** ﴾ إدخل مِنْ للتبعيض لأنه لم يجب أن يصدق بالجميع وإنما قال من أموالهم ولم يقل من مالهم حتى يشتمل على أجناس المال كلها وهذا يدل على وجوب الأخذ من سائر أموال المسلمين لاستوائهم في أحكام الدين إلا ما خصَّه الدليل ﴿ **صدقة** ﴾ قيل أراد بها الأمر بأن يأخذ الصدقة من أموال هؤلاء التائبين تشديداً للتكليف وليست بالصدقة المفروضة بل هي على سبيل الكفارة للذنوب التي أصابوها عن الحسن وغيره وقيل أراد بها الزكاة المفروضة عن الجبائي وأكثر أهل التفسير وهو الظاهر لأن حمله على الخصوص بغير دليل لا وجه له فيكون

(١) الدن : راقود أصغر من الحب . وارتسم الرجل : كبر ودعا .

أمراً بأن يأخذ من المالكين للنصاب الزكاة من الورق إذا بلغ مائتي درهم ومن الذهب إذا بلغ عشرين مثقالاً ومن الإبل إذا بلغت خمساً ومن البقر إذا بلغت ثلاثين ومن الغنم إذا بلغت أربعين ومن الغلات والثمار إذا بلغت خمسة أوسقة ﴿ **تطهّرهم وتزكيهم بها** ﴾ معناه تطهّرهم تلك الصدقة عن دنس الذنوب وتزكّيهم أنت بها أي تنسبهم إلى الزكاة وتدعو لهم بما يصيرون به أزكياء وقيل معناه تطهّرهم أنت وتزكّيهم أنت بها فيكون كلا الفعلين مضافاً إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ **وصلّ عليهم** ﴾ هذا أمر من الله تعالى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يدعو لمن يأخذ منه الصدقة ومعناه إدع لهم بقبول صدقاتهم كما يقول الداعي آجرك الله فيما أعطيت وبارك لك فيما أبقيت وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان إذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صَلِّ عليهم وقال عبد الله بن أبي أوفى وكان من أصحاب الشجرة فأتاه ابن أبي أوفى بصدقة فقال اللهم صل على آل أبي أوفى أورده البخاري ومسلم في الصحيح ﴿ **إن صلاتك سكن لهم** ﴾ أي إن دعواتك مما تسكن نفوسهم إليه وقيل رحمة لهم عن ابن عباس وقيل وقار وطمأنينة لهم أن الله قد قبل مهم عن قتادة والكلبي وقيل تثبيت لهم عن أبي عبيدة ﴿ **والله سميع عليم** ﴾ يسمع دعاءك لهم ويعلم ما يكون منهم في الصدقات ﴿ **ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده** ﴾ إستفهام يراد به التنبيه على ما يجب أن يعلم فالمخاطب إذا رجع إلى نفسه وفكّر فيما نبَّه عليه علم وجوبه وإنما وجب أن يعلم أن الله يقبل التوبة لأنه إذا علم ذلك كان ذلك داعياً إلى فعل التوبة والتمسك بها والمسارعة إليها وما هذه صورته يجب العلم به ليحصل به الفوز بالثواب والخلاص من العقاب والسبب فيه أنهم لما سألوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يأخذ من أموالهم ما يكون كفارة لذنوبهم إمتنع من ذلك إنتظاراً لأذن من الله سبحانه فيه فبيَّن الله أنه ليس قبول التوبة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآله وسلم وإن ذلك إلى الله عزَّ اسمه فإنه الذي يقبلها ﴿ **ويأخذ الصدقات** ﴾ أي يتقبلها ويضمن الجزاء عليها قال الجبائي جعل الله أخذ النبي والمؤمنين للصدقات أخذاً من الله على وجه التشبيه والمجاز من حيث كان بأمره وقد ورد الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال أن الصدقة تقع في يد الله قبل أن تصل إلى يد السائل والمراد بذلك أنها تنزل هذا التنزيل ترغيباً للعباد في فعلها وذاك يرجع إلى تضمن الجزاء عليها ﴿ **وإن الله هو التواب الرحيم** ﴾ عطف على ما قبله ولذلك فتح أن وقد مرَّ تفسيره ﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** ﴾ هذا أمر من الله سبحانه لنبيه أن يقول للمكلفين اعملوا ما أمركم الله به عمل من يعلم أنه مجازاً على فعله فإن الله سيرى عملكم وإنما أدخل سين الاستقبال لأن ما لم يحدث لا يتعلق به

الرؤية فكأنه قال كل ما تعملونه يراه الله تعالى وقيل أراد بالرؤية هاهنا العلم الذي هو المعرفة ولذلك عدّاه إلى مفعول واحد أي يعلم الله تعالى ذلك فيجازيكم عليه ويراه رسوله أي يعلمه فيشهد لكم بذلك عند الله تعالى ويراه المؤمنون قيل أراد بالمؤمنين الشهداء وقيل أراد بهم الملائكة الذين هم الحفظة الذين يكتبون الأعمال وروى أصحابنا أن أعمال الأمة تعرض على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كل إثنين وخميس فيعرفها وكذلك تعرض على أئمة الهدى عليهم السلام فيعرفونها وهم المعنيون بقوله ﴿ **والمؤمنون** ﴾ وإنما قال سيرى الله مع أنه سبحانه عالم بالأشياء قبل وجودها لأن المراد بذلك أنه سيعلمها موجودة بعد أن علمها معدومة وكونه عالماً بأنها ستوجد هو كونه عالماً بوجودها إذا وجدت لا يتجدد حال له بذلك ﴿ **وستردّون إلى عالم الغيب والشهادة** ﴾ أي سترجعون إلى الله الذي يعلم السر والعلانية ﴿ **فينبئكم** ﴾ أي يخبركم ﴿ **بما كنتم تعملون** ﴾ ويجازيكم عليه .

﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

[**القراءة**] قرأ أهل المدينة والكوفة غير أبي بكر مرجون بغير همز والباقون مرجؤن بالهمز .

[**الحجة**] قال الأزهري الإرجاء يهمز ولا يهمز أرجأت الأمر وأرجيته أخرته وأرجأت الحامل دنت لأن يخرج ولدها فهي مرجىء ومرجئة وأرجت بغير همز أيضاً .

[**النزول**] قال مجاهد وقتادة نزلت الآية في هلال بن أمية الواقفي ومرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهم من الأوس والخزرج وكان كعب بن مالك رجل صدق غير مطعون عليه وإنما تخلف توانياً عن الاستعداد حتى فاته المسير وانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال والله مالي من عذر ولم يعتذر إليه بالكذب فقال (ع) صدقت فمر حتى يقضي الله فيك وجاء الآخران فقالا مثل ذلك وصدقا فنهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن مكالمتهم وأمر نساءهم باعتزالهم حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت فأقاموا على ذلك خمسين ليلة وبنى كعب خيمة على سلع[1] يكون فيها وحده وقال في ذلك :

(١) السلع : جبل بالمدينة .

أَبَعْدَ دُورِبَنِي القَيْنِ الْكِرَامِ وَمَا شَادُوا عَلَيَّ بَنَيْتُ البَيْتَ مِنْ سَعَفٍ(١)

ثم نزلت التوبة عليهم بعد الخمسين في الليل وهو قوله تعالى﴿ **وعلى الثلاثة الذين خلّفوا** ﴾ الآية فأصبح المسلمون يبتدرونهم ويبشّرونهم قال كعب فجئت إلى رسول الله في المسجد وكان (ع) إذا سرّ يستبشر كان وجهه فلقة قمر فقال لي ووجهه يبرق من السرور أبشر بخير يوم طلع عليك شرقه منذ ولدتك أمّك قال كعب فقلت أمن عند الله أم من عندك يا رسول الله فقال من عند الله وتصدّق كعب بثلث ماله شكراً لله على توبته .

[**المعنى**] ثم عطف سبحانه على ما قبله من قوله ﴿ **وآخرون اعترفوا بذنوبهم** ﴾ فقال ﴿ **وآخرون مرجون لأمر الله** ﴾ أي مؤخرون موقوفون لما يرد من أمر الله تعالى فيهم ﴿ **أما يعذّبهم وأما يتوب عليهم** ﴾ لفظة أما وقوع أحد الشيئين والله سبحانه عالم بما يصير إليه أمرهم ولكنّه سبحانه خاطب العباد بما عندهم ومعناه ولكن كان أمرهم عندكم على هذا أي على الخوف والرجاء وهذا يدل على صحة مذهبنا في جواز العفو عن العصاة لأنه سبحانه بيَّن أن قوماً من العصاة يكون أمرهم إلى الله تعالى إن شاء عذَّبهم وإن شاء قبل توبتهم فعفا عنهم ويدلُّ أيضاً على أن قبول التوبة تفضل من الله سبحانه لأنه لو كان واجباً لما جاز تعليقه بالمشيئة ﴿ **والله عليم** ﴾ بما يؤول إليه حالهم ﴿ **حكيم** ﴾ فيما يفعله بهم .

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا
وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ
وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾
لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ
أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ
ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ

(١) شاد البناء : رفعه . والسعف : جريد النخل .

وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ
فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾
لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾

[**القراءة**] قرأ أهل المدينة وابن عامر الذين اتخذوا بغير واو والباقون بالواو وقرأ نافع وابن عامر أُسِّس بضم الألف بنيانُه بالرفع في الموضعين وقرأ الباقون أَسَّس بنيانَه فيهما وفي الشواذ قراءة نصر بن عاصم أُسُسُ بُنيانِه على وزن فُعُل وقراءة نصر بن علي أَساس بُنيانه وقرأ ابن عامر وحمزة وحماد ويحيى عن أبي بكر وخلف جُرْف بالتخفيف والباقون جُرُف بالتثقيل وقرأ يعقوب وسهل إلى أنْ على أنه حرف الجر وهو قراءة الحسن وقتادة والجحدري وجماعة ورواه البرقي عن أبي عبد الله وقرأ الباقون إلّا أنْ مشددة اللام وقرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة وحفص وسهل ورويس عن يعقوب تَقَطَّع بفتح التاء والتشديد وقرأ روح تُقْطع بضم التاء مخففاً وقرأ الباقون تُقَطّع بضم التاء مشدداً .

[**الحجة**] من أثبت الواو في الذين عطفه على ما تقدم والتقدير ومنهم الذين إتخذوا مسجداً ومن حذف الواو ابتدأ الكلام وأضمر الخبر بعده كما أضمر في قوله ﴿ **إن الذين كفروا** ﴾ ويصدُّون عن سبيل الله والمسجد الحرام إلى قوله ﴿ **والباد** ﴾ والمعنى فيه ينتقم منهم أو يعذّبهم ونحو ذلك وحسن الحذف في الموضعين لطول الكلام بالمبتدأ وصلته ويجوز أن يكون على أن تضمر ومنهم فيكون تقديره ومنهم الذين اتخذوا كما أضمرت الحرف مع الفعل في قوله ﴿ **وأما الذين إسودَّت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم** ﴾ أي فيقال لهم أكفرتم ولا يجوز أن يكون الذين بدلاً من قوله ﴿ **وآخرون مرجون** ﴾ لأن المرجئين لأمر الله غير الذين إتخذوا مسجداً ضراراً فلا يجوز أن يبدلوا منهم ومن قرأ أسس بنيانه بنى الفعل للفاعل كما أضاف البنيان إليه في قوله ﴿ **بنيانه** ﴾ فالمصدر مضاف إلى الفاعل والباني والمؤسس واحد ومن بنى الفعل للمفعول به لم يبعد أن يكون في المعنى كالأول لأنه إذا أسس بنيانه فيولى ذلك غيره بأمره كان كبنائه هو له فأما من قرأ أُسُسُ بنيانه في الموضعين وأساس بنيانه بالإضافة فإنهما بمعنى واحد وجمع الأس أساس كقفل وأقفال وجمع الأساس

آساس وأُسُس وأما الجُرف فالأصل فيه ضم العين والإسكان تخفيف ومثله الشُغْل والشُغُل والطُنْب والطُنُب ومن قرأ إلا أن تَقَطَّع قلوبهم فمعناه تبلى وتتقطع بالبلى أي لا تثلج قلوبهم بالإيمان أبداً(١) ومن قرأ تُقَطَّع بضم التاء فهو في المعنى مثل الأول إلا أن الفعل أُضيف إلى القطع المبلي للقلوب بالموت وفي الأول أسند إلى القلوب لما كانت هي البالية وهذا مثل مات زيد وسقط الحائط ونحو ذلك مما أسند فيه الفعل إلى من حدث فيه وإن لم يكن منه وتُقَطَّع يسند الفعل فيه إلى المقطع المُبْلي وإن لم يذكر في اللفظ فأسند الفعل الذي هو لغير القلوب في الحقيقة إلى القلوب ومن قرأ إلى أن تَقَطَّع فإنه جعله على الغاية وزعموا أن في حرف إلى حتى الممات وهذا يدل على أنهم يموتون على نفاقهم فإذا ماتوا عرفوا بالموت ما كانوا تركوه من الإيمان وأخذوا به من الكفر .

[**اللغة**] الضرار هو طلب الضرر ومحاولته كما أن الشقاق محاولة ما يشق يقال ضاره مضارة وضرار أو الارصاد الارتقاب تقول رصده يرصده رصداً وأرصد له إرصاداً قال الكسائي رصدته رقبته وأرصدته أعددته والبنيان مصدر قال أبو علي وهو جمع على حد شعيرة وشعير لأنهم قالوا بنيانة في الواحد قال أوس .

كَبُنْيَانَةِ الْقَرِيِّ مَوْضِعِ رَحْلِهَا وَآثَارُ نَسْعَيْهَا مِنَ الدَّفِ أَبْلَقُ(٢)

وجاء بناء المصدر على هذا المثال في غير هذا الحرف نحو الغفران وليس بنيان جمع بناء لأن فُعلانا إذا كان جمعاً نحو كُثْبان وقُضْبان لم تلحقه تاء التأنيث وقال أبو زيد يقال بنيت أبني بنياً وبنياناً وبناء وبنية وجمعها البنى قال :

بَنَى السَّمَاءَ فَسَوَّاهَا بِبُنْيَتِهَا وَلَمْ تَمُدَّ بِأَطْنَابٍ وَلَا عَمَدٍ

فالبناء والبنية مصدران ومن ثَمَّ قوبل به الفراش في قوله ﴿ **جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء** ﴾ فالبناء لما كان رفعاً للمبني قوبل به الفراش الذي هو خلاف البناء والتقوى خصلة من الطاعة يحترز بها من العقوبة والتقى صفة مدح لا تطلق إلا على مستحق الثواب وواو تقوى مبدلة من الياء لأنها من وقيت وإنما أبدلت للفرق بين الاسم والصفة في الأبنية مثل خزيا وشفا جرف الشيء وشفيره وجرفه نهايته في المساحة ويثنى شفوان وجرف الوادي جانبه الذي ينحفر بالماء أصله وهو من الجرف والاجتراف هو اقتلاع الشيء من أصله وهار

(١) ثلجت نفسه بالشيء : اطمأنت .

(٢) القرى : مجرى الماء . والنسع : حبل عريض طويل تشد به الرحال . والدف : الجنب من كل شيء .

الجرف يهور هوراً فهو هائر وتهـوّر وإنهار ويقـال أيضاً هـار يهار وهـار أصله هائـر وهو من المقلوب كما يقال لاث الشيء به إذا دار فهو لاث والأصل لائث وكما قالوا شاكي السلاح أي شائك قال :

فَـتُـعَـرِّفُـونـي إنَّـنـي أنـا ذاكُـمُ شَـاكٍ سِـلاحِي فِي الـحَـوادِثِ مُـعْـلَمُ

وكما قال العجاج (لاثٌ بِهِ الأَشاءُ وَالعُبْرِيُّ)[1] أي مطيف وقال أبو علي والهمز من عائر منقلبة عن الواو لأنهم قالوا تهوّر البناء إذا تساقط وتداعى وفي الحديث سار الليلة حتى إنهار الليل ثم سـار حتى تهوّر فهـذا في الليل كـالمثل والتشبيـه بالبنـاء والانهيال والانهيـار يتقاربان في المعنى كما يتقاربان في اللفظ .

[**الإعراب**] قد ذكرنا إعراب قوله ﴿ **والذين اتخـذوا في الحجة** ﴾ ويجـوز أن يكون مبتدأ وخبره لا تقم فيه أبداً كما تقول والذي يدعوك إلى الغيّ فلا تسمع الدعاء وتقديره فلا تسمع دعاءه وكذلك التقدير في الآية ﴿ **لا تقم في مسجدهم أبداً** ﴾ فحذف للاختصار ويجوز أن يكون خبر الذين قوله ﴿ **أفمن أسَّس بنيانه** ﴾ أي أفمن أسَّس بنيانه من هؤلاء أم من أسس من الذين إتخذوا ضراراً منصوب على أنه مفعول له وكذلك ما بعده والمعنى إتّخذوه للضرار والكفر والتفريق والإرصاد فلما حـذف اللام أفضى الفعـل فنصب ويجوز أن يكـون مصدراً محمولاً على المعنى لأن إتخاذهم المسجد على غير التقوى معناه ضاروا به ضراراً من أول يوم دخلت من في الزمان والأصل منذ ومذ هذا الأكثر إستعمالاً في الزمان ومن جائز دخولها أيضاً لأنها الأصل في ابتداء الغاية والتبعيض ومنه قول زهير :

لِـمَـنِ الـدِّيـارُ بِـقُـنَّـةِ الـحَـجْـرِ أَقْـوَيْـنَ مِـنْ حِـجَـجٍ وَمِـنْ شَـهْـرِ[2]

ويروى من دهر وقد قيل إن المعنى من مرَّ حجج ومن مرَّ شهر وأن تقـوم في موضـع نصب أي أحقّ بأن تقوم فيه وفيه منصـوب الموضـع بقولـه ﴿ **تقوم** ﴾ وفيـه من قولـه ﴿ **فيه رجال** ﴾ في موضع رفع لأنه خبر مبتدأ مقدم عليه والمبتدأ رجال ولا يجوز أن يكون مرفوع الموضع بكونه وصفاً لمسجد بل هو على الاستئناف والوقف التام على قوله ﴿ **أحق أن تقوم**

---

(١) الاشاء : صغار النخل . والعبرى : السدر .

(٢) قنة الحجر : موضع . واقوين أي اقفرن من أقوت الدار : خلت من ساكنيها وحجج جمع حجة : السنة . وفي شرح الأشموني « أقوين مذ حجج ومذ دهر » ولمحمد محيي الدين في شرحه كلام طويل مـراجع ج ٣ : ٣٠٩-٣١١ .

فيه ﴾ ثم استؤنف الكلام فقيل فيه رجال وإنما قلنا ذلك لأنك لو جعلت الظرف الذي هو فيه وصفاً لمسجد لكنت فصلت بين النكرة وصفتها بالخبر الذي هو أحق وقـوله ﴿ **أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله** ﴾ قال أبو علي القول فيـه أنه يجـوز أن تكون المعـادلة وقعت بين البانيين ويجوز أن يكون بين البنائين فإذا عادلت بين البانيين كان المعنى المؤسس بنيانه متقياً خير أم المؤسس بنيانه غير متق لأن قوله على شفا جرف يدل على أن بانيه غير متق لله تعالى ولا خاش له ويجوز أن يقدّر حذف المضاف كأنه أَبَنٰاهُ مَنْ أسس بنيانه متقياً خيرٌ أم بَنٰاءُ من أسس بنيانه على شفا جرف والبنيان مصدر أوقع على المبنى مثل الخلق إذا عنيت به المخلوق وضرب الأمير إذا عنيت به المضروب وكذلك نسج اليمن يدلّك على ذلك أنه لا يخلو من أن يراد به إسم الحدث أو إسم العين فلا يجوز أن يكون الحدث لأنه إنما يؤسّس المبنى الذي هو عين ويبين ذلك أيضاً قوله ﴿**على شفا جرف** ﴾ والحدث لا يعلو شفا جرف والجار في قوله ﴿ **على تقوى من الله** ﴾ وقوله ﴿**على شفا جرف** ﴾ هار في موضع نصب على الحال تقديره أفمن أسس بنيانه متقياً خيراً أم من أسس بنيانه غير متق أو معاقباً على بنائه وفاعل إنْهار البنيان أي إنهار البنيان بالباني في نار جهنم لأنه معصية وفعل لما كرهه الله تعالى من الضرار والكفر والتفريق بين المؤمنين ومن أمال هار فقد أحسن لما في الراء من التكرير فكأنك لفظت براءين مكسورتين وبحسب كثرة الكسرات تحسن الإمالة ومن لم يمل فلأن ترك الإمالة هو الأصل وقوله ﴿ **إلا أن تقطَّع قلوبهم** ﴾ موضع أن تقطع نصب تقديره إلا على تقطع قلوبهم غير أن حرف الإضافة يحذف مع أن ولا يحذف مع المصدر ومعنى إلا ههنا حتى لأنه إستثناء من الزمان المستقبل والاستثناء منـه منته إليـه فاجتمعت مـع حتى في هذا المـوضع على هـذا المعنى .

[**النزول**] قال المفسرون أن بني عمرو بن عوف اتخذوا مسجد قباء وبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتيهم فأتاهم وصلّى فيه فحسدهم جماعة من المنافقين من بني غنم بن عوف فقالوا نبني مسجداً فنصلي فيه ولا نحضر جماعة محمد وكانوا إثني عشر رجلاً وقيل خمسة عشر رجلاً منهم ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير ونبتل بن الحرث فبنـوا مسجداً إلى جنب مسجد قباء فلما فرغوا منه أتوا رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم وهو يتجهّز إلى تبوك فقالوا يا رسول الله أنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجـة والليلة المطيـرة والليلة الشاتية وأنا نحبّ أن تأتينا فتصلّي فيه لنا وتدعو بالبركة فقال صلى الله عليه وآله وسلم أني على جناح سفر ولو قدمنا أتيناكم إن شاء الله فصلينا لكم فيه فلما انصرف رسرل الله من تبوك نزلت عليه الآية في شأن المسجد .

[**المعنى**] ثم ذكر سبحانه جماعة أخرى من المنافقين بنوا مسجداً للتفريق بين المسلمين وطلب الغوائل للمؤمنين فقال ﴿ **والذين اتخذوا مسجداً** ﴾ والمسجد موضع السجود في الأصل وصار بالعرف إسماً لبقعة مخصوصة بنيت للصلاة فالأسم عرفي فيه معنى اللغة ﴿ **ضراراً** ﴾ أي مضارة يعني الضرر بأهل مسجد قباء أو مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليقل الجمع فيه ﴿ **وكفراً** ﴾ أي ولإقامة الكفر فيه وقيل أراد أنه كان إتخاذهم ذلك كفراً بالله وقيل ليكفروا فيه بالطعن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والإسلام ﴿ **وتفريقاً بين المؤمنين** ﴾ أي لاختلاف الكلمة وإبطال الإلفة وتفريق الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ **وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل** ﴾ أي أرصدوا ذلك المسجد واتخذوه وأعدوا لأبي عامر الراهب وهو الذي حارب الله ورسوله من قبل وكان من قصته أنه كان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح فلما قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة حسده وحزَّب عليه الأحزاب ثم هرب بعد فتح مكة إلى الطائف فلما أسلم أهل الطائف لحق بالشام وخرج إلى الروم وتنصر وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة الذي قتل مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد وكان جنباً فغسلته الملائكة وسمى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا عامر الفاسق وكان قد أرسل إلى المنافقين أن استعدّوا وأبنوا مسجداً فإني أذهب إلى قيصر وآتي من عنده بجنود وأخرج محمداً من المدينة فكان هؤلاء المنافقون يتوقعون أن يجيئهم أبو عامر فمات قبل أن يبلغ ملك الروم ﴿ **وليحلفنَّ أن أردنا إلا الحسنى** ﴾ معناه أن هؤلاء يحلفون كاذبين ما أردنا ببناء هذا المسجد إلا الفعلة الحسنى من التوسعة على أهل الضعف والعلة من المسلمين فأطّلع الله نبيَّه على فساد طوّيتهم(١) وخبث سريرتهم فقال ﴿ **والله يشهد أنهم لكاذبون** ﴾ وكفى لمن يشهد الله سبحانه بكذبه خزياً فوّجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند قدومه من تبوك عاصم بن عوف العجلاني ومالك بن الدخشم وكان مالك من بني عمرو بن عوف فقال لهما إنطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرّقاه وروي أنه بعث عمار بن ياسر ووحشياً فحرّقاه وأمر بأن يتخذ كناسة يلقى فيها الجيف ثم نهى الله سبحانه أن يقوم في هذا المسجد فقال ﴿ **لا تقم فيه أبداً** ﴾ أي لا تصلّ فيه أبداً يقال فلان يقوم بالليل أي يصلّي ثم أقسم فقال﴿ **لمسجد** ﴾ أي والله لمسجد ﴿ **أسس على التقوى** ﴾ أي بني أصله على تقوى الله وطاعته ﴿ **من أول يوم** ﴾ أي منذ أول يوم وضع أساسه عن المبرد ﴿ **أحق أن تقوم فيه** ﴾ أي أولى بأن تصلّي فيه واختلف في هذا

---

(١) الطوية : النية والضمير .

المسجد فقيل هو مسجد قباء عن ابن عباس والحسن وعروة بن الزبير وقيل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله عن زيد بن ثابت وابن عمر وأبي سعيد الخدري وروى هو عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال هو مسجدي هذا وقيل هو كل مسجد بني للإسلام وأريد به وجه الله عن أبي مسلم ثم وصف المسجد وأهله فقال ﴿ **فيه** ﴾ أي في هذا المسجد الذي أسس على التقوى ﴿ **رجال يحبُّون أن يتطهَّروا** ﴾ أي يحبُّون أن يصلوا لله تعالى متطهرين بأبلغ الطهارة وقيل يحبون أن يتطهروا من الذنوب عن الحسن وقيل يحبون أن يتطهروا بالماء عن الغائط والبول وهو المروي عن السيدين الباقر والصادق عليهما السلام وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لأهل قباء ماذا تفعلون في طهركم فإن الله تعالى قد أحسن عليكم الثناء قالوا نغسل أثر الغائط فقال أنزل الله فيكم ﴿ **والله يحب المطهرين** ﴾ أي المتطهرين ثم قرَّر سبحانه الفرق بين المسجدين فقال ﴿ **أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار** ﴾ قد مضى بيانه والمراد أن الله تعالى شبَّه بنيانهم على نار جهنم بالبناء على جانب نهر هذا صفته فكما أن من بنى على جانب هذا النهر فإنه ينهار بناؤه في الماء ولا يثبت فكذلك بناء هؤلاء ينهار ويسقط في نار جهنم يعني أنه لا يستوي عمل المتقي وعمل المنافق فإن عمل المؤمن المتقي ثابت مستقيم مبني على أصل صحيح ثابت وعمل المنافق ليس بثابت وهو واهٍ ساقط والألف في قوله ﴿ **أفمن** ﴾ ألف إستفهام يراد به الإنكار هاهنا وليس معنى خير في الآية أفضل بل هو كما يقال هذا خير وهذا شرٌّ وقال الشاعر :

وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرَنٍ فَالْخَيْرُ مُتَّبَعٌ وَالشَّرُّ مَحْذُورُ

وأما قوله ﴿ **وافعلوا الخير** ﴾ فإن معناه وافعلوا الأفضل وقوله ﴿ **فانهار به في نار جهنم** ﴾ أي يوقعه ذلك البناء في نا رجهنم ﴿ **والله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ مرَّ بيانه وروي عن جابر بن عبد الله أنه قال رأيت المسجد الذي بنى ضراراً يخرج منه الدخان ﴿ **لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم** ﴾ أي لا يزال بناء المبني الذي بنوه شكا في قلوبهم فيما كان من إظهار إسلامهم وثباتاً على النفاق وقيل إن معناه حزازة في قلوبهم وقيل حسرة في قلوبهم يتردّدون فيها ﴿ **إلا أن تقطَّع قلوبهم** ﴾ معناه إلا أن يموتوا والمراد بالآية أنهم لا ينزعون عن الخطيئة ولا يتوبون حتى يموتوا على نفاقهم وكفرهم فإذا ماتوا عرفوا بالموت ما كانوا تركوه من الإيمان وأخذوا به من الكفر وقيل معناه إلا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندماً وأسفاً على تفريطهم ﴿ **والله عليم** ﴾ أي عالم بنيّتهم في بناء مسجد الضرار ﴿ **حكيم** ﴾

في أمره بنقضه والمنع من الصلاة فيه .

﴿ * إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة غير عاصم فيُقتلون بضم الياء ويَقتلون بفتح الياء والباقون فيَقتلون بفتح الياء ويقتلون بضمها وفي قراءة أبي وعبد الله بن مسعود والأعمش التائبين العابدين بالياء إلى آخرها وروي ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام .

[**الحجة**] قال أبو علي من قرأ فيقتلون ويقتلون فقدَّم الفعل المسند إلى الفاعل فلأنهم يقتلون أولاً في سبيل الله ويقتلون ولا يقتلون إذا قتلوا ومن قدم الفعل المسند إلى المفعول به جاز أن يكون في المعنى مثل الأول لأن المعطوف بالواو يجوز أن يراد به التقديم فإن لم يقدر فيه التقديم كان المعنى في قوله ﴿ **فيقتلون** ﴾ بعد قوله ﴿ **يقتلون** ﴾ بقتل من بقي منهم بعد قتل من قتل وأما الرفع في قوله ﴿ **التائبون العابدون** ﴾ فعلى القطع والاستئناف أي هم التائبون ويكون على المدح وقيل أنه رفع على الابتداء وخبره محذوف بعد قوله ﴿**والحافظون لحدود الله**﴾ أي لهم الجنة أيضاً عن الزجاج وقيل أنه رفع على البدل من الضمير في يقاتلون أي يقاتل التائبون وأما التائبين العابدين فيحتمل أن يكون جراً وأن يكون نصباً أما الجر فعلى أن يكون وصفاً للمؤمنين أي من المؤمنين التائبين وأما النصب فعلى إضمار فعل بمعنى المدح كأنه قال أعني وأمدح التائبين .

[**اللغة**] السائح من ساح في الأرض يسيح سيحاً إذا استمرّ في الذهاب ومنه السيح الماء الجاري ومن ذلك يسمى الصائم سائحاً لاستمراره على الطاعة في ترك المشتهى .

[**الإعراب**] وعدا نصب على المصدر لأن قوله ﴿ **اشترى** ﴾ يدل على أنه وعد ومثله صنع الله الذي اتقن كل شيء وفطرة الله التي فطر الناس عليها .

[**المعنى**] لمّا تقدَّم ذكر المؤمنين والمنافقين عقَّب سبحانه بالترغيب في الجهاد فقال ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة** ﴾ حقيقة الإشتراء لا تجوز على الله تعالى لأن المشتري إنما يشتري ما لا يملكه وهو عزَّ إسمه مالك الأشياء كلها لكنه مثل قوله ﴿ **من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً** ﴾ في أنه ذكر لفظ الشراء والقرض تلطفاً لتأكيد الجزاء ولما كان سبحانه ضمن الثواب على نفسه عبَّر عن ذلك بالاشتراء وجعل الثواب ثمناً والطاعات مثمناً على ضرب من المجاز وأخبر أنه إشترى من المؤمنين أنفسهم يبذلونها في الجهاد في سبيل الله وأموالهم أيضاً ينفقونها إبتغاء مرضاة الله على أن يكون في مقابلة ذلك الجنة وروي عن الأعمش أنه قرأ بالجنة وهي قراءة عمر بن الخطاب والجهاد قد يكون بالسيف وقد يكون باللسان وربما كان جهاد اللسان أبلغ لأن سبيل الله دينه والدعاء إلى الدين يكون أولاً باللسان والسيف تابع له ولأن إقامة الدليل على صحة المدلول أولى وإيضاح الحق وبيانه أحرى وذلك لا يكون إلا باللسان وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يا علي لأن يهدي الله على يديك نسمة خير ممّا طلعت عليه الشمس وإنما ذكر سبحانه شراء النفس والمال لأن العبادات على ضربين بدنية ومالية ولا ثالث لهما ويروى أن الله سبحانه تاجر المؤمنين فأغلى لهم الثمن فجعل ثمنهم الجنة وكان الصادق (ع) يقول أيا من ليست له همة أنه ليس لأبدانكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها وأنشد الأصمعي للصادق (ع) .

أُثامِنُ بِالنَّفْسِ النَّفِيسَةِ رَبَّها ... فَلَيْسَ لَها في الْخَلْقِ كُلِّهِم ثَمَنُ
بِها نَشْتَري الْجَنَّاتِ إنْ أَنا بِعْتُها ... بِشَيْءٍ سِواهَا إنَّ ذَلِكُم غَبْنُ
إذا ذَهَبَتْ نَفْسِي بِدُنْيا أَصَبْتُها ... فَقَدْ ذَهَبَ الدُّنْيا وَقَدْ ذَهَبَ الثَّمَن

﴿ **يقاتلون في سبيل الله** ﴾ هذا بيان للغرض الذي لأجله إشتراهم ﴿ **فيَقتلون** ﴾ المشركين ﴿ **ويُقتلون** ﴾ أي ويقتلهم المشركون يعني أن الجنة عوض عن جهادهم سواء قَتلوا أو قُتلوا ومن قرأ فيُقتلون ويَقتلون فهو المختار عن الحسن لأنه يكون تسليم النفس إلى المشتري أقرب والبائع إنما يستحق الثمن بتسليم المبيع ﴿ **وعداً عليه حقّاً** ﴾ معناه إن

إيجاب الجنة لهم وعد على الله حقٌ لا شكَّ فيه وتقديره وعدهم الله الجنة على نفسه وعداً حقاً أي صدقاً واجباً لا خلف فيه ﴿ **في التوراة والإنجيل والقرآن** ﴾ وهذا يدلُّ على أن أهل كل ملة أمروا بالقتال وعدوا عليه الجنة عن الزجاج ﴿ **ومن أوفى بعهده من الله** ﴾ معناه لا أحد أوفى بعهده من الله لأنه يفي ولا يخلف بحال ﴿ **فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به** ﴾ فافرحوا بهذه المبايعة حتى ترى آثار السرور في وجوهكم بسبب هذه المبايعة لأنكم بعتم الشيء من مالكه وأخذتم ثمنه ولأنكم بعتم فانياً بباق وزائلاً بدائم ﴿ **وذلك هو الفوز العظيم** ﴾ أي ذلك الشراء والبيع الظفر الكبير الذي لا يقاربه شيء ثم وصف الله سبحانه المؤمنين الذين إشترى منهم الأنفس والأموال بأوصاف فقال ﴿ **التائبون** ﴾ أي الراجعون إلى طاعة الله والمنقطعون إليه النادمون على ما فعلوه من القبائح ﴿ **العابدون** ﴾ أي الذين يعبدون الله وحده ويتذلّلون له بطاعته في أوامره ونواهيه وقيل هم الذين أخذوا من أبدانهم في ليلهم ونهارهم فعبدوا الله في السرّاء والضرّاء عن الحسن وقتادة ﴿ **الحامدون** ﴾ أي الذين يحمدون الله على كل حال عن الحسن وقيل هم الشاكرون لنعم الله على وجه الإخلاص له ﴿ **السائحون** ﴾ أي الصائمون عن ابن عباس وابن مسعود والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وروي مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال سياحة أمتي الصيام وقيل هم الذين يسيحون في الأرض فيعتبرون بعجائب الله تعالى وقيل هم طلبة العلم يسيحون في الأرض لطلبه عن عكرمة ﴿ **الراكعون الساجدون** ﴾ أي المؤدّون للصلاة المفروضة التي فيها الركوع والسجود ﴿ **الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر** ﴾ أدخل الواو هنا لأن الأمر بالمعروف يتضمن النهي عن المنكر فكأنهما شيء واحد ولأنه قرن النهي عن المنكر بالأمر بالمعروف في أكثر المواضع فأدخل الواو ليدلّ على المقارنة ﴿ **والحافظون لحدود الله** ﴾ أي والقائمون بطاعة الله عن ابن عباس يعني الذين يؤدّون فرائض الله وأوامره ويجتنبون نواهيه لأن حدود الله أوامره ونواهيه وإنما أدخل الواو لأنه جاء وهو أقرب إلى المعطوف ﴿ **وبشّر المؤمنين** ﴾ هذا أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يبشّر المصدقين بالله المعترفين بنبوته بالثواب الجزيل والمنزلة الرفيعة خاصة إذا جمعوا هذه الأوصاف وقد روى أصحابنا أن هذه صفات الأئمة المعصومين عليهم السلام لأنه لا يكاد يجمع هذه الأوصاف على تمامها وكمالها غيرهم ولقي الزهري علي بن الحسين (ع) في طريق الحج فقال له تركت الجهاد وصعوبته وأقبلت إلى الحج والله سبحانه يقول﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين** ﴾ الآية فقال (ع) له أتم الآية الأخرى ﴿ **التائبون العابدون** ﴾ إلى آخرها ثم قال إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحج .

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾

[اللغة] أصل الاوّاه من التأوه وهو التوجع والتحزن يقال تأوّه تأوُّهاً وَأَوَّه تأويهاً قال المثقب العبدي :

إذا ما قُمْتُ أرْحَلُها بِلَيْلٍ تَأَوَّهُ آهَةَ الرَّجُلِ الحَزِينِ[1]

ولو جاء منه فعل مصرفاً لكان آه يؤه أوهاً مثل قال يقول قولاً والعرب تقول أَوِّهْ من كذا بكسر الواو وتسكين الهاء قال :

فَأَوِّهْ بِذِكْراها إذا ما ذَكَرْتُها وَمِنْ بُعْدِ أرْضٍ دُونَها وَسَماءِ

والعامة تقول أوَّه وفيه خمس لغات أوْهِ بسكون الواو وكسر الهاء وأوٍّ وآهٍ بالتنوين وأوْهِ وأوَّه .

[المعنى] ﴿ **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين** ﴾ ومعناه ليس للنبي والمؤمنين أن يطلبوا المغفرة للمشركين الذين يعبدون مع الله إلَهاً آخر والذين لا يوحّدونه ولا يقرّون بإلّهيته ﴿ **ولو كانوا أولي قربى** ﴾ أي ولو كان الذين يطلبون لهم المغفرة أقرب الناس إليهم ﴿ **من بعد ما تبيَّن لهم أنهم أصحاب الجحيم** ﴾ أي من بعد أن يعلموا أنهم كفار مستحقُّون للخلود في النار وفي تفسير الحسن أن المسلمين قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ألا تستغفر لآبائنا الذين ماتوا في الجاهلية فأنزل الله سبحانه هذه الآية وبيَّن أنه لا ينبغي لنبي ولا مؤمن أن يدعو لكافر ويستغفر له وقوله ﴿ **ما كان للنبي**﴾ أبلغ من أن يقول لا ينبغي للنبي لأنه يدل على قبحه وأن الحكمة تمنع منه ولو قال لا ينبغي لم يدل على أن

(١) وفي اللسان : قيل : ويروى « تهوه هاهة الرجل الحزين ». وتأوه أصله تتأوه ، وقيل أنه وضع الاسم موضع المصدر أي تأوه تأوه الرجل .

الحكمة تمنع منه وإنما كان يدل على أنه لا ينبغي أن يختاره ومعناه لم يجعل الله في دينه ولا في حكمه أن يستغفروا للمشركين ولو دَعَتْهم رقّة القرابة وشفقة الرحم إلى الاستغفار لهم بعدما ظهر ﴿ **أن لهم عذاباً عظيماً** ﴾ ثم بيَّن سبحانه الوجه في إستغفار إبراهيم لأبيه مع كونه كافراً سواء كان أباه الذي ولده أو جده لأمه أو عمّه على ما رواه أصحابنا فقال ﴿ **وما كان إستغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه** ﴾ أي لم يكن إستغفاره له إلا صادراً عن موعدة وعدها إياه واختلف في صاحب هذه الموعدة هل هو إبراهيم وأبوه فقيل إن الموعدة كانت من الأب وعد بها إبراهيم أنه يؤمن أن إستغفر له لذلك ﴿ **فلما تبيَّن له أنه عدوٌّ لله** ﴾ ولا يفي بما وعد ﴿ **تبرأ منه** ﴾ وترك الدعاء له وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة إلا أنهم قالوا إنما تبين عداوته لما مات على كفره وقيل إن الموعدة كانت من إبراهيم قال لأبيه إني أستغفر لك ما دمت حياً وكان يستغفر له مقيّداً بشرط الإيمان فلما آيس من إيمانه تبرّأ منه وهذا يوافق قراءة الحسن إلا عن موعدة وعدها أباه ويقوّيه قوله إلا قول إبراهيم لأبيه لاستغفرنَّ لك وما أملك لك من الله من شيء ﴿ **إن إبراهيم لأوّاه** ﴾ أي دَعَّاء كثير الدعاء والبكاء عن ابن عباس وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) وقيل الأوّاه الرحيم بعباد الله عن الحسن وقتادة وقيل هو الذي إذا ذكر النار قال أوّه عن كعب وقيل الأوّاه المؤمن بلغة الحبشة عن ابن عباس وقيل الأوّاه الموقن المستيقن عن مجاهد وعكرمة وقيل الأوّاه العفيف عن النخعي وقيل هو الراجع عن كل ما يكره الله عز وجل عن عطا وقيل هو الخاشع المتضرّع رواه عبد الله بن شداد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل هو المسبّح الكثير الذكر لله سبحانه عن عقبة بن عامر وقيل هو المتأوّه شفقاً وفرقاً المتضرع يقيناً بالإجابة ولزوماً للطاعة عن أبي عبيدة وقال الزجاج وقد إنتظم قول أبي عبيدة أكثر ما روي في الأوّاه ﴿ **حليم** ﴾ يقال بلغ من حلم إبراهيم (ع) إن رجلاً قد أذاه وشتمه فقال له هداك الله وقيل الحليم السيد عن ابن عباس وأصله أنه الصبور على الأذى الصفوح عن الذنب .

[**النظم**] لمّا تقدّم ذكر الكفار والمنافقين والمنع من موالاتهم والصلاة عليهم والقيام على قبرهم للدعاء لهم نهي عن دعائهم بعد موتهم ولمّا نهى الله النبي والمؤمنين عن الاستغفار للمشركين ذكر قصة إبراهيم وعذره في الاستغفار لأبيه وأما قوله ﴿ **إن إبراهيم لأوّاه حليم** ﴾ فإنما اتصل بما قبله بأنه إذا كان له صفة الرأفة والرحمة يكون في دعائه أخلص وعلى خلاص أقربائه من العذاب أحرص ومع ذلك تبرّأ منه لما يئس من فلاحه .

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ

لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ
يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾

[**النزول**] قيل مات قوم من المسلمين على الإسلام قبل أن تنزل الفرائض فقال المسلمون يا رسول الله إخواننا الذين ماتوا قبل الفرائض ما منزلتهم فنزل ﴿ **وما كان الله ليضلَّ قوماً** ﴾ الآية عن الحسن .

[**المعنى**] ﴿ **وما كان الله ليضلَّ قوماً بعد إذ هداهم** ﴾ أي وما كان الله ليحكم بضلالة قوم بعد ما حكم بهدايتهم ﴿ **حتى يبيّن لهم ما يتقون** ﴾ من الأمر بالطاعة والنهي عن المعصية فلا يتقون فعند ذلك يحكم بضلالتهم وقيل وما كان الله ليعذّب قوماً فيضلّهم عن الثواب والكرامة وطريق الجنة بعد إذ هداهم ودعاهم إلى الإيمان حتى يبين لهم ما يستحقون به الثواب والعقاب من الطاعة والمعصية وقيل لما نسخ بعض الشرائع وقد غاب أناس وهم يعملون بالأمر الأول إذ لم يعلموا بالأمر الثاني مثل تحويل القبلة وغير ذلك وقد مات الأولون على الحكم الأول سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك فأنزل الله الآية وبيَّن أنه لا يعذّب هؤلاء على التوجه إلى القبلة الأولى حتى يسمعوا بالنسخ ولا يعملوا بالناسخ فحينئذ يعذّبهم عن الكلبي ﴿ **إن الله بكل شيء عليم** ﴾ يعلم جميع المعلومات حتى لا يشذ شيء منها عنه لكونه عالماً لنفسه ﴿ **إن الله له ملك السماوات والأرض** ﴾ الملك اتساع المقدور لمن له السياسة والتدبير ﴿ **يحيي ويميت** ﴾ أي يحيي الجماد ويميت الحيوان ﴿ **وما لكم من دون الله من وليٍّ ولا نصير** ﴾ أي ليس لكم سواه حافظ يحفظكم وولي يتولى أمركم ولا ناصر ينصركم ويدفع العذاب عنكم .

[**النظم**] وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها إن الله سبحانه لما حرم على المؤمنين أن يستغفروا للمشركين بيَّن سبحانه أنه لا يأخذهم بذلك إلا بعد أن يدلّهم على تحريمه عن مجاهد ووجه أتصال الآية الثانية بما قبلها الحضُّ على ما تقدم ذكره من جهاد المشركين ملوكهم وغير ملوكهم لأنهم عبيد من له ملك السماوات والأرض يأمرهم بما يشاء ويدبّرهم على ما يشاء عن علي بن عيسى .

﴿ لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾

[**القراءة**] قرأ حمزة وحفص عن عاصم يزيغ بالياء وهي قراءة الأعمش والباقون تزيغ بالتاء والقراءة المشهورة الذين خلفوا وقرأ علي بن الحسين زين العابدين (ع) وأبو جعفر محمد بن علي الباقر وجعفر بن محمد الصادق عليهم السلام وأبو عبد الرحمن السلمي خالفوا وقرأ عكرمة وزر بن حبيش وعمرو بن عبيد خلفوا بفتح الخاء واللام خفيفة .

[**الحجة**] قال أبو علي يجوز أن يكون فاعل كاد أحد ثلاثة أشياء (الأول) أن تضمر فيها القصة والحديث ويكون تزيغ الخبر وجاز ذلك فيها وإن كان الأصل في إضمار القصة إنما هو في الإبتداء لأن الخبر لازم لكاد فأشبه العوامل الداخلة على الإبتداء للزوم الخبر له قال ولا يجوز ذلك في عسى لأن عسى قد يكون فاعله المفرد في كثير من الأمر فلا يلزمه الخبر كقوله ﴿ **عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبُّوا شيئاً وهو شرٌّ لكم** ﴾ فإذا كان كذلك لم يحتمل الضمير الذي يحتمله كاد كما لم يحتمله سائر الأفعال التي تسند إلى فاعليها مما لا يدخل على المبتدأ (والثاني) أن يضمر في كاد ذكر مما تقدَّم لما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمهاجريون والأنصار قبيلاً واحداً وفريقاً واحداً جاز أن يضمر في كاد ما دلَّ عليه ما تقدَّم ذكره من القبيل والحزب والفريق ونحو ذلك من الأسماء المفردة الدالة على الجمع وقال منهم فحمله على المعنى مثل قوله آمن بالله واليوم الآخر ثم قال فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فكذلك فاعل كاد على هذا الوجه (الثالث) أن يكون فاعل كاد القلوب وتقديره من بعد ما كاد قلوب فريق منهم تزيغ ولكنه قدم تزيغ كما تقدم خبر كان وجاز تقديمه وإن كان فيه ذكر من القلوب ولم يمتنع من حيث يمتنع الإضمار قبل الذكر

لما كان النية به التأخير كما لم يمتنع ضرب غلامه زيد لما كان التقدير به التأخير فأما من قرأ يزيغ بالياء فيجوز أن يكون قد ذهب إلى أن في كاد ضمير الحديث فيرتفع قلوب بيزيغ فذكر وإن كان فاعله مؤنثاً لتقدم الفعل ومن قرأ تـزيغ بـالتاء جـاز أن يكون ذهب إلى أن القلوب مرتفعة بكاد وجاز أن يكون الفعل المسند إلى القصة أو الحـديث يؤنث إذا كان في الجملة التي يفسرها مؤنث كقوله ﴿ **فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا** ﴾ وجاز تأنيث هي التي هي ضمير القصة لذكر الأبصار المؤنثة في الجملة التي هي التفسير فكذلك يؤنث الذي في كاد لذكر المؤنث في الجملة المفسرة فتقول كادت وتدغم التاء التي هي علامة التأنيث في تـاء تزيغ وتزيغ على هذا للقلوب وهي مرتفعة به ويجوز إلحاق التاء بكاد من وجه آخر وهي أن ترفع قلوب فريق بكاد فتلحقه علامة التأنيث من حيث كان مسنداً إلى مؤنث ومن قرأ خلفوا فتأويله أقاموا ولـم يبرحوا ومن قرأ خالفوا فمعناه عائد إلى ذلك لأنهم إذا خالفوهم فأقاموا فقد خلفوا هناك .

[**اللغة**] الزيغ ميل القلب عن الحق ومنه قوله فلما زاغوا أزاغ الله قـلوبهم وزاغـت الشمس إذا مالت وزاغ عن الطريق جاز وعدل والتخليف تأخير الشيء عمن مضى فأما تأخير الشيء عنك في المكان فليس بتخليف وهو من الخلف الذي هو مقابل لجهته الوجه يقـال خلفه أي جعله خلفه فهو مخلف ورحبت البلاد إذا اتسعت والرحب السعة ومنه مرحبـاً أي رحبت بـلادك وأهلت والضيق ضد السعـة والظن هنـا بمعنى اليقين كما في قـول دريد بن الصمة

فقُلْتُ لَـهُمْ ظُـنُّـوا بِـأَلْفَـيْ مُـدَجَّـج   سَـرَاتُهُم فـي الفَـارِسِيّ الـمُسَـرَّدِ[١]

[**النزول**] نزلت الآية الأولى في غزاة تبوك وما لحق المسلمين فيها من العسرة حتى همَّ قـوم بالـرجوع ثم تـداركهم لطف الله سبحـانه قـال الحسن كان العشـرة من المسلمين يخرجون على بعير يعتقبونه بينهم يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كـذلك وكـان زادهم الشعير المسوس والتمر المدود والاهالة السنخة[٢] وكان النفر منهم يخرجون ما معهم من التميرات بينهم فإذا بلغ الجوع من أحدهم أخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها ثم يعطيها

(١) المدجج : اللابس السلاح . والسراة : الاسد . وسراة القوم : سادتهم . والمسرد : الـدرع . وقد مـر في ج ١ ايضاً .

(٢) ساس الطعام : وقع فيه السوس وهو دود يأكل الحب . والمدود : الطعام الذي صار فيه الدود وكل شيء من الادهان مما يؤتدم به اهالة . وقيل : الدسم الجامد والسنخة : المتغيرة الريح .

صاحبه فيمصها ثم يشرب عليها جرعة من ماء كذلك حتى يأتي على آخرهم فلا يبقى من التمرة إلا النواة قالوا وكان أبو خيثمة عبد الله بن خيثمة تخلّف الى أن مضى من مسير رسول الله ﷺ عشرة أيام ثم دخل يوماً على امرأتين له في يوم حار في عريشين لهما قد رتبناهما وبردتا الماء وهيأتا له الطعام فقام على العريشين وقال سبحان الله رسول الله قد غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر في الفتح والريح والحرّ والقرّ يحمل سلاحه على عاتقه وأبو خيثمة في ظلال باردة وطعام مهيىء وامرأتين حسناوين ما هذا بالنصف ثم قال والله لا أكلم واحدة منكما كلمة ولا أدخل عريشاً حتى الحق بالنبي ﷺ فأناخ ناضحه واشتدَّ عليه وتزود وارتحل وامرأتاه تكلمانه ولا يكلمهما ثم سار حتى إذا دنا من تبوك قال الناس هذا راكب على الطريق فقال النبي ﷺ كن أبا خيثمة أولى لك فلما دنا قال الناس هذا أبو خيثمة يا رسول الله فأناخ راحلته وسلم على رسول الله ﷺ فقال (ع) أولى لك فحدّثه الحديث فقال له خيراً ودعا له وهو الذي زاغ قلبه للمقام ثم ثبته الله واما الآية الثانية فإنها نزلت في شأن كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وذلك أنهم تخلفوا عن رسول الله ﷺ ولم يخرجوا معه لا عن نفاق ولكن عن توان ثم ندموا فلما قدم النبي ﷺ المدينة جاءوا اليه واعتذروا فلم يكلمهم النبي ﷺ وتقدم إلى المسلمين بأن لا يكلمهم احد منهم فهجرهم الناس حتى الصبيان وجاءت نساؤهم إلى رسول الله ﷺ فقلن له يا رسول الله نعتزلهم فقال لا ولكن لا يقربوكنَّ فضاقت عليهم المدينة فخرجوا الى رؤوس الجبال وكان أهاليهم يجيئون لهم بالطعام ولا يكلمونهم فقال بعضهم لبعض قد هجرنا الناس ولا يكلمنا احد منهم فهلا نتهاجر نحن أيضاً فتفرقوا ولم يتجمع منهم اثنان وبقوا على ذلك خمسين يوماً يتضرعون إلى الله تعالى ويتوبون اليه فقبل الله تعالى توبتهم وأنزل فيهم هذه الآية .

[المعنى] ﴿**لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار**﴾ أقسم الله تعالى في هذه الآية لأن لام لقد لام القسم بأنه سبحانه قبل توبتهم وطاعاتهم وإنما ذكر اسم النبي ﷺ مفتاحاً للكلام وتحسيناً له ولأنه سبب توبتهم وإلا فلم يكن منه ما يوجب التوبة وقد روي عن الرضا علي بن موسى عليه السلام أنه قرأ لقد تاب الله بالنبي على المهاجرين والأنصار ﴿**الذين اتبعوه**﴾ في الخروج معه إلى تبوك ﴿**في ساعة العسرة**﴾ وهي صعوبة الأمر قال جابر يعني عسرة الزاد وعسرة الظهر وعسرة الماء والمراد بساعة العسرة وقت العسرة لأن الساعة تقع على كل زمان وقال عمر بن الخطاب اصابنا حرّ شديد وعطش فأمطر الله سبحانه السماء بدعاء النبي ﷺ فعشنا بذلك ﴿**من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم**﴾ عن الجهاد فهمُّوا

بالانصراف من غزاتهم من غير أمر فعصمهم الله تعالى من ذلك حتى مضوا مع النبي ﷺ ﴿ثم تاب عليهم﴾ من بعد ذلك الزيغ ولم يرد بالزيغ هاهنا الزيغ عن الإيمان ﴿انه بهم رؤوف رحيم﴾ تداركهم برحمته والرأفة أعظم من الرحمة ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ قال مجاهد معناه خلفوا عن قبول التوبة بعد قبول توبة من قبل توبتهم من المنافقين كما قال سبحانه فيما مضى وآخرون مرجون لأمر الله اما يعذّبهم وإما يتوب عليهم وقال الحسن وقتادة معناه خلّفوا عن غزوة تبوك لما تخلفوا هم واما قراءة اهل البيت عليهم السلام خالفوا فإنهم قالوا لو كانوا خلفوا لما توجه عليهم العتب ولكنهم خالفوا ﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت﴾ أي برحبها وما هاهنا مصدرية ومعناه ضاقت عليهم الأرض مع اتساعها وهذه صفة من بلغ غاية الندم حتى كأنه لا يجد لنفسه مذهباً وذلك بأن النبي أمر الناس بأن لا يجالسوهم ولا يكلموهم كما مر ذكره لأنه كان نزلت توبة الناس ولم تنزل توبتهم ولم يكن ذلك على معنى ردّ توبتهم لأنهم كانوا مأمورين بالتوبة ولا يجوز في الحكمة رد توبة من يتوب في وقت التوبة ولكن الله سبحانه أراد بذلك تشديد المحنة عليهم في تأخير انزال توبتهم وأراد بذلك استصلاحهم واستصلاح غيرهم لئلا يعودوا إلى مثله ﴿وضاقت عليهم انفسهم﴾ هذه عبارة عن المبالغة في الغم حتى كأنهم لم يجدوا لأنفسهم موضعاً يخفونها فيه وقيل معنى ضيق أنفسهم ضيق صدورهم بالهم الذي حصل فيها ﴿وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾ أي وأيقنوا أنه لا يعصمهم من الله موضع يعتصمون به ويلجأون إليه غيره تعالى ومعناه علموا أنه لا معتصم من الله إلا به وأن لا ينجيهم من عذاب الله إلا التوبة ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾ أي ثم سهّل الله عليهم التوبة حتى تابوا وقيل ليتوبوا أي ليعودوا إلى حالتهم الأولى قبل المعصية وقيل معناه ثم تاب على الثلاثة وأنزل توبتهم على نبيه ﷺ ليتوب المؤمنون من ذنوبهم لعلمهم بأن الله سبحانه قابل التوبة قال الحسن أما والله ما سفكوا من دم ولا أخذوا من مال ولا قطعوا من رحم ولكن المسلمين تسارعوا في الشخوص مع رسول الله ﷺ وتخلف هؤلاء وكان أحدهم تخلف بسبب ضيعة له والآخر لأهله والآخر طلباً للراحة ثم ندموا وتابوا فقبل الله توبتهم ﴿إن الله هو التواب﴾ أي الكثير القبول للتوبة ﴿الرحيم﴾ بعباده .

[**النظم**] اتصلت الآية الأولى بقوله التائبون الآية اثنى الله سبحانه عليهم هناك وبيّن في هذه الآية قبول توبتهم ورضاه عنه باتباعهم للنبي ﷺ في ساعة العسرة عن أبي مسلم وقيل انه سبحانه لما ذكر ان له ملك السماوات والأرض ولا ناصر لاحد دونه بيّن عقيبه رحمته بالمؤمنين ورأفته بهم في قبول توبتهم .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾

[**القراءة**] في مصحف عبد الله وقراءة ابن عباس من الصادقين وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع) .

[**اللغة**] الصادق هو القائل بالحق العامل بـه لأنه صفـة مدح ولا يـطلق إلا على من يستحق المدح على صدقه .

[**المعنى**] ثم خاطب الله سبحانه المؤمنين المصدّقين بالله المقرّين بنبوة نبيه ﷺ فقال **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾** أي اتقوا معـاصي الله واجتنبوهـا **﴿وكونـوا مع الصـادقين﴾** الذين يصدقون في اخبارهم ولا يكذبون ومعناه كونوا على مذهب من يستعمـل الصدق في أقواله وأفعاله وصاحبوهم ورافقوهم كقولك أنا مع فلان في هذه المسألة أي أقتدي بـه فيها وقد وصف الله الصادقين في سورة البقرة بقوله **﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر﴾** إلى قوله **﴿أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾** فأمر سبحانه بـالاقتداء بهؤلاء الصـادقين المتقين وقيل المراد بالصادقين هم الذين ذكرهم الله في كتابه وهو قوله **﴿رجال صدقوا مـا عاهدوا الله عليه﴾** فمنهم من قضى نحبه يعني حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب ومنهم من ينتظر يعني علي بن أبي طالب (ع) وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال كونوا مع الصّادقين مع علي وأصحابه وروى جابر عن أبي جعفر (ع) في قوله **﴿وكونوا مع الصادقين﴾** قال مع آل محمدﷺ وقيل مع النبيين والصديقين في الجنة بالعمل الصالـح في الدنيا عن الضحاك وقيل مع محمدﷺ وأصحابه عن نافع وقيل مع الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وأعمالهم وخرجوا مع رسول الله ﷺ ولم يتخلّفوا عنه عن ابن عباس وقيل ان معنى مع هنا معنى من فكأنه أمر بالكون من جملة الصادقين ويعضده قراءة من قرأ من الصادقين والمعنيان متقاربان هنا لأن مع للمصاحبة ومن للتبعيض فإذا كان من جملتهم فهو معهم وبعضهم وقال ابن مسعود لا يصلح من الكذب جدٌّ ولا هزل ولا أن يعد أحدكم صبيَّه ثم لا ينجز له اقرأوا إن شئتم هذه الآية هل ترون في الكذب رخصة .

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ
حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ

بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ
وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ
وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا
كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ
مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾

[**اللغة**] الرغبة طلب المنفعة يقال رغب فيه إذا طلب المنفعة به ورغب عنه إذا طلب المنفعة بتركه والظمأ شدة العطش والنصب التعب ومثله الوصب قال النابغة :

كِليني لِهَمٍّ يا أُمَيْمَةُ ناصِبِ وَلَيْلٍ أُقاسيهِ بَطيءِ الكَواكِبِ[١]

والمخمصة المجاعة وأصله ضمور البطن للمجاعة ورجل خميص البطن وامرأة خمصانة ضامرة البطن والموطىء الارض والغيظ انتقاض الطبع بما يرى مما يسؤوه يقال غاظه يغيظه .

[**المعنى**] لما قصَّ الله سبحانه قصة الذين تأخروا عن الخروج مع النبي ﷺ إلى غزوة تبوك ثم اعتذارهم عن ذلك وتوبتهم منه وانه قبل توبة من ندم على ما كان منه لرأفته بهم ورحمته عليهم ذكر عقيب ذلك على وجه التوبيخ لهم والإزراء على ما كانوا فعلوه فقال ﴿**ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب ان يتخلفوا عن رسول الله**﴾ ظاهره خبر ومعناه نهي مثل قوله ما كان لكم ان تؤذوا رسول الله أي ما كان يجوز وما كان يحل لأهل مدينة الرسول ومن حولهم من سكان البوادي ان يتخلفوا عنه في غزاة تبوك وغيرها بغير عذر وقيل انه مزينة وجهينة وأشجع وغفار وأسلم ﴿**ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه**﴾ أي ما كان يجوز لهم ولجميع المؤمنين أن يطلبوا نفع نفوسهم بتوقيتها دون نفسه وهذه فريضة ألزمهم الله إياها لحق رسول الله ﷺ فيما دعاهم إليه من الهدى الذي اهتدوا به وخرجوا من ظلمة الكفر

(١) الشعر في جامع الشواهد .

إلى نور الإيمان وقيل معناه ولا يرضوا لأنفسهم بالخفض والدعة ورسول الله في الحرّ والمشقة يقال رغبت بنفسي عن هذا الأمر أي ترفعت عنه بل عليهم أن يجعلوا أنفسهم وقاية للنبي ﷺ **﴿ذلك﴾** أي ذلك النهي لهم والزجر عن التخلف **﴿بأنهم لا يصيبهم ظمأ﴾** أي عطش **﴿ولا نصب﴾** أي ولا تعب في أبدانهم **﴿ولا مخمصة في سبيل الله﴾** أي ولا مجاعة وهي شدة الجوع في طاعة الله **﴿ولا يطؤون موطئاً يغيظ الكفار﴾** أي لا يضعون أقدامهم موضعاً يغيظ الكفار وطؤهم إياه يعني دار الحرب فإن الإنسان يغيظه ويغضبه ان يطأ غيره موضعه **﴿ولا ينالون من عدو نيلاً﴾** أي ولا يصيبون من المشركين أمراً ومن قتل أو جراحة أو مال أو أمر يغمُّهم ويغيظهم **﴿إلا كتب لهم به عمل صالح﴾** وطاعة رفيعة **﴿إن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾** أي الذين يفعلون الأفعال الحسنة التي يستحق بها المدح والثواب وفي هذا تحريض على الجهاد وأعمال الخير **﴿ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة﴾** أي ولا ينفقون في الجهاد ولا في غيره من سبل الخير والمعروف نفقة قليلة ولا كثيرة يريدون بذلك اعزاز دين الله ونفع المسلمين والتقرب بذلك إلى الله تعالى **﴿ولا يقطعون وادياً﴾** أي ولا يجاوزون وادياً **﴿إلا كتب لهم﴾** ثواب ذلك **﴿ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون﴾** أي يكتب طاعاتهم ليجزيهم عليها بقدر استحقاقهم ويزيدهم من فضله حتى يصير الثواب احسن وأكثر من عملهم وقيل ان الأحسن من صفة فعلهم لأن الأعمال على وجوه واجب ومندوب ومباح وإنما يجازي على الواجب والمندوب دون المباح فيقع الجزاء على أحسن الأعمال وقيل معناه ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون قال ابن عباس يرضيهم بالثواب ويدخلهم الجنة بغير حساب والآيتان تدلان على وجوب الجهاد مع رسول الله ﷺ وحظر التخلف عنه وقد اختلف في ذلك فقيل المراد بذلك جميع من دعاه النبي ﷺ الى الجهاد وهو الصحيح وقيل المراد به أهل المدينة ومن حولها من الاعراب ثم اختلف فيه من وجه آخر فقيل انه خاص في النبي ﷺ ليس لأحد ان يتخلف عنه في الجهاد إلا لعذر فأما غيره من الأئمة فيجوز التخلف عنه عن قتادة وقيل ان ذلك لأول هذه الأمة وآخرها من المجاهدين في سبيل الله عن الأوزاعي وابن المبارك وقيل ان هذا كان في ابتداء الإسلام وفي أهله قلة فأما الآن وقد كثر الإسلام وأهله فإنه منسوخ بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية عن ابن زيد وهذا هو الأقوى لأنه لا خلاف أن الجهاد من فروض الكفايات فلو لزم كل احد لصار من فروض الأعيان .

﴿ * وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ

مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ
إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟
ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ
ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ
أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِۦٓ إِيمَـٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا
وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ
رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾

[**اللغة**] التفقه تعلم الفقه والفقه العلم بالشيء وفي حديث سلمان أنه قال لامرأة فقهت أي علمت وفهمت فأما فقهت بضم القاف فمعناه صارت فقيهة وقد اختص في العرف بعلم الأحكام الشرعية فيقال لكل عالم بها فقيه وقيل الفقه فهم المعاني المستنبطة ولذلك لا يقال الله سبحانه فقيه والحذر تجنب الشيء بما فيه من المضرة قال الزجاج يقال غلظة وغُلظة وغِلظة ثلاث لغات قال أبو الحسن قراءة الناس بالكسر وهي العربية والمراد بالمرض في الآية الشك فإنه فساد في القلب يحتاج إلى العلاج كما أن الفساد في البدن يحتاج إلى مداواة ومرض القلب أعضل وعلاجه أعسر ودواؤه أعز وأطباؤه أقل .

[**الإعراب**] لولا نفر بمعنى هلا نفر وهي للتخصيص إذا دخلت على الفعل فإذا دخلت على الإسم فمعناها امتناع الشيء لأجل وجود غيره، ليتفقَّهوا أي ليتفقه باقوهم لأنه إذا نفر طائفة منهم تفقه من بقي منهم وإن شئت فمعناه ليتفقه كلهم لأنه من نفر منهم إذا رجع استعلم من بقي فصار كلهم فقهاء وهم يستبشرون جملة في موضع الحال وكذلك قوله وهم كافرون .

[**النزول**] قيل كان رسول الله ﷺ إذا خرج غازياً لم يتخلف عنه إلا المنافقون والمعذرون فلما أنزل الله تعالى عيوب المنافقين وبيَّن نفاقهم في غزاة تبوك قال المؤمنون والله لا نتخلف عن غزاة يغزوها رسول الله ﷺ ولا سرية أبداً فلما أمر رسول الله ﷺ بالسرايا

الى الغزو نفر المسلمون جميعاً وتركوا رسول الله ﷺ وحده فأنزل الله سبحانه **﴿وما كان المؤمنون لينفروا﴾** الآية عن ابن عباس في رواية الكلبي وقيل انها نزلت في ناس من أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا في البوادي فأصابوا من الناس معروفاً وخصا ودعوا من وجدوا من الناس على الهدى فقال الناس وما نراكم إلا وقد تركتم صاحبكم وجئتمونا فوجدوا في أنفسهم في ذلك حرجاً وأقبلوا كلهم من البادية حتى دخلوا على النبي ﷺ فأنزل الله عز وجل هذه الآية عن مجاهد .

[**المعنى**] لمّا تقدم الترغيب في الجهاد بأبلغ أسباب الترغيب وتأنيب من تخلف عنه بأبلغ أسباب التأنيب بيَّن في هذه الآية موضع الرخصة في تأخر من تأخر عنه فقال سبحانه **﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾** وهذا نفي معناه النهي أي ليس للمؤمنين أن ينفروا ويخرجوا إلى الجهاد بأجمعهم ويتركوا النبي ﷺ فريداً وحيداً وقيل معناه ليس عليهم أن ينفروا كلهم من بلادهم إلى النبي ﷺ ليتعلموا الدين ويضيعوا ما وراءهم ويخْلُوا ديارهم عن الجبائي **﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين﴾** اختلف في معناه على وجوه (أحدها) أن معناه فهلا خرج إلى الغزو من كل قبيلة جماعة ويبقى مع النبي ﷺ جماعة ليتفقهوا في الدين يعني الفرقة القاعدين يتعلمون القرآن والسنن والفرائض والأحكام فإذا رجعت السرايا وقد نزل بعدهم قرآن وتعلمه القاعدون قالوا لهم إذا رجعوا إليهم ان الله قد أنزل بعدكم على نبيكم قرآناً وقد تعلمناه فتتعلمه السرايا فذلك قوله **﴿ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾** أي وليعلموهم القرآن ويخوّفوهم به إذا رجعوا اليهم **﴿لعلهم يحذرون﴾** فلا يعملون بخلافه عن ابن عباس في رواية الوالبي وقتادة والضحاك وقال الباقر (ع) كان هذا حين كثر الناس فأمرهم الله أن تنفر منهم طائفة وتقيم طائفة للتفقه وان يكون الغزو نوباً (وثانيها) ان التفقه والإنذار يرجعان إلى الفرقة النافرة وحثَّها الله تعالى على التفقه لترجع الى المتخلفة فتحذرها ومعنى ليتفقهوا في الدين ليتبصروا ويتيقنوا بما يريهم الله من الظهور على المشركين ونصرة الدين ولينذروا قومهم من الكفار إذا رجعوا إليهم من الجهاد فيخبروهم بنصر الله النبي والمؤمنين ويخبروهم أنهم لا يدان لهم بقتال النبي والمؤمنين لعلهم يحذرون ان يقاتلوا النبي ﷺ فينزل بهم ما نزل بأصحابهم من الكفار عن الحسن وأبي مسلم قال أبو مسلم اجتمع للنافرة ثواب الجهاد والتفقه في الدين وانذار قومهم (وثالثها) ان التفقه راجع الى النافرة والتقدير ما كان لجميع المؤمنين أن ينفروا إلى النبي ﷺ ويخلوا ديارهم ولكن لينفر إليه من كل ناحية طائفة لتسمع كلامه وتتعلم الدين منه ثم ترجع الى قومها فتبين لهم ذلك وتنذرهم عن الجبائي قال والمراد بالنفر هنا الخروج لطلب العلم وإنما سمي

ذلك نفراً لما فيه من مجاهدة اعداء الدين قال القاضي أبو عاصم وفي هذا دليل على اختصاص الغربة بالتفقه وأن الانسان يتفقه في الغربة ما لا يمكنه ذلك في الوطن ثم بيَّن سبحانه ما يجب تقديمه فقال ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾ أي قاتلوا من قرب منكم من الكفار الأقرب منهم فالأقرب في النسب والدار وقال الحسن كان هذا قبل الأمر بقتال المشركين كافة وقال غيره هذا الحكم قائم الآن لأنه لا ينبغي لأهل كل بلد ان يخرجوا إلى قتال الأبعد ويدعوا الأقرب والأدنى لأن ذلك يؤدّي الى الضرر وربما يمنعهم ذلك عن المضي في وجهتهم إلا أن يكون بينهم وبين الأقرب موادعة فلا بأس حينئذ بمجاوزة الأقرب إلى الأبعد على ما يراه المتولي لأمور المسلمين ولو قال سبحانه قاتلوا الأبعد فالأبعد لكان لا يصح لأنه لاحد للأبعد يبتدىء منه كما للأقرب وفي هذا دلالة على أنه يجب على أهل كل ثغر الدفاع عن أنفسهم إذا خافوا على بيضة الإسلام وإن لم يكن هناك إمام عادل وقال ابن عباس امروا ان يقاتلوا الأدنى فالأدنى من عدوهم مثل قريظة والنضير وخيبر وفدك وقال ابن عمر أنهم الروم لأنهم سكان الشام والشام أقرب الى المدينة من العراق وكان الحسن إذا سئل عن قتال الروم والترك والديلم تلا هذه الآية ﴿وليجدوا فيكم غلظة﴾ أي شجاعة عن ابن عباس وقيل شدة عن مجاهد وقيل صبراً على الجهاد عن الحسن والمعنى وليحسوا منكم بضد اللين وخلاف الرقة وهو العنف والشدة ليكون زجراً لهم ﴿واعلموا أن الله مع المتقين﴾ عن الشرك أي معينهم وناصرهم ومن كان الله ناصره لم يغلبه أحد فأما إذا نصره سبحانه بالحجة فإنه يجوز أن يغلب بالحرب لضرب من المحنة وشدة التكليف ثم عاد الكلام إلى ذكر المنافقين فقال سبحانه ﴿وإذا ما أنزلت سورة﴾ في القرآن ﴿فمنهم﴾ أي من المنافقين ﴿من يقول﴾ على وجه الإنكار أي يقول بعضهم لبعض ﴿أيكم زادته هذه﴾ السورة ﴿إيماناً﴾ وقيل معناه يقول المنافقون للمؤمنين الذين في ايمانهم ضعف أيكم زادته هذه السورة إيماناً أي يقيناً وبصيرة ﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً﴾ معناه فأما المؤمنون المخلصون فزادتهم تصديقاً بالفرائض مع ايمانهم بالله عن ابن عباس ووجه زيادة الإيمان انهم كانوا مؤمنين بما قد نزل من قبل وآمنوا بما أنزل الآن ﴿وهم يستبشرون﴾ أي يسرون ويبشر بعضهم بعضاً قد تهلّلت وجوههم وفرحوا بنزولها ﴿وأما الذين في قلوبهم مرض﴾ أي شك ونفاق ﴿فزادتهم رجساً إلى رجسهم﴾ أي نفاقاً وكفراً إلى نفاقهم وكفرهم لأنهم يشكّون في هذه السورة كما شكّوا فيما تقدمها من السور فذلك هو الزيادة وسمي الكفر رجساً على وجه الذم له وانه يجب تجنبه كما يجب تجنب الارجاس وأضاف الزيادة إلى السورة لأنهم يزدادون عندها رجساً ومثله كفى بالسلامة داء وقول الشاعر « وحسبك داءان تصح وتسلما » ﴿وماتوا

وهم كافرون﴾ أي واداهم شكهم فيما أنزل الله تعالى من السور إلى أن ماتوا على كفرهم وآبوا شر مآب .

﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ
يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ
يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ
يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا
يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ
حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِيَ
ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

[**القراءة**] قرأ أولاً ترون بالتاء حمزة ويعقوب وهي قراءة أبي والقراءة المشهورة من أنفُسِكم بضم الفاء وقرأ ابن عباس وابن علية وابن محيصن والزهري من انَفسِكم بفتح الفاء وقيل انها قراءة فاطمة « ع ».

[**الحجة**] من قرأ بالتاء فهو خطاب للمؤمنين ومن قرأ بالياء فهو تقريع للمنافقين بالاعراض عما يجب أن لا يعرضوا عنه من التوبة والإقلاع عمّا هم عليه من النفاق ومن قرأ من انَفسِكم بفتح الفاء فمعناه من اشرفكم ومن خياركم يقال هذا أنفس المتاع اي اجوده وخياره واشتقاقه من النفس وهي اشرف ما في الانسان .

[**اللغة**] العزيز الشديد والعزيز في صفات الله تعالى معناه المنيع القادر الذي لا يتعذر عليه فعل ما يريده والعزة امتناع الشيء بما يتعذر معه ما يحاول منه وهو على ثلاثة أوجه امتناع الشيء بالقدرة او بالقلة او بالصعوبة والعنت لقاء الشدة والأذى الذي يضيق به الصدر وعَنت الدابة يعنَت عَنَتاً إذا حدث في قوائمه كسر بعد جبر لا يمكنه معه الجري فكأنه شقّ عليه الجري واكمة عنوت شاقة المصعد وحسبي الله أي كافي الله وهو من الحساب لأنه

تعالى يعطي بحسب الكفاية التي تغني عن غيره ويزيد من نعمه ما لا يبلغ إلى حد ونهاية إذ نعمه دائمة ومنه متواترة متظاهـرة والتوكـل تفويض الأمـر إلى الله على الثقة بحسن تـدبيره وكفايته.

[**الاعراب**] أولا يرون الواو للعطف دخلت عليها همزة الاستفهام ويحتمل الرؤية ان تكون المتعدية إلى مفعولين وان تكون من رؤية العين فـإذا كانت المتعـدية إلى المفعـولين يسدّان مسدّهما وإن كانت من رؤية العين يكون أبلغ ما عنتّمْ ما مصدرية وتقديره عزيز عليه عنتكم فهو في موضع رفع بعزيز وقوله لا إلّه إلا هو جملة في موضع الحال وتقديره حسبي الله مستحقاً لإخلاص العبادة والإقرار بالوحدانية وجرّ القراء كلهم العظيم على انه صفة العرش ولو قرىء بالرفع على ان يكون صفة لرب العرش لجاز.

[**المعنى**] ثم نبَّـه سبحانـه على اعراض المنـافقين عن النظر والتـدبر لمـا ينبغي ان ينظروا ويتدبـروا فيه فقـال ﴿ **أولا يرون** ﴾ أي أولا يعلم هؤلاء المنـافقون وقيـل معناه أولا يبصـرون ﴿**انهم يفتنون**﴾ أي يمتحنـون ﴿**في كل عـام مرة أو مـرتين**﴾ أي دفعة أو دفعتين بالأمراض والأوجاع وهو رائد الموت ﴿**ثم لا يتوبون**﴾ أي لا يرجعون عن كفرهم ﴿**ولا هم يذكرون**﴾ أي لا يتذكرون نعم الله عليهم وقيل يمتحنون بالجهاد مع رسول الله ﷺ وما يرون من نصرة الله رسوله وما ينال اعداؤه من القتل والسبي عن ابن عباس والحسن وقيل بالقحط والجوع عن مجاهد وقيل بهتك استارهم وما يظهر من خبث سرائرهم عن مقاتل وقيل بالبلاء والجلاء ومنع القـطر وذهاب الثمـار عن الضحاك ﴿**وإذا مـا أنزلت سـورة نظر بعضهم إلى بعض**﴾ معناه وإذا انزلت سورة من القرآن وهم حضور عند النبي ﷺ كرهوا ما يسمعونه ونظر بعضهم إلى بعض نظراً يؤمنون به ﴿**هل يراكم من أحد**﴾ وإنما يفعلون ذلك لأنهم منافقون يحذرون أن يعلم بهم فكأنهم يقول بعضهم لبعض هل يراكم من أحد ثم يقومون فينصرفون وإنما يفعلون ذلك مخافة أن تنزل آية تفضحهم وكانوا لا يقولون ذلك بألسنتهم ولكن ينظرون نظر من يقول لغيره ذلك القول فكأنه يقول ذلك وقيل معناه ان المنافقين كان ينـظر بعضهم إلى بعض نظر تعنت وطعن في القرآن ثم يقولون هل يرانا أحد من المسلمين فإذا تحقق لهم أنه لا يراهم احد من المسلمين بـالغوا فيـه وان علموا انهم يـراهم واحد منهم كفـوا عنه ﴿**ثم انصرفوا**﴾ أي انصرفوا عن المجلس وقيل انصرفوا عن الإيمان به ﴿**صرف الله قلوبهم**﴾ عن الفوائد التي يستفيدها المؤمنون والسرور بها وحرموا الاستبشار بتلك الحال وقيل معناه صرف الله قلوبهم عن رحمته وثوابه عقوبـة لهم على انصرافهم عن الإيمـان بالقـرآن وعن مجلس

النبي ﷺ وقيل انه على وجه الدعاء عليهم أي خذلهم الله باستحقاقهم ذلك ودعاء الله على عباده وعيد لهم واخبار بلحاق العذاب بهم عن ابي مسلم **﴿بأنهم قوم لا يفقهون﴾** أي ذلك بسبب انهم لا يفقهون مراد الله بخطابه لأنهم لا ينظرون فيه ثم خاطب الله سبحانه جميع الخلق واكدّ خطابه بالقسم فقال **﴿لقد جاءكم رسول من انفسكم﴾** عنى بالرسول محمداً ﷺ أي جاءكم رسول من جنسكم من البشر ثم من العرب ثم من بني إسماعيل عن السدي وقيل ان الخطاب للعرب وليس في العرب قبيلة إلا وقد ولدت النبي ﷺ وله فيهم نسب عن ابن عباس وقيل معناه انه من نكاح لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية عن الصادق (ع) وروى ابن عباس عن النبي ﷺ انه قال ما ولدني من سفاح اهل الجاهلية شيء ما ولدني إلا نكاح كنكاح الإسلام وإنما منَّ الله عليهم بكونه منهم لأنهم عرفوا مولده ومنشأه وشاهدوه صغيراً وكبيراً وعرفوا حاله في صدقه وأمانته ولم يعثروا على شيء يوجب نقصاً فيه فبالحري أن يكونوا اقرب إلى القبول منه والانقياد له **﴿عزيز عليه ما عنتم﴾** معناه شديد عليه عنتكم أي ما يلحقكم من الضرر بترك الإيمان وقيل معناه شديد عليه ما أثمتم عن الكلبي والضحاك وقيل ما اعنتكم وضرّكم عن القتيبي وقيل ما هلكتم عليه عن ابن الانباري **﴿حريص عليكم﴾** معناه حريص على من لم يؤمن أن يؤمن عن الحسن وقتادة **﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾** قيل هما واحد والرأفة شدة الرحمة وقيل رؤوف بالمطيعين منهم رحيم بالمذنبين وقيل رؤوف بأقربائه رحيم بأوليائه رؤوف لمن رآه رحيم بمن لم يره وقال بعض السلف لم يجمع الله سبحانه لأحد من الانبياء بين اسمين من اسمائه إلا للنبي ﷺ فإنه قال بالمؤمنين رؤوف رحيم وقال ان الله بالناس لرؤوف رحيم **﴿فإن تولوا﴾** أي ذهبوا عن الحق واتباع الرسول وما يأمرهم به واعرضوا عن قبوله وقيل معناه فإن تولوا عنك وعن الإقرار بنبوتك **﴿فقل حسبي الله﴾** أي كافي الله فإنه القادر على كل شيء **﴿لا إله إلا هو عليه توكلت﴾** وبه وثقت وعليه اعتمدت وأموري إليه فوضت **﴿وهو رب العرش العظيم﴾** خصَّ العرش بالذكر تفخيماً لشأنه ولأنه إذا كان رب العرش مع عظمه كان رب ما دونه في العظم وقيل ان العرش عبارة عن الملك والسلطان فمعناه رب الملك العظيم في السماوات والأرض عن أبي مسلم وقيل ان هذه الآية آخر آية نزلت من السماء وآخر سورة كاملة نزلت سورة براءة وقال قتادة آخر القرآن عهداً بالسماء هاتان الآيتان خاتمة براءة.

(١٠) سورة يونس مكية
وآياتها تسع ومائة

هي مكية في قول الأكثرين وروي عن ابن عباس وقتادة إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة فإن كنت في شك مما انزلنا اليك إلى آخرهنَّ وقال ابن المبارك الآ ومنهم من يؤمن به الآية فإنها نزلت في اليهود بالمدينة.

[عدد آيها]

مائة وتسع آيات عند الجميع غير الشامي فإنه يقول وعشر آيات.

[اختلافها]

ثلاث آيات مخلصين له الدين وشفاء لما في الصدور شامي من الشاكرين غير الشامي.

[فضلها] ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها اعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدَّق بيونس وكذَّب به وبعدد من غرق مع فرعون وروي عن أبي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة يونس في كل شهرين او ثلاثة لم يخف عليه أن يكون من الجاهلين كان يوم القيامة من المقرَّبين.

[تفسيرها] لما ختم الله سورة البراءة بذكر الرسول افتتح هذه السورة بذكره وما انزل عليه من القرآن فقال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ

عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾

[**القراءة**] قرأ آلر بإمالة الراء أبو عمرو واهل الكوفة غير عاصم إلا يحيى[١] وقرأ الباقون بالتفخيم وقرأ لساحر بالألف ابن كثير وأهل الكوفة وقرأ الباقون لسحر بكسر السين وبغير الف.

[**الحجة**] قال ابو علي من امال فقال راياً فلأنها اسماء لما تلفظ بها من الاصوات المنقطعة في مخارج الحروف كما ان غاق اسم للصوت الذي يصوته الغراب فجازت الإمالة فيها من حيث كانت اسماً ولم تكن كالحروف التي يمتنع فيها الإمالة نحو ما ولا وما أشبههما من الحروف فإن قلت ان الأسماء لا تكون على حرفين أحدهما حرف لين وإنما يكون على هذه الصفة الحروف نحو ما ولا فالقول إن هذه الأسماء لا يمتنع أن تكون على حرفين أحدهما حرف لين لأن التنوين لا يلحقها فيؤمن لامتناع التنوين من اللحاق لها ان تبقى على حرف واحد فإذا أمن ذلك لم يمتنع ان يكون الاسم على حرفين احدهما حرف لين الا ترى انهم قد قالوا هذا شاة فجاء على حرفين أحدهما حرف لين لما امن لحاق التنوين له لاتصال علامة التأنيث به وكذلك قولك رأيت رجلاً ذا مال لاتصال المضاف اليه به وكذلك قولهم كسرت فازيد قال ويدل على قول من قال لسحر قوله سبحانه قالوا هذا سحر وانا به كافرون ويدل على ساحر قوله وقال الكافرون هذا ساحر كذاب وقد تقدم قوله اوحينا إلى رجل منهم فمن قرأ ساحر اراد الرجل ومن قرأ سحر أراد الذي أوحى سحر.

[**اللغة**] الآية العلامة التي تنبيء عن مقطع الكلام من جهة مخصوصة والقرآن مفصل بالآيات مضمن بالحكم النافية للشبهات والحكيم ههنا بمعنى المحكم فعيل بمعنى مفعل قال الاعشى:

وَغَـرِيبَـةٍ تَـأْتِي المُلُوكَ حَـكِيمَـةٍ قَـدْ قُلْتُهَـا لِيُقَـالَ مَنْ ذا قَـالَهَـا[٢]

(١) أي الا في رواية يحيى عن عاصم فإن في روايته عنه امال ايضاً بخلاف رواية غيره عن عاصم.

(٢) يعني قصيدة غريبة محكمة.

وأنشد أبو عبيدة لأبي ذويب:

يُـواعِـدُني عُـكَـاظ لَـنَـنْـزِلَـنْـهُ وَلَـمْ يُـشْـعِـرْ إذا أَنـي خَـلِيفُ[١]

أي مخلف من اخلفته الوعد وقيل هو بمعنى الحاكم ودليله قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه قال الازهري القدم الشيء الذي تقدمه قدامك ليكون عدة لك حتى تقدم عليه وقيل القدم المقدم كالنقض والقبض قال ابن الاعرابي القدم المتقدم في الشرف وقال العجاج.

ذَلَّ بَـنُـو الْعَـوَّامِ عَـنْ آلِ الـحَـكَـمِ وَتَـرَكـوا الْـمُـلْكَ لِـمُـلْكٍ ذي قِـدَمٍ

وقال الأزهري فلان يمشي اليَقْدُمِيَّة والتَقْدُمِيَّة إذا تقدم في الشرف وقال أبو عبيدة والكسائي كل سابق في خير أو شر فهو عند العرب قدم ويقال الفلان قدم في الإسلام وهو مؤنث يقال قدم حسنة قال حسان:

لَنَـا الْقَـدَمُ العُلْيـا[٢] إلَيْـكَ وَخَلْفُنَـا لأوَّلِـنَـا فـي طَـاعَـةِ الـلَّهِ تَـابِـعُ

وقال ذو الرمة :

لَـكُمْ قَـدَمٌ لا يُـنْكِـرُ الـنَّـاسُ أنَّـهَـا مَعَ الْحَسَبِ الْعَادِيِّ طَمَّتْ عَلَى الْبَحْرِ[٣]

[**الاعراب**] أضيفت آيات إلى الكتاب لأنها ابعاض الكتاب كما ان سورة ابعاضه وان اوحينا في موضع رفع بأنه اسم كان وعجباً خبره واللام في قوله للناس يتعلق بمحذوف كان صفة لعجب فلما تقدم صار حالاً كقوله «لعزة موحشاً طلل قديم» وان شئت كان ظرفاً لكان وان انذر في موضع نصب تقديره أوحينا بأن أنذر فحذف الجار فوصل الفعل وان لهم قدم صدق كذلك موضعه نصب بقوله وبشر ولو قرىء إنّ لهم بالكسر لكان جائزاً لأن البشارة في معنى القول الا انه لم يقرأ به وأضيف قدم إلى صدق كما يقال مسجد الجامع.

[**المعنى**] قد مضى الكلام في معاني الحروف المعجمة المذكورة في أوائل السور من قبل ﴿**تلك آيات الكتاب الحكيم**﴾ معناه ان الآيات التي جرى ذكرها أو الآيات التي أنزلت على محمد ﷺ هي آيات القرآن المحكم من الباطل الممنوع من الفساد لا كذب فيه

(١) وفي اللسان «ترا عدنا الربيق لننزلنه * ولم تشعراه».

(٢) وفي ديوانه «لنا القدم الاولى» ولعله الظاهر.

(٣) العادي: الشيء القديم تنسب الى عاد. وطم الماء كثر وغلب.

ولا اختلاف وقيل تلك اي هذه السور آيات الكتاب الحكيم أي اللوح المحفوظ وسماه محكماً لأنه ناطق بالحكمة وقيل لأنه جمع العلوم والحكمة وقيل إنما وصف الكتاب بالحكيم لأنه دليل على الحق كالناطق بالحكمة ولأنه يؤدي إلى المعرفة التي تميز بها طريق الهلاك من طريق النجاة ﴿**أكان للناس عجباً ان أوحينا إلى رجل منهم ان أنذر الناس**﴾ هذه الف استفهام المراد به الإنكار وقيل ان المراد بالناس هنا أهل مكة قالوا نعجب ان الله سبحانه لم يجد رسولاً يرسله الى الناس إلا يتيم ابي طالب والتقدير أكان ايحاؤنا إلى رجل من الناس بأن ينذرهم عجباً ومعناه لماذا تعجبون ان اوحينا إلى رجل منهم وليس هذا موضع التعجب بل هو الذي كان يجب فعله عند كل العقلاء فإن الله تعالى لما اكمل لعباده عقولهم وكلّفهم معرفته واداء شكره وعلم انهم لا يصلحون ولا يقومون بذلك الأبداع يدعوهم اليه ومنبّه ينبّههم عليه وجب في الحكمة أن يفعل ذلك ثم بيّن سبحانه الوجه الذي لأجله بعث وما الذي أوحى إليه فقال ان انذر الناس اي اخبرهم بالعذاب وخَوِّفهم به ﴿**وبَشِّر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم**﴾ اي عرّفهم ما فيه الشرف والخلود في نعيم الجنة على وجه الإكرام والأجلال لصالح الاعمال وقيل ان لهم قدم صدق اي أجراً حسناً ومنزلة رفيعة بما قدّموا من اعمالهم عن ابن عباس وروي عنه أيضاً ان المعنى سبقت لهم السعادة في الذكر الأول ويؤيده قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وقيل هو تقديم الله تعالى إياهم في البعث يوم القيامة بيانه قوله (ع) نحن الآخرون السابقون يوم القيامة وقيل أن القدم اسم للحسنى من العبد واليد اسم للحسنى من السيد للفرق بين السيد والعبد وقيل ان معنى قدم صدق شفاعة محمد ﷺ لهم يوم القيامة عن ابي سعيد الخدري وهو المروي عن ابي عبدالله (ع) ﴿ **قال الكافرون . إنَّ هذا لساحر مبين** ﴾ يعنون النبي أي قالوا هذا ساحر مظهر للسحر وما أتى به سحر بَيِّن على اختلاف القراءتين والسحر فعل يخفي وجه الحيلة فيه حتى يتوهم انه معجز وهذا يدل على عجزهم عن معارضة القرآن ولذلك عدلوا إلى وصفه بالسحر .

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن
شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا

ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر المدني انه يبدأ بفتح الهمزة وهو قراءة الاعمش والباقون بكسرها.

[**الحجة**] من قرأ انه فتقديره وعد الله حقاً لأنه يبدأُ الخلق ثم يعيده اي من قدر على هذا الأمر العظيم فإنه غني عن اخلاف الوعد وان شئت كان تقديره وعد الله وعداً حقاً انه يبدؤ الخلق فيكون في محل النصب بالفعل الناصب لقوله وعداً قال ابن جني ولا يجوز ان يكون ان منصوبة الموضع بنفس وعداً لأنه قد وصف بقوله حقاً والصفة إذا جرت على موصوفها اذنت بتمامه وانقضاء اجزائه ولا يكون تاماً إذا كان ما بعد الصفة من صلته فأما قول الحطيئة.

أَزْمَعْتُ يَأْساً مُبِيناً مِنْ نَوالِكُمْ وَلَنْ تَرى طَارِداً لِلْحُرِ كَالْيَأْسِ[١]

فإن قوله من نوالكم ليس من صلة يأس بل يتعلق بفعل يدل عليه قوله يأساً مبيناً فكأنه قال فيما بعد يئست من نوالكم وقال الفراء من فتح جعله مفعول حقاً كما في قول الشاعر :

أَحَقًّا عِبَادَ الله أَنْ لَسْتُ زائراً بُثَيْنَةَ أَوْ يَلْقَى الثُّرَيا رَقِيبُها[٢]

[اللغة] القسط العدل ومنه القسط النصيب والقسط بفتح القاف الجور والقَسَط بفتح القاف والسين اعوجاج في الرجلين والحميم الماء الذي اسخن بالنار اشد اسخان قال المرقش الأصغر.

فِي كُلِّ يَوْمٍ لَهَا مِقْطَرَةٌ فِيهَا كِبَاءٌ مُعَدٌّ وَحَمِيمٌ[٣]

---

(١) ازمع الامر: ثبت عليه. والنوال: العطاء.

(٢) رقيب الثريا من النجوم الاكليل فإذا طلعت الثريا عشاءاً غاب الاكليل وبالعكس ورقيب النجم: الذي يغيب بطلوعه. وبثينة: اسم امرأة.

(٣) الكباء: ضرب من العود الذي يتبخر به. وفي اللسان «كل عشاء لها مقطرة * ذات كباء معد وحميم».

[**الإعراب**] جميعا نصب على الحال وعد الله منصوب على المصدر لأن قوله إليه مرجعكم معناه الوعد بالرجوع وحقاً منصوب على أحق ذلك حقاً عن الزجاج وأضيف المصدر في قوله وعد الله الى الفاعل لما لم يذكر الفعل كما في قول كعب بن زهير.

تَسْعَى الوُشَاةِ جَنابَيْهَا[1] وقيلَهُمُ إنّكَ يَا ابْنَ أَبِي سَلْمىٰ لَمَقْتُولُ

أي ويقولون قيلهم.

[**المعنى**] ﴿**ان ربكم**﴾ أي خالقكم ومنشئكم ومالك تدبيركم وتصريفكم من امره ونهيه والذي يجب عليكم عبادته ﴿**الله الذي خلق السماوات والأرض**﴾ أي اخترعهما وأنشأهما على ما فيهما من عجائب الصنعة وبدائع الحكمة ﴿**في ستة ايام**﴾ بلا زيادة ونقصان مع قدرته على إنشائهما دفعة واحدة والوجه فيه ان في ذلك مصلحة للملائكة وعبرة لهم ولغيرهم إذا اخبروا عن ذلك وكذلك تصريف الانسان حالاً بعد حال واخراج الثمار والازهار شيئاً بعد شيء مع قدرته على ذلك في اقل من لمح البصر لأن ذلك أبعد من توهم الانفاق فيه ﴿**ثم استوى على العرش**﴾ مرَّ تفسيره في سورة الاعراف وقيل ان العرش المذكور هنا هو السماوات والأرض لأنهن من بنائه والعرش البناء واما العرش المعظم الذي تعبد الله سبحانه الملائكة بالحفوف به والإعظام له وعناه بقوله الذين يحملون العرش ومن حوله فهو غير هذا وقيل ان ثم هنا بمعنى الواو وقيل ان ثم دخل على التدبير وتقديره أي ثم استوى عليه بإنشاء التدبير من جهته كما يستوي الملك على سرير ملكه بالاستيلاء على تدبيره فإن تدبير الأمور كلها ينزل من عند العرش ولهذا ترفع الأيدي في دعاء الحوائج نحو العرش ﴿**يدبر الأمر**﴾ أي يقدّر وينفذه على وجهه ويرتّبه على مراتبه على احكام عواقبه وهو مأخوذ من الدبور ﴿**ما من شفيع إلا من بعد إذنه**﴾ إنما قال هذا وإن لم يجر ذكر للشفعاء لأن الكفار كانوا يقولون الأصنام شفعاؤنا عند الله فبيَّن سبحانه ان الشفيع إنما يشفع عنده إذا أذن له في الشفاعة وإذا كانت الأصنام لا تعقل فكيف تكون شافعة مع انه لا يشفع عنده أحد من الملائكة والنبيين إلا بإذنه وأمره ﴿**ذلكم الله ربكم**﴾ أي ان الموصوف بهذه الصفات هو إلهكم ﴿**فاعبدوه**﴾ وحده لأنه لا إله لكم سواه ولا يستحق هذه الصفات غيره ولا تعبدوا الأصنام ﴿**أفلا تذكرون**﴾ حثّهم سبحانه على التذكر والتفكر فيما اخبرهم به وعلى تعرف صحته ﴿**إليه مرجعكم جميعاً**﴾ المرجع يحتمل معنيين (أحدهما) أن يكونا بمعنى المصدر الذي هو الرجوع

---

(١) [illegible] عشوقة.

(والآخـر) ان يكون بمعنى موضع الرجوع أي إليه موضع رجوعكم يكون إذا شاء ﴿وعد الله حقاً﴾ أي وعد الله تعالى ذلك عباده وعدا حقاً صدقاً ﴿إنه يبدؤ الخلق ثم يعيده﴾ اي يبتدىء الخلق ابتداء ثم يعيدهم بعد موتهم ﴿ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أي ليؤتيهم جزاء أعمالهم ﴿بالقسط﴾ أي بالعدل لا ينقص من أجورهم شيئاً ﴿ والذين كفروا لهم شراب من حميم﴾ أي ماء حار قد انتهى حرّه في النار ﴿وعذاب أليم﴾ وجيع ﴿بما كانوا يكفرون﴾ أي جزاء على كفرهم .

[**النظم**] وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انه قـال أكان للنـاس عجباً قـالوا وكيف لا نعجب ولا علم لنا بالمرسل فقال ان ربكم الله ويجوز ان يكون على انه لما قال أكان للناس عجباً وكان هذا حكماً على الله سبحانه فكأنه قـال أفتحكمون عليـه وهو ربكم قـال الاصم ويحتمل ان يكون هذا ابتداء خطاب للخلق جميعاً احتجَّ الله بها على عباده بما بيَّن من بدائع صنعه في السماوات والأرض وفي أنفسهم .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

[**القراءة**] قرأ أهل البصرة وابن كثير وحفص والعجلي يفصل بالياء والباقون نفصـل بالنون .

[**الحجة**] من قرأ بالياء فلأنه تقدَّم ذكر الله سبحانه فأضمـره في الفعل ومن قرأ بالنون فمثل قوله تلك آيات الله نتلوها .

[**اللغة**] الجعل إيجاد ما به يكون الشيء على صفة لم يكن عليها والضياء يجوز ان يكون جمع ضوء كسوط وسياط وحوض وحياض ويجوز ان يكون مصدر ضـاء يضوء ضيـاء

وضوءاً مثل عاذ يعوذ عياذاً وعوذاً وقام يقوم قياماً وعلى أيّ الوجهين كان فالمضاف محذوف وتقديره جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذا نور ويكون جعل النور والضياء لكثرة ذلك فيهما والاختلاف ذهاب كل واحد من الشيئين في غير جهة الآخر فاختلاف الليل والنهار ذهاب أحدهما في جهة الضياء والآخر في جهة الظلام والليل عبارة عن وقت غروب الشمس إلى طلوع الفجر الثاني وليل وليلة مثل تمر وتمرة والنهار عبارة عن اتساع الضياء من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس والنهار واليوم بمعنى واحد إلا أن في النهار فائدة اتساع الضياء .

[**المعنى**] ثم زاد سبحانه في الاحتجاج للتوحيد فقال **﴿هو الذي جعل الشمس ضياء﴾** بالنهار **﴿والقمر نوراً﴾** بالليل والضياء ابلغ في كشف الظلمات من النور وفيه صفة زائدة على النور **﴿وقدَّره منازل﴾** أي وقدَّر القمر منازل معلومة **﴿لتعلموا﴾** به وبمنازله **﴿عدد السنين والحساب﴾** وأول الشهر وآخره وانقضاء كل سنة وكميتها وجعل الشمس والقمر آيتين من آيات الله تعالى وفيهما اعظم الدلالات على وحدانيته تعالى من وجوه كثيرة منها خلقهما وخلق الضياء والنور فيهما ودورانهما وقربهما وبعدهما ومشارقهما ومغاربهما وكسوفهما وفي بثّ الشمس الشعاع في العالم وتأثيرها في الحرّ والبرد واخراج النبات وطبخ الثمار وفي تمام القمر وسط الشهر ونقصانه في الطرفين ليتميز أول الشهر وآخره من الوسط كل واحد من ذلك نعمة عظيمة من الله سبحانه على خلقه ولذلك قال **﴿ما خلق الله ذلك الا بالحق﴾** لأن في ذلك منافع للخلق في دينهم ودنياهم ودلائل على وحدانية الله وقدرته وكونه عالماً لم يزل ولا يزال **﴿يفصل الآيات﴾** أي يشرحها ويبيّنها آية آية **﴿لقوم يعلمون﴾** فيعطون كل آية حظُّها من التأمل والتدبر وقيل ان المعنى في قوله وقدَّره منازل التثنية أي قدَّر الشمس والقمر منازل غير انه وحده للايجاز اكتفاء بالمعلوم كما مرَّ ذكر امثاله فيما تقدم وكما في قول الشاعر .

رَمَانِي بِأَمْرٍ كُنْتُ مِنْهُ وَوَالِدِي بَرِيئاً وَمِنْ جُولِ الطَّوِيّ رَمَانِي[1]

فإن الشمس تقطع المنازل في كل سنة والقمر يقطعها في كل شهر فإنما يتمّ الحساب وتعلم الشهور والسنون والشتاء والصيف بمقاديرهما ومجاريهما في تداويرهما **﴿إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض﴾** أي فعله فيهما على ما يقتضيه الحكمة في السماوات من الافلاك والكواكب السيارة وغير السيارة وفي الأرض من الحيوان والنبات والجماد وانواع الارزاق والنعم **﴿لآيات﴾** أي حججاً ودلالات على وحدانية الله

---

(١) الشعر في جامع الشواهد وقد مر في ج ١ : بمعناه أيضاً.

﴿لقوم يتقون﴾ معاصي الله ويخافون عقابه وخصَّهم بالذكر لاختصاصهم بالانتفاع بها.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَـٰتِنَا غَـٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠﴾

[**القراءة**] في الشواذ قراءة ابن محيصن ويعقوب ان الحمد لله.

[**الحجة**] وهذه القراءة تدل على ان قراءة الجماعة ان الحمد لله إنما هو على أن ان مخففة من الثقيلة كما في قوله.

في فِتْيَةٍ كَسُيُوفِ الهِنْدِ قَدْ عَلِمُوا أَنْ هَالِكٌ كُلُّ مَنْ يَحْفَى وَيَنْتَعِلُ

فيكون على تقدير انه الحمد لله ولا يجوز أن تكون أن هنا زائدة كما زيدت في قوله.

وَيَوماً تُوافِينَا بِوَجْهٍ مُقَسَّمٍ كَأَنْ ظَبْيَةٍ تَعْطُو إلىٰ وَارِقِ السَّلَمِ(١)

أي كظبية.

[**اللغة**] الغفلة والسهو من النظائر وهو ذهاب المعنى عن النفس ونقيضه اليقظة

(١) قائله باعث بن صريم اليشكري وقيل هو لكعب بن ارقم اليشكري. يصف امرأة حسنة الوجه فشبهها بظبية مخصبة والمقسم بمعنى المحسن. ويقال رجل مقسم الوجه اي جميل كله. والعاطية التي تتناول اطراف الشجر مرتعية والوارق: المورق. والسلم: شجر.

والدعوى قول يدعى به إلى أمر والتحية التكرمة بالحال الجليلة ولذلك يسمّون الملك التحية قال (مِنْ كُلِّ مٰا نٰالَ الْفَتىٰ قَدْ نِلْتُهُ إِلَّا التَحِيَّة)(١) وهو مأخوذ من قولهم أحياك الله حياة طيبة .

[المعنى] ثم انه سبحانه اوعد الغافلين عن الأدلة المتقدمة المكذبين بالمعاد فقال ﴿إن الذين لا يرجون لقاءنا﴾ أي لقاء جزائنا ومعناه لا يطعمون في ثوابنا واضافة إلى نفسه تعظيماً له ويحتمل ان يكون المعنى لا يخافون عقابنا كما يكون الرجاء بمعنى الخوف كما في قول الهذلي .

إِذا لَسَعَتْهُ الْنَحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهٰا وَخٰالَفَهٰا في بَيْتِ نُوبٍ عَوٰاسِلِ (٢)

جعل سبحانه ملاقاة ما لا يقدر عليه إلا هو ملاقاة له كما جعل اتيان ملائكته اتياناً له في قوله هل ينظرون إلا ان يأتيهم الله تفخيماً للأمر ﴿ورضوا بالحياة الدنيا﴾ أي متّعوا بها واختاروها فلا يعملون إلا لها ولا يجتهدون إلا لاجلها مع سرعة فنائها ولا يرجون ما وراءها ﴿ واطمأنُّوا بها ﴾ أي وسكنوا إلى الدنيا بأنفسهم وركنوا إليها بقلوبهم ﴿ والذين هم عن آياتنا غافلون ﴾ أي ذاهبون عن تأملها فلا يعتبرون بها ﴿اولئك مأواهم النار﴾ أي مستقرُّهم النار ﴿بما كانوا يكسبون﴾ من المعاصي ثم وعد سبحانه المؤمنين بعد ما اوعد الكافرين فقال ﴿إن الذين آمنوا﴾ أي صدَّقوا بالله ورسله ﴿وعملوا الصالحات﴾ أي وأضافوا إلى ذلك الأعمال الصالحة ﴿يهديهم ربهم بإيمانهم﴾ إلى الجنة ﴿تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم﴾ أي تجري بين ايديهم الأنهار وهم يرونها من علوٍّ كما قال سبحانه قد جعل ربك تحتك سرياً ومعلوم انه لم يجعل السري الذي هو الجدول تحتها وهي قاعدة عليه وإنما اراد انه جعله بين يديها وقيل معناه من تحت بساتينهم وأسِرَّتهم وقصورهم عن الجبائي وقوله بإيمانهم يعني به جزاء على إيمانهم ﴿دعواهم فيها﴾ أي دعاء المؤمنين في الجنة وذكرهم فيها ان يقولوا ﴿سبحانك اللهم﴾ يقولون ذلك لا على وجه العبادة لأنه ليس هناك تكليف بل يلتذُّون بالتسبيح وقيل انهم إذا مرّ بهم الطير في الهواء يشتهونه قالوا سبحانك اللهم فيأتيهم الطير فيقع مشوياً بين ايديهم وإذا قضوا منه الشهوة قالوا الحمد لله رب العالمين فيطير الطير حيّاً كما كان فيكون مفتتح كلامهم في كل شيء التسبيح ومختتم كلامهم التحميد فيكون

(١) قائله زهير بن جناب الكلبي وقبله «وتركتم اولاد سادات زنادكم ورية» وفي الشعر كلام طويل ذكره في اللسان في مادة «حيا» فراجع .

(٢) لم يرج أي لم يخف ولم يبال . وخالفها أي دخل عليها وأخذ عسلها . ويروي فحالفها بالمهملة . وهو بمعنى لزمها . والنوب : النحل وقد مرّ في ج ٢ : . أيضاً .

التسبيح في الجنة بدل التسمية في الدنيا عن ابن جريج ﴿**وتحيتهم فيها سلام**﴾ أي تحيتهم من الله سبحانه في الجنة سلام وقيل معناه تحية بعضهم لبعض فيها أو تحية الملائكة لهم فيها سلام يقولون سلام عليك أي سلمتم من الآفات والمكاره التي ابتلى بها اهل النار وقد ذكرنا معنى قوله﴿**وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين**﴾ وليس المراد ان ذلك يكون آخر كلامهم حتى لا يتكلّموا بعده بشيء بل المراد أنهم يجعلون هذا آخر كلامهم في كل ما ذكروه عن الحسن والجبائي.

﴿ * وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر ويعقوب لَقّضى بفتح القاف أَجَلَهم منصوب والباقون لقُضِي على ما لم يسم فاعله أَجَلُهم بالرفع.

[**الحجة**] قال أبو علي اللام في قوله لقضي اليهم جواب لو في قوله ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير والمعنى والله اعلم ولو يعجل الله للناس دعاء الشرّ أي ما يدعون به من الشر على انفسهم في حال ضجر أو بطر استعجاله إياهم بدعاء الخير فأضاف المصدر إلى المفعول فحذف الفاعل كقوله تعالى لا يسأم الانسان من دعاء الخير في حذف ضمير الفاعل والتقدير ولو يعجل الله للناس الشر استعجالاً مثل استعجالهم بالخير لقضي اليهم أجلهم قال أبو عبيدة لقضي اليهم أجلهم معناه لفرغ من أجلهم وانشد لأبي ذويب.

وعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا ... داودُ أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ تُبَّعُ(١)

(١) مضى البيت في ج ٢

ومثل ما أنشده قول الآخر.

قَضَيْتَ أُمُوراً ثُمّ غَادَرْتَ بَعْدَهَا بَوَائِقَ في أَكْمَامِهَا لَمْ تُفَتَّقِ[١]

والمعنى لفرغ من اجلهم ومدتهم المضروبة للحياة وإذا انتهت مدتهم المضروبة للحياة هلكوا وهذا قريب من قوله ويدعو الانسان بالشرّ دعاء بالخير وكان الانسان عجولاً وقالوا للميت مقضى كأنه قضى إذا مات وقضى فعل. التقدير استوفى أجله وفرغ منه قال ذو الرمة.

إذا الشَخْصُ فيهَا هَزَّهُ الآلُ أَغْمَضَتْ عَلَيْهِ كَإِغْمَاضِ الْمُقَضِّي هُجُولُهَا[٢]

المعنى اغمضت هجول هذه البلاد على الشخص الذي فيها فلم ير لغرقه في الآل كإغماض المقضي وهو الميت واما ما يتعلق به الجار من قوله لقضي اليهم فكأنه لما كان معنى قضى فرغ وكان قولهم فرغ يتعدى بهذا الحرف في قوله.

الآنَ فقد فرغْتَ إلىٰ نُمَيْر فَهٰذا حِينَ صِرْتُ لَهُمْ عَذابا

وفي التنزيل سنفرغ لكم ايها الثقلان امكن ان يكون الفعل يعدّي باللام كما يعدّي بإلى وباللام في قوله بأن ربك أوحى لها فلما كان معنى قضى فرغ تعلّق بها إلى كذلك تعلق بقضي ووجه قراءة ابن عامر لقضى اليهم اجلهم على اسناد الفعل إلى الفاعل ان الذكر قد تقدّم في قوله ولو يعجل الله للناس فقال لقضى على هذا ومن حجته في ذلك قوله ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده فهذا الأجل الذي في هذه الآية هو الأجل المضروب للمحيا كما ان الاجل في قوله لقضي اليهم أجلهم كذلك فكما اسند الفعل في الأجل المضروب للحياة الى الفاعل في قوله ثم قضى اجلاً عند الجميع كذلك اسنده ابن عامر في قوله لقضى اليهم اجلهم إلى الفاعل ولم يسنده إلى الفعل المبني للمفعول ويدل على ان الأجل في قوله ثم قضى اجلا اجل المحيا ان قوله وأجل مسمى عنده اجل البعث يبيّن ذلك قوله ثم انتم تمترون اي انتم ايها المشركون تشكُّون في البعث ومن قرأ لقضي فبنى الفعل للمفعول به فلأنه في المعنى مثل قول من بنى الفعل للفاعل.

---

(١) غادره: تركه والبوائق جمع البائقة. الداهية. وفي اللسان «موائج» وهو معناه أيضاً والاكمام جمع الكم - بالكسر وعاء الطلع وغطاء النور. وبالفارسة «غلاف شكوفه».

(٢) الآل السراب والهجول جمع الهجل: المطمئن من الأرض.

[**الإعراب**] قوله لجنبه في موضع نصب على الحال تقديره دعانا منبطحاً لجنبه أو دعانا قائماً ويجوز ان يكون تقديره إذا مسّ الانسان الضرّ لجنبه أو مسّه قاعداً أو مسّه قائماً دعانا وموضع الكاف من كذلك نصب على مفعول ما لم يسم فاعله أي زيّن للمسرفين عملهم مثل ذلك .

[المعنى] ثم عاد الكلام إلى ذكر المائلين إلى الدنيا المطمئنين اليها الغافلين عن الآخرة فقال **﴿ولو يعجل الله للناس الشر﴾** أي اجابة دعوتهم في الشر إذا دعوا به على أنفسهم وأهاليهم عند الغيظ والضجر واستعجلوه مثل قول الانسان رفعني الله من بينكم وقوله لولده اللهم العنه ولا تبارك فيه **﴿استعجالهم بالخير﴾** أي كما يعجل لهم اجابة الدعوة بالخير إذا استعجلوها **﴿لقضي اليهم أجلهم﴾** أي لفرغ من اهلاكهم ولكن الله تعالى لا يعجل لهم الهلاك بل يمهلهم حتى يتوبوا وقيل معناه ولو يعجلّ الله للناس العقاب الذي استحقّوه بالمعاصي كما يستعجلونهم خير الدنيا وربما أجيبوا إلى ما سألوه إذا اقتضت المصلحة ذلك لفنوا لأن بنية الإنسان في الدنيا لا تحتمل عقاب الآخرة بل لا تحتمل ما دونه والله سبحانه يوصله اليهم في وقته وسمي العقاب شرّاً من جهة المشقة والأذى الذي فيه وفائدته انه لو تعجلت العقاب لزال التكليف ولا يزول التكليف إلا بالموت وإذا عوجلوا بالموت لم يبق احد **﴿فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون﴾** أي فندع الذين لا يخافون البعث والحساب يتحيّرون في كفرهم وعدولهم عن الحق إلى الباطل وتمردهم في الظلم . والعمه شدة الحيرة ثم اخبر سبحانه عن قلة صبر الانسان على الضرر والشدائد فقال **﴿وإذا مس الانسان الضر﴾** أي المشقة والبلاء والمحنة من محن الدنيا **﴿دعانا لجنبه﴾** أي دعانا لكشفه مضطجعاً **﴿أو قاعداً أو قائماً﴾** أي على أيّ حال كان عليها واجتهد في الدعاء وسؤال العافية وليس غرضه بذلك نيل ثواب الآخرة وإنما غرضه زوال ما هو من الألم والشدة وقيل ان تقديره وإذا مس الانسان الضر مضطجعاً أو قاعداً أو قائماً دعانا لكشفه وفيه تقديم وتأخير **﴿ فلما كشفنا عنه ضره ﴾** أي فلما أزلنا عنه ذلك الضرر ووهبنا له العافية **﴿مرَّ﴾** أي استمر على طريقته الأولى معرضاً عن شكرنا **﴿كأن لم يدعنا إلى ضرّ مسّه﴾** أي كأن لم يدعنا قط لكشف ضره ولم يسألنا إزالة الألم عنه **﴿كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون﴾** أي كما زين لهم الشيطان واقرانهم الغواة ترك الدعاء عند الرخاء زيّنوا للمسرفين أي للمشركين عملهم عن الحسن ويحتمل ان يكون زين المسرفون بعضهم لبعض وإن لم يضف التزيين اليهم فهو كقولهم فلان معجب بنفسه وقد حثّ الله سبحانه بهذه الآية الذين منحوا الرخاء بعد الشدة والعافية بعد البلية على أن يتذكروا حسن صنع الله اليهم وجزيل نعمته عليهم ويشكروه على ذلك

ويسألوه ادامة ذلك لديهم ونبّه بذلك على وجوب الصبر عند المحنة احتساباً للأجر وابتغاء للثواب والذخر.

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

[**اللغة**] القرون جمع قرن وهو أهل عصر سمّوا بذلك لمقارنة بعضهم لبعض ومنه قرن الشاة لمقارنته آخر بإزائه والقِرْن بكسر القاف هو المقاوم لقرينه في الشدة .

[**الاعراب**] موضع كيف نصب بقوله تعملون وتقديره لننظر أخيراً تعملون أم شرّاً ولا يجوز أن يكون معمول ننظر لأن ما قبل الاستفهام لا يعمل في ما بعده .

[**المعنى**] ثم اخبر سبحانه عما نزل بالأمم الماضية من المثلات وحذر هذه الأمة عن مثل مصارعهم فقال ﴿**ولقد اهلكنا القرون من قبلكم**﴾ بأنواع العذاب ﴿**لما ظلموا**﴾ انفسهم بأن اشركوا وعصوا ﴿**وجاءتهم رسلهم بالبينات**﴾ أي بالمعجزات الظاهرة والدلالات الواضحة ﴿**وما كانوا ليؤمنوا**﴾ هذا اخبار بأن هذه الأمم إنما اهلكوا لما كانوا في المعلوم انهم لو بقوا لم يكونوا يؤمنون بالرسل الذين أتوهم والكتب التي جاؤوهم بها واستدل أبو علي الجبائي بهذا على ان تبقية الكافر واجبة إذا كان المعلوم من حاله انه يؤمن فيما بعد ﴿**كذلك نجزي القوم المجرمين**﴾ أي كذلك نعذّب القوم المشركين في المستقبل إذا لم يؤمنوا بعد قيام الحجة عليهم وعلمنا انهم لا يؤمنون ولا يصلحون ﴿**ثم جعلناكم**﴾ يا امة محمد ﴿**خلائف في الأرض من بعدهم**﴾ اي من بعد القرون التي اهلكناهم ومعناه اسكناكم الأرض خلفهم ﴿**لننظر كيف تعملون**﴾ اي لنرى عملكم اين يقع من عمل اولئك أتقتدون بهم فتستحقون من العقاب مثل ما استحقوه أم تؤمنون فتستحقون الثواب وإنما قال لننظر ليدل على انه سبحانه يعامل العبد معاملة المختبر الذي لا يعلم الشيء فيجازيه على ما يظهر منه دون ما قد علم انه يفعله مظاهرة في العدل والنظر في الحقيقة لا يجوز على الله تعالى لأنه

إنما يكون بالقلب وهو التفكر وبالعين وهو تقليب الحدقة نحو المرئي التماساً لرؤيته مع سلامة الحاسة واحد هذين لا يجوز عليه سبحانه وإنما يستعمل ذلك في صفاته على وجه المجاز والاتساع فإن النظر إنما هو لطلب العلم وهو سبحانه يعامل عباده معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه.

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ
لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ
مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ
إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ
مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن
قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ
كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾

[**القراءة**] في رواية ابي ربيعة عن البزي عن ابن كثير ولأدْراكم فجعلها لاماً دخلت على ادراكم واmal في ادراكم وادراك في جميع القرآن أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف وروي في الشواذ عن ابن عباس والحسن ولا ادريكم به.

[**الحجة**] قال أبو علي حكى سيبويه دريته ودريت بـه والأكثر في الاستعمال بالباء ويبيّن ذلك قوله ولا ادراكم ولو جاء على اللغة الأخرى لكان ولا ادراكموه وقال الدرية كالفطنة والشعرة وهي مصادر يراد بها ضروب من العلم اما الدراية فكالهداية والدلالة فكأن الدراية التأني والتعمل لعلم الشيء وعلى هذا المعنى ما تصرف من هذه الكلمة أنشد ابو زيد:

فَـإِنَّ غَـزَالَـكَ الَّـذي كُـنْـتَ تَـدَّرِي إذا شِـئْـتَ لَـيْـثُ خَـادِرٌ بَـيْـنَ أَشْـبُـلِ[1]

(١) الاشبل جمع الشبل. ولد الاسد.

وتدري اي تختل ومنه الدرية في قول اكثر الناس الخمل الذي يستتر به الصايد من الوحش كأنه يختل به وداريت الرجل لاينته وخاتلته وإذا كان الحرف على هذا فالداري في وصف القديم سبحانه لا يسوغ فأما قول الراجز (لا هُمَّ لا أَدْري وَأَنْتَ الدَّارِي)[1] فلا يكون حجة في جواز ذلك لأنه استجاز ذلك لما تقدم من قوله لا أدري كما جاز فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه وان تسخروا منا فإنا نسخر منكم وأيضاً فإن الأعراب يذكرون أشياء يمتنع جوازها كما قالوا:

لا هُمَّ إنْ كُنْتَ الَّذي بِعَهْدِي وَلَمْ تُغَيِّرْكَ الأُمُورُ بَعْدِي

وقال الآخر « لَوْ خافَكَ اللهُ عَلَيْهِ حَرَمَه »[2] فأما الهمزة على ما حكي عن الحسن وغيره فلا وجه له لأن الدرء الدفع قال ابن جني يجوز أن يكون لها وجه وإن كان فيه ضعف صنعة وهو أن يكون أراد ولا ادريتكم به ثم قلبت الياء الفاً لانفتاح ما قبلها وإن كانت ساكنة كقولهم في ييأس يا أس وفي ييبس يابس وقال قطرب ان لغة عقيل في إعطيتك ان يقولوا اعطاتك ثم همز الألف على لغة من قال في الباز البأز وفي العالم والخاتم والنابل العألم والخأتم والنأبل ومن قرأ ولأدريكم به فمعناه ولأعلمكم الله تعالى به فيكون نفياً للتلاوة واثباتاً للعلم وعلى قراءة الجماعة يكون نفياً للأمرين جميعاً .

[**اللغة**] التلقاء جهة مقابلة الشيء إلا أنه قد يستعمل ظرفاً فيقال هو تلقاءه كما يقال هو حذاءه وقبالته وتجاهه وإزاءه والعَمْر بفتح العين وسكون الميم والعُمُر بضمهما البقاء وإذا إستعمل في القسم فالفتح لا غير .

[**النزول**] قيل نزلت في خمسة نفر عبد الله بن أمية المخزومي والوليد بن مغيرة ومكرز بن حفص وعمرو بن عبد الله بن أبي قيس العامري والعاص بن عامر بن هاشم قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أئت بقرآن ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وهبل وليس فيه عيبها أو بَدِّله تكلّم به من تلقاء نفسك عن مقاتل وقيل نزلت في المستهزئين قالوا يا محمد أئت بقرآن غير هذا فيه ما نسلكه عن الكلبي .

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه عن مشركي قريش فقال ﴿ **وإذا تتلى عليهم آياتنا** ﴾

(١) وبعده «كل امرىء منك على مقدار».

(٢) والشاهد في إسناد التغير إلى الله تعالى في البيت الأول والخوف إليه في الشعر الثاني فليس كل ما قاله العرب متبعاً بل هو حجة في ما يتعلق باللغة .

المُنْزَلة في القرآن ﴿ **بينات** ﴾ أي واضحات في الحلال والحرام وسائر الشرائع وهي نصب على الحال ﴿ **قال الذين لا يرجون لقاءنا** ﴾ أي لا يؤمنون بالبعث والنشور فلا يخشون عقابنا ولا يطمعون في ثوابنا ﴿ **أئت بقرآن غير هذا** ﴾ الذي تتلوه علينا ﴿ **أو بدّله** ﴾ فاجعله على خلاف ما تقرؤه والفرق بينهما أن الإتيان بغيره قد يكون معه وتبديله لا يكون إلا برفعه وقيل معنى قوله بَدّله غَيِّرْ أحكامه من الحلال أو الحرام أرادوا بذلك زوال الحظر عنهم وسقوط الأمر منهم وأن يخلي بينهم وبين ما يريدونه ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **ما يكون لي أن أبدّله من تلقاء نفسي** ﴾ أي من جهة نفسي وناحية نفسي ولأنه معجز فلا أقدر على الإتيان بمثله ﴿ **إن إتّبع إلا ما يوحى إليَّ** ﴾ أي ما أتبع إلا الذي أوحى إليَّ ﴿ **إني أخاف إن عصيت ربي** ﴾ في إتباع غيره ﴿ **عذاب يوم عظيم** ﴾ أي يوم القيامة ومن إستدل ، بهذه الآية على أن نسخ القرآن بالسنة لا يجوز فقد أبعد لأنه إذا نسخ القرآن بالسنة وما يقوله النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنه يقوله بالوحي من الله فلم ينسخ القرآن ولم يَبدِّله من قبل نفسه بل يكون تبديله من قبل الله تعالى ولكن لا يكون قرآناً ويؤيد ذلك قوله ﴿ **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي** ﴾ إلا يوحى ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **لو شاء الله ما تلوته عليكم** ﴾ معناه لو شاء الله ما تلوت هذا القرآن عليكم بأن كان لا ينزله علي ﴿ **ولا أدراكم به** ﴾ أي ولا أعلمكم الله به بأن لا ينزله علي فلا أقرأه عليكم فلا تعلمونه ﴿ **فقد لبثت فيكم عمراً من قبله** ﴾ أي فقد مكثت وأقمت بينكم دهراً طويلاً من قبل إنزال القرآن فلم أقرأه عليكم فلا تعلمونهِ ولا أدَّعيت نبوة حتى أكرمني الله تعالى به ﴿ **أفلا تعقلون** ﴾ أي أفلا تتفكرون فيه بعقولكم فتعلموا أن المصلحة فيما أنزله الله تعالى دون ما تقرؤونه قال علي بن عيسى العقل هو العلم الذي يمكن به الاستدلال بالشاهد على الغائب والناس يتفاضلون فيه بالأمر المتفاوت فبعضهم أعقل من بعض إذا كان أقدر على الاستدلال من بعض ﴿ **فمن أظلم ممن افترى على الله** ﴾ أي لا أحد أظلم ممن اخترع على الله ﴿ **كذباً أو كذّب بآياته إنه لا يفلح المجرمون** ﴾ أي المشركون عن الحسن فإن قيل أليس من إدَّعى الربوبية أعظم ظلماً من المدعي للنبوة قلنا إن المراد بقوله من افترى على الله كذباً من كفر بالله تعالى فقد دخل فيه من ادعى الربوبية وغيره من أنواع الكفار فكأنه قال لا أحد أظلم من الكافر .

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ
ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ
لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ
مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ
ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

[القراءة] قرأ تشركون بالتاء أهل الكوفة غير عاصم وكذلك في النحل في موضعين وفي الروم والباقون كل ذلك بالياء .

[**الحجة**] من قرأ بالتاء فلقوله ﴿ **أتنبئون الله** ﴾ ومن قرأ بالياء احتمل وجهين (أحدهما) على قل كأنه قيل له قل أنت سبحانه وتعالى عما يشركون والوجه الآخر أن يكون هو سبحانه نزّه نفسه عما أقروه فقال ذلك .

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار فقال ﴿ **ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم** ﴾ أي ويعبد هؤلاء المشركون الأصنام التي لا يضرهم إن تركوا عبادتها ولا ينفعهم إن عبدوها فإن قيل كيف دمَّهم على عبادة الصنم الذي لا ينفع ولا يضرّ مع أنه لو نفع وضرَّ لكان لا يجوز أيضاً عبادته قلنا عبادة من لا يقدر على أصول النعم وإن قدر على النفع والضر إذا كان قبيحاً فمن لا يقدر على النفع والضر أصلاً من الجماد تكون عبادته أقبح وأشنع فلذلك خصَّه بالذكر ﴿ **ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله** ﴾ أخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار أنهم قالوا إنا نعبد هذه الأصنام لتشفع لنا عند الله وإن الله أذن لنا في عبادتها وأنه سيشفعها فينا في الآخرة وتوهَّموا أن عبادتها أشد في تعظيم الله سبحانه من قصده تعالى بالعبادة فجمعوا بين قبيح القول وقبيح الفعل وقبيح التوهم وقيل معناه هؤلاء شفعاؤنا في الدنيا لإصلاح معاشها عن الحسن قال لأنهم كانوا يقرُّون بالبعث بدلالة قوله ﴿ **واقسموا بالله** ﴾ جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ﴿ **قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض** ﴾ أمر سبحانه نبيَّه صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول لهم على وجه الإلزام أتخبرون الله بما لا يعلم من حسن عبادة الأصنام وكونها شافعة لأن ذلك لو كان صحيحاً لكان

تعالى به عالماً ففي نفي علمه بذلك نفي المعلوم ومعناه أنه ليس في السماوات ولا الأرض إلّه غير الله ولا أحد يشفع لكم يوم القيامة وقيل معناه أتخبرون الله بشريك أو شفيع لا يعلم شيئاً كما قال ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السماوات والأرض فكذلك وصفهم بأنهم لا يعلمون في السماوات والأرض شيئاً ﴿ **سبحانه وتعالى عما يشركون** ﴾ أي تنزّه الله تعالى عن أن يكون له شريك في إستحقاق العبادة ﴿ **وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا** ﴾ فيه أقوال (أحدها) أن الناس كانوا جميعاً على الحق وعلى دين واحد فاختلفوا في الدين الذي كانوا مجتمعين عليه ثم قيل أنهم إختلفوا على عهد آدم وولده عن ابن عباس والسدي ومجاهد والجبائي وأبي مسلم ، ومتى اختلفوا ؟ قيل عند قتل أحد أبنيه أخاه وقيل إختلفوا بعد موت آدم (ع) لأنهم كانوا على شرع واحد ودين واحد إلى زمن نوح وكانوا عشرة قرون ثم إختلفوا عن أبي روق وقيل كانوا على ملة الإسلام من لدن إبراهيم (ع) إلى أن غيَّره عمرو بن لحي وهو أول من غيَّر دين إبراهيم وعبد الصنم في العرب عن عطاء ويدل على صحة هذه الأقوال قراءة عبد الله وما كان الناس إلا أمة واحدة على هدى فاختلفوا عنه (وثانيها) أن الناس كانوا أمة واحدة مجتمعة على الشرك والكفر عن ابن عباس والحسن والكلبي وجماعة ثم اختلف هؤلاء فقيل كانت أمة كافرة على عهد إبراهيم ثم اختلفوا فتفرقوا فمنهم مؤمن ومنهم كافر عن الكلبي وقيل كانت كذلك منذ وفاة آدم إلى زمن نوح عن الحسن وقيل أراد به العرب الذين كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنهم كانوا مشركين إلى أن بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم فآمن به قوم وبقي آخرون على الشرك وسئل علي (ع) عن هذا فقيل كيف يجوز أن يطبق أهل عصر على الكفر حتى لا يوجد مؤمن يشهد عليهم والله تعالى يقول ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد** ﴾ وأجيبوا عن ذلك بأنه يجوز أن يكون أهل كل عصر وإن لم يخل عن مؤمنين يشهدون عليهم فربما يقلّون في عصر وإنما يتبع الاسم الأعم وعلى هذا يقال دار الإسلام ودار الكفر وفي تفسير الحسن وما كان الناس إلى مبعث نوح إلا ملة واحدة كافرة إلا الخاصة فإن الأرض لا تخلو من أن يكون لله تعالى فيها حجة (وثالثها) إن الناس خلقوا على فطرة الإسلام ثم اختلفوا في الأديان ﴿ **ولولا كلمة سبقت من ربك** ﴾ من أنه لا يعاجل العصاة بالعقوبة إنعاماً عليهم في التأني بهم ﴿ **لقضي بينهم** ﴾ أي فصل بينهم ﴿ **فيما فيه يختلفون** ﴾ بأن يهلك العصاة وينجي المؤمنين لكنه أخَّرهم إلى يوم القيامة تفضلاً منه إليهم وزيادة في الإنعام عليهم ثم حكى سبحانه عن هؤلاء الكفار فقال ﴿ **ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه** ﴾ أي هلا أُنزل على محمد آية من ربه تضطرُّ الخلق إلى المعرفة بصدقه فلا يحتاجون معه إلى النظر والاستدلال

ولم يطلبوا معجزة تدل على صدقه لأنه صلى الله عليه وآله وسلم قد أتاهم بالمعجزات الدالة على نبوته وإنما لم يلجئهم الله إلى ما التمسوه لأن التكليف يمنع من الاضطرار إلى المعرفة فإن الغرض بالتكليف التعريض للثواب ولو كانت المعرفة ضرورة لما استحقوا ثواباً فكيف وكان يكون ذلك ناقضاً للغرض ﴿ **فقل إنما الغيب لله** ﴾ معناه فقل يا محمد إن الذي يعلم الغيب ويعلم مصالح الأمور قبل كونها هو الله العالم لنفسه يعلم الأشياء قبل كونها وبعد كونها لا تخفى عليه خافية فيعلم ما في إنزاله صلاح فينزله ويعلم ما ليس في إنزاله صلاح فلا ينزله ولذلك لا يفعل الآية التي إقترحوها في هذا الوقت لما في ذلك من حسن تدبير ﴿ **فانتظروا** ﴾ أي فانتظروا عقاب الله تعالى بالقهر والقتل في الدنيا والعقاب في الآخرة ﴿ **إني معكم من المنتظرين** ﴾ لأن الله تعالى وعدني النصرة عليكم وقيل معناه فانتظروا إذلال الكافرين فإني منتظر إعزاز المؤمنين .

﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ
إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ
مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا
كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا
رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ
بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ
لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ
بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾

[**القراءة**] قرأ روح وزيد عن يعقوب وسهل يمكرون بالياء والباقون بالتاء وقرأ ينشركم

بالنون والشين من النشر أبو جعفر وابن عامر والباقون يسيركم بالسين والياء من التسيير وقرأ حفص وحده متاع بالنصب والباقون بالرفع .

[**الحجة**] من قرأ يمكرون بالياء فلقوله ﴿ **إذا لهم مكر في آياتنا** ﴾ ومن قرأ بالتاء فللخطاب أي قل لهم يا محمد إن رسل الله يكتبون ما تمكرون ومن قرأ يسيركم يقويه قوله ﴿ **فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه** ﴾ وقوله ﴿ **قل سيروا في الأرض** ﴾ ويقال سار الدابة وسرته وسيَّرته قال (فَلا تَجْزَعَنْ مِنْ سُنَّةٍ أَنْتَ سِرْتَها)[1] وقال لبيد :

فَبُنْيَانُ حَرْبٍ أنْ تَبُوءَ بِحَرْبَةٍ وَقَدْ يَقْبَلُ الْضَيْمَ الذَّلِيلُ الْمُسَيَّرُ

ومن قرأ ينشركم فحجته قوله ﴿ **وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساء** ﴾ وقوله ﴿ **وما بثَّ فيهما من دابة** ﴾ والبث التفريق والنشر في المعنى وأما متاع الحياة الدنيا فقد قال الزجاج من رفع فعلى وجهين (أحدهما) أن يكون متاع الحياة الدنيا خبراً لقوله ﴿ **بغيكم** ﴾ (والآخر) أن يكون خبر المبتدأ على أنفسكم ومتاع الحياة على إضمار هو ومن نصب فعلى المصدر أي تتمعون متاع الحياة الدنيا قال أبو علي قوله ﴿ **على أنفسكم** ﴾ يحتمل تأويلين (أحدهما) أن يكون متعلقاً بالمصدر لأن فعله يتعدى بهذا الحرف ألا ترى إلى قوله ﴿ **بغى بعضنا على بعض** ﴾ ثم بُغي عليه وإذا كان الجار من صلة المصدر كان الخبر متاع الحياة الدنيا فيكون معناه بغي بعضكم على بعض متاع الحياة في الدنيا وليس ما يقرب إلى الله ويجوز أن يكون متعلقاً بمحذوف فيكون خبراً للمصدر وفيه ذكر يعود إليه فيكون كقولك الصلاة في المسجد فيكون المصدر مضافاً إلى الفاعل ومفعوله محذوفاً والمعنى إنما بغي بعضكم على بعض بما يدل على أنفسكم ويكون كقوله ﴿ **ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله** ﴾ ومن نصب احتمل النصب وجهين (أحدهما) أن يكون على من صلة المصدر ويكون الناصب لمتاع هو المصدر الذي هو البغي ويكون خبر المبتدأ محذوفاً وحسن حذفه لطول الكلام ولأن بغيكم يدل على تبغون فيحسن الحذف لذلك وهذا الخبر لو أظهرته لكان يكون مكروه أو مذموم أو منهي عنه ونحو ذلك (والآخر) أن يكون على أنفسكم خبر المبتدأ فيكون متاع منصوباً على وجهين (أحدهما) تمتعون متاعاً فيدل انتصاب المصدر عليه (والآخر) أن يضمر تبغون لأن ما يجري مجرى ذكره قد تقدَّم كأنه لو أظهره لكان تبغون متاع الحياة الدنيا فيكون مفعولاً له

(١) قائله خالد ابن اخت أبي ذؤيب وبعده « فأول راض سنة من يسيرها » .

ولا يجوز أن يتعلق المصدر بالمصدر في قوله ﴿ **إنما بغيكم** ﴾ وقد جعلت « على » خبراً لقوله ﴿ **إنما بغيكم** ﴾ لفصلك بين الصلة والموصول .

[**اللغة**] التسيير التحريك في جهة تمتد كالسير الممدود والبرّ الأرض الواسعة التي تقطع من بلد إلى بلد ومنه البر لاتساع الخير به والبحر مستقر الماء الواسع حتى لا يرى من وسطه حافتاه(١) والفلك السفن وسميت فلكاً لدورانها في الماء وأصله الدور ومنه فلكة المغزل وتفلك ثدي الجارية إذا استدار والفلك يكون جمعاً وواحداً وهو ههنا جمع والعاصف الريح الشديدة وعصفت الريح فهي عاصف وعاصفة قال :

حَتَّى إذَا عَصَفَتْ رِيحٌ مُزَعْزِعَةٌ فِيهَا قِطَارٌ وَرَعْدٌ صَوْتُهُ زَجَلٌ(٢)

[**الإعراب**] جواب إذا الأولى في إذا الثانية وإنما جعل إذا جواباً لكونها بمعنى الجملة لما فيها من معنى المفاجأة وهي ظرف مكان وهو كقوله ﴿ **وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون** ﴾ ومعناه إن تصبهم سيئة قنطوا وإذا أذقنا الناس رحمة مكروا وجرين بهم إبتداء الكلام خطاب وبعد ذلك أخبار عن غائب لأن كل من أقام الغائب مقام من يخاطبه جاز له أن يرده إلى الغائب قال كُثَيِّر :

أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحسِنِي لا مَلُومَةٌ لَدَيْنَا وَلا مَقْلِيَّةٌ إنْ تَقَلَّتِ(٣)

وقال عنترة :

شَطَّتْ مَزَارُ الْعَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ عَسِراً عَلَيَّ طِلابُكَ ابْنَةَ مَخْرَمِ(٤)

وقوله ﴿ **فلما أنجاهم إذا هم يبغون** ﴾ المعنى فلما أنجاهم بغوا .

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه عن ذميم فعالهم فقال ﴿ **وإذا أذقنا الناس رحمة** ﴾ يريد بالناس الكفار فهو عموم يراد به الخصوص ﴿ **من بعد ضرّاء مستهم** ﴾ أي راحة ورخاء بعد شدة وبلاء وحقيقة الذوق فيما له طعم .وجد إنما يكون طعمه بالفم وإنما قال أذقناهم الرحمة

---

(١) أي جانباه .

(٢) قطار ككتاب جمع القطر ـ بالفتح ـ المطر

(٣) مضى البيت بمعناه في صفحة ٥٩ من هذا الجزء

(٤) هذا على رواية أبي عبيدة لكن في رواية الزوزني والخطيب ومعلقته هكذا : « حلت بأرض الزائرين فأصبحت عسراً . أ.هـ » شطت أي جاوزت . والزائر على رواية الزوزني بمعنى العدو من زأر الأسد شبه توعدهم وتهددهم بزئر الأسد .

على طريق البلاغة لشدة إدراك الحاسة إياها ﴿ **إذا لهم مكر في آياتنا** ﴾ أي فهم يحتالون لدفع آياتنا بكل ما يجدون السبيل إليه من شبهة أو تخليط في مناظرة أو غير ذلك من الأمور الفاسدة وقال مجاهد مكرهم إستهزاؤهم وتكذيبهم ﴿**قل**﴾ يا محمد لهم ﴿**الله أسرع مكراً**﴾ أي أقدر جزاء على المكر ومعناه أن ما يأتيهم من العقاب أسرع مما أتوه من المكر أي أوقع في حقه وقيل أن مكره سبحانه إنزاله العقوبة بهم من حيث لا يشعرون ﴿ **إن رسلنا** ﴾ يعني الملائكة الحفظة ﴿ **يكتبون ما تمكرون** ﴾ أي ما تدبَّرون من سوء التدبير وفي هذا غاية الزجر والتهديد من وجهين (أحدهما) أنه يحفظ مكرهم (والآخر) أنه أقدر على جزائهم وأسرع فيه ثم امتن الله سبحانه على خلقه بأن عدَّد نعمه التي يفعلها بهم في كل حال فقال ﴿ **هو الذي يسيّركم في البر والبحر** ﴾ أي يمكِّنكم من المسير في البر والبحر بما هيّا لكم من آلات السير وهي خلق الدواب وتسخيرها لكم لتركبوها في البرّ وتحملوا عليها أثقالكم وهيأ السفن في البحر وإرسال الرياح المختلفة التي تجري بالسفن في الجهات المختلفة ﴿ **حتى إذا كنتم في الفلك** ﴾ خصَّ الخطاب براكب البحر أي إذا كنتم راكبي السفن في البحر ﴿ **وجرين بهم** ﴾ أي وجرت السفن بالناس لما ركبوها عدل عن الخطاب إلى الإخبار عن الغائب تصرفاً في الكلام على أنه يجوز أن يكون خطاباً لمن كان في تلك الحال وإخباراً لغيرهم من الناس ﴿ **بريح طيبة** ﴾ أي بريح لينة يستطيبونها ﴿ **وفرحوا بها** ﴾ أي سَرُّوا بتلك الريح لأنها تبلغهم مقصودهم عن أبي مسلم وقيل فرحوا بالسفينة حيث حملتهم وأمتعتهم ﴿ **جاءتها ريح عاصف** ﴾ أي جاءت للسفينة ريح عاصف شديدة الهبوب الهائلة ﴿ **وجاءهم الموج من كل مكان** ﴾ من البحر والموج إضطراب البحر ومعناه وجاء راكبي البحر الأمواج العظيمة من جميع الوجوه ﴿ **وظنوا أنهم أحيط بهم** ﴾ أي أيقنوا أنهم دنوا من الهلاك وقيل غلب على ظنهم أنهم سيهلكون لما أحاط بهم من الأمواج ﴿ **دعوا الله** ﴾ عند هذه الشدائد والأهوال والتجأوا إليه ليكشف ذلك عنهم ﴿ **مخلصين له الدين** ﴾ أي على وجه الإخلاص في الاعتقاد ولم يذكروا الأوثان والأصنام لعلمهم بأنها لا تنفعهم ههنا شيئاً وقالوا ﴿ **لئن أنجيتنا**﴾ يا رب ﴿ **من هذه** ﴾ الشدة ﴿ **لنكونن من الشاكرين** ﴾ أي من جملة من يشكرك على نعمك وقوله ﴿ **جاءتها ريح عاصف** ﴾ جواب قوله ﴿ **إذا كنتم في الفلك** ﴾ وقوله ﴿**دعوا الله**﴾ جواب قوله ﴿**وظنوا أنهم أحيط بهم**﴾ ﴿**فلما أنجاهم**﴾ أي خلصهم الله تعالى من تلك المحن ﴿**إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق**﴾ أي يعملون فيها بالمعاصي والفساد ويشتغلون بالظلم على الأنبياء وعلى المسلمين ﴿ **يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا** ﴾ أي بغي بعضكم على بعض وما ينالونه به متاع في الدنيا وإنما تأتونه لحبكم

العاجلة وإيثارها على ما يقرب إلى الله تعالى من الطاعات وقد مرَّ بيانه قبل ﴿ **ثم إلينا مرجعكم** ﴾ في الآخرة ﴿ **فننبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ أي نخبركم بأعمالكم لأنا أثبتناها عليكم وهي كلمة تهديد ووعيد .

[**النظم**] قيل إنما إتصل قوله ﴿ **هو الذي يسيركم** ﴾ الآية بما قبله لأنه تفسير لبعض ما أجمل في الآية المتقدمة التي هي قوله ﴿ **وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء** ﴾ مستهم عن أبي مسلم وقيل أنه يتصل بما تقدم في السورة من دلائل التوحيد فكأنه قال إلٓهكم الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وهو الذي يسيركم .

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَـٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

[**القراءة**] في الشواذ قراءة الأعرج والشعبي وأبي العالية ونصر بن عاصم والحسن بخلاف وأَزْيَنَتْ وقراءة أبي عثمان وازيَأَنَّتْ .

[**الحجة**] أما إزَّيَنَت فأصله تزينت فأدغمت التاء في الزاي وسكنت الزاي فاجتلبت لها ألف الوصل وأما أزْيَنَتْ فإنه على أفْعَلَتْ أي جاءت بالزينة وإزَّيَنَتْ أجود في العربية لأن أزْيَنَتْ الأجود فيه أزانَت مثل أقال وأباع وأما أزيَأَنَّت فوزنه افعالَّت وأصله أزيانَّت مثل ادهامَّت واسوادَّت إلا أنه كره إلتقاء الساكنين فحرَّكت الألف فانقلبت همزة كقول كثير :

وَلـلأَرْضُ أَمَّـا سُـودُهـا فَـتَجَـلَّلَتْ بَيـاضـاً وَأَمَّـا بِيضُهـا فَـادْهَـأَمَّتِ[١]

---

(١) تجلل بالثوب : تغطى . والدهمة : السواد .

[**اللغة**] الزخرف كمال حسن الشيء ويقال زخرفته أي حسَّنته ومنه زخرفت الجنة لأهلها أي زيِّنت بأحسن الألوان وغَني بالمكان أقام به والمغاني المنازل قال النابغة :

غَنِيَتْ بِذَلِكَ إِذْ هُمُ لَكَ جِيرَةٌ[1] مِنْهَا بِعَطْفِ رِسَالَةٍ وَتَوَدُّدِ

والدعاء طلب الفعل بما يقع لأجله والداعي إلى الفعل خلاف الصارف عنه والفرق بين الدعاء والأمر أنَّ في الأمر ترغيباً في الفعل وزجراً عن تركه وله صيغة تنبيء عنه والدعاء ليس كذلك وكلاهما طلب وأيضاً فإن الأمر يقتضي أن يكون المأمور دون الأمر في الرتبة والدعاء يقتضي أن يكون فوقه .

[**المعنى**] لمّا تقدَّم ما يوجب الترغيب في الآخرة والتزهيد في الدنيا عقَّبه سبحانه بذكر صفة الدارين فقال ﴿ **إنما مثل الحياة الدنيا** ﴾ أي صفة الحياة الدنيا أو شبه الحياة الدنيا في سرعة فنائها وزوالها ﴿ **كماء أنزلناه من السماء** ﴾ وهو المطر ﴿ **فاختلط به** ﴾ أي بذلك المطر ﴿ **نبات الأرض** ﴾ لأن المطر يدخل في خلل النبات فيختلط به وقيل معناه فاختلط بسببه بعض النبات بالبعض فاختلط ما يأكل الناس بما يأكل الأنعام وما يقتات بما يتفكَّه ثم فصَّل ذلك فقال ﴿ **مما يأكل الناس** ﴾ كالحبوب والثمار والبقول ﴿ **والانعام** ﴾ كالحشيش وسائر أنواع المراعي وقد قيل في المشبه والمشبه به في الآية أقوال (أحدها) أنه تعالى شبَّه الحياة الدنيا بالماء فيما يكون به من الانتفاع ثم الإنقطاع (وثانيها) أنه شبَّهها بالنبات على ما وصفه من الاغترار به ثم المصير إلى الزوال عن الجبائي وأبي مسلم (وثالثها) أنه تعالى شبَّه الحياة الدنيا بحياة مقدَّرة على هذه الأوصاف ﴿ **حتى إذا أخذت الأرض زخرفها** ﴾ أي حسنها وبهجتها بأنواع الألوان وأجناس النبات وغير ذلك ﴿ **وأزَّينت** ﴾ أي تزيَّنت في عين رائيها ﴿ **وظن أهلها** ﴾ أي مالكها ﴿ **أنهم قادرون عليها** ﴾ أي على الانتفاع بها ومعناه بلغت المبلغ الذي ظن أهلها أنهم يحصدونها ويقدرون على غلتها أو إدامتها ﴿ **أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً** ﴾ أي أتاها عذابنا من برد أو برد وقيل معناه أتاها حكمنا وقضاؤنا بإهلاكها وإتلافها ﴿ **فجعلناها حصيداً** ﴾ أي محصودة ومعناها مقطوعة مقلوعة ذاهبة يابسة ﴿ **كأن لم تغن بالأمس** ﴾ أي كأن لم تقم على تلك الصفة بالأمس ومعناه كأن لم تكن ولم توجد من قبل ﴿ **كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون** ﴾ أي مثل ذلك نميِّز الآيات لقوم يتفكرون فيها فيعتبرون بها ولما بيَّن سبحانه أن الدنيا تنقطع وتفنى بالموت كما يفنى هذا النبات بفنون

(١) الجيرة جمع الجار .

الآفات ونبَّه على التوقع لزوالها والتحرز عن الاغترار بأحوالها رغَّب عقيبه في الآخرة فقال ﴿ **والله يدعو إلى دار السلام** ﴾ قيل إن السلام وهو الله تعالى فإن الله تعالى يدعو إلى داره وداره الجنة عن الحسن وقتادة وقيل دار السلام الدار التي يسلم فيها من الآفات عن الجبائي والسلام والسلامة واحد مثل الرضاع والرضاعة قال :

تُحَيَّا بِالسَّلامَةِ أُمُّ بَكْرٍ وَهَلْ لَكَ بَعْدَ رَهْطِكَ مِنْ سَلامٍ

وقيل سميت الجنة دار السلام لأن أهلها يُسلِّم بعضهم على بعض والملائكة تُسلِّم عليهم ويُسلِّم ربهم عليهم فلا يسمعون إلا سلاماً ولا يرون إلا سلاماً ويعضده قوله ﴿ **تحيتهم فيها سلام** ﴾ وما أشبهه ﴿ **ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم** ﴾ قيل يهدي من يشاء إلى الإيمان والدين الحق بالتوفيق والتيسير والإلطاف وقال الجبائي يريد به نصب الأدلة لجميع المكلفين دون الأطفال والمجانين وقيل معناه يهدي من يشاء في الآخرة إلى طريق الجنة الذي يسلكه المؤمنون ويعدل عنه الكافرون إلى النار .

﴿ * لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب وسهل قطعاً ساكنة الطاء والباقون قطَعاً بفتحها .

[**الحجة**] القطع جمع قطعة من الليل والقطع الجزء من الليل الذي فيه ظلمة .

[**اللغة**] الرهق لحاق الأمر ومنه راهق الغلام إذا لحق بالرجال ورهقه في الحرب أدركه قال الأزهري الرهق إسم من الإرهاق وهو أن يحمل الإنسان على ما لا يطيقه ومنه سأرهقه

صعوداً والكسب إجتلاب النفع والجزاء والمكافأة والقتر الغبار والقترة الغبرة والقتار الدخان ومنه الإقتار في المعيشة .

[**الإعراب**] جزاء سيئة في ارتفاعه وجهان (أحدهما) أن يكون مبتدأ وخبره بمثلها على زيادة الباء في قول أبي الحسن لأنه وجد في مكان آخر وجزاء سيئة سيئة مثلها ويجوز أن يكون الباء متعلقة بخبر محذوف تقديره جزاء سيئة كائن بمثلها كما تقول إنما أنا بك وأمري بيدك وما أشبه ذلك (والآخر) أن يكون فاعلاً بإضمار فعل تقديره إستقرَّ لهم جزاء سيئة بمثلها ثم حذف استقر فبقي لهم جزاء سيئة بمثلها ثم حذف لهم لدلالة الكلام على أن هذا مستقر لهم ويجوز أن يكون جزاء سيئة مبتدأ والخبر محذوف تقديره لهم جزاء سيئة بمثلها أو جزاء سيئة بمثلها كائن هذا قد أجازه أبو الفتح وقوله ﴿**وترهقهم**﴾ عطف على كسبوا وجاز أن يفصل بينهما بقوله ﴿ **جزاء سيئة** ﴾ بمثلها لأنه من الاعتراض الذي يبيّن الأول ويسدّده ويثبته مظلماً قال أبو علي إن أجريته على قطع ساكنة الطاء فيحتمل نصبه على وجهين (أحدهما) أن يكون صفة لقطع على قياس قوله ﴿ **وهذا كتاب أنزلناه مبارك** ﴾ وصفت الكتاب بالمفرد بعد ما وصفته بالجملة وأجريته على النكرة (والآخر) أن يكون حالاً من الذكر الذي في الظرف يعني قوله ﴿ **من الليل** ﴾ وإن أجريته على قطَع مفتوحة الطاء لم يكن صفة له ولا حالا من الذكر الذي في قوله ﴿ **من الليل** ﴾ ولكن يكون حالاً من الليل والعامل في الحال ما يتعلق به من الليل وهو الفعل المختزل ومثل ذلك في إرادة الوصف بالسواد قول الشاعر :

وَدَوِيَّةٍ مِثْلِ السَّمَاءِ إعْتَسَفْتُهَا   وَقَدْ صَبَغَ اللَّيْلُ الحَصىٰ بِسوادِ[1]

أي سودتها الظلمة وقال غيره يجوز أن يكون مظلماً صفة لقطع على قول الشاعر :

لَوْ أَنَّ مِدْحَةَ حَيٍّ تُنْشِرَنْ أحَداً   أحْيَى أبَاكُنَّ يَا لَيْلَىٰ الأمَادِيحُ

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه أهل دار السلام فقال ﴿ **للذين أحسنوا الحسنى** ﴾ ومعناه للذين أحسنوا العمل وأطاعوا الله تعالى في الدنيا جزاء لهم على ذلك الحالة الحسنى والمنزلة الحسنى وهي الحالة الجامعة للذات والنعيم على أكمل ما يكون وأفضل ما يمكن وهو تأنيث الأحسن ﴿ **وزيادة** ﴾ ذكر في ذلك وجوه (أحدها) أن الحسنى الثواب المستحق

(١) الدوية : المفازة . واعتسف الطريق : ركبه على غير هداية ولا دراية .

والزيادة التفضل على قدر المستحق على طاعاتهم من الثواب وهي المضاعفة المذكورة في قوله ﴿ **فله عشر** ﴾ أمثالها عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة (وثانيها) الزيادة هي إن ما أعطاهم الله تعالى من النعم في الدنيا لا يحاسبهم به في الآخرة عن أبي جعفر الباقر (ع) (وثالثها) إن الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة أبواب عن علي (ع) وقيل الزيادة ما يأتيهم في كل وقت من فضل الله مجدداً (ورابعها) أن الزيادة هي النظر الى وجه الله تعالى وروي ذلك عن أبي بكر وأبي موسى الأشعري وغيرهما وقد بيَّن الله سبحانه الزيادة في موضع آخر بقوله ﴿ **ليوفّيهم أجورهم ويزيدهم** ﴾ من فضله ﴿ **ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة** ﴾ أي لا يلحق وجوههم سواد عن ابن عباس وقتادة وقيل غبار ولا ذلة أي هوان وقيل كآبة وكسوف عن قتادة وروى الفضيل بن يسار عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما من عين ترقرقت بمائها إلا حرَّم الله ذلك الجسد على النار فإن فاضت من خشية الله لم يرهق ذلك الوجه قتر ولا ذلة ﴿ **أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون** ﴾ مرَّ معناه ﴿ **والذين كسبوا السيئات** ﴾ أي اكتسبوها وارتكبوها ﴿ **جزاء سيئة بمثلها** ﴾ أي لهم جزاء كل سيئة بمثلها يعني يجزون بمثل أعمالهم أي قدر ما يستحق عليها من غير زيادة لأن الزيادة على قدر المستحق من العقاب ظلم وليس كذلك الزيادة على قدر المستحق من الثواب لأن ذلك تفضل يحسن فعله إبتداء فالمثل هنا مقدار المستحق من غير زيادة ولا نقصان ﴿ **وترهقهم ذلة** ﴾ أي يلحقهم هوان وذلّ لأن العقاب يقارنه الإهانة والإذلال ﴿ **ما لهم من الله من عاصم** ﴾ أي ما لهم من حافظ ومانع يدفع عقاب الله عنهم ﴿ **كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً** ﴾ أي كأنما ألبست وجوههم ظلمة الليل والمراد وصف وجوههم بالسواد كقوله سبحانه ﴿ **ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة** ﴾ ﴿ **أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** ﴾ ظاهر المراد .

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ
لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ
شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ

نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾

[**القراءة**] قرأ تتلو بالتاء أهل الكوفة غير عاصم وروح وزيد عن يعقوب والباقون تبلو بالباء .

[**الحجة**] قال أبو علي من قرأ تبلو فمعناه تختبر من قولهم البلاء ثم الثناءَ أي الاختبار للمثنى عليه ينبغي أن يكون قبل الثناء ليكون الثناء عن علم بقدر ما يوجبه ومعنى إختبارها ما أسلفت أنه إن قدم خيراً أو شراً جوزي عليه كما قال فمن يعمل مثقال ذرة إلى آخره ومن عمل صالحاً فلنفسه وغير ذلك من الآي ومن قرأ تتلو فإنه من التلاوة التي هي القراءة دليله قوله ﴿ **فأولئك يقرأون كتابهم** ﴾ وقوله ﴿ **إقرأ كتابك** ﴾ ويكون تتلو تتبع من قولهم تلا الفريضة النفل إذا أتبعها النفل قال .

عَـلىٰ ظَـهْـرِ عَـادِيٍّ كَـأَنَّ أُرُومَـهُ رِجَـالٌ يُـتَـلُّونَ الـصَـلاَةَ قِـيَـامُ[(١)]

فيكون المعنى تتبع كل نفس ما أسلفت من حسنة أو سيئة قال :

قَـدْ جَـعَـلَتْ دَلْـوِي تَـسْـتَـتْـلِيـنِـي وَلاَ أُحِـبُّ تَـبَـعَ الْـقَـرِيـنِ

أي تستتبعني من ثقلها

[**اللغة**] التنزيل التفريق مأخوذة من قولهم زلت الشيء عن مكانه أزيله وزيلته للكثرة من هذا إذا نحيته عن مكانه وزايلت فلاناً إذا فارقته هنالك أي في ذلك المكان وهو ظرف فهنا للقريب وهنالك للبعيد وهناك لما بينهما قال زهير :

هُـنَـالِـكَ إِنْ يُسْـتَخْـبَلُوا الـمَـالَ يُخْـبِلُوا وَإِنْ يُسْـأَلُـوا يُعْـطُوا وَإِنْ يَيْسِـرُوا يَغْلُوا[(٢)]

والإسلاف تقديم أمر لما بعده فمن أسلف الطاعة لله جوزي بالثواب ومن أسلف المعصية جوزي بالعقاب .

---

(١) العادي : الشيء القديم نسب إلى عاد . والأروم : الأعلام وقيل : هي قبور عاد .

(٢) الاخبال : أن يعطى الرجل البعير أو الناقة ليركبها ويجتز وبرها وينتفع بألبانها ثم يردها . والاستخبال : الاستعارة . وقوله « ييسروا » من اليسر وهو القمار . و « يغلوا » أي يأتون بجزور سمين أو أنهم يغالوا أي يكثروا . يصف قوماً بالجود .

[**الإعراب**] جميعاً نصب على الحال « مكانكم » قال الزجاج هو منصوب على الأمر والمعنى انتظروا مكانكم حتى يفصل بينكم والعرب تتوعد فتقول مكانك وانتظرني وهي كلمة جرت على الوعيد وأقول أن الصحيح عند المحققين أن مكانك ودونك من أسماء الأفعال فيكون مكانكم ههنا إسماً لألْزِموا مبنياً على الفِتح وليس بمنصوب نصب الظروف وكُمْ لا محل له من الإعراب إذ هو حرف الخطاب وأنتم رفع تأكيد للضمير في مكانكم وشركاؤكم عطف عليه وهذا كما تقول في قولهم عليك زيداً أن الكاف حرف الخطاب لا محل له من الإعراب وعلى ههنا إسم الفعل وليس بحرف وكفى بالله شهيداً قال الزجاج شهيداً منصوب على التمييز إن شئت وإن شئت على الحال . إن كنا إنْ بمنزلة ما النفي أي ما كنا عن عبادتكم إلا غافلين قاله الزجاج وأقول الصحيح أنَّ إنْ هذه هي المخففة من الثقيلة وإذا كانت مخففة من الثقيلة يلزمها اللام ليفرَّق بينها وبين النافية والتقدير إنا كنا على عبادتكم غافلين وهنالك منصوب بتبلو إلا أنه غير متمكن واللام زائدة كسرت لالتقاء الساكنين .

[**المعنى**] ولما تقدم ذكر الجزاء بين سبحانه وقت الجزاء فقال ﴿ **ويوم نحشرهم جميعاً** ﴾ أي نحشر الخلائق أجمعين أي نجمعهم من كل أوب إلى الموقف ﴿ **ثم نقول للذين أشركوا** ﴾ في عبادتهم مع الله غيره وفي أموالهم فقالوا هذا لله وهذا لشركائنا ﴿ **مكانكم أنتم وشركاؤكم** ﴾ أي أثبتوا وألزموا مكانكم أنتم مع شركائكم يعني الأوثان فقد صحبتموهم في الدنيا فاصحبوهم في المحشر وقيل معناه أثبتوا حتى تسألوا كقوله ﴿ **وقفوهم أنهم مسؤولون** ﴾ ﴿ **فزيلنا بينهم** ﴾ أي فميَّزنا وفرَّقنا بينهم في المسألة فسألنا المشركين على حدة لما عبدتم الأصنام وسألنا الأصنام على حدة لما عُبدتم وبأيّ سبب عُبدتم وهذا سؤال تقريع وتبكيت عن الحسن ومثله وإذا المؤودة سئلت بأيّ ذنب قتلت وقيل معناه فزيلنا بينهم وبين الأوثان فتبرأ منهم الشركاء وانقطعت أسبابهم ﴿ **وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون** ﴾ أي يحييهم الله وينطقهم فقالوا ما كنا نشعر بأنكم إيانا تعبدون عن مجاهد وقيل إن شركاءهم من كانوا يعبدونهم من الشياطين وقيل هم الملائكة الذين كانوا يعبدونهم من دون الله وفي كيفية جحدهم لعبادتهم إياه قولان (أحدهما) أنهم يقولون ذلك على وجه إهانتهم بالرد عليهم أي ما اعتذرنا بذلك لكم (والآخر) إن المراد أنكم لم تعبدونا بأمرنا ودعائنا ولم يرد أنهم لم يعبدوهم أصلاً لأن ذلك كذب لا يجوز أن يقع في الآخرة لكونهم ملجئين إلى ترك القبيح عن الجبائي وهذه الآية نظير قوله ﴿ **إذ تبرأ الذين إتبعوا من الذين اتبعوا** ﴾ الآية ﴿ **فكفى بالله شهيداً** ﴾ أي فاصلاً للحكم ﴿ **بيننا وبينكم** ﴾ أيها المشركون ﴿ **إن كنا عن عبادتكم لغافلين** ﴾ مرَّ معناه وهذا إذا كان المراد به الملائكة فإنهم عما ادعوه غافلون لأنهم

لم يشعروا بذلك ولا أمروا به وإن كان المراد الأصنام فلم يكن لها حسٌّ ولا علم وهذا غاية في إلزام الحجة إختاروا للعبادة من لم يدعهم إليها ولم يشعر بها ﴿ **هنالك تبلوا كل نفس ما أسلفت** ﴾ أي في ذلك المكان وفي تلك الحال وفي ذلك الوقت تجرب وتعلم كل نفس ما قدَّمت من خير أو شرّ وترى جزاءه على القراءة بالتاء معناه تقرأ كل نفس جزاء عملها وجزاء ما قدمته ﴿ **وردُّوا إلى الله مولاهم الحق** ﴾ أي وردُّوا إلى جزاء الله وإلى الموضع الذي لا يملك أحد فيه الحكم إلا الله الذي هو مالكهم وسيّدهم وخالقهم والحق صفة لله تعالى وهو القديم الدائم الذي لا يفنى وما سواه يبطل وقيل الحق هو الذي يكون معنى اللفظ حاصلاً له على الحقيقة فالله جل جلاله وهوالحق لأن معنى الإلَهية حاصل له على الحقيقة ﴿ **وضلَّ عنهم ما كانوا يفترون** ﴾ أي بطل وهلك عنهم ما كانوا يدعونه بافترائهم من الشركاء مع الله تعالى .

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن
يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ
ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا
تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا
ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى
ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

[**القراءة**] قرأ أهل المدينة وابن عامر كلمات ههنا وفي آخرها على الجمع وكذلك في سورة المؤمن والباقون على التوحيد .

[**الحجة**] قال أبو علي من قرأ على التوحيد إحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون جعل ما أوعد به الفاسقون كلمة وإن كانت في الحقيقة كلمات لأنهم قد يسمُّون القصيدة كلمة والخطبة كلمة (والآخر) أن يكون كلمة ربك التي يراد بها الجنس قد أوقعت على بعض الجنس كما أوقع اسم الجنس على بعضه في قوله ﴿ **وإنكم لتمرون عليهم مصبحين**

وبالليل ﴾ وقول الشاعر « بِبَطْنِ شِرْيَانَ يَعْوِي عِنْدهُ الذِّيبُ »(١) فأما من جمع فإنه جعل الكلم التي توعدوا بها كل واحدة منها كلمة ثم جمع فقال كلمات وكلاهما وجه .

[**الإعراب**] كذلك حقت الكاف في موضع نصب أي مثل أفعالهم جازاهم ربك وقوله ﴿ **إنهم لا يؤمنون** ﴾ بدل من كلمة ربك أي حقيق عليهم أنهم لا يؤمنون ويجوز أن يكون على تقدير حقت عليهم الكلمة لأنهم لا يؤمنون ويكون الكلمة ما وعدوا به من العقاب .

[**المعنى**] ثم قرَّر سبحانه أدلة التوحيد والبعث عليهم فقال ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار ﴿ **من يرزقكم** ﴾ أي من يخلق لكم الأرزاق ﴿ **من السماء** ﴾ بإنزال المطر والغيث ﴿ **و** ﴾ من ﴿ **الأرض** ﴾ بإخراج النبات وأنواع الثمار والرزق في اللغة هو العطاء الجاري يقال رزق السلطان الجند إلا أن كل رزق فإن الله هو الرزاق به لأنه لو لم يطلقه على يد ذلك الإنسان لم يجىء منه شيء فلا يطلق اسم الرزاق إلا على الله تعالى ويقيَّد في غيره كما لا يطلق إسم الرب إلا عليه ويقيَّد في غيره فيقال رب الدار ورب الضيعة ولا يجوز أن يخلق الله حيواناً يريد تبقيته إلا ويرزقه لأنه إذا أراد بقاءه فلا بدَّ له من الغذاء ﴿ **أمَّن يملك السمع والأبصار** ﴾ معناه أم من يملك أن يعطيكم الاسماع والأبصار فيقويها وينورها ولو شاء لسلب نورها وحسُّها ﴿ **ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي** ﴾ قيل معناه ومن يخرج الإنسان من النطفة والنطفة من الإنسان وقيل معناه ومن يخرج الحيوان من بطن أُمه إذا ماتت أمه ويخرج غير التام ولا البالغ حدّ الكمال من الحي وقيل معناه ومن يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ﴿ **ومن يدبِّر الأمر** ﴾ أي ومن الذي يدبِّر جميع الأمور في السماء والأرض على ما توجبه الحكمة ﴿ **فسيقولون الله** ﴾ أي فسيعترفون بأن الله تعالى يفعل هذه الأشياء وإن الأصنام لا تقدر عليها ﴿ **فقل أفلا تتقون** ﴾ أي فقل لهم عند إعترافهم بذلك أفلا تتقون عقابه في عبادة الأصنام وفي الآية دلالة على التوحيد وعلى حسن المحاجة في الدين لأنه سبحانه حاجَّ به المشركين وفيها دلالة على أنهم كانوا يقرُّون بالخالق وإن كانوا مشركين فإن جمهور العقلاء يقرُّون بالصانع سوى جماعة قليلة من ملحدة الفلاسفة ومن أقرَّ بالصانع على هذا صنفان موحد يعتقد أن الصانع واحد لا يستحق العبادة غيره ومشرك وهم ضربان

---

(١) قائلته جنوب اخت عمرو ذي الكلب ترثي اخاها . وقبله

أبلغ هذيلاً وأبلغ من يبلغها عني حديثاً وبعض القول تكذيب

بان ذا الكلب عمرو أخيرهم نسباً ببطن شريان . وشريان ـ بالكسر ـ : موضع بعينه أو واد .

فضرب جعلوا لله شريكاً في ملكه يضاده ويناوئه وهم الثنوية والمجوس ثم اختلفوا فمنهم يثبت لله شريكاً قديماً كالمانوية ومنهم من يثبت شريكاً محدثاً كالمجوس وضرب آخر لا يجعل لله شريكاً في حكمه وملكه ولكن يجعل له شريكاً في العبادة يكون متوسطاً بينه وبين الصانع وهم أصحاب المتوسطات ثم اختلفوا فمنهم من جعل الوسايط من الأجسام العلوية كالنجوم والشمس والقمر ومنهم من جعل المتوسط من الأجسام السفلية كالأصنام ونحوها تعالى الله عما يقول الزائغون عن سبيله علواً كبيراً ﴿ **فذلكم الله** ﴾ ذلك إشارة إلى إسم الله تعالى الذي وصفه في الآية الأولى بأنه الذي يرزق الخلق ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي والكاف والميم للمخاطبين وهم جميع الخلق أخبر سبحانه أن الذي يفعل هذه الأشياء ﴿ **ربكم الحق** ﴾ الذي خلقكم ومعبودكم الذي له معنى الإلٓهية ويحقُّ له العبادة دون غيره من الأصنام والأوثان ﴿ **فماذا بعد الحق إلا الضلال** ﴾ إستفهام يراد به التقرير على موضع الحجة إذ لا يجد المجيب محيداً عن الإقرار به إلا بذكر ما لا يلتفت إليه والمراد به ليس بعد الذهاب عن الحق إلا الوقوع في الضلال لأنه ليس بينهما واسطة فإذا ثبت أن عبادة ما سواه باطل وضلال ﴿ **فأنى تصرفون** ﴾ أي فكيف تعدلون عن عبادته مع وضوح الدلالة على أنه لا معبود سواه ﴿ **كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون** ﴾ معناه أن الوعيد من الله تعالى للكفار بالنار في الصحة كالقول بأنه ليس بعد الحق إلا الضلال وقيل إن معناه مثل انصرافهم عن الإيمان وجبت العقوبة لهم أي جازاهم ربهم بمثل ما فعلوا من الإنصراف وهذا في قوم علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون ومعناه سبق علم ربك في هؤلاء أنهم لا يؤمنون وقيل معنى قوله أنهم لا يؤمنون[١] أو لأنهم لا يؤمنون أي وجبت العقوبة عليهم لذلك .

﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن

(١) [بأنهم لا يؤمنون] .

لَا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة غير عاصم أمن لا يَهْدي ساكنة الهاء خفيفة الدال وقرأ أهل المدينة غير ورش يهدي ساكنة الهاء مشددة الدال وقرأ أبو عمرو وابن كثير وابن عامر وروح وزيد عن يعقوب يَهَدِّي بفتح الياء والهاء وتشديد الدال إلا أن أبا عمرو أشار إلى فتحة الهاء من غير أشباع وقرأ عاصم غير حماد ويحيى ورويس عن يعقوب يَهِدِّي بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال وقرأ حماد ويحيى عن أبي بكر عن عاصم يِهِدِّي بكسر الياء والهاء والتشديد .

[**الحجة**] قوله يَهَدِّي ويَهِدِّي ويَهْدِّي ويِهِدِّي أصل جميعها يهتدي يفتعل وإن إختلفت ألفاظها أدغموا التاء في الدال لمقاربتها لها فإنهما من حيز واحد ثم اختلفوا في تحريك الهاء فمن قرأ يَهَدِّي ألقى حركة الحرف المدغم وهو التاء على الهاء ومن قرأ يَهِدِّي بكسر الهاء فإنه حرَّك الهاء بالكسر لالتقاء الساكنين ومن سكن الهاء جمع بين الساكنين ومن أشمَّ الهاءِ ولم يسكن فالإشمام في حكم التحريك، ومن كسر الياء مع الهاء إتبع الياء ما بعدها من الكسرة وهو رديّ لثقل الكسر في الياء .

[**الإعراب**] قوله ﴿ **فمالكم كيف تحكمون** ﴾ ما مبتدأ ولكم خبره وكيف منصوب بقوله ﴿ **تحكمون** ﴾ لا يغني من الحق شيئاً يجوز أن يكون قوله ﴿ **شيئاً** ﴾ مفعول يغني ويجوز أن يكون في موضع مصدر أي لا يغني من الحق غناء وكذا قيل في قوله ﴿ **لا تجزي نفس عن نفس شيئاً** ﴾ قالوا هو مفعول تجزي وقالوا هو مصدر أي جزاء وكذلك قوله ﴿ **ولا تشركوا به شيئاً** ﴾ قالوا هو مفعول تشركوا وقالوا هو مصدر أي لا تشركوا به إشراكاً وكذلك قوله ﴿ **يعبدونني ولا يشركون بي شيئاً** ﴾ .

[**المعنى**] ثم احتجَّ سبحانه عليهم في التوحيد باحتجاج آخر فقال ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿ **هل من شركائكم من يبدء الخلق ثم يعيده** ﴾ أي هل من هذه الأصنام التي جعلتموها شركاء لله في العبادة وقيل الذين جعلتموهم شركاء في أموالكم كما قال وهذا لشركائنا من يبدء الخلق بالإنشاء بعد أن لم يكن وهو النشأة الأولى ثم يعيده في

النشأة الثانية ﴿ **قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده** ﴾ معناه فإن قالوا ليس من شركائنا من يقدر عليه أو سكتوا فقل أنت لهم الله هو الذي يبدأ الخلق بأن ينشئه على غير مثال ثم يفنيه ثم يعيده يوم القيامة ﴿ **فأنى تؤفكون** ﴾ أي كيف تصرفون عن الحق وتقلبون عن الإيمان ثم استأنف الحِجاج فقال سبحانه ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **هل من شركائكم من يهدي إلى الحق** ﴾ أي هل من هذه الأصنام من يهدي الناس إلى الرشد وما فيه الصلاح والنجاة والخير بدلالة ينصبها وحجة يظهرها فلا بدَّ من أن يجيبوا بلا ﴿ **فقل** ﴾ أنت لهم ﴿ **الله** ﴾ هو الذي ﴿ **يهدي للحق** ﴾ إلى طريق الرشاد يقال هديت إلى الحق وهديت للحق بمعنى واحد ﴿ **أفمن يهدي إلى الحق** ﴾ معناه أفمن يهدي غيره إلى طريق التوحيد والرشد ﴿ **أحق أن يتبع** ﴾ أمره ونهيه ﴿ **أم من لا يَهِدِّي** ﴾ أحداً ﴿ **إلا أن يهدى** ﴾ أو لا يهتدي هو إلا أن يهدى والأصنام لا تهتدي ولا تهدي أحداً وإن هديت لأنها موات من حجارة ونحوها ولكن الكلام نزل على أنها إن هديت إهتدت لأنهم لما إتخذوها آلهة عبَّر عنها كما يعبَّر عمن يعقل ووصفت بصفة من يعقل وإن لم يكن في الحقيقة كذلك ألا ترى إلى قوله سبحانه ﴿ **ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السماوات والأرض شيئاً ولا يستطيعون** ﴾ وقوله ﴿ **إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم** ﴾ وإنما هُنَّ موات ألا ترى أنه قال ﴿ **فادعوهم فليستجيبوا لكم ألهم أرجل يمشون بها** ﴾ الآية وكذلك قوله ﴿ **وإن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم** ﴾ فأجري عليه اللفظ كما يجري على من يعلم وعلى هذا فقوله ﴿ **إلا أن يُهدي** ﴾ إلاَّ بمنزلة حتى فكأنه قال أمن لا يهتدي حتى يهدى أم من لا يعلم حتى يعلم ومن لا يستدل على شيء حتى يدل عليه وإن كان لو دل أو علم لم يستدل ولم يعلم ولو هدى لم يهتد بيَّن الله سبحانه بذلك جهلهم وقلة تمييزهم في تسويتهم من لا يعلم ولا يقدر بالله القادر والعالم وقال البلخي لا يهدي ولا يهتدي بمعنى واحد يقال هديته فهدى أي اهتدى وقيل إن المراد بذلك الملائكة والجن لأنهم يهتدون إذا هدوا وقيل المراد به الرؤساء والمضلون الذين يدعون إلى الكفر وقيل إن المعنى في قوله لا يهدى إلا أن يهدى لا يتحرك لا أن يحرك ولا ينتقل إلا أن ينقل كقول الشاعر « حَيْثُ تَهْدِي سَاقَهُ قَدَمُه »[١] أي يحمل وقيل معناه إلا أن يركب الله فيه آلة التمييز والهداية ويرزقه فهماً وعقلاً فإن هدي حينئذ اهتدى ﴿ **فمالكم** ﴾ قال الزجاج هذا كلام تام كأنه قال أيُّ شيء لكم في عبادة من لا يضرُّ ولا ينفع ﴿ **كيف تحكمون** ﴾ هذا تعجيب من حالهم أي كيف تقضون بأن هذه الأصنام آلهة وأنها تستحق

---

(١) قائله طرفة وهذا عجز بيت قبله « للفتى عقل يعيش به » .

العبادة وقيل كيف تحكمون لأنفسكم بما لا توجبه الحجة ولا تشهد بصحته الأدلة ﴿ **وما يتبع أكثرهم إلا ظناً** ﴾ أي ليس يتبع أكثر هؤلاء الكفار إلا ظناً الظن الذي لا يجدي شيئاً من تقليد آبائهم ورؤسائهم ﴿ **إن الظن لا يغني من الحق شيئاً** ﴾ لأن الحق إنما ينتفع به من علمه حقاً وعرفه معرفة صحيحة والظن يكون فيه تجويز أن يكون المظنون على خلاف ما ظنَّ فلا يكون مثل العلم ﴿ **إن الله عليم بما يفعلون** ﴾ من عبادة غير الله تعالى فيجازيهم عليه وفيه ضرب من التهديد .

﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾

[**اللغة**] القرآن عبارة عن هذا الكلام الذي هو في أعلى طبقات البلاغة مع حسن النظام والجزالة، والتفصيل والتقسيم والتمييز نظائر وضدُّه التلبيس والتخليط والسورة جملة منزلة محيطة بآيات الله كإحاطة سور البناء بالبناء والاستطاعة حالة للحيّ تنطاع بها الجوارح للفعل وهي مأخوذة من الطوع والقدرة مأخوذة من القدر فهي معنى يمكن ان يوجد بها الفعل والا يوجد لتقصير قدره عن ذلك المعنى .

[**الإعراب**] وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله أي لأن يفترى ويجوز أن يكون

المعنى ما كان هذا القرآن افتراء فيكون مصدراً في موضع نصب بأنه خبر كان وتصديق عطف عليه أي ولكن كان تصديق الذي بين يديه أم يقولون افتراه أم هذه هي المنقطعة وتقديره بل أيقولون وكيف في موضع نصب على أنه خبر كان .

[**المعنى**] ثم ردَّ الله سبحانه على الكفار قولهم إئت بقرآن غير هذا أو بدّله وقولهم ان النبي ﷺ افترى هذا القرآن فقال ﴿**وما كان هذا القرآن أن يفترى**﴾ أي افتراءً ﴿**من دون الله**﴾ فأقام أن مع الفعل مقام المصدر بل هي وحي من الله ومتلقى منه ﴿**ولكن تصديق الذي بين يديه**﴾ من الكتب كما قال في موضع آخر مصدقاً لما بين يديه وهذه شهادة من الله بأن القرآن صدق وشاهد لما تقدم من التوراة والإنجيل والزبور بأنها حق ومن وجه آخر هو شاهد لها من حيث أنه مصداق لها على ما تقدَّمت البشارة به فيها وقيل معناه تصديق الذي بين يديه في المستقبل من البعث والنشور والحساب والجزاء ﴿**وتفصيل الكتاب**﴾ أي تبيين المعاني المجملة في القرآن من الحلال والحرام والأحكام الشرعية وقيل معناه وبيان الادلة التي تحتاجون إليها في أمور دينكم ﴿**لا ريب فيه من رب العالمين**﴾ أي لا شكَّ فيه أنه نازل من عند الله وأمه معجز لا يقدر أحد على مثله وهذا غاية في التحدي ﴿**أم يقولون افتراء**﴾ هذا تقرير على موضع الحجة بعد مضي حجة أخرى وتقديره بل أيقولون افتراه هذا فألزمهم على الأصل الفاسد امكان أن يأتوا بمثله و ﴿**قل**﴾ لهم ﴿**فأتوا بسورة مثله**﴾ أي مثله في البلاغة لأنكم من أهل لسانه فلو قدر على ذلك لقدرتم أنتم أيضاً عليه فإذا عجزتم عن ذلك فاعلموا أنه ليس من كلام البشر وانه منزل من عند الله عزَّ اسمه وقيل بسورة مثله أي بسورة مثل سورة منه وقال مثله لأنه إنما التمس من هذا شبه الجنس ﴿**وادعوا من استطعتم من دون الله**﴾ أي وادعوا من قدرتم عليه من دون الله واستعينوا به للمعاضدة على المعارضة بسورة مثله ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ في أنَّ هذا القرآن مفترى من دون الله وهذا أيضاً غاية في التحدي والتعجيز ﴿**بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه**﴾ أي بما كذَّبوا ولم يعلموه من جميع وجوهه لأن في القرآن ما يعلم المراد منه بدليل ويحتاج إلى الفكر فيه والرجوع إلى الرسول في معرفة مراده وذلك مثل المتشابه فالكفار لما لم يعرفوا المراد بظاهره كذبوا به وقيل معناه بل كذّبوا بما لم يحيطوا علماً بكيفية نظمه وترتيبه وهذا كما ان الناس يعرفون الفاظ الشعر والخطب ومعانيها ولا يمكنهم ابادعها لجهلهم بنظمها وترتيبها وقال الحسن معناه بل كذبوا بالقرآن من غير علم ببطلانه وقيل معناه بل كذَّبوا بما في القرآن من الجنة والنار والبعث والنشور والثواب والعقاب ﴿**ولما يأتهم تأويله**﴾ أي لم يأتهم بعد حقيقة ما وعد في الكتاب مما يؤول اليه امرهم من العقوبة وقيل معناه إن في القرآن أشياء لا يعلموه هم ولا يمكنهم معرفته إلا بالرجوع إلى

النبي ﷺ فلم يرجعوا إليه وكذَّبوا به فلم يأتهم تفسيره وتأويله فيكون معنى الآية بل كذبوا بما لم يدركوا علمه من القرآن ولم يأتهم تفسيره ولو راجعوا فيه رسول الله ﷺ لعلموه وروي عن أبي عـبيد الله (ع) أنه قال ان الله خصَّ هذه الأمة بآيتين من كتابه ان لا يقولوا إلا ما يعلمون وان لا يردُّوا ما لا يعلمون ثم قرأ ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتـاب ان لا يقولـوا على الله إلا الحق الآية وقرأ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه الآية وقيل أن من هنا أخذ أمير المؤمنين علي عليه السلام قوله الناس اعداء ما جهلوا وأخذ قوله قيمة كل امرىء ما يحسنه من قوله عز وجل فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وأخذ قولـه تكلموا تعرفوا من قوله ولتعرفنهم في لحن القول ﴿**كذلك كذب الذين من قبلهم**﴾ أي مثل تكذيب هؤلاء كذبت الأمم السالفة رسلها ﴿**فانظر**﴾ يا محمد ﴿**كيف كان عاقبة الظالمين**﴾ أي كما كان عاقبة أولئك الهلاك كذلك يكون عاقبة هؤلاء ثم أخبر سبحانه ان من جملة هؤلاء الذين كذبوا بالقرآن ونسبوه إلى الافتراء من سيؤمن به في المستقبل ويصدق بأنه من عند الله ومنهم من يموت على كفره فقال ﴿**ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به**﴾ وأراد سبحانه أنه إنما لا يهلكهم في الحال لما يعلم في تبقيتهم من الصلاح وقيل معنـاه ومنهم من يؤمن بالقرآن في نفسه ويعلم صحته إلا أنه يعاند ويظهر من نفسه خلاف ما يعلمـه ومنهم من هو شاك فيه فكأنه قال ومنهم معاندون ومنهم شاكون ﴿**وربك اعلم بالمفسدين**﴾ أي بمن يدوم على الفساد ويعلم من يتوب .

﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾

[**المعنى**] ثم خاطب سبحانه نبيَّه ﷺ فقال ﴿**وإن كذَّبوك**﴾ يا محمـد ولم يصدِّقـوك

وردُّوا عليك قولك ﴿فقل﴾ لهم ﴿لي عملي﴾ فإن كنتُ كاذباً فوباله عليَّ ﴿ولكم عملكم﴾ أي ولكم جزاء عملكم ﴿أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون﴾ نظيره قوله ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ إلى آخر السورة وهذا وعيد لهم من الله تعالى كقوله اعملوا على مكـانتكم ونحوه وقيل ان هذه الآية منسوخة بآية القتال وقيل أنه لا تنافي بين هذه الآية وآية القتال لأنها بـراءة ووعيد ذلـك لا ينافي الجهـاد ﴿ومنهم من يستمعون اليـك﴾ معناه ومن جملة هؤلاء الكفار من يستمع إليك يا محمد والاستماع طلب السمع فهم كانوا يطلبـون السمع للردِّ لا للفهم فلذلك لزمهم الذم فإنهم إذا سمعوه على هذا الوجه كأنهم صم لم يستمعوه حيث لم ينتفعوا به ﴿أفأنت تسمع الصم﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ بأنه لم يقدر على أسماع الصم ﴿ولو كانوا لا يعقلون﴾ قال الزجاج معناه ولو كانوا جهالاً وهذا مثل قول الشاعر « أصَمُّ عمَّا ساءَهُ سَميعُ » ﴿ومنهم من ينظر إليك﴾ أي ومن جملتهم من ينظر اليك يا محمد فلم يخبر بلفظ الجمع هنا لأنه حمله على اللفظ وقال من يستمعون فأخبر بلفظ الجمع حملاً على المعنى أي ينظر إلى أفعالك وأقوالك لا نظر الحقيقة والعبرة بل نظـر العادة فلا ينتفع بنظره ﴿أفأنت تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون﴾ أي فكما أنك لا تقدر أن تبصر العمي فتنفعهم به كذلك لا تقدر ان تنفع بما تأتي بـه من الأدلة من ينـظر إليها ولا يـطلب الانتفاع بهـا وقولـه أفأنت استفهام المراد به النفي وقيل ان معنى الآيتين ومنهم من يستمع الى كلامك استماع الطعن والتعنت وينظر إلى أدلتك نـظر الطاعن القـادح فيها المكـذِّب بها الـرّاد عليها فـلا تقدر أن تنفعهم بمثـل هذا الاستمـاع والنـظر ﴿إن الله لا يـظلم النـاس شيئـاً ولكن النـاس أنفسهم يظلمون﴾ قد تمدَّح سبحانه في هذه الآية بأنه لا يظلم أحداً من الناس شيئاً بأن ينقص من حسناتهم وجزاء طاعاته ولكنهم ينقصون أنفسهم ويـظلمونهـا بارتكـاب ما نهى الله عنـه من القبائح والمعنى هنا ان الله تعالى لا يمنع احداً الانتفـاع بما كلَّفهم الانتفـاع به من القـرآن والأدلة ولكنَّهم يظلمون أنفسهم بترك النظر فيه والاستدلال به وتفويتهم أنفسهـم الثواب عليها وادخالهم عليها العقاب ففي الآية دلالة على أنه سبحانه لا يفعل الظلم فبطل قول المجبرة في اضافة كل ظلم الى خلقه وإرادته .

[**النظم**] قيل في اتصال الآية الأولى بما قبلها أنـه سبحانـه لما بيَّن دلائـل التوحيـد والنبوات فعاندوا وكذَّبوا أمر فيما بعد بقطع العصمة عنهم والوعيد لهم وأما الآية الأخيرة وهي قوله ﴿إن الله لا يظلم الناس شيئاً﴾ فالوجه في اتصالها بما قبلها أنها تتصل بقـوله ﴿فـانظر كيف كانت عاقبة الظالمين﴾ يعني أنهم استحقُّوا ذلك الهلاك والعذاب بأفعالهم وما ظلمناهم

وقيل انها اتصلت بقوله ﴿ومنهم من يستمعون إليك ومنهم من ينظر إليك﴾ فكأنه قال ان الله لا يمنعهم الانتفاع بما كلّفهم بل مكّنهم وبيّن لهم وهداهم وأزاح علتهم ولكن ظلموا هم أنفسهم بترك الانتفاع به عن الجبائي وأبي مسلم وقيل أنه لمّا تقدّم ذكر الوعد والوعيد بيّن سبحانه أنه لا يظلمهم أي لا ينقص من حسناتهم ولا يزيد في سيئاتهم .

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾

[**القراءة**] قرأ حفص عن عاصم ويوم يحشرهم بالياء والباقون بالنون .

[**الحجة، والإعراب**] قال أبو علي يحتمل قوله كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار ثلاثة أوجه (أحدها) أن يكون صفة ليوم (والآخر) أن يكون صفة للمصدر المحذوب (والثالث) أن يكون حالاً من الضمير في نحشرهم فإذا جعلته صفة ليوم احتمل ضربين من التأويل (أحدهما) أن يكون التقدير كأن لم يلبثوا قبله إلا ساعة فحذفت الكلمة لدلالة المعنى عليها ومثل ذلك في حذف هذا النحو منه قوله ﴿فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهنَّ بمعروف﴾ أي أمسكوهن قبله وكذلك قوله يتربصن بأنفسهن أي يتربصن بعدهم ويجوز أن يكون المعنى كأن لم يلبثوا قبله فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ثم حذفت الهاء من الصفة كقولك الناس رجلان رجل أهنتم ورجل أكرمتم ومثل هذا في حذف المضاف واقامة الصفة المضاف اليه مقامه قوله ﴿ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا﴾ وهو واقع بهم التقدير وجزاؤه واقع بهم فحذف المضاف وان جعلته صفة للمصدر كان على هذا التقدير الذي وصفناه وبمثله وان جعلته حالاً من الضمير المنصوب لم يحتج الى حذف شيء من اللفظ لأن الذكر من الحال قد عاد إلى ذي الحال والمعنى نحشرهم مشابهة احوالهم احوال من لم

يلبث إلا ساعة وإما يوم نحشرهم فإنه يصلح أن يكون معمولاً لأحد شيئين (أحـدهما) أن يكون معمول يتعارفون (والآخر) أن يكون يوم نحشرهم لما دلَّ عليه قوله **﴿كـأن لم يلبثوا فإذا جعلته معمولاً﴾** لقوله **﴿يتعارفون﴾** انتصب يوم على وجهين (أحدهما)أن يكون ظرفاً معناه يتعارفون في هذا اليوم (والآخر) أن يكون مفعولاً على السعة على قوله يا سارق الليلة اهل الدار ومعنى يتعارفون يحتمل أمـرين (أحدهمـا) أن يكون المعنى مـدة إماتتهم التي وقـع حشرهم بعدها وحذف المفعول للدلالة عليه كما حذف في مواضع كثيرة وعدي تفاعل كما يعدي في قوله تخاطأت النبل احشاءه أو يكون اعمل الفعل الذي دلَّ عليه يتعارفون الا ترى انه قد دلَّ على يستعملون ويتعرفون وتعرفوا مدة اللبث ها هنا كما تعرفوها في قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم والآخر في التعارف ما جاء من قوله **﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين﴾** فتعـارفهم يكون على أحـد هذين الوجهين فعلى هذا يكون قوله ويوم نحشرهم معمول يتعارفون والآخر ان يكون يوم نحشرهم معمول ما دلَّ عليه قوله كأن لم يلبثوا ألا ترى ان المعنى تشابه أحوالهم أحوال من لم يلبث فيعمـل في الـظرف هـذا المعنى ولا يمتنـع المعنى مـن أن يعمـل في الـظرف وأن تقـدم الـظرف عليـه كقـولهم أكـل يـوم لـك ثـوب وإذا حملتـه على هـذا لم يجـز أن يكـون صفة للمصـدر لأن الموصـوف الذي هـو المصدر مـوضعه بعـد الفعل تقـديـره يـوم نحشـرهم حشـراً كـأن لم يلبثـوه أو لم يلبثـوا قبله والـصفـة لا يـتقـدم عـليهـا مـا تعمـل فيـه ولا يجـوز أيضـاً أن تجعله صفـة ليوم على هـذا لأن الصفـة لا تعمـل في الموصوف ألا ترى ان الصفة شرح للموصوف كما ان الصلة لا تعمل في الموصول لذلك فإن قلت فإذا قدرت كأن لم يلبثوا على تقدير الحال من الضمير هل يجوز أن يكون يوم معمولاً له فإن ذلك لا يجوز لأن العامل في الحال يحشر أو نحشر وقد أضيف اليوم اليه ولا يجوز أن يعمل في المضاف المضاف اليه ولا ما يتعلق بالمضاف اليه لأن ذلـك يوجب تقـديمه على المضاف ألا ترى أنه لم يجز القتـال زيداً حين يـأتي وإذا جعلت يتعارفـون العامـل في يوم نحشرهم لم يجز أن يكون صفة ليـوم على أنك كـأنك وصفت اليـوم بقولـه كأن لم يلبثـوا ويتعارفون فوصفت يوم نحشرهم بجملتين لم يجز أن يكون معمولاً لقوله يتعارفون لأن الصفة لا تعمل في الموصوف وجاز وصف اليوم بالجمل وان أضيف لأن الإضافـة ليست بمحضة فلم تعرفه ويدلُّ على النون في نحشرهم قوله سبحانـه **﴿وحشرنـاهم﴾** وقولـه **﴿فجمعناهم جمعاً ونحشره يوم القيامة أعمى﴾** ويدل على الياء قـوله **﴿ليجمعنكم إلى يوم القيامة﴾** وكل واحد منهما يجري مجرى الآخر .

[المعنى] ثم بيَّن سبحانه حالهم يوم الجمع فقال ﴿**ويوم يحشرهم**﴾ أي يجمعهم من كل مكان إلى الموقف ﴿**كأن لم يلبثوا**﴾ في الدنيا ﴿**إلا ساعة من النهار**﴾ أي كأنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من النهار ومعناه أنهم استقلُّوا أيام الدنيا فإن المكث في الدنيا وإن طال كان بمنزلة مكث ساعة في جنب الآخرة عن الضحاك وجماعة وقيل استقلوا أيام مقامهم في الدنيا لقلة انتفاعهم بأعمارهم فيها فكأنهم لم يلبثوا إلا يوماً فيها لقلة فائدتها وقيل انهم استقلُّوا مدة لبثهم في القبور عن ابن عباس وقد دلَّ الله سبحانه بذلك على انه لا ينبغي لأحد أن يغترَّ بطول ما يأمله من البقاء في الدنيا إذا كان عاقبته إلى الزوال ﴿**يتعارفون بينهم**﴾ معناه ان الخلق يعرف بعضهم بعضاً في ذلك الوقت كما كانوا في الدنيا كذلك وقيل معناه يعرف بعضهم بعضاً ما كانوا عليه من الخطأ والكفر قال الكلبي يتعارفون إذا خرجوا من قبورهم ثم تنقطع المعرفة إذا عاينوا العذاب ويتبرأ بعضهم من بعض ﴿**قد خسر الذين كذَّبوا بلقاء الله**﴾ أي بلقاء جزاء الله ﴿**وما كانوا مهتدين**﴾ للحق قال الحسن معناه خسروا أنفسهم لأنهم لم يكونوا مهتدين في الدنيا ولو كانوا مهتدين في الدنيا لم يخسروا أنفسهم ومعناه أنهم خسروا الدنيا حين صرفوها إلى المعاصي وخسروا نعيم الآخرة حين فوَّتوها على أنفسهم بمعاصيهم ﴿**وإمَّا نرينك**﴾ يا محمد في حياتك ﴿**بعض الذي نعدهم**﴾ أي نعد هؤلاء الكفار من العقوبة في الدنيا قالوا ومنها وقعة بدر ﴿**أو نتوفينك**﴾ أي نميتنك قبل أن ينزل ذلك بهم وينزل ذلك بهم بعد موتك ﴿**فإلينا مرجعهم**﴾ أي إلى حكمنا مصيرهم في الآخرة فلا يفوّتوننا وقيل ان الله سبحاه وعد نبيه ﷺ ان ينتقم له منهم أما في حياته أو بعد وفاته ولم يحدَّه بوقت فقال ان ما وعدناه حقاً لا محالة ﴿**ثم الله شهيد على ما يفعلون**﴾ أي عليم بأفعالهم حافظ لها فهو يوفّيهم عقاب معاصيهم ﴿**ولكل أمة رسول**﴾ أي لكل جماعة على طريقة واحدة ودين واحد كأمة محمد وأمة موسى وعيسى عليهم السلام رسول بعثه الله إليهم وحمله الرسالة التي يؤدّيها اليهم ﴿**فإذا جاء رسولهم**﴾ ههنا حذف واضمار والتقدير فإذا جاء رسولهم وبلَّغ الرسالة فكذَّبه قومه وصدَّقه آخرون ﴿**قضي بينهم**﴾ فيهلك المكذّبون وينجو المؤمنون وقيل معناه فإذا جاء رسولهم يشهد عليهم يوم القيامة عن مجاهد وقيل في الدنيا بما أذن الله له من الدعاء عليهم قضى بينهم أي فصل بينهم الأمر على الحتم ﴿**بالقسط**﴾ أي بالعدل ﴿**وهم لا يظلمون**﴾ أي لا ينقصون عن ثواب طاعاتهم ولا يزدادون في عقاب سيئآتهم .

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ

لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَـٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾

[**اللغة**] الوعد خبر بما يعطى من الخير والوعيد خبر بما يعطي من الشر هذا إذا فصل فإن أجمل وقع الوعد على الجميع والنفع هو اللذة والسرور وما أدّى اليهما أو الى واحد منهما والضرر الألم والغم وما أدّى اليهما أو الى واحد منهما والأجل هو الوقت المضروب لوقوع امر كأجل الدين وأجل الإنسان .

[**الإعراب**] متى سؤال عن الزمان وأين سؤال عن المكان. بياتاً منصوب على الظرف وقوله ماذا يستعجل يجوز أن يكون ما في موضع رفع وذلك إذا كان ذا بمعنى الذي والمعنى ما الذي يستعجل منه المجرمون فيكون ما مبتدأ والذي خبره ويجوز أن يكون في موضع نصب وذلك اذا جعلت ما وذا اسماً واحداً والمعنى أيّ شيء يستعجل منه المجرمون من العذاب أو من الله فيكون مفعول يستعجل وجواب ان أتاكم محذوفاً وتقدير الكلام أرأيتم ماذا يستعجل من العذاب المجرمون ان أتاكم عذابه بياتاً أو نهاراً أو وقع ان أتاكم في وسط الكلام موقع الاعتراض ومعنى ماذا يستعجل ههنا الانكار اي ليس في العذاب شيء يستعجل به وجاء في صيغة الاستفهام لأنه لا جواب لصاحبه يصح له وقوله ﴿ثم﴾ دخلت الف الاستفهام على ثم التي للعطف لتدل على ان معنى الجملة الثانية بعد الأولى مع ان للألف صدر الكلام والعامل في إذا قوله آمنتم به وقوله الآن وقد كنتم به تستعجلون تقديره الآن به تؤمنون .

[**المعنى**] لما وعد سبحانه المكذبين بين عقيبه انهم اذا استعجلوا ذلك على سبيل التكذيب والرد فقال ﴿**ويقولون**﴾ أي ويقول هؤلاء المشركون ﴿**متى هذا الوعد**﴾ الذي تعدنا به من البعث وقيام الساعة وقيل من العذاب ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ في ذلك ﴿**قل**﴾ يا محمد

جواباً لهم **﴿لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً﴾** أي لا أقدر لنفسي على ضر أو نفع **﴿إلا ما شاء الله﴾** أن يملكني أو يقدرني عليه فكيف أقدر لكم لأني إذا لم أقدر على ذلك كنت عن انزال العذاب وعن معرفة وقته اعجز أو يكون معناه إذا لم أملك لنفسي شيئاً من ذلك الا ما ملكنيه الله تعالى فكيف أملك تقديم القيامة وتعجيل العقوبة قبل الوقت المقدّر له **﴿لكل امة أجل﴾** أي لكل أمة في عذابها على تكذيب الرسل وقت معلوم **﴿إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾** فلا يتأخرون عن ذلك الوقت ولا يتقدمون عليه بل يهلكهم في ذلك الوقت بعينه **﴿قل﴾** يا محمد لهؤلاء المكذبين المستعجلين بالعذاب **﴿أرأيتم﴾** أي اعلمتم **﴿ان أتاكم عذابه﴾** أي عذاب الله **﴿بياتاً﴾** أي ليلًا **﴿أو نهاراً ماذا يستعجل منه المجرمون﴾** وهذا استفهام معناه التقطيع والتهويل كما يقول الانسان لمن هو في امر يستوخم عاقبته ماذا تجني على نفسك وهذا جواب لقولهم متى هذا الوعد وقال أبو جعفر الباقر (ع) يريد بذلك عذاباً ينزل من السماء على فسقة أهل القبلة في آخر الزمان ونعوذ بالله منه **﴿أثم اذا ما وقع آمنتم به﴾** هذا استفهام معناه الانكار وتقديره أحين وقع بكم العذاب المقدر الموقت آمنتم به أي بالله في وقت اليأس وقيل بالقرآن وقيل بالعذاب الذي كنتم تنكرونه فيقال لكم **﴿آلآن﴾** تؤمنون وقد اضطررتم لحلوله **﴿وقد كنتم به﴾** أي بالعذاب **﴿تستعجلون﴾** من قبل مكذبين مستهزئين وقال الحسن معناه ثم انكم ستؤمنون به عند وقوع العذاب فلا ينفعكم ايمانكم ونظيره الآن وقد عصيت قبل **﴿ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد﴾** أي ثم يقال يوم القيامة للذين ظلموا أنفسهم ذوقوا عذاب الدوام في الآخرة بعد عذاب الدنيا **﴿هل تجزون الا بما كنتم تكسبون﴾** معناه انكم قد دعيتم وهديتم وبيِّن لكم الأدلة وازيحت عنكم العلة فأبيتم الا التمادي في الكفر والانهماك في الغي فذوقوا جزاء اعمالكم وانما شبّهوا بالذائق وهو الذي يطلب الطعم بالفم لأنه أشدّ احساساً وقيل لأنهم يتجرعون العذاب بدخوله أجوافهم .

﴿ ۞ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ

وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾

هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾

[**اللغة**] الاستنباء طلب النبأ الذي هو الخبر والاقتداء إيقاع الشيء بـدل غيره لـدفع المكروه به يقال فداه يفديه فدية وفداء وافتداه افتداء وفاداه مفاداة .

[**الإعراب**] الا كلمة تستعمل في التنبيه وأصلها لا دخل عليها حرف الاستفهام تقريراً وتذكيراً فصارت تنبيهاً وكسـرت إنَّ بعد ألا لأن ألا يستـأنف ما بعـدها لينبِّـه بها على معنى الابتداء ولذلك وقع بعدها الأمر والدعاء كقول امرىء القيس « ألا أنعم صباحـاً أيها الـطلل البالي » .

[**المعنى**] ﴿ **ويستنبئونك** ﴾ يا محمد أي يطلبون منك أن تخبرهم ﴿ **أحق هو** ﴾ أي أحق ما جئت به من القرآن والنبوة والشريعة وقيل أحق ما تعدنا من البعث والقيامة والعذاب عن الجبـائي ﴿ **قل** ﴾ يـا محمـد ﴿ **إي وربي** ﴾ أي نعم وحق الله ﴿ **أنـه لحق** ﴾ لا شـك فيـه ﴿ **وما أنتم بمعجـزين** ﴾ أي بسابقين فـائتين وهذا الاستخبـار يحتمـل أن يكـون إنمـا وقع منهم على وجه التعريف والاستفهام ويحتمل أن يكون وقع على وجه الاستهزاء ﴿ **ولو أن لكل نفس ظلمت** ﴾ أي أشركت بالله عن ابن عباس وقيـل ظلمت بكل مـا يسمى ظلماً ﴿ **ما في الأرض** ﴾ من الأموال ﴿ **لافتدت به** ﴾ من هول ما يلحقها من العذاب ﴿ **وأسـرُّوا الندامة لما رأوا العذاب** ﴾ أي اخفوا الندامـة أي أسرَّ النـدامة رؤسـاء الضلالـة من الاتباع والسفلة وقيل أسرّوا الندامة أي أخلصوها والندامة الحسـرة على ما كـان يتمنى أنه لـم يكن وقيل أسروا أي أظهروا عن أبي عبيدة والجبائي وقال الأزهري وهذا غلط لأن ما يكون بمعنى الإظهار يكون بالشين المنقطة من فوق ﴿ **وقضي بينهم بالقسط** ﴾ أي فصـل بينهم بالعـدل ﴿ **وهم لا يظلمون** ﴾ فيما يفعل بهم من العقاب لأنهم جنوه على أنفسهم وروي عن أبي عبد الله (ع) أنه قال إنما أسروا الندامة وهم في النار كراهية لشماتة الأعداء على أنفسهـم ﴿ **إلا أن لله ما في السماوات والأرض** ﴾ أي له ملك السماوات والأرض وما فيهما فلا يقدر أحـد على منعه من إحلال العقـاب بمملوكه المستحق لـه ﴿ **ألا ان وعد الله** ﴾ بـإحلال العقـاب بالمجرمين ﴿ **حق ولكن أكثرهم لا يعلمون** ﴾ صحة ذلك لجهلهم به تعالى وبصحة ما أتى به النبي ﷺ ﴿ **هـو يحيي** ﴾ أي يحيي الخلق بعد كونهم أمواتاً ﴿ **ويميت** ﴾ أي يميتهم بعد أن كانوا أحياء ﴿ **وإليه ترجعون** ﴾ يوم القيامة فيجازيهم على أعمالهم قال الجبائي وفي هذه

الآية دلالة على أنه لا يقدر على الحياة إلا الله تعالى لأنه تعالى تمدح بكونه قادراً على الإحياء والإماتة .

﴿ **النظم** ﴾ وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها أن قوله ﴿**ويستنبئونك**﴾ عطف على ويستعجلونك المعنى أنهم يستعجلونك ويقولون متى تكون القيامة والعذاب أو يستخبرونك أحقٌّ ما تقول من كونه ووجه اتصال قوله ﴿ **ألا إن لله ما في السموات والأرض** ﴾ بما قبله اتصال الاثبات بالنفي وتقديره ليس للظالم ما يفتدي به بل جميع الملك له تعالى وقيل أنه يتصل بما قبله بمعنى أن من يملك السموات والأرض يقدر على إيقاع ما توعد به ووجه اتصال قوله ﴿ **ألا ان وعد الله حق** ﴾ بما قبله انه إذا خلق السموات والأرض لا للعبث بل لمنافع الخلق فلا يجوز عليه خلف الوعد وأيضاً فإن من صفة الخالق أن يكون عالماً لذاته غنياً غير محتاج والخلف كذب قبيح ولا بدَّ للفعل من داع والداعي إلى القبيح أما الجهل بقبحه أو الحاجة إليه فإذاً لا يجوز الخلف عليه إذ لا داعي له إليه .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر وابن عامر فليفرحوا بالياء تجمعون بالتاء وقرأ يعقوب برواية رويس فلتفرحوا وتجمعون بالتاء فيهما جميعاً وروي ذلك عن النبي ﷺ وأبي بن كعب والحسن وفي رواية زيد عن يعقوب فلتفرحوا بالتاء يجمعون بالياء وروي ذلك عن ابن عباس وقتادة وجماعة والباقون بالياء فيهما جميعاً .

[**الحجة**] قال أبو علي قوله بفضل الله وبرحمته الجار فيه يتعلق بمضمر استغني عن ذكره لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله ﴿ **قد جاءتكم موعظة من ربكم** ﴾ كما أن قوله ﴿ **آلآن وقد عصيت** ﴾ قيل يتعلق الظرف فيه بمضمر يدل عليه ما تقدم من الفعل وكذلك قوله ﴿ **الآن وقد كنتم به تستعجلون** ﴾ فأما قوله ﴿ **فبذلك فليفرحوا** ﴾ فإن الجار في قوله ﴿ **فبذلك** ﴾ يتعلق بفليفرحوا لأن هذا الفعل اتصل بالباء قال وفرحوا بها وقال وفرحت بما قد كان من سيد بكما فأما الفاء في قوله ﴿**فليفرحوا**﴾ فزيادة يدلُّك على ذلك أن المعنى فافرحوا بذلك ومثل هذه الآية

قول الشاعر « وإذا هَلَكْتُ فَعِنْدَ ذلِكَ فاجْزَعي » فالفاء في قوله فاجزعي زيادة كما كانت الفاء في قوله فليفرحوا زيادة ولا تكون الزيادة الأولى لأن الظرف إنما يتعلق باجزعي فأما من قرأ فلتفرحوا بالتاء فإنه اعتبر الخطاب الذي قبل وهو قوله قد جاءتكم موعظة وزعموا أنها في حرف أبي فافرحوا قال أبو الحسن وزعموا أنها لغة وهي قليلة نحو لنضرب وأنت تخاطب فأما من قرأ هو خير مما تجمعون بالتاء فعلى أنه عنى المخاطبين والغيب جميعاً إلا أنك غلبت المخاطبة على الغيبة ومن قرأ بالياء كان المعنى فافرحوا بذلك أيها المؤمنون أي أفرحوا بفضل الله ورحمته فإن ما أتاكموه من الموعظة شفاء لما في الصدور ثلج اليقين النفس بالإيمان وسكون النفس إليه خير مما يجمعه غيركم من اعراض الدنيا ممن فقد هذه الحال التي حزتموها .

[**المعنى**] لمّا تقدَّم ذكر القرآن وما فيه من الوعد والوعيد عقَّبه سبحانه بذكر جلالة موقع القرآن وعظم محله في باب الأدلة فقال ﴿ **يا أيها الناس** ﴾ خطاب لجميع الخلق وتنبيه لهم ويقال أنه خطاب لقريش ﴿ **قد جاءتكم موعظة من ربكم** ﴾ يعني القرآن والموعظة بيان ما تجب أن يحذر عنه ويرغب فيه وقيل هي ما يدعو إلى الصلاح ويزجر عن الفساد ﴿ **وشفاء لما في الصدور** ﴾ الشفاء معنى كالدواء لإزالة الداء فداء الجهل أضرُّ من داء البدن وعلاجه أعسر وأطباؤه أقل والشفاء منه أجل والصدر موضع القلب وهو أجل موضع في البدن لشرف القلب ﴿ **وهدى** ﴾ أي ودلالة تؤدّي إلى معرفة الحق ﴿ **ورحمة للمؤمنين** ﴾ أي ونعمة لمن تمسك به وعمل بما فيه وخصَّ المؤمنين بالذكر وان كان القرآن موعظة ورحمة لجميع الخلق لأنهم الذين انتفعوا به وصف الله سبحانه القرآن في هذه الآية بأربع صفات بالموعظة والشفاء لما في الصدور وبالهدى والرحمة ﴿ **قل بفضل الله وبرحمته** ﴾ معناه قل يا محمد بافضال الله وبنعمته فإنه يجوز اطلاق الفاصل على الله تعالى فوضع الفضل في موضع الإفضال كما وضع النبات في قوله ﴿ **والله أنبتكم من الأرض نباتاً** ﴾ في موضع الإنبات وقيل أن الفضل إلى الله بمعنى الملك كما يضاف العبد إليه بأنه مالك له ﴿ **فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** ﴾ قال الزجاج قوله بذلك بدل من قوله بفضل الله وبرحمته وهو يدل على أنه يعني به القرآن أي فبذلك فليفرح الناس لأنه خير لكم يا أصحاب محمد مما يجمعه هؤلاء الكفار من الأموال ومعنى الآية قل لهؤلاء الفرحين بالدنيا المعتدين بها الجامعين لها إذا فرحتم بشيء فافرحوا بفضل الله عليكم ورحمته لكم بإنزال هذا القرآن وارسال محمد إليكم فإنكم تحصلون بهما نعيماً دائماً مقيماً هو خير لكم من هذه الدنيا الفانية وقيل فضل الله هو القرآن

ورحمته الإسلام عن أبي سعيد الخدري والحسن وروى أنس عن النبي ﷺ أنه قال من هداه الله للإسلام وعلَّمه القرآن ثم شكا الفاقة كتب الله عز وجل الفقر بين عينيه إلى يوم القيامة ثم تلا قل بفضل الله وبرحمته الآية وقيل فضل الله الإسلام ورحمته القرآن عن قتادة ومجاهد وغيرهما قال أبو جعفر الباقر (ع) فضل الله رسول الله ﷺ ورحمته علي بن أبي طالب (ع) ورواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس .

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾

[**القراءة**] قرأ الكسائي وما يعزِب بكسر الزاي هنا وفي سبأ وهو قراءة الأعمش ويحيى بن وثاب وقرأ الباقون بضم الزاي وقرأ حمزة وخلف ويعقوب وسهل ولا أصغرُ ولا أكبرُ بالرفع والباقون بفتحها .

[**الحجة**] يعزِب ويعزُب لغتان صحيحتان ومن فتح الزاي من أصغر وأكبر فلأن أفعل في الموضعين في موضع جرٍّ على تقدير ما يعزب عن ربك من مثقال ذرة ولا مثقال أصغر من ذلك ولا أكبر وإنما فتح لأنه غير منصرف وإنما منع الصرف لأن الفعل إذا اتصل به « مِنْ » كان صفة وإذا كان صفة لم ينصرف في النكرة ومن رفع حمله على موضع الجار والمجرور الذي هو من مثقال ذرة فإنه في موضع رفع كما كانا في قوله وكفى بالله ويجوز رفعه من جهة

أخرى على الابتداء ويكون الخبر قوله ﴿ **إلا في كتاب مبين** ﴾ .

[**اللغة**] الشأن اسم يقع على الأمر والحال تقول ما شأنـك وما بـالك ومـا حالـك والإفاضة الدخول في العمل على جهة الانصباب إليه مأخوذ من فيض الاناء إذا انصب الماء من جـوانبه ومنـه قولـه أفضتم من عرفـات أي تفرقتم كتفـرق الماء الـذي ينصب من الإناء والعزوب الذهاب عن المعلوم وضدُّه حضور المعنى للنفس وتعزب إذا انفرد عن أهله .

[**الإعراب**] ما في قوله ما أنزل الله في مـوضع نصب بـأنزل ويكـون بمعنى أي في الاستفهام ويحتمل أن يكون ما بمعنى الذي فيكون نصباً برأيتم .

﴿ **المعنى**] ثم أمر سبحانه نبيَّهﷺ أن يخاطب كفار مكة فقال ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهم ﴿ **أرأيتم مـا أنزل الله لكم من رزق** ﴾ فجعله حـلالاً ﴿ **فجعلتم منه حـراماً وحـلالاً** ﴾ أي جعلتم بعضه حراماً وبعضه حلالاً يعني ما حرَّموا من السائبة والبحيرة والوصيلة ونحوها مما حرَّموا من زروعهم وإنما قال أنزل الله لأن أرزاق العباد من المطر الذي ينزله الله ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهم ﴿ **آلله اذن لكم أم على الله تفترون** ﴾ ومعناه أنه لم يأذن لكم في شيء من ذلك بل أنتم تكـذبون في ذلـك على الله سبحانـه ﴿ **وما ظن الـذين يفترون على الله الكـذب يـوم القيامة** ﴾ معناه أيُّ شيء يظن الذين يكذبون على الله أنه يصيبهم يوم القيامة على افترائهم على الله أي لا ينبغي أن يظنوا أن يصيبهم على ذلك إلا العذاب الشديد والعقاب الأليم ﴿ **إن الله لذو فضل على الناس** ﴾ بما فعل بهم من ضروب الانعام ﴿ **ولكن أكثرهم لا يشكرون** ﴾ نعمه ويجحدونها وهذا الكلام خرج مخرج التقريع على افتراء الكذب وإن كان في صـورة الاستفهام وتقديره أيؤديهم افتراؤهم الكذب إلى خير أم شرٍّ وقيل أن معنى قوله ﴿ **لذو فضل على الناس** ﴾ أنه لم يضيق عليهم بالتحريم كما ادعيتم ذلك عليه وقيل معناه أنه لذو فضل على خلقـه بترك معـاجلة من افتـرى عليـه الكـذب بـالعقـوبـة في الـدنيا وامهـالـه إيـاهم الى يـوم القيـامـة ثم بيَّن سبحـانـه ان امهـالـه ايـاهم ليس لجهـل بحـالهم فقـال ﴿ **ومـا تكون في شـأن** ﴾ أي ما تكـون أنت يا محمـد في حال من الأحـوال وفي أمـر من أمور الدين من تبليغ الرسـالة وتعليم الشـريعة وغيـر ذلك ﴿ **ومـا تتلوا منه من قـرآن** ﴾ أي وما تقرأ من الله من قرآن وقيل من الكتاب من قرآن والقرآن يقع على القليل والكثير منه وقيل أن الهـاء تعود إلى الشـأن أي وما تتلو من الشـأن من قرآن ﴿ **ولا تعملون من عمـل الا كنا عليكم شهوداً** ﴾ أي ولا تعمل أنت وأمتك من عمل إلا كنا عالمين به شاهدين عليكم به ﴿ **إذ تفيضون فيه** ﴾ أي تدخلون فيه وتخوضون فيه ﴿ **وما يعـزب عن ربك** ﴾ أي ومـا يبعد ومـا

يغيب عن علم ربك ورؤيته وقدرته ﴿ **من مثقـال ذرة** ﴾ أي وزن نملة صغيرة ﴿ **في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك** ﴾ من وزن نملة ﴿ **ولا أكبر إلا في كتاب مبين** ﴾ أي في كتاب بيَّنه الله فيه قبل أن خلقه وهو اللوح المحفوظ وقيل أراد به كتاب الحفظة الذي كتبـه الملائكة السفرة وحفظوه وقال الصادق (ع) كان رسول الله ﷺ إذا قرأ هذه الآية بكى بكاء شديداً .

[**النظم**] قيل في اتصال الآية الأولى بما قبلها أنها اتصلت بقوله ﴿ **قل من يـرزقكم من السماء والأرض** ﴾ فإذا قرأوا أنه الرزاق قيل لهم أجعلتم ما رزقكم بعضه حراماً وبعضه حلالاً عن أبي مسلم وقيل لما وصف القرآن بأنه هدىً ورحمة وأمرهم بالتمسك بما فيه عقَّبه بذكر مخالفتهم لما جاء في القرآن وتحريمهم ما أحلَّ الله .

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾

[**اللغة**] الخوف والفزع والجزع نظائر وهو ازعاج القلب لما يتوقع من المكروه والأمن ضده والحزن غلظ الهم مأخوذ من الحَزْن وهي الأرض الغليظة والسرور ضدّه والبشرى الخبر مما يظهر سروره في بشرة الوجه والبشارة مثلها والعزة شدة الغلبة من عزَّه يعزّه إذا غلبه ومنه قولهم إذا عز أخوك فهن يعني إذا غلبك ولم تقاومه فلن لـه وعز الشيء يعَـزُّ بفتح العين إذا اشتد ويعِزُّ بكسرها إذا صار عزيزاً لا يوجد فكأنه اشتد وجوده .

[**الإعراب**] الذين آمنوا يحتمل مـوضعه ثـلاثة أوجـه من الاعراب (الأول) النصب على أنه صفة أولياء الله (والثاني) الرفع على المدح (والثالث) الرفع على الابتداء وخبره لهم البشرى فإن جعلت الذين آمنوا صفة لم تقف على يحزنـون بل تقف على يتقـون وإن

جعلته مبتدأ وقفت على يحزنون دون يتقون لأن لهم البشرى خبر عنهم والبشرى يرتفع بالظرف على الأقوال الثلاثة ولا يحزنك قولهم أن العزة لله جميعاً كسرت أنَّ للاستئناف بالتذكير لما ينفي الحزن ولا يجوز أن يكون كسرت لأنها وقعت بعد القول لأنه يصير حكاية عنهم وان النبي ﷺ يحزن لذلك وهذا كفر ويجوز فتحها على تقدير اللام كأنه قال ولا يحزنك قولهم لأنَّ العزة لله جميعاً وقد غلط القتيبي في هذا فزعم أن فتحها يكون كفراً وليس الأمر كما ظنَّه فإنها إذا كانت معمولة للقول لم يجز وإذا تعلقت بغير القول جاز سواء فتحت أو كسرت ومثل الفتح قول ذي الرمة :

فَمَا هَجَرَتْكَ النَّفْسُ يَا مَيُّ أَنَّهَا ... قَلَتْكَ وَلٰكِنْ قَلَّ مِنْكِ نَصِيبُهَا
وَلٰكِنَّهُمْ يَا أَمْلَحَ النَّاسِ أَوْلَعُوا ... بِقَوْلٍ إِذَا مَا جِئْتُ هٰذَا جَنِيبُهَا[١]

وقال القتيبي عند ذكر هذه المسألة إذا قلت هذا قاتل أخي بالتنوين دلَّ على أنه لم يقتل وإذا قلت هذا قاتل أخي بحذف التنوين دلَّ على أنه قتل وهذا غلط باجماع من النحويين لأن التنوين قد تحذف وأنت تريد الحال والاستقبال قال الله تعالى هدياً بالغ الكعبة يريد بالغاً الكعبة وكل نفس ذائقة الموت أي ستذوق .

[المعنى] ﴿ **ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم** ﴾ بيَّن سبحانه أن المطيعين لله الذين تولوا القيام بأمره وتولاهم سبحانه بحفظه وحياطته لا خوف عليهم يوم القيامة من العقاب ﴿ **ولا هم يحزنون** ﴾ أي لا يخافون واختلف في أولياء الله فقيل هم قوم ذكرهم الله بما هم عليه من سيماء الخير والاخبات عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل هم المتحابون في الله ذكر ذلك في خبر مرفوع وقيل هم الذين آمنوا وكانوا يتقون وقد بيَّنهم في الآية التي بعدها عن ابن زيد وقيل أنهم الذين أدَّوا فرائض الله وأخذوا بسنن رسول الله وتورَّعوا عن محارم الله وزهدوا في عاجل هذه الدنيا ورغبوا فيما عند الله واكتسبوا الطيب من رزق الله لمعايشهم لا يريدون به التفاخر والتكاثر ثم أنفقوه فيما يلزمهم من حقوق واجبة فأولئك الذين يبارك الله لهم فيما اكتسبوا ويثابون على ما قدموا منه لآخرتهم وهو المروي عن علي بن الحسين عليه السلام وقيل هم الذين توالت أفعالهم على موافقة الحق ﴿ **الذين آمنوا** ﴾ أي صدَّقوا بالله واعترفوا بوحدانيته ﴿ **وكانوا يتقون** ﴾ مع ذلك معاصيه ﴿ **لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾ فيه أقوال (أحدها) أن البشرى في الحياة الدنيا هي ما بشَّرهم الله تعالى به في

(١) مي ومية : اسم امرأة . والقلى : البغض . والجنيب بمعنى القرين .

القرآن على الأعمال الصالحة ونظيره قوله ﴿ **وبشّر الذين آمنوا أنّ لهم قدم صدقٍ عند ربهم** ﴾ وقوله ﴿ **يبشّرهم ربهم برحمة منه** ﴾ الآية عن الزجاج والفراء (وثانيها) أن البشارة في الحياة الدنيا بشارة الملائكة (ع) للمؤمنين عند موتهم بأن لا تخافوا ولا تحزنوا أبشروا بالجنة عن قتادة والزهري والضحاك والجبائي (وثالثها) أنها في الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن لنفسه أو ترى له وفي الآخرة بالجنة وهي ما يبشرهم الملائكة عند خروجهم من القبور وفي القيامة إلى أن يدخلوا الجنة يبشّرونهم بها حالاً بعد حال وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وروي ذلك في حديث مرفوع عن النبي ﷺ وروى عقبة بن خالد عن أبي عبد الله (ع) أنه قال يا عقبة لا يقبل الله من العباد يوم القيامة إلا هذا الدين الذي أنتم عليه وما بين أحدكم وبين أن يرى ما تقرُّ به عينه إلا أن يبلغ نفسه إلى هذه وأومى بيده إلى الوريد الخبر بطوله ثم قال أن هذا في كتاب الله وقرأ ﴿ **الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾ الآية وقيل أن المؤمن يفتح له باب إلى الجنة في قبره فيشاهد ما أعدَّ له في الجنة قبل دخولها ﴿ **لا تبديل لكلمات الله** ﴾ أي لا خلف لما وعد الله تعالى به من الثواب ولا خلاف في قوله بوضع كلمة أخرى مكانها بدلاً منها لأنها حقٌّ والحق لا خلف فيه بوجه ﴿ **ذلك هو الفوز العظيم** ﴾ أي ذلك الذي سبق ذكره من البشارة في الحياة الدنيا وفي الآخرة هي النجاة العظيمة التي يصغر في جنبها كل شيء ﴿ **ولا يحزنك قولهم** ﴾ ظاهره النهي والمراد به التسلية للنبي ﷺ عن أقوالهم المؤذية وهو مثل قولهم لا رأيتك ههنا أي لا تكن ههنا فمن كان ههنا رأيته وكذلك المراد بالآية لا تعبأ بأذاهم فمن عبأ به آذاه اذاهم ﴿ **إن العزة لله جميعاً** ﴾ فيمنعهم منك بعزته ويدفع أذاهم عنك بقدرته وقيل معناه لا يحزنك قولهم انك ساحر أو مجنون فسينصرك الله عليهم وسيذلّهم وينتقم منهم لك فإنه عزيز قادر عليه ﴿ **هو السميع العليم** ﴾ يسمع أقوالهم ويعلم ضمائرهم فيجازيهم عليها ويدفع عنك شرَّهم ويردَّ كيدهم وضرَّهم .

[**النظم**] وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها أنه لمّا تقدَّم ذكر المؤمن والكافر بيَّن عقيبه أن أولياءه لا خوف عليهم وقيل لما ذكر أنه يحصي أعمال خلقه بشر من تولاه وذكر ما أعدَّ لهم ووجه اتصال قوله ﴿ **ولا يحزنك قولهم** ﴾ بما تقدم أنه يتصل بقوله وان كذَّبوك ﴿**فلا يحزنك قولهم** ﴾ وقل لي عملي ولكم عملكم وقيل أنه يتصل بما قبله فكأنه قال إذا كنت من أولياء الله ومن أهل البشارة فلا ينبغي أن تحزن بطعن من يطعن عليك ووجه اتصال قوله ﴿ **هو السميع العليم** ﴾ بما قبله أنه يسمع قولهم ويجازيهم فلا يحزنك ذلك .

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾

[**اللغة**] الفرق بين الجعل والفعل أن جعل الشيء يكون باحداث غيره كجعل الطين خزفاً ولا يكون فعله إلا بإحداثه والفرق بين الجعل والتغيير أن تغيير الشيء لا يكون إلا بتصييره على خلاف ما كان وجعله يكون بتصييره على مثل ما كان كجعل الإنسان نفسه ساكناً على استدامة الحال وإنما قال والنهار مبصراً وإنما يبصر فيه تشبيهاً ومجازاً واستعارة في صفة الشيء بسببه على وجه المبالغة كما يقال سرٌّ كاتم وليل نائم ومثله قول جرير :

لَقَدْ لُمْتِنا يا أُمَّ غَيْلانَ في السُّرى وَنِمْتُ وَما لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنائِمِ

وقال رؤبه « قد نامَ لَيْلي وَتَجَلّى هَمِّي » .

[**المعنى**] لما سلّى الله سبحانه نبيه ﷺ بقوله ﴿ **ولا يحزنك قولهم** ﴾ فإنهم لا يفوتونني بيَّن بعد ذلك ما يدل على صحته فقال ﴿ **ألا أن لله من في السموات ومن في الأرض** ﴾ يعني العقلاء وإذا كان له ملك العقلاء فما عداهم تابع لهم وإنما خصَّ العقلاء تفخيماً ﴿ **وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء** ﴾ يحتمل ما هاهنا وجهين (أحدهما) أن يكون بمعنى أيُّ شيء فكأنه قال وأيُّ شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء تقبيحاً لفعلهم (والآخر) أن يكون نافية أي وما يتبعون شركاء في الحقيقة ويحتمل وجهاً ثالثاً وهو أن يكون ما بمعنى الذي ويكون منصوباً بالعطف على مَنْ ويكون التقدير والذي يتبع الأصنام الذين يدعونهم من دون الله شركاء فحذف العائد من الصلة وشركاء حال من ذلك المحذوف وإن جعلت ما نفياً فقوله ﴿ **شركاء** ﴾ ينتصب بيدعونه والعائد إلى الذين الواو في يدعون ويكون قوله ﴿ **ان يتبعون** ﴾ مكرراً لطول الكلام وتقف في هذا القول على قوله ﴿ **ومَنْ في الأرض** ﴾ وفي ذلك القول على قوله شركاء ﴿ **ان يتبعون إلا الظن** ﴾ أي ليس يتبعون في اتخاذهم مع الله شركاء إلا الظن لتقليدهم أسلافهم في ذلك أو لشبهة دخلت عليهم بأنهم

يتقرَّبون بذلك إلى الله تعالى ﴿ **وإن هم الا يخرصون** ﴾ أي وليسوا إلا كاذبين بهذا الاعتقاد والقول ﴿ **هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه** ﴾ معناه أن الـذي يملك من في السموات ومن في الأرض هـو الـذي خلق لكم الليـل لسكـونكم ولأن يـزول التعب والكـلال عنكم بالسكون فيه ﴿ **والنهار مبصراً** ﴾ أي وجعل النهار مبصراً مضيئاً تبصرون فيه وتهتدون به في حوائجكم بالإبصار ﴿ **إن في ذلك لآيات** ﴾ أي لحججاً ودلالات على توحيد الله سبحانه من حيث لا يقدر على ذلك غيره ﴿ **لقوم يسمعون** ﴾ الحجج سماع تدبر وتفهم وتعقل .

﴿ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٠﴾

[**الإعراب**] متاع خبر مبتدأ محذوف وتقديره ذاك أو هو متاع وقولـه ﴿ **لا يفلحون** ﴾ وقف تام ويجوز أن يكون متاع مبتدأ محذوف الخبر وتقديره لهم متاع .

[**المعنى**] ثم حكى الله سبحانه عن صنف من الكفار أنهم أضافوا إليه اتخـاذ الولـد وهم طائفتان (احداهما) كفار قريش والعرب فإنهم قالوا المـلائكة بنـات الله (والأخرى) النصارى الذين قالوا المسيح ابن الله فقال سبحانه ﴿ **قالوا اتخذ الله ولداً** ﴾ وإنما قال قالوا وإن لم يكن سبق ذكرهم لأنهم كانـوا بحضرة النبيﷺ وكـان يعرفهم وتصـح الكنايـة عن المعلوم كما تصح عن المذكور ﴿ **سبحانه** ﴾ أي تنزيهاً له عما قالوا ﴿ **هو الغني** ﴾ عن اتخاذ الولد ثم بيَّن سبحانه الوجه فيه فقال ﴿ **له ما في السموات وما في الأرض** ﴾ ومعناه إذا كان له ما في السموات وما في الأرض مِلكاً ومُلكا وخَلقاً فهو الغني عن اتخاذ الولد لأن الإنسان إنما

يتخذ الولـد ليتقوّى بـه من ضعف أو ليستغني به من فقـر والله سبحانـه منزَّه عن ذلـك وإذا استحال اتخاذ الولد حقيقة عليه سبحانه استحـال عليه اتخـاذ الولـد على وجه التبنّي ﴿ **إن عندكم من سلطان بهذا** ﴾ أي ما عندكم من حجة وبرهـان بهذا ﴿ **أتقـولون على الله مـا لا تعلمون** ﴾ هذا توبيخ من الله سبحانه لهم على قولهم ذلك ثم بيَّن سبحانه الوعيد لهم على ذلك فقال ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **إن الذين يفترون** ﴾ أي يكذبون ﴿ **على الله الكذب** ﴾ باتخاذ الولد وغير ذلك ﴿ **لا يفلحون** ﴾ أي لا يفوزون بشيء من الثواب وأصل الافتراء من القطع من فريت الأديم أي قطعته فمعناه يقطعون الكذب الذي يكذبون بـه على الله تعالى وقـوله ﴿ **متاع في الدنيا** ﴾ معناه لهم متاع في الدنيا يتمتعون به أياماً قلائل ثم تنقضي وقوله ﴿ **ثم إلينا مرجعهم** ﴾ أي ثم إلى حكمنا مصيرهم ﴿ **ثم نذيقهم العذاب الشديد** ﴾ وهو عذاب النار ﴿ **بما كانوا يكفرون** ﴾ أي بكفرهم .

﴿ * وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾

[القراءة] قرأ يعقوب وحده وشركاؤكم بـالرفـع وهو قـراءة الحسن وابن أبي إسحاق وأبي عبد الرحمن السلمي وعيسى الثقفي وقرأ الباقون وشركاءَكم بالنصب وفي الشواذ قراءة

الأعرج وعاصم والجحدري والزهري فاجمَعوا أمركم مفتوحة الميم موصولة الهمزة من جمع .

[**الحجة**] من قرأ فاجمعوا أمركم وشركاؤكم بالرفع رفعه على العطف على الضمير في اجمعوا وساغ عطفه على الضمير من غير توكيد من أجل طول الكلام بقوله ﴿ **أمركم** ﴾ وإذا جاز في قوله سبحانه ﴿ **ما أشركنا ولا آباؤنا** ﴾ أن نكتفي من طول الكلام بلا وإن كانت بعد حرف العطف كان الاكتفاء من التوكيد بما هو أطول من لا وهو أيضاً قبل الواو كما أن التوكيد لو ظهر لكان قبلها أحرى فلو قال قائل قم وزيد كان أقبح من أن يقول قمت وزيد وذلك لأن المعطوف عليه في قم وزيد ضمير مستكن لا لفظ له فهو أضعف من ضمير المخاطب أو المتكلم في قمت لأن له لفظاً وهو التاء وقمت وزيد أضعف من قمنا وزيد لأن « نا » من قمنا أتم لفظاً من التاء في قمت وأما شركاءكم بالنصب فقد قيل فيه أنه منصوب على اضمار فعل كأنه قيل وادعوا شركاءكم قالوا وكذا هو في مصحف أبي وقيل تقديره فاجمعوا أمركم واجمعوا شركاءكم لأن اجمعوا يدل عليه وذهب المحققون إلى أنه مفعول معه وتقديره مع شركائكم كما أنشد سيبويه :

فَكُونُوا أَنْتُمُ وَبَنِي أَبِيكُمْ مَكَانَ الكُلْيَتَيْنِ مِنَ الطِّحَالِ(١)

ويقال أجمعت الأمر وجمعت الأمر وأجمعت على الأمر أي عزمت عليه قال المؤرج أجمعت الأمر أفصح من أجمعت عليه قال أبو الهيثم أجمع أمره إذا جعله جمعاً بعدما كان متفرقاً قال « هَلْ أَغدُوَنْ يَوْماً وَأَمْرِي مُجْمَعُ »(٢) .

[**اللغة**] الغمة ضيق الأمر الذي يوجب الحزن والغمة والكربة والضغطة والشدة نظائر ونقيضه الفرجة وقيل غمة مغطى تغطية خبره مأخوذ من غمّ الهلال إذا حال دون رؤيته غيم .

[**المعنى**] ثم أمر الله سبحانه نبيَّه ﷺ أن يقرأ عليهم أخبار نوح فقال ﴿ **واتل عليهم نبأ نوح** ﴾ أي خبره ﴿ **إذ قال لقومه** ﴾ الذين بعث إليهم ﴿ **يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي** ﴾ أي شقَّ وعظم عليكم إقامتي بين أظهركم ﴿ **وتذكيري** ﴾ أي وعظي وتنبيهي إياكم ﴿ **بآيات الله** ﴾ أي بحججه وبيناته على صحة التوحيدوالعدلوالنبوة والمعاد وبطلان ما تدينون به وفي الكلام حذف هو قوله وعزمتم على قتلي وطردي من بين أظهركم ﴿ **فعلى الله توكلت** ﴾ جعله

---

(١) والشاهد في قوله « وبنى » فإنه منصوب على أنه مفعول معه والواو بمعنى مع .

(٢) وقبله « يا ليت شعري والمنى لا تنفع » .

جواب الشرط مع أنه متوكل عليه في جميع أحواله ليبيّن لهم أنه متوكل في هذا التفصيل لما في اعلامه ذلك من زجرهم عنه لأن الله تعالى يكفيه أمرهم ومعناه فإلى الله فوَّضت أمري وبه وثقت أن يكفيني أمركم ﴿ **فأجمعوا أمركم وشركاءكم** ﴾ معناه فأعزموا على أمركم مع شركائكم واتفقوا على أمر واحد من قتلي وطردي ولا تضطربوا فيه فتختلف أحوالكم فيما تلقونني به وهذا تهديد في صورة الأمر وقيل معناه اعزموا على أمركم وادعوا شركاءكم فبيَّن (ع) أنه لا يرتدع عن دعائهم وعيب آلهتهم مستعيناً بالله عليهم واثقاً بأنه سبحانه يعصمه منهم وقيل أراد بالشركاء الأوثان التي كانوا يعبدونها من دون الله وقيل أراد من شاركهم في دينهم ﴿ **ثم لا يكن أمركم عليكم غمة** ﴾ أي لا يكن أمركم عليكم غمّاً وحزناً بأن تردّدوا فيه وقيل معناه ليكن أمركم ظاهراً مكشوفاً ولا يكوننَّ مغطى مبهماً مستوراً من غممت الشيء إذا سترته وقيل معناه لا تأتوه من غير أن تتشاوروا ومن غير أن يجتمع رأيكم عليه لأن من حاول أمراً من غير أن يعلم كيف يتأتى ذلك كان أمره غمة عليه ﴿ **ثم اقضوا إليَّ ولا تنظرون** ﴾ أي انهضوا إليَّ فاقتلوني إن وجدتم إليه سبيلاً ولا تؤخروني ولا تمهلوني عن ابن عباس وقيل معنى اقضوا إليَّ افعلوا ما تريدون وادخلوا إليَّ لأنه بمعنى أفرغوا من جميع حيلكم كما يقال خرجت إليك من العهدة وقيل معناه توجهوا إليّ وروي عن بعضهم أنه قرأ ثم أفضوا إليّ أي أسرعوا إليّ من الفضاء لأنه إذا صار إلى الفضاء تمكن من الإسراع وهذا كان من معجزات نوح (ع) لأنه كان وحيداً مع نفر يسير وقد أخبر بأنهم لا يقدرون على قتله وعلى أن ينزلوا به سوءاً لأن الله تعالى ناصره وحافظه عنهم ﴿ **فإن توليتم** ﴾ أي ذهبتم عن الحق واتباعه ولم تقبلوه ولم تنظروا فيه ﴿ **فما سألتكم من أجر** ﴾ أي لا أطلب منكم أجراً على ما أؤدّيه إليكم من الله فيثقل ذلك عليكم وقيل معناه إن أعرضتم عن قبول قولي لم يضرّني لأني لم أطلع فيما لكم فيفوتني ذلك بتوليكم عني وإنما يعود الضرر عليكم ﴿ **ان أجري إلا على الله** ﴾ أي ما أجري إلا على الله في القيام بأداء الرسالة ﴿ **وأمرت أن أكون من المسلمين** ﴾ أي أمرني الله بأن أكون من المستسلمين لأمر الله بطاعته ثقة بأنها خير ما يكتسبه العباد ﴿ **فكذبوه** ﴾ يعني أنهم كذّبوا نوحاً أي نسبوه إلى الكذب فيما يذكره من أنه نبي الله وإن الله بعثه إليهم ليدعوهم إلى طاعته ﴿ **فنجيناه ومن معه في الفلك** ﴾ أي في السفينة ﴿ **وجعلناهم خلائف** ﴾ أي جعلنا الذين نجوا مع نوح خلفاء لمن هلك بالغرق وقيل أنهم كانوا ثمانين نفساً وقال البلخي يجوز أن يكون أراد جعلناهم رؤساء في الأرض ﴿ **وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا** ﴾ أي أهلكنا باقي أهل الأرض أجمع لتكذيبهم لنوح (ع) ﴿ **فانظر** ﴾ أيها السامع ﴿ **كيف كان عاقبة المنذرين** ﴾ أي المخوفين بالله وعذابه أي كيف أهلكهم الله .

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ
عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ
إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا
مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ
مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا
يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا
وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

[**القراءة**] روى حماد ويحيى عن أبي بكر وزيد عن يعقوب ويكون لكما الكبرياء بالياء والباقون بالتاء .

[**الحجة**] الوجه في الياء أن تأنيث الكبرياء غير حقيقي وقد فصَّل أيضاً بينه وبين الفعل ومن قرأ بالتاء فلأن لفظه لفظ التأنيث .

[**اللغة**] الإجرام اكتساب السيئة وأصله القطع واللفت الصرف عن الأمر يقال لَفَته يلفِته لَفْتاً وامرأة لفوت ذات زوج لها ولد من غيره لأنها تلفت إلى ولدها عنقها .

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه قصة من بعثه بعد نوح فقال ﴿ **ثم بعثنا من بعده** ﴾ أي من بعد نوح وإهلاك قومه ﴿ **رسلاً** ﴾ يريد إبراهيم وهوداً وصالحاً ولوطاً وشعيباً ﴿ **إلى قومهم** ﴾ الذين كانوا فيهم بعد أن تناسلوا وكثروا ﴿ **فجاؤهم بالبينات** ﴾ أي فأتوهم بالبراهين والمعجزات الدالة على صدقهم الشاهدة بنبوتهم ﴿ **فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل** ﴾ أي لم يكونوا ليصدّقوا يعني أولئك الأقوام الذين بعث إليهم الرسل بما كذبت به أوائلهم الذين هم قوم نوح أي كانوا مثلهم في الكفر والعتو وقيل معناه لم يكن منهم من يؤمن من بعد هذه الآيات بما كذَّبوا به من قبلها بل كانت الحالتان سواء عندهم قبل البينات وبعدها عن

أبي مسلم والبلخي ﴿ **كذلك نطبع على قلوب المعتدين** ﴾ أي نجعل على قلوب الظالمين لنفوسهم الذين تعدّوا حدود الله سمة وعلامة على كفرهم يلزمهم الذمَّ بها ويعرفهم بها الملائكة كما فعلنا ذلك بقلوب هؤلاء الكفار وقد مرَّ معاني الطبع والختم فيما تقدَّم ﴿ **ثم بعثنا من بعدهم** ﴾ أي من بعد الرسل أو من بعد الأمم ﴿ **موسى وهارون** ﴾ (ع) نبيَّيْن مرسلين إلى فرعون وملائه أي ورؤساء قومه ﴿ **بآياتنا** ﴾ أي بأدلتنا ومعجزاتنا ﴿**فاستكبروا**﴾ عن الانقياد لها والإيمان بها ﴿ **وكانوا قوماً مجرمين** ﴾ عاصين لربهم مستحقين للعقاب الدائم ﴿ **فلما جاءهم** ﴾ أي جاء قوم فرعون ﴿ **الحق من عندنا** ﴾ يعني ما أتى به موسى من المعجزات والبراهين ﴿ **قالوا إن هذا لسحر مبين** ﴾ أي ظاهر ﴿ **قال موسى** ﴾ لهم ﴿ **أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا** ﴾ أي أتقولون لمعجزاته سحر والسحر باطل والمعجز حق وهما متضادان ﴿ **ولا يفلح الساحرون** ﴾ أي لا يظفرون بحجة ولا يأتون على ما يدعونه ببينة وإنما هو تمويه على الضعفة ﴿ **قالوا** ﴾ يعني قال فرعون وقومه لموسى ﴿ **أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا** ﴾ أي لتصرفنا عن ذلك ﴿ **وتكون لكما الكبرياء** ﴾ أي الملك عن مجاهد وقيل العظمة والسلطان والأصل أن الكبرياء استحقاق صفة الكبر في أعلى المراتب ﴿ **في الأرض** ﴾ أي في أرض مصر وقيل أراد اسم الجنس والمراد به الانكار وإن كان اللفظ لفظ الاستفهام تعلَّقوا بالشبهة في أنهم على رأي آبائهم وإن من دعاهم إلى خلافه فظاهر أمره أنه يريد التأمر عليهم فلم يطيعوه ﴿ **وما نحن لكما بمؤمنين** ﴾ أي بمصدقين فيما تدَّعيانه من النبوة .

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة غير عاصم بكل سحّار بالتشديد والباقون ساحر على وزن فاعل وقرأ أبو جعفر وأبو عمرو السحر بقطع الألف ومدها على الاستفهام والباقون السحر موصولة على الخبر .

[**الحجة**] قد بيّنا الوجه في سحّار وساحر في سورة الاعراف وأما قوله ﴿ **السحر** ﴾ فإن ما في قوله ﴿ **ما جئتم به** ﴾ في موضع رفع بالابتداء وجئتم في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ والكلام استفهام والسحر بدل من ما المبتدأ ولزم أن يلحق السحر الاستفهام ليساوي المبدل منه في أنه استفهام ألا ترى أنه ليس في قولك السحر استفهام وعلى هذا قالو كم مالك أعشرون أم ثلاثون فجعلت العشرون والثلاثون بدلاً من كم وألحقت أم لأنك في قولك كما درهماً مالك مُدَّعٍ أن له مالاً كما أنك في قولك أعشرون أم ثلاثون مالك مُدَّعٍ أحد الشيئين ولا يلزم أن تضمر للسحر خبراً على هذا لأنك إذا أبدلت من المبتدأ صار في موضعه وصار ما كان خبراً لما أبدلت منه في موضع خبر البدل ومن قرأ ما جئتم به السحر كان ما في قوله موصولاً وجئتم به الصلة والهاء المجرورة عائدة على الموصول وخبر المبتدأ الذي هو الموصول السحر ومما يقوّي هذا الوجه ما زعموا أنه في حرف عبد الله ما جئتم به سحر فعلى هذا يكون تقديره الذي جئتم به السحر وعلى الوجه الأول وهو أن يكون ما استفهاماً فتقديره أيُّ شيء جئتم السحر وأما وجه الاستفهام مع علم موسى أنه سحر فإنه مثل قوله ﴿ **أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلَهين من دون الله** ﴾ في أنه للتقرير .

[**المعنى**] ﴿ **وقال فرعون** ﴾ حكى الله سبحانه عن فرعون أنه حين أعجزه المعجزات التي ظهرت لموسى (ع) ولم يكن له في دفعها حيلة قال لقومه ﴿ **ائتوني بكل ساحر عليم** ﴾ بالسحر بليغ في عمله وإنما طلب فرعون كل ساحر ليتعاونوا على دفع ما أتى به موسى وحتى لا يفوته شيء من السحر بتأخر بعضهم وإنما فعل ذلك للجهل بأن ما أتى به موسى من عند الله وليس بسحر وبعد ذلك علم أنه ليس بسحر فعائد كما قال سبحانه ﴿ **لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا ربُّ السماوات والأرض بصائر** ﴾ وقيل أنه علم أنه ليس بسحر ولكنه ظنَّ أن السحر يقاربه مقاربة تشبيه ﴿ **فلما جاء السحرة** ﴾ الذين طلبهم فرعون وأمر بإحضارهم وموسى حاضر ﴿ **قال لهم موسى القوا ما أنتم ملقون** ﴾ وفي الكلام حذف يدلُّ عليه الظاهر وتقديره فلما أتوه بالسحرة وبالحبال والعصي قال لهم موسى ﴿ **ألقوا ما أنتم ملقون** ﴾ أي اطرحوا ما جئتم به وقيل معناه افعلوا ما أنتم فاعلون وهذا ليس بأمر بالسحر ولكنه قال ذلك على وجه التحدي والإلزام أي من كان عنده ما يقاوم المعجزات فليلقه وقيل أنه أمر على الحقيقة بالإلقاء ليظهر بطلانه وإنما لم يقتصر على قوله ﴿ **القوا** ﴾ لأنه أراد ألقوا جميع ما أنتم ملقون في المستأنف فلو اقتصر على ألقوا ما أفاد هذا المعنى والإلقاء إخراج الشيء عن اليد إلى جهة الأرض ويشبَّه بذلك قولهم القي عليه مسألة وألقى عليه رداه ﴿ **فلما ألقوا** ﴾ أي

فلما ألقت السحرة سحرهم ﴿ قال موسى ﴾ لهم ﴿ ما جئتم به السحر ﴾ أي الذي جئتم به من الحبال والعصي السحر أدخل عليه الألف واللام للعهد لأنهم لما قالوا لما أتى به موسى أنه سحر قال (ع) ما جئتم به هو السحر عن الفراء ﴿ ان الله سيبطله ﴾ أي سيبطل هذا السحر الذي فعلتموه ﴿ إن الله لا يصلح عمل المفسدين ﴾ معناه إن الله لا يهيىء عمل من قصد إفساد الدين ولا يمضيه ويبطله حتى يظهر الحق من الباطل والمحقَّ من المبطل ﴿ ويحقُّ الله الحقَّ ﴾ أي يظهر الله الحق ويحقّقه ويثبته وينصر أهله ﴿ بكلماته ﴾ قيل في معناه أقوال (أحدها) أن معناه بوعد موسى (ع) وكان وعده النصر فأنجز وعده عن الحسن (وثانيها) أن معناه بكلامه الذي يتبين به معاني الآيات التي أتاها نبيّه عن الجبائي (وثالثها) بما سبق من حكمه في اللوح المحفوظ بأنَّ ذلك سيكون ﴿ ولو كره المجرمون ﴾ ظهور الحق وابطال الباطل وفي هذه الآية دلالة على أنه تعالى ينصر المحقين كلهم في حقهم وذلك على وجهين (أحدهما) بالحجة فهذه النصرة مستمرة على كل حال (والثاني) بالغلبة والقهر وهذا يختلف بحسب المصلحة لأن المصلحة قد تكون بالتخلية تارة وبالحيلولة أخرى .

﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾

[اللغة] الذرية الجماعة من نسل القبيلة وقد تقدم القول في أصلها ووزنها والفتنة أصلها البلية وهي معاملة تظهر الأمور الباطنة يقال فتنت الذهب إذا أحرقته بالنار ليظهر الخلاص وقوله ﴿ يوم هم على النار يفتنون ﴾ أي يحرقون لما فيه من إظهار حالهم في

الضلال وقوله ﴿ **والفتنة أشد من القتل** ﴾ معناه التعذيب للردِّ عن الـدين لما فيـه من إظهار النصرة أشد .

[**الإعراب**] يا قوم حذفت منه ياء الإضافة اجتزاء بالكسرة منها وهو في النداء أحسن من إثباتها لقوة النداء على التغيير والفاء في قوله ﴿ **فقالوا** ﴾ فاء العطف وجواب الأمر كما تقول قال السائل كذا فقال المجيب كذا وإنما جازت الفاء في الجـواب ولم تجز الـواو لأن الفاء تترتب من غير مهلة فهي موافقة لمعنى وجوب الثاني بالأول وليس كذلك الواو .

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه من آمن من قوم موسى (ع) فقال ﴿ **فما آمن لموسى** ﴾ أي لم يصدّق موسى في ما ادّعى من النبوة مع ما أظهره من المعجزات الظاهرة ﴿ **إلا ذرية من قومه** ﴾ أي أولاد من قوم فرعون وقيل أراد من قوم موسى (ع) وهم بنو إسرائيل الذين كانوا بمصر واختلف من قال بالأول فقيل أنهم قـوم كانت أمهـاتهم من بني إسرائيـل وآباؤهم من القبط فاتبعوا أمهاتهم وأخوالهم عن ابن عباس وقيل أنهم أناس يسير من قـوم فرعـون منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وجارية وامرأة هي مشاطة امرأة فرعون عن عطية عن ابن عباس وقيل أنهم بعض أولاد القبط لم يستجب آباؤهم مـوسى واختلف من قال بـالثاني فقيـل هم جماعة من بني إسرائيل أخذهم فرعون لتعلم السحر وجعلهم من أصحابه فآمنوا بموسى عن الجبائي وقيل أراد مؤمني بني إسرائيل وكانوا ستمائة ألف وكان يعقوب دخل مصر منهم باثنين وسبعين إنساناً فتوالدوا حتى بلغوا ستمائة ألف وإنما سمّاهم ذرية على وجه التصغير لضعفهم عن ابن عباس في رواية أخرى وقال مجاهد أراد بهم أولاد الذين أرسل إليهم موسى من بني إسرائيل لطول الزمان هلك الآباء وبقي الأبناء ﴿ **على خوف من فرعون** ﴾ يعني آمنـوا وهم خائفون من معرة فرعون ﴿ **وملئهم** ﴾ ومن أشرافهم ورؤساتهم قال الزجاج وإنما جاز أن يقال وملئهم لأن فرعون ذو أصحاب يأتمرون له وقيل أن الضمير في ملئهم راجع إلى الذرية لأن آباءهم كانوا من القبط وكانوا يخافون قومهم من القبط أن يصـرفوهم عن دينهم ويعـذّبوهم ﴿ **ان يفتنهم** ﴾ أي يصـرفهم عن الدين يعني أن يمتحنهم لمحنـة لا يمكنهم الصبر عليهـا فينصرفون عن الدين وكان جنود فرعون يعذّبون بني إسرائيل فكان خوفهم منه ومنهم ﴿ **وإن فـرعون لعـال في الأرض** ﴾ أي مستكبر بـاغ طاغ في أرض مصـر ونـواحيهـا ﴿ **وانـه لمن المسرفين** ﴾ أي من المجاوزين الحـد في العصيان لأنـه ادَّعى الربـوبية وأسـرف في القتل والظلم والإسراف التجاوز عن الحد في كل شيء ﴿ **وقال موسى** ﴾ لقومه الذين آمنوا به ﴿ **يا قـوم إن كنتم آمنتم بالله** ﴾ كمـا تظهـرون ﴿ **فعليه تـوكلوا إن كنتم مسلمين** ﴾ أي فاسنـدوا

أموركم إليه إن كنتم مسلمين على الحقيقة وإنما أعاد قوله ﴿ **إن كنتم مسلمين** ﴾ بعد قوله ﴿ **إن كنتم آمنتم بالله** ﴾ ليتبين المعنى باجتماع الصفتين التصديق والانقياد أي إن كنتم آمنتم بالله فاستسلموا لأمره وفائدة الآية بيان وجوب التوكل على الله عند نزول الشدة والتسليم لأمره ثقة بحسن تدبيره وانقطاعاً إليه ﴿ **فقالوا على الله توكلنا** ﴾ أخبر سبحانه عن حسن طاعتهم له وأنهم قالوا أسندنا أمورنا إلى الله واثقين ﴿ **ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين** ﴾ أي لا تمكن الظالمين من ظلمنا بما يحملنا على إظهار الانصراف عن ديننا عن مجاهد وقيل معناه ربنا لا تظهر علينا فرعون وقومه فيفتتن بنا الكفار ويقولوا لو كانوا على الحق لما ظفرنا عليهم عن الحسن وأبي مجاز وروى زرارة ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام أنَّ معناه لا تسلّطهم علينا فتفتنهم بنا ﴿ **ونجّنا** ﴾ وخلِّصنا ﴿ **برحمتك من القوم الكافرين** ﴾ أي من قوم فرعون واستعبادهم إيانا وأخذهم جماعتنا بالأعمال الشاقة والمهن الخسيسة .

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر ولا تتبعان خفيفة النون والباقون بالتشديد .

[**الحجة**] من قرأ بالنون الشديدة كسرها لوقوعها بعد ألف التثنية فأشبهت نون الاثنين في رجلان ولم يعتد بالنون الساكنة قبلها لسكونها وخفتها فصارت المكسورة كأنها وليت الألف ومن قرأ بالتخفيف فإنه يمكن أن يكون خفف الثقيلة للتضعيف كما خففوا رب وإن

ونحوهما إلا أنه حذف الأولى من المثلين كما أبدلوا الأولى من المثلين في نحو قيراط ودينار ولزم ذلك في هذا الموضع لأن الحذف لو لحق الثانية للزم التقاء الساكنين والتقاء الساكنين على هذا الحدّ غير مأخوذ به عند العامة وإن شئت كان على لفظ الخبر والمعنى الأمر كقوله **يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ ﴿ ولا تضار والدة بولدها ﴾** أي لا ينبغي ذلك وإن شئت جعلته حالاً من استقيما والتقدير استقيما غير متبعين ويدل على ذلك قول الشاعر :

فَـلا أَسْقـي وَلا يَـسْـقـى شَـريـبـي ... وَيَـرْويـهِ إِذا أَوْرَدْتُ مـائِـي[١]

وكقول الفرزدق :

بِـأَيْـدِي رِجـالٍ لَمْ يَشيمُـوا سُيُـوفَهُـمْ ... وَلَـمْ تَكْـثُـرِ الْقَـتْلىٰ بِـهـا حينَ سُلَّتِ[٢]

[**اللغة**] تبوءا أي اتخذا يقال تبوأ لنفسه بيتاً أي اتخذه وبوأت له بيتاً أي اتخذته له ويقال أن تبوء وبوء بمعنى أي اتخذ بيتاً مثل بدّل وتبدَّل وخلَّص وتخلَّص قال أبو علي تبوء فعل يتعدى إلى مفعولين واللام في قوله ﴿ **لقومكما** ﴾ كالتي في قوله ﴿ **ردف لكم** ﴾ ويقوّي ذلك قوله ﴿ **وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت** ﴾ فدخلت اللام على غير المطاوع كما دخلت على المطاوع في قوله ﴿ **تبوّءا لقومكما** ﴾ والطمس محو الاثر يقال طمست عينه أطمسها طمساً وطموساً وطمست الريح آثار الديار والطمس تغير إلى الدثور والدروس قال كعب بن زهير :

مِنْ كُـلِّ نَضّـاخَـةِ الـذِّفْـرىٰ إذا عَـرِقَتْ ... عُـرْضَتُها طـامِسُ الأعْـلامِ مَجْهُـولُ[٣]

[**الإعراب**] مِصر غير منصرف لأنه مؤنث معرفة ولو صرفت لخفتها كما تصرف هند لكان جائزاً وترك الصرف أقيس وقوله ﴿ **بيوتاً** ﴾ مفعول به وليس بظرف مكان لاختصاصه والبيوت هنا كالغرف في قوله تعالى ﴿ **لنبوءنهم من الجنة غرفاً فلا يؤمنوا** ﴾ يحتمل وجهين من الاعراب النصب والجزم فأما النصب ففيه وجهان (أحدهما) أن يكون على جواب صيغة الأمر بالفاء (والآخر) أن يكون عطفاً على ليضلّوا أي ليضلّوا فلا يؤمنوا وهذا قول المبرد

---

(١) والشاهد في قوله « ويرويه » حيث أنه وقع حالاً مع استغناء الحال عن الواو إذا كان فعلاً مضارعاً .

(٢) شام السيف شيماً : أغمده والشاهد في قوله ولم تكثر القتلى ووقوعه حالاً أي لم يغمدوها والقتلى بها لم تكثر، وإنما يغمدونها بعد أن تكثر القتلى بها .

(٣) النضخ : شدة فور الماء والعرق. والذفرى: خلف الأذن، أراد أن ذفرى الناقة كثير النضخ بالعرق. والعرضة : المسافة التي تعرضت الناقة لقطعها. وطامس الاعلام أي ليس فيها علامة يهتدى بها .

وعلى هذا فيكون قوله ﴿ **ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم** ﴾ اعتراضاً وأما الجزم فيكون على وجه الدعاء عليهم وتقديره فلا آمنوا ومثله قول الأعشى :

فَلا يَنْبَسِطْ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ مَا انْزَوَى ... ولا تَلقَنِي إلَّا وَأَنْفُكَ راغِمُ

[المعنى] ﴿ **وأوحينا إلى موسى وأخيه** ﴾ أي أمرناهما ﴿ **أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً** ﴾ أي اتخذا لمن آمن بكما بمصر يعني البلدة المعروفة بيوتاً تسكنونها وتأوون إليها ﴿ **واجعلوا بيوتكم قبلة** ﴾ اختلف في ذلك فقيل لما دخل موسى مصر بعد ما أهلك الله فرعون أمروا باتخاذ مساجد يذكر فيها اسم الله تعالى وأن يجعلوا مساجدهم نحو القبلة أي الكعبة وكانت قبلتهم إلى الكعبة عن الحسن ونظيره في بيوت اذن الله أن ترفع الآية وقيل أن فرعون أمر بتخريب مساجد بني إسرائيل ومنعهم من الصلاة فأمروا أن يتخذوا مساجد في بيوتهم يصلون فيها خوفاً من فرعون وذلك قوله ﴿ **واجعلوا بيوتكم قبلة** ﴾ أي صلّوا في بيوتكم لتأمنوا من الخوف عن ابن عباس ومجاهد والسدي وغيرهم وقيل معناه اجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضاً عن سعيد بن جبير ﴿ **وأقيموا الصلاة** ﴾ أي أديموها وواظبوا على فعلها ﴿ **وبشّر المؤمنين** ﴾ بالجنة وما وعد الله تعالى من الثواب وأنواع النعيم والخطاب لموسى (ع) عن أبي مسلم وقيل الخطاب لمحمد ﷺ ﴿ **وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه** ﴾ أي أعطيت فرعون وقومه ﴿ **زينة** ﴾ يتزيّنون بها من الحلي والثياب وقيل الزينة الجمال وصحة البدن وطول القامة وحسن الصورة ﴿ **وأموالاً** ﴾ يتعظمون بها ﴿ **في الحياة الدنيا** ﴾ وإنما أعطاهم الله تعالى ذلك للإنعام عليهم مع تعريه من وجود الاستفساد ﴿ **ربنا ليضلّوا عن سبيلك** ﴾ اللام للعاقبة والمعنى وعاقبة أمرهم أنهم يضلون عن سبيلك ولا يجوز أن يكون لام الغرض لأنا قد علمنا بالأدلة الواضحة أن الله سبحانه لا يبعث الرسول ليأمر الخلق بالضلال ولا يريد أيضاً منهم الضلال وكذلك لا يؤتيهم المال ليضلوا وقيل معناه لئلا يضلوا عن سبيلك فحذفت لا كقوله شهدنا أن تقولوا يوم القيامة أي لئلا تقولوا وحذف ذلك لدلالة العقل عليه وقيل أنه لام الدعاء والمعنى ابتلهم بالبقاء على ما هم عليه من الضلال وإنما قال ذلك لعلمه بأنهم لا يؤمنون من طريق الوحي وفائدته اظهار التبرؤ منهم كما يلعن إبليس ويدل عليه أنه أعاد قوله ﴿ **ربنا أطمس على أموالهم** ﴾ فدلَّ ذلك على أنه أراد به الدعاء عليهم والمراد بالطمس على الأموال تغييرها عن جهتها إلى جهة لا ينتفع بها قال مجاهد وقتادة وعامة أهل التفسير صارت جميع أموالهم حجارة حتى السكر والفانيذ[1]

---

(١) الفانيذ : ضرب من الحلواء، فارسي معرب .

﴿ **واشدد على قلوبهم** ﴾ معناه ثبتهم على المقام ببلدهم بعد إهلاك أموالهم فيكون ذلك أشدّ عليهم وقيل معناه أمتهم بعد سلب أموالهم وأهلكهم وقيل أنه عبارة عن الخذلان والطبع ﴿ **فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم** ﴾ قد ذكرنا وجوهه وقيل معناه أنهم لا يؤمنون إيمان الجاء حتى يروا العذاب وهم مع ذلك لا يؤمنون إيمان اختيار أصلاً ثم أخبر سبحانه أنه أجاب لهما الدعوة فقال ﴿ **قال** ﴾ أي قال الله تعالى لموسى وهارون ﴿ **قد أجيبت دعوتكما** ﴾ والداعي كان موسى (ع) لأنه كان يدعو وكان هارون يؤمّن على دعائه فسمَّاهما داعيين عن عكرمة والربيع وأبي العالية وأكثر المفسرين ولأن معنى التأمين اللهم استجب هذا الدعاء ﴿ **فاستقيما** ﴾ أي فأثبتا على ما أمرتما من دعاء الناس إلى الإيمان بالله تعالى والإنذار والوعظ قال ابن جريج مكث فرعون بعد هذا الدعاء أربعين سنة وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع) ﴿ **ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون** ﴾ نهاهما سبحانه عن أن يتبعا طريقة من لا يؤمن بالله ولا يعرفه ولا يعرف أنبياءه عليهم السلام .

﴿ * وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ
ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ
ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ
وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة غير عاصم آمنت إنه بكسر الألف والباقون أنّه بالفتح وروي عن أبي جعفر ونافع الان بإلقاء حركة الهمزة على اللام وحذف الهمزة وقرأ ننجيك خفيفة قتيبة ويعقوب وسهل والباقون ننجيك بالتشديد وفي الشواذ قراءة أبي بن كعب ومحمد بن السميقع ننحيك بالحاء .

[**الحجة**] قال أبو علي من قرأ آمنت أنه بالفتح فلأن هذا الفعل يصل بحرف الجر في

نحو يؤمنون بالغيب فلما حذف حرف الجر وصل الفعل إلى أن فصار في موضع نصب أو جر على الخلاف في ذلك ومن قرأ آمنت إنّه بالكسر حمله على القول المضمر كأنه قال آمنت وقلت أنه واضمار القول في هذا النحو كثير وقال علي بن عيسى من كسر إنه جعله بدلاً من آمنت ومن فتح جعله معمول آمنت وأما الآن فإن لام المعرفة إذا دخلت على كلمة أولها الهمزة فخففت الهمزة كان في تخفيفها وجهان (أحدهما) أن يلقي حركتها على اللام وتقر همزة الوصل فيقال الحَمَر[1] وقد حكى ذلك سيبويه وحكى أبو الحسن أن أناساً يقولون لحَمْرَ فيحذفون الهمزة التي للوصل قال :

فَقَدْ كُنْتَ تُخْفِي حُبَّ سَمْرَاءَ حِقْبَةً فَبُحْ لانَ مِنْهَا بِالَّذي أَنْتَ بائحُ[2]

فأسكن الحاء لما كانت اللام متحركة ولو لم يعتد بالحركة كما لم يعتد بها في الوجه الأول لحرك الحاء بالكسر كما يحرك في بح اليوم وننجيك وننجيك في معنى واحد أي نلقيك على نجوة من الأرض قال أوس بن حجر :

فَمَنْ بِنَجْوَتِهِ كَمَنْ بِعَقْوَتِه وَالمُسْتَكِنُ كَمَنْ يَمْشِي بِقِرْواحِ

والقرواح حيث لا ماء ولا شجر ومن قرأ ننحيك بالحاء فإنه نفعلك من الناحية أي نجعلك في ناحية ومنه نحيت الشيء فتنحى أي باعدته فتباعد فصار في ناحية قال الحطيئة :

تَنَحّي فَاجْلِسي مِنّي بَعيداً أَراحَ اللهُ مِنْكِ الْعالَمينا

[**اللغة**] المجاوزة الخروج عن الحد من إحدى الجهات الأربع والاتباع طلب اللحاق بالأول اتبعه اتباعاً وتبعه بمعنى وحكى أبو عبيدة عن الكسائي أنه قال إذا أريد أنه اتبعهم خيراً أو شرّاً قالوا بقطع الهمزة وإذا أريد به أنه اقتدى بهم واتبع أثرهم قالوا بتشديد التاء ووصل الهمزة والبغي طلب الاستعلاء بغير حق والعدو والعدوان الظلم والنجوة الأرض التي لا يعلوها السيل وأصلها من الأرتفاع .

[**الإعراب**] بغيا وعدوا مفعول له وقيل أنهما مصدران في موضع الحال أي في حال البغي والعدوان الآن فصل بين الزمان الماضي والمستقبل مع أنه إشارة إلى الحاضر ولهذا

---

(١) يعني في الأحمر .

(٢) قائله عنترة. الحقبة في الأصل يطلق على مدة معينة من الزمن والمراد منه هنا مجرد الزمن الطويل و « لان » أصله « الآن » و « بح » أمر من باح يبوح .

بني كما بني ذا وعرف الآن بالألف واللام وأمس يتضمن حرف التعريف لأن ما مضى بمنزلة المضمر في المعنى في أنه ليس له صورة والحاضر في معنى المصرح في صحة الصورة والعامل في قوله الآن محذوف وتقديره الآن آمنت .

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه مآل آل فرعون وقومه فقال ﴿ **وجاوزنا ببني إسرائيل البحر** ﴾ أي عبرنا بهم البحر حتى جاوزوه سالمين بأن يبسنا لهم البحر وفرقنا لهم الماء اثني عشر فرقاً ﴿ **فاتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدوا** ﴾ أي ليبغوا عليهم ويظلموهم وذلك أن الله سبحانه لما أجاب دعاء موسى أمره بإخراج بني إسرائيل من مصر ليلاً فخرج وتبعهم فرعون وجنوده مشرقين حتى انتهوا إلى البحر وأمر الله سبحانه موسى (ع) فضرب البحر بعصاه فانفلق اثني عشر فرقاً وصار لكل سبط طريق يابس فارتفع بين كل طريقين الماء كالجبل وصار في الماء شبه الخروق فجعل بعضهم ينظر إلى بعض فلما وصل فرعون بجنوده إلى البحر رأوا البحر بتلك الهيئة فهابوا دخول البحر وكان فرعون على حصان أدهم فجاء جبرائيل عليه السلام على فرس وديق وخاض البحر وميكائيل يسوقهم فلما شمَّ أدهم فرعون ريح فرس جبريل (ع) انسل خلفه في الماء واقتحمت الخيول خلفه فلما دخل آخرهم البحر وهمَّ أولهم أن يخرج انطبق الماء عليهم ﴿ **حتى إذا أدركه الغرق** ﴾ أي وصل إليه الغرق وأيقن بالهلاك ﴿ **قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وإنا من المسلمين** ﴾ وكان ذلك إيمان إلجاء لا يستحق به الثواب فلم ينفعه إيمانه ﴿ **الآن** ﴾ وقد عصيت قيل فيه اضمار أي قيل له الآن آمنت حين لا ينفع الإيمان ولا يقبل لأنه حال الإلجاء ﴿ **وقد عصيت** ﴾ بترك الإيمان في حال ما ينفعك الإيمان فهلا آمنت ﴿ **قبل** ﴾و ذلك ﴿ **وكنت من المفسدين** ﴾ في الأرض بقتل المؤمنين وادّعاء الإلّهية وأنواع الكفر واختلف في قائل هذا القول فقيل قاله جبريل (ع) وقيل ذلك كلام الله تعالى قاله له على وجه الإهانة والتوبيخ وكان ذلك معجزة لموسى عليه السلام وروى علي بن إبراهيم بن هاشم بإسناده عن الصادق عليه السلام قال ما أتى جبريل رسول الله ﷺ إلا كئيباً حزيناً ولم يزل كذلك منذ أهلك الله فرعون فلما أمر الله سبحانه بنزول هذه الآية نزل وهو ضاحك مستبشر فقال له حبيبي جبريل ما أتيتني إلا وبينت الحزن في وجهك حتى الساعة قال نعم يا محمد لما غرق والله فرعون قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل فأخذت حمأة فرضعتها في فيه ثم قلت له الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ثم خفت أن تلحقه الرحمة من عند الله فيعذّبني على ما فعلت فلما كان الآن وأمرني أن أؤدّي إليك ما قلته أنا لفرعون آمنت وعلمت أن ذلك

كان لله رضا ﴿ **فاليوم ننجّيك ببدنك** ﴾ اختلف في معناه فقال أكثر المفسرين معناه لما أغرق الله فرعون وقومه أنكر بعض بني إسرائيل غرق فرعون وقالوا هو أعظم شأناً من أن يغرق فأخرجه الله حتى رأوه فذلك قوله ﴿ **فاليوم ننجيك** ﴾ أي نلقيك على نجوة من الأرض وهي المكان المرتفع ببدنك أي بجسدك من غير روح وذلك أنه طفا عرياناً وقيل معناه نخلصك من البحر وأنت ميت والبدن الدرع قال ابن عباس كانت عليه درع من ذهب يعرف بها فالمعنى نرفعك فوق الماء بدرعك المشهورة ليعرفوك بها ﴿ **لتكون لمن خلفك آية** ﴾ أي لتكون نكالاً لمن خلفك فلا يقولوا مثل مقالتك عن الكلبي وقيل أنه كان يدعي أنه رب فبيَّن الله أمره وأنه عبد وفيه من الآية أنه غرق مع القوم وأخرج هو من بينهم وكان ذلك آية عن الزجاج ﴿ **وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون** ﴾ يعني أن كثيراً من الناس عن التفكر في دلالاتنا والتدبر لحججنا وبيناتنا غافلون أي ذاهبون .

﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾

[**الإعراب**] المبوء يجوز أن يكون مصدراً ويجوز أن يكون مكاناً ويكون المفعول الثاني من بوأت على هذا محذوفاً كما حذف من قوله ﴿ **وبوأكم في الأرض** ﴾ ويجوز أن ينتصب المبوء نصب المفعول به على الاتساع وان كان مصدراً فقد أجاز ذلك سيبويه في قوله أما الضرب فأنت ضارب .

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه حال بني إسرائيل بعد إهلاك فرعون فقال ﴿ **ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوء صدق** ﴾ أخبر سبحانه عن نعمه عليهم بعد أن أنجاهم وأهلك عدوَّهم يقول مكَّناهم مكاناً محموداً وهو بيت المقدس والشام وإنما قال مبوأ صدق لأن فضل ذلك المنزل على غيره من المنازل كفضل الصدق على الكذب وقيل معناه أنزلناهم في موضع خصب وأمن يصدق فيما يدل عليه من جلالة النعمة وقال الحسن يريد به مصر وذلك أن موسى عبر ببني إسرائيل البحر ثانياً ورجع إلى مصر وتبوأ مساكن آل فرعون وقال الضحاك هو الشام ومصر ﴿ **ورزقناهم من الطيبات** ﴾ أي مكَّناهم الأشياء اللذيذة وهذا يدل على سعة أرزاق

بني إسرائيل ﴿ **فما اختلفوا حتى جاءهم العلم** ﴾ معناه فما اختلفوا في تصديق محمد ﷺ يعني اليهود كانوا مقرّين به قبل مبعثه حتى جاءهم العلم وهو القرآن الذي جاء به محمد ﷺ عن ابن عباس وقال الفراء العلم محمد ﷺ لأنه كان معلوماً عندهم بنعته فلما جاءهم اختلفوا في تصديقه فكفر به أكثرهم وقيل أن معناه فما اختلف بنو إسرائيل إلا من بعد ما جاءهم العلم بالحق على يد موسى وهارون فإنهم كانوا مطبقين على الكفر قبل مجيء موسى فلما جاءهم آمن به بعضهم وثبت على الكفر بعضهم فصاروا مختلفين ﴿ **إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون** ﴾ هذا اخبار منه تعالى بأنه الذي يتولى الحكم بينهم يوم القيامة في الأمور التي يختلفون فيها فإن مع بقاء التكليف لا يرتفع الخلاف .

﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

[**القراءة**] قد تقدم اختلاف القراء في كلمة وكلمات والوجه في ذلك .

[**اللغة**] الامتراء طلب الشك مع ظهور الدليل وهو من مري الضرع وهو مسحة ليدر فلا معنى لمسحه بعد دروره بالحليب .

[**الاعراب**] النون في قوله فلا تكونن نون التأكيد وهي لا تدخل في غير الواجب لأنك لا تقول انت تكونن ودخلت في القسم على هذا الوجه لأنه يطلب بالقسم التصديق وإنما بنى الفعل مع نون التأكيد لأنها ركبت مع الفعل على تقدير كلمتين كل واحدة مركبة مع الأخرى مع ان الأولى ساكنة واقتضت حركة بناء لالتقاء الساكنين ، ولو جاءتهم كل آية قال الاخفش انّث كل لأنها مضافة إلى مؤنث ولفظة كل للمذكر والمؤنث سواء والرؤية في الآية رؤية العين

لأنها تعدت إلى مفعول واحد والعذاب وان كان اليماً وهو لا يصح ان يرى فإنه تُرى اسبابه فهو بمنزلة ما يرى .

[المعنى] ثم بيَّن سبحانه صحة نبوة محمد ﷺ فقال **﴿فإن كنت في شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك﴾** اختلف المفسرون في معناه على اقوال اولها قال الزجاج ان هذه الآية قد كثر سؤال الناس عنها وخوضهم فيها وفي السورة ما يدل على بيانها فإن الله سبحانه يخاطب النبي ﷺ وذلك الخطاب شامل للخلق فالمعنى فإن كنتم في شك فاسألوا والدليل عليه قوله في آخر السورة يا أيها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم الآية فاعلم الله سبحانه ان نبيه عليه السلام ليس في شك ومثل هذا قوله **﴿يا إيها النبي إذا طلقتم النساء فقال طلقتم﴾** والخطاب للنبي ﷺ وحده وهذا مذهب الحسن وابن عباس واكثر اهل التأويل وروي عن الحسن وقتادة وسعيد بن جبير انهم قالوا ان النبي ﷺ لم يشك ولم يسأل وهو المروي أيضاً عن أبي عبد الله (ع) (وثانيها) ان الخطاب لرسول الله ﷺ وان لم يشك وعلم الله سبحانه انه غير شاك ولكن الكلام خرج مخرج التقرير والافهام كما يقول القائل لعبده ان كنت عبدي فأطعني ولأبيه ان كنت والدي فتعطف عليَّ ولولده ان كنت ابني فبرّني يريد بذلك المبالغة وربما خرجوا في المبالغة ما يستحيل كقولهم بكت السماء لموت فلان اي لو كان تبكي سماء على ميت لبكت عليه وكذلك ههنا يكون المعنى لو كنت ممن يشك فشككت**﴿فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك﴾** عن الفراء وغيره (وثالثها) أن المعنى فإن كنت أيها المخاطب أو أيها السامع في شك مما انزلنا اليك على لسان نبينا محمد ﷺ فيكون الخطاب لغيره (ورابعها) ما ذكره الزجاج انه يجوز أن يكون في معنى ما فيكون المعنى ما كنت في شك مما انزلنا اليك **﴿فاسأل الذين يقرؤن الكتاب﴾** أي لسنا نريد بأمرك أن تسأل لأنك شاك ولكن لتزداد إيماناً كما قال إبراهيم (ع) حين قال له او لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فالزيادة في التعريف ليست مما يبطل صحة العقيدة وإنما امر سبحانه بسؤال اهل الكتاب مع جحد اكثرهم لنبوته فيه قولان (أحدهما) انه أمره بأن يسأل مؤمني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار وتميم الداري واشباههم عن ابن عباس ومجاهد والضحاك (والآخر) ان المراد سلهم عن صفة النبي ﷺ المبشر به في كتبهم ثم انظر فيما وافق تلك الصفة وهذا القول اقوى لأن هذه السورة مكية وابن سلام وغيره إنما اسلموا بالمدينة وقال الزهري ان هذه الآية نزلت في السماء فإن صحَّ ذلك فقد كفي المؤونة ورواه اصحابنا أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام

وقيل أيضاً ان المراد بالشك الضيق والشدة بما يعانيه من نعتهم وأذاهم أي ان ضقت ذرعاً بما تلقى من أذى قومك ﴿ فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك﴾ كيف صبر الأنبياء على أذى قومهم فاصبر كذلك ﴿لقد جاءك الحق من ربك﴾ يعني بالحق القرآن والإسلام ﴿فلا تكونن من الممترين﴾ اي الشاكين ﴿ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله ﴾ أي من جملة من يجحد آيات الله ولا يصدق بها ﴿فتكون من الخاسرين﴾ أي فإنك ان فعلت ذلك كنت من الخاسرين ولم يقل من الكافرين لأن الانسان قد علم شدة تحسره وتأسفه على خسران ماله فكيف إذا خسر دينه ونفسه ﴿ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون﴾ معناه ان الذين اخبر الله عنهم بغير شرط انهم لا يؤمنون فنفى الإيمان عنهم ولم ينف عنهم القدرة عليه فإن نفي الفعل لا يكون نفياً للقدرة عليه كما ان الله سبحانه نفى عن نفسه مغفرة المشركين ولم يكن ذلك نفياً لقدرته على مغفرتهم وقيل معناه ان الذين وجب عليهم سخط ربك عن قتادة وقيل معناه وجب عليهم وعيد ربك ﴿ولو جاءتهم كل آية﴾ اي كل معجزة ودلالة مما يقترحونها ﴿ حتى يروا العذاب الأليم ﴾ الموجع فيصيروا ملجأين إلى الإيمان وفي هذا اعلام بأن هؤلاء الكفار لا لطف لهم في المعلوم يؤمنون عنده إيمان اختيار.

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾

[**الاعراب**] لولا بمعنى هلا وهي تستعمل على وجهين (أحدهما) التحضيض (والآخر) التأنيب كقولك في التحضيض هلا تأتي زيداً لحاجتك وفي التأنيب هلا امتنعت من الفساد الذي دعيت إليه قال الشاعر:

تَعُدُّونَ عَقْرَ النيبَ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ بَني ضَوْطَرى لَوْلَا الكَمِيّ الْمقَنَّعا[١]

أي هلا تعقرون الكمي وكانت قرية كان هذه هي التامة لاتحتاج إلى خبر وآمنت فنفعها إيمانها صفة لقرية فإن الجمل قد تقوم مقام الصفة للنكرة والاقوم يونس استثناء متصل واقع على المعنى لا على ظاهر اللفظ فكأنه قال هلا آمن اهل قرية والجميع مشتركون في هذا العتاب وقوم يونس مستثنى من الجميع ومثل هذا الاستثناء في قوله تعالى فلولا كان من

(١) الشعر في جامع الشواهد قد مر أيضاً .

القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم وقال الزجاج الا قوم يونس إستثناء منقطع وتقديره لكن قوم يونس لما آمنوا ومثله قول النابغة.

وَقَفْتُ فيها أُصَيْلاً لاَ أُسَائِلُهَا ... عَيَّتْ جَواباً وَمَا بِالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ
إِلَّا أَوارِيَّ لأْياً مَا أُبَيِّنُهَا ... وَالنُّؤْيُ كَالحَوْضِ بِالمَظْلُومَةِ الجَلَدِ(١)

وحكى الفراء في البيت لا ان ما ابينها وقال جمع الشاعر بين ثلاثة احرف في النفي لا وان وما وقرأ بعضهم يونِس ويوسِف بكسر النون والسين اراد ان يجعل الاسمين عربيين مشتقين من آسف وآنس وهو شاذ.

[**المعنى**] لمّا ذكر سبحانه ان إيمان فرعون لم يقبل عند معاينة العذاب وصل ذلك بذكر إيمان قوم يونس قبل نزول العذاب فقال **﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها الا قوم يونس﴾** قيل ان معناه فهلّا كان اهل قرية آمنوا في وقت ينفعهم إيمانهم اعلم الله سبحانه ان الإيمان لا ينفع عند وقوع العذاب ولا عند حضور الموت الذي لا يشك فيه ولكن قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم العذاب عن الزجاج قال وقوم يونس لم يقع بهم العذاب إنما رأوا الآية التي تدلّ على العذاب فمثلهم مثل العليل الذي يتوب في مرضه وهو يرجو العافية ويخاف الموت وقيل ان معناه لم يكن فيما خلا ان يؤمن اهل قرية بأجمعهم حتى لا ينشد منهم احد الاقوم يونس فهلا كانت القرى كلها هكذا عن الحسن وقيل معناه فما كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها يريد بذلك لم يكن هذا معروفاً لأمة من الأمم كفرت ثم آمنت عند نزول العذاب وكشف عنهم اي لم افعل هذا بأمة قط الا قوم يونس **﴿لما آمنوا﴾** عند نزول العذاب كشف عنهم العذابَ بعد ما تدلى عليهم وهو قوله **﴿كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا﴾** عن قتادة وابن عباس وفي رواية عطاء وقيل انه اراد بقوله فلولا كانت قرية آمنت قوم ثمود فإنه قد جاءهم العذاب يوماً فيوماً كما جاء قوم يونس الا ان قوم يونس استدركوا ذلك بالتوبة واولئك لم يستدركوا فوصف اهل القرية بأنهم سوى قوم يونس ليعرفهم به بعض التعريف إذ

---

(١) وفي معلقته «أصيلاً كي اسائلها» في البيت الاول ويروى «أصيلانا». وأصيلان تصغير الاصل - بضمتين - جمع الاصل: الوقت بعد العصر؛ واصيلال على البدل ابدلوا من النون لاما يقول: وقفت في هذه الدار عشية اسائلها عن اهلها أين ذهبوا فلم تقدر على الجواب ولم يكن فيها أحد يحسنه والاواري: حيث تجلس الدواب وقوله لأياً أي جهداً، والنؤي: نهر يحفر حول الاخبية يجرى فيها الماء فشبهه بالحوض وقوله بالمظلومة الجلداي بالموضع الذي لا يحفر لصلابته فجعلها مظلومة لانها حفرت في غير موضع حفر. والشاهد في قوله الا اواري بالنصب على الاستثناء المنقطع لانها من غير جنس الاحد.

كان اخبر عنهم على سبيل الاخبار عن النكرة عن الجبائي وهذا الذي ذكره إنما كان يصح لو كان الا قوم يونس مرفوعاً فكان يكون صفة لقرية او بدلاً منه على معنى هلاكان قوم قرية آمنوا الا قوم يونس ولم يقرأ احد من القراء بالرفع **﴿ومتعناهم إلى حين﴾** وهو وقت انقضاء آجالهم .

[**القصة**] وكان من قصة يونس على ما ذكره سعيد بن جبير والسدي ووهب وغيرهم ان قوم يونس كانوا بنينوى من ارض الموصل وكان يدعوهم إلى الإسلام فأبوا فأخبرهم ان العذاب مصبحهم الى ثلاث ان لم يتوبوا فقالوا انا لم نجرب عليه كذباً فانظروا فإن بات فيكم تلك الليلة فليس بشيء وإن لم يبت فاعلموا ان العذاب مصبحكم فلما كان في جوف الليل خرج يونس من بين اظهرهم فلما اصبحوا يغشاهم العذاب قال وهب اغامت السماء غيماً اسود هائلا يدخن دخاناً شديداً فهبط حتى غشى مدينتهم واسودّت سطوحهم وقال ابن عباس كان العذاب فوق رؤوسهم قدر ثلثي ميل فلما رأوا ذلك ايقنوا بالهلاك فطلبوا نبيّهم فلم يجدوه فخرجوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح واظهروا الإيمان والتوبة واخلصوا النية وفرَّقوا بين كل والدة وولدها من الناس والانعام فحنَّ بعضها إلى بعض وعلت اصواتها واختلطت اصواتها بأصواتهم وتضرَّعوا إلى الله عز وجل وقالوا آمنا بما جاء به يونس فرحمهم ربهم واستجاب دعاءهم وكشف عنهم العذاب بعد ما اظلَّهم قال عبد الله بن مسعود بلغ من توبة اهل نينوى ان يرادّوا المظالم بينهم حتى كان الرجل ليأتي الحجر وقد وضع عليه اساس بنيانه فيقتلعه ويردّه وروي عن أبي مخلد انه قال لما غشي قوم يونس العذاب مشوا إلى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له لقد نزل بنا العذاب فما ترى قال قولوا يا حيُّ حين لا حيّ ويا حيُّ محي الموتى ويا حيُّ لا إله إلا انت فقالوها فانكشف عنهم العذاب وروي عن علي بن إبراهيم بن هاشم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن جميل قال قال ابو عبد الله (ع) كان فيهم رجل اسمه مليخا عابد وآخرٌ اسمه روبيل عالم وكان العابد يشير على يونس بالدعاء عليهم وكان العالم ينهاه ويقول له لا تدع عليهم فإن الله يستجيب لك ولا يحب هلاك عباده فقبل يونس قول العابد فدعا عليهم فاوحى الله تعالى إليه انه يأتيهم العذاب في شهر كذا في يوم كذا فلما قرب الوقت خرج يونس من بينهم مع العابد وبقي العالم فيهم فلما كان اليوم الذي نزل بهم العذاب قال لهم العالم افزعوا إلى الله فلعله يرحمكم ويردَّ العذاب عنكم فاخرجوا إلى المفازة وفرَّقوا بين النساء والاولاد وبين سائر الحيوان واولادها ثم ابكوا وادعوا ففعلوا فصرف عنهم العذاب وكان قد نزل بهم وقرب منهم ومرَّ يونس على

وجهه مغاضباً كما حكى الله تعالى عنه حتى انتهى إلى ساحل البحر فإذا سفينة قد شحنت[١] وارادوا ان يدفعوها فسألهم يونس ان يحملوه فحملوه فلما توسَّطوا البحر بعث الله عليهم حوتاً عظيماً فحبس عليهم السفينة فتساهموا فوقع من بينهم السهم على يونس فأخرجوه فألقوه في البحر فالتقمه الحوت ومرَّ به في الماء وقيل ان الملاحين قالوا نقترع فمن اصابته القرعة القيناه في الماء فإنَّ هاهنا عبداً عاصياً آبقاً فوقعت القرعة سبع مرات على يونس فقام وقال انا العبد الآبق والقى نفسه في الماء فابتلعه الحوت فاوحى الله إلى ذلك الحوت لا تؤذ شعرة منه فإني جعلت بطنك سجنه ولم اجعله طعامك فلبث في بطنه ثلاثة ايام وقيل سبعة ايام وقيل اربعين يوماً وقد سأل بعض اليهود أمير المؤمنين علياً عليه السلام عن سجن طاف اقطار الارض بصاحبه فقال له يا يهوديّ هو الحوت الذي حبس يونس في بطنه فدخل في بحر قلزم حتى خرج إلى بحر مصر ثم سار منها إلى بحر طبرستان ثم خرج من الدجلة قال عبد الله بن مسعود ابتلع الحوت حوت آخر فأهوى به إلى قرار الأرض وكان في بطنه اربعين ليلة فنادى في الظلمات ان لا آله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجاب الله له فامر الحوت فنبذه على ساحل البحر وهو كالفرخ المتمعط فأنبت الله عليه شجرة من يقطين فجعل يستظل تحتها ووكلّ الله به وعلا[٢] يشرب من لبنها فيبست الشجرة فبكى عليها فاوحى الله تعالى إليه تبكي على شجرة يبست ولا تبكي على مائة الف أو يزيدون اردت ان اهلكهم فخرج يونس فإذا هو بغلام يرعى فقال من أنت قال من قوم يونس قال إذا رجعت اليهم فاخبرهم انك لقيت يونس فاخبرهم الغلام وردَّ الله عليه بدنه ورجع إلى قومه وآمنوا به وقيل انه (ع) ارسل الى قوم غير قومه الاولين.

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾

[**القراءة**] قرأ ونجعل بالنون حماد ويحيى عن أبي بكر والباقون بالياء.

---

(١) اي ملئت.

(٢) الوعل: تيس الجبل.

[**الحجة**] من قرأ بالنون فإنه ابتداء بالإخبار عن الله ومن قرأ بالياء فلأنه تقدَّم ذكر الله تعالى فكنّى عنه .

[**اللغة**] المشيئة والارادة والإيثار والاختيار نظائر وإنما يختلف عليها الاسم بحسب مواقعها على ما بيَّن في موضعه قال علي بن عيسى النفس خاصة الشيء التي لو بطل ما سواها لم يبطل ذلك الشيء ونفسه وذاته واحد إلا انه قد يؤكد بالنفس ولا يؤكد بالذات والنفس مأخوذة من النفاسة .

[**الاعراب**] كلهم تأكيد لمن وجميعاً نصب على الحال .

[**المعنى**] لمّا تقدَّم ان إيمان الملجأ غير نافع بيَّن سبحانه ان ذلك لو كان ينفع لاكره اهل الارض عليه فقال ﴿**وان شاء ربك**﴾ يا محمد ﴿**لآمن من في الأرض**﴾ أي لآمن أهل الأرض ﴿**كلهم جميعاً**﴾ ومعناه الاخبار عن قدرة الله تعالى وانه يقدر على ان يكره الخلق على الإيمان كما قال ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلَّت اعناقهم لها خاضعين ولذلك قال بعد ذلك ﴿**أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين**﴾ ومعناه ان لا ينبغي ان تريد اكراههم على الإيمان مع انك لا تقدر عليه لأن الله تعالى يقدر عليه ولا يريده لأنه ينافي التكليف وأراد بذلك تسلية النبي ﷺ وتخفيف ما يلحقه من التحسر والحرص على إيمانهم عنه وفي هذا ايضاً دلالة على بطلان قول المجبرة أنه تعالى لم يزل كان شائياً ولانه لا يوصف بالقدرة على ان يشاء لأنه تعالى اخبر انه لو شاء لقدر لكنه لم يشأ فلذلك لم يوجد ولو كانت مشيئة ازلية لم يصح تعليقها بالشرط فصحَّ ان مشيئته فعلية ألا ترى انه لا يصح ان يقال لو علم سبحانه ولو قدر كما صحَّ ان يقال لو شاء ولو اراد ﴿**وما كان لنفس ان تؤمن إلا باذن الله**﴾ معناه انه لا يمكن أحد ان يؤمن إلا بإطلاق الله تعالى له في الإيمان وتمكينه منه ودعائه اليه بما خلق فيه منن العقل الموجب لذلك وقيل ان اذنه هاهنا أمره كما قال يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيراً لكم عن الحسن والجبائي وحقيقة الاذن اطلاقه في الفعل بالأمر وقد يكون الأذن بالاطلاق في الفعل برفع التبعة وقيل ان اذنه هنا علمه أي لا تؤمن نفس إلا بعلم الله من قولهم اذنت لكذا إذا سمعته وعلمته واذنته أعلمته فيكون خيراً من علمه سبحانه لجميع الكائنات ويجوز ان يكون بمعنى اعلام الله المكلفين بفضل الإيمان وما يدعوهم إلى فعله ويبعثهم عليه ﴿**ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون**﴾ معناه ويجعل العذاب على الذين لا يتفكرون حتى يعقلوا فكأنهم لا عقول لهم عن قتادة وابن زيد وقيل معناه ويجعل الكفر عليهم أي يحكم عليهم بالكفر ويذمهم عليه عن الحسن وقيل الرجس الغضب

والسخط عن ابن عباس وقال الكسائي الرجس النتن والرجز والرجس واحد قال أبو علي وكان الرجس على ضربين (أحدهما) ان يكون في معنى العذاب (والآخر) ان يكون بمعنى القذر والنجس اي يحكم بأنهم رجس كما قال سبحانه إنما المشركون نجس.

﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

[**القراءة**] قرأ الكسائي برواية نصير ويعقوب برواية روح وزيد ثم نُنْجي رسلنا خفيفة وروي عن روح التشديد أيضاً فيه والباقون ننجي بالتشديد وقرأ الكسائي وحفص عن عاصم ويعقوب وسهل ننجي المؤمنين خفيفة والباقون ننّجي بالتشديد .

[**الحجة**] حجة من قال نُنْجي قوله فأنجاه الله من النار وحجة من قال ننجي قوله ونجينا الذين آمنوا وكلاهما حسن قال الشاعر:

ونَجّني ابْنَ هِنْدٍ سَابِحٌ ذُو غِلالَةٍ ... أَجَشُّ هَزِيمٌ وَالرِّمَاحُ دَوَانِ(١)

[**اللغة**] النظر طلب الشيء من جهة الفكر كما يطلب ادراكه بالعين والنذر جمع نذير وهو صاحب النذارة والانتظار هو الثبات لتوقع ما يكون من الحال تقول انتظرني حتى الحقك ولو قلت توقعني لم تكن قد أمرته بالثبات والمثل في الجنس ما سدَّ أحدهما مسدّ صاحبه فيما يرجع إلى ذاته والمثل في غير الجنس ما كان على معنى يقربه من غيره كقربه من جنسه كتشبيه اعمال الكفار بالسراب والنجاة مأخوذة من النجوة وهي الارتفاع عن الهلاك وكذلك السلامة مأخوذة من اعطاء الشيء من غير نقيصة اسلمته اليه إذا اعطيته سالماً من غير آفة .

(١) الغلالة: شيء يلبسونه الفرس تحت السرج والاجش : عظيم الصوت. والهزيم : سريع العدو.

[**الاعراب**] وجه التشبيه في كذلك ان نجاة من بقي من المؤمنين كنجاة من مضى في انه حقّ على الله واجب لهم ويحتمل ان يكون العامل في كذلك ننجي الأول وتقديره ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك الانجاء ويحتمل ان يكون العامل فيه ننجي الثاني وحقاً نصب على المصدر أي يحق حقاً وقيل انه نصب على الحال وان كان لفظه لفظ المصدر عن أبي مسلم قال جامع العلوم النحوي الضرير ويجوز ان ينصب حقاً بدلاً من كذلك او وصفاً ولا يجوز ان ينصب كذلك وحقاً جميعاً بقوله ننجي رسلنا لأن الفعل الواحد لا يعمل في مصدرين ولا في حالين ولا في استثناءين ولا في مفعولي معهما وقد بيَّن ذلك في موضعه فإن جعلت كذلك من صلة ننجي وجعلت حقاً من صلة قوله ننجي المؤمنين أي ننجي المؤمنين حقاً كان الوقف على كذلك .

[**المعنى**] ثم بين سبحانه ما يزيد في تنبيه القوم وارشادهم فقال **﴿قل﴾** يا محمد لمن يسألك الآيات **﴿انظروا ماذا في السماوات والأرض﴾** من الدلائل والعبر من اختلاف الليل والنهار ومجاري النجوم والأفلاك وما خلق من الجبال والبحار وأنبت من الاشجار والثمار واخرج من انواع الحيوانات فإن النظر في افرادها وجملتها يدعوا إلى الإيمان وإلى معرفة الصانع ووحدانيته وعلمه وقدرته وحكمته **﴿وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾** معناه وما تغني هذه الدلالات والبراهين الواضحة مع كثرتها وظهورها ولا الرسل المخوفة عن قوم لا ينظرون في الادلة تفكراً وتدبراً ولا يريدون الإيمان وقيل ما تغني معناه أيّ شيء تغني عنهم من اجتلاب نفع او دفع ضرر إذا لم يستدلّوا بها فيكون ما للاستفهام وكان الحسن إذا قرأ هذه الآية هتف بها وقال وما تغني الحجج عن قوم لا يقبلونها وقال أبو عبد الله عليه السلام لما اسرى برسول الله ﷺ جبريل بالبراق فركبها فأتى بيت المقدس فلقي من لقي من الأنبياء ثم رجع فأصبح يحدّث اصحابه اني اتيت بيت المقدس ولقيت اخواني من الأنبياء فقالوا يا رسول الله كيف اتيت بيت المقدس الليلة قال جاءني جبرائيل بالبراق فركبتها وآية ذلك اني مررت بعير لأبي سفيان على ماء لبني فلان وقد اضلوا جملالهم احمر وهم في طلبه فقال القوم بعضهم لبعض إنما جاءه راكب سريع ولكنكم قد اتيتم الشام وعرفتموها فاسألوه عن اسواقها وأبوابها وتجارها فسألوه عن ذلك وكان ﷺ إذا سئل عن الشيء لا يعرفه شقَّ ذلك عليه حتى يرى ذلك في وجهه قال فبينا هو كذلك إذا اتاه جبرائيل عليه السلام فقال يا رسول الله هذه الشام قد رفعت لك فالتفت رسول الله ﷺ فإذا هو بالشام فقالوا له اين بيت فلان ومكان كذا فأجابهم في كل ما سألوه عنه فلم يؤمن منهم إلا قليل وهو قول الله تعالى وما تغني

الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ثم قال أبو عبد الله (ع) فنعوذ بالله ان لا نؤمن بالله آمنا بالله ورسوله **﴿فهل ينتظرون إلا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم﴾** معناه فهل ينتظر هؤلاء الذين امروا بالإيمان فلم يؤمنوا وبالنظر في الأدلة فلم ينظروا الا العذاب والهلاك في مثل الايام التي هلك من قبلهم من الكفار فيها قال قتادة أراد به وقائع الله في عاد وثمود وقوم نوح وعبر عن الهلاك بالأيام كما يقال ايام فلان يراد به أيام دولته وايام محنته واللفظ لفظ الاستفهام والمراد به النفي وتقديره ليس ينتظرون إلا ذاك **﴿قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾** أي قل يا محمد لهم فانتظروا ما وعدنا الله من العذاب فإني منتظر معكم من جميع المنتظرين لما وعد الله به **﴿ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا﴾** من بينهم ونخلصهم من العذاب وقت نزوله وقيل من شرور اعدائهم ومكرهم **﴿كذلك حقاً علينا ننج المؤمنين﴾** قال الحسن معناه كنا إذا اهلكنا امة من الأمم الماضية نجينا نبيهم ونجينا الذين آمنوا به أيضاً كذلك إذا اهلكنا هؤلاء المشركين نجيناك يا محمد والذين آمنوا بك وقيل معناه كذلك حقاً علينا اي واجباً علينا من طريق الحكمة ننجي المؤمنين من عذاب الآخرة كما ننجيهم من عذاب الدنيا وقال أبو عبد الله (ع) لأصحابه ما يمنعكم من ان تشهدوا على من مات منكم على هذا الأمر انه من أهل الجنة ان الله تعالى يقول كذلك حقاً علينا ننجي المؤمنين.

﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ ۚ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾

[**اللغة**] الشك وقوف في المعنى ونقيضه كمن يشك في كون زيد في الدار فإنه لا

يكون لإحدى الصفتين عنده مزية على الأخرى فيقف وهو معنى غير الاعتقاد عند أبي علي الجبائي وابي هاشم ثم رجع عنه أبو هاشم وقال ليس بمعنى وهو اختيار القاضي والتوفي قبض الشيء على التمام والاقامة نصب الشيء ونقيضه الاضجاع وأقام بالمكان استمرّ فيه كاستمرار القيام في جهة الانتصاب والمماسة والمطابقة والمجامعة نظائر وضدها المباينة والكشف رفع الساتر المانع من الادراك فكأن الضرّ ههنا ساتر يمنع من ادراك الإنسان.

[**الاعراب**] ان كنتم في شك شرط وجوابه في قوله لا اعبد وإنما صحَّ ذلك لأن معناه ان كنتم في شك فلا تطمعوا في تشكيكي حتى اعبد غير الله كعبادتكم.

[**المعنى**] ثم أمر سبحانه نبيَّه ﷺ بالبراءة عن كل معبود سواء فقال ﴿**قل**﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار ﴿**يا أيها الناس ان كنتم في شكّ من ديني**﴾ أحقٌّ هو أم لا ﴿**فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله**﴾ لشكّكم في ديني ﴿**ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم**﴾ أي يقدر على إماتتكم وهذا يتضمن تهديداً لهم لأن وفاة المشركين ميعاد عذابهم التي قيل كيف قال ان كنتم في شك من ديني مع اعتقادهم بطلان دينه فجوابه من وجوه (أحدها) ان يكون التقدير سن كان شاكاً في امري فهذا حكمه (والثاني) انهم في حكم الشاك للاضطراب الذي يجدونه في انفسهم عند ورود الآيات (والثالث) ان فيهم من كان شاكاً فغلب ذكرهم ﴿**وامرت ان اكون من المؤمنين**﴾ أي وامرني ربي ان اكون من المصدقين بالتوحيد واخلاص العبادة له ﴿**وان اقم وجهك**﴾ هذا عطف على ما قبله فكأنه قال وقيل لي واقم وجهك ﴿**للدين**﴾ اي استقم في الدين باقبالك على ما امرت به من القيام باعباء الرسالة وتحمل امر الشريعة بوجهك وقيل معناه وأقم وجهك في الصلاة بالتوجه نحو الكعبة ﴿**حنيفاً**﴾ أي مستقيماً في الدين ﴿**ولا تكونن من المشركين**﴾ هذا نهي عن الاشراك مع الله سبحانه غيره في العبادة ﴿**ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك**﴾ ان اطعته ﴿**ولا يضرُّك**﴾ ان عصيته وتركته اي لا تدعه إلّهاً كما يدعو المشركون الأوثان آلهة وإنما قال ما لا ينفعك ولا يضرُّك مع أنه لو نفع وضرَّ لم تحسن عبادته أيضاً لأمرين (أحدهما) ان معناه مالا ينفعك نفع الإلّه ولا يضرُّك ضرره (والثاني) أنه إذا كان عبادة غير الله ممن يضرُّ وينفع قبيحة فعبادة من لا يضر ولا ينفع اقبح ﴿**فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين**﴾ معناه فإن خالفت ما أمرت به من عبادة غير الله كنت ظالماً لنفسك بإدخالك الضرر الذي هو العقاب عليها وهذا الخطاب وان كان متوجهاً إلى النبي ﷺ في الظاهر فالمراد به امته ﴿**وان يمسك الله بضر**﴾ معناه وان احلَّ الله بك ضرّاً من بلاء أو شدة أو مرض ﴿**فلا كاشف له إلا هو**﴾ أي لا يقدر احد على كشفه غيره كأنه سبحانه

لما بيَّن ان غيره لا ينفع ولا يضر عقَّبه ببيان كونه قادراً على النفع والضرّ ﴿**وان يردك بخير**﴾ من صحة جسم ونعمة وخصب ونحوها ﴿**فلا رادَّ لفضله**﴾ أي لا يقدر على منعه أحد وتقديره وان يردك خيراً ويجوز فيه التقديم والتأخير يقال فلان يريدك بالخير ويريد بك الخير ﴿**يصيب به**﴾ أي بالخير ﴿**من يشاء من عباده**﴾ فيعطيه على ما تقتضيه الحكمة ويعلمه من المصلحة ﴿**وهو الغفور**﴾ لذنوب عباده ﴿**الرحيم**﴾ بهم.

﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

[**المعنى**] ثم ختم الله سبحانه السورة بالموعظة الحسنة تسلية للنبي ﷺ الوعد للمؤمنين والوعيد للكافرين فقال عزَّ اسمه ﴿**قل**﴾ يا محمد مخاطباً للمكلفين ﴿**يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم**﴾ وهو القرآن ودين الإسلام والادلة الدالة على صحته وقيل يريد بالحق النبي ﷺ ومعجزاته الظاهرة ﴿**فمن اهتدى**﴾ بذلك بأن نظر فيه وعرفه حقاً وصواباً ﴿**فإنما يهتدي لنفسه**﴾ معناه فإن منافع ذلك من الثواب وغيره يعود عليه ﴿**ومن ضل**﴾ عنه وعدل عن تأمله والاستدلال به ﴿**فإنما يضل عليها**﴾ أي على نفسه لأنه يجني عليها ﴿**وما انا عليكم بوكيل**﴾ أي وما أنا بحفيظ لكم عن الهلاك إذا لم تنظروا وانتم لأنفسكم ولم تعلموا بما يخلصها كما يحفظ الوكيل مال غيره والمعنى انه ليس عليَّ إلا البلاغ ولا يلزمني ان أجعلكم مهتدين وان انجيكم من النار كما يجب على من وكل على متاع ان يحفظه من الضرر ﴿**واتبع ما يوحى اليك واصبر**﴾ على اذى الكافرين وتكذيبهم ﴿**حتى يحكم الله**﴾ بينك وبينهم باظهار دينه واعلاء أمره ﴿**وهو خير الحاكمين**﴾ لأنه لا يحكم إلا بالعدل والصواب.

(١١) سُورَةُ هُودٍ مَكِّيَّة
وآياتها ثلاث وعشرون ومائة

هي مكية كلها في قول الأكثرين وقال قتادة إلا آية وهو قوله ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار﴾ فإنها نزلت بالمدينة.

[**عدد آيها**]

هي مائة وثلاث وعشرون آية كوفي وآيتان شامي والمدني الاول وآية في الباقين.

[**اختلافها**] سبع آيات بريء مما تشركون كوفي في قوم لوط غير البصري من سجيل مكي شامي والمدني الأخير كنتم مؤمنين حجازي منضود وانا عاملون عراقي شامي والمدني الاول مختلفين عراقي شامي.

[**فضلها**] أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها اعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدَّق بنوح وكذَّب به وهود وصالح وشعيب ولوط وإبراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء وروى الثعلبي بإسناده عن أبي إسحاق عن ابي جحيفة قال قيل يا رسول الله قد اسرع إليك الشيب قال شيَّبتني هِود واخواتها وفي رواية اخرى عن انس بن مالك عن أبي بكر قال قلت يا رسول الله عجّل اليك الشيب قال شيبّتني هود واخواتها الحاقة والواقعة وعم يتساءلون وهل اتاك حديث الغاشية وروى العياشي عن الحسن بن علي الوشا عن ابن سنان عن ابن جعفر عليه السلام قال من قرأ سورة هود في كل جمعة بعثه الله يوم القيامة في زمرة النبيين وحوسب حساباً يسيراً أو لم تعرف له خطيئة عملها يوم القيامة.

[**تفسيرها**] لما ختم الله سبحانه سورة يونس بذكر الوحي في قوله واتبع ما يوحى اليك افتتح هذه السورة ببيان ذلك الوحي فقال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ
خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾
وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ
مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ
عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾

[**اللغة**] الاحكام منع الفعل من الفساد والحكمة المعرفة بما يمنع الفعل من الفساد والنقص وبما يميز القبيح من الحسن والفاسد من الصحيح والحكيم في صفات الله سبحانه يحتمل وجهين (أحدهما) ان يكون بمعنى محكم فهو فعيل بمعنى مفعل اي محكم أفعاله فيكون على هذا من صفات فعله فلا يوصف به فيما لم يزل (والثاني) أن يكون بمعنى عليهم فيكون من صفات ذاته فيوصف بأنه حكيم لم يزل.

[**الاعراب**] قال الزجاج كتاب مرفوع باضمار هذا كتاب وقال بعضهم كتاب خبر آلرّ وهذا غلط لأن كتاب أحكمت آياته ليس هو الرّ وحدها وان لا تعبدوا في موضع نصب تقديره فصلت آياته لان لا تعبدوا ويحتمل ان يكون على تقدير أمركم بأن لا تعبدوا فلما حذف الباء وصل الفعل فنصبه وان استغفروا معطوف عليه ومعنى إلا في قوله إلا الله ايجاب للمذكور بعدها ما نفي عن كل ما سواه من العبادة وهي التي تفرغ عامل الاعراب لما بعدها يمتعكم جزم جواب لقوله وان استغفروا ربكم وان تولوا يريد تتولوا فحذف احدى التاءين تخفيفاً وابن كثير يدغم التاء الاولى في الثانية ويشدد.

[**المعنى**] قد بيّنا تفسير **﴿آلر﴾** والأقاويل التي فيها في أول البقرة فلا معنى لاعادته **﴿كتاب﴾** يعني القرآن أي هو كتاب **﴿احكمت آياته ثم فصلت﴾** ذكر فيه وجوه (أحدها) ان

معنـاه احكمت آياتـه فلم ينسخ منهـا شيء كما نسخت الكتب والشـرائع ثم فصلّت ببيـان الحلال والحرام وسائر الاحكام عن ابن عباس (وثانيها) ان معناه احكمت آياته بالأمر والنهي ثم فصلّت بالوعد والوعيد والثواب والعقاب عن الحسن وأبي العالية (وثالثها) احكمت آياته جملة ثم فرقت في الانزال آية بعد آية ليكون المكلف امكن من النظر والتدبـر عن مجاهـد (ورابعها) احكمت في نظمهـا بأن جعلت على ابلغ وجـوه الفصاحـة حتى صار معجـزاً ثم فصلّت بالشرع والبيـان المفروض فكـأنه قيـل محكم النظم مفصـل الآيات عن أبي مسلم (وخامسها) اتقنت آياته فليس فيها خلل ولا باطل لأن الفعل المحكم ما قد اتقنه فاعله حتى لا يكون فيه خلل ثم فصلت بأن جعلت متتابعة بعضها أثر بعض **﴿من لدن حكيم﴾** أي انَّ هـذا الكتاب اتـاكم من عند حكيم في احـواله وتـدابيره **﴿خبيـر﴾** أي عليم باحـوال خلقـه ومصالحهم وفي هذه الآية دلالة على ان كلام الله سبحانه محدث لأنه وصفه بـانه احكمت آياته ثم فصلت والاحكام من صفات الافعال وكذلك التفصيل ثم قال من لدن حكيم وهذه الاضافة لا تصح الا في محدث لأن القديم يستحيل ان يكون صادراً من غيـره وقولـه الا تعبدوا إلا الله معناه انزل هذا الكتاب ليأمركم **﴿أن لا تعبدوا الا الله﴾** ولكي لا تعبدوا الا الله كما يقال كتبت اليك ان لا تخرج من الدار وان لا تخرج بالنصب والجزم **﴿انني لكم منه نذير وبشير﴾** هذا اخبار من النبي ﷺ انه مخوف من مخالفة الله وعصيانه بأليم العقاب مبشر على طـاعة الله بجـزيل الثـواب **﴿وان استغفروا ربكم ثم تـوبوا إليـه﴾** ومعناه اطلبـوا المغفـرة واجعلوها غرضكم ثم توصلوا إليها بالتوبة وقيل معناه استغفروا ربكم من ذنوبكم ثم توبوا إليه في المستأنف متى وقعت منكم المعصية عن الجبائي وقيل ان ثم ههنا بمعنى الواو عن الفراء وهذا لأن الاستغفار والتوبة واحد فتكون التوبة تأكيداً للاستغفار **﴿يمتعكم متـاعاً حسنـاً إلى اجل مسمى﴾** يعني انكم متى استغفرتموه وتبتم اليه يمتعكم في الدنيا بـالنعم السابغة في الخفض والدعة والأمن والسعة الى الوقت الـذي قدَّر لكم أجـل الموت فيـه وقال الـزجاج يريـد يبقيكم ولا يستأصلكم بالعذاب كما استأصل اهل القرى الذين كفروا **﴿ويؤت كل ذي فضل فضله﴾** قيل ان الفضل بمعنى التفضيل والافضال أي ويعط كل ذي افضال على غيره بمال أو كلام أو عمل بيد أو رجل جزاء افضاله فيكون الهاء في فضله عائداً الى ذي الفضل وقيل ان معناه يعطي كل ذي عمل صالح فضله أي ثوابه على قدر عمله فإنَّ من كثرت طاعاته في الدنيا زادت درجاته في الجنة وعلى هذا فالاولى أن تكون الهاء في فضله عائداً إلى اسم الله تعالى **﴿وان تولوا﴾** أي اعرضوا عما أمـروا به وقيـل معناه وان تتـولوا انتم أي تعـرضوا فحذف احدى التائين ولذلك شدَّد ابن كثير في رواية البزي عنه **﴿فإني اخاف عليكم عذاب**

يوم كبير﴾ أي كبير شأنه وهو يوم القيامة وهذا الخوف ليس في معنى الشك بل هو في معنى اليقين اي فقل لهم يا محمد اني أعلم ان لكم عذاباً عظيماً وانما وصف اليوم بالكبير لعظم ما فيه من الاهوال **﴿إلى الله مرجعكم﴾** اي في ذلك اليوم إلى حكم الله مصيركم لأن حكم غيره يزول فيه وقيل معناه إليه مصيركم بأن يعيدكم للجزاء **﴿وهو على كل شيء قدير﴾** يقدر على الإعادة والبعث والجزاء فاحذروا مخالفته.

﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾

[**القـراءة**] روي عن ابن عبـاس بخـلاف ومجـاهـد ويحيى بن يعمـر وعن علي بن الحسين وابي جعفر محمد بن علي وزيد بـن علي وجعفر بن محمد عليهم السلام يَثْنَـوْنَي صدورهم على مثال يفعوعـل وعن ابن عباس أيضاً يَثْنِونَّ وعن مجاهد يَثْنَئِنُ وروي ذلك أيضاً عن عروة الأعشى.

[**الحجة**] اما يثنوني على مثال يفعوعل فهو من امثلة المبالغة تقول اعشب البلد فإذا كثر ذلك قلت اعشوشب وكذلك احلولى واخشوشب واخشوشن وأما يَثْنِونُّ ويَثْنَئِنَّ فقد قـال ابن جني انهما من لفظ الثن وهو ما هش وضعف من الكلاء وانشد ابو زيد.

تَكْفِي اللَّقُوحُ أَكْلَةٌ مِنْ ثِنِّ(١)

يَثْنَئِنُّ بالهمزة اصله يثنان فحركت الألف لسكونها وسكون النون الاولى فانقلبت همزة واما يَثْنَونُّ فاصله يَثْنَوْنِنُ فلزم الادغام لتكرير العين إذا كان غير ملحق فاسكنت النون الاولى ونقلت كسرتها الى الواو وادغمت النون في النون فصار يَثْنِونُّ.

[**اللغة**] أصـل الثني العطف تقول ثنيته عن كذا اي عطفته ومنه الاثنان لعطف احدهما على الآخر في المعنى ومنه الثناء لعطف المناقب في المدح ومنه الاستثناء لأنه عطف عليه بالاخراج منه والاستخفاء طلب خفاء الشيء يقال استخفى وتخفى بمعنى وكذلك استغشى

(١) قائله اخوص بن عبد الله الريـاحي وبعده «ولم تكن آثـر عندي مني». واللقـوح: الناقـة الحلوبة. يقـول إذا شرب الاضياف لبنها علفها الثن فعاد لبنها.

وتغشى قالت الخنساء.

أَرْعَى الْنُّجُومَ وَمَا كُلِّفْتُ رِعْيَتَها وَتَارَةً أَتَغَشَّى فَضْلَ أَطْمَارِي (١)

[**الاعراب**] الا معناها التنبيه ولا حظ لها في الإعراب وما بعدها مبتدأ.

[**النزول**] قيل نزلت في الاخنس بن شريق وكان حلو الكلام يلقى رسول الله ﷺ بما يحبّ وينطوي بقلبه على ما يكره عن ابن عباس وروى العياشي بإسناده عن أبي جعفر (ع) قال اخبرني جابر بن عبد الله ان المشركين إذا مرّوا برسول الله ﷺ طأطأ أحدهم رأسه وظهره هكذا وغطّى رأسه بثوبه حتى لا يراه رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية.

[**المعنى**] لمّا تقدَّم ذكر القرآن بيَّن سبحانه فعلهم عند سماعه فقال ﴿**الا انهم**﴾ يعني الكفار والمنافقين ﴿**يثنون صدورهم**﴾ أي يطوونها على ما هم عليه من الكفر عن الحسن وقيل معناه يحنون صدورهم لكيلا يسمعوا كلام الله سبحانه وذكره عن قتادة وقيل يثنونها على عداوة النبي ﷺ عن الفراء والزجاج وقيل انهم إذا عقدوا مجلساً على معاداة النبي ﷺ والسعي في امره بالفساد انضمَّ بعضهم إلى بعض وثنى بعضهم صدره إلى صدر بعض يتناجون ﴿**ليستخفوا منه**﴾ أي ليخفوا ذلك من الله تعالى على القول الأخير فإنهم كانوا قد بلغ من شدة جهلهم بالله أن ظنّوا انهم إذا ثنوا صدورهم على سبيل الاخفاء لم يعلم الله تعالى اسرارهم وعلى الاقوال الأخر معناه ليستروا ذلك عن النبي ﷺ ﴿**ألا حين يستغشون ثيابهم**﴾ معناه أنهم يتغطون بثيابهم ثم يتفاوضون فيما كانوا يدبّرونه على النبي ﷺ وعلى المؤمنين فيكتمونه عن ابن عباس فبيَّن الله سبحانه انه ﴿**يعلم ما يسرُّون وما يعلنون**﴾ وقت ما يتغطون بثيابهم ويجعلونها غشاء فوقهم لا بمعنى انه يتجدد له العلم في حال استغشائهم بالثوب بل هو عالم بذلك في الأزل ﴿ **انه عليم بذات الصدور** ﴾ يريد بما في النفوس عن ابن عباس وبحقيقة ما في القلوب من المضمرات وقيل انه كنّى باستغشاء ثيابهم عن الليل لأنهم يتغطون بظلمته كما يتغطون بثيابهم.

﴿ * وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٦﴾ ﴾

(٢) راعى النجوم وراعاها: راقبها وانتظر مغيبها وفي الشعر كناية عن السهر.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ ۗ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾﴾

[**اللغة**] الدابة الحيُّ الذي من شأنه ان يدُبَّ وقد صار في العرف مختصاً بنوع من الحيوان وقد ورد القرآن بها على الأصل في قوله وما من دابة، والله خلق كل دابة.

[**الاعراب**] اللام في قوله لئن لام القسم ولا يجوز ان يكون لام الابتداء لأنها دخلت على ان التي للجزاء ولام الابتداء إنما هي للاسم أو ما ما ضارع الاسم في باب ان وجواب الجزاء مستغنى عنه بجواب القسم لأنه إذا جاء في صدر الكلام غلب عليه كما انه إذا تأخر وتوسط الغي ويوم يأتيهم نصب على الظرف من مصروف اي ليس يصرف العذاب عنهم يوم يأتيهم العذاب.

[**المعنى**] **﴿وما من دابة في الأرض﴾** اي ليس من دابة تدبُّ على وجه الأرض ويدخل فيه جميع ما خلقه الله تعالى على وجه الأرض من الجن والانس والطير والأنعام والوحوش والهوام **﴿إلا على الله رزقها﴾** أي إلا والله سبحانه يتكفل برزقها ويوصله إليها على تقتضيه المصلحة وتوجبه الحكمة **﴿ويعلم مستقرها ومستودعها﴾** أي يعلم موضع قرارها والموضع الذي اودعها فيها وهو اصلاب الآباء وارحام الامهات عن مجاهد وقيل مستقرها حيث تأوي اليه من الأرض ومستودعها حيث تموت وتبعث منه عن ابن عباس والربيع وقيل مستقرها ما يستقر عليه عملها ومستودعها ما يصير إليه **﴿كل في كتاب مبين﴾** هنا اخبار منه سبحانه ان جميع ذلك مكتوب في كتاب ظاهر وهو اللوح المحفوظ وإنما أثبت سبحانه ذلك مع انه عالم لذاته لا يعزب عن علمه شيء من مخلوقاته لما فيه من اللطف للملائكة أو لمن يخبر بذلك **﴿وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام﴾** هذا اخبار منه سبحانه عن

نفسه بأنه انشأهما في هذا المقدار من الزمان مع قدرته على ان يخلقهما في مقدار لمح البصر والوجه في ذلك انه سبحانه اراد ان يبين بذلك ان الأمور جارية في التدبير على منهاج الحكمة منشأة على ترتيب لما في ذلك من المصلحة والمراد بقوله ستة ايام ما مقداره مقدار ستة أيام لأنه لم يكن هناك ايام بعد فإن اليوم عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها **﴿وكان عرشه على الماء﴾ في هذا دلالة على أن العرش والماء كانا موجودين قبل خلق السموات والأرض** وكان الماء قائماً بقدرة الله تعالى على غير موضع قرار بل كان الله يمسكه بكمال قدرته وفي ذلك اعظم الاعتبار لأهل الإنكار وقيل ان المراد بقوله عرشه بناؤه يدل عليه قوله ومما يعرشون أي يبنون والمعنى وكان بناؤه على الماء فإن البناء على الماء ابدع واعجب عن ابي مسلم **﴿ليبلوكم ايكم احسن عملاً﴾** معناه انه خلق الخلق ودبرَّ الامور ليظهر احسان المحسن فإنه الغرض في ذلك اي ليعاملكم معاملة المبتلي المختبر لئلا يتوهم انه سبحانه يجازي العباد على حسب ما في معلومه انه يكون منهم قبل ان يفعلوه وفي قوله احسن عملاً دلالة على انه قد يكون فعل حسن احسن من حسن آخر لأن حقيقة لفظة افعل يقتضي ذلك **﴿ ولئن قلت ﴾** يا محمد لهم **﴿ انكم مبعوثون من بعد الموت ﴾** للحساب والجزاء **﴿ ليقولن الذين كفروا ان هذا إلا سحر مبين ﴾** أي ليس هذا القول إلا تمويه ظاهر لا حقيقة له ومن قرأ ساحر بالمراد ليس هذا يعنون النبي ﷺ إلا ساحر قال الجبائي وفي الآية دلالة على انه كان قبل خلق السماوات والارض الملائكة لأن خلق العرش على الماء لا وجه لحسنه إلا أن يكون فيه لطف لمكلف يمكنه الاستدلال به فلابد إذاً من حيّ مكلف وقال علي بن عيسى لا يمتنع ان يكون في الاخبار بذلك مصلحة للمكلفين فلا يجب ما قاله الجبائي وهو الذي اختاره المرتضى قدس الله روحه **﴿ولئن اخرنا عنهم العذاب إلى امة معدودة﴾** معناه ولئن اخرنا عن هؤلاء الكفار عذاب الاستئصال الى اجل مسمى ووقت معلوم والأمة الحين كما قال سبحانه وادَّكر بعد امة وهو قول ابن عباس ومجاهد وقيل إلى أمة اي إلى جماعة يتعاقبون فيصرُّون على الكفر ولا يكون فيهم من يؤمن كما فعلنا بقوم نوح عن علي بن عيسى وقيل معناه إلى امة بعد هؤلاء نكلفهم فيعصون فتقتضي الحكمة اهلاكهم واقامة القيامة عن الجبائي وقيل ان الأمة المعدودة هم اصحاب المهدي (ع) في آخر الزمان ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً كعدة اهل بدر يجتمعون في ساعة واحدة كما يجتمع قزع الخريف وهو المروي عن أبي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام **﴿ليقولن﴾** على وجه الاستهزاء **﴿ما يحبسه﴾** أي أيَّ شيء يؤخر هذا العذاب عنا ان كان حقاً **﴿الا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم﴾** اي ان هذا العذاب الذي يستبطنونه إذا

نزل بهم في الوقت المقدور لا يقدر أحد على صرفه عنهم إذا اراد الله ان يأتيهم به ولا يتمكن من إذهابه عنهم إذا اراد الله أن يأتيهم به ﴿**وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون**﴾ اي ونزل بهم الذي كانوا يسخرون به من نزول العذاب ويحققونه .

[**النظم**] وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها أنه لما قال سبحانه ﴿**يعلم ما يسرُّون وما يعلنون**﴾ قال عقيبه وكيف يخفى على الله سرّ هؤلاء وهو يرزقهم وإذا وصل إلى كل واحد رزقه ولم ينسه فليعلم أنه يعلم سرُّه وقوله ﴿**ويعلم مستقرها ومستودعها**﴾ يدلُّ على ما ذكرنا ثم زاده بياناً بقوله ﴿**وهو الذي خلق السماوات**﴾ الآية فإن أصل الخلق التقدير الذي لا يختل بالنقصان والزيادة وذلك لا يتم إلا من العالم لذاته .

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾

[**اللغة**] الذوق تناول الشيء بالفم لإدراك الطعم وسمى الله سبحانه احلال اللذات بالإنسان اذاقة لسرعة زوالها تشبيهاً بما يذاق ثم يزول كما قيل « أحلَامُ نَوْمٍ أَوْ كَظِلٍّ زائلٍ » والنزع قلع الشيء عن مكانه واليؤس فعول من يئس واليأس القطع بأن الشيء المتوقع لا يكون ونقيضه الرجاء والنعماء انعام يظهر أثره على صاحبه والضراء مضرة تظهر الحال بها لأنهما اخرجتا مخرج الأحوال الظاهرة مثل حمراء وعيناء مع ما فيهما من المبالغة والفرح والسرور من النظائر وهو انفتاح القلب بما يلتذّ به وضدُّه الغم والصحيح أن الغم والسرور من جنس الاعتقادات وليسا بجنسين من الاعراض ومن الناس من قال أنهما جنسان والفخور الذي يكثر فخره وهو التطاول بتعديد المناقب وهي صفة ذم إذا أطلقت لما فيها من التكبر على من لا يجوز أن يتكبر عليه .

[**الإعراب**] اللام في لئن لتوطية القسم وليست للقسم والتقدير والله لئن أذقنا الإنسان منا رحمة انه ليؤس فإنه جواب القسم الذي هيأته اللام الا أنه مغن عن جواب الشرط وواقع موقعه ومثله قول الشاعر :

لَئِنْ عَادَ لي عَبْدُ الْعَزِيزِ بِمِثْلِهَا وَأَمْكَنَنِي مِنْهَا إذاً لا أُقِيلُهَا

أي والله لا أقيلها ولو كانت جواب ان لكان لا أقلها الذين صبروا في موضع نصب على الاستثناء من الانسان لأنه اسم الجنس فهو كقوله ﴿**إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا**﴾ وقال الزجاج والأخفش انه استثناء ليس من الأول والمعنى لكن الذين صبروا والأول قول الفراء .

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه حال الإنسان فيما قابل به نعمه من الكفر فقال ﴿**ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة**﴾ أي أحللنا به نعمة من الصحة والكفاية والسعة من المال والولد وغير ذلك من نعم الدنيا ﴿**ثم نزعناها منه**﴾ أي سلبنا تلك النعمة عنه إذا رأينا المصلحة فيه ﴿**إنه ليؤس**﴾ أي قنوط وهو الذي سنته وعادته اليأس ﴿**كفور**﴾ وهو الذي عادته كفران النعمة ومعنى الآية مصروف إلى الكفار الذين هذه صفتهم لجهلهم بالصانع الحكيم الذي لا يعطي ولا يمنع إلا لما تقتضيه الحكمة من وجوه المصالح ﴿**ولئن أذقناه**﴾ أي أحللنا به وأعطيناه ﴿**نعماء بعد ضراء مسته**﴾ أي بعد بلاء أصابته ﴿**ليقولن**﴾ عند نزول النعماء به ﴿**ذهب السيئات عني**﴾ أي ذهبت الخصال التي تسوء صاحبها من جهة نفور طبعه عنه وهو هاهنا بمعنى الشدائد والآلام والأمراض عني فلا تعود إلي ولا يؤدّي شكر الله عليها ﴿**إنه لفرح فخور**﴾ يفرح به ويفخر به على الناس فلا يصبر في المحنة ولا يشكر عند النعمة ﴿**إلا الذين صبروا**﴾ معناه إلا الذين قابلوا الشدة بالصبر والنعمة بالشكر ﴿**وعملوا الصالحات**﴾ أي واظبوا على الأعمال الصالحة ﴿**أولئك لهم مغفرة وأجر كبير**﴾ وهو الجنة .

﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ
أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ
وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ
بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ
إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ
أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٤﴾

[**اللغة**] ضائق وضيق بمعنى واحد إلا أن ضائق ههنا أحسن لوجهين (أحدهما) أنه عارض (والآخر) انه اشكل بقوله تارك والكنز المال المدفون سمي بذلك لاجتماعه وكل مجتمع من لحم وغيره مكتنز وصار في الشرع اسم ذمّ لكل مال لا يخرج منه حق الله تعالى من الزكاة وغيره وان لم يكن مدفوناً وافترى واختلق واخترق وخلق وخرص وخرق إذا كذب والاستجابة في الآية طلب الإجابة بالقصد إلى فعلها ويقال استجاب وأجاب بمعنى واحد والفرق بين الإجابة والطاعة إن الطاعة موافقة الإرادة الجاذبة إلى الفعل برغبة أو رهبة والإجابة موافقة الداعي إلى الفعل من أجل أنه دعا به .

[**الإعراب**] أن يقولوا في موضع نصب بأنه مفعول له وتقديره كراهة ان يقولوا فحذف المضاف وقيل ان يقولوا في موضع جرّ بدلاً من الهاء في قوله ضائق به صدرك أم يقولون افتراه أم هذه منقطعة ليست بالمعادلة وتقديره بل أيقولون افتراه وهو تقرير بصورة الاستفهام .

[**النزول**] روي عن ابن عباس أن رؤساء مكة من قريش أتوا رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد إن كنت رسولاً فحوّل لنا جبال مكة ذهباً أو ائتنا بملائكة يشهدون لك بالنبوة فأنزل الله تعالى فلعلك تارك الآية وروى العياشي بإسناده عن أبي عبد الله (ع) أن رسول الله ﷺ قال لعلي عليه السلام إني سألت ربي ان يؤاخي بيني وبينك ففعل وسألت ربي أن يجعلك وصيي ففعل فقال بعض القوم والله لصاع من تمر في شنّ بال أحب الينا مما سأل محمدٌ ربَّه فهلّا سأله ملكاً يعضده على عدوّه أو كنزاً يستعين به على فاقته فنزلت الآية .

[**المعنى**] ثم أمر سبحانه رسوله بالثبات على الأمر وحثّه على حجاج القوم بما يقطع العذر فقال ﴿**فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك**﴾ أي ولعلك تارك بعض القرآن وهو ما فيه سبُّ آلهتهم ولا تبلغهم إياه دفعاً لشرّهم وخوفاً منهم ﴿**وضائق به صدرك**﴾ أي ولعلك يضيق صدرك مما يقولونه وبما يلحقك من أذاهم وتكذيبهم وقيل باقتراحاتهم ﴿**أن يقولوا**﴾ أي كراهة ان يقولوا أو مخافة ان يقولوا ﴿**لولا أنزل عليه كنز**﴾ من المال ﴿**أو جاء معه ملك**﴾ يشهد له فليس قوله فلعلك على وجه الشك بل المراد به النهي عن ترك اداء الرسالة والحث على أدائها كما يقول احدنا لغيره وقد علم من حاله أنه يطيعه ولا يعصيه ويدعوه غيره إلى عصيانه لعلك تترك بعض ما آمرك به لقول فلان وإنما يقول ذلك ليوئس من يدعوه إلى ترك أمره فمعناه لا تترك بعض ما يوحى إليك ولا يضق صدرك بسبب مقالتهم هذه ﴿**إنما أنت نذير**﴾ أي منذر ﴿**والله على كل شيء وكيل**﴾ أي حفيظ يجلب النفع اليه ويدفع الضرر عنه ﴿**أم يقولون افتراه**﴾ معناه بل أيقولون اختلق القرآن واخترعه وأتى به من عند نفسه وقيل ان

ههنا محذوفاً وتقديره أيكذبونك فيما أتيتهم به من القرآن أم يقولون افتريته على ربك وحذف لدلالة ما أبقي على ما ألقي وعلى هذا فيكون أم هذه هي متصلة ﴿**قل**﴾ يا محمد لهم ﴿**فأتوا بعشر سور مثله مفتريات**﴾ أي ان كان هذا مفترى على الله كما زعمتم فاتوا أنتم بعشر سور مثله في النظم والفصاحة مفتريات على زعمكم فإن القرآن نزل بلغتكم وقد نشأت أنا بين أظهركم فإن لم يمكنكم ذلك فاعلموا أنه من عند الله تعالى وهذا صريح في التحدي وفيه دلالة على جهة اعجاز القرآن وانها هي البلاغة والفصاحة في هذا النظم المخصوص لأنه لو كان جهة الإعجاز غير ذلك لما قنع في المعارضة بالافتراء والاختلاق لأن البلاغة ثلاث طبقات فأعلى طبقاتها معجز وأدناها وأوسطها ممكن فالتحدي في الآية إنما وقع في الطبقة العليا منها ولو كان وجه الاعجاز الصرفة لكان الركيك من الكلام أبلغ في باب الاعجاز والمثل المذكور في الآية لا يجوز أن يكون المراد به مثله في الجنس لأن مثله في الجنس يكون حكايته فلا يقع بها التحدي وإنما يرجع ذلك إلى ما هو متعارف بين العرب في تحدي بعضهم بعضاً كما اشتهر من مناقضات امرىء القيس وعلقمة وعمرو بن كلثوم والحرث بن حِلزة وجرير والفرزدق وغيرهم وقوله ﴿**وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين**﴾ معناه ادعوهم ليعينوكم على معارضة القرآن إن كنتم صادقين في قولكم إني أفتريته ويريد بقوله من استطعتم من خالف نبينا محمداً ﷺ من جميع الأمم وهذا غاية ما يمكن في التحدي والمحاجة وفيه الدلالة الواضحة على اعجاز القرآن لأنه إذا ثبت ان النبي ﷺ تحداهم به وأوعدهم بالقتل والأسر بعد ان عاب دينهم وآلهتهم وثبت أنهم كانوا احرص الناس على ابطال أمره حتى بذلوا مهجهم وأموالهم في ذلك فإذا قيل لهم افتروا انتم مثل هذا القرآن وادحضوا حجته وذلك أيسر وأهون عليكم من كل ما تكلفتموه فعدلوا عن ذلك وصاروا إلى الحرب والقتل وتكلف الأمور الشاقة فذلك من أدلّ الدلائل على عجزهم إذ لو قدروا على معارضته مع سهولة ذلك عليهم لفعلوه لأن العاقل لا يعدل عن الأمر السهل إلى الصعب الشاق مع حصول الغرض بكل واحد منهما فكيف ولو بلغوا غاية أمانيهم في الأمر الشاق وهو قتله ﷺ لكان لا يحصل غرضهم من إبطال أمره فإن المحق قد يقتل فإن قيل لم ذكر التحدي مرة بعشر سور ومرة بسورة ومرة بحديث مثله فالجواب أن التحدي إنما يقع بما يظهر فيه الاعجاز من منظوم الكلام فيجوز أن يتحدى مرة بالأقل ومرة بالأكثر ﴿**فإن لم يستجيبوا لكم**﴾ قيل أنه خطاب للمسلمين والمراد فإن لم يجبكم هؤلاء الكفار إلى الاتيان بعشر سور مثله معارضة لهذا القرآن ﴿**فاعلموا**﴾ أيها المسلمون ﴿**إنما أنزل**﴾ القرآن ﴿**بعلم الله**﴾ عن مجاهد واختاره الجبائي وقيل هو خطاب للكفار وتقديره فإن لم يستجب لكم من تدعونهم

إلى المعاونة ولم يتهيأ لكم المعارضة فقد قامت عليكم الحجة وقيل ان الخطاب للرسول ﷺ أي فإن لم يجيبوك وذكره بلفظ الجمع تفخيماً والغرض التنبيه على اعجاز القرآن وانه المنزل من عند الله سبحانه على نبيه ﷺ وذكر في قوله بعلم الله وجوه (أحدها) ان معناه ان الله عالم به وبأنه حقّ منزل من عنده (وثانيها) ان معناه بعلم الله مواقع تأليفه في علوّ طبقته وانه لا يقدر أحد على معارضته (وثالثها) انه أنزله الله على علم بترتيبه ونظمه ولا يعلم غيره ذلك **﴿وإن لا إله إلا هو﴾** أي واعلموا أنه لا إله إلا هو لأن مثل هذا المعجز لا يقدر عليه إلا الله الواحد الذي لا إله إلا هو **﴿فهل أنتم مسلمون﴾** أي هل أنتم بعد قيام الحجة عليكم بما ذكرناه من كلام الله مستسلمون منقادون لتوحيده وهذا استفهام في معنى الأمر مثل قوله فهل أنتم منتهون .

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

[**القراءة**] روي في الشواذ قراءة أبي وابن مسعود وباطلاً ما كانوا يعملون .

[**الحجة**] الوجه فيه أن يكون باطلاً منصوباً بيعلمون وما مزيدة للتوكيد فكأنه قال وباطلاً كانوا يعملون ومثله قوله أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون .

[**اللغة**] الزينة تحسين الشيء بغيره من لبسة أو حلية أو هيئة يقال زانه يزينُه زينة وزيَّنه يزيِّنُهُ تزييناً والتوفية تأدية الحق على تمام والبخس نقصان الحق وكل ظالم باخس لأنه يظلم غيره بنقصان حقه وفي المثل « تحسبها حمقاء وهي باخس » .

[**الإعراب**] قال الفراء كان هذه هنا زائدة وتقديره من يرد الحياة الدنيا وقال غيره معناه ان يصح انه كانْ كقوله سبحانه ان كان قميصه قدَّ من دبر ولا يجوز مثل ذلك في غير كان لأنها أمّ الأفعال قال أبو علي الشرط والجزاء لا يقعان إلا فيما يستقبل فحرف الجزاء يحيل معنى الماضي إلى الاستقبال لا محالة ولو جاز وقوع الماضي بعدها على معناها لما جزمت ألا ترى ان لو لم تجزم وان كان فيها معنى الشرط والجزاء لوقوع الماضي بعدها على بابه نحو لو جئتني أمس لأكرمتك .

[**المعنى**] ﴿**من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها**﴾ أي زهرتها وحسن بهجتها ولا يريد الآخرة ﴿**نوّف إليهم أعمالهم فيها**﴾ أي نوفّر عليهم جزاء أعمالهم في الدنيا تاماً ﴿**وهم فيها لا يبخسون**﴾ أي لا ينقصون شيئاً منه واختلف في معناه فقيل ان المراد به المشركون الذين لا يصدّقون بالبعث يعملون أعمال البر كصلة الرحم واعطاء السائل والكف عن الظلم واغاثة المظلوم والأعمال التي يحسنها العقل كبناء القناطير ونحوه فإن الله يعجل لهم جزاء أعمالهم في الدنيا بتوسيع الرزق وصحة البدن والامتاع بما خوّلهم وصرف المكاره عنهم عن الضحاك وقتادة وابن عباس ويقال ان من مات منهم على كفره قبل استيفاء العوض وضع الله عنه في الآخرة من العذاب بقدره فأما ثواب الآخرة فلا حظّ لهم فيه وقيل المراد به المنافقون الذين كانوا يغزون مع النبي ﷺ للغنيمة دون نصرة الدين وثواب الآخرة جازاهم الله تعالى على ذلك بأن جعل لهم نصيباً في الغنيمة عن الجبائي وقيل ان المراد به أهل الرياء فإن من عمل عملاً من اعمال الخير يريد به الرياء لم يكن لعلمه ثواب في الآخرة ومثله قوله تعالى ﴿**ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب**﴾ وفي الحديث أن النبي ﷺ قال بشّروا امتي بالسناء والتمكين في الأرض ومن عمل منهم عملاً للدنيا لم يكن له نصيب في الآخرة ﴿**أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار**﴾ ظاهر المراد ﴿**وحبط ما صنعوا فيها**﴾ فلا يستحقُّون عليه ثواباً لأنهم أوقعوه على خلاف الوجه المأمور بإيقاعه عليه ﴿**وباطل ما كانوا يعملون**﴾ أي بطل أعمالهم التي عملوها لغير الله تعالى وهذا يحقق ما ذهبنا اليه من ان الاحباط عبارة عن ابطال نفس العمل بأن يقع على غير الوجه الذي يستحق به الثواب وذكر الحسن في تفسيره ان رجلاً من أصحاب النبي ﷺ خرج من عند أهله فإذا جارية عليها ثياب وهيئة فجلس عندها فقامت فأهوى بيده الى عارضها فمضت فأتبعها بصره ومضى خلفها فلقيه حائط فخمش وجهه فعلم أنه اصيب بذنبه فأتى رسول الله ﷺ فذكر له ذلك فقال أنت رجل عجَّل الله عقوبة ذنبك في الدنيا ان الله تعالى إذا أراد بعبد شراً أمسك عنه عقوبة ذنبه حتى يوافي به يوم القيامة وإذا أراد به خيراً عجَّل له عقوبة ذنبه في الدنيا .

[**النظم**] وجه اتصال الآية بما قبلها انه سبحانه لما قال ﴿**فهل أنتم مسلمون**﴾ فكأن قائلاً قال ان أظهرنا الإسلام لسلامة المال والنفس يكون ماذا فقال من أراد الدنيا دون الآخرة سواء أرادها باظهار الإسلام أو أرادها بسائر المساعي فسبيله هذا .

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ

بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ
إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ
فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ
كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ
ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ
يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ
كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ
لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟
يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى
ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾

[**اللغة**] البينة الحجة الفاصلة بين الحق والباطل والعرض اظهار الشيء بحيث يرى للتوقيف على حاله يقال عرضت الكتاب على فلان وعرضت الجند ومعنى العرض على الله أنهم يقفون في المقام الذي يريه العباد للمطالبة بالأعمال فهو كالعرض عليه سبحانه والاشهاد جمع شاهد فهو كصاحب واصحاب وقيل جمع شهيد كشريف واشراف والعوج العدول عن طريق الصواب يقال في الدين عِوج بالكسر وفي العصاء عَوج بالفتح فرقاً بين ما يرى وما لا يرى فجعلوا السهل للسهل والصعب للصعب أعني الفتح والكسر والاعجاز الامتناع عن المراد بما لا يمكن معه إيقاعه وحقيقة الاستطاعة القوة التي تنطاع بها الجارحة

للفعل ولذلك لا يقال في الله تعالى انه مستطيع واصل الجرم القطع ولا جرم تقديره لا قطع قاطع عن ذا إلا أنه كثر حتى صار كالمثل وهو قول الشاعر:

وَلَقَدْ طَعَنْتُ أبَا عُيَيْنَةَ طَعْنَةً جَرَمَتْ فَزَارَةَ بَعْدَهَا أنْ يَغْضِبُوا

أي قطعتهم الى الغضب فرواية الفراء في فزارة النصب والمعنى كسبتهم ان يغضبوا وروى غيره يرفعها بمعنى أن الفعل لها .

[**الإعراب**] من كان على بينة من ربه خبره محذوف وتقديره أفمن كان على بينة من ربه وعلى الأوصاف التي ذكرتها كمن لا بينة له ومثله ذف جواب لو في قوله

وَأُقْسِمُ لَوْ شَيْءٌ أتَانَا رَسُولُهُ سِوَاكَ ولٰكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعاً[1]

وكتاب موسى عطف على قوله ﴿**ويتلوه شاهد منه**﴾ أي وكان يتلوه كتاب موسى من قبله ونصب اماماً ورحمة على الحال لأن كتاب موسى معرفة وقوله ﴿**وهم بالآخرة هم كافرون**﴾ كرّر قوله هم مرتين كما قال ﴿**أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً انكم مخرجون**﴾ كرّر أنكم مرتين ووجهه انه لما طال الكلام كرّر مرة أخرى للتوكيد، لا جرم قال سيبويه جرم فعل ماض ولا ردٌّ لقولهم كقوله ﴿**وتصف ألسنتهم الكذب إن لهم الحسنى**﴾ لا جرم ان لهم النار قال لا أي ليس لهم الجنة ثم قال جرم أي كسبهم قولهم ان لهم الحسنى ان لهم النار، وقيل جرم بمعنى وجب أي وجب أن لهم النار .

[**المعنى**] ﴿**أفمن كان على بينة من ربه**﴾ استفهام يراد به التقرير وتقديره هل الذي كان على برهان وحجة من الله والمراد بالبينة هنا القرآن والمعنى بقوله أفمن كان على بينة النبي ﷺ وقيل المعني به كل محق يدين بحجة وبينة لأن من يتناول العقلاء وقيل هم المؤمنون من أصحاب محمد ﷺ عن الجبائي ﴿**ويتلوه شاهد منه**﴾ أي ويتبعه من يشهد بصحته منه واختلف في معناه فقيل الشاهد جبرائيل (ع) يتلو القرآن على النبي ﷺ من الله تعالى عن ابن عباس ومجاهد والزجاج وقيل شاهد من الله تعالى محمد ﷺ وروي ذلك عن الحسين بن علي عليهما السلام وابن زيد واختاره الجبائي وقيل شاهد منه لسانه أي يتلو القرآن بلسانه عن محمد بن علي اعني ابن الحنفية والحسن وقتادة وقيل الشاهد منه علي بن أبي طالب عليه السلام يشهد للنبي ﷺ وهو منه وهو المروي عن أبي جعفر وعلي بن موسى

(١) وفي التبيان «عنك مدفعاً» .

الرضا عليهما السلام ورواه الطبري باسناده عن جابر بن عبد الله عن علي عليه السلام وقيل الشاهد ملك يحفظه ويسدّده عن مجاهد وقيل بينة من ربه حجة من عقله وأضاف البينة إليه تعالى لأنه ينصب الأدلة العقلية والشرعية ويتلوه شاهد منه يشهد بصحته وهو القرآن عن أبي مسلم ﴿ومن قبله﴾ أي ومن قبل القرآن لأنه مدلول عليه فيما تقدم من الكلام وقيل معناه ومن قبل محمدﷺ ﴿كتاب موسى﴾ يتلوه أيضاً في التصديق لأن النبيﷺ بشّر به موسى في التوراة ﴿إماماً﴾ يؤتم به في أمور الدين ﴿ورحمة﴾ أي ونعمة من الله تعالى على عباده وقيل معناه ذا رحمة أي سبب الرحمة لمن آمن به ﴿أُولئك يؤمنون به﴾ معناه أُولَئك الذين هم على بينة من ربهم يؤمنون بالقرآن وقيل بمحمدﷺ وتقدير الآية أفمن كان على بينة من ربه وبصيرة كمن ليس على بينة ولا بصيرة إلا أنه اختصر وقيل تقديره أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه على صدقه ويتقدمه شاهد فآمن بهذا كله كمن أراد الحياة الدنيا وزينتها ولم يؤمن ثم أخبر عنه فقال أولئك يؤمنون به وقوله ﴿ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده﴾ معناه ومن يكفر بالقرآن أو بمحمدﷺ من مشركي العرب وفرق الكفار كاليهود والنصارى وغيرهم فالنار موعده ومصيره ومستقره وفي الحديث ان النبيﷺ قال لا يسمع بي أحد من الأمة لا يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي إلا كان من أصحاب النار ﴿فلا تك في مرية﴾ أي في شك ﴿منه﴾ الخطاب للنبي ﷺ والمراد جميع المكلفين وقيل ان تقديره لا تك ايها الانسان أو أيها السامع في مرية من ربك أي من أمره وإنزاله ﴿إنه الحق من ربك﴾ الهاء راجع الى القرآن وقيل الى محمد ﷺ وقيل معناه ان الخبر الذي أخبرتك به حقٌّ من عند الله تعالى ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ بصحته وصدقه لجهلهم بالله تعالى وجحدهم لنبوة نبيه ﷺ ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ أي لا أحد أظلم منه إلا أنه خرج مخرج الاستفهام ليكون أبلغ ﴿أولئك يعرضون على ربهم﴾ يوم القيامة أي يوقفون موقفاً يراهم الخلائق للمطالبة بما عملوا ويسألون عن أعمالهم ويجازون عليها ﴿ويقول الأشهاد﴾ يعني الملائكة يشهدون على العباد وهم الحفظة عن مجاهد وقيل هم الأنبياء عن الضحاك وقيل هم شهداء كل عصر من أئمة المؤمنين ﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم﴾ أي كذبوا على رسل ربهم وأضافوا الى الله ما لم ينزله ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾ هذا ابتداء خطاب من الله تعالى وقيل هو من كلام الاشهاد ومعناه ألا لعنة الله على الذين ظلموا أنفسهم بإدخال الضرر عليها وغيرهم بإحلال الآلام عليهم ولعنة الله ابعاده من رحمته ثم وصف سبحانه الظالمين الذين لعنهم فقال ﴿الذين يصدُّون عن سبيل الله﴾ أي يغوون الخلق ويصرفونهم عن دين الله وقد يكون ذلك بإلقاء الشبهة اليهم وقد يكون أيضاً بالترغيب والترهيب والاطماع

والتهديد وغير ذلك وانما جاز تمكين الصاد عن سبيل الله من هذا الفساد لأنه مكلف بالامتناع منه وليس في منعه لطف بأن ينصرف عن الفساد الى الصلاح فهو كشهوة القبيح الذي به يصحُّ التكليف **﴿ويبغونها عوجاً﴾** أي ويطلبون لسبيل الله زيغاً عن الاستقامة وعدولاً عن الصواب وقيل ان بغيهم العوج هي زيادتهم ونقصانهم في الكتاب ليتغير الأدلة ولا يستقيم صفة النبي ﷺ كما كان يفعلها اليهود وقيل هي ايرادهم الشبه وكتمانهم المراد وتحريفهم التأويل **﴿وهم بالآخرة﴾** أي بالقيامة والبعث والنشور والثواب والعقاب **﴿هم كافرون﴾** أي جاحدون غير مقرّين **﴿أولئك لم يكنوا معجزين في الأرض﴾** أخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار الذين وصفهم بأن عليهم لعنة الله وانهم الذين يصدُّون عن سبيل الله بأنهم لم يكونوا فائتين في الأرض هرباً فيها من الله تعالى إذا أراد اهلاكهم كما يهرب الهارب من عدو قد جدَّ في طلبه وإنما خصَّ الأرض بالذكر وان كانوا لا يفوتون الله ولا يخرجون عن قبضته على كل حال لأن معاقل الأرض هي التي يهرب اليها البشر ويعتصمون بها عند المخاوف فكأنه سبحانه نفى أن يكون لهؤلاء الكفار عاصم منه ومانع من عذابه **﴿وما كان لهم من دون الله من أولياء﴾** معناه أنه ليس لهم من ولي ولا ناصر ينصرونهم ويحمونهم من الله سبحانه مما يريد ايقاعه بهم في الدنيا من المكاره وفي الآخرة من انواع العذاب **﴿يضاعف لهم العذاب﴾** قيل في معناه وجوه (أحدها) أنه لا يقتصر بهم على عذاب الكفر بل يعاقبون عليه وعلى سائر المعاصي كما قال في موضع آخر زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون (وثانيها) ان معناه أنه كلما مضى ضرب من العذاب يعقبه ضرب آخر من العذاب مثله أو فوقه كذلك دائماً مؤبداً وكل ذلك على قدر الاستحقاق (وثالثها) انه يضاعف العذاب على رؤسائهم لكفرهم وظلمهم انفسهم ولدعائهم الاتباع اليه وهو عذاب الضلال وعذاب الصدِّ عن الدين **﴿ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون﴾** فيه وجوه (أحدها) يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون وبما كانوا يستطيعون الإبصار فلا يبصرون عناداً وذهاباً عن الحق فأسقطت الباء عن الكلام كما في قول الشاعر

نُغالي اللَّحْمَ لِلأَضْيافِ نيّاً   وَنُبْذِلُهُ إِذا نَضَجَ القُدُور[١]

أراد نغالي باللحم عن الفراء والبلخي وهذا وجه رابع من معنى قوله **﴿ يضاعف لهم العذاب ﴾** (وثانيها) أنه لاستثقالهم استماع آيات الله وكراهتهم تذكرها وتفهمها جروا مجرى

---

(١) مر البيت في صفحة ١٠ من هذا الجزء .

من لا يستطيع السمع وإن أبصارهم تنفعهم مع أعراضهم عن تدبر الآيات فكأنهم لم يبصروا ومما يجري هذا المجرى قول الأعشى :

وَدِّعْ هُـرَيْـرَةَ إنَّ الـرَّكْـبَ مُـرْتَحِـلُ وَهَـلْ تُـطِيقُ وِداعـاً أيُّهَـا الـرَّجُـلُ

وقد علمنا أن الأعشى كان يقدر على الوداع وإنما نفى الطاعة عن نفسه من حيث الكراهية والاستثقال (وثالثها) أنه إنما عنى بذلك آلهتهم وأوثانهم وتقدير الكلام أُولئك الكفار وآلهتهم لم يكونوا معجزين في الأرض يضاعف لهم العذاب وقال مخبراً عن الآلهة ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وروي ذلك عن ابن عباس وفي أُدنى بعد (ورابعها) إن ما هنا ليست للنفي بل تجري مجرى قولهم لأواصلنك ما لاح نجم والمعنى أنهم معذَّبون ما داموا أحياء ﴿ **أولئك الذين خسروا أنفسهم** ﴾ من حيث فعلوا ما استحقُّوا به العقاب فهلكوا فذلك خسران أنفسهم وخسران النفس أعظم الخسران لأنه ليس عنها عوض ﴿ **وضل عنهم ما كانوا يفترون** ﴾ مضى بيانه مراراً ﴿ **لا جرم** ﴾ قال الزجاج لا نفي لما ظنوا أنه ينفعهم كأن المعنى لا ينفعهم ذلك جرم ﴿ **أنهم في الآخرة هم الأخسرون** ﴾ أي كسب ذلك الفعل لهم الخسران وقال غيره معناه لا بدَّ ولا محالة أنهم وقيل معناه حقاً ويستعمل في أمر يقطع عليه ولا يرتاب فيه أي لا شك أن هؤلاء الكفار هم أخسر الناس في الآخرة .

[**النظم**] إتصلت الآية الأولى بقوله ﴿ **قل فأتوا بعشر سور** ﴾ مثله والمراد أنهم إذا لم يأتوا بذلك فقل لهم أفمن كان على بينة كمن لا يكون معه بينة وقيل إتصلت بقوله ﴿ **من كان يريد الحياة الدنيا** ﴾ أي من كان مجتهداً في الدين كمن كان همُّه الحياة الدنيا وزينتها ووجه إتصال الآية الثانية وهي قوله ﴿ **ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً** ﴾ أنه سبحانه أراد أن يبيِّن حال العاقل والغافل فكأنهم قالوا وما يضرُّنا أن لا نعرف ذلك فأجيبوا بأنَّ من لا يعرف الله لا يأمن أن يكذب على الله ومن أظلم ممن كذب على الله .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾

[**اللغة**] الإخبات للطمأنينة وأصله الأستواء من الخبت وهو الأرض المستوية الواسعة فكأن الإخبات خشوع مستمر على استواء فيه والمثل قول سائر يشبه فيه حال الثاني بحال الأول والعمى عبارة عن فساد آلة الرؤية وليس بمعنى يضاد الإبصار وكذلك الصمم عبارة عن فساد آلة السمع لأن الصحيح إن الإدراك أيضاً ليس بمعنى .

[**المعنى**] لمّا تقدَّم ذكر الكفار وما أعد الله لهم من العذاب عقَّبه سبحانه بذكر المؤمنين فقال ﴿ **إن الذين آمنوا** ﴾ أي صدَّقوا الله ورَسوله واعتقدوا وحدانيته ﴿ **وعملوا الصالحات** ﴾ التي أمرهم الله تعالى بها ورغَّبهم فيها ﴿ **واخبتوا إلى ربهم** ﴾ أي أنابوا وتضرَّعوا إليه عن ابن عباس وقيل معناه اطمأنُّوا إلى ذكره عن مجاهد وقيل خضعوا له وخشعوا إليه عن قتادة والكل متقارب وقيل إن معناه واخبتوا لربهم فوضع إلى موضع اللام كما قال سبحانه أوحي لها بمعنى أوحي إليها وقال ينادي للإيمان ﴿ **أُولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون** ﴾ ظاهر المعنى ثم ضرب سبحانه مثلاً للمؤمنين والكافرين فقال ﴿ **مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع** ﴾ أي مثل فريق المسلمين كالبصير والسميع ومثل فريق الكافرين كالأعمى والأصم لأن المؤمن ينتفع بحواسه لاستعماله إياها في الدين والكافر لا ينتفع بها فصارت حواسه بمنزلة المعدوم وإنما دخل الواو ليبين أن حال الكافر كحال الأعمى على حدة وكحال الأصم على حدة وحال من يكون قد جمع بين الصفتين جميعاً ﴿ **هل يستويان مثلاً** ﴾ أي هل يستوي حال الأعمى الأصم وحال البصير السميع عند عاقل فكما لا تستوي هاتان الحالتان عند العقلاء كذلك لا تستوي حال الكافر والمؤمن ﴿ **أفلا تذكرون** ﴾ أي أفلا تتفكرون في ذلك فتسلموا صحة ما ذكرناه .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا
إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّيٓ
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ
أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ

كَـٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى
وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا
كَـٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾

[**القراءة**] قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة إني لكم بكسر الهمزة والباقون أني بفتحها وقرأ أبو عمرو ونصر عن الكسائي بادىء الرأي بالهمزة وقرأ الباقون بادي الرأي بالياء غير مهموز وقرأ أهل الكوفة غير أبي بكر فعُمِّيت بضم العين وتشديد الميم والباقون فعَمِيت بفتح العين مخففاً .

[**الحجة**] قال أبو علي من فتح أنّي فإنه يحملها على أرسلنا أي أرسلناه بأني لكم نذير مبين فإن قيل لو كان محمولاً عليه لكان أنه لأن نوحاً إسم للغيبة قيل هذا لا يمتنع لأن الخطاب بعد الغيبة في نحو هذا سائغ ألا ترى قوله ﴿ **وكتبنا له في الألواح** ﴾ ثم قال ﴿ **فخذها بقوة** ﴾ ومن كسر فالوجه فيه أنه حمله على القول المضمر لأنه مما قد أضمر كثيراً في القرآن قال سبحانه ﴿ **والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام** ﴾ أي يقولون سلام وقال ﴿ **والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى** ﴾ أي قالوا ما نعبدهم فإن قلت فهلا رجحت قراءة من قرأ إن على قراءة من كسر لأن قوله ﴿ **ألا تعبدوا** ﴾ محمول على الإرسال وإذا فتحت إن كان أشكل بما بعدها لحملها جميعاً على الإرسال يقال لك إنَّ مَنْ كسر قال يجوز أن يكون قوله إني لكم وما بعده محمولاً على الاعتراض بين المفعول وما يتصل به مما بعده كما كان في قوله ﴿ **قل إن الهدى هدى الله** ﴾ إعتراضاً بينهما في قوله ﴿ **ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم** ﴾ فكذلك قوله ﴿ **إني لكم نذير مبين** ﴾ لأن التقدير ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه أن لا تعبدوا إلا الله وأما قوله ﴿ **بادي الرأي** ﴾ فقد حكى أبو علي عن الجبائي أنه قال يقال أنت بادي الرأي يريد ظاهر الرأي لا يهمز بادي وبادىء الرأي مهموز فمن لم يهمز أراد أنت فيما بدا من الرأي أي أنت ظاهر الرأي ومن همر أراد أنت أول الرأي ومبتدأه قال أبو علي المعنى فيمن قال بادي الرأي بلا همز فجعله من بدا الشيء إذا ظهر أي ما إتبعك إلا الأراذل فيما ظهر لهم من الرأي إن لم يتعقبوه ينظر فيه ولا يبيّن لهم ومن همز أراد إتبعوك في أول الأمر من غير أن يتبعوا الرأي بفكر وروية فيه وهاتان الكلمتان يتقاربان في المعنى لأن الهمزة في اللام معناه إبتداء الشيء وأوله واللام إذا كانت واوا كان المعنى الظهور وابتداء الشيء يكون ظهوراً وان كان الظهور قد يكون ابتداء وغير ابتداء فلذلك

يستعمل كل واحد مكان الآخر وجاز في إسم الفاعل أن يكون ظرفاً كما جاز في فعيل نحو قريب ومليء لأن فاعلاً وفعيلاً يتعاقبان على لمعنى نحو عالم وعليم وشاهد وشهيد وحسن ذلك إضافته إلى الرأي وقد أجروا المصدر أيضاً في إضافته إليه في قولهم أما جهد رأي فإني منطلق فهذا لا يكون إلا ظرفاً وفعلٌ إذا كان مصدراً وفاعل قد يتفقان في أشياء وقد يجوز في قول من همز فقال بادي الرأي إذا خفف الهمز أن يقول بادي الرأي فيقلب الهمزة ياء لانكسار ما قبلها فيكون كقولهم مير في جمع ميرة وذيب في جمع ذيبة والعامل في هذا الظرف هو قولك إتبعك التقدير ما إتبعك في أول رأيهم أو فيما ظهر من رأيهم إلا أراذلنا فأخّر الظرف وأوقع بعد إلا الظرف ولو كان بدل الظرف غيره لم يجز ألا ترى أنك لو قلت ما أعطيت أحداً إلا زيداً درهماً فأوقعت بعد إلا إسمين لم يجز لأن الفعل أو معنى الفعل في الاستثناء يصل إلى ما إنتصب به بتوسط الحرف ولا يصل الفعل بتوسط الحرف إلى أكثر من مفعول ألا ترى أنك إذا قلت استوى الماء والخشبة فنصبت الخشبة لم يجز أن تتبعه اسماً آخر تنصبه فكذلك المستثنى إذا ألحقته إلا وأوقعت بعدها اسماً مفرداً لم يجز أن تتبعه آخر ولو قلت ما ضرب القوم إلا بعضهم بعضاً لم يجز وتصحيحها ما ضرب القوم أحداً إلا بعضهم بعضاً تبدل الإسمين بعد إلا من الإسمين قبلها قال جامع العلوم البصير النحوي إن أبا علي حمل بادي الرأي هنا على أنه ظرف لما قبله ثم رجع عن مثله في قوله ﴿ **وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب** ﴾ فحمله على فعل آخر دلَّ عليه يكلّمه على تقدير أو يكلمه الله من وراء حجاب قال والظرف في الآيتين عندنا محمول على الفعل قبل إلا لأن الظرف قد يكتفي فيه برائحة الفعل إنتهى كلامه وأقول إن ما قاله فيه نظر لأن أبا علي قال في تلك الآية لا يعمل ما قبل الاستثناء إذا كان كلاماً تاماً فيما بعده وليس ما قبل إلا في هذه الآية كلاماً تاماً فإن قوله ﴿ **الذين هم اراذلنا** ﴾ فاعل لقوله ﴿ **اتبعك** ﴾ فلذلك فرق بين الموضعين رجع كلام أبي علي وأما تحقيق الهمزة وتخفيفها في الرأي فأهل تحقيق الهمزة يخففونها وأهل التخفيف يبدلون منها الألف وكذلك ما أشبهه من نحو الباس والراس والفاس ومن قرأ فعَمِيت بالتخفيف يقوي قوله ﴿ **اجتماعهم** ﴾ على التخفيف في قوله سبحانه ﴿ **فعميت عليهم الأنباء** ﴾ وهذه مثلها ويجوز في قوله فعميت أمران أحدهما أن يكون عموهم عنها الآن والرحمة لا تعمي وإنما يعمى عنها فيكون كقولهم أدخلت القلنسوة في رأسي ونحو ذلك مما يقلب إذا لم يكن فيه أشكال وفي التنزيل فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله وقال الشاعر :

تَـرَى الثَّوْرَ فِيهَا مُـدْخِلَ الـظِّلِ رَأْسَهُ وَسَـائِـرُهُ بَـادٍ إِلَى الشَّمْسِ أَجْمَعُ(١)

(١) أي فدخل الثور رأسه في الظل فقلب في الكلام .

والآخر أن يكون بمعنى خفيت كقول الشاعر :

وَمَهْمَهٍ أطْرَافُهُ فِي مَهْمَهٍ أَعْمى الهُدىٰ بِالحَائِرِينَ العُمَّهِ (١)

أي خفي الهدى لأن الهدى ليس بذي جارحة تلحقها هذه الآفة ومن هذا يقال للسحاب العماء لإخفائه ما يخفيه كما قيل له الغمام ومن هذا قول الشاعر « وَلٰكِنّنِي عَنْ عِلْمِ مٰا فِي غَدٍ عَمِ »(٢) قال وقولهم أتاني صَكَّةَ عُمَيٍّ إذا أتى في الهاجرة وشدة الحر يحتمل عندنا تأويلين (أحدهما) أن يكون المصدر أضيف إلى العمى كما قالوا ضرب التلف أي الضرب الذي يحدث عنه التلف (والآخر) أن يكون عُمَيّ تصغير أعمى على وجه الترخيم وأضيف المصدر إلى المفعول به كقولك من دعاء الخير والتقدير صكة الحر الأعمى والمعنى أن الحر من شدته كأنه يعمي من أصابه(٣) والمصدر في الوجهين ظرف نحو مقدم الحاج وخفوق النجم ومن قرأ عميت إعتبر قراءة أبي والأعمش فعماهما عليكم وإسناد الفعل إلى المفعول به في عميت قريب من عمى هنا في المعنى .

[**اللغة**] الرذل الخسيس الحقير من كل شيء والجمع أرذل ثم يجمع على أراذل كقولك كلب واكلب واكالب ويجوز أن يكون جمع الأرذل فيكون مثل أكابر جمع الأكبر والرأي الرؤية من قوله ﴿ **يرونهم مثليهم** ﴾ رأي العين أي رؤية العين والرأي أيضاً ما يراه الإنسان في الأمر وجمعه آراء .

[**الإعراب**] أن لا تعبدوا إلا الله يحتمل أن يكون موضع تعبدوا من الإعراب نصباً بأن ويحتمل أن يكون جزماً بالنهي وقوله ﴿ **عذاب يوم أليم** ﴾ يجوز أن يكون تقديره يوم أليم عذابه فحذف المضاف الذي هو عذاب وأقيم المضاف إليه الذي هو الضمير مقامه فاستكن في أليم ويجوز أن يكون وصف اليوم بالألم لأن الألم فيه يقع ويجوز في غير القراءة أليماً فيكون صفة لعذاب وقوله اتبعك وفاعله الذي هو الذين هم أراذلنا في موضع نصب بأنه مفعول ثان لنريك إن كان بمعنى نعلمك وفي موضع الحال إن كان من رؤية العين وقوله ﴿ **أنلزمكموها** ﴾ فيه ثلاث ضمائر ضمير المتكلم وضمير المخاطب وضمير الغائب فجاءت على أحسن ترتيب بدأ بالمتكلم لأنه أخصّ بالفعل ثم بالمخاطب ثم بالغائب ولو أتى بالمنفصل لجاز لتباعده من العامل بما فرّق بينه وبينه فأشبه ما ضربت إلا إياك وما ضربني إلا

(١) قائله رؤبة بن العجاج والمهمه : المفازة لا ماء فيها .

(٢) قائله زهير في المعلقة وقبله « وأعلم علم اليوم والأمس قبله » .

(٣) وفي هذا المثل أقوال أخر ذكرها في اللسان في مادة « عم » فراجع .

أنت وأجاز الفراء أنلزمكموها بتسكين الميم جعله بمنزلة عضد وعضد وكبد وكبد ولا يجوز ذلك عند البصريين وإنما يجيزون ذلك في ضرورة الشعر كقول امرىء القيس :

فَـالْيَـوْمَ أَشْـرَبْ غَيْـرَ مُسْتَحْقِـبٍ إِثْـمـاً مِـنَ اللهِ وَلَا وَاغِـلِ (١)

وكقول الآخر :

وَنَـاعٍ يُـخَـبِّـرْنَـا بِـمَـهْـلِكِ سَـيِّـدٍ تَـقَـطَّعَ مِنْ وَجْـدٍ عَـلَيْـهِ الأَنَـامِـلُ

وقول الآخر « إذا إعوججن قلت صاحب قوم » يريد صاحب قوم .

[**المعنى**] لمّا تقدَّم ذكر الوعد والوعيد والترغيب والترهيب عقَّب ذلك سبحانه بذكر اخبار الأنبياء تأكيداً لذلك وتخويفاً للقوم وتسلية للنبيﷺ وبدأ بقصة نوح (ع) فقال ﴿**ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إني لكم نذير مبين**﴾ وقد مرَّ بيانه ﴿ **أن لا تعبدوا إلا الله** ﴾ أي أنذركم أن لا تعبدوا إلا الله عن الزجاج يريد لأن توحدوا الله وتتركوا عبادة غيره وبدأ بـالدعـاء إلى الإخلاص في العبادة وقيل أنه دعاهم إلى التوحيد لأنه من أهمّ الأمور إذ لا يصح شيء من العبادات إلا بعد التوحيد ﴿ **إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم** ﴾ إنما قال أخاف مع أن عقاب الكفار مقطوع عليه لأنه لم يعلم ما يؤل إليه عاقبة أمرهم من إيمان أو كفـر وهذا لـطف في الاستدعاء وأقرب إلى الإجابة في الغالب ﴿ **فقال الملأ الذين كفروا من قومه** ﴾ أي من قوم نوح لنوح (ع) ﴿ **ما نراك إلا بشراً مثلنا** ﴾ ظنّاً منهم أن الرسول إنما يكـون من غير جنس المرسل إليه ولم يعلموا أن البعثة من الجنس قد تكون أصلح ومن الشبهة أبعد ﴿ **وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا** ﴾ أي لم يتبعك المـلأ والأشراف والـرؤساء منـا وإنما إتبعـك أخساؤنا الذين لا مال لهم ولا جاه ﴿ **بادي الرأي** ﴾ أي في ظاهر الأمر والرأي لم يتدبروا ما قلت ولم يتفكروا فيه وقال الزجاج معناه إتبعوك في الظاهر وباطنهم على خلاف ذلك ومن قرأ بالهمز فالمعنى أنهم إتبعوك إبتداء الرأي أي حين إبتدأوا ينظرون ولو فكَّروا لم يتبعوك وقيل معناه إن في مبتدأ وقوع الرؤية عليهم يعلم أنهم أراذلنا وأسافلنا ﴿ **وما نرى لكم علينـا من فضل** ﴾ أي وما نرى لك ولقـومك علينـا من فضل فـإن الفضل إنمـا يكون في كثـرة المال والمنزلة في الدنيا والشرف في النسب وإنما قالوا ذلك لأنهم جهلوا طريقـة الاستدلال ولـو استدلوا بالمعجزات الدالة على نبوته لعلموا أنه نبي وإن من آمن به مؤمن ومن خالفه كافـر

(١) وفي ديوانه « فاليوم أسقى ا . هـ » .

وعرفوا حقيقة الفضل وهكذا عادة أرباب الدنيا يستحقرون أرباب الدين إذا كانوا فقراء ويسترذلونهم وإن كانوا هم الأكرمين الأفضلين عند الله سبحانه ﴿ **بل نظنكم كاذبين** ﴾ هذا تمام الحكاية عن كفار قوم نوح قالوه لنوح ومن آمن به ﴿ **قال** ﴾ نوح لقومه ﴿ **يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي** ﴾ أي على برهان وحجة يشهد بصحة النبوة وهي المعجزة وقال ابن عباس على بينة أي على يقين وبصيرة ومعرفة من ربوبية ربي وعظمته واختلف في قول نوح (ع) هذا أنه جواب عماذا فقيل أنه جواب عن قولهم بل نظنكم كاذبين فكأنه قال إن تظنوني كاذباً فما تقولون لو كنت على خلافه وعلى حجة من ربي واضحة ألا تصدقونني وقيل بل هو جواب عن قولهم ما نراك إلا بشراً مثلنا أي وإن كنت بشراً فماذا تقولون إذا أتيتكم بحجة دالة على صدقي ألا تصدقونني وفيه بيان أن الرسالة إنما تظهر بالمعجزة فلا معنى لاعتبار البشرية وقيل هو جواب عن قولهم﴿**ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا**﴾ فكأنه قال إنهم اعتصموا بالله وبما آتاهم من البينة والرحمة فنالوا بذلك الرفعة والفضل وأنتم قنعتم بالدنيا الدنية الفانية فأنتم في الحقيقة الأراذل لا هم وقيل هو جواب عن قولهم وما نرى لكم علينا من فضل فكأنه قال لا تتبعوا المال والجاه فإن الواجب اتباع الحجة والدلالة ويجوز أن يكون جواباً عن جميع ذلك ﴿ **وآتاني رحمة من عنده** ﴾ ردَّ عليهم بهذا جميع ما ادّعوه والرحمة والنعمة هي ههنا النبوة أي وأعطاني نبوة من عنده ﴿ **فعميت عليكم** ﴾ أي خفيت عليكم لقلة تدبركم فيها ﴿ **أنلزمكموها وأنتم لها كارهون** ﴾ أي أتريدون مني أن أكرهكم على المعرفة وألجئكم إليها على كره منكم هذا غير مقدور لي والهاء كناية عن الرحمة فيدخل فيها النبوة والدين وسائر النعم وقيل معناه أنلزمكم قبولها فحذف المضاف ويجوز أن يكون الهاء كناية عن البينة ويكون المراد أن عليَّ أن أدلَّكم بالبينة وليس علي ان اضطرَّكم إلى معرفتها .

﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ
وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ
قَوۡمًا تَجۡهَلُونَ ٢٩ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ٣٠ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ
وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن

يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾

[اللغـة] الطرد الإبعـاد على جهة الهـوان وتطارد الأقـوال حمل بعضهـا على بعض والازدراء الاحتقار إفتعال من الزراية يقال زريت عليه إذا عبته وأزرت به إذا قصرت به قـال الشاعر .

رَأَوْهُ فَـازْدَرَوْهُ وَهْـوَ خِـرْقٌ وَيَـنْفَـعُ أَهْلَهُ الـرَّجُـلُ الْقَبِيـحُ
وَلَـمْ يَخْشَـوْا مَـقَـالَـتَـهُ عَـلَيْـهِـمْ وَتَحْتَ الـرَّغْـوَةِ اللَّبَنِ الصَّـرِيـحُ(١)

[المعنى] ثم أنكر نوح استثقالهم التكليف والعاقل إنما يستثقل الأمر إذا ألزمته مؤنة ثقله فقطع هذا العذر بقوله ﴿ **ويا قوم لا اسألكم عليه مالا** ﴾ أي لا أطلب منكم على دعائكم لى الله أجراً فتمتنعون من إجابتي خوفاً من أخذ المال ﴿ **إن أجري إلا على الله** ﴾ أي ما ثوابي وما أجري في ذلك إلا على الله ﴿ **وما أنا بطارد الذين آمنوا** ﴾ أي لست أطرد المؤمنين من عندي ولا أبعدهم على وجه الإهانة وقيل أنهم كانوا سـألوه طـردهم ليؤمنوا لـه أنفة من أن يكونوا معهم على سواء عن ابن جريج والزجاج ﴿ **أنهم ملاقوا ربهم** ﴾ وهذا يدل على أنهم سألوه طردهم فأعلمهم أنه لا يطردهم لأنهم ملاقوا ربهم فيجازي من ظلمهم وطردهم بجزائه من العذاب عن الزجاج وقيل معناه أنهم ملاقوا ثواب ربهم فكيف يكونون أراذل وكيف يجوز طردهم وهم لا يستحقون ذلـك عن الجبائي ﴿ **ولكني أراكم قـوماً تجهلون** ﴾ الحق وأهله وقيل معناه تجهلون أن الناس إنما يتفاضلون بالدين لا بالدنيا وقيل تجهلون فيما تسألون من طرد المؤمنين ﴿ **ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم** ﴾ معناه من يمنعني من عذاب الله إن أنا طردت المؤمنين فكانوا خصمائي عند الله في الآخرة ﴿ **أفلا تذكرون** ﴾ أي أفلا تتفكرون فتعلمون أن الأمر على ما قلته وفرَّق علي بن عيسى بين التفكر والتذكر بأن التذكر طلب معنى قد كان حاضراً للنفس والتفكر طلب معرفة الشيء بالقلب وإن لم يكن حاضراً للنفس وليست النصرة المذكورة في الآية من الشفاعة في شيء لأن النصرة هي المنع على وجـه المغالبة والقهـر والشفاعـة هي المسألـة على وجه الخضـوع فلا دلالـة في الآية على نفي الشفـاعة

(١) الخرق ـ بالكسر ـ : الكريم السخي . والرغوة من اللبن : ما عليه من الزبد . يعني رأوا ظاهره القبيح وغفلوا عن باطنه فاحتقروه .

للمذنبين على ما قاله بعضهم ﴿ ولا أقول لكم عندي خزائن الله ﴾ هذا تمام الحكاية عما قاله نوح لقومه ومعناه أني لا أرفع نفسي فوق قدرها فأدّعي أن عندي مقدورات الله تعالى فأفعل ما أشاء وأعطي ما أشاء وأمنع من أشاء عن الجبائي وأبي مسلم وقيل خزائن الله مفاتيح الله في الرزق وهذا جواب لقولهم ما نراك إلا بشراً مثلنا أو قولهم وما نرى لكم علينا من فضل ﴿ ولا أعلم الغيب ﴾ أي ولا أدَّعي علم الغيب حتى أدُلكم على منافعكم ومضاركم وقيل لا أعلم الغيب فأعلم ما تسرُّونه في نفوسكم فيكون جواباً لقولهم إن هؤلاء الذين آمنوا بك إتبعوك في ظاهر ما ترى منهم أي فسبيلي قبول إيمانهم الذي ظهر لي ولا يعلم ما يضمرونه إلا الله تعالى ﴿ ولا أقول إني ملك ﴾ فأخبركم بخبر السماء من قبل نفسي وإنما أنا بشر لا أعلم الأشياء من غير تعليم الله تعالى وقيل معناه لا أقول إني روحاني غير مخلوق من ذكر وأُنثى بل أنا بشر مثلكم خصَّني الله بالرسالة ﴿ ولا أقول للذين تزدري أعينكم ﴾ أي لا أقول لهؤلاء المؤمنين الذين تستقلُّونهم وتستخفُّونهم وتحتقرهم أعينكم لما ترون عليهم من زيٍّ الفقراء ﴿ لن يؤتيهم الله خيراً ﴾ أي لا يعطيهم الله في المستقبل خيراً على أعمالهم ولا يثيبهم عليها بل أعطاهم الله كل خير في الدنيا من التوفيق ويعطيهم كل خير في الآخرة من الثواب ﴿ الله أعلم بما في أنفسهم ﴾ أي بما في قلوبهم من الإخلاص وغيره ﴿ إني إذاً لمن الظالمين ﴾ إن طردتهم ، تكذيباً لظاهر إيمانهم أو قلت فيهم غير ما أعلم .

﴿ قَالُوا۟ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾

[اللغة] الجدال والمجادلة المقابلة بما يفتل الخصم من مذهبه بحجة أو شبهة وهو من الجدل شدة الفتل ويقال للصقر أجدل لأنه من أشد الجوارح والجدال والمراء بمعنى غير

ان المراء مذموم لأنه مخاصمة في الحق بعد ظهوره كمري الضرع بعد دروره وليس كذلك الجدال والفرق بين الحجاج والجدال ان المطلوب بالحجاج ظهور الحجة والمطلوب بالجدال الرجوع عن المذهب والاعجاز هو الفوت بالهرب والفرق بين افتراء الكذب وقول الكذب ان قول الكذب قد يكون على وجه تقليد الإنسان فيه لغيره واما افتراء الكذب فهو افتعاله من قبل نفسه واجرم وجرم بمعنى قال

طَريدُ عَشيرَةٍ وَرَهينُ ذَنْبٍ بِما جَرَمَتْ يَدِي وجَنَىٰ لِساني

[المعنى] ثم حكى الله سبحانه جواب قوم نوح عما قاله لهم فقال **﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا﴾** أي خاصمتنا وحاجتنا **﴿فأكثرت جدالنا﴾** أي زدت في مجادلتنا على مقدار الكفاية وفي بعض الروايات عن ابن عباس فأكثرت جدلنا والمعنى واحد **﴿فأتنا بما تعدنا﴾** من العذاب **﴿إن كنت من الصادقين﴾** في ان الله تعالى يعذّبنا على الكفر اي فلسنا نؤمن بك ولا نقبل منك **﴿قال﴾** نوح **﴿إنما يأتيكم به الله ان شاء﴾** أي لا يأتي بالعذاب إلا الله سبحانه متى شاء لا يقدر عليه غيره فإن شاء عجّل وان شاء أخر **﴿وما أنتم بمعجزين﴾** أي لا تفوتونه بالهرب **﴿ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغويكم﴾** ذكر في تأويله وجوه (أحدها) إن كان الله يريد أن يخيبكم من رحمته بأن يحرمكم ثوابه ويعاقبكم لكفركم به فلا ينفعكم نصحي ان أردت ان أنصح لكم وقد سمّى الله سبحانه العقاب غيّاً بقوله فسوف يلقون غيّاً ويشهد بصحة ما قلناه قول الشاعر :

فَمَنْ يَلْقَ خَيْراً يَحْمَدُ النَّاسُ أمْرَهُ وَمَنْ يَغْوِ لا يَعْدَمْ عَلى الْغَيِّ لائِماً

ولما خيب الله سبحانه قوم نوح من رحمته وثوابه واعلم الله نوحاً (ع) بذلك في قوله **﴿لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾** قال لهم لا ينفعكم نصحي مع ايثاركم ما يوجب خيبتكم والعذاب الذي جره إليكم قبيح افعالكم وإذا طرأ شرط على شرط كان الثاني مقدماً على الأول في المعنى وان كان مؤخراً في اللفظ والتقدير ولا ينفعكم نصحي إن كان الله يريد أن يغويكم إن أردت ان انصح لكم (وثانيها) ان المعنى ان كان الله يريد عقوبة اغوائكم الخلق واضلالكم اياهم أي يريد عقوبتكم على ذلك ومن عادة العرب أن تسمي العقوبة باسم الشيء المعاقب عليه كما في قوله سبحانه **﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها ومكروا ومكر الله والله يستهزىء بهم﴾** وقد مرّ فيما مضى امثال ذلك (وثالثها) ان معناه إن كان الله يريد أن يهلككم فلا ينفعكم نصحي عند نزول العذاب بكم وان قبلتم قولي وآمنتم لأن الله تعالى

حكم بأن لا يقبل الإيمان عند نزول العذاب عن الحسن وقد حكي عن العرب أنهم قالوا اغويت فلاناً بمعنى أهلكته ويقال غوي الفصيل اذا فسد من كثرة شرب اللبن (ورابعها) ان قوم نوح كانوا يعتقدون ان الله تعالى يضلُّ عباده عن الدين وان ما هم عليه بارادة الله ولولا ذلك لغيره وأجبرهم على خلافه فقال لهم نوح على وجه التعجب من قولهم والانكار لذلك ان نصحي لا ينفعكم ان كان القول كما تقولون وهذا هو المحكي عن جعفر بن حرب وإنما شرط النصح بالارادة في قوله ان اردت ان انصح لكم مع وقوع هـذا النصح استظهاراً في الحجة عليهم لأنهم ذهبوا إلى أنه ليس بنصح فقال لوكان نصحاً ما نفع من لا يقبله ولا يجوز أن يكون المراد بالاغواء في الآية فعل الكفر أو الدعاء الى الكفر والحمل عليه على ما يعتقده المجبرة لقيام الأدلة على ان خلق الكفر وارادته من اقبح القبائح كالأمر به وكما لم يجز ان يأمر به فكذلك لا يجوز ان يفعله ويريده ولأنه لو جاز منه الاضلال لجاز منه ان يبعث من يدعو الى الضلال ويظهر المعجزات على يده وفي هذا ما فيه **﴿هو ربكم واليه ترجعون﴾** أي هو خالقكم ورازقكم والى حكمه وتدبيره تصيرون فيجازيكم على أعمالكم **﴿أم يقولون افتراه﴾** قيل انه يعني بذلك محمداً ﷺ والمراد أيؤمن كفار محمد ﷺ بما أخبرهم به محمد ﷺ من نبأ قوم نوح (ع) أم يقولون افتراه محمد ﷺ من تلقاء نفسه **﴿فقل﴾** لم يا محمد **﴿ان افتريته﴾** واختلقته كما تزعمون **﴿فعليَّ اجرامي﴾** اي عقوبة جرمي لا تؤخذون به **﴿وأنا بريء مما تجرمون﴾** أي لا أؤخذ بجرمكم عن مقاتل وقيل يعني به نوحاً (ع) وانه يقول على الله الكذب عن ابن عباس .

[**النظم**] ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها على القول الأول انها تتصل بقوله **﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله ﴾** .

﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ
مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾
وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ج
إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن
قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ج قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا

تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾

[**اللغة**] الابتئاس حزن في استكانة وانشد أبو عبيدة

مَـا يَقْسِمُ اللَّهُ أقْبَلْ غَيْرَ مُبْتَئِسٍ مِنْهُ وَأَقْعُدْ كَرِيماً نَاعِمَ الْبَالِ

وهو افتعال من البُؤس وقد يكون البؤس بمعنى الفقر أيضاً والصنع جعل الشيء موجوداً بعد ان كان معدوماً ومثله الفعل وينفصلان من الحدوث من حيث ان الصنعة يقتضي صانعاً والفعل يقتضي فاعلاً من حيث اللفظ وليس كذلك الحدوث لأنه يفيد تجدد الوجود لا غير والصناعة الحرفة التي يكتسب بها والفلك السفينة ويكون واحداً وجمعاً والسخرية اظهار خلاف الإبطان على وجه يفهم منه استضعاف العقل ومنه التسخير التذليل يكون استضعافاً بالقهر والفرق بين السخرية واللعب ان في السخرية خديعة واستنقاصاً ولا يكون الا بحيوان وقد يكون اللعب بجماد والحلول النزول للمقام وهو من الحلّ خلاف الارتحال وحلول العرض وجوده في الجوهر من غير شغل حيز والمصحح للحلول التحيز .

[**الإعراب**] سوف ينقل الفعل من الحال إلى الاستقبال مثل السين سواء الا ان فيه معنى التسويف وهو تعليق النفس بما يكون من الأمور من يأتيه قيل في مَنْ هذه قولان (أحدهما) أن يكون بمعنى أيٌّ فكأنه قال أيُّنا يأتيه عذاب يخزيه (والآخر) أن يكون بمعنى الذي والمعنى واحد ومَنْ اذا كانت للاستفهام استغنت عن الصلة كما استغنت كيف وكم عن الصلة واذا كانت بمعنى الذي فلا بدَّ لها من الصلة لأن البيان مطلوب من المسؤول دون السائل .

[**المعنى**] **﴿وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾** اعلم الله سبحانه نوحاً أنه لن يؤمن به أحد من قومه في المستقبل **﴿فلا تبتئس﴾** أي لا تغتمّ ولا تحزن **﴿بما كانوا يفعلون﴾** والعقل لا يدلّ على أن قوماً لا يؤمنون في المستقبل وإنما طريق ذلك السمع فلما علم أن احداً منهم لا يؤمن فيما بعد ولا من نسلهم دعا عليهم فقال رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً انك ان تذرهم يضلُّوا عبادك ولا يلدوا الا فاجراً كفاراً فلما أراد الله سبحانه اهلاكهم أمر نبيَّه باتخاذ السفينة له ولقومه فقال **﴿واصنع الفلك﴾** أي اعمل السفينة لتركبها أنت ومن آمن بك **﴿بأعيننا﴾** أي بمرأى منا عن ابن عباس والتأويل بحفظنا

اياك حفظ الرائي لغيره إذا كان يدفع الضرر عنه وذكر الأعين لتأكيد الحفظ وقيل أراد بالأعين الملائكة الموكلين بك وبحضرتهم وهم ينظرون بأعينهم إليك وإنما أضاف ذلك الى نفسه اكراماً وتعظيماً لهم وقوله ﴿ووحينا﴾ معناه وعلى ما أوحينا إليك من صفتها وحالها عن أبي مسلم وقيل المراد بوحينا إليك ان أصنعها وذلك أنه (ع) لم يعلم صنعة الفلك فعلّمه الله تعالى عن ابن عباس أي فإنا نوحي إليك بما تحتاج إليه من طوله وعرضه وهيأته ﴿ولا تخاطبني في الذين ظلموا أنهم مغرقون﴾ أي لا تسألني العفو عن هؤلاء الذين كفروا من قومك ولا تشفع لهم فإنهم مغرقون عن قريب وهذا غاية في الوعيد كما يقول الملك لوزيره لا تذكر حديث فلان بين يدي وقيل انه عنى به امرأته وابنه وانما نهاه عن ذلك ليصونه عن سؤال ما لا يجاب اليه وليصرف عنه مأثم الممالأة للطغاة ﴿ويصنع الفلك﴾ أي وجعل نوح (ع) يصنع الفلك كما أمره الله تعالى وقيل وأخذ نوح في صنعة السفينة بيده فجعل ينحتها ويسويها واعرض عن قوله ﴿وكلما مرَّ عليه ملأ من قومه سخروا منه﴾ أي كلما اجتاز به جماعة من أشراف قومه ورؤسائهم وهو يعمل السفينة هزؤا من فعله وقيل انهم كانوا يقولون له يا نوح صرت نجاراً بعد النبوة على طريق الاستهزاء وقيل انما كانوا يسخرون من عمل السفينة لأنه كان يعملها في البر على صفة من الطول والعرض ولا ماء هناك يحمل مثلها فكانوا يتضاحكون ويتعجبون من عمله ﴿قال﴾ أي كان يقول لهم ﴿إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون﴾ والمراد ان تستجهلونا في هذا الفعل فإنا نستجهلكم عند نزول العذاب بكم كما تستجهلونا عن الزجاج وقيل معناه فإنا نجازيكم على سخريتكم عند الغرق والهلاك وأراد به تعذيب الله إياهم فسمى الجزاء باسم المجزي به ويحتمل ان يريد فإنا نسخر منكم بعد الغرق على وجه الشماتة لا على وجه السفه ﴿فسوف تعلمون﴾ أيُنا احق بالسخرية أو تعلمون عاقبة سخريتكم ﴿من يأتيه عذاب يخزيه﴾ هذا ابتداء كلام من نوح والأظهر أن يكون متصلاً بما قبله أي فسوف تعلمون أينا يأتيه عذاب يهينه ويفضحه في الدنيا ويكون يخزيه صفة العذاب ﴿ويحل عليه عذاب مقيم﴾ أي وينزل عليه عذاب دائم في الآخرة .

[**القصة**] قال الحسن كان طول السفينة ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقال قتادة كان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعاً وارتفاعها ثلاثين ذراعاً وبابها في عرضها وقال ابن عباس كانت ثلاث طبقات طبقة للناس وطبقة للأنعام والدواب وطبقة للهوام والوحش وجعل أسفلها للوحوش والسباع والهوام وأوسطها للدواب والأنعام وركب هو ومن معه في الأعلى مع ما يحتاج إليه من الزاد وكانت من خشب الساج وروت عائشة عن

النبي ﷺ أنه قال مكث نوح في قومه الف سنة الا خمسين عاماً يدعوهم الى الله تعالى حتى إذا كان آخر زمانهم غرس شجرة فعظمت وذهبت كل مذهب فقطعها وجعل يعمل على سفينته وقومه يمرُّون عليه فيسألونه فيقول اعمل سفينة فيسخرون منه ويقولون تعمل سفينة على البر فكيف تجري فيقول سوف تعلمون فلما فرغ منها وفار التنور وكثر الماء في السكك خشيت ام صبي عليه وكانت تحبُّه حبّاً شديداً فخرجت الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء خرجت به حتى بلغت ثلثيه فلما بلغها الماء خرجت به حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بيديها حتى ذهب بها الماء فلو رحم الله منهم أحداً لرحم أم الصبي وروى علي بن إبراهيم عن أبيه عن صفوان عن أبي بصير عن أبي عبد الله (ع) قال لما أراد الله اهلاك قوم نوح عقم أرحام النساء أربعين سنة فلم يلد لهم مولود ولما فرغ نوح من اتخاذ السفينة امره الله تعالى أن ينادي بالسريانية أن يجمع اليه جميع الحيوانات فلم يبق حيوان الا وقد حضر فأدخل من كل جنس من أجناس الحيوان زوجين ما خلا الفأر والسنور وانهم لما شكوا اليه سرقين الدواب والقذر دعا بالخنزير فمسح جبينه فعطس فسقط من انفه زوج فأرة فتناسل فلما كثروا وشكوا اليه منهم دعا بالأسد ومسح جبينه فعطس فسقط من انفه زوج سنور وكان الذين آمنوا به من جميع الدنيا ثمانين رجلاً وفي حديث آخر انهم شكوا إليه العذرة فأمر الله الفيل فعطس فسقط الخنزير وروى الشيخ أبو جعفر في كتاب النبوة بإسناده عن حنان بن سدير عن أبي عبد الله (ع) قال آمن مع نوح من قومه ثمانية نفر.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ

يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾

[**القراءة**] قرأ حفص عن عاصم من كل زوجين منوناً وفي المؤمنين كذلك وقرأ الباقون من كل زوجين مضافاً وقرأ أهل الكوفة غير أبي بكر مجريها بفتح الميم والباقون بضم الميم واتفقوا على ضم الميم في مرسيها الا ما يرى في الشواذ عن ابن محيصن أنه فتح الميم فيهما وقرأ عاصم يا بني اركب معنا بفتح الياء والباقون بالكسر وروي عن علي بن أبي طالب (ع) وأبي جعفر محمد بن علي وجعفر بن محمد عليهم السلام وعروة بن الزبير ونادى نوح ابنه(١) وروي عن عكرمة ابنها وعن السدي ابناه وعن ابن عباس ابنه على الوقف.

[**الحجة**] الوجه في قراءة حفص ما قاله أبو الحسن ان الاثنين زوجان قال الله تعالى **﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾** والمرأة زوج الرجل والرجل زوجها قال وقد يقال للاثنين هما زوج قال لبيد

مِنْ كُلِّ مَحْفُوفٍ يُظِلُّ عِصِيَّهُ زَوْجٌ عَلَيْهِ كِلَّةٌ وقِرامُها(٢)

قال أبو علي من قرأ من كل زوجين كان قوله اثنين مفعول الحمل والمعنى أحمل من الأزواج إذا كانت اثنين اثنين زوجين فالزوجان في قوله من كل زوجين يراد بهما الشياع وليس يراد بهما الناقص عن الثلاثة ومثل ذلك قول الشاعر:

فَاعْمُدْ لِمَا يَعْلُو فَمَا لَكَ بِالَّذي لا تَسْتَطِيعُ مِنَ الأُمُورِ يَدانِ

إنما يريد تشديد انتفاء قوته عنه وتكثيره ويبيّن هذا المعنى قول الفرزدق :

وَكُلُّ رفِيقَيْ كُلِّ رَحْلٍ وَإنْ هُمَا تَعاطَى الْقَنَا قَوْماً هُمَا أخَوانِ(٣)

فرفيقان اثنان لا يكونان رفيقي كل رحل وإنما يريد الرفقاء إذا كانوا رفيقين ومن نوَّن فقال من كلٍّ زوجين فحذف المضاف إليه من كل ونوّن فالمعنى من كل شيء ومن كل زوج

---

(١) يعني مخفف ابنها .

(٢) حف الهودج وغيره بالثياب اذا غطى. والعصى هيهنا عيدان الهودج. والزوج: النمط من الثياب. والكلة: الستر الرقيق. والقرام: الستر. يعني الهودج محفوفة بالثياب فعيدانها تحت ظلال ثيابها.

(٣) الشعر في جامع الشواهد.

زوجين اثنين فيكون انتصاب اثنين على انه صفة لزوجين فإن قلت فالزوجان قد فهم انهما اثنان فكيف جاز وصفهما بقوله اثنين فإنما جاز ذلك للتأكيد والتشديد كما قال لا تتخذوا إلّهين اثنين وقد جاء في غير هذا من الصفات ما مصرفه الى التأكيد كقولهم أمس الدابر ونفخة واحدة ونعجة واحدة قال ومناة الثالثة الأخرى قال أبو علي ويجوز في قوله بسم الله مجريها ومرساها ان يكون حالاً من شيئين من الضمير الذي في قوله اركبوا ومن الضمير الذي في فيها فإن جعلت قوله بسم الله خبر مبتدأ مقدماً في قول من لم يرفع بالظرف أو جعلت قوله مجريها مرتفعاً بالظرف لم يكن قوله بسم الله مجريها إلا جملة في موضع الحال من الضمير الذي في فيها ولا يجوز ان يكون من الضمير الذي في قوله اركبوا لأنه لا ذكر فيها يرجع إلى الضمير ألا ترى ان الظرف في قول من رفع بالظرف قد ارتفع به الظاهر وفي قول من رفع في هذا النحو بالابتداء قد جعل في الظرف ضمير المبتدأ فإذا كان كذلك خلت الجملة من ذكر يعود إلى ذي الحال من الحال وإذا خلا من ذلك لم يكن الا حالاً من الضمير الذي في فيها ويجوز ان يكون بسم الله حالاً من الضمير الذي في قوله اركبوا على أن لا يكون الظرف خبراً عن الاسم الذي هو مجريها على ما كان في الوجه الأول ويكون حالاً من الضمير على حدّ قولك خرج بثيابه وركب في سلاحه والمعنى ركب مستعداً بسلاحه ومتلبساً بثيابه وفي التنزيل وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به فكان المعنى اركبوا متبركين باسم الله ومتمسكين بذكر اسم الله ويكون في باسم الله ذكر يعود الى المأمورين فإن قلت فكيف يكون اتصال المصدر الذي هو مجريها بالكلام على هذا فإنه يكون متعلقاً بما في باسم الله من معنى الفعل وجاز تعلّقه به لأنه يكون ظرفاً على نحو مقدم الحاج وخفوق النجم كأنهم متبركين بهذا الاسم او متمسكين به في وقت الجري او الاجراء والرسو او الارساء على حسب الخلاف بين القراء فيه ولا يكون الظرف متعلقاً باركبوا لأن المعنى ليس عليه الا ترى ان المعنى لا يراد اركبوا فيها في وقت الجري والثبات انما المعنى اركبوا الآن متبركين باسم الله في الوقتين اللذين لا ينفك الراكبون فيها من الاجراء والارساء ليس يراد اركبوا وقت الجري والرسو فموضع مجريها نصب على هذا الوجه بأنه ظرف عمل فيه المعنى وفي الوجه الأول رفع بالابتداء أو بالظرف ويدل على أنه في الوجه الأول رفع وإن كان ذلك الفعل الذي كان يتعلق به لا يعتبر به الآن قول الشاعر أنشده الأصمعي :

وابأبي أنتِ وفُوكِ الأشْنَبُ كأنَّما ذُرَّ عَلَيْهِ الزَّرْنَبُ (١)

(١) وفي اللسان « وابأبي ثغرك ذاك الأشنب هـ . » والنشب : طيب نكهة الاسنان وقيل : البرد والعذوبة .

وحجة من فتح مجريها قوله وهي تجري بهم ولو كان مجريها لكان وهي تُجريهم وحجة من ضمَّ ان جرت بهم وأجرتهم يتقاربان في المعنى يقال جرى الشيء وأجريته وجريت به واما قوله يا بني فقد قال أبو علي الكسر في الياء الوجه في يا بني وذلك ان اللام من ابن ياء او واو حذفت في ابن كما حذفت في اسم واثنين فإذا حقرت الحقت ياء التحقير فلزم ان تردّ اللام الذي حذفت لأنك لو لم تردها لوجب ان تحرك بالتحقير بحركات الاعراب وتعاقبها عليها وهي لا تحرك ابداً بحركة الاعراب ولا غيرها ألا ترى ان من حذف الهمزة الساكن ما قبلها في نحو الخبء لم يفعل ذلك في الهمز نحو أُفياس(١) إنما يبدل من الهمزة ياء ويدغم فيها ياء التحقير كما يفعل ذلك مع ياء خطية وواو مقروة ونحو ذلك من حروف المد التي لا تتحرك فإذا تبينت ان ياء التحقير أجريت هذا المجرى علمت انها لا تتحرك كما لا تتحرك حروف المد التي أجريت بالتحقير مجراها فلو لم ترد اللام مع ياء التحقير وجعلتها محذوفة في التحقير كما حذفتها في التكبير للزم الياء التي للتحقير الانقلاب كما لزم سائر حروف الاعراب فيبطل دلالتها على التحقير كما ان الألف في التكسير لو حركتها لبطلت دلالتها على التكسير ولذلك رددت اللام فإذا رددت اللام وأضفتها الى نفسك اجتمعت ثلاث ياءات الأولى منها التي للتحقير والثانية لام الفعل والثالثة التي للاضافة تقول هذا بني فإذا ناديت جاز فيها وجهان اثبات الياء وحذفها فمن قال يا عبادي فأثبت فقياس قوله ان يقول بنيي ومن قال يا عباد قال يا بني فحذف الياء التي للإضافة وأبقى الكسرة دالة عليها وهذا الوجه هو الجيد عندهم ومن قرأ يا بني بالفتح فالقول فيه انه أراد به الاضافة كما أرادها في قوله يا بني إذا كسر الياء التي هي لام الفعل كأنه قال يا بنيي باثبات ياء الاضافة ثم ابدل من الكسرة الفتحة ومن الياء الألف فصار يا بنيا كما قال الشاعر « يا بنت عما لا تلومي واهجعي » ثم حذف الألف كما كان حذف الياء في يا بني وقد حذفت الياء التي للإضافة اذا أبدلت الألف منها أنشد أبو الحسن

فَلَسْتُ بِمُدْرِكٍ مَا فَاتَ مِنِّي   بِلَهْفِ وَلَا بِلَيْتَ وَلَا لَوْ أَنِّي

انما هو بلهفا قال أبو عثمان ووضع الألف مكان الياء في الاضافة مطرد وأجازيا زيداً اقبل اذا أردت الاضافة فقال وعلى هذا قراءة من قرأ يا أبت لم تعبد ويا قوم لا أسألكم وانشد « وهل جزع ان قلت وابتاهما » واما من قرأ ونادى نوح ابنه فإنه أراد ابنها كما روي عن

(١) تصغير فؤس جمع فاس .

عكرمة والمعنى ابن امرأته لأنه قد جرى ذكرها في قوله سبحانه وأهلك فحذف الألف تخفيفاً كما قلنا في بَني بالفتح ويا أبت وأما قراءة السدي ابناه فإنه يريد به الندبة وهو على الحكاية اي قال له يا ابناه ووا إبناه فأما ابنه بالسكون فعلى ما جاء في نحو قوله « ومَطْواي مُشْتَاقان لَهْ ارِقان » .

[**اللغة**] الفور الغليان وأصله الارتفاع فار القدر يفور فوراً وفؤرراً وفوراناً ارتفع ما فيه بالغليان ومنه قولهم فعل ذلك من فوره أي من قبل أن يسكن والإرساء امساك السفينة بما تقف عليه يقال ارساها الله فرست قال عنترة :

فَصَبَرْتُ نَفْساً عِنْدَ ذٰلِكَ حُرَّةً تَرْسُو إذا نَفْسُ الْجَبانِ تَطَلَّعُ

والموج جمع موجة وهي قطعة عظيمة ترتفع عن جملة الماء الكثير والعصمة المنع .

[**الإعراب**] حتى متعلقة بقوله واصنع الفلك بأعيننا لا عاصم رُكّب عاصم مع لا فبني لأنهما بالتركيب صارا كاسم واحد وقيل انه بني لتضمنه معنى مِن لأن هذا جواب هل من عاصم وحق الجواب ان يكون وفق السؤال فكان يجب ان يقول لا من عاصم إلا أنَّ من حذفت وتضمن الكلام معناه فبني الاسم لذلك وهذا وجه حسن واليوم خبر والعامل فيه المحذوف لا قوله عاصم لأنه لو عمل فيه عاصم لصار من صلته فكان يجب تنوينه لأنه يشبه المضاف كما تقول لا ضارباً زيداً في دارك ولم يقرأ احد لا عاصماً اليوم وقيل أن خبره قوله من أمر الله والتقدير لا ذا عصمة كائن من امر الله في اليوم واليوم معمول الظرف وان تقدَّم عليه كما جاز كل يوم لك ثوب ولا يجوز ان يتعلق اليوم بنفس امر لأن امراً مصدر فلا يتقدم عليه ما في صلته ومن رحم فيه ثلاثة أقوال (أحدها) ان يكون استثناء منقطعاً لأن التقدير الا من رحمه الله فيكون من مفعولا واستثناء من عاصم وعاصم فاعل فكأنه قال لكن من رحمه الله معصوم (وثانيها) ان يكون المعنى لا عاصم الا من رحمنا فكأنه قال لا عاصم الا الله (والثالث) ان عاصم ههنا بمعنى معصوم وتقديره لا معصوم من امر الله الا من رحمه الله وقد يأتي فاعل بمعنى مفعول كقوله في عيشة راضية أي مرضية وماء دافق أي مدفوق وقال الحطيئة :

دَعِ الْمَكارِمَ لا تَرْحَلْ لِبَغْيَتِها وَاقْعُدْ فَإنَّكَ أنْتَ الطَّاعِمُ الْكاسِي(١)

(١) الشعر في جامع الشواهد .

أي المكسو وعلى القولين الأخيرين يكون الاستثناء متصلاً وقال ابن كيسان لما قال لا عاصم كان معناه لا معصوم لأن في نفي العاصم نفي المعصوم ثم قال الا من رحم فاستثناه على المعنى فيكون متصلاً .

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه عن إهلاك قوم نوح فقال ﴿ **حتى إذا جاء أمرنا** ﴾ والمعنى فذلك حاله وحالهم حتى إذا جاء قضاؤنا بنزول العذاب ﴿ **وفار التنور** ﴾ بالماء أي ارتفع الماء بشدة اندفاع وفي التنور أقوال (أولها) أنه تنور الخابزة وأنه تنور كان لآدم فار الماء منه علامة لنوح (ع) إذ نبع الماء من موضع غير معهود خروجه منه عن ابن عباس والحسن ومجاهد ثم اختلف في ذلك فقال قوم أن التنور كان في دار نوح (ع) بعين وردة من أرض الشام وقال قوم بل كان في ناحية الكوفة وهو المروي عن أئمتنا (ع) وروى المفضل بن عمر عن أبي عبد الله (ع) في حديث طويل قال كان التنور في بيت عجوز مؤمنة في دير قبلة ميمنة مسجد الكوفة قال قلت فكيف كان بدء خروج الماء من ذلك التنور قال نعم إن الله أحب أن يري قوم نوح آية ثم أن الله سبحانه أرسل عليهم المطر يفيض فيضاً وفاض الفرات فيضاً وفاضت العيون كلها فيضاً فغرقهم الله وأنجى نوحاً ومن معه في السفينة فقلت فكم لبث نوح في السفينة حتى نضب الماء فخرجوا منها فقال لبث فيها سبعة أيام بلياليها فقلت له ان مسجد الكوفة لقديم فقال نعم وهو مصلى الأنبياء ولقد صلى فيه رسول الله ﷺ حين أسري به إلى السماء قال له جبرائيل (ع) يا محمد هذا مسجد أبيك آدم ومصلى الأنبياء فأنزل فصَلِّ فيه فنزل فصلى فيه ثم أن جبرائيل (ع) عرج به إلى السماء وفي رواية أخرى أن السفينة استقلت بما فيها فجرت على ظهر الماء مائة وخمسين يوماً بلياليها وروى أبو عبيدة الحذاء عن أبي جعفر (ع) قال مسجد كوفان وسطه روضة من رياض الجنة الصلاة فيه بسبعين صلاة صلّى فيه ألف نبي وسبعون نبياً فيه فار التنور وجرت السفينة وهو سرة بابل ومجمع الأنبياء عليهم السلام (وثانيها) أن التنور وجه الأرض عن ابن عباس والزهري وعكرمة واختاره الزجاج ويؤيده قوله ﴿ **وفجرنا الأرض عيوناً** ﴾ (وثالثها) أن معنى قوله ﴿ **وفار التنور** ﴾ طلع الفجر وظهرت امارات دخول النهار وتقضي الليل من قولهم نوَّر الصبح تنويراً وروي ذلك عن علي (ع) (ورابعها) أن التنور أعلى الأرض وأشرفها والمعنى نبع الماء من الأمكنة المرتفعة فشبّهت بالتنانير لعلوها عن قتادة (وخامسها) أن فار التنور معناه اشتدَّ غضب الله عليهم ووقعت نقمته بهم كما تقول العرب حمي الوطيس إذا اشتد الحرب وفار قدر القوم إذا اشتد حربهم قال الشاعر :

تَفُورُ عَلَيْنا قِدْرُهُمْ فَنُدِيمُها   وَنَفْثَأُها عَنّا إِذا حَمْيُها غَلا(١)

يريد بالقدر الحرب ونديمها نسكنها وهذا أبعد الأقوال من الأثر وحمل الكلام على الحقيقة التي تشهد بها الرواية أولى ﴿ **قلنا أحمل فيها من كل زوجين اثنين** ﴾ أي قلنا لنوح (ع) لما فار الماء من التنور احمل في السفينة من كل جنس من الحيوان زوجين أي ذكر وانثى وقد ذكرنا المعنى في حجة القراءتين ﴿ **واهلك** ﴾ أي واحمل أهلك وولدك ﴿ **إلا من سبق عليه القول** ﴾ أيّ من سبق الوعد بإهلاكه والاخبار بأنه لا يؤمن وهي امرأته الخائنة واسمها واغلة وابنها كنعان ﴿ **ومن آمن** ﴾ أي واحمل فيها من آمن بك من غير أهلك ثم أخبر سبحانه فقال ﴿ **وما آمن معه إلا قليل** ﴾ أي إلا نفر قليل وهم ثمانون انساناً في قول الأكثرين وقيل اثنان وسبعون رجلاً وامرأة وبنوه الثلاثة ونساؤهم فهم ثمانية وسبعون نفساً وحمل معه جسد آدم (ع) عن مقاتل وقيل عشرة أنفس عن ابن إسحاق وقيل ثمانية أنفس عن ابن جريج وقتادة وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع) وقيل سبعة أنفس عن الأعمش وكان فيهم بنوه الثلاثة سام وحام ويافث وثلاث كنائن لهم فالعرب والروم وفارس وأصناف العجم وله سام والسودان من الحبش والزنج وغيرهم ولد حام والترك والصين والصقالبة ويأجوج ومأجوج ولد يافث ﴿ **وقال اركبوا فيها** ﴾ أي وقال نوح لمن آمن معه اركبوا في السفينة وفي الكلام حذف تقديره فلما فار التنور ووقف نوح على ما دلّه الله عليه من هلاك الكفار قال لأهله وقومه اركبوا فيها ﴿ **بسم الله مجريها ومرسيها** ﴾ أي متبركين باسم الله أو قائلين بسم الله وقت إجرائها ووقت إرسائها أي اثباتها وحبسها وقيل معناه بسم الله إجراؤها وإرساؤها وقد ذكرنا تفسيره في الحجة وقال الضحاك كانوا إذا أرادوا أن تجري السفينة قالوا بسم الله مجريها فجرت وإذا أرادوا أن تقف السفينة قالوا بسم الله مرسيها فوقفت ﴿ **إن ربي لغفور رحيم** ﴾ هذا حكاية عما قاله نوح لقومه ووجه اتصاله بما قبله أنه لما ذكرت النجاة بالركوب في السفينة ذكرت النعمة بالمغفرة والرحمة لتجتلبا بالطاعة كما اجتلبت النجاة بركوب السفينة ﴿ **وهي تجري بهم في موج كالجبال** ﴾ معناه أن السفينة كانت تجري بنوح ومن معه على الماء في أمواج كالجبال في عظمها وارتفاعها ودلَّ بتشبيهها بالجبال على أن ذلك لم يكن موجاً واحداً بل كان كثيراً وروي عن الحسن إن الماء ارتفع فوق كل شيء وفوق كل جبل ثلاثين ذراعاً وقال غيره خمسة عشر ذراعاً وقيل أن سفينة نوح سارت لعشر مضين من رجب فسارت ستة أشهر حتى

---

(١) نسبه في اللسان إلى الجعدي ثم قال : وهذا البيت في التهذيب منسوب إلى الكميت، وفثأ القدر: سكن غليانها بماء بارد .

طافت الأرض كلها لا تستقر في موضع حتى أتت الحرم فطافت بموضع الكعبة أسبوعاً وكان الله سبحانه رفع البيت إلى السماء ثم سارت بهم حتى انتهت إلى الجودي وهو جبل بأرض الموصل فاستقرَّت عليه اليوم العاشر من المحرم وروى أصحابنا عن أبي عبد الله (ع) أن نوحاً ركب السفينة في أول يوم من رجب فصام وأمر من معه أن يصوموا ذلك اليوم وقال من صام ذلك اليوم تباعدت عنه النار مسيرة سنة ﴿ **ونادى نوح ابنه** ﴾ كنعان وقيل أن اسمه يام ﴿ **وكان في معزل** ﴾ أي في قطعة من الأرض غير القطعة التي كان نوح فيها حين ناداه وقيل معناه كان في ناحية من دين أبيه أي قد اعتزل دينه وكان نوح يظن أنه مسلم فلذلك دعاه وقيل كان في معزل من السفينة ﴿ **يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين** ﴾ دعا ابنه إلى أن يركب معه في السفينة ليسلم من الغرق قال الحسن كان ينافق أباه فلذلك دعاه وقال أبو مسلم دعاه بشرط الإيمان ومعناه يا بني آمن بالله ثم اركب معنا ولا تكن على دين الكافرين وعلى القول الأول يكون معناه لا تتخلف مع الكافرين فتغرق معهم فأجابه ابنه ﴿ **قال سآوي إلى جبل** ﴾ أي سأرجع إلى مأوى من جبل ﴿ **يعصمني من الماء** ﴾ أي يمنعني من آفات الماء ﴿ **قال** ﴾ نوح ﴿ **لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم** ﴾ أي لا مانع ولا دافع اليوم من عذاب الله إلا من رحمه الله بإيمانه فآمن بالله يرحمك الله ﴿ **وحال بينهما الموج فكان** ﴾ أي فصار ﴿ **من المغرقين** ﴾ .

﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤ ﴾

[**اللغة**] البلع اجراء الشيء في الحلق إلى الجوف والاقلاع اذهاب الشيء من أصله حتى لا يرى له أثر يقال أقلعت السماء إذا ذهب مطرها حتى لا يبقى شيء منه وأقلع عن الأمر إذا تركه رأساً .

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه الحال بعد انتهاء الطوفان فقال ﴿ **وقيل يا أرض ابلعي ماءك** ﴾ أي قال الله سبحانه للأرض انشفي ماءك الذي نبعت به العيون واشربي ماءك حتى لا يبقى على وجهك شيء منه وهذا إخبار عن ذهاب الماء عن وجه الأرض بأوجز مدة فجرى مجرى أن قيل لها ابلعي فبلعت ﴿ **ويا سماء أقلعي** ﴾ أي وقال تعالى للسماء يا سماء أمسكي

عن المطر وهذا اخبار عن اقشاع السحاب وانقطاع المطر في أسرع زمان فكأنه قال لها أقلعي فأقلعت ﴿ **وغيض الماء** ﴾ أي ذهب به عن وجه الأرض إلى باطنه والمعنى ونشفت الأرض ماءُها ويقال أن الأرض ابتلعت جميع مائها وماء السماء لقوله وغيض الماء ويقال لم تبتلع ماء السماء لقوله ابلعي ماءك وإن ماءَ السماء صار بحاراً وأنهاراً وهو المروي عن أئمتنا عليهم السلام ﴿ **وقضي الأمر** ﴾ أي وقع اهلاك الكفار على التمام وفرغ من الأمر وقيل وقضي الأمر بنجاة نوح ومن معه ﴿ **واستوت على الجودي** ﴾ أي استقرت السفينة على الجبل المعروف قال الزجاج هو بناحية آمد وقال غيره بقرب جزيرة الموصل قال زيد بن عمرو بن نفيل :

سُبْحَانَهُ ثُمَّ سُبْحَاناً يَعُودُ لَهُ وَقَبْلَهُ سَبَّحَ الْجُودِيَّ وَالْجُمُدُ[1]

وقال أبو مسلم الجودي اسم لكل جبل وأرض صلبة وفي كتاب النبوة مسنداً إلى أبي بصير عن أبي الحسن علي بن موسى بن جعفر عليهما السلام قال كان نوح لبث في السفينة ما شاء الله وكانت مأمورة فخلّى سبيلها فأوحى الله إلى الجبال إني واضع سفينة نوح على جبل منكن فتطاولت الجبال وشمخت وتواضع الجودي وهو جبل بالموصل فضرب جؤجؤ السفينة الجبل فقال نوح عند ذلك يا ماريا اتقن وهو بالعربية يا رب أصلح وفي رواية أخرى يا رهمان اتقن وتأويله يا رب أحسن وقيل أرست السفينة على الجودي شهراً ﴿ **وقيل بعداً للقوم الظالمين** ﴾ أي قال الله تعالى ذلك ومعناه أبعد الله الظالمين من رحمته لإيرادهم أنفسهم مورد الهلاك وإنما انتصب على المصدر وفيه معنى الدعاء ويجوز أن يكون هذا من قول الملائكة أو من قول نوح والمؤمنين وفي هذه الآية من بدائع الفصاحة وعجائب البلاغة ما لا يقارب كلام البشر ولا يدانيه منها أنه خرج مخرج الأمر وإن كانت الأرض والسماء من الجماد ليكون أدلّ على الاقتدار ومنها حسن تقابل المعنى وائتلاف الألفاظ ومنها حسن البيان في تصوير الحال ومنها الإيجاز من غير إخلال إلى غير ذلك مما يعلمه من تدبّره وله معرفة بكلام العرب ومحاوراتهم ويروى أن كفار قريش أرادوا أن يتعاطوا معارضة القرآن فعكفوا على لباب البر ولحوم الضأن وسلاف الخمر أربعين يوماً لتصفو أذهانهم فلما أخذوا فيما أرادوا سمعوا هذه الآية فقال بعضهم لبعض هذا كلام لا يشبهه شيء من الكلام ولا يشبه كلام المخلوقين وتركوا ما أخذوا فيه وافترقوا .

---

(١) وفي رواية الحموي في معجم البلدان « نسبح الله تسبيحاً نجود به * وقبله . اهـ ». والجمد ـ بضمتين ـ : جبل بنجد لبني نصر. وقد ينسب هذا الشعر إلى ورقة بن نوفل .

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى
وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ
لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ
عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ
بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن
مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ (٤٧) قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ
وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ
أَلِيمٌ (٤٨) تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ
أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ
لِلْمُتَّقِينَ (٤٩)

[**القراءة**] قرأ الكسائي ويعقوب وسهل أنه عَمِلَ غيرَ صالح على الفعل ونصب غير والباقون عَمَل اسم مرفوع منون غير بالرفع وقرأ ابن كثير فلا تسألَنَّ مشددة النون مفتوحة وقرأ أبو عمرو ويعقوب وسهل فلا تسألني خفيفة النون مثبتة الياء وقرأ أهل الكوفة خفيفة النون بغير ياء وقرأ أهل المدينة غير قالون فلا تسألنّي مشددة النون مثبتة الياء وقرأ ابن عامر وقالون فلا تسألنّ مشددة النون مكسورة بغير ياء .

[**الحجة**] قال أبو علي من قرأ أنه عَمَلٌ فنوّن فالمراد أن سؤالك ما ليس لك به علم عملٌ غير صالح ويحتمل أن يكون الضمير في أنه لما دلَّ عليه قوله اركب معنا ولا تكن مع الكافرين فيكون تقديره إن كونك مع الكافرين وانحيازك إليهم وتركك الركوب معنا والدخول في جملتنا عملٌ غير صالح ويجوز أن يكون الضمير لابن نوح كأنه جعل عملاً غير صالح كما يجعل الشيء الشيء لكثرة ذلك منه كقولهم الشعر زهير أو يكون المراد أنه ذو عمل غير

صالح فحذف المضاف ومن قرأ أنه عَمِلَ غيرَ صالح فيكون في المعنى كقراءة من قرأ أنه عَمَلٌ غير صالح وهو يجعل الضمير لابن نوح وتكون القراءتان متفقتين في المعنى وإن اختلفتا في اللفظ ومن ضعف هذه القراءة بأن العرب لا تقول هو يعمَل غير حسن حتى يقولوا عَمِلَ غيرَ حسن فالقول فيه أنهم يقيمون الصفة مقام الموصوف عند ظهور المعنى فيقول القائل قد فعلت صواباً وقلت حسناً بمعنى فعلت فعلاً صواباً وقلت قولاً حسناً قال عمر بن أبي ربيعة :

أَيُّهَا الْقَائِلُ غَيْرَ الصَّوَابِ أَخِّرِ النُّصْحَ وَأَقْلِلْ عِتَابِي

وقال أيضاً :

وكَمْ مِنْ قَتِيلٍ مَا يُبَاءُ بِهِ دَمٌ وَمِنْ غَلِقٍ رَهْنٍ إِذَا لَفَّهُ مِنًى[1]
وَمِنْ مَالِئٍ عَيْنَيْهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ إِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجَمْرَةِ البِيضُ كَالدُّمى[2]

أراد وكم من انسان قتيل ونظائره كثيرة ومن قرأ فلا تسألن بفتح اللام ولم يكسر النون عدّى السؤال إلى مفعول واحد في اللفظ والمعنى على التعدي إلى مفعول ثان ومن كسر النون هاهنا فإنه يدل على تعدية السؤال إلى مفعولين (أحدهما) اسم المتكلم والآخر اسم الموصول وحذفت النون المتصلة بياء المتكلم لاجتماع النونات كما حذفت النون من قولهم اني كذلك وكما حذفت النون من قوله « يسوءُ الفاليات إذا فليني »[3] وأما اثبات الياء في الوصل فهو الأصل وحذفها أخف والكسرة تدل عليها .

[**الإعراب**] قوله ما ليس لك به علم يحتمل قوله به في الآية وجهين (أحدهما) أن يكون كقوله « كان جزائي بالعصا أن أجلدا » إذا قدمت بالعصا وكقوله﴿ **وكانوا فيه من الزاهدين وإني لكما لمن الناصحين وانا على ذلكم من الشاهدين** ﴾ وزعم أبو الحسن أن ذلك إنما يجوز في حروف الجر والتقدير فيه التعليق بمضمر يفسره هذا الذي ظهر بعد وإن كان لا يجوز تسلطه عليه ومثل ذلك قوله يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين فانتصب يوم يرون بما دل عليه لا بشرى يومئذ ولا يجوز لما بعد لا هذه أن يتسلط على يوم

(١) وفي بعض النسخ « ومن غلق رهناً إذا ضمه » وما يباء به دم أي ليس من يكافئه فيقتل به وغلق الرهن إذا صار لا سبيل إلى فكاكه .

(٢) الدمى جمع الدمية : الصنم .

(٣) قائله عمرو بن معد يكرب وقبله « تراه كالثغام يعل مسكاً » وقد مر. والشاهد في فليني فإن أصله فلينني .

يرون وكذلك اني لكما لمن الناصحين متعلق بما دلَّ عليه النصح المظهر والتقدير إني ناصح لكما لمن الناصحين وكذلك به في قوله ﴿ **ما ليس لك به علم** ﴾ يتعلق بما يدل عليه قوله علم الظاهر وإن لم يجز أن يعمل فيه والوجه الآخر أن يكون متعلقاً بالمستقر وهو العامل فيه كتعلق الظرف بالمعاني كما تقول ليس لك فيه رضا فيكون به في الآية بمنزلة فيه والعلم يراد به العلم المتيقن الذي يعلم به الشيء على الحقيقة ليس العلم الذي يعلم به الشيء على ظاهره كالذي في قوله ﴿ **فإن علمتموهن مؤمنات** ﴾ ونحو ما يعلمه الحاكم بشهادة الشاهدين واقرار المقر بما يدعي ونحو ذلك مما يعلم به العلم الظاهر الذي يسع الحاكم الحكم بالشيء معه تلك من أنباء الغيب تلك مبتدأ ومن أنباء الغيب الخبر ونوحيها إليك خبر ثان وإن شئت كان في موضع الحال أي تلك كائنة من أنباء الغيب موحاة إليك وإن شئت كان تلك مبتدأ ونوحيها الخبر والجار من صلة نوحيها أي تلك نوحيها إليك من أنباء الغيب ولا يجوز أن يكون من زيادة على تقدير تلك أنباء الغيب لأنها لا تزاد في الموجب ويجوز على قول الأخفش .

[**المعنى**] ثم حكى سبحانه تمام قصة نوح (ع) فقال ﴿ **ونادى نوح ربه** ﴾ نداء تعظيم ودعاء ﴿ **فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق** ﴾ معناه يا مالكي وخالقي ورازقي وعدتني بتنجية أهلي وان ابني من أهلي وإن وعدك الحق لا خلف فيه فنجه إن كان ممن وعدتني بنجاته ﴿ **وأنت أحكم الحاكمين** ﴾ في قولك وفعلك ﴿ **قال** ﴾ الله سبحانه ﴿ **يا نوح انه ليس من أهلك** ﴾ وقد قيل في معناه أقوال (أحدها) أنه كان ابنه لصلبه والمعنى أنه ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم معك لأن الله سبحانه قد استثنى من أهله الذين وعده أن ينجيهم من أراد اهلاكهم بالغرق فقال إلا من سبق عليه القول عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك وعكرمة واختاره الجبائي (وثانيها) أن المراد بقوله ليس من أهلك أنه ليس على دينك فكأن كفره أخرجه عن أن يكون له أحكام أهله عن جماعة من المفسرين وهذا كما قال النبي عليه وآله السلام سلمان منا أهل البيت وإنما أراد على ديننا وروى علي بن مهزيار عن الحسن بن علي الوشا عن الرضا (ع) قال قال أبو عبد الله (ع) أن الله تعالى قال لنوح أنه ليس من أهلك لأنه كان مخالفاً له وجعل من اتبعه من أهله ويؤيد هذا التأويل أن الله سبحانه قال على طريق التعليل إنه عمل غير صالح فبيَّن أنه إنما خرج عن احكام أهله لكفره وسوء عمله وروي عن عكرمة أنه قال كان ابنه ولكنه كان مخالفاً له في العمل والنية فمن ثم قيل أنه ليس من أهلك (وثالثها) أنه لم يكن ابنه على الحقيقة وإنما ولد على فراشه فقال

(ع) انه ابني على ظاهر الأمر فاعلمه الله تعالى أن الأمر بخلاف الظاهر ونبَّهه على خيانة امرأته عن الحسن ومجاهد وهذا الوجه بعيد من حيث أن فيه منافاة القرآن لأنه تعالى قال ونادى نوح ابنه ولأن الأنبياء يجب أن ينزهوا عن مثل هذه الحال لأنها تعير وتشين وقد نزَّه الله أنبياءه عما دون ذلك توقيراً لهم وتعظيماً عما ينفر من القبول منهم وروي عن ابن عباس أنه قال ما زنت امرأة نبي قط وكانت الخيانة من امرأة نوح أنها كانت تنسبه إلى الجنون والخيانة من امرأة لوط أنها كانت تدل على أضيافه (ورابعها) أنه كان ابن امرأته وكان ربيبه ويعضده قراءة من قرأ ابنَهَ بفتح الهاء وابنها والمعتمد المعول عليه في تأويل الآية القولان الأولان ﴿ **أنه عمل غير صالح** ﴾ قد ذكرنا الوجه في القراءتين واختار المرتضى (رض) في تأويله أن التقدير أن ابنك ذو عمل غير صالح واستشهد على ذلك بقول الخنساء :

مَا أُمُّ سَقْبٍ عَلى بَوٍّ تُطيفُ بِهِ ... قَدْ سَاعَدَتْها عَلَى التَّحْنانِ أَظْئارُ[١]
تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إذَا ادَّكَرَتْ ... فَإنَّمَا هِيَ إقْبالٌ وَإدْبارُ[٢]

أرادت فإنما هي ذات اقبال وادبار قال ومن قال أن المعني إن سؤالك إياي ما ليس لك به علم عمل غير صالح فإن من امتنع من أن يقع على الأنبياء شيء من القبائح يدفع ذلك فإذا قيل له فلم قال ﴿ **فلا تسألن ما ليس لك به علم** ﴾ وكيف قال نوح رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم قال لا يمتنع أن يكون نهي عن سؤال ما ليس لك به علم وإن لم يقع منه وإن يكون تعوذ من ذلك وإن لم يوقعه كما نهى الله سبحانه نبيَّه عن الشرك في قوله لئن أشركت ليحبطنَّ عملك وإن لم يجز وقوع ذلك منه وإنما سأل نوح (ع) نجاة ابنه بشرط المصلحة لا على سبيل القطع فلمّا بيَّن الله تعالى أن المصلحة في غير نجاته لم يكن ذلك خارجاً عما تضمَّنه السؤال وقوله ﴿ **إني أعظك** ﴾ أي أحذرك والوعظ الدعاء إلى الحسن والزجر عن القبيح على وجه الترغيب والترهيب ﴿ **أن تكون من الجاهلين** ﴾ معناه لا تكن منهم قال الجبائي يعني اني أعظك لئلا تكون من الجاهلين ولا شك أن وعظه سبحانه يصرف عن الجهل وينزِّه عن القبيح ﴿ **قال** ﴾ نوح عند ذلك ﴿ **رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم** ﴾ أي أعتصم بك أن أسألك ما لا أعلم أنه صواب وأنك تفعله ومعنى

(١) السقب: الذكر من ولد الناقة. والبو: أن ينحر ولد الناقة ويؤخذ جلده فيحشى ويدنى من أمه لتسلى به. التحنان: الحنين والاظئار جمع الظئر وهي التي تعطف على ولد غيرها .

(٢) يقول أن هذه الناقة ترعى ما دامت ناسية ولدها الذي ذبح فإذا تذكرته أخذتها رعدة واضطراب فصارت تقبل وتدبر. وشبهت نفسها بها .

العياذ بالله الاعتصام به طلباً للنجاة ومعناه ههنا الخضوع والتذلل لله سبحانه ليوفّقه ولا يكله إلى نفسه وإنما حذف يا من قوله رب وأثبته في قوله ﴿ **يا نوح** ﴾ لأن ذلك نداء تعظيم وهذا نداء تنبيه فوجب أن يأتي بحرف التنبيه ﴿ **وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين** ﴾ إنما قال ذلك على سبيل التخشع والاستكانة لله تعالى وإن لم يسبق منه ذنب ثم حكى الله سبحانه ما أمر به نوحاً حين استقرت السفينة على الجبل بعد خراب الدنيا بالطوفان فقال ﴿ **قيل يا نوح اهبط** ﴾ أي انزل من الجبل أو من السفينة ﴿ **بسلام منا** ﴾ أي بسلامة منا ونجاة وقيل بتحية وتسليم منا عليك ﴿ **وبركات عليك** ﴾ أي ونعم دائمة وخيرات نامية ثابتة حالاً بعد حال عليك ﴿ **وعلى أُمم ممن معك** ﴾ يعني الأمم الذين كانوا معه في السفينة من المؤمنين والأمة الجماعة الكثيرة المتفقة على ملة واحدة وقيل معناه وعلى أُمم من ذرية من معك وقيل يعني بالأمم سائر الحيوان الذين كانوا معه لأن الله تعالى جعل فيها البركة ﴿ **وأمم سنمتعهم ثم يمسّهم منا عذاب أليم** ﴾ معناه أنه يكون من نسلهم أُمم سنمتعهم في الدنيا بضروب من النعم فيكفرون ونهلكهم ثم يمسهم بعد الهلاك عذاب مؤلم وإنما ارتفع أمم لأنه استأنف الاخبار عنهم وروي عن الحسن أنه قال هلك المتمتعون في الدنيا لأن الجهل يغلب عليهم والغفلة فلا يتفكرون إلا في الدنيا وعمارتها وملاذها ثم أشار سبحانه إلى ما تقدم ذكره من اخبار قوم نوح فقال ﴿ **تلك** ﴾ أي تلك الأنباء ﴿ **من أنباء الغيب** ﴾ أي من أخبار ما غاب عنك معرفته ولو قال ذلك كان جائزاً لأن المصادر قد يكنّى عنها بالتذكير كما يكنّى بالتأنيث يقولون قدم فلان ففرحت بها أي بقدمته وفرحت به أي بقدومه ﴿ **نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا** ﴾ أي أن هذه الأخبار التي أعلمناكها لم تكن تعلمها أنت ولا قومك من العرب يعرفونها من قبل إيحائنا إليك لأنهم لم يكونوا أهل كتاب وسير وقيل من قبل هذا القرآن وبيان القصص فيه ﴿ **فاصبر** ﴾ أي فاصبر على القيام بأمر الله وعلى أذى قومك يا محمد كما صبر نوح على أُذى قومه وهذا أحد الوجوه التي لأجلها كرَّر الله قصص الأنبياء عليهم السلام ليصبر النبي ﷺ على ما كان يقاسيه من أُمور الكفار الجهال حالاً بعد حال ﴿ **إن العاقبة للمتقين** ﴾ أي إن العاقبة المحمودة وخاتمة الخير والنصرة للمتقين كما كانت لنوح (ع) .

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ

عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٥١﴾
وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم
مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ
يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا
نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ
قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن
دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى
ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي
عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ
بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيۡـًٔاۚ
إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٨﴾
وَتِلۡكَ عَادٞۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ كُلِّ
جَبَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٥٩﴾ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ
أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ﴿٦٠﴾

[**اللغة**] الفطر الشق عن أمر الله كما ينفطر الورق عن الشجر ومنه فطر الله الخلق لأنه بمنزلة ما شق عنه فظهر . المدرار الدار الكثير المتتابع على قدر الحاجة إليه دون الزائد

المفسد المضر ومفعال للمبالغة كقولهم معطار ومقدام واعتراك من قولهم عراه يعروه إذا أصابه قال الشاعر (من القوم يعروه إجتراء ومأثم) والفرق بين الإنظار والتأخير إن الإنظار إمهال لينظر صاحبه في أمره والتأخير خلاف التقديم والناصية قصاص الشعر وأصله الإتصال من قولهم مفازة تناصي مفازة إذا كانت الأخيرة متصلة بالأولى قال « فيء تناصيها بلا دفيء » وقال أبو النجم :

إنْ يُمْسِ رَأْسِي أشْمَطَ الْعَنَاصِي كَأنَّمَا فَرَّقَهُ الْمُنَاصِي[1]

أي يجاذب ليتصل به في مرة . العنيد العاتي الطاغي عَنَد يُعند عنوداً إذا تجبَّر وعَنَد عن الأمر إذا حاد عنه فهو عاند وعنود .

[**الإعراب**] أخاهم نصب بتقدير أرسلنا كأنه قال وأرسلنا إلى عاد أخاهم وهودا عطف بيان وعاد مصروف لأن المراد به الحي وقد يقصد به القبيلة فلا يصرف قال :

لَوْ شَهِدَ عَادَ فِي زَمَانِ عَادِ لأبْتَزَّهَا مَبَارِكَ الْجِلادِ[2]

« غيره » من ضمَّ الراء حمل الصفة على الموضع ومن جرَّه حمله على اللفظ قوله أن نقول إلا إعتراك بعض آلهتنا بسوء قال صاحب كتاب كشف الجامع النحوي إنْ حرف نفي لحقت « نقول » فنفت جميع القول إلا قولاً واحداً وهو قولهم اعتراك بعض آلهتنا بسوء والتقدير ما نقول قولاً إلا هذه المقالة والفعل يدل على المصدر وعلى الظرف وعلى الحال ويجوز أن يذكر الفعل ثم يستثنى من مدلوله ما دلَّ عليه من المصادر والظروف والأحوال فنقول إعتراك مستثنى من المصدر الذي دلَّ عليه نقول كقوله تعالى ﴿ **أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى** ﴾ فنصب موتتنا على الاستثناء لأنه مستثنى من ضروب الموت الذي دلَّ عليه قوله بميتين ومما جاء من ذلك في الظروف قوله ﴿ **ويوم نحشرهم** ﴾ كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار فساعة إستثناء مما دلَّ عليه يلبثوا من الأوقات ومما جاء من ذلك في الحال قوله ﴿ **ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله** ﴾ التقدير ضربت عليهم الذلة في جميع الأحوال أينما ثقفوا إلا متمسكين بحبل أي بعهد من الله إنتهى كلامه وقوله ﴿ **فإن تولوا** ﴾

---

(١) الأشمط : الأبيض . والعناصي جمع عنصوة : الخصلة من الشعر والمناصاة : مد الناصية من قولهم : نصوت الرجل : إذا مددت ناصيته .

(٢) مبارك الإبل : الموضع الذي تبرك أي تنيخ فيه . والجلاد من النوق : التي لا أولاد لها فتصبر على الحر والبرد . أو الكبار التي لا صغار فيها واللفظ كناية .

تقديره فإن تتولوا فحذف إحدى التائين لدلالة الكلام عليه وقوله ﴿ **بعداً** ﴾ لعاد منصوب على المصدر أي أبعدهم الله بعداً فوقع بعداً موقع أبعاد كما وقع نبات موقع إنبات في قوله ﴿ **والله أنبتكم من الأرض نباتاً** ﴾.

[المعنى] ثم عطف سبحانه قصة هود على قصة نوح فقال ﴿ **وإلى عاد أخاهم هوداً** ﴾ أراد أخاهم في النسب دون الدين ﴿ **قال يا قوم اعبدوا الله** ﴾ وحده وأطيعوه دون الأصنام ﴿ **ما لكم من إله غيره** ﴾ دخول من يفيد التعميم نفى أن يكون لهم معبود يستحق العبادة غير الله عزَّ اسمه ﴿ **إن أنتم إلا مفترون** ﴾ أي ما أنتم إلا كاذبون في قولكم إن الأصنام آلهة ﴿ **يا قوم لا أسألكم عليه أجراً** ﴾ أي لست أطلب منكم على دعائي لكم إلى عبادة الله جزاء ﴿ **إن أجري إلا على الذي فطرني** ﴾ أي ليس جزائي إلا على الله الذي خلقني ﴿ **أفلا تعقلون** ﴾ عني ما أقول لكم فتعلمون أن الأمر على ما أقوله ﴿ **ويا قوم إستغفروا ربكم ثم توبوا إليه** ﴾ قد بيَّنا وجه تقديم الاستغفار على التوبة في أول هذه السورة ﴿ **يرسل السماء عليكم مدراراً** ﴾ أي يرسل المطر عليكم متتابعاً متواتراً دارّاً وقيل أنهم كانوا قد أجدبوا فوعدهم هود أنهم إن تابوا أخصبت بلادهم وأمرعت وهادهم[1] وأثمرت أشجارهم وزكت ثمارهم بنزول الغيث الذي يعيشون به وهذا مثل قوله ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ ﴿ **ويزدكم قوة إلى قوتكم** ﴾ فسِّرت القوة هنا بالمال والولد والشدة وكل ذلك مما يتقوى به الإنسان قال علي بن عيسى يريد عزاً إلى عزّكم بكثرة عددكم وأموالكم وقيل قوة في إيمانكم إلى قوة أبدانكم ﴿ **ولا تتولوا** ﴾ عما أدعوكم إليه ﴿ **مجرمين** ﴾ أي مشركين كافرين ﴿ **قالوا يا هود ما جئتنا ببينة** ﴾ أي بحجة ومعجزة تبين صدقك ﴿ **وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك** ﴾ أي لسنا بتاركي عبادة الأصنام لأجل قولك وقيل إنَّ عَنْ جعلت مكان الباء فمعناه بقولك ﴿ **وما نحن لك بمؤمنين** ﴾ أي مصدّقين وإنما حملهم على دفع البينة مع ظهورها أشياء منها تقليد الآباء والرؤساء ومنها إتمامهم لمن جاء بها حيث لم ينظروا فيها ومنها أنه دخلت عليهم الشبهة في صحتها ومنها إعتقادهم لأصول فاسدة دعتهم إلى جحدها وإنما حملهم على عبادة الأوثان أشياء منها اعتقادهم إن عبادتها تقرِّبهم إلى الله زلفى ومنها أن الشيطان ربما ألقى إليهم أن عبادتها تحظيهم في الدنيا ومنها أنهم ربما اعتقدوا مذهب المشبهة فاتخذوا الأوثان على صورته عندهم فعبدوها ﴿ **إن نقول إلا إعتراك بعض آلهتنا بسوء** ﴾ هذا تمام الحكاية عن قوم هود جواباً لهود والمعنى لسنا نقول

(١) مرع المكان : أخصب . ووهاد جمع وهد : المطمئن من الأرض والمكان المنخفض كأنه حفرة .

فيك إلا أنه أصابك بعض آلهتنا بسوء فخبل عقلك لشتمك لها وسبِّك إياها ذهب إليه ابن عباس ومجاهد ﴿ قال ﴾ أي قال هود لقومه ﴿ إني أشهد الله واشهدوا ﴾ أي وأشهدكم أيضاً بعد إشهاد الله ﴿ إني بريء مما تشركون من دونه ﴾ أي إن كنتم تزعمون أن آلهتكم عاقبتني لطعني عليها فإني على بصيرة في البراءة مما تشركونه مع الله من آلهتكم التي تزعمون أنها أصابتني بسوء وإنما أشهدهم على ذلك وإن لم يكونوا أهل شهادة من حيث كانوا كفاراً فساقاً إقامة للحجة عليهم لا لتقوم الحجة بهم فقال هذا القول إعذاراً وإنذاراً وقيل أنه أراد بقوله اشهدوا واعلموا كما قال شهد الله أي علم الله ﴿ فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون ﴾ أي فاحتالوا واجتهدوا أنتم وآلهتكم في إنزال مكروه بي ثم لا تمهلوني قال الزجاج وهذا من أعظم آيات الأنبياء أن يكون الرسول وحده وأمته متعاونة عليه فيقول لهم كيدوني فلا يستطيع واحد منهم ضرُّه وكذلك قال نوح لقومه فأجمعوا أمركم وشركاءكم الآية وقال نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فإن كان لكم كيد فكيدون ومثل هذا القول لا يصدر إلا عمن هو واثق بنصر الله وبأنه يحفظه عنهم ويعصمه منهم ثم ذكر هود (ع) هذا المعنى فقال ﴿ إني توكلت على الله ربي وربكم ﴾ أي فوَّضت أمري إلى الله سبحانه متمسكاً بطاعته تاركاً لمعصيته وهذا هو حقيقة التوكل على الله سبحانه ﴿ ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ﴾ أي ما من حيوان يدبُّ على وجه الأرض إلا وهو مالك لها يصرفها كيف يشاء ويقهرها وجعل الأخذ بالناصية كناية عن القهر والقدرة لأن من أخذ بناصية غيره فقد قهره وأذلَّه ﴿ إن ربي على صراط مستقيم ﴾ أي أنه سبحانه مع كونه قاهراً على عدل فيما يعامل به عباده والمعنى أنه يعدل ولا يجور وقيل معناه إن ربي في تدبير عباده على طريق مستقيم لا عوج فيه ولا اضطراب فهو يجري على سبيل الصواب ويفعل ما يقتضيه الحكمة ﴿ فإن تولوا ﴾ هذا حكاية عما قاله هود (ع) لقومه والمعنى فإن تتولوا ويجوز أن يكون حكاية عما قاله سبحانه لهود والمعنى فإن تولوهم ﴿ فـ ﴾ قل لهم ﴿قد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم﴾ أي ليس ذلك لتقصير مني في إبلاغكم وإنما هو لسوء اختياركم في اعراضكم عن نصحي فقد أبلغتكم جميع ما أوحي إليَّ ﴿ ويستخلف ربي قوماً غيركم ﴾ أي ويهلككم ربي بكفركم ويستبدل بكم قوماً غيركم يوحِّدونه ويعبدونه ﴿ ولا تضرونه شيئاً ﴾ يعني إذا استخلف غيركم فجعلهم بدلاً منكم لا تقدرون له على ضرٍّ وقيل معناه لا تضرونه بتوليكم واعراضكم شيئاً ولا ضرر عليه في إهلاككم لأنه لم يخلقكم لحاجة منه إليكم ﴿ إن ربي على كل شيء حفيظ ﴾ يحفظه من الهلاك إن شاء ويهلكه إذا شاء وقيل معناه إن ربي يحفظني عنكم وعن إذاكم وقيل معناه إن ربي على كل شيء من أعمال عباده حفيظ حتى يجازيهم عليها ﴿ ولما جاء أمرنا ﴾ بهلاك عاد ﴿ نجينا هوداً والذين آمنوا معه ﴾

من الهلاك وقيل أنهم كانوا أربعة آلاف ﴿ **برحمة منا** ﴾ أي بما أريناهم من الهدى والبيان عن ابن عباس وقيل برحمة منا أي بنعمة منا وهي النجاة أي أنجيناهم برحمة ليعلم أنه عذاب أريد به الكفار لا إتفاق وقع ﴿ **ونجيناهم من عذاب غليظ** ﴾ أي كما نجيناهم من عذاب الدنيا نجيناهم من عذاب الآخرة والغليظ الثقيل العظيم ويحتمل أن يكون هذا صفة للعذاب الذي عذّب به قوم هود ثم ذكر سبحانه كفر عاد فقال ﴿ **وتلك** ﴾ أي وتلك القبيلة ﴿ **عاد جحدوا بآيات ربهم** ﴾ يعني معجزات هود الدالة على صحة نبوته ﴿ **وعصوا رسله** ﴾ إنما جمع الرسل وكان قد بعث إليهم هود لأنَّ من كذَّب رسولاً واحداً فقد كفر بجميع الرسل ولأن هوداً كان يدعوهم إلى الإيمان به وبمن تقدَّمه من الرسل وبما أنزل عليهم من الكتب فكذَّبوا بهم جميعاً فلذلك عصوهم ﴿ **واتبعوا أمر كل جبار عنيد** ﴾ أي واتبع السفلة والسقاط الرؤساء وقيل إن الجبار من يقتل ويضرب على غضبه والعنيد الكثير العناد الذي لا يقبل الحق ﴿ **وأُتبعوا في هذه الدنيا لعنة** ﴾ أي واتبع عاداً بعد إهلاكهم في الدنيا بالأبعاد عن الرحمة فإن الله تعالى أبعدهم من رحمته وتعبد المؤمنين بالدعاء عليهم باللعن ﴿ **ويوم القيامة** ﴾ أي وفي يوم القيامة يبعدون من رحمة الله كما بعدوا في الدنيا منها ويلعنون بأن يدخلوا النار فإن اللعنة الدعاء بالإبعاد من قولك لعنه إذا قال عليه لعنة الله وأصله الإبعاد من الخير ﴿ **ألا** ﴾ إبتداء وتنبيه ﴿ **إن عاداً كفروا ربهم** ﴾ أراد بربهم فحذف الباء كما قالوا أمرتك الخير أي بالخير ﴿ **ألا بعداً لعاد قوم هود** ﴾ أي أبعدهم الله من رحمته فبعدوا بعداً .

﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥۖ فَمَا

تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً
فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ
قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ
وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ
ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ
جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ
أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾

[القراءة] قرأ أهل المدينة غير إسماعيل والكسائي والبرجمي والشموني عن أبي بكر عن عاصم ومن خزي يومَئذ بفتح الميم ههنا وعذاب يومَئذ في المعارج والباقون بكسر الميم على الإضافة وقرأ حمزة وحفص عن عاصم ويعقوب إلا أن ثمود غير منون في جميع القرآن وقرأ الباقون ثموداً بالتنوين ههنا وفي الفرقان والعنكبوت والنجم لأنه مكتوب بالألف في هذه المواضع وأبو بكر عن عاصم يقرأ وثمود في والنجم بغير تنوين وينوّن الباقي وروى عنه البرجمي ومحمد بن غالب عن الأعشى في والنجم بالتنوين أيضاً وقرأ الكسائي وحده ألا بعداً لثمودٍ بالجر والتنوين والباقون لثمودَ بفتح الدال .

[الحجة] قال أبو علي قوله ﴿ ومن خزي يومئذ ﴾ يوم في قوله ﴿ يومئذ ﴾ ظرف فتحت أو كسرت في المعنى إلا أنه إتسع فيه فجعل إسماً كما إتسع في قوله ﴿ بل مكر الليل والنهار ﴾ فأضيف المكر إليهما وإنما هو فيهما فكذلك العذاب والخزي والفزع في قوله من فزع يومئذ أضفن إلى اليوم والمعنى على أن ذلك كله في اليوم كما أن المكر في الليل والنهار يدلّك على ذلك قوله ﴿ ولعذاب الآخرة أخزى ﴾ وقوله ﴿ لا يحزنهم الفزع الأكبر ﴾ وقوله ﴿ ففزع من في السموات ومن في الأرض ﴾ وقوله ﴿ ربنا إنك من تدخل النار ﴾ فقد أخزيته وأما من

كسر الميم من يومِئذ فلأن يـوماً إسم معـرب فأضيف إليـه ما أضيف من العـذاب والخزي والفزْع فانجر بالإضافة ولم يفتح اليوم فتبنيه لإضافته إلى المبني لأن المضاف منفصـل من المضاف إليه ولا يلزمه الإضافة فلما لم يلزم الإضافة المضاف لم يلزم فيه البناء يدلُّك على ذلك أنك تقول ثوب خز ودار زيد فلا يجوز فيه إلا الإعراب وإن كان الإسمان جعلا بمعنى الحرف فلم يلزمها البناء كما يلزم ما لا ينفك منه معنى الحرف نحو أين وكيف ومتى فلما لم يبن المضاف للإضافة وإن كان قد عمل عمل الحرف من حيث كان غير لازم كذلك لم يبن يوم للإضافة إلى إذ لأن إضافته لم تلزم كما لم يبن المضاف وإن كان قد عمل في المضاف إليه بمعنى اللام أو بمعنى من لما لم تلزم الإضافة وأما من فتح فقال من عذاب يومئذ ومن خزي يومئذ ففتح مع أنه في موضع جر فلأن المضـاف يكتسي من المضاف إليـه التعريف والتنكير ومعنى الاستفهام والجزاء في نحو غلام من تضرب وغلام من تضرب أضربه والنفي في نحو قولهم ما أخذت باب دار أحد فلما كان يكتسي من المضاف إليه هذه الأشياء إكتسى منه الإعراب والبناء أيضاً إذا كان المضاف من الأسماء الشائعة نحو يوم وحينٍ ومثل ويشبـه بهذا الشياع الأسماء الشائعة المبنية نحو أين وكيف ولو كان المضاف مخصوصاً نحـو رجل وغلام لم يكتس منه البناء كما إكتسى منه الأسماء الشائعة فمما جاء من ذلك قوله :

عَلىٰ حِينَ عـاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصِّبا وَقُلْتُ أَلَمَّـا أَصْـحُ وَالـشَّيْبُ وازِعُ[١]

ومن ذلك قوله ﴿ أنه لحق مثل ما أنكم تنطقون ﴾ فمثل في موضع رفع في قول سيبويه وقد جرى وصفاً على النكرة إلا أنه فتح للإضافة إلى ما ومن ذلك قول الشاعر :

وَتَـداعـىٰ مَـدْخَـراهُ بِـدَمٍ مِثْـلَ مـا أَثْمَـرَ حُمَّاضُ الْجَبَـلْ[٢]

لما أضاف مثل إلى المبني وكان إسماً شائعاً بناه ولم يعربه وذهب أبو عثمان إلى أنه جعل مثلاً مع ما بمنزلة إسم واحد فبنى مثلاً على الفتح ولا دلالة قاطعة على هذا القول في هذا البيت وإن كان ما ذهب إليه مستقيماً فأما الكسرة في إذ فلالتقاء الساكنين وذلك إن إذ من حكمها أن تضاف إلى الجملة من الابتداء والخبر فلما اقتطعت عنها الإضافـة نوّنت ليدلَّ التنوين على أن المضاف إليه قد حذف فكسرت الذال لسكونهـا وسكون التنـوين وقال في صرف ثمود وترك صرفه ان هذه الأسماء التي تجري على القبائل والأحياء على ضروب (أحدها) أن يكون إسماً للحيِّ والأب (والآخر) أن يكون إسماً للقبيلة (والثالث) أن يكون الغالب عليه الأب والحي والقبيلة (والرابع) أن يستوي ذلك في الاسم فيجري على الوجهين ولا

(١) قائله النابغة الذبياني وذكره في جامع الشواهد .

(٢) الحماض : نبت جبلي زهره أحمر شبه به الدم .

يكون لأحد الوجهين مزية على الآخر في الكثرة فمما جاء على أنه إسم الحي قولهم ثقيف وقريش وكل ما لا يقال فيه بنو فلان وأما ما جاء إسماً للقبيلة فنحو تميم قالوا تميم بنت مر قال سيبويه سمعناهم يقولون قيس ابنة غيلان وتميم صاحبة ذلك وقالوا تغلب ابنة وائل قال :

لَوْلا فَوارِسُ تَغْلِبَ ابْنَةِ وائِلٍ ... نَزَلَ الْعَدُوُّ عَلَيْكَ كُلَّ مَكانِ

وأما ما غلب عليه إسم الحي أو القبيلة فقد قالوا باهلة بن أعصر وقالوا يعصر وباهلة اسم امرأة قال سيبويه ولكنه جعل اسم الحي ومجوس لم يجعل إلا اسم القبيلة وتميم أكثرهم يجعله اسم القبيلة ومنهم من يجعله إسم الأب فأما ما استوى فيه أن يكون إسماً للقبيلة وأن يكون إسماً للحي فقال سيبويه هو ثمود وسبأ فهما مرة للقبيلتين ومرة للحيين وكثرتهما سواء قال وعاداً وثموداً وقال ﴿ ألا إنَّ ثموداً كفروا ربهم ﴾ وقال ﴿ وآتينا ثمود الناقة ﴾فإذا استوى في ثمود أن يكون مرة للقبيلة ومرة للحي فلم يكن لحمله على أحد الوجهين مزية في الكثرة فمن صرف في جميع المواضع كان حسناً ومن لم يصرف في جميع المواضع كان حسناً وكذلك أن صرف في موضع ولم يصرف في موضع آخر إلا أنه لا ينبغي أن يخرج عما قرأت به القراء فإن القراءة سنة متبعة ومن ذلك قول الشاعر :

كَسا اللهُ حَيَّ تَغْلِبَ ابْنَةِ وائِلٍ ... مِنَ اللُّؤْمِ أظْفاراً بَطيئاً نُصُولُها

فقال حي ثم قال ابنة وائل فجمع بين الحي والقبيلة وأما قوله :

أولِئكَ أوْلىٰ مِنْ يَهُودَ لِمَدْحَةٍ ... إذا أنْتَ يَوْماً قُلْتَها لَمْ تُؤَنَّبِ

فقد قامت الدلالة على أن يهود إستعملت على أنها للقبيلة وليس للحي في قوله أُولئك أولى من يهود لأن يهود لو كان للحي لصرف وأنشد أبو الحسن :

فَرَّتْ يَهُودُ وَأسْلَمَتْ جيرانُها ... صَمّي لِما فَعَلَتْ يَهُودُ صَمامِ[1]

وكذلك جاء في الحديث تقسم يهود ومثل يهود في هذا مجوس في قول الشاعر « كَنارِ مَجُوسَ تَسْتَعِرُ آسْتِعاراً »[2] ألا ترى أنه لو كان للحي دون القبيلة لأنصرف .

(١) قائله أسود بن يعفر أحد شعراء العرب في الجاهلية وكان من ندماء النعمان بن المنذر وصمي صمام أي أخرسي اداهية ولا تستمعي لمن يطلب إليك الذهاب والإنصراف وهم يريدون زيدي واشتدي .

(٢) وقبله « أحار أريك برقاً هب وهناً » وصدر البيت لامرىء القيس وعجزه للتوام اليشكري قاله حين نازعه امرىء القيس في الشعر وتفصيل القصة وشرح لغات البيت في اللسان في مادة « مجس » فراجع .

[**اللغة**] الإنشاء إيجاد إبتداء من غير إستعانة بشيء من الأسباب وأنشأ فلان حديثاً أو شعراً والاستعمار جعل القادر يعمر الأرض كعمارة الدار ومنه العمرى في الفقه وهو أن يقول أعطيتك هذه الدار عمري أو عمرك والمس واللمس بمعنى وفرَّق علي بن عيسى بينهما بأن المس قد يكون بين جمادين واللمس لا يكون إلا بين حيين لما فيه من الإدراك والجثوم السقوط على الوجه وقيل هو القعود على الركبة وغني بالمكان إذا أقام به والمغنى المنزل قال النابغة :

غَنِيَتْ بِـذَلِـكَ إِذْ هُمُ لَـكَ جِيـرَةٌ مِـنْهَـا بِعَـطْفِ رِسَـالَـةٍ وَتَـوَدُّدِ

وأصل الغنى الإكتفاء ومنه الغنى بالمال والغناء بالمد الصوت الذي يكتفى به والغناء الإكتفاء بحال الشيء ومنه غني بالمكان لاكتفائه بالإقامة فيه .

[**الإعراب**] أرأيتم لا مفعول له ههنا لأنه معلق كما يعلق إذا دخل الجملة لام الابتداء في مثل قوله قد رأيت لزيد خير منك فكذلك الجزاء وجواب أن الأولى الفاء وجواب أن الثانية محذوف وتقديره إن عصيته فمن ينصرني إلا أنه إستغنى بالأول فلم يظهر ومن ينصرني صورته صورة الاستفهام ومعناه النفي فكأنه قال فلا ناصر لي من الله إن عصيته وإنما جاز إلغاء رأيت هنا لأنها دخلت على جملة قائمة بنفسها من جهة أنها تفيد لو إنفردت عن غيرها وهو يتعلق بمعناها دون تفصيل لفظها وقوله ﴿ **فيأخذكم** ﴾ جواب النهي بالفاء ولذلك نصبه وتقديره لا يقع منكم مسها بسوء فإن يأخذكم عذاب قريب أي فأخذ عذاب عاجل أياكم وأيام أصله ايوام قلبت الواو ياء وادغمت الياء الأولى فيها .

[**المعنى**] ثم عطف سبحانه على ذلك قصة صالح فقال ﴿ **وإلى ثمود أخاهم صالحاً** ﴾ وكان ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام وكان عاد باليمن عن الجبائي ﴿ **فقال** ﴾ لهم صالح ﴿ **يا قوم أعبدوا الله ما لكم من إلـه غيره** ﴾ مضى تفسيره ﴿ **هو انشأكم من الأرض** ﴾ أي ابتدأ خلقكم من الأرض لأنه خلق آدم من الأرض ومرجع نسبكم إليه ﴿ **واستعمركم فيها** ﴾ أي جعلكم عمار الأرض بأن مكَّنكم من عمارتها وأحوجكم إلى السكنى فيها وقيل معناه وأعمرها لكم مدة إعماركم من العمرى عن مجاهد وقيل معناه وأطال فيها أعماركم عن الضحاك قال وكانت أعمارهم من ألف سنة إلى ثلاثمائة سنة وقيل معناه أمركم من عمارتها بما تحتاجون إليه من المساكن والزراعات وغرس الأشجار وفي هذا دلالة على فساد قول من حرَّم المكاسب لأنه سبحانه أمتن على عباده بأن مكّنهم من عمارة الأرض

ولو كان ذلك محرماً لم يكن لذلك وجه ﴿ **فاستغفروه ثم توبوا إليه** ﴾ أي فاستغفروه من الشرك والذنوب ثم دوموا على التوبة ﴿ **إن ربي قريب** ﴾ برحمته لمن وحده ﴿ **مجيب** ﴾ لمن دعاه ﴿ **قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا** ﴾ أي كنا نرجو منك الخير لما كنت عليه من الأحوال الجميلة قبل هذا القول فالآن يئسنا منك ومن خيرك بإبداعك ما أبدعت وقيل معناه كنّا نرجوك ونظنّك عوناً لنا على ديننا ﴿ **أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا** ﴾ إستفهام معناه الإنكار كأنهم أنكروا أن ينهى الإنسان عن عبادة ما عبده آباؤه ﴿ **وإننا لفي شك مما تدعونا إليه** ﴾ من الدين ﴿ **مريب** ﴾ موجب للريبة والتهمة إذ لم يكن آباؤنا في جهالة وضلالة ﴿ **قال** ﴾ صالح لهم ﴿ **يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي** ﴾ مرَّ بيانه فيما قبل ﴿ **وآتاني منه رحمة** ﴾ أي وأعطاني الله منه نعمة وهي النبوة ﴿ **فمن ينصرني من الله إن عصيته** ﴾ أي فمن يمنع عذاب الله عني إن عصيته مع نعمته عليَّ ﴿ **فما تزيدونني غير تخسير** ﴾ أي ما تزيدونني بقولكم أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا غير نسبتي إياكم إلى الخسارة والتخسير مثل التفسيق والتفجير قال ابن الأعرابي يريد غير تخسير لكم لا لي وقال ابن عباس ما تزيدونني إلا بصيرة في خسارتكم وقيل معناه إن أجبتكم إلى ما تدعونني إليه كنت بمنزلة من يزداد الخسران ﴿ **ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية** ﴾ أشار إلى ناقته التي جعلها الله معجزته لأنه سبحانه أخرجها لهم من جوف صخرة يشاهدونها على تلك الصفة وخرجت كما طلبوه وهي حامل وكانت تشرب يوماً جميع الماء فتنفرد به ولا ترد الماء معها دابة فإذا كان يوم لا ترد فيه وردت الواردة كلها الماء وهذا أعظم آية ومعجزة وانتصب آية على الحال من ناقة الله فكأنه قال إنتبهوا إليها في هذه الحال والمعنى إن شككتم في نبوتي فهذه الناقة معجزة لي وأضافها إلى الله تشريفاً لها كما يقال بيت الله ﴿ **فذروها تأكل من أرض الله** ﴾ أي فاتركوها في حال أكلها فتكون تأكل في أرض الله جملة منصوبة الموضع على الحال ويجوز أن يكون مرفوعاً على الاستئناف والمعنى فإنها تأكل في أرض الله من العشب والنبات ﴿ **ولا تمسُّوها** ﴾ أي لا تصيبوها ﴿ **بسوء** ﴾ قتل أو جرح أو غيره ﴿ **فيأخذكم** ﴾ إن فعلتم ذلك ﴿ **عذاب قريب** ﴾ أي عاجل فيهلككم ﴿ **فعقروها** ﴾ أي عقرها بعضهم ورضي به البعض وإنما عقرها أحمر ثمود وضربت به العرب المثل في الشؤم ﴿ **فقال** ﴾ صالح ﴿ **تمتعوا في داركم ثلاثة أيام** ﴾ أي تلذذوا بما تريدون من المدركات الحسنة من المناظر والأصوات وغيرها مما يدرك بالحواس في بلادكم ثلاثة أيام ثم يحلُّ بكم العذاب بعد ذلك ويقال للبلاد دار لأنها تجمع أهلها كما تجمع الدار أهلها ومنه قولهم ديار ربيعة وديار مضر وقيل في داركم يعني دار الدنيا وقيل معنى قوله ﴿ **تمتعوا في داركم** ﴾ عيشوا في بلدكم وعبَّر عن الحياة بالتمتع لأن الحي يكون متمتعاً

بالحواس قالوا لما عقرت الناقة صعد فصيلها الجبل ورغا ثلاث مرات فقال صالح لكل رغوة أجل يوم فاصفرَّت ألوانهم أول يوم ثم احمرَّت في الغد ثم اسودَّت اليوم الثالث فهو قوله ﴿ **ذلك وعد غير مكذوب** ﴾ أي إنَّ ما وعدتكم به من العذاب ونزوله بعد ثلاثة أيام وعد صدق لا كذب فيه وروى جابر بن عبد الله الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما نزل الحجر في غزوة تبوك قام فخطب الناس وقال يا أيها الناس لا تسألوا نبيكم الآيات فهؤلاء قوم صالح سألوا نبيهم أن يبعث لهم الناقة وكانت ترد من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم ورودها ويحلبون من لبنها مثل الذي كانوا يشربون من مائها يوم غَبِّها[١] فعتوا عن أمر ربهم فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام وكان وعداً من الله غير مكذوب ثم جاءتهم الصيحة فأهلك الله من كان في مشارق الأرض ومغاربها منهمْ إلا رجلاً كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله تعالى يقال له أبو رغال قيل له يا رسول الله من أبو رغال قال أبو ثقيف ﴿ **فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا** ﴾ مرَّ تفسيره في قصة عاد ﴿ **ومن خزي يومئذ** ﴾ قال ابن الأنباري هذا معطوف على محذوف تقديره نجّيناهم من العذاب ومن خزي يومئذ أي من الخزي الذي لزمهم ذلك اليوم والخزي العيب الذي تظهر فضيحته ويستحي من مثله ﴿ **إن ربك هو القوي** ﴾ أي القادر على ما يشاء ﴿ **العزيز** ﴾ الذي لا يمتنع عليه شيء ولا يمنع عما أراده ﴿ **وأخذ الذين ظلموا الصيحة** ﴾ قيل إن الله سبحانه أمر جبرائيل فصاح بهم صيحة ماتوا عندها ويجوز أن يكون الله تعالى خلق تلك الصيحة التي ماتوا عندها ﴿ **فأصبحوا في ديارهم** ﴾ أي منازلهم ﴿ **جاثمين** ﴾ أي ميتين واقعين على وجوههم ويقال جاثمين أي قاعدين على ركبهم وإنما قال فأصبحوا لأن العذاب أخذهم عند الصباح وقيل أتتهم الصيحة ليلاً فأصبحوا على هذه الصفة والعرب تقول عند الأمر العظيم واسوء صباحاه ﴿ **كأن لم يغنوا فيها** ﴾ أي كأن لم يكونوا في منازلهم قطُّ لانقطاع آثارهم بالهلاك إلا ما بقي من أجسادهم الدالة على الخزي الذي نزل بهم ﴿ **إلا أن ثموداً كفروا ربهم الا بعداً لثمود** ﴾ قد سبق تفسيره .

﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا

(١) الغب ـ بالكسر ـ من اوراد الابل ان ترد الماء يوماً وتدعه يوماً ثم تعود.

رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟
لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ
فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ
ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾
قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ
ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ
ٱلْبُشْرَىٰ يُجَـٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ
مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ
رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾

[**القراءة**] قرأ حمزة والكسائي قال سِلْم بكسر السين وسكون اللام هنا وفي الذاريات وقرأ الباقون قال سَلام وقرأ يعقوبَ بالنصب ابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم وقرأ الباقون يعقوبُ بالرفع وفي الشواذ قراءة الاعمش وهذا بعلي شيخٌ بالرفع .

[**الحجة**] قال أبو علي اخبر أبو إسحاق عن محمد بن يزيد قال السلام اربعة اشياء منها مصدر سلمت والسلام شجر قال «الإسلام وحرمل»(١) والسلام جمع سلامة والسلام اسم من اسماء الله تعالى وقوله دار السلام يحتمل أن يكون مضافة إلى الله تعظيماً لها ويحتمل ان يكون دار السلامة من العقاب فمن حصل فيها كان على خلاف من وصف بقوله ويأتيه الموت من كل مكان واما انتصاب قوله سلاماً فلأنه لم يحك شيئاً تكلّموا به فيحكي كما يحكي الجمل ولكن هو معنى ما تكلّمت به الرسل كما ان القائل إذا قال لا آله إلا الله فقلت حقاً أو قلت اخلاصاً أعملت القول في المصدرين لأنك ذكرت معنى ما قال ولم تحك

(١) هذا جزء من بيت الاخطل وقد مر.

نفس الكلام الذي هو جملة تحكي فكذلك نصب سلاماً في قوله قالوا سلاماً لما كان معنى ما قيل ولم يكن نفس المقول بعينه فأما قوله وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً قال سيبويه زعم ابو الخطاب ان مثله يريد قولك سبحان الله الذي تفسيره براءة الله من السوء وقولك للرجل سلاماً تريد مسلماً منك لا ابتلي بشيء من امرك فعلى هذا المعنى وجه ما في الآية قال وزعم ان قول امية .

سَلاَمَكَ رَبَّنَا في كُلِّ فَجْرٍ بَرِيئاً مَا يُعَيِّبُكَ الذُّمُومُ (١)

على قوله براءتك ربنا من كل سوء واما قوله قال سلام فسلام مرفوعَ لأنه من جملة الجملة المحكية والتقدير فيه سلام عليكم فحذف الخبر كما حذف من قوله فصبر جميل أي صبر جميل امثل أو يكون المعنى أمري سلام وشأني سلام كما ان قوله فصبر جميل يصلح ان يكون المحذوف منه المبتدأ أو مثل ذلك قوله فاصفح عنهم وقل سلام على حذف المبتدأ الذي سلام خبره وأكثر ما يستعمل سلام بغير ألف ولام وذلك لأنه في معنى الدعاء فهو مثل قولهم خير بين يديك ولما كان في معنى المنصوب استجير فيه الابتداء بالنكرة فمن ذلك قوله قال سلام عليك سأستغفر لك ربي وقال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقال سلام على نوح في العالمين سلام على إبراهيم وسلام على عباده الذين اصطفى وقد جاء بالألف واللام قال سبحانه والسلام على من اتبع الهدى والسلام عليَّ يوم ولدت وزعم أبو الحسن ان في العرب من يقول سلام عليكم ومنهم من يقول السلام عليكم فالذين الحقوا الألف واللام حملوه على المعهود والذين لم يلحقوه حملوه على غير المعهود وزعم أن منهم من يقول سلام عليكم فلا ينوِّن وحمل ذلك على وجهين (احدهما) أنه حذف الزيادة من الكلمة كما يحذف الأصل من نحو قولك لم يك ولا أدر ويوم يأت (والآخر) أنه لما كثر استعمال هذه الكلمة وفيه الألف واللام حذفا منه لكثرة الاستعمال كما حذفا من اللهم فقالوا (لاَهُمَّ إنَّ عَامِرَ الْفجُورِ * قَدْ حَبَسَ الْخَيْلَ عَلَى يَعْمُورِ)(٢) واما من قال سلم فإن سلماً يحتمل امرين (أحدهما) ان يكون بمعنى سلام فيكون المعنى امرنا سلم أو سلم عليكم ويكون سلم في الآية بمعنى سلام كقولهم حل وحلال وحرم وحرام فيكون على هذا قراءة من قرأ سلام وسلم بمعنى واحد وإن اختلف اللفظان (والآخر) أن يكون سلم خلاف العدو والحرب لأنهم لما كفّوا عن تناول ما قدَّمه اليهم فنكرهم وأوجس الخيفة منهم قال انا سلم ولست بحرب ولا

---

(١) وفي اللسان «تعنتك» مكان «يعيبك» والذموم العيوب. (٢) اليعمور: الجدى.

عدو فلا تمتنعوا من تناول طعامي كما يمتنع من تناول طعام العدو ومن قرأ ومن وراء إسحاق يعقوبُ بالرفع كان رفعه بالابتداء او بالظرف في قول من رفع به ومن فتح فقال يعقوبَ احتمل ثلاثة اضرب (أحدها) ان يكون يعقوب في موضع جر أي فبشَّرناها بإسحاق ويعقوب قال أبو الحسن وهذا اقوى لأنها بشرت بهما قال وفي اعمالها ضعف لأنك فصَّلت بين الجار والمجرور بالظرف (والآخر) أن تحمله على موضع الجار والمجرور كقوله إذا مَا تلاقينا مِن اليَوْم أَوْ غداً وكقراءة من قرأ وجورا عينا بعد يطاف عليهم بكذا ومثله (ولَسْنَا بِالْجِبالِ وَلاَ الْحَديدا) (والثالث) أن يحمل على فعل مضمر كأنه قال فبشرناها بإسحاق ووهبنا له يعقوب فأما الأول فقد نصَّ على سيبويه على فتح مثله نحو مررت بزيد أولَ مِن أمس وأمس عمرو وكذلك قال أبو الحسن لو قلت مررت بزيد اليوم وأمس عمرو لم يحسن وأما الحمل على الموضع على حد مررت بزيد وعمرو فالفعل فيه أيضاً قبيح كما قبح الحمل على الجر وذلك ان الفعل يصل بحرف العطف وحرف العطف هو الذي يشرك في الفعل وبه يصل الفعل الى المفعول به كما يصل بحرف الجر ولو قال مررت بزيد قائماً بجعل الحال من المجرور لم يجز التقديم عند سيبويه لأن الجار هو الموصل للفعل فكما قبح التقديم عنده لضعف الجار العامل كذلك الحرف العاطف مثل الجار في انه يشرك في الفعل كما يوصل الجار الفعل وليس نفس الفعل العامل في الموضعين جميعاً وإذا كان كذلك قبح الفصل بالظرف في العطف على الموضع وقبح أيضاً الفصل في الرفع والنصب كما قبح في الجر لأن العاطف فيهما مثله في الجار وليس العامل في نفس الرافع والناصب كما ان العامل فيما بعد حرف العطف ليس الجار إنما يشركه فيه العاطف وقد جاء ذلك في الشعر قال الأعشى .

يَوْماً تَراها كَشِبْهِ أَرْدِيَةِ الخِمْـ ـسِ وَيَوْماً أديمُها نَغِلا[1]

ففصل بالظرف بين المشترك في النصب وما اشركه فيه فإذا قبح الفصل في الحمل على الموضع كما قبح الفصل في الحمل على الجار فينبغي أن يحمل قراءة من قرأ يعقوب بالنصب على فعل آخر مضمر يدل عليه بشرنا كما تقدم ولا يحمل على الوجهين الآخرين واما الرفع في قوله شيخٌ ففيه وجوه (أحدها) ان يكون بعلي خبر المبتدأ وشيخ بدل من بعلي فيكون كأنه قال هذا شيخ (والآخر) ان يكون شيخ خبر مبتدأ محذوف ويكون هذا بعلي كلاما تاماً يحسن الوقف عليه (والثالث) ان يكون بعلي بدلاً من هذا وشيخ هو الخبر فيكون تقديره

(١) في اللسان «اردية العصب» والخمس والعصب : ضربان من برود اليمن والنغل: الأديم الفاسد .

بعلي شيخ (والرابع) ان يكون بعلي وشيخ جميعاً خبراً عن هذا كقولك هذا حلو حامض اي قد جمع الحلاوة والحموضة فكذلك ههنا تقديره هذا جمع البعولة والشيخوخة قال ابن جني وهنا وجه خامس لكنه علىٰ قياس مذهب الكسائي وذلك انه يعتقد في خبر المبتدأ أبداً ان فيه ضميراً وإن لم يكن مشتقاً من الفعل نحو زيد أخوك وهو يريد النسب فإذا كان كذلك فقياس مذهبه ان يكون شيخ بدلاً من الضمير في بعلي لأنه خبر عن هذا.

[**اللغة**] العجل ولد البقرة والعجول لغة فيه وجمعه العجاجيل وسمي بذلك لتعجيل امره بقرب ميلاده والحنيذ المشويّ وهو المحنون فعيل بمعنى مفعول يقال حنذه يحنذه حنذاً قال العجاج « وَرَهِباً مِنْ حَنْذِهِ أَنْ تَهْرَجَا»(١) يعني الحمر الوحشية قال الزجاج الخنيدّ المشوي بالحجارة وقيل الحنيذ المشوي حتى يقطر والعرب تقول احنذ هذه الفرْس أي اجعل عليه الحبل حتى يقطر عرقاً وقيل الحنيذ المشوي فقط وقيل هو السميط ويقال نكرته وانكرته بمعنى واحد ونكرته أشد مبالغة وهي لغة هذيل والحجاز وانكرته لغة تميم قال الاعشى وجمع بين اللغتين.

وَأَنْكَرَتْني وَمَا كَانَ الَّذي نَكِرَتْ مِنَ الْحَوادِثِ إلاَّ الشَّيْبَ وَالصَّلَعا

وقال أبو ذؤيب ·

فَنَكِرْنَهُ فَنَفَرْنَ فَامْتَرَسَتْ بِهِ هَوْجاءُ هادِيَةٌ وَهادٍ جُرْشُعُ(٢)

والإيجاس الاحساس واوجس وتوجس أي أحسَّ قال ذو الرمة:

وَقَدْ تَوَجَّسَ رِكْزاً مُغْفِرٌ نَدُسٌ بِنَبْأَةِ الصَّوْتِ ما في سَمْعِهِ كَذِبُ(٣)

ويقال أوجس خوفاً أي اضمروا البعل الزوج وأصله القائم بالأمر يقولون للنخل الذي يستغني بماء السماء عن سقي الأنهار والعيون بعل لأنه قائم بالأمر في استغنائه عن تكلف السقي له ومنه قيل للرب والصاحب بعل والعجب يجري على المصدر وعلى المتعجب منه تقول هذا أمر عجب ولا يجوز العجب من أمر الله تعالى لأنه يجب ان يعلم انه قادر على كل

---

(١) وقبله «حتىٰ إذا ما الصيف كان امجا» والرهب من النوق: الضامرة وهرج البعير: سدر من شدة الحر.

(٢) امترس به اي احتك به والهوجاء: الناقة القوية. والهادية: المتقدمة. والجرشع. الطويل من الإبل يصف صائد وان حمر الوحش قربت منه بمنزلة من يحتك بالشيء.

(٣) الركز: الصوت الخفي. والمغفر: ولد الوعل وهو تيس الجبل. وندس اي فطن.

شيء من الاجناس لا يعجزه شيء وما عرف سببه لا يتعجب منه والمجيد الكريم يقال مجد الرجل يمجد مجادة إذا كرم قال الشاعر.

رَفَعْتُ مَجْدَ تَميمٍ يا هِلالُ لَها رَفْعَ الطِّرافِ عَلى الْعَلْياءِ بِالعِمِدِ[1]

والروع الافزاع يقال راعه يروعه إذا افزعه قال عنترة.

ما راعَني إلاَّ حَمُولَةُ أهْلِها وَسْطَ الدِّيارِ تَسُفُّ حَبَّ الخِمْخِمِ[2]

وارتاع ارتياعاً إذا خاف والروع بضم الراء النفس يقال القي في روعي أي في نفسي وسميت بذلك لأنها موضع الروع والردّ والدفع واحد ونقيضه الأخذ والفرق بين الردِّ والدفع ان الدفع قد يكون إلى جهة القدام والخلف والردّ لا يكون إلا إلى جهة الخلف.

[الاعراب] فما لبث ان جاء اي ما اقام حتى جاء بعجل وان جاء في موضع نصب بوقوع لبث عليه كأنه قال فما أبطأ عن مجيئه بعجل فلما حذف حرف الجر وصل الفعل وقال الفراء ويحتمل ان يكون موضعه رفعاً بأن نجعل ان جاء فاعل لبث فكأنك قلت فما لبث مجيئه بعجل والف يا ويلتي يحتمل ان يكون الف ندبة ويحتمل ان يكون ياء الإضافة فانقلبت الفا ومعناه الإيذان بورود الأمر العظيم كما تقول العرب يا للدواهي أي تعالى فإنه من احيانك لحضور ما حضر من اشكالك ويجوز الوقف عليه بغير هاء والاختيار في الكلام ان يوقف عليه بالهاء يا ويلتاه قال الزجاج اما المصحف فلا يخالف ولا يوقف عليه فإن اضطر واقف إلى ان يقف وقف عليه بغير هاء بالاختيار واما الهمزتان في قوله أألد ففيه ثلاثة أوجه إن شئت خففت الأولى وحققت الثانية فقلت يا ويلتي ألد وإن شئت حققت الاولى وخففت الثانية وهو الاختيار فقلت يا ويلتي ألد وإن شئت حققتهما جميعاً فقلت أألد وشيخاً منصوب على الحال قال الزجاج الحال هاهنا نصبها من لطيف النحو وذلك انك إذا قلت هذا زيد قائماً فإن كنت تقصد أن تخبر من لا يعرف زيداً انه زيد لم يجز أن تقول هذا زيد قائماً لأنه يكون زيداً ما دام قائماً فإذا زال عن القيام فليس بزيد وإنما تقول للذي يعرف زيداً هذا زيد قائماً فيعمل في الحال التنبيه والمعنى انتبه لزيد في حال قيامه أو اشير لك إلى زيد في حال قيامه لأن هذا إشارة إلى ما حضر وقال غيره إن شئت جعلت العامل فيه معنى التنبيه وإن شئت جعلت العامل فيه معنى الإشارة وان شئت اعملت فيه مجموعهما وكذا ما جرى مجراه

(١) الطراف : بيت من ادم ليس له كفاء .

(٢) الخمخم : نبات تعلف به الابل .

تقول هذا زيد مقبلاً ولا يجوز مقبلاً هذا زيد لأن العامل ليس بفعل محض فإن قلت ها مقبلا ذا زيد وجعلت العامل معنى الإشارة لم يجز وإن جعلت العامل معنى التنبيه جاز. يجادلنا في موضع نصب لأنه حكاية حال قد مضت وإلا فالجيد ان تقول لما قام قمت ويضعف ان تقول لما قام اقوم وعلى هذا فيكون جواب لما محذوفاً لدلالة الكلام عليه ويكون تقديره قلنا ان إبراهيم لحليم أو ناديناه يا إبراهيم اعرض عن هذا ويجوز ان يكون تقديره أخذ يجادلنا واقبل يجادلنا ويجوز أن يكون لما كان شرطاً للماضي وقع المستقبل فيه في معنى الماضي كما إنَّ أنْ لما كان شرطاً للمستقبل وقع الماضي فيه في معنى المستقبل .

[**المعنى**] ثمر ذكر سبحانه قصة إبراهيم ولوط فقال سبحانه ﴿**ولقد جاءت رسلنا**﴾ يعني الملائكة وإنما دخلت اللام لتأكيد الخبر ومعنى قد ههنا ان السامع لقصص الأنبياء يتوقع قصة بعد قصة وقد للتوقع فجاءت لتؤذن ان السامع في حال توقع واختلف في عدد الرسل فقيل كانوا ثلاثة جبرائيل وميكائيل واسرافيل عن ابن عباس وقيل كانوا اربعة عن أبي عبد الله «ع» قال والرابع اسمه كروبيل وقيل كانوا تسعة عن الضحاك وقيل احد عشر عن السدي وكانوا على صور الغلمان أتوا ﴿**إبراهيم**﴾ الخليل (ع) ﴿**بالبشرى**﴾ أي بالبشارة بإسحاق ونبوته وانه يولد له يعقوب عن الحسن والسدي والجبائي وروي عن أبي جعفر (ع) ان هذه البشارة كانت بإسماعيل (ع) من هاجر وقيل البشارة بهلاك قوم لوط ﴿**قالوا سلاماً**﴾ هذه حكاية ما قال رسل الله تعالى لابراهيم (ع) أي سلَّمنا سلاماً بمعنى الدعاء له وقيل معناه اصبت سلاماً إذا اعطاك الله سلاماً أي سلامة كما يقال أهلا ومرحباً وكان تحية من الملائكة لابراهيم (ع) ﴿**فقال**﴾ إبراهيم مجيباً لهم ﴿**سلام**﴾ وقد مرَّ تفسيره ﴿**فما لبث أن جاء بعجل حنيذ**﴾ أي لم يتوقف حتى جاءهم على عادته في اكرام الأضياف وتقديم الطعام اليهم بعجل مشوي لأنه توهم انهم اضياف لكونهم على صورة البشر وكان إبراهيم يحبُّ الضيفان فجاؤوه على احسن الوجوه اليه وصار لذلك من السنة ان يعجل للضيف الطعام وقيل ان معنى حنيذ نضيج بالحجارة المحماة في خد من الأرض عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل ان الحنيذ ما حفرت له في الأرض ثم غممته وهو فعل أهل البادية عن الفراء وقيل حنيذ مشوي يقطر ماؤه عن ابن عطية ﴿ **فلما رأى** ﴾ ابراهيم ﴿ **أيديهم** ﴾ يعني ايدي الملائكة ﴿ **لا تصل اليه** ﴾ أي إلى العجل ﴿**نكرهم**﴾ اي انكرهم ﴿**وأوجس منهم خيفة**﴾ اي اضمر منهم خوفاً واختلف في سبب الخوف فقيل انه لما رآهم شبانا اقوياء وكان ينزل طرفاً من البلد وكانوا يمتنعون من تناول طعامه لم يأمن ان يكون ذلك لبلاء وذلك ان اهل ذلك الزمان إذا أكل بعضهم طعام بعض

أمنه صاحب الطعام على نفسه وماله ولهذا يقال تحرم فلان بطعامنا أي أثبت الحرمة بيننا بأكله الطعام وقيل انه ظنهم لصوصاً يريدون بهسوءاً أو قيل انه ظن انهم ليسوا من البشر وانهم جاؤا لأمر عظيم وقيل علم انهم ملائكة فخاف ان يكون قومه المقصودين بالعذاب حتى **﴿قالوا﴾** له **﴿لا تخف﴾** يا إبراهيم **﴿إنا ارسلنا إلى قوم لوط﴾** بالعذاب والإهلاك لا إلى قومك وقيل انهم دعوا الله فأحيا العجل الذي كان ذبحه إبراهيم وشواه فطفر ورعى فعلم حينئذ انهم رسل الله **﴿وامرأته﴾** سارة بنت هاران بن يا حور بن ساروع بن ارعوى بن فالغ وهي ابنة عمّ إبراهيم **﴿قائمة﴾** من وراء الستر تسمع كلام الرسل وكلام ابراهيم عن وهب وقيل انها كانت بنت خالته وقيل كانت قائمة تخدم الرسل وإبراهيم جالس معهم عن مجاهد وقيل كانت قائمة تصلي وكان إبراهيم جالساً وفي قراءة ابن مسعود وامرأته قائمة وهو جالس **﴿فضحكت﴾** قيل هو الضحك المعروف الذي يعتري الانسان للفرح وقد يكون للتعجب فضحكت تعجباً من غفلة قوم لوط مع قرب نزول العذاب بهم عن قتادة وقيل تعجباً من امتناعهم عن الأكل وخدمتها إياهم بنفسها ولهذا يقال (وشر الشدائد ما يضحك) وقالت عجباً لأضيافنا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم وهم لا يتناولون من طعامنا وقيل ضحكت لأنها قالت لإبراهيم اضمم لوطاً ابن اختك اليك فإني اعلم انه سينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سروراً لما أتى الأمر على ما توهمت عن الزجاج وقيل تعجباً وسروراً من البشارة بإسحاق لأنها كانت قد هرمت وهي ابنة ثمان وتسعين سنة أو تسع وتسعين سنة وكان قد شاخ زوجها وكان ابن تسع وتسعين او مائة سنة وقيل مائة وعشرين سنة ولم يرزق لهما ولد في حال شبابهما وعلى هذا فيكون في الكلام تقديم وتأخير وتقديره فبشرناها بإسحاق ويعقوب فضحكت بعد البشارة وروي ذلك عن أبي جعفر (ع) **﴿فبشرناها بإسحاق﴾** اي بابن يسمى إسحاق نبياً **﴿ومن وراء إسحاق يعقوب﴾** يعني ومن بعد إسحاق يعقوب وقيل الوراء ولد الولد عن ابن عباس اي فبشرناها بنبي بين نبيين وهو إسحاق ابو ه نبي وابنه نبي وقيل ان ضحكت بمعنى حاضت عن مجاهد وروي عن الصادق (ع) ايضاً يقال ضحكت الارنب أي حاضت والضَحْك بفتح الضاد الحيض وفي لغة ابي الحرث بن كعب ضحكت النخلة إذا أخرجت الطلع أو البسر والضحك الطلع وأنشد بعضهم في الضحك بمعنى الحيض قول الشاعر:

وَضِحْكُ الأَرَانِبِ فَوْقَ الصَّفَا كَمِثْلِ دمِ الْجَوْفِ يَوْمَ اللِّقَا

قال الفراء ولم اسمعه من ثقة والوجه فيه ان يكون على طريق الكناية قال الكميت.

فَأَضْحَكَتِ السِّبَاعَ سُيُوفُ سَعْدٍ لِقَتْلَى مَا دُفِنَّ وَلَا وُدِينَا[١]

(قالت) سارة ﴿**يا ويلتي أألد وأنا عجوز**﴾ أي هذا شيء عجيب أن ألد وقد شختُ من زوج شيخ ولم تشك في قدرة الله تعالى ولكن إنما قالت ذلك لكونه خارجاً عن العادة كما ولى موسى مدبراً حين انقلبت عصاه حية حتى قيل له اقبل ولا تخف وإلا فهي كانت عارفة بأن الله تعالى يقدر على ذلك ولم ترد بقولها يا ويلتي الدعاء على نفسها بالويل ولكنها كلمة تجري على افواه النساء إذا طرأ عليهن ما يتعجبن منه وقيل انها لم تتعجب من قدرة الله ولكنها أرادت أن تعرف هل تتحول شابة أم تلد على تلك الحال وكل ذلك عجيب ﴿**وهذا بعلي شيخاً**﴾ أي هذا الذي تعرفونه بعلي وهو شيخ ﴿**إن هذا**﴾ الذي بُشِّرتُ به ﴿**الشيء عجيب قالوا**﴾ اي قالت الملائكة لها حين تعجبت من ان تلد بعد الكبر ﴿**أتعجبين من أمر الله**﴾ ومعنى الاستفهام ههنا التنبيه والتوقيف أي أتعجبن من ان يفعل الله تعالى ذلك بك ولزوجك ﴿**رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت**﴾ أي ليس هذا موضع تعجب لأن التعجب إنما يكون من الأمر الذي لا يعرف سببه ونعمة الله تعالى وكثرة خيراته النامية الباقية عليكم وهذا يحتمل ان يكون اخباراً عن ثبوت ذلك لهم وتذكيراً بنعمة الله وبركاته عليهم ويحتمل ان يكون دعاء لهم بالزحمة والبركة من الملائكة فقالوا رحمة الله وبركاته عليكم يا أهل البيت كما يقال اتتعجب من كذا بارك الله فيك ويرحمك الله ويعني بأهل البيت اهل بيت إبراهيم (ع) وإنما جعلت سارة من اهل بيته لأنها كانت ابنة عمه ولا دلالة في الآية على ان زوجة الرجل من اهل بيته على ما قاله الجبائي وروي ان امير المؤمنين (ع) مرَّ بقوم فسلَّم عليهم فقالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت ومغفرته ورضوانه فقال (ع) لهم لا تجاوزوا بنا ما قالت الملائكة لأبينا إبراهيم (ع) رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت ﴿**أنه حميد**﴾ أي محمود على أفعاله وقيل الحميد الذي يحمد عباده على الطاعات ﴿**مجيد**﴾ أي كريم وهو المبتدىء بالعطية قبل الاستحقاق وقيل معناه واسع القدرة والنعمة عن ابي مسلم وروي أن سارة قالت لجبرائيل (ع) ما آية ذلك فأخذه بيده عوداً يابساً فلوّاه بين أصابعه فاهتز اخضر عن السدي ﴿**فلما ذهب عن ابراهيم الروع**﴾ أي الخوف والفزع الذي دخله من الرسل ﴿**وجاءته البشرى**﴾ بالولد ﴿**يجادلنا في قوم لوط**﴾ أي يجادل رسلنا ويسائلهم في قوم

(١) وفي اللسان «واضحكت الضباع ا ه». وودى القاتل القتيل: اعطى وليه ديته. ورد ابن دريد وغيره ان يكون الضحك في هذا الشعر بمعنى الحيض وقالوا إنما اراد الشاعر أنها تكشر لأكل اللحوم. او أنها تستبشر بالقتلى إذا اكلتهم فيهر بعضها على بعض فجعل السرور ضحكاً كتسمية العنب خمراً.

لوط وتلك المجادلة انه قال لهم ان كان فيها خمسون من المؤمنين أتهلكونهم قالوا لا قال فأربعون قالوا لا فما زال ينقص ويقولون لا حتى قال فواحد قالوا لا فاحتجَّ عليهم بلوط وقال ان فيها لوطاً قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه وأهله عن قتادة وقيل انه جادلهم وقال بأي شيء استحقّوا عذاب الاستئصال وهل ذلك واقع لا محالة أم هو تخويف ليرجعوا إلى الطاعة بأيَّ شيء يهلكون وكيف يجيء الله المؤمنين عن الجبائي ولما سألهم مستقص سمي ذلك السؤال جدالاً لأنه خرج الكشف عن شيء غامض ﴿**إن إبراهيم لحليم أواه**﴾ مرَّ معناه في سورة براءة ﴿**منيب**﴾ راجع إلى الله تعالى في جميع اموره متوكل عليه وفي هذا اشارة إلى ان تلك المجادلة من إبراهيم (ع) لم تكن من باب ما يكره لأنه مدحه بالحلم وبأن ذلك كان في أمر يتعلق بالرحمة ورقة القلب والرأفة وذلك لأنه رأى الخلق الكثير في النار فتأوه لهم ﴿**يا إبراهيم اعرض عن هذا**﴾ هو حكاية ما قالت الملائكة لإبراهيم (ع)) فإنها نادته بأن قالت يا إبراهيم اعرض عن هذا القول وهذا الجدال في قوم لوط وانصرف عنه بالذكر والفكر ﴿**انه قد جاء أمر ربك**﴾ بالعذاب فهو نازل لا محالة ﴿**وانهم آتيهم عذاب غير مردود**﴾ يعني غير مدفوع عنهم اي لا يقدر أحد على ردّه عنهم.

﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ
عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾
قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾
قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ
إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا
يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ

مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا
جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾
مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾

[**القراءة**] في الشواذ قراءة سعيد بن جبير والحسن بخلاف وعيسى الثقفي ومحمد بن مروان هن اطهَرَ لكم بالنصب والقراءة المشهورة اطهرُ بالرفع وقراءة شيبة أوأوي بالنصب والقراءة العامة بالرفع وقرأ اهل الحجاز فاسر بأهلك وان اسرِ موصولة الهمزة والباقون فاسر وأنْ اسر بقطع الهمزة العامة حيث كان وقرأ ابن كثير وأبو عمرو إلا امرأتك بالرفع والباقون بالنصب.

[**الحجة**] أما قوله هن اطهر لكم فإن سيبويه ضعف هذه القراءة وقال فيها اجتبى ابن مروان في لحنه قال ابن جني وإنما صحَّ ذلك عنده لأنه ذهب إلى انه جعل هن فصلاً وليست بين احد الجزأين اللذين هما مبتدأ وخبر ونحو ذلك نحو ظننت زيداً هو خيراً منك وكان زيد هو العالم ويجوز أن يكون بناتي هن جملة من مبتدأ وخبر في موضع الخبر لهؤلاء كقولك زيد اخوك هو وأن يكون اطهر حالاً من هن أو من بناتي والعامل فيه معنى الإشارة كقولك هذا زيد هو قائماً ومن قرأ أو آوى بالنصب فيكون تقديره لو أن لي بكم قوة أو آوياً إلى ركن شديد ويكون منتصباً بإضمار ان وعليه بيت الكتاب.

فَلَوْلا رِجَالٌ مِنْ كِرامٍ أَعِزَّةٍ وَآلُ سَبِيعٍ أَوْ أَسُوأَكَ عَلْقَمَا

والتقدير أو انْ اسوءك فكأنه قال أو اياك مسألتي ومن قرأ فأسر بأهلك بإثبات الهمزة في اللفظ أو بغير الهمزة فإن سرى واسرى معناهما سار ليلاً قال النابغة.

أَسَرْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْجَوْزاءِ سارِيَةٌ تُزْجِي الشَّمالُ عَلَيْهِ جامِدَ الْبَرَدِ[1]

ويروى سرت وقال امروء القيس :

سَرَيْتُ بِهِم حَتَّى تَكِلَّ مَطِيُّهُم وَحَتَّى الجِيادُ ما يُقَدْنَ بِأَرْسانِ[2]

(١) ازجاه: ساقه سوقاً ليناً.

(٢) وفي الديوان وامالي الشريف «مطوت بهم» ومعناه سرت بهم سيراً سريعاً. وتكل: اي تتعب. والمطية : الدابة التي =

وقال سبحانه ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾ ومن قرأ إلا امرأتك نصباً فإنه جعل الكلام قبله مستقلاً بنفسه فنصب مع النفي كما ينصب مع الإيجاب والوجه الأقيس الرفع على البدل من احد لأن معنى ما أتاني احد إلا زيد ما اتاني إلا زيد فكما اتفقوا فيما اتاني إلا زيد على الرفع وكان ما أتاني أحد إلا زيد بمنزلته وبمعناه اختاروا الرفع مع ذكر أحد ومما يقوّي ذلك انهم في الكلام واكثر الاستعمال يقولون ما جاءني إلا امرأة فيذكرون حملاً على المعنى ولا يكادون يؤنثون ذلك إلا في الشعر كما في قول الشاعر (فَما بَقَيَتْ إلاّ الْضُلُوعُ الجَراشِعُ)(١) وقول ذي الرمة (وما بقيت إلا النحيرة والألواح والعصب) وزعموا أن في حرف عبد الله أو أبي فأسير بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك وليس فيه ولا يلتفت منكم أحد وهذا يقوي قول من نصب.

[اللغة] اصل سيء بهم سويء بهم من السوء فاسكنت الواو ونقلت كسرتها إلى السين ويقال سؤته فسيء كما يقال شغلته فشغل وسررته فسرَّ والفرق بين السوء والقبيح أن السوء ما يظهر مكروهه لصاحبه والقبيح ما ليس للقادر عليه أن يفعله ويقال ضاق فلان بأمره ذرعاً إذا لم يجد من المكروه في ذلك الأمر مخلصاً والعصيب الشديد في الشر خاصة واصله من الشد يقال عصبت الشيء أي شددته وعصبت فخذ الناقة لتدر وناقة عصوب ويوم عصيب وعصبصب كأنه التف على الناس بالشر أو يكون التف شرَّه بعضه ببعض قال الشاعر:

فَإنَّكَ إنْ لَمْ تَرْضِ بَكْرَ بْنَ وائِلٍ يَكُنْ لَكَ يَوْمٌ بِالْعِراقِ عَصيبُ

وقال عدي بن زيد.

وَكُنْتُ لِزازَ خَصْمِكَ لَمْ أُعِرِّدْ وقَدْ سَلَكُوكَ في يَوْمٍ عَصيبُ(٢)

وقال الراجز :

يَوْمٌ عَصيبٌ يَعْصِبُ الأَبْطَالا عَصْبَ القَوِيِّ الْسَّلَمِ الطِوالا

والإهراع الإسراع في المشي قال مهلهل:

---

* تركب والجياد : الخيل وقوله «ما يقدن بأرسان» اي اعيت من شدة الجري وذللت وانقادت فلا تحتاج الى ان تقاد بأرسان.

(١) قائله ذو الرمة وقبله «طوي النخز والاجراز ما في غروضها» والنخز : الدفع والنخس : والاجراز جمع الجرز : الأرض لانبات فيها. والغروض جمع الغرض : الحزام التي يشد به الرحل: والجراشع جمع الجرشع : المنتفخ يصف ناقته.

(٢) اللزاز بمعنى الملازم. والتعريد: العرار.

فَجَاؤُوا يُهْرِعُونَ وَهُمْ أُسَارىٰ   تَقُودُهُم عَلىٰ رَغْمِ الأُنُوفِ

وقال صاحب العين الإهراع السوق الحثيث قال أبو مسلم والقرآن بالسوق اشبه والركن معتمد البناء بعد الأساس وركنا الجبل جانباه قال الراجز.

يَأْوِي إِلىٰ رُكْنٍ مِنَ الأَرْكَانِ   في عَدَدٍ طَيْسٍ وَمَجْدِيَانِ(١)

والشدة تجمع يصعب معه التفكك وقد تكون الشدة تقبضاً يعسر معه التحلل والقطع القطعة العظيمة تمضي من الليل وقيل نصف الليل كأنه قطع نصفين والالتفات افتعال من اللفت وهو اللّي يقال لفت فلاناً عن رأيه أي صرفته وامرأة لقوت لها ولد من غير زوجها وكأنها تلفت إلى ولدها ومنه الحديث في صفة النبي ﷺ انه كان إذا التفت التفت معاً أي كان لا يلوي عنقه يمنة ويسرة والسجيل فارسي معرب أي سنك وكل حجارة وطين وقال أبو عبيدة هو الحجارة الشديدة وانشد لابن مقبل .

وَرَجْلَةٍ يَضْرِبُونَ الْبِيضَ ضَاحِيَةً   ضَرْباً تَوَاصي بِهِ الأَبْطَالُ سِجِّينا(٢)

وسجين وسجيل بمعنى واحد والعرب تعاقب بين النون واللام فقلبت النون هاهنا لاماً وقيل انه مشتق من أسجلته أي اعطيته فتقديره انها من مثل العطية في الادرار وقيل انه من السَجْل وهو الدلو العظيمة فتقديره انها من مثل السجل في الإرسال وقيل انه من اسجلته إذا ارسلته وكأنها مرسلة عليهم وقيل انه من السِجلّ وهو الكتاب فكأنها سجلت لهم والمراد كتب الله عليهم ان عليهم ان يعذبهم بها والمنضود من نضدت الشيء بعضه على بعض والمسومة من السيماء وهي العلامة ومنه السائمة وهي المرسلة في المرعى وذلك أن الإبل السائمة تختلط في المرعى فيجعل عليها السيماء لتمييزها.

[الاعراب] يهرعون اليه في موضع نصب على الحال من قبل ومن بعد مبنيان على الضم فإذا أضيفا أعربا لو أن لي بكم قوة جواب لو محذوف بدل الكلام عليه وتقديره لَحُلْتُ بينهم وبينكم انه مصيبها ما اصابهم الهاء في انه ضمير الشأن والحديث ومصيبها مبتدأ وما أصابهم موصول وصلة في موضع الرفع بكونه فاعل مصيبها وقد سدّ مسد خبر المبتدأ من سجيل في موضع نصب بكونه صفة لحجارة أي كائنة من سجيل مسومة صفة اخرى لحجارة ويجوز ان يكون نصباً على الحال من الضمير المستكن في منضود.

(١) الطيس العدد الكثير.

(٢) رجلة جمع راجل. وضرب سجين اي شديد.

[المعنى] ثم أخبر سبحانه عن اتيان الملائكة لوطاً بعد خروجهم من عند إبراهيم (ع) وما جرى بينهم وبين قوم لوط فقال ﴿ **ولما جاءت رسلنا لوطاً** ﴾ أي لما جاؤه في صفة الآدميين ﴿**سيء بهم**﴾ أي ساءه مجيئهم لأنه خاف عليهم من قو مه ﴿**وضاق بهم ذرعاً**﴾ أي ضاق بمجيئهم ذرعة أي قلبه لما رأى لهم من جمال الصورة وحسن الشارة[1] وقد دعوه إلى الضيافة وقومه كانوا يسارعون إلى امثالهم بالفاحشة وقيل معناه ضاق بحفظهم من قومه ذرعه حيث لم يجد سبيلاً إلى حفظهم وكان قد علم عادة قومه من الميل إلى الذكور وقد أتوه في صورة الغلمان المرد واصله ان الشيء إذا ضاق ذرعه لم يتسع له ما اتسع فاستعار ضيق الذرع عند تعذر الامكان كما استعار الاتساع ﴿**وقال هذا يوم عصيب**﴾ أي هائل شديد كثير الشرّ التف الشر فيه بالشر وإنما قال ذلك لأنه لم يعلم أنهم رسل الله وخاف عليهم من قومه ان يفضوحهم وقال الصادق (ع) جاءت الملائكة لوطاً وهي في زراعة قرب القرية فسلموا عليه ورأى هيئة حسنة عليهم ثياب بيض وعمائم بيض فقال لهم المنزل فتقدَّمهم ومشوا خلفه فقال في نفسه أيّ شيء صنعت آتي بهم قومي وانا اعرفهم فالتفت إليهم فقال انكم لتأتون شراراً من خلق الله وكان قد قال الله لجبرائيل لا تهلكهم حتى يشهد عليهم ثلاث مرات فقال جبرائيل هذه واحدة ثم مشى لوط ثم التفت اليهم فقال انكم لتأتون شراراً من خلق الله فقال جبرائيل (ع) هذه اثنتان ثم مشى فلما بلغ باب المدينة التفت إليهم فقال انكم لتأتون شراراً من خلق الله فقال جبرائيل هذه الثالثة ثم دخل ودخلوا معه حتى منزله فلما رأتهم امرأته رأت هيئة حسنة فصعدت فوق السطح فصفقت فلم يسمعوا فدخنت فلما رأوا الدخان اقبلوا يهرعون فذلك قوله ﴿**وجاءه قومه يهرعون إليه**﴾ أي يسرعون في المشي لطلب الفاحشة عن قتادة ومجاهد والسدي وقيل معناه يساقون وليس هناك سائق غيرهم فكأن بعضهم يسوق بعضاً عن أبي مسلم والهاء في إليه كناية عن لوط ﴿**ومن قبل**﴾ أي ومن قبل اتيان الملائكة وقيل ومن قبل مجيء قوم لوط إلى ضيفانه وقيل من قبل مجيئهم إلى داره عن الجبائي وقيل إنه من قبل بعثة لوط اليهم ﴿**كانوا يعملون السيئات**﴾ أي يعملون الفواحش مع الذكور ﴿**قال**﴾ لوط ﴿**يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم**﴾ معناه أن لوط لما همُّوا بأضيافه وجاهروا بذلك فالقوا جلباب الحياء فيه عرض عليهم نكاح بناته وقال هنَّ أحل لكم من الرجال فدعاهم إلى الحلال واختلف في ذلك فقيل اراد بناته لصلبه عن قتادة وقيل أراد النساء من أمته لأنهن كالبنات له فإن كل نبي أبو أمته وأزواجه أمهاتهم عن مجاهد وسعيد بن جبير واختلف ايضاً في

(١) الشارة: الحسن والجمال.

كيفية عرضهن فقيل بالتزويج وكان يجوز في شرعه تجويز المؤمنة من الكافر وكذا كان يجوز أيضاً في مبتدأ الإسلام وقد زوَّج النبيﷺ بنته من أبي العاص بن الربيع قبل ان يسلم ثم نسخ ذلك وقيل أراد التزويج بشرط الإيمان عن الزجاج وكانوا يخطبون بناته فلا يزوجهن منهم لكفرهم وقيل انهم كان لهم سيدان مطاعان فيهم فأراد أن يزوجهما بنتيه زعوراء ورتياء **﴿فاتقوا الله﴾** أي فاتقوا عقاب الله في مواقعة الذكور **﴿ولا تخزون في ضيفي﴾** أي لا تلزموني عاراً ولا تلحقوا بي فضيحة ولا تخجلوني بالهجوم على اضيافي فإن الضيف إذا نزل به معرة لحق عارها للمضيف **﴿اليس منكم رجل رشيد﴾** أي اليس في جملتكم رجل قد أصاب الرشد فيعمل بالمعروف وينهي عن المنكر ويزجر هؤلاء عن قبيح فعلهم ويجوز ان يكون رشيد بمعنى مرشد اي يرشدكم إلى الحق **﴿قالوا لقد علمت مالنا في بناتك من حق﴾** هذا جواب قوم لوط حين عرض عليهم بناته ودعاهم إلى النكاح المباح أي مالنا في بناتك من حاجة لأن ما لا يكون للانسان فيه حاجة فإنه يرغب عنه كما يرغب عما لا حق له فيه فلذلك قالوا من حق وقيل معناه ما لنا فيهن من حق لأنا لا نتزوجهن وكانوا يقرُّون بأن من لم يتزوج بامرأة فإنه لا حق له فيها عن الجبائي وابن إسحاق فالقول الأول محمول على المعنى والقول الثاني على ظاهر اللفظ **﴿وانك لتعلم ما نريد﴾** أي تعلم ميلنا إلى الغلمان دون النساء فلما لم يقبلوا الموعظة تأسف لوط على فقد تمكنه من دفاعهم بأن **﴿قال لو ان لي بكم قوة﴾** أي منعة وقدرة وجماعة أتقوى بها عليكم فأدفعكم عن أضيافي **﴿أو آوي إلى ركن شديد﴾** أو أنضم إلى عشيرة منيعة تنصرني وشيعة تمنعني لدفعتكم ولكن لا يمكنني ان افعل ذلك قال الصادق عليه السلام فقال جبرائيل لو يعلم أيُّ قوة له قال فكابروه حتى دخلوا البيت فصاح به جبرائيل ان يا لوط دعهم يدخلوا فلما دخلوا اهوى جبرائيل باصبعه نحوهم فذهبت اعينهم وهو قوله فطمسنا اعينهم قال قتادة ذكر لنا ان الله تعالى لم يبعث نبياً بعد لوط إلا في عزٍّ من عشيرته ومنعة من قومه وروي عن النبيﷺ انه قال رحم الله أخي لوطاً كان يأوي إلى ركن شديد وهو معونة الله تعالى ولما رأت الملائكة ما لقيه لوط من قومه **﴿قالوا يا لوط إنا رسل ربك﴾** ارسلنا لهلاكهم فلا تغتم **﴿لن يصلو إليك﴾** أي لا ينالونك بسوء ابداً **﴿فاسر بأهلك﴾** اي سر بأهلك ليلاً وقال السدي لم يؤمن بلوط إلا ابنتاه **﴿بقطع من الليل﴾** أي في ظلمة الليل عن ابن عباس وقيل بعد طائفة من الليل عن قتادة وقيل في نصف من الليل عن الجبائي **﴿ولا يلتفت منكم احد﴾** قيل في معناه وجوه (أحدها) لا ينظر أحد منكم وراءه عن مجاهد كأنهم تعبدوا بذلك للنجاة بالطاعة في هذه العبادة (والثاني) لا يلتفت أحد منكم إلى ماله ولا متاعه بالمدينة وليس معنى يلتفت من الرؤية عن الجبائي كأنه أراد في ان النظر اليهم عبرة

فلم ينهوا عنها (والثالث) ان معناه ولا يتخلف منكم احد عن ابن عباس (والرابع) انه امرهم أن لا يلتفتوا إذا سمعوا الوجبة والهدة **﴿إلا امرأتك﴾** وقيل انها التفتت حين سمعت الوجبة فقالت يا قوماه فأصابها حجر فقتلها وقيل إلا امرأتك معناه لا تسر بها **﴿انه مصيبها ما أصابهم﴾** أي يصيبها من العذاب ما اصابهم امروه ان يخلفها في المدينة **﴿إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب﴾** لما اخبر الملائكة لوطاً بأنهم يهلكون قوم لوط قال لهم اهلكوهم الساعة لضيق صدورهم بهم وشدة غيظه عليهم فقالوا انَّ موعد اهلاكهم الصبح لم يجعل الصبح ظرفاً وجعله خبر إن لأن الموعد هو الصبح وإنما قالوا له أليس الصبح بقريب تسلية له وقيل إنه إنما قال لهم أهلكوهم . ذلك وفي هذا دلالة على ان الله سبحانه إنما يهلك من يهلكه عند انقضاء مدته وإن ضاق صدر الغير به ويجوز أن يكون قد جعل الصبح ميقات اهلاكهم لأن النفوس فيه اودع والناس فيه اجمع **﴿فلما جاء أمرنا﴾** فيه اقوال (أحدها) جاء أمرنا الملائكة باهلاك قوم لوط (والثاني) جاء العذاب كأنه قيل كن على التعظيم على طريق المجاز كما قال الشاعر:

فَقَالَتْ لَهُ الْعَيْنَانِ سَمْعاً وَطَاعَةً وَحُدِّرَتَا كَالدُّرِّ لَمَّا يُثَقَّبِ[1]

وعلى هذا فالأمر هو نفس العذاب (والثالث) جاء امرنا بالعذاب **﴿جعلنا عاليها سافلها﴾** أي قلبنا القرية اسفلها اعلاها فإن الله تعالى امر جبرائيل (ع) فأدخل جناحه تحت الأرض فرفعها حتى سمع اهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب ثم قلبها ثم خسف بهم الأرض فهم يتجلجلون فيها إلى يوم القيامة فعلى هذا يكون معنى جعلنا جعل بأمرنا وإنما اضافه إلى نفسه لانه أمره به **﴿وأمطرنا عليهم حجارة﴾** أي وأمطرنا على القرية أي على الغائبين منها حجارة عن الجبائي وقيل امطرت الحجارة على تلك القرية حين رفعها جبرائيل وقيل إنما امطرت عليهم الحجارة بعد ان قلبت قريتهم تغليظاً للعقوبة وقيل كانت اربع مدائن وهي المؤتفكات سدوم وعاموراء ودوما وصبوايم واعظمها سدوم وكان لوط يسكنها قال ابو عبيدة يقال مطر في الرحمة وامطر في العذاب **﴿من سجيل﴾** أي سنك كل عن ابن عباس وسعيد بن جبير بيَّن بذلك صلابتها ومباينتها للبرد وانها ليست من جنس ما جرت به عادتهم في سقوط البرد من الغيوم وقيل ان السجين الطين عن قتادة وعكرمة ويؤيده قوله ليرسل عليهم حجارة من طين وروي عن عكرمة ايضاً أنه بحر معلق في الهواء بين الأرض والسماء

(١) حدَّر الشيء : شقّه .

منه انزلت الحجارة وقال الضحاك هو الآجر وقال الفراء هو طين قد طبخ حتى صار بمنزلة الارحاء وقال كان اصل الحجارة طيناً فشددت عن الحسن وقيل ان السجيل سماء الدنيا عن ابن زيد فكانت تلك الحجارة منزلة من السماء الدنيا ﴿**منضود**﴾ هو من صفة سجيل اي نضد بعضها على بعض حتى حجراً عن الربيع وقيل مصفوف في تتابع أي كان بعضها في جنب بعض عن قتادة وقيل يتبع بعضها بعضاً عن ابن عباس ﴿**مسومة**﴾هي من صفة الحجارة أي معلمة جعل فيها علامات تدلّ على انها معدَّة للعذاب وقيل مطوقة بها نضخ من حمرة عن قتادة وعكرمة وقيل كان مكتوباً على كل حجرة منها اسم صاحبها عن الربيع وقيل عليها سيماء لا تشاكل حجارة الأرض عن ابن جريج وقيل مختومة عن الحسن والسدي وقيل مشهورة ﴿**عند ربك**﴾ أي في علم ربك وقيل في خزائن ربك التي لا يملكها غيره ولا يتصرف فيها أحد إلا بأمره ﴿**وما هي من الظالمين ببعيد**﴾ أي وما تلك الحجارة من الظالمين من أمتك يا محمد ببعيد أراد بذلك ارهاب قريش وقال قتادة ما اجار الله منها ظالماً بعد قوم لوط فاتقوا الله وكونوا منه على حذر وقيل يعني بذلك قوم لوط يريد انها لم تكن تخطئهم وذكر ان حجراً بقي معلقاً بين السماء والأرض اربعين يوماً يتوقع به رجلاً من قوم لوط كان في الحرم حتى خرج منه فأصابه قال قتادة وكانوا الأبعة آلاف الف.

﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَـٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ

ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن
رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ
عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ
تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن
يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ
وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟
إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا
تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ
عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ
وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ
ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ
يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ
أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ
يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة غير ابي بكر اصلاتك بغير واو على التوحيد والباقون

اصلواتك بالواو على الجمع وفي الشواذ قراءة السلمي بعدت ثمود بضم العين.

[**الحجة**] أما بعد فيكون في الخير والشر ومصدره البعد وبعد في الشر خاصة ومصدره البعد ومنه ابعده الله فإنه منقول من بعد لأنه دعاء عليه وقراءة السلمي متفقة الفعل مع مصدره وإنما السؤال عن قراءة الجماعة الا بعداً لمدين كما بعدت ثمود وطريق ذلك أن يكون البعد بمعنى اللعنة فيكون ابعده الله بمعنى لعنه الله ومنه قوله.

ذُعَرْتُ بِهِ الْقَطا وَنَفَيْتُ عَنْهُ   مَقامَ الْذِئبِ كَالرَّجُلِ اللَّعينِ[1]

اي المبعد فالإبعاد للشيء نقص له فقد التقى معنى بُعْد معنى بعد من هنا.

[**اللغة**] الوزن تعديل الشيء بغيره في الخفة والثقل بآلة التعديل وإذا قيل شعر موزون فمعناه معدل بالعروض والتوفيق من الصواب إلا انه اختصَّ بهذا الاسم ما اتفق وقوع الصواب عنده وليس ذلك جنساً بعينه وإنما هو بحسب ما يعلم الله تعالى وإنما لم يكن الموفق للطاعة إلا الله تعالى لأن احداً لا يعلم ما يتفق عنده الطاعة من غير تعليم سواه سبحانه والشقاق والمشاقة المباعدة بالعداوة إلى جانب المباينة وشقها والفقه فهم الكلام على ما تضمنه من المعنى وقد صار علماً لضرب من علوم الدين وهو علم بمدلول الدلائل السمعية واصول الدين علم بمدلول الدلائل العقلية والرهط عشيرة الرجل وقومه واصله الشد والترهيط شدة الأكل ومنه الرهطاء جحر اليربوع لشدته وتوسيعه لينجي فيه ولده والرجم الرمي بالحجارة والأعز الأقوى الأمنع والأعز نقيض الأذل والظهري جعل الشيء وراء الظهر حتى ينساه ويقال لكل من لا يعبأ بأمر قد جعل فلان هذا الأمر بظهر قال.

تَميمَ بْنَ قَيْسٍ لا تَكُونَنَّ حاجَتي   بِظَهْرٍ فَلا يَعْيا عَلَيَّ جَوابُها

[**الإعراب**] أو أن نفعل موضع ان نصب على معنى أو تأمرك أن نترك أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء فهو معطوف على ما يعبد آباؤنا والتقدير أصلاتك تأمرك ان تترك عبادة آبائنا أو فعل ما نشاء في أموالنا ولا يجوز أن يكون قوله ان نفعل معطوفاً على قوله ان نترك لأن المعنى يصير فاسداً وأوهنا بمنزلتها في قولك جالس الحسن أو ابن سيرين وقوله ان يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما ولم يقل به وموضع مَنْ في قوله من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب له

(١) قائله شماخ قال في اللسان أراد مقام الذئب اللعين الطريد كالرجل. ويقال أراد مقام الذي هو كالرجل اللعين وهو المنفى، والرجل اللعين لا يزال منتبذاً عن الناس شبه الذئب به.

وجهان من الاعراب (أحدهما) أن يكون معلقاً بقوله تعلمون فيكون استفهاماً وتقديره فسوف تعلمون من المخزي ومن الكاذب ويجوز أن يكون من هو كاذب على هذا بمعنى الذي هو كاذب، ويكون معطوفاً على الهاء من يخزيه أي ويخزي الذي هو كاذب (والثاني) أن يكون من في قوله من يأتيه بمعنى الذي ويكون من هو كاذب عطفاً عليه وأدخلوا هو في قوله من هو كاذب لأنهم لا يقولون من قائم ولا من قاعد وإنما يقولون من قام ومن يقوم ومن القائم ومن القاعد وقد ورد ذلك في الشعر قال الشاعر

مَنْ شَارِبٌ مُرْبِحٌ بِالْكَأْسِ نَادَمَنِي لاَ بِالحَصُورِ وَلاَ فِيهَا بِسَوَّارِ[1]

كأن لم يغنوا فيها يحتمل أن يكون كأن مخففة من الثقيلة أن يضمر فيها كما يضمر في أنْ من قوله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ويجوز أن يكون ان التي تنصب الفعل ويكون مع الفعل بمعنى المصدر .

[المعنى] ثم عطف سبحانه قصة شعيب على ما تقدَّمها من قصص الأنبياء عليهم السلام فقال **﴿وإلى مدين﴾** أي وأرسلنا الى أهل مدين **﴿أخاهم شعيباً﴾** فحذف أهل وأقام مدين مقامه ومدين اسم القبيلة او المدينة التي كانوا فيها فلذلك لم ينصرف عن الزجاج وقيل مدين بن ابراهيم نسبوا اليه **﴿قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾** قد سبق تفسيره **﴿ولا تنقصوا المكيال والميزان﴾** أي ولا تنقصوا حقوق الناس بالتطفيف عند الكيل والوزن **﴿إني أراكم بخير﴾** أي برخص السعر والخصب عن ابن عباس والحسن والمعنى أنه حذَّرهم الغلاء وهو زيادة السعر وزوال النعمة وحلول النقمة إن لم يتوبوا وقيل أراد بالخير المال وزينة الدنيا عن قتادة وابن زيد والضحاك والمعنى أني أراكم في كثرة الأموال وسعة الأرزاق فلا حاجة بكم إلى نقصان الكيل والوزن **﴿وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط﴾** وصف اليوم بالإحاطة بمعنى أنه يحيط عذابه بجميع الكفار ولا يفلت منه أحد منهم وأراد يوم القيامة عن الجبائي وهو من صفة العذاب على الحقيقة لأن اليوم محيط بعذابه بدلاً من احاطته بنعمته وذلك أظهر في الوصف وأهول في النفس **﴿ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط﴾** أي أوفوا حقوق الناس في المكيلات والموزونات بالمكيال والميزان بالعدل **﴿ولا تبخسوا الناس﴾** أي ولا تنقصوا الناس **﴿أشياءهم﴾** أي أموالهم في معاملاتهم **﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾** أي ولا تسعوا بالفساد ولا تضربوا في الأرض **﴿بقية الله خير لكم ان كنتم**

(١) قائله الاخطل . والسوار: المعربد وفي اللسان « وشارب مربح ا هـ . » .

مؤمنين﴾ البقية بمعنى الباقي أي ما أبقى الله تعالى لكم من الحلال بعد اتمام الكيل والوزن خير من البخس والتطفيف وشرط الإيمان في كونه خيراً لهم لأنهم ان كانوا مؤمنين بالله عرفوا صحة هذا القول عن ابن عباس وقيل معناه ابقاء الله النعيم عليكم خيراً لكم مما يحصل من النفع بالتطفيف عن ابن جبير وقيل معناه طاعة الله خير لكم من جميع الدنيا لأنها يبقى ثوابها أبداً والدنيا تفنى عن الحسن ومجاهد ويؤيده قوله **﴿ والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً﴾** الآية وقيل بقية الله رزق الله عن الثوري **﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾** أي وما أنا بحافظ نعم الله تعالى عليكم ان يزيلها عنكم وإنما يحفظها الله عليكم فاطلبوا بقاء نعمه بطاعته وقيل معناه وما أنا بحافظ لأعمالكم وإنما يحفظها الله فيجازيكم عليها وقيل معناه وما أنا بحافظ عليكم كيلكم ووزنكم حتى توفوا الناس حقوقهم ولا تظلموهم وانما علي ان أنهاكم عنه **﴿قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا﴾** إنما قالوا ذلك لان شعيباً (ع) كان كثير الصلاة وكان يقول إذا صلى ان الصلاة رادعة عن الشر ناهية عن الفحشاء والمنكر فقالوا أصلاتك التي تزعم أنها تأمر بالخير وتنهى عن الشر أمرتك بهذا عن ابن عباس وقيل معناه أدينك يأمرك بترك دين السلف عن الحسن وعطا وأبي مسلم قالوا كنّى عن الدين بالصلاة لأنها من أجل أمور الدين وإنما قالوا ذلك على وجه الاستهزاء **﴿أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء﴾** معناه اصلاتك تأمرك بترك عبادة ما يعبد آباؤنا أو بترك فعل ما نشاء في أموالنا من البخس والتطفيف **﴿إنك لأنت الحليم الرشيد﴾** قيل انهم قالوا ذلك على وجه الهزؤ والتهكم وأرادوا به ضد ذلك أي السفيه الغاوي عن ابن عباس وقيل انهم قالوا ذلك على التحقيق اي انك أنت الحليم في قومك فلا يليق بك ان تخالفهم والحليم الذي لا يعاجل بالعقوبة مستحقها والرشيد المرشد **﴿قال﴾** شعيب **﴿يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي﴾** مرَّ تفسيره **﴿ورزقني منه رزقاً حسناً﴾** قيل ان الرزق الحسن ههنا النبوة وقيل معناه هداني لدينه ووسَّع عليَّ رزقه وكان كثير المال عن الحسن وقيل كل نعمة من الله سبحانه فهو رزق حسن وفي الكلام حذف أي أفاعدل مع ذلك عما أنا عليه من عبادته وإنما حذف لدلالة ما ابقاه على ما ألقاه **﴿وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه﴾** أي لست انهاكم عن شيء وأدخل فيه وانما اختار لكم ما اختاره لنفسي ومعنى ما أخالفكم اليه أي ما اقصده بخلافكم الى ارتكابه عن الزجاج وهذا في معنى قول الشاعر

لَا تَـنْـهَ عَنْ خُـلُقٍ وَتَـأْتِيَ مِـثْـلَه   عَـارٌ عَـلَيْـكَ إذَا فَـعَـلْتَ عَـظِيـمٌ

وقيل معناه وما أريد اجترار منفعة الى نفسي بما أنهاكم عنه أي لا آمركم بترك التطفيف في الكيل والوزن لتكون منفعة ما يحصل بالتطفيف لي **﴿إن أريد إلا الاصلاح﴾** أي لست

اريد بما آمركم به وأنهاكم عنه إلا اصلاح أموركم في دينكم ودنياكم **﴿ما استطعت﴾** أي ما قدرت عليه وتمكنت منه **﴿وما توفيقي إلا بالله﴾** معناه وليس توفيقي في امتثال ما آمركم به والانتهاء عما أنهاكم عنه إلا بالله فلا يوفق غيره أي وليس ما أفعله بحولي وقوتي بل بمعونة الله ولطفه وتيسيره **﴿عليه توكلت﴾** والتوكل على الله الرضا بتدبيره مع تفويض الأمور اليه والتمسك بطاعته **﴿وإليه أنيب﴾** أي وإليه ارجع في المعاد عن مجاهد وقيل إليه أرجع بعملي ونيتي عن الحسن ومعناه أني أعمل أعمالي كلها لوجه الله **﴿ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي﴾** أي لا يكسبنّكم خلافي ومعاداتي **﴿أن يصيبكم﴾** عذاب العاجلة عن الزجاج وقيل معناه لا تحملنكم عداوتي على مخالفة ربكم فيصيبكم من العذاب مثل ما أصاب من قبلكم عن الحسن وكان سبب هذه العداوة دعاؤه لكم إلى مخالفة الآباء والأجداد في عبادة الأوثان وما يثقل عليهم من الإيفاء في الكيل والميزان **﴿مثل ما أصاب قوم نوح﴾** من الهلاك بالغرق **﴿أو قوم هود﴾** بالريح العقيم **﴿أو قوم صالح﴾** بالرجفة **﴿وما قوم لوط منكم ببعيد﴾** أي هم قريب منكم في الزمان الذي بينه وبينكم عن قتادة وقيل معناه ان دارهم قريبة من داركم فيجب ان تتعظوا بهم **﴿واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه﴾** أي اطلبوا المغفرة من الله ثم توصلوا اليها بالتوبة وقيل معناه استغفروا للماضي واعزموا في المستقبل وقيل استغفروا ثم دوموا على التوبة قيل استغفروا في العلانية ثم اضمروا الندامة في القلب عن الماضي **﴿إن ربي رحيم﴾** بعباده فيقبل توبتهم ويعفو عن معاصيهم **﴿ودود﴾** أي محبّ لهم ومعناه مريد لمنافعهم وقيل معناه متودد الى عباده بكثرة انعامه عليهم وقيل ودود بمعنى الواد أي يودُّهم إذا أطاعوه وروي عن النبي ﷺ انه قال كان شعيب خطيب الأنبياء **﴿قالوا﴾** أي قال قوم شعيب له حين سمعوا منه الوعظ والتخويف **﴿يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول﴾** أي ما نفهم عنك معنى كثير من كلامك وقيل معناه لا نقبل كثيراً منه ولا نعمل به وهذا كقولك إذا أمرك انسان بشيء لا تريد أن تفعله لا أعلم ما تقول وأنت تعلم ذلك أي لا أفعله وإنما قالوا ذلك بعدما ألزمهم الحجة **﴿وإنا لنراك فينا ضعيفاً﴾** أي ضعيف البدن عن الجبائي وقيل ضعيف البصرعن سفيان وقيل اعمى وكان شعيب أعمى عن قتادة وسعيد بن جبير قال الزجاج وحمير تسمي المكفوف ضعيفاً وهذا كما قيل ضرير أي قد ضرَّ بذهاب بصره وكذلك قد ضعف بذهاب بصره وكف عن التصرف وهذا القول ليس بسديد لأن قوله فينا يردُّه ألا ترى انه لو قيل إنا لنراك فينا اعمى لم يكن كلاماً لأن الأعمى قد يكون اعمى فيهم وفي غيرهم وقيل ضعيفاً اي مهيناً عن الحسن واختلف في ان النبي ﷺ هل يجوز أن يكون اعمى فقيل لا يجوز لأن ذلك ينفر وقيل يجوز ان لا يكون فيه تنفير ويكون بمنزلة سائر العلل والأمراض **﴿ولولا**

رهطك لرجمناك﴾ أي لولا رحمة عشيرتك وقومك لقتلناك بـالحجارة وقيـل معناه لشتمنـاك وسببناك ﴿وما أنت علينا بعزيـز﴾ أي لم ندع قتلك لعـزتك علينـا ولكن لأجل قـومك قـال الحسن وكان شعيب في عزّ من قومه وكان من أشرافهم وما بعث نبي بعد لوط الا في عزٍّ من قومه ﴿قال﴾ شعيب ﴿يا قـوم ارهطي أعزُّ عليكم من الله﴾ أي أعشيرتي وقومي اعظم حرمة عندكم من الله فتتركون أذاي لاجل عشيرتي ولا تتركونه الله الذي بعثني اليكم ﴿واتخذتموه وراءكم ظهرياً﴾ أي اتخذتم الله وراء ظهوركم يعني نسيتموه فالهاء عائـدة إلى الله عن ابن عباس والحسن وقيل الهاء عائدة إلى ما جاء به شعيب عن مجاهد والمعنى ونبذتم ما أرسلت به إليكم وراء ظهوركم وقيل الهاء عـائدة إلى أمـر الله عن الزجـاج أي نبذتم امـر الله وراء ظهوركم وتركتموه ﴿إن ربي بما تعملون محيط﴾ أي محصٍ لأعمالكم لا يفوتـه شيء منها وقيل معناه خبير بأعمالكم فيجازيكم بها عن الحسن ﴿ويا قـوم اعملوا على مكانتكم﴾ أي اعملوا على حالتكم هذه والمكانة الحال التي يتمكن بها صاحبها من عمل وهذا تهديد في صورة الأمر وتقديره كأنكم إنما أمرتم بأن تكونوا على هذه الحال من الكفر والطغيان وفي هذا نهاية الخـزي والهوان وقيـل معناه اعملوا على مـا يمكنكم أي اعملوا انتم على ما تقـولون واعمل انا على ما أقول وقيل معناه اعملوا على مـا أنتم عليه من دينكم ونحـوه وقوله﴿لكم دينكم ولي دين ﴾وفي هذا دلالة على أنه آيس من قومه ﴿إني عامل﴾ على ما أمرني ربي وقيل اني عامل على ما أنا عليه من الانذار ﴿سوف تعلمون﴾ اينا المخطىء الجـاني على نفسه وقيل معناه سوف يتبين لكم وتعلمون في عاقبة الأمر ﴿من يأتيـه عذاب يخـزيه﴾ أي يهينـه ويفضحه ويظهـر الكاذب من الصـادق وتقديـره ومن هو كـاذب يخزي بعـذاب الله فحذف ﴿وارتقبوا اني معكم رقيب﴾ أي انتظروا ما وعدكم ربكم من العذاب إني معكم منتظر حلول العذاب بكم وقيل معناه انتظروا العذاب واللعنة وأنا أنتظر الرحمة والثواب والنصرة عن ابن عباس وقيل معناه انتظروا مـواعيد الشيـطان وأنا أنتـظر مواعيـد الرحمن وروي عن علي بن موسى الرضا عليه السـلام انه قـال ما أحسن الصبـر وانتظار الفـرج أما سمعت قـول العبد الصالح وارتقبوا إني معكم رقيب ﴿ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا﴾ مضى تفسيره ﴿وأخذت الذين ظلموا الصيحة﴾ صاح بهم جبرئيل صيحة فماتوا ﴿فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها﴾ مضى تفسيره قبل ﴿الا بعداً لمدين كما بعدت ثمود﴾ الا بعدوا من رحمة الله بعداً كما بعدت ثمود وقيل الا هلاكاً لهم كما هلكت ثمود وتقديره الا أهلكهم الله فبعدوا بعداً قال البلخي يجوز أن تكون الصيحة صيحة على الحقيقة كما روي ويجوز أن تكون ضرباً من العذاب اهلكهم الله به واصطلمهم تقول العرب صاح الزمان بهم

إذا هلكوا وقال امرؤ القيس

فَـدَعْ عَنْـكَ نَهْبـاً صِيـحَ في حُجُـراتِـهِ وَلٰكِنْ حَـديثُ مٰا حَـديثُ الـرَّواحِـلِ(١)

ومعنى صيح في حجراته اذهب وأهلك قالوا وانما شبَّه حالهم بحال ثمود خاصة لأنهم اهلكوا بالصيحة كما اهلكت ثمود بمثل ذلك مع الرجفة .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ۝٩٦ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۝٩٧ يَقْدُمُ
قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ۝٩٨ وَأُتْبِعُواْ
فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ۝٩٩ ذَٰلِكَ مِنْ
أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ۝١٠٠ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ
وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى
يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ
غَيْرَ تَتْبِيبٍ ۝١٠١ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ
ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۝١٠٢ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّمَنْ خَافَ
عَذَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ۝١٠٣

[اللغة﴾ يقال قدمت القوم اقدمهم قدماً إذا مشيت امامهم واتبعوك الأزهري قَدَمَ يَقْدُم وتَقَدَّم وَقَدَّمَ وأَقْدَمَ واستقدم بمعنى والورد ورود الماء الذي يورد والإبل الواردة والجمع اوراد

(١) الشعر مذكور في جامع الشواهد وفيه « دع عنك نهبا ا هـ » .

الايراد ايجاب الورود في الماء او ما يقوم مقامه قال الشاعر

يـرد الـميـاه حـضيـرة ونـفيـضـةٍ وِرْدَ الْقَـطَاةِ إذا اسْـمَـأَلَّ الـتُّبَّـع[١]

وقال لبيد

فَـوَرَدْنـا قـبْـل فَـرَّاط الْـقَـطا إنّ مِـنْ وِرْدِي تـغْـلِيس النَّـهـل[٢]

وأصل الورود الاشراف على الدخول وليس بالدخول قال عنترة :

فَلَمّـا وَرَدْن الْمـاءَ زُرْقـا جِـمـامـه وضَعْنَ عِصيَّ الحـاضِـرِ الْمَتَخيِّمِ[٣]

والرفد العون على الأمر يقال رفدْه يرْفدْه رَفداً ورفدا بفتح الراء وكسرها قال الزجاج كل شيء جعلته عونا لشيء او اسندت به شيئاً فقد رفدته به يقال عمدت الحائط واسندته وأرفدته ورفدته بمعنى واحد ويقال رفده وارفده إذا أعطاه والاسم الرفد لأن العطاء عون المعطي والحصيد بمعنى المحصود والحصد قطع الزرع من الأصل وهذا زمن الحصاد بفتح الحاء وكسرها ويقال حصدهم بالسيف اذا قتلهم وتتبيب من تبت يده أي خسرت قال جرير :

عِـرَابَةُ مِـنْ بـقِـيَّـةِ قَـوْم لـوط ألا تـبّـاً لِـمـا فَـعَـلُوا تِـبْـابـاً

والفرق بين العذاب والألم ان العذاب استمرار الألم وقال عبيد

والـمَـرْءُ مـا عـاشَ فـي تَـكْـذِيـب طُـولُ الـحَـيـاةِ لَـهُ تَـعْـذِيـبُ

[المعنى] ثم عطف سبحانه قصة موسى (ع) على ما تقدَّم من قصص الأنبياء فقال ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ أي بحججنا ومعجزاتنا الدالة على نبوته ﴿وسلطان مبين﴾ أي وحجة ظاهرة مخلصة من تلبيس وتمويه على اتمّ ما يمكن فيه والسلطان وان كان في معنى الآيات فإنما عطفه عليها لأن الآيات حجج من وجه الاعتبار العظيم بها والسلطان حجة من جهة القوة العظيمة على المبطل وكل عالم له حجة يقهر بها شبهة من نازعه من أهل الباطل فله سلطان وقد وقيل ان سلطان الحجة انفذ من سلطان المملكة والسلطان متى كان محقّاً

---

(١) قائلته سعدى الجهنية ترثي اخاها اسعد. والنفيضة والحضيرة كلاهما بمعنى الجماعة ومنصوبان على الحال والمعنى انه يغزو وحده في موضع الحضيرة والنفيضة وفي المثل «انه لا دل من قطاة» لانها ترد الماء ليلا من الفلاة البعيدة. واسمأل الظل اذا ارتفع. والتبع: الظل.

(٢) فراط القطا: متقدماتها الى الوادي والماء والتغليس: الماء أول ما ينفجر الصبح. والنهل: أول الشرب.

(٣) جمام الماء: معظمه. معناه لما بلغن الماء أقمن عليه وقد نسب الشعر في اللسان في «جمم» و«ورد» الى زهير.

حجة وجب اتباعه وإذا كان بخلافه لا يجب اتباعه قال الزجاج السلطان انما سمي سلطاناً لأنه حجة الله في أرضه واشتقاقه من السليط الذي يستضاء به ﴿الى فرعون وملاءه﴾ أي قومه وقيل اشراف قومه الذين تملأ الصدور هيبتهم ﴿فاتبعوا امر فرعون﴾ وتركوا امر الله تعالى ﴿وما أمر فرعون برشيد﴾ أي مرشد ومعناه ما هو بهاد لهم الى رشد ولا قائد الى خير فأمر فرعون كان على ضدّ هذه الحال لأنه داع إلى الشرّ وصادّ عن الخير وفي هذا دلالة على أن لفظة الأمر مشتركة بين القول والفعل والمراد هاهنا وما فعل فرعون برشيد ﴿يقدم قومه يوم القيامة﴾ يعني ان فرعون يمشي بين يدي قومه يوم القيامة على قدميه حتى يهجم بهم على النار كما كان يقدمهم في الدنيا يدعوهم إلى طريق النار وإنما قال ﴿ فأوردهم﴾ على لفظ الماضي والمراد به المستقبل لأن ما عطفه عليه من قوله يقدم قومه يوم القيامة يدل عليه عن الجبائي وقيل انه معطوف على قوله فاتبعوا امر فرعون ﴿وبئس الورد المورود﴾ أي بئس الماء الذي يردُّونه عطاشا لاحياء نفوسهم ﴿النار﴾ إنما أطلق سبحانه على الناس اسم الورد المورود ليطابق ما يرد عليه اهل الجنة من الأنهار والعيون وقيل معناه بئس المدخل المدخول فيه النار وقيل بئس الشيء الذي يرده النار وقيل بئس النصيب المقسوم لهم لنار وإنما اطلق بلفظ بئس وان كان عدلاً حسناً لما فيه من البؤس والشدة ﴿واتبعوا في هذه﴾ يعني الحقوا في الدنيا ﴿لعنة﴾ وهي الغرق ﴿ويوم القيامة﴾ يعني ولعنة يوم القيامة وهي عذاب الآخرة وقيل معناه اتبعهم الله في الدنيا لعنة بإبعادهم من الرحمة واتبعهم الأنبياء والمؤمنون بالدعاء عليهم باللعنة ويتبعهم الله اللعنة في القيامة حتى لا تفارقهم اللعنة حيث كانوا قال ابن عباس من ذكرهم لعنهم ﴿بئس الرفد المرفود﴾ أي بئس العطاء المعطى النار واللعنة وإنما سماه رفداً لأنه في مقابلة ما يعطى اهل الجنة من انواع النعيم وقال قتادة ترافدت عليهم لعنتان من الله لعنة في الدنيا ولعنة في الآخرة وسأل نافع بن الأزرق بن عباس عن قوله بئس الرفد المرفود قال هو اللعنة بعد اللعنة وقال الضحاك اللعنتان اللتان أصابتهم رفدت احداهما الأخرى ﴿ذلك﴾ أي ذلك النبأ ﴿من انباء القرى﴾ أي من اخبار البلاد ﴿نقصُّه عليك﴾ أن نذكره لك ونخبرك به تذكرة وتسلية لك يا محمد ﴿منها قائم وحصيد﴾ أي من تلك الديار معمور وخراب قد اتى عليه الاهلاك ولم يعمر فيما بعد وقيل معناه منها قائم على بنائه لم يذهب اصلاً وان كان خالياً من اهله وحصيد قد خرب وذهب واندرس اثره كالشيء المحصود عن قتادة وأبي مسلم وقيل منها قائم ينظرون اليها وحصيد قد هلك وباد اهله عن ابن عباس ﴿وما ظلمناهم﴾ باهلاكهم ﴿ولكن ظلموا أنفسهم﴾ بأن كفروا وارتكبوا ما استحقُّوا به الهلاك فكان ذلك ظلمهم لأنفسهم ﴿فما أغنت عنهم آلهتهم﴾ أي أوثانهم ﴿التي يدعون من دون

الله من شيء لما جاء أمر ربك ﴾ أي عذاب ربك وقيل امر ربك باهلاكهم ﴿وما زادوهم غير تتبيب﴾ أي غير تخسير عن مجاهد وقتادة والمعنى لم يزيدوهم شيئاً غير الهلاك والخسار وانما أضاف الاهلاك الى الأصنام لأنها السبب في ذلك ولو لم يعبدوها لم يهلكوا وإنما قال يدعون من دون الله لأنهم كانوا يسمُّونها آلهة ويطلبون الحوائج منها كما يطلبها الموحدون من الله ﴿وكذلك أخذ ربك﴾ أي وكما ذكر من اهلاك الأمم وأخذهم بالعذاب اخذ ربك ﴿إذا اخذ القرى﴾ أي أخذ اهلها وهو ان ينقلهم الى العقوبة والهلاك ﴿وهي ظالمة﴾ من صفة القرى وهو في الحقيقة لأهلها وسكّانها ونحوه وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وفي الصحيحين عن النبي ﷺ انه قال ان الله تعالى يمهل الظالم حتى اذا أخذه لم يفلته ثم قرأ هذه الآية ﴿إن أخذه أليم شديد﴾ معناه ان اخذ الله سبحانه الظالم مؤلم شديد الألم ﴿إن في ذلك لآية﴾ أي إنَّ فيما قصصنا عليك من اهلاك من ذكرناه على وجه العقوبة لهم على كفرهم لعبرة وتبصرة وعلامة عظيمة ﴿لمن خاف عذاب الآخرة﴾ أي لمن خشي عقوبة الله يوم القيامة وخصَّ الخائف بذلك لأنه هو الذي ينتفع به بالتدبر والتفكر فيه ﴿ذلك يوم مجموع له الناس﴾ أي يجمع فيه الناس كلهم الأولون والآخرون منهم للجزاء والحساب والهاء في له راجعة الى اليوم ﴿وذلك يوم مشهود﴾ أي يشهده الخلائق كلهم من الجن والإنس وأهل السماء وأهل الأرض أي يحضره ولا يوصف بهذه الصفة يوم سواه وفي هذا دلالة على اثبات المعاد وحشر الخلق .

﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ
إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ
فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ
إِلَّا مَاشَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟
فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا
مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾

[القراءة] قرأ يعقوب وما يؤخره بالياء والباقون بالنون وقرأ يوم يأت بغير ياء ابن عامر وأهل الكوفة غير الكسائي والباقون يأتي باثبات الياء وقرأ أهل الكوفة غير أبي بكر سعدوا بضم السين والباقون سعدوا بالفتح .

[الحجة] من قرأ يؤخره بالياء فإنه ردّه الى قوله اخذ ربك ومن قرأ بالنون فإنه ابتداء والياء في المعنى كالنون وقوله يوم يأت قال الزجاج الذي يختاره النحويون يوم يأتي وهذيل يحذف هذه الياءات كثيراً وقد حكى سيبويه والخليل ان العرب تقول لا ادر فتحذف الياء وتجتزىء بالكسرة إلا أنهم يزعمون ان ذلك لكثرة الاستعمال قال أبو علي من اثبت الياء في الوصل والوقف فهو القياس البين وأما من حذفها في الوقف اذا قال يوم يأت فلأنها وان لم تكن في فاصلة امكن ان نشبهها بالفاصلة لأن هذه الياء تشبه الحركات المحذوفة في الوصل بدلالة انهم حذفوها حذفوا الحركة فكما ان الحركة تحذف في الوقف فكذلك ما أشبهها من هذه الحروف كان في حكمها فأما من حذفهافي الوصل والوقف فلأنه جعلها في الوصل والوقف بمنزلة ما استعمل محذوفاً مما لم يكن ينبغي في القياس ان يحذف نحو لم يكن ولا أدر ومثله قول الشاعر :

كَفَاكَ كَفٌّ لا تُبَقّي دِرْهَماً جُوداً وأُخْرى تُعْطِ بِالسَّيْفِ الدَّما

حذف الياء من تعطي وليس هنا ما يوجب حذفها واما قوله سعدوا فقد قال أبو علي حكى سيبويه سعد يسعد سعادة فهو سعيد وينبغي ان يكون غير متعد كما ان خلافه الذي هو شقي كذلك واذا كان كذلك كان ضم السين مشكلاً الا ان يكون سمع فيه لغة خارجة عن القياس او يكون من باب فعل وفعلته نحو غاض الماءوغضته وحزن وحزنته ولعلهم استشهدوا على ذلك بقولهم مسعود وانه يدل على سعد ولا دلالة قاطعة في ذلك لأنه يجوز ان يكون مثل أَجَنَّه الله فهو مجنون وأحبَّه فهو محبوب فالمفعول جاء في هذا على انه حذفت الزيادة عنه كما حذف من اسم الفاعل في نحو قوله وارسلنا الرياح لواقح يعني ملاقح فجاء على حذف الزيادة فعلى هذا يكون اصله اسعد فحذف الزائد ومن الحذف قول الشاعر « يَخْرُجْنَ مِنْ أَجْوازِ لَيْلٍ غَاضٍ »[1] يريد مُغْض .

---

(١) قائله رؤبة وبعده «نضو قداح النابل النواضي كأنما ينضحن بالخضخاض» يصف المطايا بشدة السير. والخضخاض: القطران. يريد انها عرقت من شدة السير فاسودت جلودها. والاجواز: الاوساط. وليل غاض اي مظلم .

[**اللغة**] الشقاء والشقاوة والشقوة بمعنى والياء في شقي منقلبة عن واو والسعادة ضد الشقاوة والزفير اول نهاق الحمار والشهيق آخر نهاقه قال رؤبة

حَشْــرَجَ في الْجَــوْفِ صَهِيــلاً أَوْ شَهَقَ   حَــتَّى يُــقَــالَ نَــاهِــقٌ وَمَــا نَــهَــقَ[١]

والزفير ترديد النفس مع الصوت من الحزن حتى تنتفخ الضلوع وأصل الزفير الشدة من قولهم للشديد الخلق مزفور والزفر الحمل على الظهر خاصة لشدته والزفر السيد لأنه يطيق حمل الشدائد وزفرت النار إذا سمع لها صوت من شدة توقدها والشهيق صوت فظيع يخرج من الجوف بمدّ النفس وأصله الطول المفرط من قولهم جبل شاهق والخلود الكون في الأمر ابداً والدوام البقاء ابداً ولهذا يوصف سبحانه بأنه دائم ولا يوصف بأنه خالد والجذ القطع يقال جذَّه يجذّه وجذَّ الله دابرهم قال النابغة :

تَجُــذُ السَّلُوقِيَّ الْـمُضَــاعَـفَ نَسْجُــهُ   وَتُــوقِـدُ بِـالصُّفَّــاحِ نَــارَ الْحَبَــاحِبِ[٢]

ويقال جذّها جَذَّ البَعيرُ الصليانَةَ[٣] وهي نبت .

[**الإعراب**] يوم يأتي لا يخلو أن يكون فاعل يـأتي ضمير اليـوم المضاف إلى يـأتي واليوم المتقدم ذكره فلا يجوز أن يكون فاعله ضمير اليـوم الذي أضيف إلى يـأتي لأنك لا تقول جئتك يوم يسيرك سروره إياك ويكون الهاء عائدة إلى يوم فيصير اليوم مضافاً إلى الفعل المسند إلى ضميره وإنما تعرف الفعل فيه بالفاعل فيكون كأنك إنما عرفت اليوم بنفسه ونظير ذلك قولك هذا يوم حرّه ويوم برده والهاء لليوم وهذا غير جائز وكـذلك لا يجـوز أن تضيف الظرف إلى جملة معرفة بضميره وإن كانت من مبتدأ وخبر مثل أن تقول آتيك يوم ضحوته باردة وليلة أولها مطير فإن نوَّنت فقلت آتيك يوماً ضحوته باردة أو ليلة أولها مطير جاز لأنه خرج بالتنوين عن حدِّ الإضافة وهذا قول أبي عثمان المازني وإذ قد ثبت ذلك فقد ثبت أن في يأتي ضمير اليوم المتقدم ذكره في قوله ﴿ **ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود** ﴾ أي يوم يأتي هذا اليوم الذي تقدَّم ذكره لا تكلم نفس فاليوم في قوله ﴿ **يوم يأتي** ﴾ يراد به الحين والبرهة وليس على وضح النهار وقوله ﴿ **لا تكلم نفس إلا بإذنه** ﴾ يجوز أن يكون هذه

(١) حشرجة الحمار: صوته يردده في حلقه وفي اللسان « سحيلا او شهق »وهو الاقيس فإن الصهيل للخيل والفرس .

(٢) السلوقي : الدرع المنسوبة إلى سلوق ـ قرية باليمن ـ والصفاح : الحجر العريض. ونار الحباحب: ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة . يصف السيوف .

(٣) مثل يضرب لمن يقدم على اليمين الكاذبة .

الجملة حالاً من الضمير في يأتي ويجوز أن يكون صفة ليوم المضاف إلى يأتي لأن يوم مضاف إلى يأتي والفعل نكرة فلا تتعرف يوم بالإضافة إليه فجاز أن يوصف بالجملة كما توصف النكرات بالجمل والمعنى لا تكلم فيه نفس فحذف فيه أو حذف الحرف وأوصل الفعل إلى المفعول ثم حذف الضمير من الفعل الذي هو صفة كما يحذف من الصلة ومثل ذلك قولهم الناس رجلان رجل أكرمت ورجل أهنت وإذا جعلته حالاً من الضمير في يأت وجب أن تقدر فيه أيضاً ضميراً يعود إلى ذي الحال وتقديره غير متكلم فيه هذا كله قول أبي علي وأقول أن الأظهر أن قوله ﴿ **يوم يأتي** ﴾ ظرف لقوله ﴿ **لا تكلم نفس إلا بإذنه** ﴾ ومعمول له وهذا الوجه لا يحتاج فيه إلى تقدير محذوف كما في الوجهين اللذين ذكرناهما فيكون أولى وإنما يضاف يوم إلى الفعل لأنه اسم زمان والفعل يناسب الزمان من حيث أنه لا يخلو منه وإنما يتصرف بتصرفه وأنه لا يكون حادثاً إلا وقتاً كما أن الزمان لا يبقى وقوله ﴿ **لا تكلم** ﴾ أي لا تتكلم فحذف إحدى التائين كما في قول الشاعر :

وَالْعَيْنُ سَاكِنَةٌ عَلىٰ أَطْلائِهٰا عُوذاً تَأَجَّلَ بِالْفَضٰاءِ بِهٰامُهٰا[1]

أي تتأجل وعطاء منصوب بما دلَّ الكلام عليه فكأنه قال أعطاهم النعيم عطاء .

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه عن اليوم المشهود وهو يوم القيامة فقال ﴿ **وما نؤخره** ﴾ أي وما نؤخر هذا اليوم ﴿ **إلا لأجل معدود** ﴾ وهو أجل قد عدَّه الله تعالى لعلمه أن صلاح الخلق في إدامة التكليف عليهم إلى ذلك الوقت وفيه إشارة إلى قربه لأن ما يدخل تحت العد فكأن قد نفد وإنما قال لأجل ولم يقل إلى أجل لأن اللام يدل على الغرض وان الحكمة اقتضت تأخيره وإلى لا يدل على ذلك ﴿ **يوم يأت** ﴾ أي حين يأتي القيامة والجزاء ﴿ **لا تكلم نفس إلا بإذنه** ﴾ أي لا يتكلم أحد فيه إلا بإذن الله تعالى وأمره ومعناه أنه لا يتكلم فيه إلا بالكلام الحسن المأذون فيه لأن الخلق ملجأون هناك إلى ترك القبائح فلا يقع منهم فعل القبيح وأما ما هو غير قبيح فإنه مأذون فيه عن الجبائي والأظهر أن يقال معناه أنه لا يتكلم أحد في الآخرة بكلام نافع من شفاعة ووسيلة إلا بإذنه فإن قيل كيف يجمع بين هذه الآية وبين قوله ﴿ **هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون** ﴾ وقوله ﴿ **فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس**

(١) قائله لبيد في المعلقة قوله « العين » أي واسعات العين . والطلا : ولد الوحش . والعوذ: الحديثات النتاج . والأجل: القطيع من بقر الوحش والبهام: أولاد الضأن إذا انفردت . يقول والبقر الواسعات العيون قد سكنت على أولادها ترضعها لكونها حديثات النتاج وأولادها تصير قطعاً قطعاً في الصحراء .

ولا جان ﴾ على أنه سبحانه قال في موضع آخر ﴿ **وقفوهم إنهم مسؤولون** ﴾ وهل هذا إلا ظاهر التناقض فالجواب أن يوم القيامة يشتمل على مواقف قد أذن لهم في الكلام في بعض تلك المواقف ولم يؤذن لهم في الكلام في بعضها عن الحسن وقيل أن معنى قوله ﴿ **لا ينطقون** ﴾ أنهم لا ينطقون لحجة وإنما يتكلمون بالإقرار بذنوبهم ولوم بعضهم بعضاً وطرح بعضهم الذنوب على بعض وهذا كما يقول القائل لمن تكلم بكلام كثير فارغ عن الحجة ما تكلمت بشيء ولا نطقت بشيء فسمي من يتكلم بما لا حجة فيه غير متكلم كما قال سبحانه ﴿ **صم بكم عمي** ﴾ وهم كانوا يسمعون ويتكلمون ويبصرون إلا أنهم في أنهم لا يقبلون الحق ولا يتأملون بمنزلة الصم البكم العمي وكلا الوجهين حسن وأما قوله ﴿ **فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان** ﴾ فمعناه أنهم لا يسألون عن ذنوبهم للتعرف من حيث أن الله سبحانه علم أعمالهم وإنما يسألون سؤال توبيخ وتقريع وتقرير لإيجاب الحجة عليهم كما في قوله ﴿ **وقفوهم أنهم مسؤولون** ﴾ فأثبت سبحانه سؤال التقريع في آية ونفى سؤال التعرف والاستعلام في أخرى فلا تناقض وقوله ﴿ **فمنهم شقي وسعيد** ﴾ إخبار منه سبحانه بأنهم قسمان أشقياء وهم المستحقّون للعقاب وسعداؤهم المستحقون للثواب والشقاء قوة أسباب البلاء والسعادة قوة أسباب النعمة والشقي من شقي بسوء عمله في معصية الله والسعيد من سعد بحسن عمله في طاعة الله والضمير في قوله ﴿ **فمنهم** ﴾ يعود إلى الناس في قوله ﴿ **ذلك يوم مجموع له الناس** ﴾ وقيل أنه يعود إلى نفس في قوله ﴿ **لا تكلم نفس إلا بإذنه** ﴾ لأن النفس اسم الجنس ﴿ **فأما الذين شقوا ففي النار** ﴾ يعني أن الذين شقوا باستحقاقهم العذاب جزاء على أعمالهم القبيحة داخلون في النار وإنما وصفوا بالشقاوة قبل دخولهم النار لأنهم على حالٍ تؤدّيهم إلى دخولها وأما ما روي عن النبي ﷺ أنه قال الشقي من شقي في بطن أمه فإن المراد بذلك أن المعلوم من حاله أنه سيشقى بارتكاب القبائح التي تؤدّيه إلى عذاب النار كما يقال لابن الشيخ الهرم أنه يتيم بمعنى أنه سييتم ﴿ **لهم فيها زفير وشهيق** ﴾ قال الزجاج الزفير والشهيق من أصوات المكروبين المحزونين والزفير من شديد الأنين وقبيحه بمنزلة ابتداء صوت الحمار والشهيق الأنين الشديد المرتفع جداً بمنزلة آخر صوت الحمار وعن ابن عباس قال يريد ندامة ونفساً عالياً وبكاء لا ينقطع ﴿ **خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك** ﴾ اختلف العلماء في تأويل هذا في الآيتين وهما من المواضع المشكلة في القرآن والاشكال فيه من وجهين (أحدهما) تحديد الخلود بمدة دوام السماوات والأرض (والآخر) معنى الاستثناء بقوله ﴿ **إلا ما شاء ربك** ﴾ فالأول فيه أقوال (أحدها) أن المراد ما دامت السماوات والأرض مبدلتين أي ما دامت سماء الآخرة وأرضها

وهما لا يفنيان إذا أعيد أبعد الافناء عن الضحاك والجبائي (وثانيها) أن المراد ما دامت سماوات الجنة والنار وأرضهما وكل ما علاك فأظلك فهو سماء وكل ما استقرّ عليه قدمك فهو أرض وهذا مثل الأول أو قريب منه (وثالثها) أن المراد ما دامت الآخرة وهي دائمة أبداً كما أن دوام السماء والأرض في الدنيا قدر مدة بنائها عن الحسن (ورابعها) أنه لا يراد به السماء والأرض بعينها بل المراد التبعيد فإن للعرب ألفاظاً للتبعيد في معنى التأبيد.يقولون لا أفعل ذلك ما اختلف الليل والنهار وما دامت السماء والأرض وما نبت النبت وما أطّت الإبل وما اختلف الجِرَّة والدِرَّة وما ذَرَّ شارق(١) وفي أشباه ذلك كثرة ظنّاً منهم أن هذه الأشياء لا تتغير ويريدون بذلك التأبيد لا التوقيت فخاطبهم سبحانه بالمتعارف من كلامهم على قدر عقولهم وما يعرفون قال عمرو بن معد يكرب :

وَكُلُّ أَخٍ مُفَارِقُهُ أَخُوهُ ... لَعَمْرُ أَبِيكَ إلّا الْفَرْقَدانِ(٢)

وقال زهير :

أَلا لا أرىٰ عَلىٰ الْحَوادِثِ بَاقِياً ... وَلا خَالِداً إلّا الْجِبالَ الرَّواسِيا
وَإلَّا السَّماءَ وَالنُّجُومَ وَرَبَّنا ... وَأَيَّامَنا مَعْدُودَةً وَاللَّيالِيا

لأنه توهم أن هذه الأشياء لا تفنى وتخلد وأما الكلام في الاستثناء فقد اختلفت فيه أقوال العلماء على وجوه (أحدها) أنه استثناء في الزيادة من العذاب لأهل النار والزيادة من النعيم لأهل الجنة والتقدير إلا ما شاء ربك من الزيادة على هذا المقدار كما يقول الرجل لغيره لي عليك ألف دينار إلا الالفين اللذين أقرضتكهما وقت كذا فالالفان زيادة على الألف بغير شك لأن الكثير لا يستثنى من القليل عن الزجاج والفراء وعلي بن عيسى وجماعة وعلى هذا فيكون إلا بمعنى سوى أي سوى ما شاء ربك كما يقال ما كان معنا رجل إلا زيد أي سوى زيد (وثانيها) أن الاستثناء واقع على مقامهم في المحشر والحساب لأنهم حينئذ ليسوا في جنة ولا نار ومدة كونهم في البرزخ الذي هو ما بين الموت والحياة لأنه تعالى لو قال خالدين فيها أبداً ولم يستثن لظن الظآن أنهم يكونون في النار والجنة من لدن نزول الآية أو

(١) الاطيط : صوت الابل وحنينها أو صوت أجوافها من الكظة إذا شربت . والجرة بالكسر ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم يبلغه . والدرة: اللبن إذا كثر وسال. واختلافها أن الدرة تسفل إلى الرجلين والجرة تعلو إلى الرأس قاله في اللسان. وذرت الشمس: طلعت. والشارق: الشمس .

(٢) الشعر مذكور في جامع الشواهد .

من بعد انقطاع التكليف فحصل للاستثناء فائدة عن المازني وغيره واختاره البلخي فإن قيل كيف يستثنى من الخلود في النار ما قبل الدخول فيها فالجواب أن ذلك جائز إذا كان الاخبار به قبل دخولهم فيها (وثالثها) أن الاستثناء الأول يتصل بقوله ﴿ لهم فيها زفير وشهيق ﴾ وتقديره إلا ما شاء ربك من أجناس العذاب الخارجة عن هذين الضربين ولا يتعلق الاستثناء بالخلود وفي أهل الجنة يتصل بما دلَّ عليه الكلام فكأنه قال لهم فيها نعيم إلا ما شاء ربك من أنواع النعيم وإنما دل عليه قوله عطاء غير مجذوذ عن الزجاج (ورابعها) أن يكون إلا بمعنى الواو أي وما شاء ربك من الزيادة عن الفراء واستشهد على ذلك بقول الشاعر :

وَأَرىٰ لَهٰا دٰاراً بِأَغْدِرَةِ السِّيـ ـدٰانِ لَمْ يَدْرُسْ لَهٰا رَسْمُ
إلَّا رِمٰاداً هٰامِداً دَفَعَتْ عَنْهُ الرِّيٰاحَ خَوَالِدُ سُحْمُ[1]

قال والمراد بإلا الواو ههنا وإلا كان الكلام متناقضاً وهذا القول قد ضعفه محققو النحويين (وخامسها) أن المراد بالذين شقوا من أدخل النار من أهل التوحيد الذين ضمّوا إلى إيمانهم وطاعتهم ارتكاب المعاصي فقال سبحانه أنهم معاقبون في النار إلا ما شاء ربك من إخراجهم إلس الجنة وإيصال ثواب طاعاتهم إليهم ويجوز أن يريد بالذين شقوا جميع الداخلين إلى جهنم ثم استثنى بقوله ﴿ إلا ما شاء ربك ﴾ أهل الطاعات منهم ممن استحق الثواب ولا بدَّ أن يوصل إليه وتقديره إلا ما شاء ربك أن يخرجه بتوحيده من النار ويدخله الجنة وقد يكون ما بمعنى مَنْ قال سبحانه سبح لله ما في السماوات وقالت العرب عند سماع الرعد سبحان ما سبَّحت له وأما في أهل الجنة فهو استثناء من خلودهم أيضاً لما ذكرناه لأنَّ من ينقل إلى الجنة من النار وخلِّد فيها لا بدَّ في الإخبار عنه بتأييد خلوده أيضاً من استثناء ما تقدم فكأنه قال خالدين فيها إلا ما شاء ربك من الوقت الذي أدخلهم فيه النار قبل أن ينقلهم إلى الجنة فما في قوله ﴿ ما شاء ربك ﴾ ههنا على بابه والاستثناء من الزمان والاستثناء في الأول من الأعيان والذين شقوا على هذا القول هم الذين سعدوا بأعيانهم وإنما أجرى عليهم كل لفظ في الحال الذي تليق به فإذا أدخلوا النار وعوقبوا فيها فهم من أهل الشقاء وإذا نقلوا منها إلى الجنة فهم من أهل السعادة وهذا قول ابن عباس وجابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري وقتادة والسدي والضحاك وجماعة من المفسرين وروى أبو روق عن الضحاك عن

(١) قائله المخبل السعدي. وأغدرة السيدان: موضع بين البصرة والبحرين والرماد الهامد: المتلبد بعضه على بعض. والخوالد: البواقي عنى بها الاثافي. والسحمة: لون يضرب إلى السواد والشاهد في أن « إلا » هيهنا بمعنى الواو حيث قال أن الاثاقي دفعت عنه الرياح فهو داخل في جملة ما لم يدرس ولم يستثنه.

ابن عباس قال الذين شقوا ليس فيهم كافر وإنما هم قوم من أهل التوحيد يدخلون النار بذنوبهم ثم يتفضل الله عليهم فيخرجهم من النار إلى الجنة فيكونون أشقياء في حال سعداء في حال أخرى وقال قتادة الله أعلم بمشيئته ذكر لنا أن ناساً يصيبهم سَفْع(١) من النار بذنوبهم ثم يدخلهم الله الجنة برحمته يسمُّون الجهنميين وهم الذين أنفذ فيهم الوعيد ثم أخرجوا بالشفاعة قال وحدثنا أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال يخرج قوم من النار قال ولا تقول ما يقوله أهل حروراء وهذا القول هو المختار المعوَّل عليه (وسادسها) أن تعليق ذلك بالمشيئة على سبيل التأكيد للخلود والتبعيد للخروج لأن الله تعالى لا يشاء إلا تخليدهم على ما حكم به فكأنه تعليق لما لا يكون بما لا يكون لأنه لا يشاء أن يخرجهم منها (وسابعها) ما قاله الحسن أن الله سبحانه استثنى ثم عزم بقوله إن ربك فعال لما يريد أنه أراد أن يخلدهم وقريب منه ما قاله الزجاج وغيره أنه استثناء تستثنيه العرب وتفعله كما تقول والله لاضربن زيداً إلا أن أرى غير ذلك وأنت عازم على ضربه والمعنى في الاستثناء على هذا إني لو شئت أن لا أضربه لفعلت (وثامنها) قال يحيى بن سلام البصري أنه يعني بقوله ﴿ **إلا ما شاء ربك** ﴾ ما سبقهم به الذين دخلوا قبلهم من الفريقين واحتجَّ بقوله تعالى ﴿ **وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً** ﴾ قال ان الزمرة تدخل بعد الزمرة فلا بدَّ أن يقع بينهما تفاوت في الدخول والاستثناء أن على هذا من الزمان (وتاسعها) أن المعنى خالدون في النار دائمون فيها مدة كونهم في القبور ما دامت السماوات والأرض في الدنيا وإذا فنيتا وعدمتا انقطع عقابهم إلى أن يبعثهم الله للحساب وقوله ﴿ **إلا ما شاء ربك** ﴾ استثناء وقع على ما يكون في الآخرة أورده الشيخ أبو جعفر قدس الله روحه وقال ذكره قوم من أصحابنا في التفسير (وعاشرها) أن المراد إلا ما شاء ربك أن يتجاوز عنهم فلا يدخلهم النار والاستثناء لأهل التوحيد عن أبي مجلز قال هي جزاؤهم وإن شاء سبحانه تجاوز عنهم والاستثناء يكون على هذا من الأعيان ﴿ **وأما الذين سعدوا** ﴾ أي سعدوا بطاعة الله وانتهائهم عن المعاصي ﴿ **ففي الجنة** ﴾ يكونون في الجنة ﴿ **خالدين فيها ما دامت السّماوات والأرض** ﴾ أي مدة دوام السماوات والأرض ﴿ **إلا ما شاء ربك** ﴾ يتأتى فيه جميع ما ذكرناه في الاستثناء من الخلود في النار إلا ما مضى ذكره من جواز اخراج بعض الأشقياء من تناول الوعيد لهم وإخراجهم من النار بعد دخولهم فيها فإن ذلك لا يتأتى ههنا لإجماع الأمة على أن من استحق الثواب فلا بدَّ أن يدخل الجنة وأنه لا يخرج منها بعد دخوله فيها ﴿ **عطاءً غير مجذوذ** ﴾ أي غير مقطوع .

(١) السفع : السواد .

﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ
هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا
لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ
فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي
شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ
بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا
تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة وحفص وإنَّ كُلًّا لمّا بتشديد النون والميم وقرأ أهل البصرة والكسائي وخلف وإنَّ كُلًّا بتشديد النون لَما بتخفيف الميم وقرأ نافع وابن كثير وإنْ كُلًّا خفيفة النون لَما خفيفة الميم وقرأ أبو بكر عن عاصم وإن كلا خفيفة النون لَمّا مشددة الميم وفي الشواذ قراءة الزهري وسليمان بن أرقم لمًّا بالتنوين وقراءة بن مسعود وإن كلٌّ بالرفع إلا ليوفينهم .

[**الحجة**] قال أبو علي من قرأ وإنَّ كلا لَما بتشديد إنَّ وتخفيف لما فوجهه بَيِّنٌ وهو أنه نصب كلا بأن وأن يقتضي أن يدخل على خبرها أو اسمها لام فدخلت هذه اللام وهي لام الابتداء على الخبر في قوله ﴿ **لما** ﴾ وقد دخلت في الخبر لام الأخرى وهي التي تلقي بها القسم ويختص بالدخول على الفعل ويلزمها في أكثر الأمر إحدى النونين فلما اجتمعت اللامان واتفقتا في تلقي القسم وافقتا في اللفظ فصِّل بينهما بما كما فَصّلوا بين إن واللام فدخلت ما لهذا المعنى وإن كانت زائدة لتفصل كما جلبت النون وإن كانت زائدة في نحو وأما تَرَيِنَّ من البشر أحداً وكما صارت عوضاً من الفعل في قولهم إمَّا لا بالامالة وفي قوله :

أَبَـا خُـرَاشَـةَ أَمَّـا أَنْـتَ ذا نَـفَـرٍ فَـإِنَّ قَـوْمِيَ لَمْ يَـأْكُلْهُمُ الضَّبُـعُ[1]

---

(١) قائله عباس بن مرداس والشعر مذكور في جامع الشواهد .

ويلي هذا الوجه في البيان قول من خفف إنّ ونصب كلا وخفف لما قال سيبويه حدثنا من نثق به أنه سمع من العرب من يقول أن عمراً لمنطلق قال وأهل المدينة يقرأون وإن كلا لما جميع لدينا محضرون يخففون وينصبون كما قالوا « كَأَنْ ثَدْيَيْهِ حـقَّانِ »(١) ووجه النصب بها مع التخفيف من القياس ان ان مشبهة في نصبها بالفعل والفعل يعمل محذوفاً كما يعلم غير محذوف وذلك في نحو لم يك زيد منطلقاً فلا تك في مرية وكذلك لا أدر فأما من خفف أن ونصب كلا وثقل لما فقراءته مشكلة وذلك أن إنَّ إذا نصب بها وإن كانت مخففة كانت بمنزلتها مثقلة ولما إذا شددت كانت بمنزلة إلا وكذلك قراءة من شـدَّد لما وثقـل أن مشكلة وذلك أن إنَّ إذا ثقلت وإذا خففت ونصب بها فهي في معنى الثقيلة فكما لا يحسن تثقيل ان زيداً إلا منطلق كذلك لا يحسن تثقيل إن وتثقيل لما فأما مجيء لما في قولهم نشدتك الله لما فعلت وإلا فعلت فقال الخليل الوجه لتفعلن كما تقول أقسمت عليك لتفعلن وأما دخول إلا ولما فلأن المعنى الطلب فكأنه أراد ما أسألك إلا فعل كذا ولم يذكر حرف النفي في اللفظ وإن كان مراداً كما جاء في قولهم شرّاً هرَّ ذا ناب أي مـا أهرَّه إلا شر وليس في الآية معنى نفي ولا طلب فإن قال قائل لمن ما فادغم النون في الميم بعد ما قلبها ميماً فإن ذلك لا يسوغ ألا ترى أن الحرف المدغم إذا كان قبله ساكن نحو قوم مالـك لم يقو الإدغـام فيه على أن يُحَرِّك الساكن الذي قبل الحرف المدغم فإذا لم يجز ذلك فيه وكان التغيير أسهل من الحذف فإن لا يجوز الحذف الذي هو أذهب في باب التغيير من تحرك الساكن أجدر على أن في هذه السورة ميمات اجتمعت في الادغام أكثر مما كان يجتمع في لمن ما ولم يحذف منها شيء وذلك قوله على أمم ممن معك فإذا لم يحذف شيء من هذا فإن لا يحـذف ثم أجدر وقـد روى أنه قد قرأ وان كلا لماً منوناً كما قال وتأكلون التراث أكـلا لماً فوصف بالمصدر فإن قال أن لما فيمن ثقل إنما هو لما هذه وقف عليها بالألف ثم أجري في الوصـل مجرى الـوقف فذلك مما يجوز في الشعر ووجه الاشكال فيه أبين من هذا الوجه وقد حكى عن الكسائي أنه قال لا أعرف وجه التثقيل في لما ولم يُبْعِد فيما قال ولو خفف مخفف أن ورفع كلا بعدهـا لجاز تثقيل لما مع ذلك على أن يكون المعنى ما كُلٌ إلاّ ليوفينهم فيكون ذلك كقوله ﴿ **وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا** ﴾ ولكان ذلك أبين من النصب في كل والتثقيل لِلمّا وينبغي أن يقدر المضاف إليه كلُّ نكرةً ليحسن وصفه بالنكرة ولا يقدر إضافته إلى معرفة فيمتنع أن يكون لما وصفاً له ولا يجوز أن يكون حالاً لأنه لا شيء في الكلام عاملاً في الحال هذا كله كلام

(١) لم يعرف قائله وقبله « وصدر مشرق النحر » ويروى بالألف على إهمال كان في اللفظ ووجه الرواية بالياء ظاهر .

أبي علي وقال غيره في معنى لما بالتشديد أربعة أوجه (أحدها) قول الفراء أنها بمعنى لمن ما فحذفت إحدى الميمات الثلاث على ما تقدم ذكره وأنشد الفراء :

وإنّي لَمَّا اَصْدَر الْأَمْرَ وَجْهَهُ إِذا هُوَ اَعْيَا بِالْسَّبِيلِ مَصادِرُه

(والثاني) أنها بمعنى إلا كقولهم سألتك لما فعلت بمعنى إلا فعلت عن الزجاج وقال الفراء هذا لا يجوز إلا في اليمين كما قاله أبو علي (والثالث) أنها مخففة شدّدت للتأكيد عن المازني قال الزجاج هذا لا يجوز لأنه إنما يجوز تخفيف المشدد عند الضرورة فأما تشديد المخفف فلا يجوز بحال (والرابع) أنها من لممت الشيء إذا جمعته إلا أنها بنيت على فعلى فلم تصرف مثل تترى فكأنه قال وإن كلا جميعاً ليوفينهم ويدل عليه قراءة الزهري لما بالتنوين وقال ابن جني تقديره هذا وان كلا ليوفينهم ربك أعمالهم لمًّا أي توفية جامعة لأعمالهم جميعاً ومحصلاً لأعمالهم تحصيلاً فهو كقولك قياماً لأقومن وذكر الشيخ علي ابن أبي الطيب رحمة الله عليه فيه وجهاً آخر فقال هاهنا محذوف وتقديره وإن كلا لما عملوا ليوفينهم ربك أعمالهم والحذف في الكلام كثير قال الشاعر :

إذا قُلْتُ سيرُوا إنَّ لَيْلىٰ لَعَلَّها جَرىٰ دُونَ لَيْلىٰ مائِلُ الْقَرْنِ أَعْضَبُ(١)

والمراد لعلها تلقاني أو تصلني أو نحو هذا فهذا وجه خامس فأما إذا خففت إن فانتصاب كلا مع حمل أن على النفي مشكل وقد ذكر فيه أن يكون التقدير وإن هم إلا ليوفينهم كلا أو وإن هم أعني كلا إلا ليوفينهم وهذان الوجهان مرغوب عنهما وعلى الجملة فإن تشديد الميم من لما مع تشديد إن وتخفيفه مشكل عند المحققين إذ لا يتأتى في لما هذه معنى لم ولا معنى الحين ولا معنى إلا ولا يعرف لها معنى سوى هذه ومن قرأ وان كل إلا ليوفينهم فمعناه ما كل إلا والله ليوفينهم كقولك ما زيد إلا لأضربنه أي ما زيد إلا مستحق لأن يقال فيه هذا ويجوز أن يكون مخففة من الثقيلة وإلا زائدة كما في قول الشاعر :

أَرَى الدَّهْرَ إلَّا مَنْجَنُوناً بِأَهْلِهِ وَمَا طَالِبُ الْحاجاتِ إلّا مُعَلَّلا(٢)

أي أرى الدهر منجنوناً بأهله وعلى ذلك تأولّوا بيت ذي الرمة :

حَراجِيجُ مَا تَنْفَكُّ إلَّا مُناخَةً عَلَى الْخَسْفِ أَوْ يَرْمِي بِهَا بَلَداً قَفْراً

---

(١) الشعر في جامع الشواهد والرواية فيه « إذا قيل سيروا » .
(٢) هذا البيت وكذا البيت الآتي مذكوران في جامع الشواهد .

أي ما تنفك مناخة وإلا زائدة .

[**اللغة**] المِرْية بكسر الميم وضمّها الشك مع ظهور الدلالة للتهمة وهي مأخوذة من مرى ضرع الناقة ليدر بعد دروره والنصيب الحظ وهو القسم المجعول له ومنه انصباء الورثة والاختلاف ذهاب كل واحد إلى جهة غير جهة الآخر وهو على وجهين اختلاف النقيضين وهذا لا يجوز أن يصحا معاً فإنّ أحدهما مبطل لصاحبه والآخر اختلاف الجنسين كاختلاف المجتهدين في جهة القبلة فهذا يجوز أن يصحا معاً والاستقامة الاستمرار في جهة واحدة وأن لا يعدل يميناً وشمالاً والطغيان تجاوز المقدار في الفساد .

[**الإعراب**] ومن تاب موصول وصلة في موضع رفع بالعطف على الضمير المستكن في استقم ويجوز أن يكون معطوفاً على التاء من أمرت ويكون التقدير في الأول استقم أنت ومن تاب معك وفي الثاني كما أمرت أنت ومن تاب معك ويجوز أن يكون من تاب منصوب الموضع بكونه مفعولاً معه .

[**المعنى**] ﴿ **فلا تك في مرية** ﴾ أي في شك ﴿ **مما يعبد هؤلاء** ﴾ من دون الله تعالى أنه باطل وأنهم يصيرون بعبادتهم إلى عذاب النار ﴿ **ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل** ﴾ يعني ما يعبدون غير الله تعالى إلا على جهة التقليد كما كان آباؤهم كذلك ﴿ **وإنا لموفوهم نصيبهم** ﴾ أي إنا لمعطوهم جزاء أعمالهم وعقاب أعمالهم وافياً ﴿ **غير منقوص** ﴾ عن مقدار ما استحقّوه آيَسَهم سبحانه بهذا القول عن العفو وقيل معناه أنا نعطيهم ما يستحقونه من العقاب بعد أن نوفيهم ما حكمنا لهم به من الخير في الدنيا عن ابن زيد ﴿ **ولقد آتينا** ﴾ أي أعطينا ﴿ **موسى الكتاب** ﴾ يعني التوراة ﴿ **فاختلف فيه** ﴾ يريد أن قومه اختلفوا فيه أي في صحة الكتاب الذي أنزل عليه وأراد بذلك تسلية النبي ﷺ عن تكذيب قومه إياه وجحدهم للقرآن المنزل عليه فبيَّن أن قوم موسى كذلك فعلوا بموسى فلا تحزن لذلك ولا تغتم له ﴿ **ولولا كلمة سبقت من ربك** ﴾ أي لولا خبر الله السابق بأنه يوخّر الجزاء إلى يوم القيامة لما علم في ذلك من المصلحة ﴿ **لقضي بينهم** ﴾ أي لعجَّل الثواب والعقاب لأهله وقيل معناه لفصل الأمر على التمام بين المؤمنين والكافرين بنجاة هؤلاء وهلاك أُولئك ﴿ **وإنهم لفي شك منه مريب** ﴾ يعني إن الكافرين لفي شك من وعد الله ووعيده مريب والريب أقوى الشك وقيل معناه إن قوم موسى لفي شك من نبوته ﴿ **وإن كلا** ﴾ من الجاحدين والمخالفين وقيل إن كلا من الفريقين المصدق والمكذب جميعاً ﴿ **لما ليوفينهم ربك أعمالهم** ﴾ أي يعطيهم ربك جزاء أعمالهم وافياً تاماً إن خيراً فخيرٌ وإن شرّاً فشرٌّ ﴿ **إنه بما**

يعلمون خبير ﴾ يعني أنه عليم بأعمالكم وبما استحققتم من الجزاء عليها لا يخفى عليه شيء من ذلك ﴿ **فاستقم** ﴾ يا محمد ﴿ **كما أمرت** ﴾ أي استقم على الوعظ والانذار والتمسك بالطاعة والأمر بها والدعاء عليها والاستقامة هو أداء المأمور به والانتهاء عن المنهي عنه كما أمرت في القرآن ﴿ **ومن تاب معك** ﴾ أي وليستقم من تاب معك من الشرك كما أمروا عن ابن عباس وقيل معناه ومن رجع إلى الله وإلى نبيه فليستقم أيضاً أي، فليستقم المؤمنون وقيل استقم أنت على الأداء وليستقيموا على القبول ﴿ **ولا تطغوا** ﴾ أي لا تجاوزوا أمر الله بالزيادة والنقصان فتخرجوا عن حد الاستقامة وقيل معناه ولا تطغينكم النعمة فتخرجوا عن حد الاستقامة عن الجبائي وقيل معناه لا تعصوا الله ولا تخالفوه ﴿ **إنه بما تعملون بصير** ﴾ أي عليم بأعمالكم لا تخفى عليه منها خافية وروى الواحدي بإسناده عن إبراهيم بن أدهم عن مالك بن دينار عن أبي مسلم الخولاني عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله ﷺ لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالأوتاد ثم كان الاثنان أحب إليكم من الواحد لم تبلغوا حدّ الاستقامة وقال ابن عباس ما نزل على رسول الله ﷺ آية كانت أشدُّ عليه ولا أشقّ من هذه الآية ولذلك قال لأصحابه حين قالوا له أسرع إليك الشيب يا رسول الله شيبتني هود والواقعة .

[**النظم**] وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها أنه لم قصَّ نبأ الأمم وإهلاكهم بكفرهم أخبر عقيب ذلك عن بطلان ما كانوا عليه وأنه يوفيهم جزاء أعمالهم وقيل أنه سبحانه بيَّن فيما قبل اختلاف الأمم على أنبيائهم تكذيباً لهم ثم بيَّن في هذه الآية أن خلاف هؤلاء كخلاف أُولئك خلاف كفر لا خلاف إجتهاد عن أبي مسلم وكذلك اتصال الآية الثانية فإنه بيَّن فيها أن تكذيب هؤلاء الكفار بالذي آتيناك كتكذيب أُولئك بالكتاب الذي آتيناه موسى .

﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ
ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ
لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ
ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ

ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ
أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا
مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾
وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر وزلُفاً بضم اللام والباقون بفتح اللام .

[**الحجة**] من قرأ زُلَفاً بفتح اللام فإنه جمع زلفة وهي المنزلة قال العجاج :

نَـاجٍ طَـوَاهُ الأَيْـنُ مِـمَّـا وَجَـفَـا طَيَّ اللَّيَـالِي زُلَـفـاً فَـزُلَـفـاً(١)

ومن قرأ بضم اللام فإنه واحد مثل الحلم وجائز أن يكون جمعاً على زليف من الليل فيكون مثل قريب وقرب قال الزجاج والزَلف بـالفتح أجـود في الجمع ومـا علمت أن زليفاً يستعمل في الليل وهو منصوب على الظرف .

[**اللغة**] الركون إلى الشيء هو السكون إليه بالمحبة له والإنصات إليه ونقيضه النفور عنه والصبر حبس النفس عن الخروج إلى ما لا يجوز من ترك الحق وضدُّه الجزع قال :

فَـإِنْ تَـصْـبِـرَا خَـيْـرٌ مَـغَـبَّـةً وَإِنْ تَجْـزَعَـا فَـالأَمْـرُ مَـا تَـرَيَـانِ(٢)

وهو مأخـوذ من الصبر المرّ لأنه يجـرع مرارة الحق بحبس النفس عن الخـروج إلى المشتهى ومما يعين على الصبر شيئان (أحدهما) العلم بما يعقب من الخيـر في كل وجـه وعادة النفس له (والثاني) إستشعار ما في لزوم الحق من العز والأجر بطاعة الله والبقيـة ما بقي من الشيء بعد ذهابه وهو الاسم من الإبقاء ويقال في فلان بقية أي فضل مما يمدح به وخير كأنه قيل بقية خير من الخير الماضي واترفوا أي عودوا الترفه بالنعيم واللذة وذلـك إن الترفه عادة النعمة قال :

(١) الناج : البعير السريع . وطواه أي أهزله . الاين : التعب . والوجف : سرعة السير . وبعد هذا البيت قوله « سماوة الهلال حتى أحقوقفا » وبه يتم المعنى أي كما يطوى الليالي الهلال .
(٢) مغبة الأمر : عاقبته .

تُهْـدىٰ رُؤُوسُ الْمُتْـرِفِينَ الصُّـدَّاد إِلى أَمِيـرِ الْمُـؤْمِنِينَ الـمُمْتَـاد[١]

أي المسؤول وإنما قيل للمتنعم مترف لأنه مطلق له لا يمنع من تنعمه .

[**الإعراب**] فتمسكم منصوب لأنه جواب النهي بالفاء وتقديره لا يكن منكم ركون إلى الظالمين فمس النار إياكم ثم لا تنصرون ارتفع تنصرون على الاستئناف. طرفي النهار منصوب على الظرف وزلفاً معطوف عليه . إلا قليلاً إستثناء منقطع بمعنى لكن عن الزجاج تقديره لكن قليلاً ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد .

[**المعنى**] ثم نهى الله سبحانه عن المداهنة في الدين والميل إلى الظالمين فقال ﴿ **ولا تركنوا إلى الذين ظلموا** ﴾ أي ولا تميلوا إلى المشركين في شيء من دينكم عن ابن عباس وقيل لا تداهنوا الظلمة عن السدي وابن زيد وقيل إن الركون إلى الظالمين المنهي عنه هو الدخول معهم في ظلمهم وإظهار الرضا بفعلهم أو إظهار موالاتهم فأما الدخول عليهم أو مخالطتهم ومعاشرتهم دفعاً لشرّهم فجائز عن القاضي وقريب منه ما روي عنهم (ع) أن الركون المودة والنصيحة والطاعة ﴿ **فتمسَّكم النار** ﴾ أي فيصيبكم عذاب النار ﴿ **وما لكم من دون الله من أولياء** ﴾ أي ما لكم سوا من أنصار يدفعون عنكم عذاب الله وفي هذا بيان أنهم متى خالفوا هذا النهي وسكنوا إلى الظالمين نالتهم النار ولم يكن لهم ناصر يدفع عنهم عقوبة لهم على ذلك ﴿ **ثم لا تنصرون** ﴾ أي لا تنصرون في الدنيا على أعدائكم لأن نصر الله نوع من الثواب فيكون للمطيعين ﴿ **وأقم الصلاة** ﴾ أي أدِّها وائت بأعمالها على وجه التمام في ركوعها وسجودها وسائر فروضها وقيل معناه أعملها على استواء وقيل أَدِمْ على فعلها ﴿ **طرفي النهار وزلفاً من الليل** ﴾ قيل أراد بطرفي النهار صلاة الفجر والمغرب وبزلف من الليل صلاة العشاء الآخرة والزلف أول ساعات الليل عن ابن عباس وابن زيد قالوا وترك ذكر الظهر والعصر لأحد أمرين إما لظهورهما في أنهما صلاتا النهار فكأنه قال وأُقم الصلاة طرفي النهار مع لمعروفة من صلاة النهار وأما لأنهما مذكورتان على التبع للطرف الأخير لأنهما بعد الزوال فهما أقرب إليه وقد قال سبحانه﴿ **أقم الصلاة لدلوك الشمس** ﴾ إلى غسق الليل ودلوك الشمس زوالها وهذا القول هو المروي عن أبي جعفر (ع) وقيل صلاة طرفي النهار الغداة والظهر والعصر وصلاة زلف الليل المغرب والعشاء الآخرة عن الزجاج وبه قال مجاهد والضحاك ومحمد بن كعب القرطي والحسن قالوا لأن طرف الشيء من الشيء وصلاة المغرب ليست من النهار قال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المغرب

---

(١) قائله رؤبة .

والعشاء زلفتا الليل وقيل أراد بطرفي النهار صلاة الفجر وصلاة العصر ﴿ **إن الحسنات يذهبن السيئات** ﴾ قيل في معناه إن الصلوات الخمس تكفر ما بينها من الذنوب لأنه عرف الحسنات بالألف واللام وقد تقدم ذكر الصلاة عن ابن عباس وأكثر المفسرين وذكر الواحدي بـإسناده عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي عثمان قال كنت مع سلمان تحت شجرة فأخذ غصناً يابساً منها فهزَّه حتى تحات ورقه[١] ثم قال يا أبا عثمان ألا تسألني لم أفعل هذا قلت ولم تفعله قال هكذا فعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا معه تحت شجرة فأخذ منها غصناً يابساً فهزَّه حتى تحات ورقة ثم قال ألا تسألني يا سلمان لمَ أفعل هذا قلت ولمَ فعلته قال إن المسلم إذا توضأ فأحسن الـوضوء ثم صلى الصلوات الخمس تحـاتت خطايـاه كما يتحات هذا الورق ثم قرأ هذه الآية﴿ **وأقم الصلاة** ﴾إلى آخرها وباسناده عن أبي إمامة قال بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد ونحن قعود معه إذ جاءه رجل فقال يا رسو الله إني أصبت حدّاً فأقمه عليَّ فقال هل شهدت الصلاة معنا قال نعم يا رسول الله قال فإن الله قد غفر لك حدَّك أو قال ذنبك وبإسناده عن الحرث عن علي بـن أبي طالب (ع) قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد ننتظر الصلاة فقام رجل فقال يا رسول الله إني أصبت ذنباً فاعرض عنه فلما قضى النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصلاة قام الرجل فأعاد القول فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أليس قد صليت معنا هذه الصلاة وأحسنت لها الطهـور قال بلى قـال فإنهـا كفارة ذنبـك وروى أصحابنـا عن ابن محبوب عن إبـراهيم الكرخي قال كنت عند أبي عبد الله (ع) إذ دخل عليه رجل من أهل المدينة فقال له من أين جئت ثم قال له تقول جئتك من ههنا وههنا لغير معاش تطلبه ولا بعمل آخر تكسبه أُنظر بماذا تقطع يومك وليلتك واعلم أن معك ملكاً كريماً موكلاً بك يحفظ عليك ما تضنع ويطلّع على سرِّك الذي تخفيه من الناس فاستحيي لا تستحقرن سيئة فإنها ستسؤك يوماً ولا تحقرن حسنة وإن صغرت عندك وقلَّت في عينك فإنها ستسرّك يوماً واعلم أنه ليس شيء أضرُّ عاقبة ولا أسرع ندامة من الخطيئة وأنه ليس شيء أشدُّ طلباً ولا أسرع دركاً للخطيئة من الحسنة أما أنها لتدرك الذنب العظيم القديم المنسي عنـد عامله فتجتذبه وتسقطه وتذهب به بعد إثباتـه وذلك قـول الله سبحانـه أن الحسنات يـذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين ورووا عن أبي حمـزة الثمالي قـال سمعت أحدهمـا عليهما السلام يقول أن علياً عليه السلام أقبل على الناس فقال أَيَّةُ آية في كتاب الله أرجى عندكم

---

(١) أي تساقط .

فقال بعضهم ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به** ﴾ الآية فقال حسنة وليست إياها وقال بعضهم ومن يعمل سوءاً ويظلم نفسه قال حسنة وليست إياها وقال بعضهم ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا لا تقنطوا من رحمة الله**﴾ قال حسنة وليست إياها وقال بعضهم﴿**والذين إذ فعلوا فاحشة**﴾الآية قال حسنة وليست إياها قال ثم أحجم الناس فقال مالكم يا معشر المسلمين فقالوا لا والله ما عندنا شيء قال سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول ارجي آية في كتاب الله ﴿ **وأقم الصلاة طرفي النهار**﴾ وقرأ الآية كلها قال يا علي والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً إن أحدكم ليقوم من وضوئه فتساقط عن جوارحه الذنوب فإذا استقبل الله بوجهه وقلبه لم ينفتل وعليه من ذنوبه شيء كما ولدته أمه فإن أصاب شيئاً بين الصلاتين كان له مثل ذلك حتى عدَّ الصلوات الخمس ثم قال يا علي إنمـامنزلـة الصلوات الخمس لأمتي كنهر جـار على باب أحدكم فما يظن أحدكم لو كان في جسده درن ثم اغتسل في ذلك النهر خمس مرات أكان يبقى في جسـده درن فكـذلـك والله الصلوات الخمس لأمتي وقيـل إن الحسنـات يـذهبن السيئات معناه أن الدوام على فعل الحسنات يدعو إلى ترك السيئات فكأنها يذهبن بها وقيل إن المراد بالحسنات التوبـة فإنهـا تذهب السيئـات بأن تسقط عقابها لأنه لا خـلاف في أن العقاب يسقط عند التوبة ﴿ **ذلك ذكرى للذاكرين** ﴾ يعني إن ما ذكره من أن الحسنات تذهب السيئات فيه تذكار وموعظة لمن تذكَّر به وفكَّر فيه ﴿ **واصبر** ﴾ قيل معناه واصبر على الصلاة كمـا قال وأمـر أهلك بالصـلاة واصطبـر عليها ﴿ **فـإن الله لا يضيـع أجـر المحسنين** ﴾ أي المصلّين عن ابن عباس وقيل معناه إصبر يا محمد على أذى قـومك وتكـذيبهم إياك وعلى القيام بما افترضته عليك وعلى أداء الواجبات والامتناع عن المقبحات فإن الله لا يهمل جزاء المحسنين على إحسانهم ولا يبطله بل يكافيهم عليه أكمل الثواب ﴿ **فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية** ﴾ أي هلا كان وإلا كان ومعناه النفي وتقديره لم يكن من القـرون من قبلكم قوم باقون ﴿ **ينهون عن الفساد في الأرض** ﴾ أي كان يجب أن يكون منهم قوم بهذه الصفة مع إنعام الله تعالى عليهم بكمال العقل وبعثة الرسل إليهم وإقامة الحجج لهم وهذا تعجيب وتوبيخ لهؤلاء الذين سلكوا سبيل من قبلهم في الفساد نحو عاد وثمود والقرون التي عدها القرآن وأخبر بهلاكها أي أن العجب منهم كيف لم تكن من جملتهم بقية في الأرض يأمرون فيها بالمعروف وينهون عن المنكـر وكيـف اجتمعوا على الكفـر حتى استأصلهم الله بالعذاب وأنواع العقوبات لكفرهم بالله ومعاصيهم له وقيل أولو بقية معناه ذوو دين وخير وقيل معناه ذوو بركة وقيل ذوو تمييز وطاعة ﴿ **إلا قليلاً ممن أنجينا منهم** ﴾ المعنى أن قليلاً منهم كانوا ينهون عن الفساد وهم الأنبياء والصالحون الذين آمنوا مع الرسل فأنجيناهم من العذاب

الذي نزل بقومهم وإنما جعلوا هذا الاستثناء منقطعاً لأنه إيجاب لم يتقدم فيه صيغة النفي وإنما تقدم تهجين خرج مخرج السؤال ولو رفع لجاز في الكلام ﴿ **واتبع الذي ظلموا ما أترفوا فيه** ﴾ أي واتبع المشركون ما عودوا من النعم والتنعم وإيثار اللذات على أمور الآخرة واشتغلوا بذلك عن الطاعات ﴿ **وكانوا** ﴾ أي وكان هؤلاء المتنعمون البطرون ﴿ **مجرمين** ﴾ مصرّين على الجرم وفي الآية دلالة على وجوب النهي عن المنكر لأنه سبحانه ذمَّهم بترك النهي عن الفساد وأخبر بأنه أنجى القليل منهم لنهيهم عن ذلك ونبَّه على أنه لو نهى الكثير كما نهى القليل لما هلكوا ثم أخبر سبحانه أنه لم يهلك إلا بالكفر والفساد فقال ﴿ **وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون** ﴾ وذكر في تأويله وجوه (أحدها) إن المعنى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم منه لهم ولكن إنما يهلكهم بظلمهم لأنفسهم كما قال إن الله لا يظلم الناس شيئاً الآية (وثانيها) إن معناه لا يؤاخذهم بظلم واحدهم مع أن أكثرهم مصلحون ولكن إذا عمَّ الفساد وظلم الأكثرون عذَّبهم (وثالثها) أنه لا يهلكهم بشركهم وظلمهم لأنفسهم وهم يتعاطون الحق بينهم أي ليس من سبيل الكفار إذا قصدوا الحق في المعاملة أن يهلكهم الله بالعذاب عن ابن عباس في رواية عطاوالواو في قوله وأهلها واو الحال وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال وأهلها مصلحون ينصف بعضها بعضهم .

[**النظم**] وجه اتصال قوله تعالى ﴿ **فلولا كان من القرون من قبلكم** ﴾ الآية بما قبلها أنه تعالى لما ذكر إهلاك الأمم الماضية والقرون الخالية عقب ذلك بأنهم أتوا في إهلاكهم من قبل نفوسهم ولو كان فيهم مؤمنون يأمرون بالصلاح وينهون عن الفساد لما استأصلناهم رحمة منا ولكنهم لما عمَّهم الكفر استحقُّوا عذاب الاستئصال .

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾
إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ
جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ
مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ
وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟

﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَـٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

[**القراءة**] قرأ يُرجَع الأمر بضم الياء وفتح الجيم وكسرها نافع وحفص والباقون يرجع بفتح الياء وقرأ عما تعملون بالتاء هنا وفي آخر النمل أهل المدينة والشام ويعقوب وحفص والباقون بالياء .

[**الحجة**] من ضمَّ الياء من يرجع فلقوله ﴿**ثم ردُّوا**﴾ إلى الله مولاهم الحق والمعنى ردّ أمرهم إلى الله ومن فتح الياء فلقوله و﴿ **والأمر يومئذ لله** ﴾ والمعنيان متقاربان ومن قرأ بالتاء في تعملون جعل الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمته وهو أعم فائدة ومن قرأ بالياء وجهه إلى من تقدم ذكره من الكفار وفيه ضرب من التهديد .

[**اللغة**] القصص الخبر عن الأمور بما يتلو بعضه بعضاً لأنه من قصه يقصه إذا اتبع أثره لأنه يتبع أثر من يخبر عنه والنبأ الخبر بما فيه عظيم الشأن يقولون لهذا الأمر نبأ والتثبيت تمكين إقامة الشيء من الثبوت يقال ثبته بتسكينه وثبته بتمكينه وثبته بالدلالة على ثبوته وثبته بالخبر عن وجوده والفؤاد القلب مأخوذ من المفتأد وهو المشوي قال :

كَـأَنَّـهُ خَـارِجـاً مِنْ جَنْبِ صَفْحَتِـه سَفُّـودَ شَـرْبٍ نَسُـوهُ عِنْـدَ مُفْتَـأَدِ(١)

والمكانة الطريقة التي يتمكن من العمل عليها وله مكانة عند السلطان أي جاه وقدر والانتظار طلب الإدراك لما يأتي من الأمر لأنـه من النظر والفـرق بين الانتظار والتـرجي أن الترجي للخير خاصة والانتظار في الخير والشر .

[**الإعراب**] إلا من رحم ربك قال الزجاج هو إستثناء على معنى لكن وتقديره لكن من رحم ربك فإنه غير مختلف وقوله ﴿ **لأملأن جهنم** ﴾ جواب القسم وتقديره يميناً لأملأن كما تقول حلفي لأضربنك وبدا لي لأضربك وكل فعل كان تأويله كتأويل بلغني أو قيـل لي أو إنتهى إلي فإنَّ اللام وإن يصلحان فيه فتقول بدا لي لأضربنك وبدا لي أن أضربك ولو قيل

---

(١) قائله النابغة في معلقته . الشرب جمع الشارب . ونسوه أي تركوه قال في اللسان : المفتأد : موضع الوقود ثم أنشد هذا الشعر ثم قال : والتفؤد : التوقد . والفؤاد : القلب لتفؤده وتوقده .

وتمت كلمة ربك أن يملأ جهنم كان صواباً وكلا نقصُّ عليك نصب على المصدر وتقديره وكل القصص نقص عليك وقيل أنه نصب على الحال فقدم الحال قبل العامل كما تقول كلا ضربت القوم ويجوز أن يكون نصباً على أنه مفعول به وتقديره وكل الذي يحتاج إليه نقص عليك ويكون ما نثبت به فؤادك بدلاً منه قاله الزجاج وقوله ﴿ **إنا عاملون إنا منتظرون** ﴾ لو دخلت الفاء فقال فإنا لأفاد أن الثاني لأجل الأول وحيث لم يدخل لم يفد ذلك .

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه عن كمال قدرته فقال ﴿ **ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة** ﴾ أي على ملة واحدة ودين واحد فيكونون مسلمين صالحين عن قتادة وذلك بأن يلجئهم إلى الإسلام بأن يخلق في قلوبهم العلم بأنهم لو راموا غير ذلك لمنعوا منه لكن ذلك ينافي التكليف ويبطل الغرض بالتكليف لأن الغرض به استحقاق الثواب والإلجاء يمنع من استحقاق الثواب فلذلك لم يشأ الله ذلك ولكنه شاء أن يؤمنوا باختيارهم ليستحقُّوا الثواب وقيل معناه لو شاء ربك لجعلهم أمة واحدة في الجنة على سبيل التفضل لكنه اختار لهم أعلى الدرجتين فكلفهم ليستحقوا الثواب عن أبي مسلم وقيل معناه لو شاء لرفع الخلاف فيما بينهم ﴿ **ولا يزالون مختلفين** ﴾ في الأديان بين يهودي ونصراني ومجوسي وغير ذلك عن مجاهد وقتادة وعطا والأعمش والحسن في إحدى الروايتين عنه وفي الرواية الأخرى عنه أنهم مختلفون في الأرزاق والأحوال ولتسخير بعضهم لبعض وقيل معناه يخلف بعضهم بعضاً في الكفر تقليداً من غير نظر فإن قولك خلف بعضهم بعضاً وقولك اختلفوا سواء كما أن قولك قتل بعضهم بعضا وقولك اقتتلوا سواء عن ابي مسلم ﴿ **إلا من رحم ربك** ﴾ من المؤمنين فإنهم لا يختلفون ويجتمعون على الحق عن ابن عباس والمعنى لا يزالون مختلفين بالباطل إلا من رحمهم الله بفعل اللطف لهم الذي يؤمنون عنده ويستحقون به الثواب فإن من هذه صورته ناج من الاختلاف بالباطل ﴿ **ولذلك خلقهم** ﴾ إختلف في معناه فقيل يريد وللرحمة خلقهم عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وهذا هو الصحيح واعترض على ذلك بأن قيل لو أراد الله ذلك لقال ولتلك خلقهم لأن الرحمة مؤنثة وهذا باطل لأن تأنيث الرحمة غير حقيقي فإذا ذكر فعلى معنى التفضل والانعام وقد قال سبحانه هذا رحمة من ربي وإن رحمة الله قريب ومثله قول امرىء القيس :

بَرَهْرَهَةٌ رُؤْدَةٌ رَخْصَةٌ كَخُرْعُوبَةِ الْبَانَةِ الْمُنْفَطِرِ[1]

---

(١) البرهرهة : المرأة التي لها بريق من صفائها . وقيل هي الرقيقة الجلد . والرؤدة . الشابة الحسنة . وخزعوبة القضيب الغض . والبانة : شجر والمنفطر : المنشق .

ولم يقل المنفطرة لأنه ذهب إلى الغصن وقال :

قَامَتْ تَبْكِيْهِ عَلىٰ قَبْرِهِ مَنْ لِيَ مِنْ بَعْدِكَ يا عَامِرُ
تَرَكْتَنِي فِي الدَّارِ غُرْبَةٍ قَدْ ذَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ نَاصِرُ

ولم يقل ذات غربة لأنه أراد شخصاً ذا غربة وقالت الخنساء :

فَذٰلِكَ يَا هِنْدُ الرَّزِيَّةُ فَاعْلَمِي وَنِيرَانُ حَرْبٍ حِينَ شَبَّ وَقُودُهَا(١)

أراد الرزء وفي أمثال ذلك كثرة على أن قوله ﴿ **إلا من رحم ربك** ﴾ كما يدل على الرحمة يدل أيضاً على أن يرحم فلا يمتنع أن يكون المراد لأن يرحموا خلقهم وقيل إن المعنى ولاختلاف خلقهم واللام للعاقبة يريد أن الله خلقهم وعلم أن عاقبتهم تؤل إلى الإختلاف المذموم كما قال ولقد ذرأنا لجهنم عن الحسن وعطا ومالك ولا يجوز على هذا أن يكون اللام للغرض لأنه تعالى لا يجوز أن يريد منهم الإختلاف المذموم إذ لو أراد ذلك منهم لكانوا مطيعين له في ذلك الاختلاف لأن الطاعة حقيقتها موافقة الإرادة والأمر ولو كانوا كذلك لما إستحقُّوا عقاباً وأما إذا حمل معنى الاختلاف على ما قاله أبو مسلم فيجوز أن تكون اللام للغرض وقيل إن ذلك إشارة إلى إجتماعهم على الإيمان وكونهم فيه أمة واحدة ولا محالة أن الله سبحانه لهذا خلقهم ويؤيد هذا قوله تعالى ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ وقال المرتضى قدس الله روحه قد قال قوم أن معنى الآية ولو شاء ربك أن يدخل الناس بأجمعهم الجنة فيكونوا في وصول جميعهم إلى النعيم أمة واحدة لفعل وأجروا هذه الآية مجرى قوله ﴿ **ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها** ﴾ في أنه أراد هديها إلى طريق الجنة فعلى هذا التأويل يمكن أن يكون لفظة ذلك إشارة إلى إدخالهم أجمعين الجنة لأنه تعالى إنما خلقهم للمصير إليها والوصول إلى نعيمها ﴿ **وتمت كلمة ربك** ﴾ أي وصل وحيه ووعيده الذي لا خلف فيه بتمامه إلى عباده وقيل تمت كلمة ربك صدقاً بأن وقع مخبرها على ما أخبر به عن الجبائي وقيل معناه وجب قول ربك عن ابن عباس وقيل مضى حكم ربك عن الحسن ﴿ **لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين** ﴾ بكفرهم ﴿ **وكُلًّا** ﴾ أي وكل القصص ﴿ **نقص عليك من أنباء الرسل** ﴾ أي من إخبارهم ﴿ **ما نثبت به فؤادك** ﴾ أي ما نقوّي به قلبك ونطيب به نفسك ونزيدك به ثباتاً على ما أنت عليه من الإنذار والصبر على أذى قومك الكفار ﴿ **وجاءك في هذا الحق** ﴾ أي في هذه السورة عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل في هذه

(١) والشاهد في قولها ذلك ولم تقل تلك لأنها أرادت الرزء .

الدنيا عن قتادة وقيل في هذا الأنباء عن الجبائي والحق الصدق من الأنباء والوعد والوعيد وقيل معناه وجاءك في ذكر هذه الآيات التي ذكرت قبل هذا الموضع الحق في أن الخلق يجازون بإنصبائهم في قوله ﴿ وإنا لموفوهم نصيبهم ﴾ وإن كلا لما ليوفينهم وقد جاء في القرآن كله الحق ولكنه ذكرها هنا توكيداً وليس إذا قيل قد جاءك في هذا الحق وجب أن يكون لم يأتك الحق إلا فيه ولكن بعض الحق اوكد من بعض عن الزجاج ﴿ وموعظة ﴾ أي وجاءك موعظة تعظ الجاهلين بالله وتزجر الناس عن المعاصي ﴿ وذكرى للمؤمنين ﴾ تذكرهم الآخرة ﴿ وقل ﴾ يا محمد ﴿ للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم ﴾ هذا مثل قوله ﴿ إعملوا ما شئتم ﴾ ﴿ إنا عاملون ﴾ على ما أمرنا الله تعالى به وقد مرَّ تفسير هذه الآية فيما مضى ﴿ وانتظروا ﴾ أي توقعوا ما يعدكم ربكم على الكفر من العقاب ﴿ إنا منتظرون ﴾ ما يعدنا على الإيمان من الثواب وقيل إنتظروا ما يعدكم الشيطان من الغرور إنا منتظرون ما يعدنا ربنا من النصر والعلو عن ابن جريج ﴿ ولله غيب السماوات والأرض ﴾ معناه ولله علم ما غاب في السماوات والأرض لا يخفى عليه شيء منه عن الضحاك وقيل معناه والله مالك ما غاب في السماوات والأرض وقيل معناه ولله خزائن السماوات والأرض عن ابن عباس ووجدت بعض المشايخ ممن يتسم بالعدوان والتشنيع قد ظلم الشيعة الإمامية في هذا الموضع من تفسيره فقال هذا يدل على أن الله سبحانه يختص بعلم الغيب خلافاً لما تقول الرافضة أن الأئمة يعلمون الغيب ولا شك أنه عني بذلك من يقول بإمامة الإثني عشر ويدين بأنهم أفضل الأنام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإن هذا دأبه وديدنه فيهم يشنع في مواضع كثيرة من كتابه عليهم وينسب الفضائح والقبائح إليهم ولا نعلم أحداً منهم إستجاز الوصف بعلم الغيب لأحد من الخلق فإنما يستحق الوصف بذلك من يعلم جميع المعلومات لا بعلم مستفاد وهذه صفة القديم سبحانه العالم لذاته لا يشركه فيها أحد من المخلوقين ومن اعتقد أن غير الله سبحانه يشركه في هذه الصفة فهو خارج عن ملة الإسلام فأما ما نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام ورواه عنه الخاص والعام من الأخبار بالغائبات في خطب الملاحم وغيرها مثل قوله يومىء به إلى صاحب الزنج كأني به يا أحنف وقد سار بالجيش الذي ليس له غبار ولا لجب ولا قعقعة لجم ولا صهيل خيل يثيرون الأرض بأقدامهم كأنها أقدام النعام وقوله يشير إلى مروان أما إن له إمرة كلعقة الكلب أنفه وهو أبو الأكبش الأربعة وستلقى الأمة منه ومن ولده موتا أحمر وما نقل من هذا الفن عن أئمة الهدى عليهم السلام من أولاده مثل ما قاله أبو عبد الله (ع) لعبد الله بن الحسن وقد اجتمع هو وجماعة من العلوية والعباسية ليبايعوا ابنه محمداً والله ما هي إليك ولا إلى إبنيك ولكنها لهم وأشار إلى العباسية وإن إبنيك

لمقتولان ثم نهض وتوكأ على يد عبد العزيز بن عمران الزهري فقال له أرأيت صاحب الرداء الأصفر يعني أبا جعفر المنصور قال نعم فقال إنا والله نحده يقتله فكان كما قال ومثل قول الرضا (ع) بورك قبر بطوس وقبران ببغداد فقيل له قد عرفنا واحداً فما الآخر فقال ستعرفونه ثم قال قبري وقبر هارون هكذا وضم إصبعيه وقوله في القصة المشهورة لأبي حبيب النباحي وقد ناوله قبضة من التمر لو زادك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لزدناك وقوله في حديث علي بن أحمد الوشا حين قدم مرو من الكوفة معك حلة في السفط الفلاني دفعتها إليك ابنتك وقالت اشتر لي بثمنها فيروز والحديث مشهور إلى غير ذلك مما روي عنهم عليهم السلام فإن جميع ذلك متلقى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مما أطلعه الله عليه فلا معنى لنسبة من روى عنهم هذه الأخبار المشهورة إلى أنه يعتقد كونهم عالمين للغيب وهل هذا إلا سبب قبيح وتضليل لهم بل تكفير لا يرتضيه من هو بالمذاهب خبير والله يحكم بينه وبينهم وإليه المصير ﴿ **وإليه يرجع الأمر كله** ﴾ أي إلى حكمه يرجع في المعاد كل الأمور لأن في الدنيا قد يملك غيره بعض الأمر والنهي والنفع والضر ﴿ **فاعبده وتوكل عليه** ﴾ يريد أن من له ملك السماوات والأرض وإليه يرجع جميع الأمور فحقيق أن يعبد ويتذلل له ويتوكل عليه ويوثق به ﴿ **وما ربك بغافل** ﴾ أي بساه ﴿ **عما تعملون** ﴾ أي عن أعمال عباده بل هو عالم بها ومجاز كلا منهم عليها ما يستحقه من ثواب وعقاب فلا يحزنك يا محمد إعراضهم عنك وتركهم القبول منك وروي عن كعب الأحبار أنه قال خاتمة التوراة خاتمة هود .

(١٢) سُورَةُ يُوسُفَ مَكِّيَّة وآياتها إحدى عشرة ومائة

مكية وقال المعدل عن ابن عباس غير أربع آيات نزلن بالمدينة ثلاث من أولها والرابعة لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين .

[عدد آيها]

مائة وإحدى عشرة آية بالاجماع .

[فضلها] أُبي بن كعب عن النبي ﷺ قال علموا أرقاءكم سورة يوسف فإنه أيما مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه هوَّن الله تعالى عليه سكرات الموت واعطاه القوة أن لا يحسد مسلماً وروى أبو بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال من قرأ سورة يوسف في كل يوم أو في كل ليلة بعثه الله يوم القيامة وجماله مثل جمال يوسف ولا يصيبه فزع يوم القيامة وكان من خيار عباد الله الصالحين وقال فيها انها كانت في التوراة مكتوبة وروى اسماعيل بن أبي زياد عن أبي عبد الله عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال قال رسول الله ﷺ لا تنزلوا نساءكم الغرف ولا تعلموهن الكتابة ولا تعلّموهن سورة يوسف وعلّموهن الغَزْل وسورة النور .

[تفسيرها] لما ختم الله سبحانه سورة هود بذكر قصص انباء الرسل افتتح هذه السورة بأنَّ من تلك القصص قصة يوسف (ع) واخوته وانها من احسن القصص فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا

عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾

[**الإعراب**] قرآناً عربياً فيه وجهان (أحدهما) قرآناً انتصب بأنه بدل من الهاء في أنزلناه فكأنه قال إنا أنزلنا قرآناً (والثاني) أنه توطئة للحال لأن عربياً حال وهذا كما تقول مررت بزيد رجلاً صالحاً فتنصب صالحاً على الحال وتجعل رجلاً توطئة للحال وقوله بما أوحينا إليك هذا القرآن القرآن نصب وإنه وصف لمعمول أوحينا وهو هذا أو بدل أو عطف بيان قال الزجاج ويجوز الجر والرفع جميعاً في الكلام وإن لم يقرأ بهما أما الجر فعلى البدل مما أوحينا إليك أي بهذا القرآن وأما الرفع فعلى ترجمة أوحينا إليك كأن قائلاً قال ما هو فقيل هذا القرآن .

[**المعنى**] **﴿آلر﴾** قد سبق الكلام فيه في أول البقرة وإنما لم يعد آية لأنه على حرفين ولا يشاكل رؤوس الآي وعدَّ طه آية لأنه يشبه رؤوس الآي **﴿تلك آيات الكتاب﴾** قيل في معنى الإشارة بتلك وجوه (أحدها) أنه اشارة إلى ما سيأتي من ذكرها على وجه التوقع لها (والثاني) انه اشارة الى السورة أي سورة يوسف آيات الكتاب المبين (والثالث) ان معناه هذه الآيات تلك الآيات التي وعدتم بها في التوراة كما قال ألم ذلك الكتاب عن الزجاج **﴿والمبين﴾** المظهر لحلال الله وحرامه والمعاني المرادة فيه عن مجاهد وقتادة والمبين والمبين واحد والبيان هو الدلالة **﴿إنا أنزلناه﴾** يعني القرآن أي أنزلنا هذا الكتاب وقيل أنزلنا خبر يوسف وقصته عن الزجاج قال لأن علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمداً لِمَ انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر وعن قصة يوسف (ع) فقال إنا أنزلناه **﴿قرآناً عربياً﴾** على مجاري كلام العرب في محاوراتهم وروى ابن عباس عن النبي ﷺ قال أُحِبُّ العرب لثلاث لأني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي **﴿لعلكم تعقلون﴾** أي لتعلموا جميع معانيه وتفهموا ما فيه وقيل معناه لتعلموا أنه من عند الله إذ كان عربياً وعجزتم عن الإتيان بمثله وفي هذه الآية دلالة على أن كلام الله سبحانه محدث وأنه غير الله لأنه وصفه بالإنزال وبأنه عربي ولا يوصف بذلك القديم سبحانه **﴿نحن نقصُّ عليك أحسن القصص﴾** أي نبيّن لك أحسن البيان عن الزجاج وهذا كقولهم صمت أحسن الصيام وقمت أحسن القيام

مما يكون انتصابه على انه قائم مقام المصدر فالمعنى نبيّن لك أحسن تبيين وأحسن ايضاح **﴿بما أوحينا إليك﴾** أي بوحينا إليك **﴿هذا القرآن﴾** ودخلت الباء لتبيين القصص إذ القصص تكون قرآناً وغير القرآن والقصص ههنا بوحي القرآن وقيل انما سمي القرآن أحسن القصص لأنه بلغ النهاية في الفصاحة وحسن المعاني وعذوبة الالفاظ مع التلاؤم المنافي للتنافر والتشاكل بين المقاطع والفواصل وقيل لأنه ذكر فيه أخبار الأمم الماضية وأخبار الكائنات الآتية وجميع ما يحتاج إليه العباد إلى يوم القيامة بأعذب لفظ وتهذيب في أحسن نظم وترتيب وقيل أراد بأحسن القصص قصة يوسف وحدها لأنها تتضمن من الفوائد والنكت والغرائب ما لا يتضمنه غيرها ولأنها تمتد امتداداً لا يمتد غيرها مثله وقوله أحسن القصص يدل على أن الحسن يتفاضل ويتعاظم لأن لفظة أفعلَ حقيقتها ذلك وإنما يتعاظم بكثرة استحقاق المدح عليه ويسأل عن هذا فيقال هل يجوز أن يسمى الله سبحانه قاصاً فيقال لا لأنه في العرف إنما يستعمل فيمن تمسك بطريقة مخصوصة وهذا كما أنه سبحانه لا يسمى مُعَلّماً ولا مُفْتياً وان وصف نفسه بأنه علم القرآن وبأنه يفتيكم في النساء وقوله **﴿وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾** معناه وما كنت من قبل أن أوحينا اليك هذا القرآن أو من قبل نزول القرآن عليك إلا من الغافلين عن الحكم التي في القرآن لا تعلم شيئاً منها وقيل من الغافلين عن قصة يوسف وعن الحكم التي فيها .

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر وابن عامر يا أبت بفتح التاء والباقون بكسرها وابن كثير وقف على الهاء يا أبه والباقون بالتاء وروي في الشواذ عن أبي جعفر ونافع وطلحة بن سليمان أحد عَشْر بسكون العين والقراءة بفتحها وقرأ الكسائي إلا أبا الحرث وقتيبة بإمالة رؤياك والرؤيا في جميع القرآن وروى أبو الحرث عنه وفتح رؤياك وإمالة الباقي وقتيبة أمال للرؤيا تعبرون فقط وقرأ خلف في اختياره بإمالة ما فيه ألف ولام والباقون بالتفخيم وخفف الهمزة في جميع ذلك أبو جعفر وورش وشجاع والترمذي الا أن أبا جعفر يدغم الواو في الياء فيجعلها باء مشددة .

[**الحجة**] قال الزجاج من قرأ يا أبت بكسر التاء فعلى الإضافة إلى نفسه وحذف الياء لأن ياء الإضافة تحذف في النداء وأما ادخال تاء التأنيث في الأب فإنما دخلت في النداء خاصة والمذكر قد يسمى باسم فيه علامة التأنيث ويوصف بما فيه تاء التأنيث فالإسم نحو نفس وعين والصفة نحو غلام يفعة ورجل ربعة فلزمت التاء في الأب عوضاً من ياء الاضافة والوقف عليها يا أبه بالهاء وان كانت في المصحف بالتاء وزعم الفراء انك إذا كسرت وقفت بالتاء لا غير وإذا فتحت وقفت بالتاء والهاء ولا فرق بين الكسر والفتح وأما يا أبت بالفتح فعلى أنه أبدل من ياء الاضافة الفاً ثم حذفت الألف كما يحذف ياء الاضافة وبقيت الفتحة قال أبو علي من فتح فله وجهان (أحدهما) أن يكون مثل يا طلحة أقبل ووجه قول من قال يا طلحة ان هذا النحو من الاسماء التي فيها تاء التأنيث أكثر ما يدعى مرخماً فلما كان كذلك ردَّ التاء المحذوفة في الترخيم اليه وترك الآخر يجري على ما كان يجري عليه في الترخيم من الفتح فلم يعتد بالهاء وأقحمها والوجه الآخر ان يكون أراد يا أبتا فحذف الألف كما يحذف التاء فتبقى الفتحة دالة على الألف كما ان الكسرة تبقى دالة على الياء والدليل على قوة هذا الوجه كثرة ما جاءت هذه الكلمة على هذا الوجه كقول الشاعر « وهل جزع ان قلت وأبتاهما » وقول الأعشى :

وَيا أَبَتا لا تَزَلْ عِنْدَنا فَإِنّا نَخافُ بِأَنْ تَخْتَرِم

وقول رؤبة « يا أبتا عليك او عساكا » فلما كثرت هذه الكلمة في كلامهم الزموها القلب والحذف على أن أبا عثمان قد رأى ذلك مطرداً في جميع هذا الباب وأما وقف ابن كثير على الهاء فلأن التاء التي للتأنيث يبدل منها الهاء في الوقف فيغيّر الحرف بذلك في الوقف كما غير التنوين اذا انفتح ما قبله بأن أبدل منه الألف ومن قرأ أحد عشر بسكون العين قال ابن جني سبب ذلك عندي ان الاسمين لما جعلا كالإسم الواحد وبنى الأول منهما لأنه كصدر

الاسم من عجزه جعل تسكين أول الثاني دليلاً على أنهما قد صارا كالاسم الواحد وكذلك بقية العدد الى تسعة عشر الا اثني عشر واثنتي عشر فإنه لا يسكن العين لسكون الألف والياء قبلها قال الزجاج الرؤيا فيها أربع لغات رؤيا بالهمزة ورويا بالواو من غير همز وريا على الادغام وريا بكسر الراء قال أبو علي الرؤيا مصدر كالبشرى والسقيا والبقيا والشورى الا انه لما صار اسماً لهذا التخيل في المنام جرى مجرى الاسماء كما ان درا لما كثر في كلامهم في قولهم لله درك جرى مجرى الاسماء وخرج من حكم الاعمال فلا يعمل واحد منهما أعمال المصادر ومما يقوي خروجه عن احكام المصادر تكسيرهم لها رؤى فصار بمنزلة ظلم والمصادر في الأكثر لا تكسر والرؤيا على تحقيق الهمز فإن خففت قلبتها في اللفظ واواً ولم تدغم الواو في الياء وان كانت قد تقدمتها ساكنة كما تقلب في نحو طيء ولي لأن الواو في تقدير الهمزة فهي لذلك غير لازمة، فلا يقع الاعتداد بها وقد كسرا ولها قوم فقالوا ريا فهؤلاء قلبوا الواو قلباً على غير وجه التخفيف ومن ثم كسروا الفاء كما كسروا من قولهم قَرْنٌ الْوى وقُرُونٌ لِيٌّ .

[**اللغة**] الرؤيا تصور المعنى في المنام على توهم الابصار وذلك ان العقل مغمور بالنوم فإذا تصور الإنسان المعنى توهم أنه يراه والكيد طلب الحيلة واللام في يكيدوا لك لام التعدية كما تقول قدمت لك طعاماً وقدمت اليك طعاماً وشكرت لك وشكرتك يقال كاده يكيده كيداً وكاد له والاجتباء اختيار معالي الأمور للمجتبى وأصله من جبيت الماء في الحوض إذا جمعته .

[**الإعراب**] تقدير العامل في إذ يجوز أن يكون اذكر كأنه قال اذكر اذ قال يوسف قال الزجاج ويجوز أن يكون على نقص عليك إذ قال وقد غلط في هذا لأن الله تعالى لم يقص على نبيه ﷺ هذا القصص في وقت قول يوسف (ع) وكوكباً منصوب على التمييز وقوله رأيتهم كرّر الرؤية توكيداً ولأن الكلام قد طال والمعنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر لي ساجدين ولم يقل ساجدات لأنه لما وصف هذه الاشياء بالسجود كما يوصف الأدميون بذلك أجرى فعلها مجرى فعل العقلاء وكما قال ﴿ **يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم** ﴾ وموضع الكاف من قوله وكذلك نصب والمعنى ومثل ما رأيت يجتبيك ربك ويعلمك .

[**المعنى**] ثم ابتدأ سبحانه بقصة يوسف (ع) فقال ﴿**إذ قال يوسف لأبيه**﴾ يعقوب (ع) وهو اسرائيل الله ومعناه عبد الله الخالص ابن اسحاق نبي الله بن إبراهيم خليل الله وفي الحديث ان النبي ﷺ قال الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن

إسحاق بن إبراهيم **﴿يا أبت إنّي رأيت احد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾** أي رأيت في منامي قال ابن عباس ان يوسف (ع) رأى في المنام ليلة الجمعة ليلة القدر أحد عشر كوكباً نزلن من السماء فسجدن له ورأى الشمس والقمر نزلا من السماء فسجدا له قال فالشمس والقمر أبواه والكواكب إخوته الأحد عشر وقال السدي الشمس أبوه والقمر خالته وذلك أن أمه راحيل قد ماتت وقال ابن عباس الشمس أمه والقمر أبوه وقال وهب كان يوسف رأى وهو ابن سبع سنين ان أحد عشر عصاً طوالاً كانت مركوزة في الأرض كهيئة الدائرة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لأبيه فقال له إياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم رأى وهو ابن اثنتي عشرة سنة ان احد عشر كوكباً والشمس والقمر سجدت لها فقصها على أبيه فقال له **﴿لا تقصص رؤياك على إخوتك﴾** الآية وقيل أنه كان بين رؤياه وبين مصير أبيه وإخوته إلى مصر أربعون سنة عن ابن عباس واكثر المفسرين وقيل ثمانون سنة عن الحسن ولما طال الكلام كرّر رؤيتهم وأعاده للتأكيد وقيل أراد بالرؤيا الأولى رؤية الأعيان والأشخاص وبالرؤية الثانية رؤية سجودهم واختلف في معنى هذا السجود فقيل انه السجود المعروف على الحقيقة لتكرمته لا لعبادته وقيل معناه الخضوع له عن الجبائي كما قال الشاعر « ترى الأُكْمَ فيهِ سُجّداً لِلْحوافِرِ »[1] وهذا ترك الظاهر ويقال ان اخوته لما بلغهم رؤياه قالوا ما رضي ان يسجد له اخوته حتى يسجد له أبواه **﴿قال﴾** يعقوب **﴿يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك﴾** أي لا تخبرهم بذلك **﴿فيكيدوا لك كيداً﴾** أي فيحسدوك أو يقابلوك بما فيه هلاكك وذلك أن رؤيا الأنبياء وحي وعلم يعقوب ان اخوة يوسف يعرفون تأويلها ويخافون علوَّ يوسف عليهم فيحسدونه ويبغونه الغوائل **﴿إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾** أي ظاهر العداوة فيلقي بينهم العداوة ويحملهم على انزال المكروه بك **﴿وكذلك﴾** أي كما أريك هذه الرؤيا تكرمة لك وبيّن ان اخوتك يخضعون لك أو يسجدون لك **﴿يجتبيك ربك﴾** أي يصطفيك ربك ويختارك للنبوة عن الحسن وقيل الحسن الخلق والخلق **﴿ويعلّمك من تأويل الأحاديث﴾** قيل معناه ويعلّمك من تعبير الرؤيا لأن فيه أحاديث الناس عن رؤياهم وسمّاه تأويلاً لأنه يؤول أمره إلى ما رأى في المنام عن قتادة وقال ابن زيد كان أعبر الناس للرؤيا وقيل معناه ويعلّمك عواقب الأمور بالنبوة والوحي اليك فتعلم الأشياء قبل كونها معجزة لك لأنه أضاف التعليم الى الله وذلك لا يكون إلا بالوحي عن أبي مسلم وقيل تأويل احاديث الأنبياء والأمم يعني كتب الله ودلائله على توحيده والمشروع من شرائعه وأمور

---

(١) الاكم جمع الاكمة: التل. والحوافر جمع الحافر: الدابة. وكثيراً ما يراد به الفرس.

دينه عن الحسن والجبائي والتأويل في الأصل هو المنتهى الذي يؤول اليه المعنى وتأويل الحديث فقهه الذي هو حكمه لأنه اظهار ما يؤول إليه أمره مما يعتمد عليه وفائدته ﴿**ويتم نعمته عليك**﴾ بالنبوة لأنها منتهى نعيم الدنيا وقيل اتمام النعمة هو ان يحكم بدوامها على تخليصها من شائب بها فهذه النعمة التامة وخلوصها مما ينقصها ولا يطلب ذلك إلا من الله تعالى لأنه لا يقدر عليها سواه وقيل معناه ويتمَّ نعمته عليك بأن يحوج اخوتك إليك حتى تنعم عليهم بعد اساءتهم اليك ﴿**وعلى آل يعقوب**﴾ أي وعلى اخوتك بأن يثبتهم على الإسلام ويشرفهم بمكانك ويجعل فيهم النبوة وقيل يتم نعمته عليهم بإنقاذهم من المحن على يديك ﴿**كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم واسحاق**﴾ أي كما أتم النعمة على إبراهيم بالخلة والنبوة والنجاة من النار وعلى إسحاق بأن فداه عن الذبح بذبح عظيم عن عكرمة وقال انه الذبيح وقيل بإخراج يعقوب وأولاده من صلبه عن أكثر المفسرين قالوا وليس هو الذبيح وانما الذبيح اسماعيل ﴿**إن ربك عليم**﴾ بمن يصلح للرسالة ﴿**حكيم**﴾ في اختيار الرسل وقيل عليم بأحوال خلقه حكيم في قضاياه .

﴿ * لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير آية للسائلين والباقون آيات وقرأ أهل المدينة غيابات الجب والباقون غيابة الجب وفي الشواذ قراءة الأعرج غيّابات مشددة وقراءة الحسن غيْبة الجب وقرأ أهل المدينة والكسائي مبين اقتُلوا بضم التنوين والباقون بالكسر .

[**الحجة**] قال أبو علي من قرأ آية على الأفراد جعل شأنه كله آية ويقوّيه قوله وجعلنا

ابن مريم وأمّه آية فكل واحد منهما على انفراده يجوز أن يقال فيه آية فأفرد مع ذلك ومن جمع جعل كل حال من أحواله آية على ان المفرد المنكر في الإيجاب يقع دالاً على الكثرة كما يقع كذلك في غير الإيجاب قال الشاعر

فَقَتْلاً بِتَقْتِيلٍ وَضَرْباً بِضَرْبِكُمْ ... جَزاء العِطاش لا يَنامُ مِنَ الثَّأْرِ(١)

وأما الغيابة فكل شيء غيب شيئاً عن أبي عبيدة وأنشد

فَإِنْ أَنَا يَوْماً غَيَّبَتْني غِيَابَةٌ ... فَسِيرُوا بِسَيْري في العشِيرَةِ والأَهْلِ

والجب الركية التي لم تطو فمن أفرد فالوجه فيه ان الجب لا يخلو من أن يكون له غيابة واحدة أو غيابات وغيابة المفرد يجوز أن يعني به الجمع كما يعني به الواحد ومن جمع فإنه يجوز أن يكون له غيابة واحدة فجعل كل جزء منها غيابة كقولهم شابت مفارقه وبئر ذو غيابتين ويجوز أن يكون للبئر عدة غيابات فجمع لذلك وأما غيابات بالتشديد فيكون اسماً جاء على فعالة كما جاء التيار للموج والفياد للبوم الذكر والفخار للخزف وغير ذلك واما غيبة فيجوز أن يكون حدثاً على فعلة من غاب فيكون بمعنى الظلمة ويجوز أن يكون موضعاً على فعلة واما من ضمَّ التنوين فلأنه التقى الساكنان التنوين والقاف في اقتلوا ولزم تحريك الأول منهما فحرَّكه بالضم ليتبع الضمة الضم كما قيل سُرُّ ومُدُّ ومن كسر التنوين فإنه لم يتبع الضم كما ان من قال مُدّ لم يتبع وكسر الساكنَ على ما يجري عليه أمرُ تحريكِ الساكن في الأمر الشائع .

[**اللغة**] الآية والعلامة والعبرة نظائر والعصبة الجماعة التي يتعصب بعضها لبعض ويقع على جماعة من عشرة إلى خمس عشر وقيل ما بين العشرة إلى الأربعين ولا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والنفر والفرق بين المحبة والشهوة إن الإنسان يحب ولده ولا يشتهيه بأن يميل طبعه إليه ويرق عليه ويريد له الخير والشهوة منازعة النفس إلى ما فيه اللذة وإنما سمي البئر جباً لأنه قطع عنها ترابها حتى بلغ الماء من غير طي ومنه المجبوب قال الأعشى :

وَإِنْ كُنْتَ فِي جُبٍّ ثَمانِينَ قَامَةً ... وَرَقَّيْتَ أَسْبَابَ السَّماءِ بِسُلَّمٍ

وكل ما غيَّب شيئاً عن الحس بكونه فيه فهو غيابة فغيابة البئر شبه لحف أو طاق فوق ما

---

(١) الثار: المنيم الذي إذا أصابه الطالب رضي به فنام بعده .

البئر والسيارة الجماعة المسافرون لأنهم يسيرون في البلاد وقيل هم مارة الطريق والالتقاط تناول الشيء من الطريق ومنه اللقطة واللقيط ومعناه أن يجده من غير أن يحسبه يقال وردت الماء إلتقاطاً إذا وردته من غير أن تحسبه .

[**الإعراب**] العامل في قوله ﴿ **إذ قالوا اذكر** ﴾ وتقديره إذكر إذ قالوا ليوسف ويحتمل أن يكون العامل فيه ما في الآية التي قبله من قوله ﴿ **لقد كان في يوسف وإخوته آيات** ﴾ إذ قالوا واللام في قوله ﴿ **ليوسف** ﴾ جواب القسم تقديره والله ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ، يخل لكم جواب الأمر وتكونوا جزم لأنه معطوف عليه وروي عن الحسن تلتقطه بعض السيارة بالتاء وهذا كما يقال أذهبت بعض أصابعه وقال الشاعر :

طُولُ اللَّيَالِي أَسْرَعَتْ فِي نَقْضِي طَوَيْنَ طُولِي وَطَوَيْنَ عَرْضِي

فقال أسرعت وطوين لتأنيث الليالي ولم يحمله على طول وهو مذكر .

[**المعنى**] ثم أنشأ سبحانه في ذكر قصة يوسف فقال ﴿ **لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين** ﴾ ومعناه لقد كان في حديث يوسف وإخوته عِبَر للسائلين عنهم وأعاجيب فمنها أنهم نالوه بالأذى ودبَّروا في قتله واجتمعوا على إلقائه في البئر للحسد مع أنهم أولاد الأنبياء فصفح عنهم عليه السلام لما مكَّنه الله منهم وأحسن إليهم ولم يعيرهم بما كان منهم وهذا خارج عن العادة وفيه عبرة لمن اعتبر فيها في منافع الدين ومنها الفرج بعد الشدة والمنحة بعد المحنة ومنها الدلالة على صحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنه (ع) لم يقرأ كتاباً فعلم أنه لم يأته ذلك إلا من جهة الوحي فهو بصيرة للذين سألوه أن يخبرهم بذلك ومعجزة دالة على صدقه وإخوته هم أولاد يعقوب وكان ليعقوب إثنا عشر ولداً لصلبه وكانوا أولاد علة عن الجبائي وقيل أسماؤهم روبيل وهو أكبرهم وشمعون ولاوي ويهودا وريالون ويشجر وأمهم ليا بنت ليان وهي ابنة خالة يعقوب ثم توفيت ليا فتزوَّج يعقوب أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين وقيل ابن يامين وولد له من سريتين له اسم إحداهما زلفة والأخرى بلهة أربعة بنين دان ونفتالي وحاد وآشر[1] وكانوا اثني عشر ثم أخبر سبحانه عما قالت إخوة يوسف حين سمعوا منام يوسف وتأويل يعقوب إياه فقال ﴿ **إذ قالوا** ﴾ أي قال بعضهم لبعض ﴿ **ليوسف وأخوه** ﴾ لأبيه وأمه بنيامين ﴿ **أحب إلى أبينا** ﴾ يعقوب ﴿ **منا** ﴾ وذلك أن يعقوب (ع) كان شديد الحب ليوسف وكان يوسف من أحسن الناس وجهاً وكان

---

(١) وقد اختلفت كلمات المفسرين والمؤرخين في ضبط أسماء أولاد يعقوب ولا يخلو الكل عن التصحيف .

يعقوب يؤثره على أولاده فحسدوه ثم رأى الرؤيا فصار حسدهم له أشدّ وقيل أنه (ع) كان يرحمه وأخاه ويقرِّبهما لصغرهما فاستثقلوا ذلك وروى أبو حمزة الثمالي عن زين العابدين (ع) أن يعقوب كان يذبح كل يوم كبشاً فيتصدَّق به ويأكل هو وعياله منه وإن سائلاً مؤمناً صوّاماً إعتر ببابه عشية جمعة عند أوان إفطاره وكان مجتازاً غريباً فهتف على بابه واستطعمهم وهم يسمعون فلم يصدقوا قوله فلما يئس أن يطعموه وغشيه الليل استرجع واستعبر وشكا جوعه إلى الله تعالى وبات طاوياً وأصبح صائماً صابراً حامداً لله وبات يعقوب وآل يعقوب بطاناً وأصبحوا وعندهم فضلة من طعامهم فابتلاه الله سبحانه بيوسف (ع) وأوحى إليه أن استعدّ لبلائي وأرض بقضائي وأصبر للمصائب فرأى يوسف الرؤيا في تلك الليلة والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة وروي ذلك عن ابن عباس أو قريب منه ﴿ **ونحن عصبة** ﴾ معناه ونحن جماعة يتعصب بعضنا لبعض ويعين بعضنا بعضاً أي فنحن أنفع لأبينا وقيل يعني ونحن عصبة لا يعجزنا الاحتيال عليه ﴿ **إن أبانا لفي ضلال مبين** ﴾ أي في ذهاب عن طريق الصواب الذي هو التعديل بيننا في المحبة وقيل معناه أنه في خطأ من الرأي في أمور الأولاد والتدبير الدنيوي ونحن أقوم بأمور مواشيه وأمواله وسائر أعماله ولم يريدوا به الضلال عن الدين لأنهم لو أرادوا ذلك لكانوا كفاراً وذلك خلاف الإجماع ولأنهم بالاتفاق كانوا على دينه وكانوا يعظّمونه غاية التعظيم ولذلك طلبوا محبته وأصل الضلال العدول وكل من ذهب عن شيء وعدل عنه فقد ضلَّ وأكثر المفسرين على إن إخوة يوسف كانوا أنبياء وقال بعضهم لم يكونوا أنبياء لأن الأنبياء لا يقع منهم القبائح وقال المرتضى قدس الله روحه لم يقم لنا الحجة بأن إخوة يوسف الذين فعلوا ما فعلوه كانوا أبياء ولا يمتنع أن يكون الاسباط الذين كانوا أنبياء غير هؤلاء الأخوة الذين فعلوا بيوسف ما قصَّه الله تعالى عنهم وليس في ظاهر الكتاب أن جميع إخوة يوسف وسائر الأسباط فعلوا بيوسف ما حكاه الله من الكيد وقيل يجوز أن يكون هؤلاء الإخوة في تلك الحال لم يكونوا بلغوا الحلم ولا توجه إليهم التكليف وقد يقع ممن قارب البلوغ من الغلمان مثل هذه الأفعال ويعاتب على ذلك ويلام ويضرب وهذا الوجه قول البلخي والجبائي ويدل عليه قوله ﴿ **نرتع ونلعب** ﴾ وروى أبو جعفر بن بابويه رحمه الله في كتاب النبوة بإسناده عن محمد بن إسماعيل بن يزيع عن حنان بن سدير قال قلت لأبي جعفر أكان أولاد يعقوب أنبياء فقال لا ولكنهم كانوا أسباطاً أولاداً لأنبياء ولم يفارقوا الدنيا إلا سعداء تابوا وتذكروا ما صنعوا وقال الحسن كانوا رجالاً بالغين ووقعت ذلك منهم صغيرة ثم أخبر سبحانه عنهم أنهم قال بعضهم لبعض ﴿ **اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً** ﴾ أي إطرحوه في أرض بعيدة عن أبيه فلا يهتدي إليه وقيل معناه في أرض تأكله السباع أو يهلك بغير ذلك

﴿ **يخل لكم وجه أبيكم** ﴾ عن يوسف وتخلص لكم محبته والمعنى أنكم متى قتلتموه أو طرحتموه في أرض أخرى خلا لكم أبوكم وحن عليكم ﴿ **وتكونوا من بعده قوماً صالحين** ﴾ أي وتكونوا من بعد قتل يوسف أو غيبته قوماً تائبين والمعنى أنكم إذا فعلتم ذلك وبلغتم أغراضكم تبتم مما فعلتموه وكنتم من جملة الصالحين الذين يعملون الصالحات وهذا يدل على أنهم رأوا ذلك ذنباً يصح التوبة منه عن جماعة من المفسرين وقيل معناه وتكونوا قوماً صالحين في أمر دنياكم أي يعود حالكم مع أبيكم إلى الصلاح عن الحسن ومتى يسأل ههنا على قول من جعلهم غير بالغين فقال أليس يدل هذا القول منهم على بلوغهم لعلمهم بالوعيد فالجواب أن المراهق قد يجوز أن يعلم ذلك خاصة إذا كان مربى في حجر الأنبياء ومن أولادهم واختلف فيمن قال ذلك من إخوته فقال وهب قاله شمعون وقال مقاتل قاله روبين ثم أخبر سبحانه عن واحد من جملة القوم بقوله ﴿ **قال قائل منهم** ﴾ أي من إخوة يوسف ﴿ **لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة** ﴾ أي ألقوه في قعر البئر يتناوله بعض مارة الطرق والمسافرين فيذهب به إلى ناحية أخرى والقائل لذلك روبين وهو ابن خالة يوسف عن قتادة وابن إسحاق وكان أحسنهم رأياً فيه فنهاهم عن قتله وقيل هو يهوذا وكان أقدمهم في الرأي والفضل وأسنهم عن الأصم والزجاج وقيل هو لاوي رواه علي بن إبراهيم في تفسيرة واختلفوا في ذلك الجب فقيل هو بئر بيت المقدس عن قتادة وقيل بأرض الأردن عن وهب وقيل بين مدين ومصر عن كعب وقيل على ثلاث فراسخ من منزل يعقوب عن مقاتل ﴿ **إن كنتم فاعلين** ﴾ معناه إن كنتم فاعلين شيئاً مما تقولون في يوسف فليكن هذا فعلكم فإنه دون القتل الصريح وقال ابن عباس يريد إن أضمرتم ما تريدون وقيل للحسن أيحسد المؤمن فقال ما أنساك حديث بني يعقوب .

﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿١٢﴾

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر والحلواني عن قالون لا تأمنّا مشددة النون بلا شمة وقرأ الباقون بالإشمام وهو الإشارة إلى النون المدغمة بالضمة وهو اختيار أبي عبيدة وقرأ أبو جعفر ونافع يرتع ويلعب بالياء فيهما وكسر العين من يرتع وقرأ ابن كثير نرتع ونلعب بالنون فيهما وكسر العين وقرأ أبو عمرو وابن عامر نرتع ونلعب بالنون فيهما وجزم العين وقرأ أهل الكوفة ورويس عن يعقوب يرتع ويلعب بالياء فيهما وجزم العين وقرأ روح وزيد عن يعقوب نرتع

بالنون وجزم العين ويلعب بالياء وقد روي ذلك عن أبي عمرو وهو قراءة الأعـرج وإبراهيم النخعي وفي الشواذ قراءة العلاء بن سيابة يرتع بالياء وكسر العين ويلعب رفعاً وقراءة أبي رجا يُرتع ويلعب .

[**الحجة**] قال الزجاج يجوز في تأمنا أربعة أوجه إشمام النون مع الادغام . الضم وهو الذي حكاه ابن مجاهد عن الفراء والإشعار بالضمة والإدغام من غير إشمام لأن الحرفين من جنس واحد وتأمُننا بالإظهار ورفع النون الأولى لأن النونين من كلمتين وتئمناً بكسر التاء لأن ماضيه على فَعـلَ كما قـالوا تِعلم ونعلم وهي قـراءة يحيى بن وثاب وهـذه القراءة مخـالفة للمصحف وإن كانت في العربية جائزة وأما قوله ﴿ **نرتع ويلعب** ﴾ فقد قال أبو علي قراءة من قرأ نرتع بالنون وكسر العين ويلعب بالياء حسن لأنه جعل الإرتعاء والقيام على المال لمن بلغ وجاوز الصغر وأسند اللعب إلى يوسف لصغره ولا لوم على الصغير في اللعب والدليل على صغر يوسف قول إخوته وإنا له لحافظون ولو كان كبيراً لم يحتج إلى حفظهم ويدل على ذلك قول يعقوب وأخاف أن يأكله الذئب وإنما يخاف الذئب على من لا دفاع به من شيخ كبير أو من صبي صغير قال :

أصْبَحْتُ لا أحْمِلُ السِّلاحَ وَلا   أمْلِكُ رَأسَ الْبَعِيرِ إنْ نَفَرا
والذِّئْبَ أخْشاهُ إنْ مَرَرْتُ بِهِ   وَحْدِي وَأخْشَى الرِّياحَ وَالْمَطَرا(١)

وأما الإرتعاء فهو افتعال من رعيت مثل شويت واشتويت وكل واحد منهما متعـد إلى مفعول به قال الأعشى :

تَرْتَعِي السَّفْحَ فَالكَثِيبَ فَذاقارٍ   فَرَوْضَ الْقَطا فَذاتَ الرِّمالِ(٢)

وقال آخر :

رَعَتْ بارِضَ الْبُهْمَى جَمِيماً وَبُسرةً   وَصَمْعاءَ حَتّى آنَفَتْها نِصالُها(٣)

وقد يستقيم أن يقال نرتع وإنما ترتع إبلهم فيما قـال أبو عبيـدة ووجه ذلـك أنه كـان الأصل يرتع إبلنا ثم حذف المضاف وأسند الفعل إلى المتكلمين فصار نرتع وكذلك نرتعي على يرتعي إبلنا ثم حذف المضاف فيكون نرتع وقال أبو عبيدة نـرتع نلهـو وقد تكـون هذه

(١) أي كبرت وضعفت .
(٢) مواضع .
(٣) قائله ذو الرمة والبهمي : نبت . والبارض : أول ما يظهر من ذلك النبت . وساير الألفاظ لمراتبه في النماء .

الكلمة على غير معنى اللهو ولكن على معنى النيل من الشيء كقولهم في المثل الصيد والرتعة وكان على هذا النيل والتناول مما يحتاج إليه الحيوان وقد قال الأعشى (صدر النهار يراعي ثيرة رُتُعاً) وعلى هذا القول قالوا رأيتِ مرتع إبلك لمرادها الذي فيه فهذا لا يكون على اللهو لأنه جمع ثور راتع أو رتوع فأما من قرأ نرتع ونلعب بالنون فيكون نرتع على يرتع إبلنا أو على أننا ننال مما يحتاج إليه وينال معنا وأما نلعب فحكي أن أبا عمرو قيل له كيف يقولون نلعب وهم أنبياء فقال لم يكونوا يومئذ أنبياء فلو صحت هذه الحكاية عنه وصح عنده هذا التاريخ وإلا فقد قال الشاعر :

جَـدَّتْ جِـذاذُ بِـلاعِبٍ وَتَقَشَّعَتْ غَـمَـرَاتُ قَـالَتْ لَـيْـتَـهُ حَـيْـرانٌ

فكان اللاعب هاهنا الذي لم يتشمر في أهله فدخله بعض ألهوينا فهذا أسهل من الوجه الذي قوبل به الحق وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لجابر فهلا بكراً تلاعبها وتلاعبك فهذا كأنه يتشاغل بمباح وتنفس وجمام من الجد وقد روي عن بعض السلف أنه كان إذا أكثر النظر في مسائل الفقه قال إحمضوا فليس هذا اللعب كاللعب في قوله ﴿ **ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب** ﴾ وأما من قرأ بالياء فيهما فإن كان يرتع من اللهو كما فسّره أبو عبيدة فلا يمتنع أن يخبر به عن يوسف لصغره كما لا يمتنع أن ينسب إليه اللعب لذلك وإن كان يرتع من النيل من الشيء فذلك لا يمتنع عليه أيضاً فوجههما بيّن وهذا أبين من قول من قال ونلعب بالنون لأنهم سألوا إرساله ليتنفس بلعبه ولم يسألوا إرساله ليلعبوا هم وأما من قرأ ويلعب بالرفع فإنه جعله إستئنافاً أي هو ممن يلعب كقولك زرني أحسن إليك أي انا ممن يحسن إليك وأما من قرأ ويرتع فمعناه يرتع إبله فحذف المفعول كما قال الحطيئة :

مُـنَعَّـمَـةٌ تَـصُـونُ إِلَـيْـكَ مِـنْـهـا كَـصَـوْنِـكَ مِـنْ رِداءٍ شَـرْعَـبِـيّ

أي تصون الحديث وقال الشنفري :

كَـأَنَّ لَهـا فِي الأَرْضِ نِسْيـاً تَقُصُّـهُ عَلى أَمِّهـا وَإِنْ تُكَلِّمْـكَ تَـبْلِتِ(١)

أي تقطع حديثها خفراً وحياء :

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه أنهم عند اتفاق آرائهم فيما تآمروا فيه من أمر يوسف كيف

(١) النسى : الشيء المطروح . والام : الطريق وفي اللسان « تحدثك ـ تخاطبك ـ تبلت » .

سألوا أباهم ﴿ **فقالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف** ﴾ أي ما لك لا تثق بنا ولا تعتمدنا في أمر يوسف ﴿ **وإنا له لناصحون** ﴾ أي مخلصون في إرادة الخير به وفي هذا دلالة على أنه عليه السلام كان يأبى عليهم أن يرسله معهم ﴿ **أرسله معنا غداً** ﴾ أي إلى الصحراء ﴿ **نرتع ونلعب** ﴾ الجزم على جواب الأمر والمعنى أن ترسله معنا نرتع ونلعب أي نذهب ونجيء وننشط ونلهو عن الكلبي والضحاك وقيل نتحافظ فيحفظ بعضنا بعضنا ونلهو عن مجاهد وقيل نرعى ونتصرف والرتع هو التردد يميناً وشمالاً عن ابن زيد وأرادوا به اللعب المباح مثل الرمي والاستباق بالأقدام وقد روي أن كل لعب حرام إلا ثلاثة لعب الرجل بقوسه وفرسه وأهله ﴿ **وإنا له** ﴾ أي ليوسف ﴿ **لحافظون** ﴾ أي نحفظه لنردّه إليك وقيل نحفظه في حال لعبه وقال مقاتل هاهنا تقديم وتأخير وذلك إن إخوة يوسف قالوا له إرسله فقال أبوهم ﴿ **إني ليحزنني أن تذهبوا به** ﴾ الآية فحينئذ قالوا ﴿ **يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون** ﴾ وإذا صحَّ الكلام من غير تقديم وتأخير فلا معنى لحمله عليه قال الحسن جعل يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وكان في البلاد إلى أن وصل إليه أبوه ثمانين سنة ولبث بعد الاجتماع ثلاثا وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل أنه كان ليوسف يوم ألقي في الجب عشر سنين وقيل كان له إثنتا عشرة سنة وقيل كان ابن سبع سنين أو تسع وجمع بينه وبين أبيه وهو ابن أربعين سنة عن ابن عباس وغيره وفي الآيات دلالة على ظهور حسدهم ليوسف لأنه كان يحرسه منهم ويمنعه عن الخروج معهم ولا يأمنهم عليه .

﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ
ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ
إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي
غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا
ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ
بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾

[اللغة] الذئب أصله الهمز وإن خففت جاز وقراءة الكسائي وخلف وأبو جعفر وورش والأعشى واليزيدي بتخفيف الهمزة في المواضع الثلاث والباقون بالهمز وجمع الذئب أذؤب وذئاب وذؤبان وتذاءبت الريح أتت من كل جهة وحزنت وأحزنت لغتان والحزن ألم القلب بفراق المحبوب والشعور إدراك الشيء بمثل الشعرة في الدقة ومنه المشاعر في البدن والمجيء والمصير إلى الشيء واحد وقد يكون المصير بالانقلاب كمصير الطين خزفاً وقد يكون بمعنى الإنتقال والعشاء آخر النهار ومنه إشتق الأعشى لأنه يستضيء ببصر ضعيف ويقال العشاء أول ظلام الليل ويقال العشى من زوال الشمس إلى الصباح والعشاء من صلاة المغرب إلى العتمة والاستباق افتعال من السبق واستبقا تبادرا حتى يظهر الأقوى ومنه المسابقة وهو على ثلاثة أوجه سباق بالرمي وذلك جائز بالاتفاق وسباق على الخيل والإبل وذلك جائز عندنا وسباق على الأقدام وذلك غير جائز بعوض وبه قال الشافعي وعند أبي حنيفة يجوز بعوض وبلا عوض وبه قال قوم من أصحابنا وكذلك القول في الصراع ودم كذب أي مكذوب فيه وهو مصدر وصف به وقيل إن تقديره بدم ذي كذب قال الفراء يجوز أن يقع المصدر موقع المفعول كما يقع المفعول موقع المصدر في مثل قول الشاعر :

حَتّى إذا لَمْ يَتْرُكُوا لِعِظامِهِ   لَحْماً وَلا لِفُؤادِهِ مَعْقُولاً

ولم يجزه سيبويه وقال المفعول لا يكون مصدراً ويتأول قولهم خذ ميسورة ودع معسورة وقال يعني به خذ ما يسر له ودع ما عسر عليه وكذلك ليس لفؤاده معقول أي ما يعقل به وروي عن عائشة أنها قرأت بدم كدب بالدال أي دم طري والتسويل تزيين النفس ما ليس بحسن وقيل هو تقدير معنى في النفس على الطمع في تمامه .

[الإعراب] اللام في قوله ﴿ لئن ﴾ هي اللام التي يتلقى بها القسم وإنا إذاً لخاسرون جواب القسم فلما ذهبوا به جواب لما محذوف وتقديره عظمت فتنتهم أو كبر ما قصدوا له والكوفيون يقولون الواو في واجمعوا مقحمة وتقديره أجمعوا ولا يجيز البصريون إقحام الواو وقالوا لم يثبت ذلك بحجة ولا قياس ومما أنشده الكوفيون في ذلك قول الشاعر :

حَتّى إذا قَمِلَتْ بُطونُكُم   وَرَأَيْتُم أَبْناءَكُمْ شَبُّوا

وَقَلَبْتُمْ ظَهْرَ المِجَنِّ لَنَا إنَّ اللَّئِيمَ الْعَاجِزُ الخِبُّ(١)

وقول امرىء القيس :

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الحَيِّ وَانْتَحىٰ بِنَا بَطْنَ خَبْتٍ ذِي حِقَافٍ عَقَنْقَلِ (٢)

قالوا أراد إنتحى والبصريون يحملون الجميع على حذف الجواب وقوله ﴿ **يبكون** ﴾ في موضع نصب على الحال وعشاء منصوب على الظرف وجائز أن يكون وهم لا يشعرون من صلة قوله ﴿ **لتنبئنهم** ﴾ وجائز أن يكون من صلة وأوحينا أي نبَأناه بالوحي وهم لا يشعرون أنه نبي قد أوحي إليه ونستبق في موضع نصب على الحال وصبر جميل مرفوع على أحد وجهين على أنه خبر مبتدأ محذوف وتقديره فشأني صبر جميل أو فصبري صبر جميل وهو قول قطرب أو على أنه مبتدء محذوف الخبر والتقدير فصبر جميل أمثل وأنشد :

شَكَا إليَّ جَمَلِي طُولَ السُّرىٰ يَا جَمَلِي لَيْسَ إليَّ المُشْتَكىٰ

صَبْرٌ جَمِيلٌ فَكِلَانا مُبْتَلى(٣)

ويجوز في غير القرآن فصبراً جميلاً وروي ذلك عن أبي ويكون معناه فاصبري يا نفس صبراً جميلاً قال ذو الرمة :

أَلَا إنَّمَا مَيٌّ فَصَبْراً بَلِيَّةٌ وَقَدْ يَبْتَلِي الحُرُّ الْكَرِيمُ فَيَصْبِرُ(٤)

وقال الآخر :

أَبَى اللهُ أَنْ يَبْقىٰ لِحَيٍّ بَشَاشَةٌ فَصَبْراً عَلىٰ ما شَاءَهُ اللهُ لِي صَبْراً

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه أنهم لما أظهروا النصح والشفقة على يوسف همَّ يعقوب أن يبعثه معهم وحثّهم على حفظه فقال ﴿ **إني ليحزنني** ﴾ أي يغمُّني ﴿ **أن تذهبوا به** ﴾ وتغيّبوه عني وقيل معناه يحزنني مفارقته إياي ﴿ **وأخاف** ﴾ عليه إذا ذهبتم به إلى الصحراء

(١) قملت بطونكم أي كثرت قبائلكم . والمجن : الترس . وقلب مجنه أي أسقط الحياء . والخب : الخداع المفسد والشاهد في زيادة الواو من وقلبتم وهو جواب إذا .

(٢) ساحة الدار : فناؤه . وانتحى أي قصده . والخبت : الأرض المطمئنة . والحقف : الرمل المشرف المعوج . والعقنقل : المنعقد من الرمل . والشاهد في زيادة الواو في قوله وانتحى وهو جواب لما .

(٣) أي صبر جميل أمثل : والسرى : سير الليل كله .

(٤) مي : إسم امرأة .

﴿أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون ﴾ فهذه جملة في موضع الحال وتقديره أخاف أن يأكله الذئب في حال كونكم ساهين عنه مشغولين ببعض أشغالكم قالوا وكانت أرضهم مذأبة وكانت الذئاب ضارية في ذلك الوقت وقيل أن يعقوب رأى في منامه كأن يوسف قد شدَّ عليه عشرة أذؤب ليقتلوه وإذا ذئب منها يحمي عنه فكأن الأرض إنشقت فدخل فيها يوسف فلم يخرج منها إلا بعد ثلاثة أيام فمن ثم قال فلقّنهم العلة وكانوا لا يدرون وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لا تلقنوا الكذب فيكذبوا فإن بني يعقوب لم يعلموا أن الذئب يأكل الإنسان حتى لقَّنهم أبوهم وهذا يدل على أن الخصم لا ينبغي أن يلقَّن حجة وقيل أنه خاف عليه أن يقتلوه فكنّى عنهم بالذئب مسايرة لهم قال ابن عباس سمَّاهم ذئاباً ﴿ **قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة** ﴾ أي جماعة متعاضدون متناصرون نرى الذئب قد قصده ولا نمنعه منه ﴿ **إنا إذا لخاسرون** ﴾ أي نكون كالذين تذهب عنه رؤوس أموالهم على رغم منهم وقيل معناه إنا إذا عجزة ضعفة قال الحسن والله لقد كانوا أخوف عليه من الذئب وقيل معناه إنا إذا لمضيعون بلغة قيس عيلان عن المؤرج وههنا حذف والتقدير أنه أرسله معهم إجابة لما سألوه ليؤدّي ذلك إلى الإلفة والمحبة ﴿ **فلما ذهبوا به وأجمعوا** ﴾ أي عزموا جميعاً ﴿ **أي يجعلوه في غيابة الجب** ﴾ أي قعر البئر واتفقت دواعيهم عليه فإن من دعاه داع واحد إلى الشيء لا يقال فيه أنه أجمع عليه فكأنه مأخوذ من اجتماع الدواعي ويدل الألف واللام على أنه كان بئراً معروفة معهودة عندهم تجيئها السيارة وقيل أنهم طلبوا بئراً قليلة الماء تغيبه ولا تغرقه فجعلوه فيها وقيل بل جعلوه في جانب منها وقيل أن يعقوب أرسله معهم فأخرجوه مكرماً فلما وصلوا إلى الصحراء أظهروا له العداوة وجعلوا يضربونه وهو يستغيث بواحد واحد منهم فلا يغيثه وكان يقول يا أبتاه فهمُّوا بقتله فمنعهم يهوذا منه وقيل منعهم لاوي رواه بعض أصحابنا عنهم عليهم السلام فانطلقوا به إلى الجب فجعلوا يدلونه في البئر وهو يتعلق بشفير البئر ثم نزعوا قميصه عنه وهو يقول لا تفعلوا ردّوا عليَّ القميص أتوارى به فيقولون إدع الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً يؤنسنك فدَلُّوه في البئر حتى إذا بلغ نصفها ألقوه إرادة أن يموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم آوى إلى صخرة فقام عليها وكان يهوذا يأتيه بالطعام عن السدي وقيل إن الجب أضاء له وعذب ماؤه حتى أغناه عن الطعام والشراب وقيل كان الماء كدراً فصفا وعذب ووكل الله به ملكاً يحرسه ويطعمه عن مقاتل وقيل إن جبرائيل كان يؤنسه وقيل إن الله تعالى أمر بصخرة حتى إرتفعت من أسفل البئر فوقف يوسف عليها وهو عريان وكان إبراهيم الخليل (ع) حين أُلقي في النار جرد من ثيابه وقذف في النار عرياناً فأتاه جبرائيل (ع) بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه وكان ذلك عند إبراهيم (ع) فلما مات ورثه إسحاق فلما

مات إسحاق ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص في تعويذ وعلّقه في عنقه فكان لا يفارقه فلما ألقي في البئر عرياناً جاءه جبرائيل وكان عليه ذلك التعويذ فأخرج منه القميص فألبسه إياه وروى ذلك مفضل بن عمر عن الصادق (ع) قال وهو القميص الذي وجد يعقوب ريحه ولما فصلت العير من مصر وكان يعقوب بفلسطين فقال إني لأجد ريح يوسف وفي كتاب النبوة عن الحسن بن محبوب عن الحسن بن عمارة عن مسمع أبي سيار عن الصادق (ع) قال لما ألقى إخوة يوسف يوسف في الجب نزل عليه جبرائيل فقال له يا غلام من طرحك هنا فقال إخوتي لمنزلتي من أبي حسدوني ولذلك في الجب طرحوني فقال أتحب أن تخرج من هذا الجب قال ذلك إلى إلّه إبراهيم وإسحاق ويعقوب فقال له جبرائيل فإن إلّه إبراهيم وإسحاق ويعقوب يقول لك قل اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إلّه إلا أنت بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تجعل لي في أمري فرجاً ومخرجاً وترزقني من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب فجعل الله له من الجب يومئذ فرجاً ومخرجاً ومن كيد المرأة مخرجاً وآتاه ملك مصر من حيث لم يحتسب وروى علي بن إبراهيم أن يوسف (ع) قال في الجب يا إلّه إبراهيم وإسحاق ويعقوب إرحم ضعفي وقلة حيلتي وصغري وقوله ﴿ **وأوحينا إليه** ﴾ يعني إلى يوسف (ع) قال الحسن أعطاه الله النبوة وهو في الجب والبشارة بالنجاة والملك ﴿ **لتنبئنهم بأمرهم هذا** ﴾ أي لتخبرنهم بقبيح فعلهم بعد هذا الوقت يريد ما ذكره سبحانه في آخر السورة من قوله ﴿ **هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه** ﴾ ﴿ **وهم لا يشعرون** ﴾ أنك يوسف وكان الوحي إليه كالوحي إلى سائر الأنبياء وقال مجاهد وقتادة أوحى الله إليه ونبأه وهو في الجب وكان فيما أوحى إليه أن أكتم حالك واصبر على ما أصابك فإنك ستخبر إخوتك بما فعلوا بك في وقت لا يعرفونك وقيل يريدوهم لا يشعرون بأنه أُوحي إليه وقيل إن معنى قوله ﴿ **لتنبئنهم** ﴾ لتجازينهم على فعلهم تقول العرب للرجل يتوعده بمجازاة سوء فعله لأنبئنك ولأعرفنك أي لأجازينك وقيل أراد بذلك أنهم لما دخلوا مصر عرفهم يوسف وهم له منكرون فأخذ الصاع ونقره فطنَّ[1] فقال إن هذا الجام ليخبرني أنه كان لكم أخ من أبيكم ألقيتموه في الجب وبعتموه بثمن بخس فهذا معنى قوله ﴿ **لتنبئنهم بأمرهم** ﴾ هذا عن ابن عباس ثم بيَّن سبحانه حالهم حين رجعوا إلى أبيهم فقال ﴿ **وجاؤوا أباهم** ﴾ يعني وانقلب إخوة يوسف إلى أبيهم ﴿ **عشاء** ﴾ أي ليلاً أو في آخر النهار ليلبسوا على أبيهم وليكونوا أجرأ على الاعتذار

---

(١) الصاع : المكيال . ونقره : ضربه ليصوت . وطن : أي صوت .

﴿ يكون ﴾ وإنما أظهروا البكاء ليوهموا أنهم صادقون وفي هذا دلالة على أن البكاء لا يوجب صدق دعوى الباكي في دعواه قال السدي لما سمع بكاءهم فزع فقال ما بالكم ﴿ قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق ﴾ أي نشتد ونعدو على الأقدام لننظر أينا أعدى وأسبق لصاحبه عن الجبائي والسدي وقيل معناه ننتصل ونترامى فننظر أي السهام أسبق إلى الغرض عن الزجاج وفي قراءة عبد الله ننتصل ﴿ وتركنا يوسف عند متاعنا ﴾ أي تركناه عند الرحل ليحفظه ﴿ فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ﴾ أي ما أنت بمصدق لنا ﴿ ولو كنا صادقين ﴾ جواب لو محذوف أي ولو كنا صادقين ما صدقتنا لإتهامك لنا في أمر يوسف ودلَّ الكلام عليه ولم يصفوه بأنه لا يصدق الصادق لأن المعنى لا يصدقهم لإتهامه لهم وسوء ظنه بهم لما ظهر له من إمارات حسدهم ليوسف وشدة محبته ليوسف ﴿ وجاؤا على قميصه بدم كذب ﴾ معناه أن إخوة يوسف جاؤوا أباهم ومعهم قميص يوسف ملطخاً بدم فقالوا له هذا دم يوسف حين أكله الذئب وقيل أنهم ذبحوا سخلة وجعلوا دمها على قميصه عن ابن عباس ومجاهد وقيل ظبياً ولم يمزقوا ثوبه ولم يخطر ببالهم أن الذئب إذا أكل إنساناً فإنه يمزق ثوبه وقيل إن يعقوب قال لهم أروني القميص فأروه إياه فقال لهم لما رأى القميص صحيحاً يا بني والله ما عهدت كاليوم ذئباً أحلم من هذا أكل إبني ولم يمزق قميصه عن الحسن وروي أنه ألقى ثوبه على وجهه وقال يا يوسف لقد أكلك ذئب رحيم أكل لحمك ولم يشق قميصك ومعنى قوله بدم كذب مكذوب عليه أو فيه كما يقال ماء سكب أي مسكوب وشراب صب أي مصبوب قال الشاعر :

تَظلُّ جِيادُهُمْ نَوْحاً عَلَيْهِم مُقَلَّدةً أعِنَّتَها صُفُوناً(١)

أراد نائحة عليهم وقيل أنه كان في قميص يوسف ثلاث آيات حين قدَّمن دبر وحين أُلقي على وجه أبيه فارتد بصيراً وحين جاؤوا عليه بدم كذب فتنبَّه يعقوب على أن الذئب لو أكله لمزق قميصه عن الشعبي وقيل أنه لما قال لهم يعقوب ذلك قالوا بل قتله اللصوص فقال (ع) فكيف قتلوه وتركوا قميصه وهم إلى قميصه أحوج منهم إلى قتله ﴿ قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً ﴾ أي قال يعقوب لهم إذا إتهمهم في يوسف لم يأكله الذئب ولم يقتله اللصوص ولكن زينت لكم أنفسكم أمراً علمتموه عن قتادة وقيل سهل بعضكم لبعض أمراً في يوسف غير الذي فعلتموه حتى سهل عليكم فقتلتموه عن أبي مسلم والجبائي وإنما ردَّ يعقوب

(١) قائله عمرو بن كلثوم من المعلقة. وروايته فيها « تركنا الخيل عاكفة عليه. ا. هـ » صفوناً جمع صافن، والصافن ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر .

عليهم بوحي من الله عز إسمه وقيل كان ذلك حدساً بصائب رأيه وصادق ذهنه ﴿ **فصبر جميل** ﴾ أي فصبري صبر جميل لا جزع فيه ولا شكوى إلى الناس وقيل فصبر جميل أحسن وأولى من الجزع الذي لا يغني شيئاً وقيل إنما يكون الصبر جميلاً إذا قصد به وجه الله تعالى وفعل للوجه الـذي وجب فلما كان الصبر في هذا الموضع واقعاً على الوجه المحمود صحَّ وصفه بذلك ذكره المرتضى قدس الله روحه وقيل إن البلاء نزل بيعقوب على كبره وبيوسف على صغره بلا ذنب كان منهما فأكبَّ يعقوب على حزنه وانطلق يوسف في رقه وكل ذلـك بعين الله يـرى ويسمع حتى أتى بـالمخرج وكـل ذلـك إمتحـان ﴿ **والله المستعـان على مـا تصفون** ﴾ أي بالله أستعين على دفع ما تصفون أو به أستعين على تحمُّل مرارة الصبر عليه ومكث يوسف في الجب ثلاثة أيام .

﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَـٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّـٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة يا بشـرى بألف بغيـر ياء إلا أن حمـزة والكسائي وخلف يميلون الراء وعاصم لا يميل والباقون يا بشراي باثبات الياء وإثبات الألف وفي الشواذ قراءة الجحدري وابن أبي إسحاق والحسن يا بُشرَيَّ .

[**الحجة**] قال أبو علي من قرأ يا بشر اي فأضاف إلى الياء التي للمتكلم كان للألف التي هي حرف الإعراب عنده موضعان من وجهين (أحدهما) أن الألف في موضع نصب من حيث كان نداء مضافاً (والآخر) أن يكون في موضع كسر من حيث كان بمنزلة حـرف الإعراب الذي في غلامي والدلـيل على استحقاقها لهذا الموضع قولهم كَسَرتَ فيَّ فلولا أن حرف الاعراب الذي ولي ياء الإضافة في موضع كسر ما كسرت الفاء من فيَّ فلمـا كسرت كما كسرت من قولهم بفيك وكما فتحت من قولهم رأيت فاك لما كانت في موضـع الفتحة التي في قولك رأيت غلامَك وانضمت في قولك هذا فوك لاتباعه الضمة المقدرة فيها كالتي في قرلك هذا غلامُك كذلك كُسرَت في قولهم كَسَرتَ فِيَّ وهذا يدلك على أنه ليس يعرب من مكانين ألا ترى أنها تبعت حركة غير الاعراب فى قولك كسرتَ فيَّ يـا هذا كمـا تبعت

حركة الاعراب في رأيت فاك ومن قال يا بُشرى احتمل وجهين (أحدهما) أن يكون في موضع ضم مثل يا رجلُ لاختصاصه بالنداء (والآخر) أن يكون في موضع نصب وذلك لأنك أشعت النداء ولم تختص به كما فعلت في الوجه الأول فصار كقوله يا حسرة على العباد إلا أن التنوين لم يلحق بُشرى لأنها لا تنصرف فأما من قرأ يا بُشْرَيَّ فإن تلك لغة هذيل قال أبو ذؤيب :

سَبَقُوا هَوَيَّ وأعْنَقُوا لِسَبِيلِهِم فَتُخَرِّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَهْجَعُ(١)

وقال آخر :

يُطَوِّف بي عِكَبٌّ في مَعَدٍّ وَيَطْعُنُ بالصُّمُلَّةِ في قَفَيّا
فإنْ لَمْ تَثْأرا لِيَ مِنْ عِكَبٍّ فَلا رُوِّيتُما أَبَداً صَدِيّا(٢)

وأمثاله كثيرة .

[**اللغة**] الوارد الذي يتقدم الرفقة إلى الماء ليستقي وتقول أدليت الدلو إذا أرسلتها في البئر لتملأها ودلوتها إذا أخرجتها ملأى والبضاعة قطعة من المال تجعل للتجارة من بضعت الشيء إذا قطعته ومنه المبضع لأنه يبضع به العرق والشرى البيع قال الشاعر :

« وَشَرَيْتُ بُرْداً لَيْتَني مِنْ بَعْدِ بُرْدٍ كُنْتُ هامَه »(٣)

والثمن بدل الشيء من العين أو الورق ويقال في غيرهما أيضاً مجازاً والبخس النقص من الحق يقال بخسه في الكيل أو الوزن إذا نقصه من حقه فيهما .

[**الإعراب**] قال الزجاج معنى النداء في يا بشرى وما في معناها مما لا يجب ولا يعقل فإنه على تنبيه المخاطبين وتوكيد القصة إذا قلت يا عجباه فكأنك قلت اعجبوا يا أيها العجب هذا من حينك وكذلك إذا قلت يا بشرى فكأنك قلت أبشروا يا أيتها البشرى هذا من أبانك وبضاعة منصوب على الحال وتقديره وأسروه جاعليه بضاعة ودراهم في موضع جرّ بأنه بدل

(١) وفي رواية الامالي للشريف المرتضى (قده) والتبيان « مصرع » بدل « مهجع » . واعنقوا أي أسرعوا وتخرم القوم المنية أي اقتطعهم واستأصلهم . يرثي بنيه لما ماتوا بالطاعون .

(٢) هما للمنتخل الهذلي ونسبهما في اللسان إلى النخل الشكري . وعكب اللخمي : صاحب سجن النعمان بن المنذر . ومعد : قبيلة . والصملة . الرجل القصير الضخم

(٣) قائله يزيد بن مفرغ الحميري . وبرد : اسم عبد باعه فندم . والهامة : الميت .

من ثمن ومعدودة صفة الدراهم وكانوا فيه من الزاهدين فيه ليست من صلة الزاهدين والمعنى وكانوا من الزاهدين ثم بيَّن في أيِّ شيء زهدوا فقال فيه فكأنه قال زهدوا فيه وهذا في الظروف جائز ولا يجوز ذلك في المفعولات لو قلت كنت زيداً من الضاربين لم يجز لأن زيداً من صلة الضاربين ولا تتقدم الصلة على الموصول .

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه عن حال يوسف بعد إلقائه في الجب فقال ﴿ **وجاءت سيارة** ﴾ أي جماعة مارة قالوا وإنما جاءت من قبل مدين يريدون مصر فأخطأوا الطريق فانطلقوا يهيمون على غير الطريق حتى نزلوا قريباً من الجب وكان الجب في قفرة بعيدة عن العمران وإنما هو للرعاة والمجتازة وكان ماؤه ملحاً فعذب وقيل كان الجب بظهر الطريق ﴿ **فأرسلوا واردهم** ﴾ أي فبعثوا من يطلب لهم الماء يقال بعثوا رجلاً يقال له مالك بن زعر ليطلب لهم الماء ﴿ **فأدلى دلوه** ﴾ أي أرسل دلوه في البئر ليستقي فتعلق يوسف (ع) بالحبل فلما خرج إذا هو بغلام أحسن ما يكون من الغلمان قال النبي ﷺ أعطي يوسف شطر الحسن والنصف الآخر لسائر الناس وقال كعب الأحبار وكان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم العين مستوي الخلق أبيض اللون غليظ الساقين والعضدين خميص البطن صغير السرة وكان إذا تبسم رأيت النور في ضواحكه وإذا تكلم رأيت في كلامه شعاع النور يلتهب عن ثناياه ولا يستطيع أحد وصفه وكان حسنه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه آدم (ع) يوم خلقه الله عز وجل وصوَّره ونفخ فيه من روحه قبل أن يصيب المعصية ويقال أنه ورث ذلك الجمال من جدته سارة وكانت قد أعطيت سدس الحسن فلما رآه المدلي ﴿ **قال يا بشرى هذا غلام** ﴾ عن قتادة والسدي وقيل أنه نظر في البئر لما ثقل عليه الدلو فرآى يوسف (ع) فقال هذا غلام فأخرجوه عن الجبائي وقيل أن بشرى رجل من أصحابه ناداه عن السدي ﴿ **وأسرُّوه بضاعة** ﴾ أي وأسرَّ يوسف الذين وجدوه من رفقائهم من التجار مخافة أن يطلبوا منهم الشركة معهم في يوسف فقالوا هذا بضاعة لأهل الماء دفعوه إلينا لنبيعه لهم عن مجاهد والسدي وقيل معناه وأسرَّ اخوته يكتمون أنه أخوهم فقالوا هو عبد لنا قد أبق واختفى منا في هذا الموضع وقالوا له بالعبرانية لئن قلت أنا أخوهم قتلناك فتابعهم على ذلك لئلا يقتلوه عن ابن عباس ﴿ **والله عليم بما يعملون** ﴾ أي بما يعمل اخوة يوسف ﴿ **وشروه بثمن بخس** ﴾ أي باعوه بثمن ناقص قليل عن عكرمة والشعبي وقيل حرام لأن ثمن الحر حرام عن الضحاك ومقاتل والسدي وسمي الحرام بخساً لأنه لا بركة فيه فهو منقوص البركة ﴿ **دراهم معدودة** ﴾ أي قليلة وذكر العدد عبارة عن القلة وقيل أنهم كانوا لا يزنون من الدراهم ما دون الأوقية وكانوا يزنون الأوقية وهي

الأربعون فما زاد عليها وكانت الدراهم عشرين درهماً عن ابن عباس وابن مسعود والسدي وهو المروي عن علي بن الحسين (ع) قال وكانوا عشرة فاقتسموها درهمين درهمين وقيل كانت اثنين وعشرين درهماً عن مجاهد وقيل كانت أربعين درهماً عن عكرمة وقيل ثمانية عشر درهماً عن أبي عبد الله (ع) واختلف فيمن باعه فقيل أن أخوة يوسف باعوه وكان يهوذا منتبذاً ينظر إلى يوسف فلما أخرجوه من البئر أخبر أخوته فأتوا مالكاً وباعوه منه عن ابن عباس ومجاهد وأكثر المفسرين وقيل باعه الواجدون بمصر عن قتادة وقيل أن الذين أخرجوه من الجب باعوه من السيارة عن الأصم والأصح الأول وذكر أبو حمزة الثمالي في تفسيره قال فلم يزل مالك بن زغر وأصحابه يتعرفون من الله الخير في سفرهم ذلك حتى فارقوا يوسف ففقدوا ذلك قال وتحرَّك قلب مالك ليوسف فأتاه فقال أخبرني من أنت فانتبه له يوسف ولم يكن مالك يعرفه فقال أنا يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم فالزمه مالك وبكى وكان مالك رجلاً عاقراً لا يولد له فقال ليوسف لو دعوت ربك أن يهب لي ولداً فدعا يوسف ربه أن يجعل له ولداً ويجعلهم ذكوراً فولد له اثنا عشر بطناً في كل بطن غلامان ﴿ **وكانوا فيه من الزاهدين** ﴾ قيل يعني به أن الذين اشتروه كانوا من الزاهدين في شرائه لأنهم وجدوا علامة الأحرار وأخلاق أهل البر والنبل فلم يرغبوا فيه مخافة أن يلحقهم تبعة في استعباده وقيل معناه وكانوا من الزاهدين في نفس يوسف لم يشروه للفجور وإنما اشتروه للربح وقيل المراد به الذين باعوه من اخوته كانوا غير راغبين في يوسف ولا في ثمنه ولكنهم باعوه حتى لا يظهر ما فعلوا به وكان قصدهم تبعيده وقيل كانوا من الزاهدين في يوسف لأنهم لم يعرفوا موضعه من الله سبحانه وكرامته عليه ولا تنافي بين هذه الأقوال فيجوز حمل الآية على جميعها وقيل إن الذين باعوه بمصر كانوا من الزاهدين في ثمنه لأنهم علموا أنه لقطة وليست ببضاعة .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ
أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا
لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ
عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ
أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

[**اللغة**] الثواء الإقامة والمثوى موضع الإقامة والإكرام اعطاء المراد على جهة الاعظام وهو يتعاظم فأعلاه منزلة ما يستحق بالنبوة وأدناه ما يستحق بخصلة من الطاعات وأشُدّ جمع لا واحد له وقيل هو واحد وإن كان على وزن الجمع فهو مثل الآنك وهو الرصاص وقيل أنه جمع واحده شد كما أن واحد الأشر شرّ قال الشاعر :

هَــلْ غَيْــرُ أَنْ كَثُــرَ الْأَشُــرُّ وَأَهْـلَكَتْ حَــرْبُ الْـمُــلُوكِ أَكَــاثِـرَ الْأَمْــوَالِ

[**الأعراب**] مصر لا ينصرف لأنه مؤنث معرفة وأن ينفعنا في موضع رفع لكونه فاعل عسى وعسى هذه تامة لأنها تمت بفاعلها واللام في قوله ﴿ **ولتعلمه** ﴾ محمولة على تقدير دبرنا ذلك لنمكنه ولنعلمه .

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه عن حال يوسف بعد أن بيع فقال ﴿ **وقال الذي اشتراه** ﴾ أي اشترى يوسف ﴿**من مصر**﴾ أي من أهل مصر ﴿**لامرأته أكرمي مثواه**﴾ أي مقام يوسف وموضع نزوله أي هيّئي له موضعاً كريماً شريفاً وتقدير الآية فحملوه إلى مصر وباعوه وحذف ذلك للدلالة عليه وكان المشتري خازن فرعون مصر وخليفته وصاحب جنوده واسمه قطفير وكان لا يأتي النساء وقيل أن اسمه أظفير وكان يلقب بالعزيز ومن كان بمكانه يسمى بالعزيز ومن يسمى بالعزيز ممن لم يكن بمكانه نزع لسانه فلما عبر يوسف رؤيا الملك سمي العزيز وجعل مكان العزيز وكان باعه مالك بن زعر منه بأربعين ديناراً وزوج نعل وثوبين أبيضين عن ابن عباس وقيل أنه عرضه على البيع في سوق مصر فتزايدوا حتى بلغ ثمنه وزنه ورقاً ومسكاً وحريراً عن وهب فاشتراه العزيز بهذا الثمن وقال لامرأته راعيل ولقبها زليخا اكرمي مثواه ﴿ **عسى أن ينفعنا** ﴾ أي عسى أن نبيعه فنربح على ثمنه ﴿ **أو نتخذه ولداً** ﴾ فإنه لا ولد لنا وإنما قال ذلك لما رأى على يوسف من الجمال والعقل والهداية في الأمور وعلى هذا فالعزيز هو خازن الملك وخليفته والملك هو الريان بن الوليد رجل من العماليق وقيل أن هذا الملك لم يمت حتى آمن واتبع يوسف على دينه ثم مات ويوسف بعده حيٌّ فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى أن يقبل وقال ابن عباس العزيز ملك مصر وكذلك هو في حديث علي بن الحسين عليه السلام ﴿ **وكذلك مكنا ليوسف في الأرض** ﴾ أي كما أنعمنا على يوسف بالسلامة والخروج من الجب مكّناه في الأرض بأن عطفنا عليه قلب الملك الذي اشتراه حتى صار بذلك متمكناً من الأمر والنهي في الأرض التي كان يستولي عليها الملك وهي أرض مصر ﴿ **ولنعلِّمه من تأويل الأحاديث** ﴾ وقد مضى معناه في أول السورة ﴿ **والله غالب على أمره** ﴾ أي على أمر يوسف يحفظه ويرزقه حتى يبلغه ما قدر له من الملك والنبوة

ولا يكله إلى غيره وقيل معناه والله غالب على أمر نفسه لا يعجزه شيء من تدابيره وأفعاله فهو الفاعل لما يشاء كيف يشاء ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ إن الله غالب على أمر نفسه أو أمر يوسف وقيل معناه لا يعلمون ما يصنع الله بيوسف وما يؤول إليه حاله ﴿ **ولما بلغ** ﴾ يوسف ﴿ **أشده** ﴾ أي منتهى شبابه وقوته وكمال عقله وقيل الأشدّ من ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين سنة عن ابن عباس وقيل أن أقصى الأشد أربعون سنة وقيل ستون سنة وهو قول الأكثرين ويؤيده الحديث من عمره الله ستين سنة فقد أعذر إليه وقيل أن ابتداء الأشد من ثلاث وثلاثين سنة عن مجاهد وكثير من المفسرين وقيل من عشرين سنة عن الضحاك ﴿ **آتيناه حكماً** ﴾ أي أعطيناه القول الفصل الذي يدعو إلى الحكمة ﴿ **وعلماً** ﴾ وهو تبيين الشيء على ما هو به بما يحل في القلب عن علي بن عيسى وقيل الحكم النبوة والعلم الشريعة عن ابن عباس وقيل الحكم الدعاء إلى دين الله والعلم علم الشرع وقيل أراد الحكم بين الناس والعلم بوجوه المصالح فإن الناس كانوا إذا تحاكموا على العزيز أمره بأن يحكم بينهم لما رأى من عقله وأصابته في الرأي وقيل هو العلم والعمل به وهو الحكم ﴿ **وكذلك نجزي المحسنين** ﴾ أي مثل ما جزينا يوسف بصبره نجزي كل من أحسن أي فعل الأفعال الحسنة من الطاعات وقيل أن المحسنين الصابرون على النوائب عن الضحاك وقيل هم المؤمنون عن ابن عباس وقيل أراد محمداً ﷺ أي كما فعلنا بيوسف وأعطيناه الملك بعد مقاساته البلاء والشدة كذلك نفعل بك يا محمد عن ابن جريج .

﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾

[**القراءة**] قرأ أهل المدينة والشام هِيتَ لك بكسر الهاء وفتح التاء وقرأ ابن كثير هَيتُ لك بفتح الهاء وضم التاء وقرأ الباقون هَيْتَ لك بفتح الهاء والتاء وروي عن علي (ع) وأبي رجاء وأبي وائل ويحيى بن وثاب هئتُ لك بالهمزة وضم التاء وروي ذلك على خلاف فيه عن ابن عباس وعن عكرمة ومجاهد وقتادة وروي عن ابن عباس أيضاً هَيْتِ لك بفتح الهاء وكسر التاء وروي ذلك عن أبي الأسود وابن أبي إسحاق وابن محيصن وعيسى الثقفي وروي أيضاً عن ابن عباس هَيَئْت لك أيضاً .

[**الحجة**] قال الزجاج في هيت لك لغات أجودها هَيْتَ لـك بفتح الهـاء والتاء قـال الشاعر :

أَبْـلِغْ أَمِـيـرَ الْـمُـؤْمِـنِـيـنَ أَخَـا الـعِـرَاقِ إِذَا أَتِـيْـتَـا
إِنَّ الْـعِـرَاقَ وَأَهْـلَهُ عُـنُـقٌ إِلَـيْـكَ فَـهَـيْـتَ هَـيْـتَـا[1]

أي فأقبل وتعال وحكى قطرب أنه أنشده بعض أهل الحجاز لطرفة :

لَـيْسَ قَـوْمِي بِـالأَبْـعَـدِينَ إِذَا مَـا قَـالَ دَاعٍ مِـنَ الْـعَـشِـيْـرَةِ هَـيْـتَ
هُـمْ يُـجِـيـبُـونَ ذَا هَـلُمَّ سِـرَاعـاً كَـالأَبَـابِـيـلِ لاَ تُـغَـادِرُ بَـيْـتـاً

فهذا شاهد لابن كثير وكلها أسماء سمى بها الفعل بمنزلة صه ومه وأيه والحركات في أواخرها لالتقاء الساكنين وأما الفتح فلأن قبل التاء ياء فهو كما قيـل أين وكيف والكسر لأن الأصل في التقاء الساكنين حركة الكسر وأما الضم فلأنها في معنى الغايات كأنها قالت دعائي لك فلما حذفت الإضافة وتضمنت هيت معناها بنيت على الضم كما بنيت حيث ومنذ وأما هئت بالهمزة وضم التاء ففعل تقول هئت أهيء هيئة أي تهيأت وقالوا أيضاً هئت أهاء كخفت أخاف وأما هَيِئْت لك ففعل صـريح كقـولك أصلحت لـك واللام تتعلق بنفس هيتَ وهيتُ وهيتِ وهئت كما يتعلق بنفس هلم في قولك هلم لك .

[**اللغة**] المراودة المطالبة بأمر بالرفق واللين ليعمل به ومنه المرود لأنه يعمل بـه ولا يقال في المطالبة بدين راوده وأصله من راد يرود إذا طلب المرعى وفي المثل الرائد لا يكذب أهله وهو في الآية كناية عما تريده النساء من الرجال والتغليق إطباق الباب بما يعسر فتحـه وإنما شدد ذلك لتكثير الاغلاق أو للمبالغة في الإيثاق .

[**الإعراب**] معاذ الله نصب على المصدر على تقدير أعوذ بالله معاذاً تقول عذت بالله عوذاً ومعاذاً وعياذاً ومعاذة .

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه عن امرأة العزيز وما همت به فقال ﴿ **وراودته التي هو في بيتها عن نفسه** ﴾ أي وطالبت يوسف المرأة التي كان يوسف في بيتها عن نفسه وهي زليخا والمعنى طلبت منه أن يواقعها ﴿ **وغلقت الأبواب** ﴾ على نفسها وعليه بـاباً بعـد باب قـالوا

---

(١) قائله رجل من أهل العراق يخاطب علي بن أبي طالب (ع) . وجاء القوم عنقـاً عنقاً أي طـوائف أراد أنهم أقبلوا إليك بجماعتهم . وفي بعض الروايات « سلم إليك » . مكان « عنق إليك » .

وكانت سبعة أبواب وقيل أراد باب الدار وباب البيت ﴿ **وقالت هيت لك** ﴾ أي هلم لك عن ابن عباس والحسن ومعناه أقبل وبادر إلى ما هو مهيأ لك ﴿ **قال** ﴾ يوسف ﴿ **معاذ الله** ﴾ أي اعتصم بالله وأستجير به مما دعوتني إليه وتقديره عياذاً بالله أن أجيب إلى هذا فكان (ع) أظهر الإباء وسأل الله سبحانه أن يعيذه ويعصمه من فعل ما دعته إليه ﴿ **انه ربي أحسن مثواي** ﴾ الهاء عائدة إلى زوجها عند أكثر المفسرين ومعناه أن العزيز زوجك مالكي أحسن تربيتي واكرامي وبسط يدي ورفع منزلتي فلا أخونه وإنما سمّاه رباً لما كان ثبت له عليه من الرق في الظاهر وقيل أن الهاء عائد إلى الله سبحانه والمعنى أن الله ربي رفع من محلي وأحسن إليَّ وجعلني نبياً فلا أعصيه أبداً ﴿ **أنه لا يفلح الظالمون** ﴾ دلَّ بهذا على أنه لو فعل ما دعته إليه لكان ظالماً وفي هذه الآية دلالة على أن يوسف لم يهمّ بالفاحشة ولم يردها بقبيح لأن من همَّ بالقبيح لا يقول مثل ذلك .

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾

[**القراءة**] قرأ أهل المدينة والكوفة المخلصين بفتح اللام والباقون بكسر اللام في جميع القرآن .

[**الحجة**] قال أبو علي حجة من كسر اللام قوله أخلصوا دينهم لله ومن فتح اللام فيكون بنى الفعل للمفعول به ويكون معناه ومعنى من كسر اللام واحد فإذا أخلصوا دينهم فهم مخلِصون وإذا أخلصوا فهم مخلَصون .

[**اللغة**] الهمّ في اللغة على وجوه منها العزم على الفعل كقوله تعالى ﴿ **إذ همَّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم** ﴾ أي أرادوا ذلك وعزموا عليه ومنه قول ضابىء البرجمي :

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ على عُثْمانَ تَبْكي حَلائِلُهُ

وقول حاتم طيء :

وَللهِ صُعْلُوكٌ يُشَاوِرُ هَمَّه وَيَمْضي عَلَى الأيّامِ وَالدَّهرِ مُقْدِماً

وقول الخنساء :

وَفَضَّـــل مِـرْداســاً عَلَى النَّــاسِ جُمْلَةً ... وَإنْ كُــلِّ هَـمٍّ هَـمُّـهُ فَـهْـوَ فَـاعِـلُهُ

ومنها خطور الشيء بالبال وان لم يقع العزم عليه كقوله ﴿ **إذ همَّت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليُّهما** ﴾ يعني أن الفشل خطر ببالهم ولو كان الهم ههنا عزماً لما كان الله وليهما لأن العزم على المعصية معصية ولا يجوز أن يكون الله وليُّ من عزم على الفرار عن نصرة نبيه عليه وآله السلام ويقوِّي ذلك قول كعب بن زهير :

فَكَـمْ فـيـهِـم مِـنْ فـارِسٍ مُـتَـوَسِّـعٌ ... وَمِـنْ فـاعِـلٍ لِلْخَـيْـرِ إنْ هَـمَّ أَوْ عَـزَمَ

ففرَّق بين الهمّ والعزم ومنها أن يكون بمعنى المقاربة قالوا همَّ فلان أن يفعل كذا أي كاد يفعله قال ذو الرمة :

أَقُــولُ لِمَسْعُـودٍ بِجَـرْعَـاءَ مَـالِـكٍ ... وَقَـدْ هَـمَّ دَمْـعـي أَنْ تَـلِجَّ أَوائـلُه

والدمع لا يجوز عليه العزم ومعناه كاد وقارب وقال أبو الأسود الدئلي :

وَكُنْتَ مَتىٰ تَـهْـمَـمْ يَـمـيـنُـكَ مَـرَّةً ... لِتَفْعَـلَ خَيْـراً تَـقْتَـفيـهـا شِمٰـالُـكـا

وعلى هذا جاء قوله جداراً يريد أن ينقض أي يكاد وقال الحارثي :

يُـريـدُ الـرُّمْـحَ صَـدْرَ أَبِـي بَـراءٍ ... وَيَـرْغَـبُ عَـنْ دِمٰـاء بَـني عَـقِـيـلٍ

ومنها الشهوة ونيل الطباع يقول القائل فيما يشتهيه ويميل طبعه إليه هذا أهمُّ الأشياء إليَّ وفي ضدِّه ليس هذا من همّي وإذا كانت معاني الهم في اللغة مختلفة يحب أن ينفي عن نبي الله يوسف (ع) ما لا يليق به وهو العزم على القبيح لأن الدليل قد دلَّ على أن الأنبياء لا يجوز المعاصي والقبائح عليهم وأجزنا عليهم ما سواه من معاني الهم لأن كل واحد من ذلك يليق بحاله .

[**المعنىٰ**] ﴿ **ولقد همَّت به وهمَّ بها لولا أن رأى برهان ربه** ﴾ اختلف العلماء فيه على قولين (أحدهما) أنه لم يوجد من يوسف ذنب كبير ولا صغير (والآخر) أنه وجد منه العزم على القبيح ثم انصرف عنه فأما الأولون فإنهم اختلفوا في تأويل الآية على وجوه (أحدها) أن الهمّ في ظاهر الآية قد تعلق بما لا يصح تعلق العزم به على الحقيقة لأنه قال ولقد همَّت به وهمَّ بها فعلَّق الهم بهما وذاتاهما لا يجوز أن يرادا ويعزم عليهما لأن الموجود الباقي لا يصح أن يراد ويعزم عليه فإذا حملنا الهم في الآية على العزم فلا بدَّ من تقدير أمر

محذوف يتعلق العزم به وقد أمكن أن نعلق عزمه (ع) بغير القبيح ونجعله متناولاً لضربها أو دفعها عن نفسه فكأنه قال ولقد همت بالفاحشة منه وأرادت ذلك وهمَّ يوسف (ع) بضربها ودفعها عن نفسه كما يقال هممت بفلان أي بضربه وإيقاع مكروه به وعلى هذا فيكون معنى رؤية البرهان أن الله سبحانه أراه برهاناً على أنه إن أقدم على ما همَّ به أهلكه أهلها أو قتلوه أو ادعت عليه المراودة على القبيح وقذفته بأنه دعاها إليه وضربها لامتناعها منه فأخبر سبحانه أنه صرف عنه السوء والفحشاء اللذين هما القتل وظن اقتراف الفاحشة به ويكون التقدير لولا أن رأى برهان ربه لفعل ذلك ويكون جواب لولا محذوف كما حذف فيه قوله تعالى ﴿ **ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤوف رحيم** ﴾ وقوله ﴿ **كلا لو تعلمون علم اليقين** ﴾ أي لولا فضل الله لهلكتم ولو تعلمون علم اليقين لم يلهكم التكاثر ومثله قول امرىء القيس :

وَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً   وَلٰكِنَّهَا نَفْسٌ تُسَاقِطُ أَنْفُسَا(١)

يريد فلو أنها نفس تموت سوية لنقضت وفنيت فحذف الجواب تعويلاً على أن الكلام يقتضيه وعلى هذا يكون جواب لولا محذوف يدل عليه قوله وهمَّ بها ولا يجوز أن يكون قوله ﴿ **وهمَّ بها** ﴾ جواباً للولا لأن جواب لولا لا يتقدم عليه (وثانيها) أن يحمل الكلام على التقديم والتأخير ويكون التقدير ولقد همَّت به ولولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها ولما رأى برهان ربه لم يهمّ بها ويجري ذلك مجرى قولهم قد كنت هلكت لولا أني تداركتك وقد كنت قلت لولا أني خلصتك والمعنى لولا تداركي لهلكت ولولا تخليصي إياك لقتلت وإن كان لم يقع هلاك وقتل ومثله قول الشاعر :

فَلَا يَدْعُني قَوْمي لِيَوْمِ كَريهَةٍ   لَئِنْ لَمْ أُعَجِّلْ ضَرْبَةً أَوْ أُعَجَّلِ

وقال آخر :

فَلَا يَدْعُني قَوْمي صَريحاً لِحُرَّةٍ   لَئِنْ كُنْتُ مَقْتُولاً وَيَسْلَم عَامِرُ(٢)

وفي القرآن ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها وهذا الوجه اختاره أبو مسلم وهو قريب من الأول و(ثالثها) ان معنى قوله همَّ بها اشتهاها ومال طبعه إلى ما دعته اليه وقد يجوز أن تسمى الشهوة همًّا على سبيل التوسع والمجاز ولا قبح في الشهوة لأنها من فعل الله

(١) هذا بيت من سينيته التي قالها عند موته ومعناه ـ على ما قيل ـ : تموت بموتي نفوس كثيرة .

(٢) قوله صريحاً أي خالص النسب.

تعالى وإنما يتعلق القبح بالمشتهي وقد روي هذا التأويل عن الحسن قال أما همّها فكان اخبث الهمّ وأما همُّه فما طبع عليه الرجال من شهوة النساء وروى الضحاك عن ابن عباس انه قال همّها القصد وهمّه انه تمناها ان تكون زوجة له وعلى هذا الوجه فيجب أن يكون قوله لو لا ان رأى برهان ربه متعلقاً بمحذوف أيضاً كأنه قال لولا أن رأى برهان ربه لعزم أو فعل (سؤال) قالوا ان قوله ولقد همت به وهمّ بها خرجا مخرجاً واحداً فلم جعلتهم همّها به متعلقاً بالقبيح وهمّه بها متعلقاً بغير القبيح وجوابه ان الظاهر لا يدل على ما تعلق به الهم ففيّهما جميعاً وإنما اثبتنا همّها به متعلقاً بالقبيح لشهادة القرآن والآثار به ولأنها ممن يجوز عليه فعل القبيح والشاهد لذلك من الكتاب قوله وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وقوله وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً إنا لنراها في ضلال مبين وقوله حكاية عنها الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ولقد راودته عن نفسه فاستعصم والشاهد من الآثار اجماع المفسرين على انها همَّت بالمعصية والفاحشة وأما يوسف عليه السلام فقد دلَّت الأدلة العقلية التي لا يتطرق اليها الاحتمال والمجاز على انه لا يجوز ان يفعل القبيح ولا يعزم عليه فأما الشاهد من القرآن على انه ما همَّ بالفاحشة فقوله سبحانه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وغير ذلك من قوله قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء والعزم على الفاحشة من اكبر السوء واما الفرقة الأخرى فإنهم قالوا فيه ما لا يجوز نسبته إلى الأنبياء فقال بعضهم انه قعد بين رجليها وحلَّ تكة سراويله وقال بعضهم حل السراويل حتى بلغ الثنن وجلس منها مجلس الرجل من امرأته وقد نزَّهه الله سبحانه عن ذلك كله بقوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وأمثال ذلك مما عددناه فأما البرهان الذي رآه فقد اختلف فيه على وجوه (أحدها) أنه حجة الله سبحانه في تحريم الزنا والعلم بالعذاب الذي يستحقه الزاني عن محمد بن كعب والجبائي (وثانيها) انه ما آتاه الله سبحانه من آداب الأنبياء واخلاق الاصفياء في العفاف وصيانة النفس عن الادناس عن ابي مسلم (وثالثها) انه النبوة المانعة من ارتكاب الفواحش والحكمة الصارفة عن القبائح روي ذلك عن الصادق عليه السلام (ورابعها) انه كان في البيت صنم فألقت المرأة عليه ثوباً فقال (ع) ان كنت تستحين من الصنم فأنا أحق ان استحي من الواحد القهار عن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام (وخامسها) انه اللطف الذي لطف الله تعالى به في تلك الحال أو قبلها فاختار عنده الامتناع عن المعاصي وهو ما يقتضي كونه معصوماً لأن العصمة هي اللطف الذي يختار عنده التنزه عن القبائح والامتناع من فعلها ويجوز أن يكون الرؤية ههنا بمعنى العلم كما يجوز ان يكون بمعنى الادراك فأما ما ذكر في البرهان من الأشياء

البعيدة بأن قيل انه سمع قائلاً يقول يا ابن يعقوب لاتكونن كالطير له ريش فإذا زنا ذهب ريشه وقيل انه رأى صورة يعقوب عاضاً على أنامله وقيل أنه رأى كفاً بدت فيما بينهما مكتوباً عليها النهي عن ذلك فلم ينته فأرسل الله سبحانه جبريل (ع) وقال ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فرآه عاضاً على اصبعه فكل هذا سوء ثناء على الأنبياء مع ان ذلك ينافي التكليف ويقتضي ان لا يستحق على الامتناع من القبيح مدحاً ولا ثواباً وهذا من أقبح القول فيه (ع) ﴿**كذلك لنصرف عنه السوء**﴾ أي كذلك أريناه البرهان لنصرف عنه السوء أي الخيانة ﴿**والفحشاء**﴾ أي ركوب **الفاحشة** وقيل السوء الإثم والفحشاء الزنا ﴿**انه من عبادنا المخلصين**﴾ أي المصطفين **المختارين** للنبوة وبكسر اللام المخلصين في العبادة والتوحيد أي من عبادنا الذين أخلصوا **الطاعة لله** واخلصوا انفسهم له وهذا يدل على تنزيه يوسف وجلالة قدره عن ركوب القبيح والعزم عليه .

﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾

[القراءة] في الشواذ قراءة ابن يعمر وابن أبي اسحاق ونوح القارىء من قُبُلُ ومن دُبُرُ[1] بثلاث ضمات من غير تنوين .

(١) بالبناء على الضم والقطع عن الإضافة .

[**الحجة**] قال ابن جني ينبغي ان يكونا غايتين كقوله تعالى لله الأمر من قبل ومن بعد كأنه يريد وقدَّت قميصه من دبره وإن كان قميصه قدّ من قبله فلما حذف المضاف إليه اعني الهاء وهي مرادة صار المضاف غاية بعد ما كان المضاف اليه غاية له.

[**اللغة**] القدُّ شقُّ الشيء طولاً مثل قد الأديم يقال قَدَّه يقُدُّه قداً فهو مقدود إذا كان ذاهباً في الطول على استواء وفي الحديث كانت ضربات علي بن أبي طالب عليه السلام ابكاراً كان إذا اعتلى قدَّ وإذا اعترض قطُّ والقِدّ بكسر القاف السير المقطوع طولاً والالفاء المصادفة قال ذو الرمة.

وَمُطْعِمُ الصَّيْدِ هَبَّالٌ لِبُغْيَتِهِ أَلْفَى أَبَاهُ بِذَاكَ الْكَسْبِ يَكْتَسِبُ[1]

أي وجد أباه والكيد طلب الشيء بما يكرهه كما طلبت المرأة يوسف بما يكرهه ويأباه والخطيئة العدول عما تدعو إليه الحكمة إلى ما تزجر عنه ويقال لصاحبه خطأ يخطأ خطأ فهو خاطىء إذا وقع ذلك منه عن قصد فإن وقع من غير قصد قيل أخطأ المقصد فهو مخطىء فاصل الخطأ العدول عن الغرض الحكمي بقصد أو غير قصد قال امية.

عِبَادُكَ يَخْطَأُونَ وَأَنْتَ رَبٌّ بِكَفَّيْكَ الْمَنَايَا وَالْحُتُومُ

[**الاعراب**] إنما عطف قوله عذاب اليم على الفعل لأن تقديره إلا السجن أو عذاب ومِنْ في قوله قد من دبر ومن قبل لابتداء الغاية لأن ابتداء القد كان منها ومِنْ في قوله من الكاذبين للتبعيض لأنه بعض الكاذبين ولم يقل وشهد شاهد انه ان كان لأنه ذهب مذهب القول في الحكاية كما أن قوله﴿ **يوصيكم الله في أولادكم** ﴾كذلك والتقدير يوصيكم الله ان المال ﴿**للذكر مثل حظ الأنثيين**﴾وقوله ان كان قميصه قال أبو العباس المبرد معناه ان يكن وجاز ذلك في كان لأنها ام الباب كما جاز في التعجب ما كان احسن زيداً ولم يجز ما اصبح احسنه وقال أبو بكر السراج ان يكن بمعنى ان يصبح قد قميصه من دبر وقوله فلما رأى الرؤية ههنا تحتمل أمرين (أحدهما) ان تكون بمعنى رؤية العين فلا تكون رؤية العين رؤية للقد ويكرن قوله﴿**قد من دبر**﴾ في موضع الحال وإنما يكون رؤية للقميص ﴿**والآخر**﴾ ان يكون بمعنى العلم وتكون رؤية للقد وإنما قال من الخاطئين ولم يقل من الخاطئات لتغليب المذكر على المؤنث.

---

(١) الهبال: الكاسب المحتال.

[المعنى] ﴿**واستبقا الباب**﴾ يعني تبادرا الباب أي طلب كل واحد من يوسف وامرأة العزيز السبق إلى الباب أما يوسف فإنه كان يقصد ان يهرب منها ومن ركوب الفاحشة وأما هي فإنما كانت تطلب يوسف لتقضي حاجتها منه وتقصد أن تغلق الباب وتمنعه من الخروج وتراوده ثانياً عن نفسه ﴿**وقدت قميصه من دبر**﴾ أي لحقت يوسف فجذبت قميصه وشقته طولاً من خلفه لأن يوسف كان هارباً وهي تعدو من خلفه وقيل ان يوسف رأى الأبواب قد انفتحت فعلم انّ الصواب هو الخروج فخرج هارباً وقيل بل أخذ بفتح الأبواب وادركته فتعلقت بقميصه من خلفه فشقته ﴿**والفيا سيدها لدى الباب**﴾ أي فلما خرجا وجدا زوجها عند الباب وسمّاه سيدها لأنه مالك أمرها ﴿**قالت ما جزاء من اراد بأهلك سوءاً إلا ان يسجن أو عذاب اليم**﴾ يعني ان المرأة سبقت بالكلام لتورك الذنب على يوسف فقالت لزوجها ليس جزاء من أراد بأهلك خيانة إلا ان يسجن أو أن يضرب بالسياط ضرباً وجيعاً عن ابن عباس قالوا ولو صدق حبها لم تقل ذلك ولآثرته على نفسها ولكن حبها إياه كان شهوة ﴿**قال هي راودتني عن نفسي**﴾ لما ذكرت المرأة ذلك لم يجد يوسف بدّاً من تنزيه نفسه بالصدق ولو كفَّت عن الكذب عليه لكفَّ عليه السلام عن الصدق عليها فقال هي التي طالبتني بالسوء الذي نسبتني إليه ﴿**وشهد شاهد من أهلها**﴾ قال ابن عباس وسعيد بن جبير انه صبي في المهد وقيل كان الصبي ابن اخت زليخا وهو ابن ثلاثة اشهر وروي عن ابن عباس أيضاً في رواية اخرى وعن الحسن وقتادة وعكرمة انه شهد رجل حكيم من أهلها بتبرئة يوسف واختاره الجبائي قال لو كان طفلاً لكان قوله معجزاً لا يحتاج معه إلى البيان وقيل كان الرجل ابن عم زليخا وكان جالساً مع زوجها عند الباب عن السدي ﴿**ان كان قميصه قدّ**﴾ اي شق ﴿**من قبل فصدقت**﴾ المرأة ﴿**وهو من الكاذبين**﴾ فيما قال يعني يوسف لأنه كان هو القاصد وهي الدافعة ﴿**وإن كان قميصه قد من دبر**﴾ أي من خلف ﴿**فكذبت**﴾ المرأة ﴿**وهو**﴾ أي يوسف ﴿**من الصادقين**﴾ لأنه الهارب وهي الطالبة وهذا امر ظاهر واستدلال صحيح ﴿**فلما رأى قميصه قد من دبر**﴾ أي فلما رأى زوجها قميص شق من خلف عزف خيانة المرأة ﴿**فقال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم**﴾ وقيل هو من قول الشاهد وإنما وصف كيدهن بالعظم لأنها حين فاجأت زوجها عند الباب لم يدخلها دهش ولم تتحير في أمرها وورکت الذنب على يوسف (ع) ولأن قليل حيل النساء اسبق الى قلوب الرجال من كثير حيل الرجال ﴿**يوسف اعرض عن هذا**﴾ يعني ان الشاهد قال ليوسف يا يوسف امسك عن هذا الحديث اي عن ذكرها حتى لا يفشو في البلد عن ابن عباس وقيل إنما قاله زوجها وقيل معناه لا تلتفت يا يوسف إلى هذا الحديث ولا تذكره على سبيل طلب البراءة فقد ظهرت براءتك عن ابي مسلم

والجبائي ثم اقبل على زليخا فقال ﴿واستغفري لذنبك﴾ أي سلي زوجك ان لا يعاقبك على ذنبك ﴿انك كنت من الخاطئين﴾ أي امن المذنبين وقيل انه لم يكن غيوراً سلبه الله الغيرة لطفاً منه بيوسف حتى كفي شرَّه ولذلك قال ليوسف اعرض عن هذا واقتصر على هذا القدر وقيل معناه استغفري الله من ذنبك وتوبي اليه فإن الذنب كان منك لا من يوسف فإنهم كانوا يعبدون الله تعالى مع عبادتهم الأصنام.

﴿ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُاْ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾

[القـراءة] روي عن علي (ع) وعن علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفـر بن

محمد عليهم السلام وعن الحسن بخلاف ويحيى بن يعمر وقتادة بخلاف ومجاهد بخلاف وابن محيصن قد شعفها بالعين وروي عن أبي جعفر متكاً بغير همز مشدد التاء والباقون متكأً بالهمزة والتشديد وروي في الشواذ قراءة مجاهد متكا خفيفة ساكنة التاء وروي ذلك عن ابن عباس وقرأ أبو عمرو وحاشى الله والباقون حاش لله وروي عن ابن مسعود وأبي بن كعب حاش الله وعن الحسن حاش الإله وفي رواية أخرى عنه حاش لله بسكون الشين وقرأ يعقوب وحده السَجن احب إلي بفتح السين والباقون بكسرها.

[**الحجة**] قال الزجاج معنى شعفها بالعين ذهب بها كل مذهب مشتق من شعفات الجبال أي رؤوس الجبال يقال فلان مشعوف بكذا أي قد ذهب به الحب أقصى المذاهب وقال ابن جني معناه وصل حبه إلى قلبها فكاد يحرقه لحدته وأصله من البعير يهنأ بالقطران فتصل حرارة ذلك إلى قلبه قال امرؤ القيس.

لِتَقْتُلَنِي وَقَدْ شَعَفْتُ فُؤادَها كَما شَعَفَ الْمَهْنوءَةَ الرَّجُلُ الطَّالي[1]

وأما القراءة المشهورة شغفها بالغين فمعناه انه خرق شغاف قلبها وهو غلافه فوصل إلى قلبها واما المتكأ فهو ما يتكأ عليه الطعام أو شراب أو حديث واصله موتكأ مفتعل من وكات مثل مؤتزن من الوزن وأما من قرأ مُتَّكاً فيجوز ان يكون مفتعلاً من قوله.

إِذا شَرِبَ الْمُرِضَّةَ قالَ أَوْكى عَلى ما في سِقائِكَ قَدْ رَوينا[2]

يقال أو كيت السقا إذا شددته وأما متكأ فإنهم قالوا المتك الاترج واحدته متكة وقيل هو الز ما وردوا[3] ما حجة أبي عمرو في قوله حاشى لله فقول الشاعر:

حاشى أَبي ثَوْبانَ إِنَّ بِهِ ضَنّاً عَنِ الْمُلْحاةِ وَالشَّتْمِ[4]

وقال أبو علي لا يخلو قولهم حاش لله من ان يكون الحرف الجار في الاستثناء كما ذكرناه في البيت أو فاعلاً من قولهم حاش يحاشي ولا يجوز ان يكون حرف الجر لأن حرف الجر لا يدخل على مثله ولأن الحرف لا يحذف إذا لم يكن فيها تضعيف فإذا بطل ذلك ثبت

---

(١) يقول: حرقت فؤادها بحبي كما احرق الطالي البعير بالهناء اي القطران لانها تجد للهناء لذة مع حرقة.

(٢) قائله ابن الاحمر يذم رجلاً ويصفه بالبخل والمرضة: اللبن قبل ان يدرك او اللبن الحامض الشديد الحموضة.

(٣) طعام من البيض واللحم.

(٤) الملحاة: الذم.

انها فاعل مأخوذ من الحشاء الذي هو الناحية والمعنى انه صار في حشاء أي في ناحية مما قذف به وفاعله يوسف والمعنى بعد عن هذا الذي رمي به لله أي لخوفه من الله ومراقبته أمره ومن حذف الألف فكما حذف من لم يك ولا ادر وإذا أريد به حرف الجر يقال حاشا وحاش وحشا ثلاث لغات قال الشاعر:

حَشَا رَهْطِ النَّبِي فإن فيهِم بُحُوراً لا تُقَطِعُها الدِلاء

وأما من قرأ حاش الله فعلى اصل اللغة يكون حرف جرّ كما جاء في البيت «حاشى أبي ثوبان» وأما حاش الإله فمحذوف من حاشا تخفيفاً وهو كقولك حاش المعبود ومنه قول الشساعر.

لَعَنَ الإلَه وَزَوجَها مَعهَا هِنْدَ الْهُنُودِ طَويلَةَ الثَعْل[1]

وأما حاش الله فضعيف لالتقاء الساكنين فيه ولإسكان الشين بعد حذف الألف ولا موجب لذلك وأما من فتح السين من السجن فجعله مصدراً ومعناه ان اسجن احب إليَّ ومن كسر فعلى اسم المكان والمعنى نزول السجن احب إلي.

[**اللغة**] العزيز المنيع بقدرته عن ابن يضام في أمره وسمي بذلك لأنه كان ملكاً ممتنعاً بملكه واتساع مقدرته وقال أبو داود.

دُرَّةٌ غاصَ عَلَيْهَا تاجِرٌ جُلِبَتْ عِنْدَ عَزيزٍ يَوْمَ طَلٍ

والفتى الغلام الشاب والمرأة فتاة قال أبو مسلم والزجاج وتسمي العرب العبد فتى والمكر الفتل بالحيلة إلى ما يراد من الطلبة وجارية ممكورة الساقين أي مفتولة الساقين وأعتدت مأخوذة من العتاد ومثله اعدت والمتكأ الوسادة وهو النمرق الذي يتكأ عليه وقيل هو الاترج وانكر ذلك أبو عبيدة قال ولا يمتنع ان يقال قد كان في ذلك المجلس فواكه واترج فاما ان يعرف ذلك من هذا القول فلا والاكبار الاعظام والاجلال وقال قوم معنى اكبرنه انهن حضن حين رأينه وأنشدوا قول الشاعر:

يَأْتي النِّسْاءَ عَلىٰ أَطْهارِهِنَّ وَلا تَأْتِي النِّسْاءَ إذا أَكْبَرْنَ إكْباراً

وأنكر ذلك أبو عبيدة وقال لا نعرف ذلك في اللغة ولكنه يجوز ان يكن قد حضن من

(١) الثعل: الثدي.

شدة اعظامهن إياه والبيت مصنوع لا يعرفه العلماء بالشعر والسجن المنع عن التصرف بالحبس سجنَ يسجُن سجناً والاعتصام الامتناع عن طلب المعصية والاستعصام طلب العصمة من الله تعالى والصاغرين من الصغار صَغُر يَصْغُر صَغاراً وهو الذل والهوان والصبا رقة القلب يقال صبا يصبو صباً فهو صاب قال:

إِلَىٰ هِنْدٍ صَبَا قَلْبِي وَهِنْدٌ مِثْلُها يُصْبِيْ

وقال:

صَبَا صَبْوَةً بَلْ لَجَّ وَهْوَ لَجُوجُ وَزالَتْ لَهُ بِالأنْعَمَيْنِ حُدُوجُ(١)

[الإعراب] وقال نسوة إنما حذف فيه حرف التأنيث لأنه تأنيث جمع وتأنيث الجمع تأنيث لفظ يبطل تأنيث المعنى لانه لا يجتمع في اسم واحد تأنيثان وكذلك يبطل تذكير المعنى في رجال وإذا صار كذلك جاز فيه الحمل على اللفظ والحمل على المعنى فيؤنث ويذكر وقوله ما هذا بشراً نصب بشراً على مذهب اهل الحجاز في اعمال ما عمل ليس في رفع الاسم ونصب الخبر فأما بنو تميم فلا يعملونها قال:

لَشَتَّانَ مَا أَنْوِي وَيَنْوِي بَنُو أَبِي جَمِيعاً فَمَا هٰذانِ مُسْتَوِيَانِ
تَمَنَّوا لِيَ الْمَوْتَ الَّذي يَشْعَبُ الفَتى وَكُلُّ فَتًى وَالْمَوْتُ يَلْتَقِيَانِ

وروي عن الحسن أنه قرأ ما هذا بشر أي ليس هو بمملوك وهو شاذ وذلكن كن للخطاب لا للضمير فلا موضع له من الاعراب والاسم ذا وهو في موضع رفع على الابتداء والذي لمتنني فيه موصول وصلة في موضع خبره وليكونن من الصاغرين هذه النون الخفيفة التي يتلقى بها القسم وإذا وقفت عليها وقفت بالالف تقول وليكونا وهي بمنزلة التنوين الذي يوقف عليه بالالف في نحو قولك رأيت رجلاً قال الاعشى:

وَصَلِّ عَلىٰ حِينِ العَشِيَّاتِ وَالْضُحىٰ وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاعْبُدا

أي فاعبدن فأبدل في الوقف من النون الفاً ثم بدا لهم فاعله مصدر مضمر على تقدير بدا لهم بداء وقد اظهره الشاعر في قوله:

لَعَلَّكَ وَالْمَوْعُودُ حَقٌّ لِقَاؤُهُ بَدا لَكَ مِنْ تِلْكَ القَلُوصِ بَدَاءُ

(١) الانعمين: اسم موضع. والحدوج جمع الحدج ـ بالكسر ـ: من مراكب النساء يشبه المحفة.

ولا يجوز ان يكون ليسجننه في موضع الفاعل لأن الجملة لا تكون فاعلاً.

[**المعنى**] ثم ذكر سبحانه شياع هذه القصة فقال ﴿**وقال نسوة في المدينة**﴾ اي جماعة من النساء في المصر الذي كان فيه الملك وزوجته ويوسف ﴿**امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه**﴾ اي امرأة العزيز تدعو مملوكها إلى نفسها ليفجر بها ﴿**قد شغفها حباً**﴾ أي أحبته حباً دخل شغاف قلبها ﴿**انا لنراها في ضلال مبين**﴾ أي في خطأ بين وذهاب عن طريق الرشد بدعائها مملوكها إلى الفجور بها قال الكلبي هن اربع نسوة امرأة ساقي الملك وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وقال مقاتل كن خمساً وزاد امرأة الحاجب ﴿**فلما سمعت بمكرهن**﴾ أي لما سمعت المرأة بتعييرهن إياها وقصدهن اشاعة امرها وسمَّاه مكراً لأن قصدهن من هذا القول كان ان تريهن يوسف لما وصف لهن من حسنه فخالف ظاهر الكلام باطنه فسمي ذلك مكر اً وقيل لأنها اظهرت لهن حبها إياه واستكتمتهن ذلك فأظهرنه فسمي ذلك مكراً ﴿**ارسلت اليهن**﴾ فاستضافتهن قال وهب اتخذت مأدبة ودعت اربعين امرأة منهن ﴿**واعتدت لهن متكأً**﴾ أي واعدَّت لهن وسائد يتكين عليها عن ابن عباس والاتكاء الميل إلى أخد الشقين وقيل اراد بقوله متكأ الطعام من قول العرب اتكأنا عند فلان اي اطعمنا عنده واصله ان من دعي إلى طعام يعدُّ له المتكأ فيسمى الطعام متكأ على الاستعارة وقال الضحاك كان ذلك الطعام الزما ورد وقال عكرمة هو كل ما يجزُّ بالسكين لأنه يؤكل في الغالب على متكأ وقال سعيد بن جبير انه كل طعام وشراب على عمومه وبه قال الحسن واما المتك فقد قيل فيه انه الاترج على ما تقدم بيانه وقال السدي بل هو المجلس وكل شيء يجز بالسكين يقال له متك ﴿**وآتت كل واحدة منهن سكيناً**﴾ أي واعطت كل واحدة من تلك النسوة سكيناً لتقطع به الفواكه والاترج على ما هو العادة بين الناس ﴿**وقالت اخرج عليهن**﴾ اي وقالت امراة الملك ليوسف (ع) وكانت قد اجلسته غير مجلسهن فأمرته بالخروج عليهن في هيأته اما للخدمة واما للسلام او ليرينه ولم يكن يتهيأ له ان لا يخرج لانه بمنزلة العبد لها عن الزجاج ﴿**فلما رأينه اكبرنه**﴾ اي اعظمنه وتحيَّرن في جماله إذ كان كالقمر ليلة البدر ﴿**وقطعن أيديهن**﴾ بتلك السكاكين على جهة الخطأ بدل قطع الفواكه فما أحسسن إلا بالدم ولم يجدن الم القطع لاشغال قلوبهن بيوسف (ع) عن مجاهد والمعنى جرحن ايديهن وهذا مستعمل في الكلام تقول للرجل قد قطعت يدي تريد قد خدشتها وقيل انهن ابنَّ ايديهن حتى القينها عن قتادة ﴿**وقلن حاش لله**﴾ وحاشى لله أي صار يوسف في حشا اي ناحية مما قذف به اي لم يلابسه والمعنى بعد يوسف عن هذا الذي رمى به الله أي لخوفه ومراقبته أمر الله هذا قول أكثر المفسرين قالوا هذا تنزيه ليوسف عما رمته به امرأة العزيز وقال آخرون هذا تنزيه له

من شبه البشر لفرط جماله ويدل على هذا سياق الآية **﴿ما هذا بشراً ان هذا إلا ملك كريم﴾** أي رفع الله منزلته عن منزلة البشر فنعوذ بالله ان نقول انه بشر ومعناه انه منزه ان يكون بشراً وليس صورته صورة البشر ولا خلقته خلقة البشر ولكنه ملك كريم لحسنه ولطافته وروي عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله ﷺ وهو يصف يوسف حين رآه في السماء الثانية رأيت رجلاً صورته صورة القمر ليلة البدر قلت يا جبريل من هذا قال هذا اخوك يوسف وقيل معناه ليس هذا إلا ملك كريم في عفته قال الجبائي وهذا يدل على ان الملك افضل من بني آدم لأنهن ذكرن من هو في نهاية الفضل ولم ينكر الله تعالى ذلك عليهن وهذا من ركيك الاستدلال لأنه سبحانه إنما حكى عن النساء اعظامهن ليوسف حين رأين جماله وبعده عن السوء فشبَّهنه بالملك ولم يقصدن كثرة الثواب الذي هو حقيقة الفضل وإنما لم ينكره سبحانه عليهن لأنه علم انهن لم يقصدن في كلامهن ما حمله عليه الجبائي على ان الظاهر يقتضي انهن نفين ان يكون يوسف من البشر وقطعن على انه ملك وهذا كذب ولم ينكره الله سبحانه عليهن لما علم من انهن يقصدن بذلك تشبيه حاله بحال الملائكة **﴿قالت﴾** امرأة العزيز للنسوة التي عذلنها على محبتها ليوسف **﴿فذلكن الذي لمتنني فيه﴾** اي هذا هو ذلك الذي لمتنني في امره وفي حبه وشعفي به جعلت اعظامهن إياه عذراً لها والمعنى هذا الذي اصابكن في رؤيته مرة واحدة ما اصابكن من ذهاب العقل فكيف عذلتنني في حبي إياه وأنا أنظر اليه آناء ليلي ونهاري ثم اعترفت ببراءة يوسف وأقرّت على نفسها فقالت **﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾** أي امتنع عنه وقيل معناه امتنع بالله وسأله العصمة من فعل القبيح وفي هذا دلالة على ان يوسف لم يقع منه قبح ثم توعدته بايقاع المكروه به ان لم يطعها فيما تدعوه إليه فقالت **﴿ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين﴾** أي وان لم يجبني إلى ما أدعوه اليه ليحبس في السجن وليكون من الأذلاء فلما رأى يوسف اصرارها على ذلك وتهديدها له اختار السجن على المعصية **﴿فقال رب السجن احب إليَّ مما يدعونني إليه﴾** معناه يا رب ان السجن احب إلي واسهل عليَّ مما يدعونني إليه من الفاحشة وفي هذا دلالة على ان النسوة دعونه إلى مثل ما دعته اليه امرأة العزيز وفي حديث ابي حمزة الثمالي عن علي بن الحسين عليه السلام ان النسوة لما خرجن من عندها ارسلت كل واحدة منهن إلى يوسف سراً من صاحبته تسأله الزيارة وقيل انهن قلن له اطع مولاتك واقض حاجتها فإنها المظلومة وانت ظالم وقيل انهن لما رأين يوسف استأذنَّ امرأة العزيز بأن تخلو كل واحدة منهن به وتدعوه إلى ما ارادته منه إلى طاعتها فلما خلون به دعته كل واحدة منهن إلى نفسها فلذلك قال مما يدعونني إليه ويسأل فيقال كيف قال يوسف السجن احب إليّ مما يدعونني

اليه ولا يجوز ان يراد السجن الذي هو المكان وان عني به السجن الذي هو المصدر فإن السجن معصية كما ان ما دعونه إليه معصية فلا يجوز ان يريده فالجواب انه لم يرد المحبة التي هي الارادة وإنما اراد ان ذلك اخف علي واسهل ووجه آخر ان المعنى لو كان مما اريده لكان ارادتي له اشد وقيل ان معناه توطيني النفس على السجن احب إليَّ من توطيني النفس على الزنا عن أبي علي الجبائي **﴿وإلا تصرف عني كيدهن﴾** بألطافك لأن كيدهن قد وقع وحصل **﴿اصب اليهن﴾** امل اليهن أو إلى قولهن بهواي والصبوة لطافة الهوى **﴿واكن من الجاهلين﴾** اي المستحقين لصفة الذم بالجهل وقيل معناه اكن بمنزلة الجاهلين في فعلي **﴿فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن﴾** أي فأجاب له ربه فيما دعاه فعصمه من مكرهن فإن قيل ما معنى سؤال يوسف اللطف من الله وهو عالم بأن الله يفعله لا محالة فالجواب انه يجوز ان تتعلق المصلحة بالالطاف عند الدعاء المجدد ومتى قيل كيف علم انه لولا اللطف لركب الفاحشة وإذا وجد اللطف امتنع قلنا لما وجد في نفسه من الشهوة وعلم انه لولا لطف الله لارتكب القبيح وعلم ان الله سبحانه يعصم انبياءه بالالطاف وان من لا يكون له لطف لا يبعثه الله نبياً قال الجبائي في الآية دلالة على جواز الدعاء بما يعلم الله تعالى انه يكون لأن يوسف كان عالماً بأنه ان كان له لطف فلا بد أن يكون الله يفعل ذلك به ومع هذا سأله ذلك ولا تدل الآية على ما قاله لما قلناه من انه يجوز ان يكون سأله لتجويزه ان يكون له لطف عند الدعاء ولو لم يدع لم يكن ذلك لطفاً فما سأل إلا ما جوز ان لا يكون لو لم يدع **﴿انه هو السميع العليم﴾** اي السميع لدعاء الداعي العليم بإخلاصه في دعائه وبما يصلحه من الإجابة أو يفسده **﴿ثم بدا لهم﴾** أي ظهر لهم **﴿من بعد ما رأوا الآيات﴾** وإنما لم يقل لهن مع تقدم ذكر النسوة لأنه اراد به الملك وقيل اراد به زليخا واعوانها فغلب المذكر واراد بالآيات العلامات الدالة على براءة يوسف وهي قد القميص من دبره وجز الأيدي عن قتادة وغيره وقيل يريد بالآيات العلامات الدالة على الاياس منه وقوله بدا فاعله مضمر وتقديره ثم بدا لهم بداء **﴿ليسجننه حتى حين﴾** ودلَّ ليسجننه عليه فإن السجن هو الذي بدا لهم قال السدي وذلك ان المرأة قالت لزوجها ان هذا العبد قد فضحني في الناس من حيث انه يخبرهم اني راودته عن نفسه ولست اطيق ان اعتذر بعذري فإما ان تأذن لي فأخرج واعتذر وإما ان تحبسه كما حبستني فحبسه بعد علمه ببراءته وقيل ان الغرض من الحبس ان يظهر للناس ان الذنب كان له لأنه إنما يحبس المجرم وقيل كان الحبس قريباً منها فأرادت ان يكون بقربها حتى إذا اشرفت عليه رأته وقوله حتى حين قيل إلى سبع سنين عن عكرمة وقيل إلى خمس سنين عن الكلبي وقيل إلى وقت ينسى حديث المرأة معه وينقطع فيه عن الناس خبره عن الجبائي .

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ
أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى
خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا
بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ
مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ
مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ
بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾

[**اللغة**] قال الزجاج كانوا يسمون المملوك فتى فجائز أن يكون الفتيان حدثين أو شيخين وقال غيره يقال للعبد فتى وللامة فتاة وفي الحديث لا يقولن احدكم عبدي وأمتي ولكن فتاي وفتاتي والتأويل الخبر عما حضر بما يؤول اليه امره فيما غاب ولذلك قال قبل ان يأتيكما تأويل القرآن ما يؤول اليه من المعنى أي يرجع إليه والتعليم تفهيم الدلالة المؤدية إلى العلم بالمعنى وقد يكون الاعلام بالمعنى في القلب والاتباع اقتفاء الأثر وهو طلب اللحاق بالأول.

[**الاعراب**] هم الثانية دخلت للتوكيد لأنه لما دخل بينهما قوله بالآخرة صارت الأولى كالملغاة وصار الاعتماد على الثانية كما قال وهم بالآخرة هم يوقنون وكما قال ايعدكم انكم إذا متّم وكنتم تراباً وعظاماً انكم مخرجون.

[**المعنى**] ثم اخبر سبحانه عن حال يوسف (ع) في الحبس فقال ﴿**ودخل معه السجن فتيان**﴾ والتقدير فسجن يوسف ودخل معه السجن فتيان أي شابان حدثان وقيل انهما مملوكان لملك مصر الأكبر واسمه وليد بن ريان وكان أحدهما صاحب شرابه والآخر

صاحب طعامه فنمى إليه ان صاحب طعامه يريد ان يسمه وظن ان الآخر ساعده على ذلك ومالأه عليه عن قتادة والسدي ﴿**قال أحدهما اني أراني اعصر خمراً**﴾ هو من رؤيا المنام كان يوسف (ع) لما دخل السجن قال لأهله اني اعبر الرؤيا فقال أحد العبدين لصاحبه هلم فلنجرّبه فسألاه من غير ان يكونا رأيا شيئاً عن ابن مسعود وقيل بل رؤياهما على صحة وحقيقة ولكنهما كذبا في الانكار عن مجاهد والجبائي وقيل ان المصلوب منهما كان كاذباً والآخر صادقاً عن أبي مجلز ورواه علي بن ابراهيم أيضاً في تفسيره عنهم (ع) والمعنى قال أحدهما وهو الساقي رأيت اصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فجنيتها وعصرتها في كأس الملك وسقيته اياها وتقديره اعصر عنب خمر أي العنب الذي يكون عصيره خمراً فحذف المضاف قال الزجاج وابن الانباري العرب تسمي الشيء باسم ما يؤول إليه إذا وضح المعنى ولم يلتبس يقولون فلان يطبخ الآجر ويطبخ الدبس وإنما يطبخ اللبن والعصير وقال قوم ان بعض العرب يسمون العنب خمراً حكى الاصمعي عن المعتمر بن سليمان انه لقي اعرابياً معه عنب فقال له ما معك قال خمر وهو قول الضحاك فيكون معناه اني اعصر عنباً وروي في قراءة عبد الله وابي جميعاً اني رأيتني اعصر عنباً ﴿**وقال الآخر اني أراني احمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه**﴾ معناه وقال صاحب الطعام اني رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز وألوان الاطعمة وسباع الطير تنهش منه ﴿**نبئنا بتأويله**﴾ أي اخبرنا بتعبيره وما يؤول إليه أمره ﴿**انا نراك من المحسنين**﴾ أي تؤثر الاحسان والافعال الجميلة قال الضحاك كان إذا ضاق على رجل مكانه وسع له وان احتاج جمع له وان مرض قام عليه وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) وقال الزجاج جاء في التفسير انه كان يعين المظلوم وينصر الضعيف ويعود العليل قال وقيل من المحسنين أي ممن يحسن تأويل الرؤيا قال وهذا دليل على ان أمر الرؤيا صحيح وانها لم تزل في الأمم السالفة وفي الحديث ان الرؤيا جزء من ستة واربعين جزأً من النبوة وتأويله ان الأنبياء يخبرون بما سيكون والرؤيا تدل على ما سيكون فيكون المعنى في الآية انا نعلمك أو نظنك ممن يعرف تعبير الرؤيا ومن ذلك قول أمير المؤمنين (ع) قيمة كل امرىء ما يحسنه وقال أبو مسلم نراك من المحسنين الينا ان فسرت لنا الرؤيا وهو قول ابن أبي إسحاق ثم ذكر لهما يوسف (ع) ما يدل على انه عالم بتفسير الرؤيا ﴿**قال لا يأتيكما طعام ترزقانه**﴾ في منامكما ﴿**إلا نبأتكما بتأويله**﴾ في اليقظة ﴿**قبل ان يأتيكما**﴾ التأويل وذلك أنه كره ان يخبرهما بالتأويل لما على أحدهما فيه من البلاء فأعرض عن سؤالهما واخذ في غيره عن السدي وابن إسحاق وقيل انه إنما قدم هذا ليعلما ما خصه الله تعالى به من النبوة وليقبلا عنه فقال لا يأتيكما طعام من منزلكما إلا اخبرتكما بصفة ذلك الطعام وكيفيته قبل ان يأتيكما كما

قال عيسى بن مريم (ع) وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم عن الحسن والجبائي **﴿ذلكما مما علمني ربي﴾** كأنهما قالا له كيف عرفت تأويل الرؤيا ولست بكاهن ولا عراف فأخبرهما انه رسول الله وانه تعالى علّمه ذلك وتعليمه تعالى قد يكون بأن يفعل العلم في قلبه وقد يكون بالوحي وقد يكون بنصب الادلة التي يدرك بها العلم **﴿اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون﴾** معناه انه لا يستحق هذه الرتبة الخطيرة إلا المؤمنون المخلصون واني تركت طريقة قوم لا يؤمنون فلذلك خصنّي الله بهذه الكرامة **﴿واتبعت ملة آبائي﴾** أي شريعة آبائي **﴿إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء﴾** أي لا ينبغي لنا ونحن معدن النبوة واهل بيت الرسالة ان ندين بغير التوحيد **﴿ذلك﴾** أي التمسك بالتوحيد والبراءة من الشرك وقيل النبوة والعلم **﴿من فضل الله علينا﴾** بأن خصّنا بها وعلى الناس أيضاً بإرسالنا اليهم واتباعهم ايانا واهتدائهم بنا **﴿ولكن اكثر الناس لا يشكرون﴾** نعم الله تعالى وقد كان يوسف (ع) فيما بينهم زماناً ولم يحك الله سبحانه أنه دعا إلى الدين وكانوا يعبدون الأصنام لانه لم يطمع منهم في الاستماع والقبول فلما رآهم عارفين بإحسانه مقبلين عليه رجا منهم القبول منه فدعاهم إلى التوحيد على ما أمر الله سبحانه له في قوله **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾** وقد روي ان صاحبي السجن قالا له لقد احببناك حين رأيناك فقال لا تحباني فوالله ما احبني أحد الا دخل عليَّ من حبه بلاء احبّتني عمتي فنسبت إليَّ السرقة واحبّني ابي فالقيت في الجب واحبّتني امرأة العزيز فالقيت في السجن.

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ
أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ
سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ
إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ
ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي
رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ

ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾

[**اللغة**] الصاحب الملازم لغيره على وجه الاختصاص وهو خلاف ملازمة الاتصال ومنه اصحاب الشافعي واصحاب ابي حنيفة واصحاب النبي ﷺ لملازمتهم له وكونهم معه في حروبه وصاحبا السجن هما الملازمان له بالكون فيه والقيم المستقيم واصله من قام يقوم والاستفتاء طلب الفتيا والبضع القطعة من الدهر واصله من القطع والبضعة القطعة من اللحم ومنه الحديث فاطمة بضعة مني يؤذيني من آذاها.

[**المعنى**] ﴿**يا صاحبي السجن**﴾ هذا حكاية نداء يوسف للمستفتين له عن تأويل رؤياهما أي يا ملازمي السجن ﴿**أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار**﴾ أي أأملاك متباينون من حجر وخشب لا تضرُّ ولا تنفع خير لمن عبدها أم الله الواحد القهار الذي اليه الخير والشر والنفع والضر وهذا ظاهره الاستفهام والمراد به التقرير والزام الحجة والقاهر هو القادر الذي لا يمتنع عليه شيء ما ﴿**ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها وأنتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان**﴾ ابتدأ بخطاب اثنين ثم خاطب بلفظ الجمع لأنه قصد جميع من هو في مثل حالهما وقيل انه خطاب لجميع من في الحبس ومعناه ان هذه الاصنام التي تعبدونها من دون الله وسميتموها بأسماء يعني الارباب والآلهة هي اسماء فارغة عن المعاني لا حقيقة لها ما أنزل الله من حجة بعبادتها ﴿**ان الحكم الا لله**﴾ أي ما الحكم والأمر الا الله فلا يجوز العبادة والخضوع والتذلل الا لله ﴿**أمر أن لا تعبدوا الا اياه**﴾ أي وقد أمركم ان لا تعبدوا غيره ﴿**ذلك**﴾ اي ذلك الذي بيَّنت لكم من توحيده وعبادته وترك عبادة غيره ﴿**الدين القيم**﴾ اي الدين المستقيم الذي لا عوج فيه ﴿**ولكن اكثر الناس لا يعلمون**﴾ قال ابن عباس ما للمطيعين من الثواب وللعاصين من العقاب وقيل لا يعلمون صحة ما أقوله لعدو لهم عن النظر والاستدلال ثم عبَّر (ع) رؤياهما فقال ﴿**يا صاحبي السجن أما احدكما فيسقي ربه خمراً**﴾ بدأ بما هو الأهم وهو الدعاء إلى توحيد الله وعبادته واظهار معجزته ثم بتعبير رؤيا الساقي فروي انه قال اما العناقيد الثلاثة فإنها ثلاثة ايام تبقى في السجن ثم يخرجك الملك اليوم الرابع وتعود إلى ما كنت عليه واجرى على مالكه صفة الرب لأنه عبده فأضافه إليه كما

يقال رب الدار ورب الضيعة **﴿وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه﴾** يريد بالآخر صاحب الطعام روي انه قال بئس ما رأيت أما السلال الثلاث فإنها ثلاثة ايام تبقى في السجن ثم يخرجك الملك فيصلبك فتأكل الطير من رأسك فقال عند ذلك ما رأيت شيئاً وكنت العب فقال يوسف **﴿قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾** أي فرغ من الأمر الذي تسألان وتطلبان معرفته وما قلته لكما فإنه نازل بكما وهو كائن لا محالة وفي هذا دلالة على انه كان يقول ذلك على جهة الاخبار عن الغيب بما يوحي اليه لاكما يعبر احدنا الرؤيا على جهة التأويل **﴿وقال﴾** يوسف **﴿للذي ظنّ انه ناج منهما﴾** معناه للذي علم من طريق الوحي انه ناج أي متخلص كما في قوله تعالى إني ظننت اني ملاق حسابيه هذا قول الأكثرين واختيار الجبائي وقال قتادة للذي ظنه ناجياً لأنه لا يحكم بصدقه فيما قصَّه من الرؤيا والأول اصح **﴿اذكرني عند ربك﴾** اي اذكرني عند سيدك بأني محبوس ظلماً **﴿فأنساه الشيطان ذكر ربه﴾** يعني أنسى الشيطان يوسف ذكر الله تعالى في تلك الحال حتى استغاث بمخلوق فالتمس من الناجي منهما ان يذكره عند سيده وكان من حقه ان يتوكل في ذلك على الله سبحانه **﴿فلبث في السجن بضع سنين﴾** أي سبع سنين عن ابن عباس وروي ذلك عن علي بن الحسن (ع) وابي عبد الله (ع) وقيل معناه فأنسى الشيطان الساقي ذكر يوسف عند الملك فلم يذكره حتى لبث في السجن عن الحسن ومحمد بن إسحاق والجبائي وابي مسلم وعلى هذا فتقديره فأنساه الشيطان ذكر يوسف عند ربه وقد روي عن النبي ﷺ انه قال عجبت من اخي يوسف (ع) كيف استغاث بالمخلوق دون الخالق وروي انه (ع) قال لولا كلمته ما لبث في السجن طول ما لبث يعني قوله اذكرني عند ربك ثم بكى الحسن وقال انا إذا انزل بنا أمر فزعنا إلى الناس وروي عن أبي عبد الله (ع) قال جاء جبرائيل (ع) فقال يا يوسف من جعلك احسن الناس قال ربي قال فمن حبَّبك إلى أبيك دون أخوانك قال ربي قال فمن ساق اليك السيارة قال ربي قال فمن صرف عنك الحجارة قال ربي قال فمن انقذك من الجب قال ربي قال فمن صرف عنك كيد النسوة قال ربي قال فإنَّ ربك يقول ما دعاك إلى ان تنزل حاجتك بمخلوق دوني البث في السجن بما قلت بضع سنين وعنه في رواية اخرى قال فبكى يوسف عند ذلك حتى بكى لبكائه الحيطان فتأذى ببكائه اهل السجن فصالحهم على ان يبكي يوماً ويسكت يوماً فكان في اليوم الذي يسكت اسوء حالاً والقول في ذلك ان الاستعانة بالعباد في دفع المضار والتخلص من المكاره جائز غير منكر ولا قبيح بل ربما يجب ذلك وكان نبينا ﷺ يستعين فيما ينوبه بالمهاجرين والانصار وغيرهم ولو كان قبيحاً لم يفعله فلو صحت هذه الروايات فإنما عوتب يوسف عليه السلام في ترك عادته الجميلة في الصبر والتوكل على الله سبحانه

في كل أموره دون غيره وقتاً ما ابتلاء وتشديداً وإنما كان يكون قبيحاً لو ترك التوكل على الله سبحانه واقتصر على غيره وفي هذا ترغيب في الاعتصام بالله تعالى والاستعانة به دون غيره عند نزول الشدائد وان جاز ايضاً ان يستعان بغيره واختلف في البضع فقال بعضهم البضع ما بين الثلاث إلى الخمس عن أبي عبيدة وقيل إلى السبع عن قطرب وقيل إلى التسع عن الاصمعي ذكره الزجاج وقول قطرب مروي عن مجاهد وقول الأصمعي مروي عن قتادة وقال ابن عباس وهو ما دون العشرة واكثر المفسرين على ان البضع في الآية سبع سنين قال الكلبي وهذه السبع سوى الخمسة التي كانت قبل ذلك وروي عن أبي عبد الله (ع) قال علَّم جبرائيل (ع) يوسف في حبسه فقال قل في دبر كل صلاة فريضة اللهم اجعل لي فرجاً ومخرجاً وارزقني من حيث احتسب ومن حيث لا احتسب وروى شعيب العقرقوفي عنه (ع) قال لما انقضت المدة واذن له في دعاء الفرج وضع خدَّه على الأرض ثم قال اللهم ان كانت ذنوبي قد اخلقت وجهي عندك فإني اتوجه إليك بوجوه آبائي الصالحين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ففرَّج الله عنه قال فقلت له جعلت فداك اندعو نحن بهذا الدعاء فقال ادعوا بمثله اللهم ان كانت ذنوبي قد اخلقت عندك وجهي فإني اتوجه إليك بوجه نبيك نبي الرحمة وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام.

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ
سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ
أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ
أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا
مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾
يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ
عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى
ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا

حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾

[**القراءة**] قرأ حفص دأباً بفتح الهمزة والباقون بسكونها وقرأ تعصرون بالتاء أهل الكوفة غير عاصم والباقون بالياء وفي الشواذ قراءة ابن عباس وابن عمر بخلاف والضحاك وقتادة وزيد بن علي (ع) وادَّكر بعد أمه بالهاء وقراءة الاشهب العقيلي بعد امة بكسر الهمزة وقرأ جعفر بن محمد عليهما السلام وسبع سنابل وقرأ أيضاً ما قربتم وقرأ هو والأعرج وعيسى ابن عمر وفيه يعصرون بياء مضمومة وصاد مفتوحة .

[**الحجة**] قال أبو علي انتصب دأباً بما دلَّ عليه تزرعون وفيه علاج ودؤوب فكأنه قال تدءبون فانتصب دأبابه لا بالمضمر ولعل الفتح لغة فيه فيكون كشَمْع وشَمَع ونَهْر ونَهَر ويعصرون يحتمل أمرين أحدهما أن يكون من العصر الذي يراد به الضغط الذي يلحق ما فيه دهن أو ماء نحو الزيتون والسمسم والعنب ليخرج ذلك منه وهذا يمكن ان يكون تأويل الآية عليه لأن من المتأولين من يحكى انهم لم يعصروا وأربع عشر سنة زيتاً ولا عنباً فيكون المعنى تعصرون للخصب الذي أتاكم كما كنتم تعصرون أيام الخصب من قبل الجدب الذي دفعتم اليه ويكون يعصرون من العصر الذي هو الالتجاء الى ما يقدر به من النجاة قال ابن مقبل

وَصَاحِبي صَهْوَةٌ مُسْتَوْهِلٌ زَعِلٌ[1] يَحُولُ بَيْنَ حِمَارِ الوَحْشِ والْعَصَرِ

أي يحول بينه وبين الملجأ الذي يقدر به النجاة وقال أبو زبيد الطائي :

صَادِياً يَسْتَغِيثُ غَيْرَ مُغَاثٍ وَلَقَدْ كَانَ عُصْرَةَ الْمَنْجُودِ[2]

قال أبو عبيدة يعصرون ينجون وأنشد للبيد

(١) أي فرس فزع نشيط .

(٢) اي كان ملجأ المكروب . والصادي : العطشان .

فَبَـاتَ وَأَسْـرَى الْقَـوْمُ آخِـرَ لَـيْلِهِـم   وَمَـا كَـانَ وقّـافـاً بِـدَارٍ مُـعَـصَّـرِ

فأما من قال يعصرون بالياء فإنه جعل الفاعلين الناس لأن ذكرهم قد تقدَّم ومن قرأ بالتاء وجه الخطاب إلى المستفتين الذين قالوا افتنا ويجوز أن يريدهم وغيرهم الا أنه غلب الخطاب على الغيبة كما يغلب التذكير على التأنيث وأما الامَه فهو النسيان يقال أمه يأمه إذا نسي انشد أبو عبيدة

أَمِهْـتُ وكُـنْـتُ لا أَنْـسَىٰ حَـدِيـثـاً   كَـذاكَ الـدَّهْـرُ يُـؤذِي بِـالـعُـقُـولِ

والأمة النعمة فيكون المراد بعد أن أنعم عليه بالنجاة وأما يُعصرون بضم الياء فيجوز أن يكون من العصرة والعصر للنجاة ويجوز أن يكون من عصرت السحابة ماءها عليهم وفي كتاب علي بن إبراهيم عن أبي عبد الله (ع) قال قرأ رجل على أمير المؤمنين عليّ (ع) هذه الآية فقال يعصرون بالياء وكسر الصاد فقال ويحك وأيُّ شيء مصرون أيعصرون الخمر فقال الرجل يا أمير المؤمنين فيكف أقرأها قال عام فيه يغاث الناس وفيه يُعصَرون مضمومة الياء مفتوحة الصاد أي يمطرون بعد سني المجاعة ويدل عليه قوله وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً .

[**اللغة**] الملك القادر الواسع المقدور الذي إليه السياسة والتدبير والرؤيا ما يراه النائم ويرجع إلى الاعتقاد ثم يكون على وجوه منها ما يكون من الله تعالى وملائكته وهو الذي له تعبير وتأويل ومنها ما يكون من الشيطان ولا تأويل له ومنها ما يكون من جهة النائم واعتقاداته أو يكون بقية اعتقاد كان اعتقده والعجف ذهاب السمن والذكر أعجف والأنثى عجفاء وجمعها عجاف ولا يجمع افعل على فعال إلا هذا والعبر والتعبير تفسير الرؤيا وهو من عبور النهر ونحوه والاضغاث الاحلام الملتبسة والضغث الحزمة من كل شيء وقال الترمذي الضغث ملء اليد من الحشيش ومنه وخذ بيدك ضغثاً أي قبضة والفعل منه أضغث وقيل الضغث خلط قشّ المد[1] وهو غير متشاكل ولا متلائم فشبّهوا به تخليط المنام والاحلام جمع حلم وهو الرؤيا في النوم ويقال حلم يحلم حلماً واحتلم فهو حالم والحلم بكسر الحاء ضد الطيش وهو الاناءة وكأن أصل حلم النوم من هذا لأنه حال اناءة وسكون وتأويل الرؤيا تفسير ما يؤول اليه معناه وتأويل كل شيء تفسير ما يؤول اليه معنى الكلام والادكار افتعال من الذكر وأصله اذتكار لكن التاء ابدل منها الدال وأدغمت الذال في الدال ويجوز اذّكر بالذال ايضاً إلا أن

(١) كذا .

الاجود الدال وهو طلب الذكر ونظيره الاستذكار والتذكر والأمة الجماعة تؤم أمراً والأمة المدة وهي الجملة من الحين والصديق الكثير التصديق للحق وقيل هو الكثير الصدق وفعيل بناء المبالغة والكثرة والفتيا الجواب عن حكم المعنى وقد يكون الجواب عن نفس المعنى فلا يكون فتيا والزرع القاء البذر في الأرض للنبات ومنه المزارعة بالثلث أو الربع وتسمى المخابرة أيضاً وهي مأخوذة من فعل أهل خيبر والدأب العادة يقال دأب يا دأب دأبا ويقال دأب في عمله يدأب دءوباً اجتهد وادأبته انا ادآباً وذَرْ ودع بمعنى ، لم يجيء منهما لفظة الماضي استغني عن ذلك بترَك والشدة والصلابة والصعوبة نظائر وقيل الشدة تكون في سبعة اصناف في العقد والمد والزمان والغضب والألم والشراب والبدن والاحصان مثل الاحراز احصنه احصاناً جعله في حرز والغوث هو نفع يأتي على شدة حاجة ينفي المضرة ومنه الغيث المطر الذي يأتي في وقت الحاجة قال الأزهري غاث الله البلاد يغيثها وقد غثيت الأرض فهي مغيثة ومغيوثة والغيث الكلا ينبت من ماء السماء وجمعه غيوث والغياث اصله الواو ومنه الغوث وغوث تغويثاً إذا قال واغوثاه من يغيثني ويغاث يحتمل ان يكون من الواو ويحتمل أن يكون من الياء .

[**الإعراب**] إن كنتم للرؤيا تعبرون هذه اللام دخلت للتبيين المعنى ان كنتم تعبرون ثم بيّن باللام فقال للرؤيا عن الزجاج وهذه اللام تزاد في المفعول به إذا تقدم على الفعل تقول عبرت الرؤيا وللرؤيا عبرت وقد جاء مثله في قوله ﴿**الذين هم لربهم يرهبون**﴾ وقد جاء فيما ليس بمقدم من المفعول نحو قوله ردف لكم وآخر لا ينصرف لأنه صرف عن جهة صواحبها التي جاءت بالألف واللام وهذه جاءت خاصة بغير ألف ولام فكأنها عدلت عن وجهها تقول هذه النسوة الوسط والكبر ولا تقول وسط وكبر وتقول نسوة اخر فلما خالفت اخواتها ترك صرفها وموضعها في الآية الرابعة جرٌّ تقديره وفي آخر اضغاث احلام تقديره هي اضغاث احلام « يوسف » والمراد به يا يوسف ويجوز حذف حرف النداء في المنادى المفرد العلم تقول يا زيد اقبل وزيد اقبل قال

مُـحَمَّـدُ تَـفْـدِ نَفْسَـكَ كُـلُّ نَـفْسٍ ... إذا مَـا خِـفْـتَ مِـنْ أَمْـرٍ وبَـالاً

ويروى تبالاً أراد يا محمد .

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه عن سبب نجاة يوسف من السجن وهو أنه لما قرب الفرج رأى الملك رؤيا هالته وأشكل تعبيرها على قومه حتى عبَّرها يوسف فقال سبحانه ﴿**وقال**

الملك إني أرى سبع بقرات سمان﴾ يعني وقال ملك مصر وهو الوليد بن ريان والعزيز وزيره وفيما رواه الاكثرون إني أرى في منامي سبع بقرات سمان **﴿يأكلهنّ سبع﴾** أي سبع بقرات أخر **﴿عجاف﴾** أي مهازيل فدخلت السمان في بطون المهازيل حتى لم أر منهن شيئاً **﴿وسبع سنبلات خضر﴾** أي وأرى في منامي سبع سنبلات قد انعقد حبها **﴿وأُخر﴾** أي وسبعاً أخر **﴿يابسات﴾** قد احتصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها **﴿يا أيها الملأ﴾** أي جمع الأشراف وقيل جمع السحرة والكهنة وقصَّ رؤياه عليهم وقال يا أيها الأشراف أو الجماعة **﴿افتوني في رؤياي﴾** أي عبروا ما رأيت في منامي وبيّنوا لي الفتوى فيه وهو حكم الحادثة **﴿إن كنتم للرؤيا تعبرون﴾** معناه إن كنتم عابرين للرؤيا وقيل إن اللام تفيد معنى الى أي ان كنتم توجهون العبارة إلى الرؤيا **﴿قالوا اضغاث احلام﴾** أي هذه أباطيل احلام عن الكلبي وقيل تخاليط احلام عن قتادة والمعنى هذا منامات كاذبة لا يصح تأويلها **﴿وما نحن بتأويل الاحلام﴾** التي هذه صفتها **﴿بعالمين﴾** وانا نعلم تأويل ما يصح وكان جهل الملأ بتأويل رؤيا الملك سبب نجاة يوسف لأن الساقي تذكر حديث يوسف فجثا بين يديه وقال يا أيها الملك اني قصصت أنا وصاحب الطعام على رجل في السجن منامين فخبَّر بتأويلهما وصدق في جميع ما وصف فإن أذنت مضيت إليه وأتيتك من قبله بتفسير هذه الرؤيا فذلك قوله **﴿وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون﴾** عن الكلبي وقوله وادكر بعد أمة معناه تذكر شأن يوسف وما وصّاه به بعد حين من الدهر وزمان طويل عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وههنا حذف يدل الكلام عليه وهو فأرسلون إلى يوسف فأرسل فأتى يوسف في السجن وقال له **﴿يوسف﴾** أي يا يوسف **﴿أيها الصديق﴾** أي الكثير الصدق فيما تخبر به **﴿أفتنا في سبع بقرات سمان﴾** إلى قوله **﴿يابسات﴾** فإن الملك رأى هذه الرؤيا واشتبه تأويلها **﴿لعلي أرجع إلى الناس﴾** يعني الملك وأصحابه والعلماء الذين جمعهم لتعبير رؤياه **﴿لعلهم يعلمون﴾** فضلك وعلمك فيخرجوك من السجن وقيل لعلهم يعرفون تأويل رؤيا الملك **﴿قال﴾** يوسف في جوابه معبراً ومعلماً اما البقرات السبع العجاف والسنابل السبع اليابسات فالسنون الجدبة وأما السبع السمان والسنابل السبع الخضر فإنهن سبع سنين مخصبات ذوات نعمة وأنتم تزرعون فيها فذلك قوله **﴿تزرعون سبع سنين دأباً﴾** أي فازرعوا سبع سنين متوالية عن ابن عباس أي زراعة متوالية في هذه السنين على عادتكم في الزراعة سائر السنين وقيل دأباً أي بجدّ واجتهاد في الزراعة ويجوز أن يكون حالاً فيكون معناه تزرعن دائبين **﴿فما حصدتم﴾** من الزرع **﴿فذروه﴾** اتركوه **﴿في سنبله﴾** لا تذروه ولا تدوسوه **﴿إلا قليلاً مما تأكلون﴾** وإنما أمرهم بذلك ليكون أبقى وأبعد من الفساد يعني ان ما

أردتم أكله فدوسوه واتركوا الباقي في السنبل وقيل إنما أمرهم بذلك لأن السنبل لا يقع فيه سوس ولا يهلك وان بقي مدة من الزمان واذا صفي اسرع اليه الهلاك **﴿ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد﴾** أي سبع سنين مجدبات صعاب تشدّ على الناس **﴿يأكلن ما قدمتم لهن﴾** معناه تأكلن فيها ما قدمتم في السنين المخصبة لتلك السنين وانما أضاف الأكل الى السنين لأنه يقع فيها كما قال الشاعر:

نَهارُكَ يا مَغْرُورُ سَهْوٌ وغَفْلَةٌ ... وَلَيْلُكَ نَوْمٌ وَالرَّدَىٰ لَكَ لازِمٌ
وَسَعْيُكَ فِيما سَوْفَ تَكْرَهُ غِبَّهُ(١) ... كَذٰلِكَ فِي الدُّنْيا تَعيشُ الْبَهائِمُ

وقيل أراد بالأكل الافناء والاهلاك كما يقال اكل السير لحم الناقة أي ذهب به قال زيد بن أسلم كان يوسف يصنع طعام اثنين فيقربه إلى رجل فيأكل نصفه حتى كان ذات يوم قربه إليه فأكله كله فقال هذا اول يوم من السبع الشداد **﴿إلا قليلاً مما تحصنون﴾** معناه الا شيئاً قليلاً مما تحزرون وتدخرون **﴿ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس﴾** معناه ثم يأتي من بعد هذه السنين الشداد عام فيه يمطر الناس من الغيث وقيل يغاثون من الغوث والغياث أي ينقذون وينجون من القحط **﴿وفيه يعصرون﴾** الثمار التي تعصر في الخصب كالعنب والزيت والسمسم عن ابن عباس ومجاهد وقتادة ينجون من الجدب من العصرة والعصر والاعتصار الالتجاء قال عدي بن زيد

لَوْ بِغَيْرِ الْماءِ حَلْقي شَرِقٌ ... كُنْتَ كالغَصَّانِ بِالْماءِ اعْتِصاري(٢)

وهذا القول من يوسف اخبار بما لم يسألوه منه ولم يكن في رؤيا الملك بل هو مما اطلعه الله تعالى عليه من علم الغيب ليكون من آيات نبوته (ع) قال البلخي وهذا التأويل من يوسف يدل على بطلان قول من يقول ان الرؤيا على ما عبرت أولاً لأنهم كانوا قالوا هي اضغاث احلام فلو كان ما قالوه صحيحاً لكان يوسف لا يتأولها .

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ

(١) غب الأمر: عاقبته وآخره .

(٢) الشرق: دخول الماء الحلق حتى يغص به .

إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ
عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ
ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى
كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ
بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾

[القراءة] قرأ ما بال النُسوة بضم النون الأعشى والبرجمي عن أبي بكر عن عاصم والباقون بكسر النون وهما لغتان وقد تقدَّم ذكر قراءة أبي عمر وحاشا لله بالألف ومرَّ بيانه .

[اللغة] الخطب الأمر الذي يعظم شأنه فيخاطب الانسان فيه صاحبه يقال هذا خطب جليل قال الزجاج حصحص الحق اشتقاقه من الحصة أي بانت حصة الحق وجهته من حصة الباطل وقال غيره هو مكرّر من قولهم حص شعره إذا استأصل قطعه وأزاله عن الرأس فيكون معناه انقطع الحق عن الباطل بظهوره وبيانه ومثله كبوا وكبكبوا وكف الدمع وكفكفه فهو زيادة تضعيف دلّ عليه الاشتقاق قال:

قَـدْ حَصَّتِ الْبَيْضَـةُ رأسي فَمـا أَطْعَـمُ نَـوْمـاً غَـيْـرَ تَـهْـجاعِ (١)

وحصحص البعير بثفناته في الأرض إذا حرّك حتى تستبين آثارها فيه قال حميد

وَحَصْحَصَ في صُمِّ الحَصَا ثَفَنَاتُـهُ وَرامَ الْقِيَـامَ سَـاعَـةً ثُـمَّ صَمَّـمـا

والكيد الاحتيال سراً لإيصال الضرر إلى الغير .

[الإعراب] ذلك مرفوع بالابتداء وان شئت على خبر الابتداء كأنه قال امري ذلك وموضع ما رحم ربي نصب على الاستثناء .

---

(١) قائله قيس بن الاسلت وفي رواية اللسان « اطعم نوماً غير نهجاع » والتهجاع : النوم الخفيف .

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه عن اخراج يوسف من السجن فقال ﴿**وقال الملك ائتوني به**﴾ وفي الكلام حذف يدل ظاهره عليه وهو فلما رجع صاحب الشراب وهو رسول الملك إلى الملك بجواب يوسف وتعبيره رؤياه قال الملك ائتوني به أي بيوسف الذي عبَّر رؤياي ﴿**فلما جاءه الرسول**﴾ أي لما جاء يوسف رسول الملك فقال له أجب الملك أبي يوسف أن يخرج مع الرسول حتى تبين براءته مما قذف به ﴿**وقال**﴾ للرسول ﴿**ارجع إلى ربك**﴾ أي سيدك وهو الملك ﴿**فسأله ما بال النسوة**﴾ أي ما حالهن وما شأنهن والمعنى فاسأل الملك ان يتعرف حال النسوة ﴿**اللاتي قطعن أيديهن**﴾ ليعلم صحة براءتي ولم يفرد امرأة العزيز بالذكر حسن عشرة منه ورعاية ادب لكونها زوجة الملك أو زوجة خليفة الملك فخلطها بالنسوة وقيل أنه أرادهنَّ دونها لأنهن الشاهدات له عليها ألا ترى أنها قالت الآن حصحص الحق وهذا يدل على أن النسوة كنَّ ادّعين عليه نحو ما ادّعته امرأة العزيز قال ابن عباس لو خرج يوسف يومئذ قبل أن يعلم الملك بشأنه ما زالت في نفس العزيز منه حالة يقول هذا الذي راود امرأتي وقيل اشفق يوسف من أن يراه الملك بعين مشكوك في أمره متهم بفاحشة فأحبَّ أن يراه بعد أن يزول عن قلبه ما كان فيه وروي عن النبي ﷺ أنه قال لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى اشترط أن يخرجوني من السجن ولقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه والله يغفر له حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لأسرعت الإجابة وبادرتهم الباب وما ابتغيت العذر انه كان لحليماً ذا اناة ﴿**إن ربي بكيدهن عليم**﴾ أي إن الله عالم بكيدهن قادر على اظهار براءتي وقال ان سيدي الذي هو العزيز عليم بكيدهنَّ استشهده فيما علم من حاله عن أبي مسلم والأول هو الوجه ﴿**قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه**﴾ معناه أن الرسول رجع إلى الملك وأخبره بما قاله يوسف (ع) فأرسل إلى النسوة ودعاهن وقال لهنَّ ما شأنكن وما أمركن إذا طلبتن يوسف عن نفسه ودعوتنه إلى أنفسكن ﴿**قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء**﴾ هذه كلمة تنزيه أي نزهن يوسف مما اتُّهم به فقلن معاذ الله وعياذاً بالله من هذا الأمر وما علمنا عليه من سوء وخيانة وما فعل شيئاً مما نسب إليه واعترفن ببراءته وبأنه حبس مظلوماً ﴿**قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق**﴾ أي ظهر وتبيَّن وحصل على امكن وجوهه عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وكأن معناه انقطع الحق عن الباطل بظهوره وبيانه ﴿**انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين**﴾ في قوله هي راودتني عن نفسي اعترفت بالكذب على نفسها فيما اتُّهم يوسف به وإنما حملها على الصدق انقطاع طمعها منه فجمع الله ليوسف في اظهار براءته ونزاهته عما قذف به بين الشهادة والاقرار حتى لا يبقى موضع شك

﴿**ذلك ليعلم**﴾ هذا من كلام يوسف أي ذلك الذي فعلت من ردّي رسول الملك اليه في شأن النسوة ليعلم الملك أو العزيز ﴿**إني لم أخنه بالغيب**﴾ في زوجته أي في حال غيبته عنّي عن الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك وأبي مسلم واتصل كلام يوسف بكلام امرأة العزيز لظهور الدلالة على المعنى ونظيره قوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها أذلة وكذلك يفعلون وقوله ﴿**يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره**﴾ وهو من كلام الملأ ثم قال فماذا تأمرون وهو حكاية عن قول فرعون قال الفراء وهذا من اغمض ما يأتي في الكلام ان يحكي عن واحد ثم يعدل الى شيء آخر من قول آخر لم يجر له ذكر وقيل بل هو من كلام امرأة العزيز أي ذلك الاقرار ليعلم يوسف أني لم أخنه في غيبته بتوريك الذنب عليه وان خنته بحضرته وعند مشاهدته عن الجبائي ﴿ **وإن الله لا يهدي كيد الخائنين**﴾ أي لا يهديهم في كيدهم ومكرهم ﴿**وما أبرىء نفسي**﴾ هذا من كلام يوسف عند أكثر المفسرين وقيل بل هو من كلام امرأة العزيز عن الجبائي أي ما ابرىء نفسي عن السوء والخيانة في امر يوسف ﴿**إن النفس لأمارة بالسوء**﴾ أي كثيرة الأمر بالسوء والشهوة قد تدعو الانسان الى المعصية والألف واللام للجنس فيكون المعنى ان كل النفوس كذلك ويجوز أن يكون للعهد فيكون المعنى أن نفسي بهذه الصفة ﴿**إلا ما رحم ربي**﴾ أي إلا من رحمه الله تعالى فعصمه بأن لطف له فيكون ما بمعنى من كقوله ما طاب لكم ويجوز أن يكون معناه الامدة ما عصم ربي ومن قال انه من كلام يوسف قال انه أراد الدعاء والمنازعة والشهوة ولم يرد العزم على المعصية أي لا أبرىء نفسي مما لا تعرى منه طباع البشر وإنما امتنعت عن الفاحشة بحول الله ولطفه وهدايته لا بنفسي قال الحسن انما قال وما أبرىء نفسي لأنه كره ان يكون قد زكى نفسه ﴿**إن ربي غفور**﴾ بعباده ﴿**رحيم**﴾ بهم .

﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ
ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا
مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ
عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ
يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾

﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ ٥٧

[**القراءة**] قرأ ابن كثير حيث نشاء بالنون والباقون بالياء .

[**الحجة**] قال أبو علي من قرأ بالياء فيشاء مسند إلى الغائب كما أن يتبوء كذلك ويقوي ذلك قوله وأورثنا الجنة نتبوأ منها حيث نشاء فكما أن قوله نشاء وفق لفعل المتبوئين كذلك قوله حيث يشاء وفق لقوله ﴿ **يتبوأ** ﴾ ومن قرأ بالنون فإنه على أحد وجهين أما أن يكون أسند المشيئة إليه وهو ليوسف في المعنى لأن مشيئته لما كانت بقوته واقداره عليه جاز أن ينسب إلى الله وإن كانت ليوسف في المعنى كما قال سبحانه وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى فأضيف الرمي إلى الله لما كان بقوته وإن كان الرمي للنبي ﷺ والآخر أن يكون الموضع المتبوأ موضع نسك وقرب فالمكث فيه قربة إلى الله تعالى فهو يشاؤه ويريده فأما اللام في قوله ﴿ **مكنًا ليوسف** ﴾ وقوله ﴿ **إنا مكنا له في الأرض** ﴾ فيجوز أن يكون على حد التي في قوله ﴿ **ردف لكم وللرؤيا تعبرون** ﴾ يدل على ذلك قوله ﴿ **ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه** ﴾ وقوله ﴿ **يتبوأ** ﴾ في موضع نصب على الحال تقديره مكّناه متبوءاً حيث يشاء وأما قوله ﴿ **حيث يشاء** ﴾ فيحتمل موضعه أمرين أحدهما أن يكون في موضع نصب بأنه ظرف والآخر أن يكون في موضع نصب بأنه مفعول به ويدل على جواز هذا الوجه قول الشماخ :

وَحَــلَّأَهــا عَــنْ ذِي الْأَراكَــةِ عَــامِــرٌ ... أَخُو الخَضْرِ يَرْضى حَيْثُ تَكْبُو النَّـواجِزُ[١]

[**اللغة**] الاستخلاص طلب خلوص الشيء من شائب الاشتراك كأنه يريد أن يكون خالصاً له وفي حديث سلمان الفارسي (رض) أنه كاتبه أهله على أربعين أوقية خلاص أي ما أخلصته النار من الذهب وكذلك الخلاصة، والمكين من المكانة وأصله التمكن في الأمر يقال مكن مكانة فهو مكين إذا كان له قدر وجاه يتمكن بهما مما يروم والتبوء اتخاذ منزل يرجع إليه وأصله من باء يبوء إذا رجع .

[**المعنى**] ﴿ **وقال الملك ائتوني به** ﴾ معناه أن الملك لما تبيَّن له أمانة يوسف وبراءته من السوء وعلمه أمر بإحضاره فقال ائتوني به ﴿ **أستخلصه لنفسي** ﴾ أي أجعله خالصاً لنفسي أرجع إليه في تدبير مملكتي وأعمل على إشارته في مهمات أموري ﴿ **فلما كلّمه** ﴾ ههنا حذف معناه فلما جاء الرسول يوسف ودعاه خرج من السجن ودخل على الملك وكلّمه

(١) حلا الإبل عن الماء: طردها أو حبسها عن الورود. والكبوة: السقطة للوجه. والنحاز: داء يأخذ الدواب والابل في رئاتها فتسعل سعالاً شديداً .

وعرف فضله وأمانته وعقله لأنه استدل بكلامه على عقله وبعفته على أمانته ﴿ **قال إنك اليوم لدينا مكين أمين** ﴾ أي أنك عندنا ذو مكانة متمكن في المنزلة والقدر نافذ القول والأمر ظاهر الأمانة مأمون ثقة قال ابن عباس يريد مكنتك من ملكي وجعلت سلطانك فيه كسلطاني وأئتمنتك فيه قال الكلبي أن رسول الملك جاءه فقال له قم فإن الملك يدعوك وألق ثياب السجن عنك والبس ثياباً جدداً فأقبل يوسف وتنظف من درن السجن ولبس ثيابه وأتى الملك وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة فلما رآه الملك شاباً حدث السن قال يا غلام هذا تأويل رؤياي ولم يعلمه السحرة ولا الكهنة قال نعم فأقعده قدامه وقصَّ عليه رؤياه وروي أن يوسف لما خرج من السجن دعا لأهله وقال اللهم اعطف عليهم بقلوب الاخيار ولا تعمّ عليهم الأخبار فلذلك يكون أصحاب السجن أعرف الناس بالاخبار في كل بلدة وكتب على باب السجن هذا قبول الاحياء وبيت الأحزان وتجربة الأصدقاء وشماتة الأعداء قال وهب ولما وقف بباب الملك قال حسبي ربي من دنياي وحسبي ربي من خلقه عز جاره وجل ثناؤه ولا إلّه غيره ولما دخل على الملك قال اللهم إني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بك من شرّه وشرّ غيره ولما نظر إليه الملك سلَّم عليه يوسف بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان عمي إسماعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان آبائي قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لساناً فكلما كلم يوسف بلسان أجابه بذلك اللسان فأعجب الملك ما رأى منه فقال له إني أحب أن أسمع رؤياي منك شفاهاً فقال يوسف نعم أيها الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب غرّ حسان كشف لك عنهن النيل فطلعن عليك من شاطئه تشخب أخلافهن لبناً فبينا تنظر إليهن ويعجبك حسنهن إذ نضب النيل فغار ماؤه وبدأ يبسه فخرج من حمئه ووحله سبع بقرات عجاف شعث غبر مقلصات البطون ليس لهن ضروع ولا أخلاف ولهن أنياب وأضراس وأكف كأكف الكلام وخراطيم كخراطيم السباع فاختلطن بالسمان فافترستهن افتراس السبع فأكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن وتمششن مخهن فبينا أنت تنظر وتتعجب إذا سبع سنابل خضر وأخر سود في منبت واحد عروقهن في الثرى والماء فبينا أنت تقول في نفسك أنّى هذا وهؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد وأصولهن في الماء إذ هبَّت ريح فذرت الأرفات من اليابسات السود على الثمرات الخضر فاشتعلت فيهن النار وأحرقتهن وصرن سوداً متغيرات فهذا آخر ما رأيت من الرؤيا ثم انتبهت من نومك مذعوراً فقال الملك والله ما شأن هذه الرؤيا وإن كانت عجباً بأعجب مما سمعته منك فما ترى في رؤياي أيها الصديق فقال يوسف أرى أن تجمع الطعام وتزرع زرعاً كثيراً

في هذه السنين المخصبة وتبني الاهراء[١] والخزائن فتجمع الطعام فيها بقصبه وسنبله ليكون قصبه وسنبله علفاً للدواب وتأمر الناس فيرفعون من طعامهم الخمس فيكفيك من الطعام الذي جمعته لأهل مصر ومن حولها ويأتيك الخلق من النواحي فيمتارون منك بحكمك ويجتمع عندك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد ذلك فقال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه ويبيعه ويكفي الشغل فيه فعند ذلك ﴿ **قال** ﴾ يوسف ﴿ **اجعلني على خزائن الأرض** ﴾ الألف واللام في الأرض للعهد دون الجنس يعني اجعلني على خزائن أرضك حافظاً ووالياً واجعل تدبيرها إليَّ ﴿ **فإني حفيظ** ﴾ أي حافظ لما استودعتني لحفظه عن أن تجري فيه خيانة ﴿ **عليم** ﴾ بمن يستحق منها شيئاً ومن لا يستحق فأضعها مواضعها عن قتادة وابن إسحاق والجبائي وقيل حفيظ عليم أي كاتب حاسب عن وهب وقيل حفيظ للتقدير في هذه السنين الجدبة عليم بوقت الجوع حين يقع عن الكلبي وقيل حفيظ للحساب عالم بالألسن وذلك أن الناس يفدون من كل ناحية ويتكلمون بلغات مختلفة عن السدي وفي هذا دلالة على أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بالفضل عند من لا يعرفه فإنه عرف الملك حاله ليقيمه في الأمور التي في إيالتها صلاح العباد والبلاد ولم يدخل بذلك تحت قوله سبحانه ﴿ **فلا تزكوا أنفسكم** ﴾ قالوا فقال الملك ومن أحق به منك فولاه ذلك وقيل أن الملك الأكبر فوض إليه أمر مصر ودخل بيته وعزل قطفير وجعل يوسف مكانه وقيل أن قطفير هلك في تلك الليالي فزوج الملك يوسف راعيل امرأة قطفير العزيز فدخل بها يوسف فوجدها عذراء ولما دخل عليها قال أليس هذا خيراً مما كنت تريدين وولدت له افرائيم وميشا واستوثق ليوسف ملك مصر وقيل أنه لم يتزوجها يوسف وأنها لما رأته في موكبه بكت وقالت الحمد لله الذي جعل الملوك بالمعصية عبيداً والعبيد بالطاعة ملوكاً فضمها إليه وكانت من عياله حتى ماتت عنده ولم يتزوجها وفي تفسير علي بن إبراهيم بن هاشم قال لما مات العزيز وذلك في السنين الجدبة افتقرت امرأة العزيز واحتاجت حتى سألت الناس فقالوا لها ما يضرك لو قعدت للعزيز وكان يوسف يسمى العزيز وكل ملك كان لهم سموه بهذا الاسم فقالت أستحي منه فلم يزالوا بها حتى قعدت له فأقبل يوسف في موكبه فقامت إليه زليخا وقالت سبحان من جعل الملوك بالمعصية عبيداً والعبيد بالطاعة ملوكاً فقال لها يوسف أأنت تيك قالت نعم وكان اسمها زليخا فقال لها هل لك فيَّ قالت دعني بعدما يئست أتهزأ بي قال لا قالت نعم قال فأمر بها فحوّلت إلى منزله وكانت هرمة فقال لها يوسف ألست فعلت بي كذا وكذا قالت يا نبي الله لا تلمني

---

(١) الاهراء جمع الهرى ـ بالضم ـ : بيت كبير يجمع فيه القمح ونحوه .

فإني بليت في بلاء لم يبل به أحد قال وما هو قالت بليت بحبك ولم يخلق الله لك نظيراً في الدنيا وبليت بأنه لم تكن بمصر امرأة أجمل مني ولا أكثر مالاً مني وبليت بزوج عنين فقال لها يوسف فما حاجتك قالت تسأل الله أن يرد عليَّ شبابي فسأل الله فردَّ عليها فتزوجها وهي بكر وروي عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الأرض لولّاه من ساعته ولكنه أخَّر ذلك سنة قال ابن عباس فأقام في بيت الملك سنة فلما انصرمت السنة من يوم سأل الإمارة دعاه الأمير فتوجَّه ورداه بسيفه وأمر بـأن يوضـع له سرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت ويضرب عليه كلة من استبرق ثم أمره أن يخرج متوَّجاً لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه في صفاء لون وجهه فانـطلق حتى جلس على السـرير ودانت لـه الملوك فعدل بين النـاس فأحبـه الرجـال والنساء وذلـك قولـه عز اسمـه ﴿ **وكذلك مكنا ليوسف في الأرض** ﴾ أي ومثل ذلك الانعام الذي أنعمنا عليه أقدرنا يوسف على ما يريد في الأرض يعني أرض مصر ﴿ **يتبوأ منها حيث يشاء** ﴾ أي يتصرف فيها حيث يشاء وينزل منها حيث يشاء ﴿ **نصيب برحمتنا من نشاء** ﴾ أي نخصُّ بنعم الدين والدنيا من نشاء ﴿ **ولا نضيع أجر المحسنين** ﴾ أي المطيعين وقيل الصابرين عن ابن عباس وقيـل أنه دعا الملك إلى الإسلام فأسلم عن مجاهد وغيره قالوا وأسلم أيضاً كثير من الناس فهذا في الدنيا ﴿ **ولأجر الآخرة** ﴾ أي ثواب الآخرة ﴿ **خير للذين آمنوا وكانوا يتقون** ﴾ لخلوصه عن الشـوائب والأقذار وفي هـذه إشارة إلى أنـه سبحانـه يؤتي يـوسف في الآخـرة من الثـواب والدرجات ما هو خير مما آتـاه الله في الدنيـا من الملك والنعمة (سؤال) قـالوا كيف جـاز ليوسف أن يطلب الولاية من قبل الكفرة الظلمة وجوابه لأنه علم أنه يتمكن بذلك من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووضع الحقوق مواضعها وقد جعل الله سبحانه جميع ذلك له من جهة كونه نبياً إماماً وكان يفعل ذلك من قبل الله تعـالى وإنما سـأل الولايـة ليتمكن من الأمور التي له أن يفعلها وأيضاً فإنه علم أنه سبب يتوصل به إلى الدعاء إلى الخير وإلى رؤية والديه واخوته وفي الآية دلالة على أن ذلك التمكين والملك والتدبير كان بلطف الله سبحانه وفضله وفيها دلالة أيضاً على جواز تولي القضاء من جهة الباغي والظالم إذا يتمكن بذلك من إقامة أحكام الدين وفي قوله ﴿ **يتبوأ منها حيث يشاء** ﴾ دلالة على أن تصرفه كان باختياره من غير رجوع إلى الملك وأنه صار بحيث لا أمر عليه وفي كتاب النبوة بالاسناد عن أحمـد بن محمد بن عيسى عن الحسن بن علي بن بنت الياس قال سمعت الرضـا (ع) يقول وأقبـل يوسف على جمع الطعام فجمع في السبع السنين المخصبة فكبسه في الخزائن فلما مضت تلك السنون وأقبلت المجدبة أقبل يوسف على بيع الطعام فباعهم في السنة الأولى بالدراهم

والدنانير حتى لم يبق بمصر وما حولها دينار ولا درهم إلا صار في مملكة يوسف وباعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبق بمصر وما حولها حلي ولا جوهر إلا صار في مملكته وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والمواشي حتى لم يبق بمصر وما حولها دابة ولا ماشية إلا صارت في مملكته وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والاماء حتى لم يبق بمصر عبد ولا أمة إلا صار في مملكته وباعهم في السنة الخامسة بالدور والعقار حتى لم يبق بمصر وما حولها دار ولا عقار إلا صار في مملكته وباعهم في السنة السادسة بالمزارع والأنهار حتى لم يبق بمصر وما حولها نهر ولا مزرعة إلا صار في مملكته وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر وما حولها عبد ولا حر إلا صار عبد يوسف فملك أحرارهم وعبيدهم وأموالهم وقال الناس ما رأينا ولا سمعنا بملك أعطاه الله من الملك ما أعطى هذا الملك حكماً وعلماً وتدبيراً ثم قال يوسف للملك أيها الملك ما ترى فيما خولني ربي من ملك مصر وأهلها أشر علينا برأيك فإني لم أصلحهم لأفسدهم ولم أنجهم من البلاء لأكون بلاء عليهم ولكن الله تعالى أنجاهم على يدي قال له الملك الرأي رأيك قال يوسف إني أشهد الله وأشهدك أيها الملك إني قد أعتقت أهل مصر كلهم ورددت عليهم أموالهم وعبيدهم ورددت عليك أيها الملك خاتمك وسريرك وتاجك على أن لا تسير إلا بسيرتي ولا تحكم إلا بحكمي قال له الملك إن ذلك لزيني وفخري أن لا أسير إلا بسيرتك ولا أحكم إلا بحكمك ولولاك ما قويت عليه ولا اهتديت له ولقد جعلت سلطاناً عزيزاً لا يرام وأنا أشهد أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له وأنك رسوله فأقم على ما ولّيتك فإنك لدينا مكين أمين وقيل ان يوسف (ع) كان لا يمتلي شبعاً من الطعام في تلك الأيام المجدبة فقيل له تجوع وبيدك خزائن الأرض فقال (ع) أخاف أن أشبع فأنسى الجياع .

﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ
يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم
بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِى
ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ
عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾

وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر لفتيانه والباقون لفتيته .

[**الحجة**] قال أبو علي الفتية جمع فتى في العدد القليل والفتيان في الكثير ومثل فتية إخوة وولدة في جمع أخ وولد ونيرة وقيعة في جمع نار وقاع ومثل فتيان برقان وخربان في جمع برق وخرب وجيران وتيجان في جمع جار وتاج وقد يقوم البناء الذي للقليل مقام الذي للكثير وكذلك يقوم الكثير مقام القليل حيث لا قلب ولا إعلال وذلك نحو أرجل وأقدام وأرسان وفي الكثير قولهم ثلاثة شسوع فإذا فعل ذلك فيما لا إعلال فيه فأن يرفض فيما يؤدي إلى الإعلال والقلب أولى .

[**اللغة**] جهاز البيت متاعه وجهزت فلاناً هيأت جهاز سفره ومنه جهاز المرأة والرحال أراد به الأوعية واحدها رحل وجمعها القليل أرحل قال ابن الأنباري يقال للوعاء رحل وللمسكن رحل وأصله الشيء المعد للرحيل من وعاء المتاع ومركب البعير وحلس ورسن .

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه أنه لما تمكّن يوسف بمصر وأصاب الناس ما أصابهم من القحط وقصدوا مصر نزل بآل يعقوب ما نزل بالناس فجمع يعقوب بنيه وقال لهم بلغني أنه يباع الطعام بمصر وأن صاحبه رجل صالح فاذهبوا إليه فإنه سيحسن إليكم إن شاء الله فتجهزوا وساروا حتى وردوا مصر فدخلوا على يوسف فذلك قوله ﴿ **وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون** ﴾ أي جاؤوا ليمتاروا من مصر كما امتار غيرهم ودخلوا عليه وهم عشرة وامسك ابن يامين أخا يوسف لأمه فعرفهم يوسف وانكروه قال ابن عباس وكان بين أن قذفوه في الجب وبين أن دخلوا عليه أربعين سنة فلذلك أنكروه ولأنهم رأوه ملكاً جالساً على السرير عليه ثياب الملوك ولم يكن يخطر ببالهم أنه يصير إلى تلك الحالة وكان يوسف ينتظر قدومهم عليه فكان أثبت لهم فلما نظر إليهم يوسف وكلّموه بالعبرانية قال لهم من أنتم وما أمركم فإني أنكر شأنكم وفي تفسير علي بن إبراهيم فلما جهزهم وأعطاهم وأحسن إليهم في الكيل قال لهم من أنتم قالوا نحن قوم من أرض الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم عيون جئتم تنظرون عورة بلادي فقالوا لا والله ما نحن بجواسيس وإنما نحن إخوة بنو أب واحد وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن ولو تعلم

بأبينا لكرمنا عليك فإنه نبي الله وابن أنبيائه وأنه لمحزون قال وما الذي أحزنه فلعل حزنه إنما كان من قبل سفهكم وجهلكم قالوا يا أيها الملك لسنا بسفهاء ولا جهال ولا أتاه الحزن من قبلنا ولكنه كان له ابن كان أصغرنا سناً وأنه خرج يوماً معنا إلى الصيد فأكله الذئب فلم يزل بعده حزيناً كئيباً باكياً فقال لهم يوسف كلكم من أب وأم قالوا أبونا واحد وأمهاتنا شتى قال فما حمل أباكم على أن سرحكم كلكم ألا حبس واحداً منكم يستأنس به قالوا قد فعل حبس منا واحداً وهو أصغرنا سناً لأنه أخو الذي هلك من أمه فأبونا يتسلى به قال فمن يعلم أن الذي تقولونه حق قالوا يا أيها الملك إنا ببلاد لا يعرفنا أحد فقال يوسف فائتوني بأخيكم الذي من أبيكم إن كنتم صادقين وأنا أرضى بذلك قالوا إن أبانا يحزن على فراقه وسنراوده عنه قال فدعوا عندي رهينة حتى تأتوني بأخيكم فاقترعوا بينهم فأصابت القرعة شمعون وقيل أن يوسف اختار شمعون لأنه كان أحسنهم رأياً فيه فخلفوه عنده فذلك قوله ﴿ **ولما جهزهم بجهازهم** ﴾ يعني حمل لكل رجل منهم بعيراً بعدتهم ﴿ **قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم** ﴾ يعني ابن يامين ﴿ **ألا ترون إني أوف الكيل** ﴾ أي لا أبخس الناس شيئاً وأتم لهم كيلهم ﴿ **وأنا خير المنزلين** ﴾ أي المضيفين مأخوذ من النزل وهو الطعام وقيل خير المنزلين للأمور منازلها فتدخل فيه الضيافه وغيرها مأخوذ من المنزل وهو الدار ﴿ **فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي** ﴾ أي ليس لكم عندي طعام أكيله عليكم والمراد بالكيل المكيل ﴿ **ولا تقربون** ﴾ أي ولا تقربوا داري وبلادي خلط عليه السلام الوعد بالوعيد ﴿ **قالوا سنراود عنه أباه** ﴾ أي نطلبه ونسأله أن يرسله معنا قال ابن عباس معناه نستخدعه عنه حتى يخرجه معنا ﴿ **وإنا لفاعلون** ﴾ ما أمرتنا به قال وكان يوسف أمر ترجماناً يعرف العبرانية أن يكلمهم وكان لا يكلمهم بنفسه ليشبه عليه فإنهم لو عرفوه ربما كانوا يهيمون في الأرض حياء من أبيهم فيتركون خدمته وكان في معرفتهم إياه مفسدة ﴿ **وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم** ﴾ أي قال يوسف لعبيده وغلمانه الذين يكيلون الطعام عن قتادة وغيره وقيل لأعوانه اجعلوا ثمن طعامهم وما كانوا جاؤوا به في أوعيتهم وقيل كانت بضاعتهم النعال والأدم وقيل كانت الورق عن قتادة ﴿ **لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم** ﴾ أي لعلهم يعرفون متاعهم إذا رجعوا إلى أهلهم ﴿ **لعلهم يرجعون** ﴾ بعد ذلك لطلب الميرة مرة أخرى وإنما فعل ذلك ليعرفوا أن يوسف إنما فعل ذلك إكراماً لهم ليرجعوا إليه وقيل أنه خاف أن لا يكون عندهم من الورق ما يرجعون به مرة أخرى عن الكلبي وقيل أنه رآى لؤما أخذَ ثمن الطعام من أبيه وإخوته مع حاجتهم إليه فردَّه عليهم من حيث لا يعلمون تفضلاً وكرماً وقيل فعل ذلك لأنه علم أن ديانتهم وأمانتهم تحملهم على ردّ بضاعتهم إذا وجدوها في رحالهم ولا يعرفون أن الملك أمر

بذلك فيرجعون ليردّوا ذلك عليه ومتى قيل كيف لم يعرفهم يوسف نفسه مع علمه بشدة حزن أبيه وقلقه واحتراقه على ألم فراقه فالجواب أنه لم يؤذن له في التعريف استتماماً للمحنة عليه وعلى يعقوب ولما علم الله تعالى من الحكمة والصلاح في تشديـد البلية تعـريضاً للمنـزلة السنية وقيل إنما لم يعرفهم بنفسه لأنهم لو عرفوه ربما لم يرجعوا إليه ولم يحملوا أخاه إليه والأول هو الوجه الصحيح .

﴿ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ
يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ
لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ
مِن قَبۡلُۖ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُواْ
مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ
بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ
ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ
ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ
مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٦٦﴾

[**القراءة**] قرأ يكتل بالياء أهل الكوفة غير عاصم والبـاقون بـالنون وقـرأ خير حـافظاً بالألف أهل الكوفة غير أبي بكر والباقون حفظاً بغير ألف وفي الشـواذ قراءة علقمـة ويحيى ردت إلينا بكسر الراء .

[**الحجة**] قال أبو علي يدل على النون في نكتل قوله ﴿ **ونميـر أهلنا ونحفظ أخـانا ونَزداد كيل بعير** ﴾ ألا ترى أنهم إنما يميرون أهلهم بما يكتالون فيكون نكتل مثل نمير وأيضاً فإذا قالوا نكتل جاز أن يكون أخوهم داخلاً معهم وإذا كان بالياء لم يدخلوهم فيه وزعموا أن

في قراءة عبد الله نكتل بالنون وكان النون لقولهم منع منا الكيل لغيبَة أخينا فأرسله نكتل ما منعناه لغيبته ووجه الياء أنه يكتل حمله كما نكتال نحن أحمالنا ووجه من قرأ خير حفظاً أنه قد ثبت من قوله ونحفظ أخانا وقوله ﴿ **وإنا له لحافظون** ﴾ أنهم قد أضافوا إلى أنفسهم حفظاً فالمعنى على الحفظ الذي نسبوه إلى أنفسهم وإن كان منهم تفريط في حفظهم ليوسف كما أن قوله ﴿ **أين شركائي** ﴾ لم يثبت لله شريكاً وإنما المعنى على الشركاء الذين نسبتموهم إليَّ فكذلك المعنى على الحفظ الذي نسبوه إلى أنفسهم وإن كان منهم تفريط فيه فإذا كان كذلك كان المعنى فالله خير حفظاً من حفظكم الذي نسبتموه إلى أنفسكم وإن كان منكم فيه تفريط وإضافة خير إلى حفظ محال ولكن تقول حفظ الله خير من حفظكم ومن قرأ حافظاً فيكون حافظاً منتصباً على التمييز دون الحال كما كان حفظاً كذلك ولا يستحيل الاضافة في فالله خير حافظ وخير الحافظين كما يستحيل في خير حفظاً فإن قلت فهل كان ثم حافظ كما ثبت أنه كان حفظ لما قدمته فالقول أنه قد ثبت أنه كان ثم حافظ لقوله ﴿ **وإنا له لحافظون** ﴾ ولقوله ﴿ **يحفظونه من أمر الله** ﴾ فتقول حافظ الله خير من حافظكم كما كان حفظ الله خير من حفظكم لأن الله سبحانه حافظه كما أن له حفظاً فحافظه خير من حافظكم كما كان حفظه خيراً من حفظكم وتقول هو أحفظ حافظ كما تقول هو أرحم راحم لأنه سبحانه من الحافظين كما كان من الراحمين وأما قوله ردت فإن فُعِلَ من المضاعف والمعتل العين يجيء على ثلاثة أوجه عندهم لغة فاشية وأخرى تليها وثالثها قليلة فأقوى اللغات في المضاعف ضم أوله كشد وعد ورد ثم يليه الاشمام وهو بين ضم الأول وكسره ثم قوله شِدَّ ورِدَّ باخلاص الكسرة وهو الأقل وأقوى اللغات في المعتل العين كسر أوله نحو قيل وبيع ثم يليه الاشمام بين الضمة والكسرة والثالثة اخلاص الضمة نحو قول وبوع وأنشد لذي الرمة :

دَنَـا الْبَيْنُ مِنْ مَيٍّ فَـرِدَّتْ جِمَـالُـهـا   وَهَـاجَ الهَوىٰ تَقْـويضُهـا وَاحْتِمـالُهـا(١)

[**اللغـة**] يقال كِلت فـلاناً أي أعـطيته الشيء كيـلاً واكتلت عليه أخـذت منه والأمن إطمئنان القلب إلى سلامة الأمر يقال أمنه يأمنه أمنا والميرة الأطعمة التي تحمل من بلد إلى بلد ويقال مرتهم أميرهم ميراً إذا أتيتهم بالميرة ومثله أمترتهم إمتياراً قال :

بَعَثْتُـكَ مـائِـراً فَمَكَثْتَ حَـوْلاً   مَتى يَـأْتِي غِيَـاثُـكَ مَنْ يُغِيثُ(٢)

[**الإعراب**] قال الزجاج حفظاً منصوب على التمييز وحافـظاً على الحال ويجـوز أن

---

١) تقويض الخيام : قلعها .

(٢) وفي اللسان « غواثك من يغيث » .

يكون حافظاً على التميز وما في قوله ﴿ ما نبغي ﴾ إستفهام موضعه نصب والمعنى أيُّ شيء تريد ويكون المراد به الجحد ويجوز أن يكون ما أيضاً نفياً كأنهم قالوا ما نبغ شيئاً وموضع أن يحاط بكم نصب والمعنى إلا الإحاطة بكم أي تمتنـوا من الإتيـان به إلا لهـذا وهذا يسمى مفعولاً له قال الزجاج وإلا هذه بمعنى تحقيق الجزاء تقول ما تأتينا إلا لأخذ الدراهم وإلا أن تأخذ الدراهم .

[المعنى] ﴿ **فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل** ﴾ قيل أنهم لما دخلوا على يعقوب وسلَّموا عليه سلاماً ضعيفاً فقال لهم يا بني مالكم تسلمون سلاماً ضعيفاً ومالي لا أسمع فيكم صوت شمعون فقالوا يا أبانا إنا جئناك من عند أعظم الناس ملكاً ولم ير الناس مثله حكماً وعلماً وخشوعاً وسكينة ووقاراً ولئن كان لك شبيـه فإنـه يشبهك ولكنـا أهل بيت خلقنا للبلاء إنه إتهمنا وزعم أنه لا يصدقنا حتى ترسل معنا بابن يامين برسالة منك إليه ليخبره من حزنك وما الذي أحزَنك وعن سرعة الشيب إليك وذهاب بصرك وقوله ﴿ **منع منا الكيل** ﴾ معناه منع منا فيما يستقبل إن لم نأته بأخينا لقوله فلا كيل لكم عندي ﴿ **فأرسل معنا أخانا** ﴾ ابن يامين ﴿ **نكتل** ﴾ أي نأخذ الطعام بالكيل إن أرسلتـه أكتلنا وإلا فمنعنـا الكيل ومن قـرأ يكتل بالياء فالمعنى يأخذ أخونا ابن يامين وقر بعير يكتال له ﴿ **وإنا لـه لحافـظون** ﴾ من أن يصيبه سوء ومكروه ﴿ **قال** ﴾ يعقوب ﴿ **هل آمنكم عليه إلا كما آمنتكم على أخيه من قبل** ﴾ أي لا آمنكم على ابن يـامين في الذهـاب به إلا كـأمني على يوسف ضمنتم لي حفـظه ثم ضيعتموه أو أهلكتموه أو غيبتموه عني وإنما قرعهم بحديث يوسف وإلا فقد كان يعلم أنهم في هذه الحال لا يفعلون ما لا يجوز ﴿ **فالله خير حافظاً** ﴾ أي حفظ الله خير من حفظكم ﴿ **وهو أرحم الراحمين** ﴾ يرحم ضعفي وكبر سني ويردّه عليَّ وورد في الخبر أن الله سبحانـه قال فبعزتي لأردَّنهما إليك من بعدما توكلت عليَّ ﴿ **ولمـا فتحوا متـاعهم** ﴾ يعني أوعية الـطعام ﴿ **وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي** ﴾ أي ما نطلب في منع أخينا عنه وقيل معناه ما نطلب بما أخبرناك عن ملك مصر الكذب وقيل معناه أيُّ شيء نطلب وراء هذا أوفى لنا الكيل وردَّ علينا الثمن عن قتادة وأراد أن تطيب نفس يعقوب فيبعث إبنه معهم وتمَّ الكلام ثم قالوا إبتداء ﴿ **هذه بضاعتنا ردت إلينا** ﴾ أي فلا ينبغي أن نخاف على أخينا ممن قد أحسن إلينا هذا الإحسان وقيل المراد ما نريد منك دراهم تعطينـاها نـرجع بهـا إليه بـل تكفينا في الرجوع إليه بضاعتنا هذه فإن الملك إذا فعلنا ما أمرنا به في أخينا يفي بما وعدنا وأرسله معنا ﴿ **ونميـر أهلنا** ﴾ أي نجلب إليهم الـطعام ﴿ **ونحفظ أخـانا** ﴾ في السفـر حتى نردّه إليـك

﴿ ونزداد كيل بعير ﴾ لأجله لأنه كان يكال لكل رجل وقر بعير ﴿ ذلك كيل يسير ﴾ أي ذلك كيل سهل أي يسهل على الذي يمضي إليه عن الزجاج والمعنى أنه هيِّن على الملك لا يصعب عليه ولا يظهر في ماله وقيل معناه إن الذي جئناك به كيل قليل لا يقنعنا فنحتاج أن نضيف إليه كيل بعير أخينا عن الجبائي وقيل يسير على من يكتاله لا مؤنة فيه ولا مشقة عن الحسن وهذا كله تنبيه منهم على وجه الصواب في إرساله معهم فلما رأى يعقوب (ع) ردَّه البضاعة وتحقق عنه إكرام الملك إياهم وعزم على إرسال ابن يامين معهم ﴿ قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقاً من الله ﴾ أي تعطونني ما يوثق به من يمين أو عهد من الله ﴿ لتأتنني به ﴾ أي لتردنه إليَّ قال ابن عباس يعني حق تحلفوا لي بحق محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم وسيد المرسلين أي لا تغدروا بأخيكم ولتأتنني به اللام فيه لجواب القسم ﴿ إلا أن يحاط بكم ﴾ أي إلا أن تهلكوا جميعاً عن مجاهد وقيل إلا أن تغلبوا حتى لا تطيقوا ذلك عن قتادة والمعنى إلا أن يحال بينكم وبينه حتى لا تقدروا على الإتيان به عن الزجاج ﴿ فلما آتوه موثقهم ﴾ أي أعطوه عهودهم وحلفوا له بحق محمد ومنزلته من ربه عن ابن عباس ﴿ قال ﴾ يعقوب ﴿ الله على ما نقول وكيل ﴾ أي شاهد حافظ أن أخلفتم إنتصف لي منكم وفي هذا دلالة على وجوب التوكل على الله سبحانه في جميع المهمات والتفويض إليه في كل الأمور وفيها دلالة أيضاً على أن يعقوب (ع) إنما أرسل ابن يامين معهم لأنه علم أنهم لما كبروا ندموا على ما كان فرط منهم في أمر يوسف ولم يصرُّوا على ذلك ولهذا وثق بهم وإنما عيَّرهم بحديث يوسف حثّاً لهم على حفظ أخيهم .

﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾

[اللغة] الغنى الكفاية في المال لأنه اكتفى به وربما مد لضرورة الشعر والغناء بكسر الغين المد من الصوت يقال منه غنى يغني غناء والغناء بالفتح والمد الكفاية وغني عن كذا فهو غان وغني القوم في دارهم أقاموا والمغاني المنازل لأنهم اكتفوا بها والغانية المرأة لأنها تكتفي بزوجها عن غيره أو بجمالها عن التزين .

[المعنى]﴿ و ﴾ لما تجهَّزوا للمسير ﴿ قال ﴾ يعقـوب ﴿ يا بني لا تـدخلوا ﴾ مصر ﴿ من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة ﴾ خاف عليهم العين لأنهم كـانوا ذوي جمـال وهيئة وكمال وهم أخوة أولاد رجل واحد عن ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك والسدي وأبي مسلم وقيل خاف عليهم حسد الناس إياهم وإن يبلغ الملك قوتهم وبطشهم فيحبسهم أو يقتلهم خوفاً على ملكه عن الجبائي وأنكر العين وذكر أنه لم يثبت بحجة وجوَّزه كثير من المحققين ورووا فيه الخبر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن العين حق والعين تستنزل الحالق والحالق المكان المرتفع من الجبل وغيره فجعل (ع) العين كأنها تحط ذروة الجبل من قوة أخذها وشدة بطشها وورد في الخبر أنه عليه وآله السلام كان يعوذ الحسن والحسين عليهما السلام بأن يقول أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وروي أن إبراهيم (ع) عوَّذ إبنيه وإن موسى عـوَّذ إبني هارون بهـذه العوذة وروي أن بني جعفر بن أبي طالب كانوا غلماناً بيضا فقالت اسماء بنت عميس يا رسول الله إن العين إليهم سريعة أفأسترقي لهم من العين فقال ﷺ نعم وروي أن جبرائيل (ع) رقى رسول الله وعلَّمه الرقية وهي بسم الله أرقيك من كل عين حاسد الله يشفيك وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لو كان يسبق القدر لسبقته العين ثم اختلفوا في وجه الإصابة بالعين فروي عن عمرو بن بحر الجاحظ أنه قال لا ينكر أن ينفصل من العين الصائبة إلى الشيء المستحسن أجزاء لطيفة فتتصل به وتؤثر فيه فيكون هذا المعنى خاصية في بعض الأعين كالخواص في الأشياء وقد إعترض على ذلك بأنه لـو كان كـذلك لمـا اختص ذلك ببعض الأشياء دون بعض ولأن الأجزاء تكون جواهر والجواهـر متماثلة ولا يؤثـر بعضها في بعض وقال أبو هاشم أنه فعل الله بالعادة لضرب من المصلحة وهو قول القاضي ورأيت في شرح هذا للشريف الأجل الرضي الموسوي قدس الله روحـه كلامـاً أحببت إيراده في هـذا الموضع قال إن الله تعالى يفعل المصالح بعباده على حسب ما يعلمه من الصـلاح لهم في تلك الأفعال التي يفعلها فغير ممتنع أن يكون تغييره نعمة زيد مصلحة لعمرو وإذا كان يعلم من حال عمرو أنه لو لـم يسلب زيداً نعمته أقبل على الدنيا بوجهه ونآى عن الآخرة بعطفه وإذا

سلب نعمة زيد للعلة التي ذكرناها عوضه فيها وأعطاه بدلاً منها عاجلاً أو آجلاً فيمكن أن يتأول قوله (ع) العين حق على هذا الوجه على أنه قد روي عنه (ع) ما يدل على أن الشيء إذا عظم في صدور العباد وضع الله قدره وصغر أمره وإذا كان الأمر على هذا فلا ينكر تغيير حال بعض الأشياء عند نظر بعض الناظرين إليه واستحسانه له وعظمه في صدره وفخامته في عينه كما روي أنه قال لما لما سُبقت ناقته العضباء وكانت إذا سوبق بها لم تُسبَق ما رفع العباد من شيء إلا وضع الله منه ويجوز أن يكون ما أمر به المستحسن للشيء عند رؤيته من تعويذه بالله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائماً في المصلحة مقام تغيير حالة الشيء المستحسن فلا يغير عند ذلك لأن الرائي لذلك قد أظهر الرجوع إلى الله تعالى والإعاذة به فكأنه غير راكن إلى الدنيا ولا مغتر بها إنتهى كلامه رضي الله عنه ﴿ **وما أغني عنكم من الله من شيء** ﴾ أي وما أدفع من قضاء الله من شيء أن كان قد قضى عليكم الإصابة بالعين أو غير ذلك ﴿ **إن الحكم إلا لله عليه توكلت** ﴾ فهو القادر على أن يحفظكم من العين أو من الحسد ويردكم علي سالمين ﴿ **وعليه فليتوكل المتوكلون** ﴾ أي وليفوّضوا أمورهم إليه وليثقوا به ﴿ **ولما دخلوا** ﴾ مصر ﴿ **من حيث أمرهم أبوهم** ﴾ أي من أبواب متفرقة كما أمرهم يعقوب وقيل كان لمصر أربعة أبواب فدخلوها من أبوابها الأربعة متفرقين ﴿ **ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها** ﴾ أي لم يكن دخولهم مصر كذلك يغني عنهم أو يدفع عنهم شيئاً أراد الله تعالى إيقاعه بهم من حسد أو إصابة عين وهو (ع) كان عالماً أنه لا ينفع حذر من قدر ولكن كان ما قاله لبنيه حاجة في قلبه فقضى يعقوب تلك الحاجة أي أزال به إضطراب قلبه لأن لا يحال على العين مكروه يصيبهم وقيل معناه أن العين لو قدر أن تصيبهم لأصابتهم وهم متفرقون كما تصيبهم مجتمعين عن الزجاج قال وحاجة إستثناء ليس من الأول بمعنى لكن حاجة ﴿ **وأنه لذو علم** ﴾ أي ذو يقين ومعرفة بالله ﴿ **لما علمناه** ﴾ أي لأجل تعليمنا إياه عن مجاهد مدحه الله سبحانه بالعلم والمعنى أنه حصل له العلم بتعليمنا إياه وقيل وأنه لذو علم لما علّمناه أي يعلم ما علّمناه فيعمل به لأن من علم شيئاً ولا يعمل به كان كمن لا يعلم فعلى هذا يكون اللام في قوله لما علمناه كاللام في قوله ﴿ **للرؤيا تعبرون** ﴾ ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ مرتبة يعقوب في العلم عن الجبائي وقيل لا يعلم المشركون ما ألهم الله أولياءه عن ابن عباس .

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ
ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟

يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ
أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟
عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ
حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى
ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ
كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ
نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ
ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ
أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ
وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾

[**القراءة**] في الشواذ قراءة أبي رجاء صَواع الملك بفتح الصاد وقراءة أبي عبد الله بن عوف صوع بضم الصاد بغير ألف وقراءة يحيى بن يعمر صوغ بفتح الصاد والغين معجمة وقراءة أبي هريرة ومجاهد بخلاف صاع الملك والقراءة المشهورة صواع لملك وقراءة الحسن من وُعاء أخيه بضم الواو وقراءة سعيد بن جبير اعآء أخيه بالهمزة وقرأ يعقوب وسهل يرفع ويشاء بالياء والباقون بالنون وقرأ أهل الكوفة درجات بالتنوين والباقون بغير تنوين وفي الشواذ قراءة ابن مسعود فوق كل ذي عالم عليم .

[**الحجة**] الصُواع والصاع والصَوْع والصُوْع واحد وهو مكيال وأما الصوع فمصدر وضع موضع اسم المفعول أي المصوع وهو مثل الخلق والصيد بمعنى المخلوق والمصيد ومن قرأ أعآ فأصله وعاء أبدلت الواو المكسورة همزة كما قالوا في وسادة أسادة وفي وجاح للستر أجاح ومن قرأ وُعاء بالضم فإنه يكون لغة والهمزة فيه أقيس كما قالوا أعد في وعدوا

جوه في وجوه ومن قرأ درجات بالتنوين فإن من يكون في موضع نصب على معنى نرفع من نشآء درجات ومن قرأها بغير تنوين فإن من يكون في موضع جر بالإضافة وقال ابن جني إن قراءة من قرأ وفوق كل ذي عالم عليم يحتمل ثلاثة أوجه أحدها أن يكون من باب إضافة المسمى إلى الاسم أي وفوق كل شخص يسمى عالماً أو يقال له عالم عليم مثل قول الكميت :

إِلَيْكُمْ ذَوِي آلِ النَّبِيِ تَطَلَّعَتْ ‏ ‏ ‏ نَوَازِعُ مِنْ قَلْبِي ظِمَاءٌ وَأَلْبُبُ[١]

أي إليكم يا آل النبي أي يا أصحاب هذا الاسم الذي هو آل النبي وعليه قول الأعشى :

فَكَذَّبُوهَا بِمَا قَالَتْ فَصَبَّحَهُمْ ‏ ‏ ‏ ذُو آلَ حَسَّانَ يُزْجِي الْمَوْتَ والشِّرَعا[٢]

أي صبَّحهم الجيش الذي يقال له آل حسان والوجه الثاني أن يكون عالم مصدراً كالباطل وغيره والثالث أن يكون على مذهب من اعتقد زيادة ذي فكأنه قال وفوق كل عالم عليم .

[**اللغة**] يقال آوى إلى منزله يأوي أويا إذا صار إليه وأويته أنا إيواء والإبتئاس الإغتنام واجتلاب البؤس والحزن والسقاية الإناء التي يسقى منها وهو من السقي وقيل السقاية والصواع واحد والأذان والتأذين واحد وهو النداء يسمع بالأذن ويقال أذنته بالشيء أي أعلمته وأذنته أكثرت إعلامه والعير القافلة من الحمير وقيل هو القافلة التي فيها الأجمال والأصل للحمير ثم كثر فسمي كل قافلة عيراً وقيل العير الإبل السائرة المركوبة والجمع عيران والحمل بالكسر لما انفصل وبالفتح لما اتصل وجمعه أحمال وحمول والزعيم والكفيل والضمين نظائر والزعيم أيضاً القائم بأمر القوم وهو الرئيس قالت ليلى الأخيلية :

حَتَّى إذا رُفِعَ الِّلوَاءُ رَأَيْتَهُ ‏ ‏ ‏ تَحْتَ اللِّوَاءِ عَلى الْخَمِيسِ زَعِيماً

[**الإعراب**] تالله معناه والله إلا أن التاء تختص باسم الله لا يجوز تالرحمن وتربي وهو بدل من الواو كما أبدل من الواو في تراث وتجاه وتخمة قالوا جزاؤه من وجد في رحله ذكر في إعرابه وجهان (أحدهما) أن يكون جزاؤه مبتدأ ومن وجد في رحله الخبر ويكون المعنى

---

(١) الظماء جمع ظمأن . وألبب جمع اللب بمعنى العقل . وفي اللسان في « لبب » « إليكم بنى آل النبى . '.هـ ».

(٢) أزجى الشيء : ساقه . وفي بعض النسخ « يرجى » بالمهملة . والشرع جمع الشرعة : الوتر ما دام مسدوداً على القوس . وحبالة من العقب تجعل شركاً يصاد به القطا .

جزاء السرق الإنسان الموجود في رحله السرق ويكـون قولـه ﴿ **فهو جـزاؤه** ﴾ جملة أخرى ذكرت زيادة في الإبانة كما يقال جزاء السارق القطع فهو جزاؤه وفهذا جزاؤه زيادة في البيان وعلى هذا تكون مَنْ موصولة ويكون تقديره استـرقاق الـذي وجد في رحله السـرق فحذف المضاف (والآخر) أن يكون جزاؤه مبتدأ ومن وجد في رحله فهو جزاؤه جملة شـرطية في موضع الخبر والعائد على المبتدأ الأول من الجملة الأولى جزاؤه من قوله ﴿ **فهو جـزاؤه** ﴾ فكأنه قال فهو هواي فهو الجزاء والإظهار ههنا أحسن لئلا يقع في الكلام لبس قال الزجاج إن العرب إذا فخمت أمر الشيء جعلت العائدة إليه إعادة اللفظ بعينه وأنشد :

لَا أَرَى الْمُـوْتَ يَسْبِقُ الْمَـوْتَ شَيْءٌ نَغَصَ الْمَـوْتَ ذَا الغِنَى وَالفَـقِيـرا

وعلى هذا فيكون المعنى قالوا جزاء السرق ان وجد في رحل رجل منا فالموجـود في رحله السرق جزاؤه استرقاق وقال صاحب الكشف تقديره جزاء المسروق من وجد في رحله أي إنسان وجد الصاع في رحله فمن نكرة وهو مبتدأ ثان وقوله وجد في رحله صفة لمن وقوله فهو جزاؤه خبر لمن والجملة خبر قوله جزاؤه والتقدير جزاؤه إنسان وجد في رحله الصاع فهو هو إلا أنه وضع الظاهر موضع المضمر قال وليس في التنزيل من نكرة إلا في هذا الموضع وموضع الكاف من كذلك كدنا نصب بأنه صفة مصدر محذوف وموضع أن يشـاء الله نصب لما سقطت الباء أفضى الفعل إليها فنصب والتقدير إلا بمشيئة الله .

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه عن دخولهم عليه فقال ﴿ **ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه** ﴾ أي لما دخل أولاد يعقوب على يوسف ضمَّ إليه أَخاه من أبيه وأمه ابن يامين وأنـزله معه عن الحسن وقتادة وقيل أنهم لما دخلوا عليه قالوا هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به فقال أحسنتم ثم أنزلهم وأكرمهم ثم أضافهم وقال ليجلس كل بني أم على مائدة فجلسوا فبقي ابن يامين قائماً فردا فقال له يوسف مالك لا تجلس قال إنك قلت ليجلس كل بني أم على مائدة وليس لي فيهم ابن أم فقال يوسف أفما كان لك ابن أم قال بلى قال يوسف فما فعل قال زعم هؤلاء أن الذئب أكله قال فلما بلغ من حزنك عليه قال ولد لي أحد عشر إبناً كلهم اشتققت له اسماً من اسمه فقال له يوسف أراك قد عانقت النساء وشممت الولد من بعده قال ابن يامين إن لي أباً صالحاً وقد قال لي تزوج لعل الله يخرج منك ذرية تثقل الأرض بالتسبيح فقال له يوسف تعال فاجلس معي على مائدتي فقال إخوة يوسف لقد فضل الله يوسف وأخاه حتى أن الملك قد أجلسه معه على مائدته روي ذلك عن الصادق (ع) ﴿ **قال إني أنا أخوك** ﴾ أي أطلعه على أنه أخوه وقيل أنه قال أنا أخوك مكان أخيك الهالك ولم يعترف له بـالنسبة ولم

يطلعه على أنه أخوه ولكنه أراد أن يطيب نفسه ﴿ **فلا تبتئس بما كانوا يعملون** ﴾ أي فلا تسكن ولا تحزن لشيء سلف من إخوتك إليك عن وهب والسبي ﴿ **فلما جهزهم بجهازهم** ﴾ أي فلما أعطاهم ما جاؤوا لطلبه من الميرة وكال لهم الطعام الذي جاؤوا لأجله وجعل لكل منهم حمل بعير ويسمى حمل التاجر جهازاً ﴿ **جعل السقاية في رحل أخيه** ﴾ معناه أمر حتى جعل الصاع في متاع أخيه وإنما أضاف الله تعالى ذلك إليه لوقوعه بأمره وقيل إن السقاية هي المشربة التي كان يشرب منها الملك ثم جعل صاعاً في السنين الشداد القحاط يكال به الطعام وقيل كان من ذهب عن ابن زيد وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع) وقيل كان من فضة وذهب عن ابن عباس والحسن وقيل كان من فضة مرصَّعة بالجواهر عن عكرمة ثم ارتحلوا وانطلقوا ﴿ **ثم أذن مؤذن** ﴾ أي نادى مناد مسمعاً معلماً ﴿ **أيتها العير** ﴾ أي القافلة والتقدير يا أهل العير وقيل كانت القافلة من الحمير عن مجاهد ﴿ **إنكم لسارقون** ﴾ قيل إنما قال ذلك بعض من فقد الصاع من قوم يوسف من غير أمره ولم يعلم بما أمر به يوسف من جعل الصاع في رحالهم عن الجبائي وقيل إن يوسف أمر المنادي بأن ينادي به ولم يرد به سرقة الصاع وإنما عنى به إنكم سرقتم يوسف عن أبيه وألقيتموه في الجب عن أبي مسلم وقيل إن الكلام يجوز أن يكون خارجاً مخرج الاستفهام كأنه قال أئنكم لسارقون فأسقط همزة الاستفهام كما في قول الشاعر :

كَـذَبَتْـكَ عيْنُـكَ أَمْ رَأَيْتَ بِـواسِطٍ ... غَلَسَ الظَّلامِ مِنَ الرَّبابِ خِيالاً[1]

ويؤيده ما روى هشام بن الحكم عن أبي عبد الله (ع) أنه قال ما سرقوا ولا كذب ومتى قيل كيف جاز ليوسف (ع) أن يحزن والده وإخوته بهذا الصنيع ويجعلهم متهمين بالسرقة فالجواب أن الغرض فيه التسبب إلى إحتباس أخيه عنده ويجوز أن يكون ذلك بأمر الله تعالى وروي أنه أعلم أخاه بذلك ليجعله طريقاً إلى التمسك به وإذا كان إدخال هذا الحزن سبباً مؤدياً إلى إزالة غموم كثيرة عن الجميع ولا شك أنه يتعلق به المصلحة فقد ثبت جوازه فأما التعريض للتهمة بالسرقة فغير صحيح لأن وجود السقاية في رحله يحتمل أموراً كثيرة غير السرقة فعلى هذا من حمله على السرقة مع علمه بأنهم أولاد الأنبياء توجهت اللائمة عليه ﴿ **قالوا** ﴾ أي قال أصحاب العير ﴿ **وأقبلوا عليهم** ﴾ أي على أصحاب يوسف ﴿ **ماذا تفقدون** ﴾ أي ما الذي فقدتموه من متاعكم ﴿ **قالوا نفقد صواع الملك** ﴾ أي صاعه

(١) قائله الأخطل والواسط : بلد بالعراق . والغلس : ظلمة آخر الليل . والرباب كسحاب اسم امرأة .

وسقايته ﴿ ولمن جاء به حمل بعير ﴾ أي وقال المنادي من جاء بالصاع فله حمل بعير من الطعام ﴿ وإنا به زعيم ﴾ أي كفيل ضامن ﴿ قالوا ﴾ أي قال إخوة يوسف ﴿ تالله لقد علمتم ﴾ أيها القوم ﴿ ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين ﴾ قطُّ وإنما أضافوا العلم إليهم بذلك مع أنهم لم يعلموه لأن معنى هذا القول أنكم قد ظهر لكم من حسن سيرتنا ومعاملتنا معكم مرة بعد أخرى ما تعلمون به أنه ليس من شأننا السرقة وقيل أنهم قالوا ذلك لأنهم ردُّوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم مخافة أن يكون قد وضع ذلك بغير إذن يوسف أي فإذا كنا تحرجنا عن هذا فقد علمتم أنا لا نسرق لأن من ردَّ ما وجد لا يكون سارقاً عن الكلبي وقيل إنهم لما دخلوا مصر وجدوهم قد شدُّوا أفواه دوابهم كي لا تتناول الحرث والزرِع وفي هذا دلالة على أن ما فعله إخوة يوسف به إنما كان في حال الصغر وعدم كمال العقل لنفيهم عن أنفسهم الفساد الذي هو ضد الصلاح ﴿ قالوا فما جزاؤه ﴾ أي قال الذين نادوهم فما جزاء السرق ﴿ إن كنتم كاذبين ﴾ في قولكم إنا لم نسرق وظهرت السرقة وقيل معناه فما جزاء من سرق ﴿ قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه ﴾ أي قال إخوة يوسف جزاء السرق السارق وهو الإنسان الذي وجد المسروق في رحله وقد بيَّنا تقديره فيما قبل ومعناه أن السنة في بني إسرائيل وعند الملك كان استرقاق السارق عن الحسن والسدي وابن إسحاق والجبائي وكان يسترق سنة وقيل كان حكم السارق في آل يعقوب أن يستخدم ويسترق على قدر سرقته وفي دين الملك الضرب والضمان عن الضحاك وقيل إن يوسف سألهم ما جزاء السارق عندكم فقالوا أن يؤخذ بسرقته ﴿ كذلك نجزي الظالمين ﴾ أي مثل ما ذكرنا من الجزاء نجزي السارقين يعني إذا سرق واسترق وقيل إن ذلك جواب يوسف (ع) لقول إخوته إن جزاء السارق استرقاقه ﴿ فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ﴾ أي بدأ يوسف في التفتيش بأوعيتهم لإزاله التهمة ﴿ ثم استخرجها ﴾ يعني السقاية ﴿ من وعاء أخيه ﴾ وإنما بدأ بأوعيتهم لأنه لو بدأ بوعاء أخيه لعلموا أنه هو الذي جعلها فيه وإنما قال إستخرجها لأنه أراد به السقاية وحيث قال ولمن جاء به أراد به الصاع وقيل إن الصاع يذكر ويؤنث قالوا فأقبلوا على ابن يامين وقالوا له فضحتنا وسوَّدت وجوهنا متى أخذت هذا الصاع فقال وضع هذا الصاع في رحلي الذي وضع الدراهم في رحالكم ﴿ كذلك كدنا ليوسف ﴾ أي مثل ذلك الكيد أمرنا يوسف ليكيد بما يتهيأ له أن يحبس أخاه ليكون ذلك سبباً لوصول خبره إلى أبيه أي ألهمنا يوسف هذا الكيد والحيلة فجازيناهم على كيدهم بيوسف أي كما فعلوا في الابتداء فعلنا بهم وقيل إن معنى كدنا صنعنا ليوسف عن ابن عباس وقيل ألهمنا عن الربيع وقيل دبرنا ليوسف بدلالة قوله ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾ على أنه سبحانه علم من صلاح

هذا التدبير ما لم يعلمه غيره عن القتيبي ﴿ ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله ﴾ أي ما كان يمكنه أن يأخذ أخاه في حكم الملك وقضائه وان يحبسه إذ لم يكن ذلك من حكم ملك مصر وأهله عن قتادة وقيل في دين الملك في سلطانه عن ابن عباس وقيل في عادته في جزاء من سرق أن يستعبد وقيل أنه كان عادلاً ولولا هذه الحيلة لما كان يمكنه من أخذ أخيه إلا أن يشاء الله أن يجعل ليوسف عذراً فيما فعل وقيل إلا أن يشاء الله أن يأمره بذلك لأنه كان لا يمكنه أن يقول هذا أخي وكان لا يمكنه حبسه من غير حيلة لأنه كان يكون فعله ظلماً وكان من سنة آل يعقوب أن يسترق وفي حكم الملك وأهل مصر أن يضرب ويغرم وحبسه يوسف على قولهم والتزم حكمهم الذي جرى على لسانهم مبالغة في نفي السرقة عن أنفسهم وكان ذلك مراده وقد شاء الله لأنه بأمره عن الحسن وإنما سماه كيداً لأنه لولا هذا السبب لم يتهيأ له أخذه والكيد ما يفعله فاعله ليوصل به إلى غيره ضرراً من حيث لا يعلمه أو لينال منه شيئاً من غير أن يعلمه ﴿ نرفع درجات من نشاء ﴾ بالعلم والنبوة كما رفعنا درجة يوسف على إخوته وقيل بالتقوى والتوفيق والعصمة والالطاف الجميلة ﴿ وفوق كل ذي علم عليم ﴾ يعني إن كل عالم فإن فوقه عالماً أعلم منه حتى ينتهي إلى الله تعالى العالم بجميع المعلومات لذاته فيقف عليه ولا يتعداه وفي هذا دلالة على بطلان قول من يقول إن الله سبحانه عالم بعلم قديم لأنه لو كان كذلك لكان فوقه عليم على ما يقتضيه الظاهر .

﴿ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ
لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ
شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ
لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ
ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٧٨ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا
عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ٧٩ فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ
كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ

مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾

[**اللغة**] اليأس قطع الطمع من الأمر يقال يئس ييأس وأيس يأيس لغة واستفعل مثل استيأس واستأيس وروى أبو ربيعة عن البزي عن ابن كثير استيأسوا منه واستيأس الرسل ويئس واستيأس بمعنى مثل سخر واستسخر وعجب واستعجب والنجي القوم يتناجون الواحد والجمع فيه سواء قال سبحانه ﴿**وقربناه نجياً**﴾ وإنما جاز ذلك لأنه مصدر وصف به والمناجاة المسارة وأصله من النجوة وهو المرتفع من الأرض فإنه رفع السر من كل واحد إلى صاحبه في خفية والنجوى يكون اسماً ومصدراً قال سبحانه وإذ هم نجوى أي يتناجون وقال في المصدر إنما النجوى من الشيطان وجمع النجي انجية قال « إنّي إذا ما القَوْمُ كانُوا أنْجِيَهْ »(١) وبرح الرجل براحاً اذا تنحى عن موضعه .

[**الإعراب**] قوله فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال الزجاج هذا اضمار على شريطة التفسير لأن قوله تعالى أنتم شرٌّ مكاناً بدل من ها في أسرها والمعنى فأسَّرها يوسف في نفسه قوله انتم شرٌّ مكانا قال أبو علي ان الاضمار على شريطة التفسير يكون على ضربين (أحدهما) ان يفسر بفرد نحو نعم رجلا زيد فقولك رجلاً تفسير للرجل الذي هو فاعل نعم وقد أضمر (والآخر) أن يفسر بجملة وأصل هذا يقع في الابتداء كقوله فإذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا وقل هو الله أحد المعنى القصة ابصار الذين كفروا شاخصة والأمر الله احد ثم تدخل عوامل المبتدأ عليه نحو كان وأخواتها وإن واخواتها فينتقل هذا الضمير من الابتداء بها كما ينتقل سائر المبتدآت كقوله أنه من يأت ربه مجرماً ﴿ فإنها لا تعمى الابصار﴾ وقول الشاعر « وليس منها شفاء الداء مبذول » والذي ذهب أبو اسحاق فيه الى أنه مضمر على شريطة التفسير ليس بمبتدأ فيلزمه التفسير بالجملة ألا ترى أنها فضلة مذكورة بعد فعل وفاعل وهو قوله اسر فإذا كان مبايناً لما اصله المبتدأ لم يجز أن يفسر تفسيره وأيضاً فإن المضمر على شريطة التفسير لا يكون الا متعلقاً بالجملة التي يفسرها ولا يكون منقطعاً عنها ولا متعلقاً بجملة غيرها وما ذكره أبو إسحاق فالتفسير فيه منفصل عن الجملة التي فيها الضمير الذي

---

(١) قائله سحيم بن وثيل اليربوعي وبعده « واضطرب القوم اضطراب الارشية هناك اوصيني ولا توصي بيه » وقد مر أيضاً. قيل انما ضربه مثلاً لنزول الأمر المهم .

زعم أنه اضمار على شريطة التفسير فخرج بذلك عما يكون عليه الاضمار قبل التفسير فإن قلت فعلى م تحمل الضمير في أسرَّها قلنا يحتمل ان يكون اضماراً للإجابة كأنهم لما قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل أسر يوسف اجابتهم في نفسه ولم يبدهـا لهم في الحال وجاز اضمار ذلك لأنه دلَّ ما تقدَّم من مقالتهم عليه وجاز ان يكون اضماراً للمقالة كأنه أسرَّ يوسف مقالتهم لأن القول والمقالة واحد ويكون معنى المقالة المقول كما ان الخلق عبارة عن المخلوق أي اكنها في نفسه واوعاها ولم يطرحها ارادة للتوبيخ عليهـا والمجازاة بهـا انتهى تلخيص كلام ابي علي وقوله شيخاً صفة الأب والكبير صفة الشيخ ومعاذ الله منصوب على المصدر والعرب تقول معاذ الله ومعاذة الله وعوذنـا الله وعوذة الله وعيـاذ الله ويقولـون اللهم عائذاً بك أي ادعوك عائذاً بك وان تأخذ في موضع نصب والمعنى اعوذ بالله من أخذ احد الامن وجدنا متاعنا عنـده فلما سقـطت من أفضى الفعل فنصب عن الـزجاج وقـوله انـا إذاً لظالمون فيه معنى الجزاء أي إن أخذنا غيره فنحن ظالمون ونجيا نصب على الحال وما في قوله مـا فرطتم لغـواي ومن قبل فـرطتم ويجوز أن تكـون مصدريـة في موضـع رفع بمعنى تفريطكم واقع من قبل فيكون ما فرطتم في يوسف في موضع رفع بالابتداء ومن قبل خبـره ويجوز ان يكون في موضع نصب عطفاً على أن فيكون المعنى الم تعلموا ان أباكم قد أخذ عليكم موثقاً وتفريطكم في يوسف ويحكم عطف على يأذن ويجوز ان يكون بمعنى الا ان اي لن ابرح الأرض الا أن يحكم الله لي .

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه عن اخوة يوسف انهم ﴿**قالوا**﴾ ليوسف ﴿**ان يسرق**﴾ ابن يامين ﴿**فقد سرق أخ له**﴾ من أمه ﴿**من قبل**﴾ فليست سرقته بأمر بـديع فـإنه اقتـدى بأخيـه يوسف واختلف فيما وصفوه به من السرقة على اقوال فقيل ان عمة يوسف كانت تحضنه بعد وفاة أمه وتحبه حباً شديداً فلما ترعرع اراد يعقوب ان يسترده منها وكانت اكبر ولـد إسحاق وكانت عندها منطقة إسحاق وكانوا يتوارثونها بالكبر فاحتالت وجاءت بالمنطقة وشدتها على وسط يوسف وادّعت أنه سرقها وكان من سنتهم استرقاق السارق فحبسته بذلك السبب عندها عن ابن عباس والضحاك والجبائي وقد روي ذلك عن أئمتنا عليهم السـلام وقيل إنـه سرق صنماً لجده من قبل أمه فكسره وألقاه على الطريق عن سعيد بن جبير وقتادة وابن زيد وقيل إنه سرق دجاجة كانت في بيت يعقوب أو بيضة فأعطاها سائلاً فعيَّروه بها عن سفيان بن عيينة ومجاهد ﴿**فأسرها يوسف في نفسه**﴾ أي فأخفى يوسف تلك الكلمة التي قالوها ﴿**ولم يبدها لهم**﴾ أي لم يظهرها ﴿**قال أنتم شرٌّ مكاناً**﴾ في السرق لأنكم سرقتم اخاكم من أبيكم ﴿**والله**

أعلم بما تصفون﴾ أي والله اعلم أسرق أخ له أم لا عن الزجاج ويكـون المعنى أنتم اسوء حالاً من يوسف فإنه لم يكن له صنيع في المنطقة وكان يتصدق باذن أبيه ولم تكونوا براء مما عاملتموه به وقيل معناه أنتم شر صنيعاً بما أقدمتم عليه من ظلم أخيكم وعقوق أبيكم فأنتم شرٌ مكاناً عند الله منه أي أسرَّ هذه المقالة في نفسه ثم جهر بقوله والله أعلم بما تصفون قال الحسن لم يكونوا انبياء في ذلك الوقت وانما اعطوا النبوة بعد ذلك والصحيح عندنا انهم لم يكونوا انبياء لأن النبي عندنا لا يجوز أن يقع منه فعل القبيح أصلاً وقال البلخي انهم كذبوا في هذا القول ولم يصح انهم كانوا أنبياء وجوَّز أن يكون الاسباط غيرهم او أن يكـونوا من أولادهم **﴿قالوا يا أيها العزيز ان له ابا شيخاً كبيراً فخذ احدنا مكانه﴾** أي بدلاً عنه إنما قالوا هذا لما علموا انه استحقه فسألوه ان يأخذ عنه بدلاً شفقة على والدهم ورققوا في القول على وجه الاسترحام ومعناه كبيراً في السن وقيل كبيراً في القدر لا يحبس ابن مثله **﴿إنا نراك من المحسنين﴾** إلى الناس وقيل من المحسنين الينا في الكيل وردِّ البضاعة وفي الضيافة ونحن نأمل هذا منك لإحسانك الينا وقيل ان فعلت هذا فقد أحسنت الينا فأجابهم يوسف بأن **﴿قال معاذ الله ان نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده﴾** أي أعوذ بالله أن آخذ البريء بجرم السقيم وقال من وجدنا متاعنا عنده ولم يقل من سرق تحرزاً من الكذب **﴿إنا إذاً لظالمون﴾** أي لو فعلنا ذلك لكنا ظالمين وفي هذا دلالة على أن أخذ البريء بالمجرم ظلم ومن فعله كان ظالماً والله يتعالى ويجل عن ذلك علواً كبيراً **﴿فلما استيأسوا منه﴾** أي فلما يئس اخوة يوسف من يوسف ان يجيبهم إلى ما سألوه من تخلية سبيل ابـن يامين معهم **﴿خلصوا نجيا﴾** أي انفـردوا عن الناس من غير أن يكون معهم من ليس منهم يتناجون فيما يعملون في ذهابهم الى أبيهم من غير أخيهم ويتدبرون في أنهم يرجعون ام يقيمون وتلخيصه اعتزلوا عن الناس متناجين وهذا من ألفـاظ القرآن التي هي في الغـاية القصـوى من الفصاحـة والايجاز في اللفظ مـع كثرة المعنى **﴿قال كبيرهم﴾** وهو روبين وكان آسنهم وهو ابن خالة يوسف وهو الذي نهى اخوته عن قتله عن قتادة والسدي والضحاك وكعب وقيل شمعون وهو كبيرهم في العقل والعلم لا في السن وكان رئيسهم عن مجاهد وقيل يهوذا وكان اعقلهم عن وهب الكلبي وقيل لاوي عن محمد بن اسحاق وعن علي بن ابراهيم بن هاشم **﴿ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله﴾** أراد به الوثيقة التي طلبها منهم يعقوب حين قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقاً من الله لتأتنني به فذكرهم ذلك **﴿ومن قبل ما فرطتم في يوسف﴾** أي قصرتم في أمره وكنتم قد عاهدتم أباكم ان تردوه اليه سالماً فنقضتم العهد **﴿فلن أبرح الأرض﴾** أي لا ازال بهذه الأرض ولا ازول عنها وهي ارض مصر **﴿حتى يأذن لي أبي﴾** في البراح والرجوع اليـه **﴿أو**

يحكم الله لي﴾ بالخروج وترك أخي هاهنا وقيل بالموت وقيل بما يكون عذراً لنا عند أبينا عن أبي مسلم وقيل بالسيف حتى احارب من حبس اخي عن الجبائي **﴿وهو خير الحاكمين﴾** لا يحكم إلا بالحق قالوا انه قال لهم انا أكون هاهنا واحملوا انتم الطعام اليهم فأخبروهم بالواقعة .

﴿ ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ
فَقُولُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا
لِلْغَيْبِ حَـٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ
أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ
أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ
وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ
يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَـٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ
إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَـٰبَنِىَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ
وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ
ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾

[**القراءة**] في الشواذ قراءة ابن عباس سُرِّق بضم السين وتشديد الراء وكسرها وقراءة الحسن وقتادة وعمر بن عبد العزيز من روح الله بضم الراء .

[**الحجة**] معنى سُرِّق بضم السين نسب الى السرقة فيكون من باب فسَّقه وفَجَّره وشَجَّعه إذا نسبه الى هذه الخلال وأما رُوح الله فيمكن أن يكون من الروح الذي هو من عند الله وبلطفه وهدايته ونعمته .

[**اللغة**] القرية الأرض الجامعة لمساكن كثيرة وأصله من القري وهو الجمع يقال قريت الماء في الحوض ونظيره البلدة والمدينة والعير قد مضى ذكر معناه والكظم اجتراع الحزن وهو ان يمسكه في قلبه ولا يبثه إلى غيره ويقال ما زلت افعل كذا وما فُتِئْتُ افعله أفْتأ فَتْأً قال اوس بن حجر يصف حرباً

فَمَا فَتَأَتْ خَيْلٌ تَثُوبُ وتَدَّعي وَيَلْحَقُ مِنْهَا لاحِقٌ وتَقَطَّعُ(١)

والحرض المشرف على الهلاك يقال رجل حرض وحارض أي فاسد في جسمه وعقله ومنه حرضته على كذا أمرته به لأنه إذا خالف الأمر فكأنه هلك وأحرضه اي أفسده قال العرجي :

إنِّي امْرؤٌ لَجَّ بِي حُبٌّ فأَحْرَضَني حَتّى بَلَيْتُ وحَتّى شَفَّني السَّقَمُ(٢)

والحرض لا يثنى ولا يجمع لأنه مصدر والشكوى صفة ما عنده من البلوى يقال شكوته الى فلان شكوى وشكاية وشكواء فأشكاني اي اعتبني من شكواي واشكاني ايضاً اخرجني الى الشكوى والبث الهم الذي لا يقدر صاحبه على كتمانه فيبثه أي يفرقه وكل شيء فرقته فقد بثثته ومنه قوله وبث فيها من كل دابة والتحسس طلب الشيء بالحاسة والتجسس نظيره وفي الحديث لا تحسسوا ولا تجسسوا وقيل ان معناهما واحد ونسق أحدهما على الآخر لاختلاف اللفظتين كقول الشاعر « متى أدن منه ينأ عني ويبعد » وقيل التجسس بالجيم البحث عن عورات الناس وبالحاء الاستماع لحديث قوم وسئل ابن عباس عن الفرق بينهما قال لا يبعد أحدهما عن الآخر التحسس في الخير والتجسس في الشر والروح والراحة والروح والرحمة وأصل الباب من الريح التي تأتي بالرحمة .

[**الإعراب**] اسأل القرية اي أهل القرية وأهل العير فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه يا أسفي معناه يا حسرتي والأصل يا أسفي إلا ان ياء الاضافة يجوز أن يبدل الفاء لخفة الألف والفتحة ويجوز أن يكون الف الندبة ويكون معناه لبيان ان الحال حال حزن

---

(١) ثاب ثوباً: رجع بعد ذهابه. وثاب الناس: اجتمعوا .

(٢) لج به الهم ونحوه الح عليه. وبليت من البلى وشفه المرض والهم: اوهنه .

فكأنه قال يا اسف هذا من اوانك وقوله على يوسف من صلة المصدر تفتأ معناه لا تفتأ حذف حرف النفي لعلم السامع به كما في قول امرىء القيس

فَقُلْتُ يَمِينُ اللّهِ أَبْرَحُ قَاعِداً ... وَلَوْ ضَرَبُوا رَأْسِي لَدَيْكِ وَأَوْصالي[1]

وإنما جاز ذلك لأنه لا يجوز في القسم تالله تفعل حتى تقول تالله لتفعلن أو تقول لا تفعل .

[المعنى] ثم أخبر سبحانه أنه قال كبيرهم في السن أو في العلم **﴿ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق﴾** في الظاهر **﴿وما شهدنا﴾** عندك بهذا **﴿إلا بما علمنا﴾** أي بما شهدنا من ان الصاع استخرج من رحله في الظاهر وبيّن بهذا انهم لم يكونوا قاطعين على أنه سرق وقيل معناه ما شهدنا عند يوسف ان السارق يسترق إلا بما علمنا ان الحكم ذلك ولم نعلم ان ابنك سرق أم لا إلا أنه وجد الصاع عنده فحكم بأنه السارق في الظاهر وإنما قالوا ذلك حين قال يعقوب (ع) لهم ما يدري الرجل ان السارق يؤخذ بسرقته ويسترق وإنما علم ذلك بقولكم **﴿وما كنا للغيب حافظين﴾** أي إنا لم نعلم الغيب حين سألناك أن تبعث ابن يامين معنا ولم ندر ان امره بؤل الى هذا وإنما قصدنا به الخير ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به عن مجاهد وقتادة والحسن وقال علي بن عيسى علم الغيب هو علم من لو شاهد الشيء لشاهده بنفسه لا بأمر يستفيده والعالم بهذا المعنى هو الله وحده جل اسمه وقيل معناه ما كنا لسرّ هذا الأمر حافظين وبه عالمين فلا ندري انه سرق أم كذبوا عليه وإنما اخبرناك بما شاهدنا عن عكرمة وقيل معناه ما كنا لغيب ابنك حافظين أي انا كنا نحفظه في محضره وإذا غاب عنا ذهب عن حفظنا يعنون انه سرق ليلاً وهم نيام والغيب هو الليل بلغة حمير عن ابن عباس قال أي انا لم نعلم ما كان يصنع في ليله ونهاره ومجيئه وذهابه **﴿واسئل القرية﴾** أي أهل القرية **﴿التي كنا فيها﴾** والقرية مصر عن ابن عباس والحسن وقتادة ومعناه سل من شئت من أهل مصر عن هذا الأمر فإن هذا الأمر شائع فيهم يخبرك به من سألته وإنما قالوا ذلك لأن بعض أهلها كانوا قد صاروا إلى الناحية التي كان فيها أبوهم والعرب تسمي الأمصار والمدائن قخرى **﴿ والعير التي أقبلنا فيها ﴾** أي وسل أهل القافلة التي قدمنا فيها وكانوا من أرض كنعان من جيران يعقوب وإنما حذف المضاف للايجاز ولأن المعنى مفهوم وقيل انه ليس في الكلام حذف لأن يعقوب (ع) نبي صاحب معجز

(١) يمين الله يجوز فيه الرفع والنصب اما الرفع فعلى انه مبتدأ حذف خبره وجوباً أي يمين الله قسمي أو على يمين الله وأما النصب فعلى احد وجهين: الأول: ان الأصل بيمين الله فحذف حرف القسم. والثاني أنه منصوب على المفعولية المطلقة نحو سبحان الله. والشاهد في أبرح فإن معناه لا أبرح .

يجوز أن تكلمه القرية والعير على وجه خرق العادة وإنما قالوا ذلك لأنهم كانوا أهل تهمة عند يعقوب ﴿وإنا لصادقون﴾ فيما أخبرناك به ﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً﴾ ههنا حذف كثير يدل الحال عليه تقديره فلما رجعوا إلى أبيهم وقصّوا عليه القصة بطولها قال لهم ما عندي ان الأمر على ما تقولونه بل سولت لكم أنفسكم أمراً فيما أظن ﴿فصبر جميل﴾ أي فأمري صبر جميل لا جزع منه ﴿عسى الله ان يأتيني بهم جميعاً﴾ أي عسى الله أن يأتيني بيوسف وابن يامين وروبيل أو شمعون أو لاوي أو يهوذا ﴿إنه هو العليم﴾ بعباده ﴿الحكيم﴾ في تدبير الخلق ﴿وتولى عنهم﴾ أي انصرف واعرض عهم بشدة الحزن لما بلغه خبر حبس ابن يامين وهاج ذلك وجده بيوسف لأنه كان يتسلى به ﴿وقال يا أسفي على يوسف﴾ أي يا طول حزني على يوسف عن ابن عباس وروي عن سعيد بن جبير انه قال لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم يعط الأنبياء قبلهم إنا لله وإنا إليه راجعون ولو أعطيها الأنبياء لأعطيها يعقوب إذ يقول يا أسفي على يوسف ﴿وابيضت عيناه من الحزن﴾ والبكاء ولما كان البكاء من أجل الحزن أضاف بياض البصر اليه وسئل الصادق (ع) ما بلغ من حزن يعقوب على يوسف قال حزن سبعين حرى ثكلى قيل كيف وقد أخبر انه يردّ عليه فقال انسي ذلك وقيل انه عمي ست سنين عن مقاتل وقيل انه أشرف على العمى فكان لا يرى الا شيئاً يسيراً ﴿فهو كظيم﴾ والكظيم ههنا بمعنى الكاظم وهو المملوء من الهم والحزن الممسك للغيظ لا يشكوه لأهل زمانه ولا يظهره بلسانه ولذلك لقب موسى بن جعفر عليهما السلام الكاظم لكثرة ما كان يتجرع من الغيظ والغم طول أيام خلافته لأبيه في ذات الله تعالى وقال ابن عباس هو المغموم المكروب ﴿قالوا﴾ أي قال ولد يعقوب لأبيهم ﴿تالله تفتؤ تذكر يوسف﴾ أي لا تزال تذكر يوسف ﴿حتى تكون حرضاً﴾ أي دنفاً فاسد العقل عن ابن عباس وابن إسحاق وقيل قريباً من الموت عن مجاهد وقيل هرماً بالياً عن قتادة والضحاك ﴿أو تكون من الهالكين﴾ أي الميتين وإنما قالوا ذلك اشفاقاً عليه وتعطفاً ورحمة له وقيل انهم قالوا ذلك تبرماً ببكائه إذ تنغص عيشهم بذلك ﴿قال﴾ يعقوب في جوابهم ﴿إنما اشكو بثي﴾ أي همي عن ابن عباس وقيل حاجتي عن الحسن ﴿وحزني إلى الله﴾ المعنى إنما أشكو حزني وحاجتي واختلال حالي وانتشارها إلى الله في ظلم الليالي وأوقات خلواتي لا إليكم وقيل البث ما أبداه والحزن ما أخفاه وروي عن النبي ﷺ أن جبرائيل اتاه فقال يا يعقوب ان الله يقرأ عليك السلم ويقول ابشر وليفرح قلبك فوعزتي لو كانا ميتين لنشرتهما لك اصنع طعاماً للمساكين فإن أحبَّ عبادي إليَّ المساكين أوتدري لم أذهبت بصرك وقوّست ظهرك لأنكم ذبحتم شاة وأتاكم مسكين وهو صائم فلم تطعموه شيئاً فكان يعقوب بعد ذلك إذا أراد الغذاء أمر منادياً ينادي ألا

من أراد الغذاء من المساكين فليتعذ مع يعقوب وإذا كان صائماً امر منادياً فنادى ألا من كان صائماً فليفطر مع يعقوب رواه الحاكم أبو عبد الله الحافظ في صحيحه **﴿واعلم من الله ما لا تعلمون﴾** أي واعلم صدق رؤيا يوسف واعلم أنه حيّ وانكم ستسجدون له كما اقتضاه رؤياه عن ابن عباس وقيل واعلم من رحمة الله وقدرته ما لا تعلمون عن عطاء وفي كتاب النبوة بالإسناد عن سدير الصيرفي عن أبي جعفر الباقر (ع) قال ان يعقوب دعا الله سبحانه في أن يهبط عليه ملك الموت فأجابه فقال ما حاجتك قال أخبرني هل مرًّ بك روح يوسف في الأرواح فقال لا فعلم انه حيٌّ فقال **﴿يا بنَيّ اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه﴾** ابن يامين وقيل انهم لما أخبروه بسيرة الملك قال لعله يوسف عن السدي فلذلك قال يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ابن يامين اي استخبروا من شأنهما واطلبوا خبرهما وانظروا ان ملك مصر ما اسمه وعلى أيّ دين هو فإنه ألقي في روعي ان الذي حبس ابن يامين هو يوسف وإنما طلبه منكم وجعل الصاع في رحله احتيالاً في حبس أخيه عند نفسه **﴿ولا تيأسوا من روح الله﴾** أي لا تقنطوا من رحمته عن ابن عباس وقتادة والضحاك وقيل من الفرج من قبل الله عن ابن زيد والمعنى لا تيأسوا من الروح الذي يأتي به الله **﴿إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾** قال ابن عباس يريد ان المؤمن من الله على خير يرجوه في الشدائد والبلاء ويشكره ويحمده في الرخاء والكافر ليس كذلك وفي هذا دلالة على أن الفاسق الملي لا يأس عليه من رحمة الله بخلاف ما يقوله أهل الوعيد .

[**سؤال**] كيف خفي اخبار يوسف على يعقوب في المدة الطويلة مع قرب المسافة وكيف لم يعلمه يوسف بخبره لتسكن نفسه ويزول وجده .

[**الجواب**] قال الجبائي العلة في ذلك أنه حمل إلى مصر فبيع من عزيز فألزمه داره ثم لبث في السجن بضع سنين فانقطعت اخبار الناس عنه فلما تمكن احتال في إيصال خبره بأبيه على الوجه الذي أمكنه وكان لا يأمن لو بعث رسولاً إليه ان لا يمكنه اخوته من الوصول اليه وقال المرتضى قدس الله روحه يجوز أن يكون ذلك له ممكناً وكان عليه قادراً لكن الله سبحانه أوحى اليه بأن يعدل عن اطلاعه على خبره تشديداً للمحنة عليه ولله سبحانه أن يصعب التكليف وأن يسهله .

﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا
وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ

وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم
مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ
يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن
يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ
لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ
عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾
ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى
بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر وابن كثير أنك لأنت يوسف بكسر الهمزة وقرأ نافع ويعقوب غير زيد وسهل أنك بفتح الهمزة غير ممدود وقرأ أبو عمرو وقالون عن نافع وزيد عن يعقوب آانك بالمد وقرأ الباقون أأنك بهمزتين وفي الشواذ قراءة أبي أنك أو أنت يوسف وقرأ ابن كثير وحده من يتقي بياء في الوصل والوقف والباقون بغير ياء فيهما .

[**الحجة**] يدل على الاستفهام قوله أنا يوسف وإنما أجابهم عما استفهموا عنه قال أبو الحسن في قوله ﴿ **وتلك نعمة تمنُّها علي** ﴾ أنه على الاستفهام كأنه قال أو تلك نعمة فيجوز أن يكون من قرأ أنك على هذا فيكون القراءتان متفقتين وقلّما يحذف حرف الاستفهام فأما في القراءات فإنه يجري على مذهبهم في اجتماع الهمزتين وقد تقدم القول في ذلك وأما قراءة أبي فيكون على حذف خبر ان كأنه قال إنك لغير يوسف أو أنت يوسف قال ابن جني فكأنه قال بل أنت يوسف فلما خرج مخرج التوقف قال أنا يوسف وقد جاء عنهم حذف خبر ان قال الأعشى :

إِنَّ مَحَلاً وَإِنَّ مُرْتَحَلاً وَإِنَّ فِي السَّفْرِ إِذْ مَضَوْا مَهَلاً[1]

(١) المهل: التأني وعدم العجلة أي وإن في الذين ماتوا قبلنا امهالا لنا .

أراد أن لنا محلاً وأن لنا مرتحلاً قال أبو علي قوله من يتقي لا يحمل على نحو قول الشاعر (أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالأَنْبَاءُ تُنْمي »[١] لأن هذا ونحوه إنما يجيء في الشعر ولكن تجعل من موصولة فيكون بمنزلة الذي يتقي ويحمل المعطوف على المعنى لأن مَنْ يتقي، إذا كان مَنْ منزلة الذي، بمنزلة الجزء الجازم بدلالة أن كل واحد منهما يصلح دخول الفاء في جوابه فإذا اجتمعا في ذلك جاز أن يعطف عليه كما يعطف على الشرط المجزوم لكونه بمنزلته فيما ذكرناه ومثل ذلك قوله فأصدَّق واكن حملت واكن على موضع الفاء ومثله قول من قرأ ويَذَرْهم في طغيانهم جزماً ويجوز أن تقدر الضمة في قوله ويصبر وتحذفها للاستخفاف كما يخفف نحو عضد وسبع وجاز هذا في حركة الاعراب كجوازه في حركة البناء وزعم أبو الحسن أنه سمع رسلنا لديهم يكتبون بإسكان اللام من رسلنا ويقوي ذلك قراءة من قرأ ويَتْقِه ألا ترى أنه جعل تَقِه بمنزلة كتف وعَلِم فاسكن فكذلك يسكن على هذا ويصبر .

[اللغة] الازجاء في اللغة السوق والدفع قليلاً قليلاً ومنه قوله يزجي سحاباً قال النابغة :

وَهَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ ذِي أُرُلٍ تُزْجِي مَعَ اللَّيْلِ مِنْ صُرَّادِها صِرَمَا[٢]

وفلان يزجّي العيش أي يدفع بالقليل ويكتفي به قال الأعشى :

اَلْوَاهِبُ الْمِائَةَ الهِجَانَ وَعَبْدَها عُوذاً يُزَجِّي خَلْفَها أَطْفالَها[٣]

أي يدفع وقال آخر « وَحَاجَةً غَيْر مُزْجَاةٍ مِنَ الحَاجِ » وإنما قيل ببضاعة مزجاة لأنها يسيرة ناقصة وإنما يجوز ذلك على دفع من أخذها والمن النعمة وأصله القطع لأنها تقطع المنعم عليه من حال بؤسه والإيثار تفضيل أحد الشيئين على الآخر ونظيره الاختيار والاجتباء ونقيضه الإيثار عليه وأصله من الأثر فإنه يؤثر من له أثر جميل والأثر الاخبار يقال أثر يأثر والمأثرة المكرمة لأنها تؤثر والخطأ ضد الثواب يقال خطأ الرجل يخطأ خطأ وخطا فهو خاطىء وأخطىء بخطأ اخطاء فهو مخطىء قال امرؤ القيس :

(١) قائله قيس بن زهير وبعده « بما لاقت لبون بني زياد » .

(٢) وفي رواية معجم البلدان « تزجي مع الصبح ». والصراد جمع الصارد: سحاب بارد ندي ليس فيه ماء وصرم جمع الصرمة: القطعة من السحاب .

(٣) البيت في جامع الشواهد .

يَـا لَـهْفَ هِـنْـدٍ إذْ خَـطِئْنَ كَـاهِـلاً   الـقَـاتِلِيـنَ الْـمَـلِكَ الْـحُـلاحِـلا[١]

التثريب التوبيخ يقال ثرب وأثرب وثرّب عن ابن الأعرابي وقيل التثريب اللوم والافساد والتقرير بالذنب قال أبو عبيدة وأصله الافساد وأنشد :

فَـعَفَـوْتُ عَـنْهُـمْ عَفْـوَ غَـيْـرِ مُثَـرِّبِ   وَتَـرَكْـتُهُـمْ لِـعِـقَـابِ يَـوْمٍ سَـرْمَـدِ

وقال ثعلب ثرب وأثرب فلان على فلان أي عدَّد عليه ذنوبه وقال أبو مسلم هو مأخوذ من الثرب وهو شحم الجوف فكأنه موضوع للمبالغة في اللوم والتعنيف والبلوغ بذلك إلى أقصى غاياته .

[الإعراب] هل علمتم استفهام والمراد به التقرير ما فعلتم بيوسف تقديره أيَّ شيء فعلتم بيوسف فكأن ما في موضع نصب والجملة معلقة بعلمتم وقوله فإن الله لا يضيع أجر المحسنين في موضع الجزم بأنه جواب الشرط وذكر المحسنين ناب عن الضمير العائد إلى مَنْ لأن الاتقاء والصبر في معنى الإحسان فكأنه قال لا يضيع جزاءه، لأنت يوسف هذه لام الابتداء وأنت مبتدأ ويوسف خبره والجملة خبر أن ويجوز أن يكون أنت فصلاً كما علمت فيما تقدم وقوله لا تثريب عليكم تثريب نكرة مفردة مبنية مع لا على الفتح ولا يجوز أن يتعلق عليكم به إذ لو كان كذلك لكان مشتبهاً بالمضاف من حيث يكون عاملاً فيما بعده ويكون عليكم من تمامه وكان يجب أن يكون منصوباً منوناً كما تقول لا مروراً بزيد عندك وإذا عرفت هذا فإن عليكم ههنا فيه وجهان (أحدهما) أن يكون في موضع الخبر على تقدير لا تثريب يثبت عليكم أو ثابت عليكم ثم حذف ذلك وانتقل الضمير منه إلى عليكم حيث سدَّ مسدّه (والآخر) أن يتعلق بمضمر ذلك المضمر وصف لتثريب وعلى هذا فيجوز فيه وجهان (أحدهما) أن يكون في محل رفع تقديره لا تثريب ثابت عليكم كما تقول لا رجل ظريف (والآخر) أن يكون في محل نصب تقديره لا تثريب ثابتاً عليكم كما تقول لا رجل ظريفاً ثم حذفت الصفة وقام الظرف مقامه ويكون اليوم على هذا الوجه خبر لا وعلى الوجه الأول يجوز أن يكون خبراً بعد خبر ويجوز أن يكون متعلقاً بالضمير الذي في الخبر ويجوز أن يكون قد تمَّ الكلام عند قوله عليكم وتعلق اليوم بما بعده فيكون تقديره اليوم يغفر الله لكم وهذا اختيار الأخفش وهكذا الكلام في قوله لا ريب فيه .

(١) فاعل خطئن ضمير يرجع إلى الخيل. وكاهل: بطن من بني أسد شركوا في دم أبيه. والحلاحل: السيد العظيم يريد به أباه وقبل هذا البيت « والله لا يذهب شيخي باطلاً * حتى أبير مالكا وكاهلا » .

[المعنى] ولما قال يعقوب لبنيه اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه خرجوا إلى مصر ﴿ فلما دخلوا عليه ﴾ أي على يوسف ﴿ قالوا يا أيها العزيز مسَّنا وأهلنا الضر ﴾ أي أصابنا ومن يختص بنا الجوع والحاجة والشدة من السنين الشدائد القحاط وقيل أنهم شكوا ما نالهم من هلاك مواشيهم والبلاء الذي أصابهم ﴿ وجئنا ببضاعة مزجاة ﴾ أي ندافع بها الأيام ونتقوتها وليست مما يتسع به وقيل رديئة لا تؤخذ إلا بوَكس[1] عن ابن عباس والجبائي وقيل قليلة عن الحسن ومجاهد وقتادة وابن زيد وأبي مسلم واختلف في تلك البضاعة فقيل كانت دراهم رديئة زيوفاً لا تنفق في ثمن الطعام عن عكرمة عن ابن عباس وقيل كانت خلق الغرارة والحبل ورثٍّ المتاع عن ابن أبي مليكة عنه وقيل كانت متاع الاعراب الصوف والسمن عن عبد الله بن الحرث وقيل الصنوبر والحبة الخضراء عن الكلبي ومقاتل وقيل دراهم فسول[2] عن سعيد بن جبير وقيل كانت أَقِطاً عن الحسن وقيل النعال والأدم عن الضحاك وعنه أيضاً أنها سويق المقل ﴿ فأوف لنا الكيل ﴾ كما كنت توفي في السنين الماضية ولا تنظر إلى قلة بضاعتنا في هذه السنة ﴿ وتصدق علينا ﴾ أي سامحنا بما بين النقدين وسعر لنا بالرديء كما تسعر بالجيد وقيل معناه تصدق علينا برد أخينا عن ابن جريج والضحاك ﴿ إن الله يجزي المتصدقين ﴾ أي يثيبهم على صدقاتهم بأفضل منها وفي كتاب النبوة بالاسناد عن الحسن بن محبوب عن أبي إسماعيل الفراء عن طربال عن أبي عبد الله (ع) في خبر طويل أن يعقوب كتب إلى يوسف بسم الله الرحمن الرحيم إلى عزيز مصر ومظهر العدل وموفي الكيل من يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن صاحب نمرود الذي جمع له النار ليحرقه بها فجعلها الله عليه برداً وسلاماً وأنجاه منها أخبرك أيها العزيز أنا أهل بيت لم يزل البلاء إلينا سريعاً من الله ليبلونا عند السراء والضراء وأن المصائب تتابعت علي عشرين سنة أولها أنه كان لي ابن سميته يوسف وكان سروري من بين ولدي وقرة عيني وثمرة فؤادي وأن اخوته من غير أمه سألوني أن أبعثه معهم يرتع ويلعب فبعثته معهم بكرة فجاؤني عشاءً يبكون وجاءوا على قميصه بدم كذب وزعموا أن الذئب أكله فاشتد لفقده حزني وكثر عن فراقه بكائي حتى ابيضت عيناي من الحزن وأنه كان له أخ وكنت به معجباً وكان لي أنيساً وكنت إذا ذكرت يوسف ضممته إلى صدري فسكن بعد ما أجد في صدري وأن اخوته ذكروا لي أنك سألتهم عنه وأمرتهم أن يأتوك به فإن لم يأتوك به منعتهم الميرة فبعثته معهم ليمتاروا لنا قمحاً فرجعوا إليَّ وليس هو معهم وذكروا أنه سرق مكيال الملك ونحن أهل بيت لا نسرق وقد حبسته عني

(١) الوكس: النقص .
(٢) الفسل : كل مسترذل رديء .

وفجعتني به وقد اشتد لفراقه حزني حتى تقوَّس لذلك ظهري وعظمت به مصيبتي مع مصائب تتابعت عليَّ فمنَّ علي بتخلية سبيله وإطلاقه من حبسك وطيب لنا القمح واسمح لنا في السعر وأوف لنا الكيل وعجل سراح آل إبراهيم قال فمضوا بكتابه حتى دخلوا على يوسف في دار الملك وقالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر إلى آخر الآية وتصدق علينا بأخينا ابن يامين وهذا كتاب أبينا يعقوب إليك في أمره يسألك تخلية سبيله فمنَّ به علينا فأخذ يوسف كتاب يعقوب وقبله ووضع على عينيه وبكى وانتحب حتى بلت دموعه القميص الذي عليه ثم أقبل عليهم و ﴿ **قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه** ﴾ ومعناه أنه قال لهم عل علمتم ما فعلتم بيوسف من اذلاله وإبعاده عن أبيه وإلقائه في البئر والاجتماع على قتله وبيعه بثمن وكس وما فعلتم بأخيه من إفراده عن يوسف والتفريق بينهما حتى صار ذليلاً فيما بينكم لا يكلّمكم إلا كما يكلم الذليل العزيز وإنما لم يذكر أباه يعقوب مع عظم ما دخل عليه من الغم لفراقه تعظيماً له ورفعاً من قدره وعلماً أن ذلك كان بلاء له ليزداد به علو الدرجة ورفعة المنزلة عند الله تعالى قال ابن الأنباري هذا استفهام يعني به تعظيم القصة ومعناه ما أعظم ما ارتكبتم وما أقبح ما أتيتم من قطيعة الرحم وتضييع حقه كما يقول الرجل هل تدري من عصيت وفي هذه الآية مصداق قوله لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون وقوله ﴿**إن أنتم جاهلون** ﴾ أي صبيان عن ابن عباس وقيل شُبّان عن الحسن ومعناه فعلتم ذلك حين كنتم جاهلين جاهلية الصبي في عنفوان الشباب حين يغلب على الانسان الجهل ولم ينسبهم إلى الجهل في حال الخطاب لأنهم كانوا تائبين نادمين في تلك الحال وكان هذا تلقيناً لهم لما يعتذرون به إليه وهذا هو الغاية في الكرم إذ صفح عنهم ولقّنهم وجه العذر وقالوا أإنك لأنت يوسف قيل أن يوسف لما قال لهم هل علمتم الآية تبسم فلما أبصروا ثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم شبَّهوه بيوسف و ﴿ **قالوا** ﴾ له ﴿ **أإنك لأنت يوسف** ﴾ عن ابن عباس وقيل رفع التاج عن رأسه فعرفوه ﴿ **قال أنا يوسف** ﴾ أظهر الاسم ولم يقل أنا هو تعظيماً لما وقع به من ظلم اخوته فكأنه قال أنا المظلوم المستحل منه المحرم المراد قتله فكفى ظهور الاسم من هذه المعاني عن ابن الأنباري قال ولهذا قال ﴿ **وهذا أخي** ﴾ لأن قصده وهذا المظلوم كظلمي ﴿ **قد منَّ الله علينا** ﴾ بالاجتماع بعد طول الفرقة وقيل منَّ الله علينا بكل خير في الدنيا والآخرة ﴿ **انه من يتق** ﴾ أي يتق الله ﴿ **ويصبر** ﴾ على المصائب وعن المعاصي ﴿ **فإن الله لا يضيع أجر المحسنين** ﴾ أي أجر من كان هذا حاله والضياع ذهاب الشيء من غير عوض ﴿ **قالوا تالله** ﴾ أي أقسموا بالله سبحانه ﴿ **لقد آثرك الله علينا** ﴾ أي فضلك واختارك الله علينا بالحلم والعلم والعقل والحسن والملك ﴿ **وإن كنا لخاطئين** ﴾ أي ما كنا إلا مخطئين آثمين فيما فعلنا وهذا

يدل على أنهم ندموا على ما فعلوا ولم يصـرُّوا عليه ﴿ قـال ﴾ يوسف ﴿ لا تثـريب عليكم اليوم ﴾ أي لا تعيير ولا توبيخ ولا تقريع عليكم الآن فيما فعلتم ﴿ يغفر الله لكم ﴾ ذنوبكم فإني أستغفر الله لكم ﴿ وهو أرحم الراحمين ﴾ في عفوه عنكم ما تقدم من ذنبكم وقيل في صنيعه بي حتى جعلني ملكاً وقيـل أراد باليـوم الزمـان فتدخـل فيه الأوقـات كلها كمـا قال الشاعر :

فَـالْيَومَ يَـرْحَمُنـا مَنْ كـانَ يَغْبِـطُنـا ... وَالْيَـوْمَ نَتْبَـعُ مَنْ كـانُـوا لَنـا تَبَعـاً

وقيل أن الكلام قد تمَّ عند قوله ﴿ لا تثريب عليكم ﴾ ثم ابتدأ بقوله ﴿ اليوم يغفر الله لكم ﴾ وهو دعاء لهم ﴿ اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجـه أبي يأت بصيـراً ﴾ قيل أنـه (ع) لما عرفهم نفسه سألهم عن أبيه فقال ما فعل أبي بعدي قالوا ذهبت عيناه فقال اذهبوا بقميصي هذا واطرحوه على وجهه يعد مبصراً كما كان من قبل قال ابن عباس يأت بصيراً يرتد بصيراً ويذهب البياض الذي على عينيه ﴿ وأتوني بأهلكم أجمعين ﴾ إذا عاد بصيراً وهذا كان معجزاً منه إذ لا يعرف أنه يعود بصيراً بإلقاء القميص على وجهه إلا بالوحي وقيل أن يوسف قال إنما يذهب بقميصي من ذهب به أولا فقال يهوذا أنا ذهبت به وهو ملطخ بالدم فأخبرته أنه أكله الذئب قال فاذهب بهذا أيضاً وأخبره أنه حيٌّ وأفرحه كما حزنته فحمل القميص وخرج حافياً حاسراً حتى أتاه وكان معه سبعة أرغفة وكانت مسافة بينهما ثمانين فرسخاً فلم يستوف الأرغفة في الطريق وقد ذكرنا شأن القميص من قبل وروى أيضاً الواحدي بإسناده يرفعه إلى أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال أن نمرود الجبار لما ألقى إبراهيم في النـار نزل إليـه جبرائيل بقميص من الجنة وطنفسة من الجنة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة[1] وقعد معه يحدِّثه فكسا إبراهيم ذلك القميص إسحاق وكساه إسحاق يعقوب وكساه يعقوب يوسف فجعله في قصبة من فضة وعلقها في عنقه فألقي في الجب والقميص في عنقه فذلك قـوله ﴿ اذهبوا بقميصي هذا ﴾ وقال ابن عباس أخرج لهم قصبة من فضة كانت في عنقه لم يعلم بها أخوته فيها قميص وهو الذي نزل به جبرائيل على إبراهيم وذكر القصة وقال مجاهد أمره جبرائيل أن أرسل إليه قميصـك فإن فيـه ريح الجنـة لا يقع على مبتلى ولا سقيم إلا صـحَّ وعوفي .

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ

(١) الطنفسة : البساط .

رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى
ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ
فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾
قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ
أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾

[**اللغة**] الفصل أصله القطع ومنه قيل للحاكم فيصل لأنه يقطع الأمور والتفنيد تضعيف الرأي قال :

يَا صَاحِبَيَّ دَعَا لَوْمي وَتَفْنِيدِي فَلَيْسَ مَا فَاتَ مِنْ أَمْرٍ بِمَرْدُودِ

والفند ضعف الرأي وقيل أن أصله الفساد قال النابغة :

إِلَّا سُلَيْمَانَ إِذْ قَالَ الْمَلِيكُ لَهُ قُمْ فِي الْبَرِيَّةِ فَاحْدُدْهَا عَنِ الْفَنَدِ(١)

أي امنعها عن الفساد

[**المعنى**] ﴿ **ولما فصلت العير** ﴾ أي لما خرجت القافلة وانفصلت من مصر متوجهة نحو الشام ﴿ **قال أبوهم** ﴾ يعقوب لأولاد أولاده الذين كانوا عنده ﴿ **إني لأجد ريح يوسف** ﴾ روي عن أبي عبد الله (ع) قال وجد يعقوب ريح قميص يوسف حين فصلت العير من مصر وهو بفلسطين من مسيرة عشر ليال وقيل من مسيرة ثماني ليال عن ابن عباس وقيل من ثمانين فرسخاً عن الحسن وقيل مسيرة شهر عن الأصم قال ابن عباس هاجت ريح فحملت بريح قميص يوسف إلى يعقوب وذكر في القصة أن الصبا استأذنت ربها في أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير بالقميص فأذن لها فأتته بها ولذلك يستروح كل محزون بريح الصبا وقد أكثر الشعراء من ذكرها فمن ذلك قولهم :

فَإِنَّ الصَّبَا رِيحٌ إِذَا مَا تَنَسَّمَتْ عَلَىٰ نَفْسِ مَهْمُومٍ تَجَلَّتْ هُمُومُهَا

وقول أبي الصخر الهذلي :

---

(١) هذا البيت من قصيدة له يعتبرها بعض العلماء إحدى المعلقات يمدح فيها النعمان بن المنذر وقبله « ولا أرى فاعلاً في الناس يشبهه * ولا أحاشي من الأقوام من أحد » .

إذا قُلْتُ هذا حِينَ أَسْلُو يَهيجُني نَسِيمُ الصَّبا مِنْ حَيْثُ يَطَّلِعُ الْفَجْرُ

وقوله ﴿ **لولا أن تفندون** ﴾ معناه لولا أن تسفهوني عن ابن عباس ومجاهد وقيل لولا أن تضعفوني في الرأي عن ابن إسحاق وقيل لولا أن تكذبوني والفند الكذب عن سعيد بن جبير والسدي والضحاك وروي ذلك أيضاً عن ابن عباس وقيل لولا أن تهرموني عن الحسن وقتادة أي تقولون أنه شيخ قد هرم وخرف وذهب عقله وتقديره إني أقطع أنها ريح يوسف لولا أن تفندون ﴿ **قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم** ﴾ أي قالوا له اشفاقاً عليه وترحماً انك لفي ذهابك القديم عن الصواب في حب يوسف (ع) وأنه كان عندهم أن يوسف قد مات منذ سنين ولم يريدوا بذلك الضلال عن الدين وإنما أرادوا به المبالغة في حب يوسف والأماني الفاسدة فيما كان يرجو من عوده بعد موته عن قتادة والحسن وقيل معناه أنك لفي شقائك القديم عن مقاتل وفي هذا دلالة على أن لفظ القديم قد يطلق في اللغة على المتقدم في الوجود ﴿ **فلما أن جاء البشير** ﴾ وهو يهوذا عن ابن عباس وفي رواية أخرى عنه أنه مالك بن ذعر ﴿ **ألقاه على وجهه فارتد بصيراً** ﴾ أي ألقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب فعاد بصيراً قال الضحاك عاد إليه بصره بعد العمى وقوته بعد الضعف وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن فقال للبشير ما أدري ما أثيبك به هوَّن الله عليك سكرات الموت ﴿ **قال** ﴾ يعقوب لهم ﴿ **ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون** ﴾ أي أني كنت أعلم أن الله يصدق رؤيا يوسف ويكشف الشدائد عن أنبيائه بالصبر وكنتم لا تعلمون ذلك قال الحسن كان الله سبحانه أعلمه بحياته ولم يعلمه بمكانه ﴿ **قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين** ﴾ فيما فعلنا ﴿ **قال** ﴾ يعقوب ﴿ **سوف استغفر لكم ربي أنه هو الغفور الرحيم** ﴾ إنما لم يستغفر لهم في الحال لأنه أخَّرهم إلى سحر ليلة الجمعة عن ابن عباس وطاوس وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع) وقيل أخَّرهم إلى وقت السحر لأنه أقرب إلى إجابة الدعاء عن ابن مسعود وإبراهيم التيمي وابن جريج وروي أيضاً عن أبي عبد الله (ع) وقيل أنه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة عن وهب وقيل أنه كان يقوم ويصف أولاده خلفه عشرين سنة يدعو ويؤمّنون على دعائه واستغفاره لهم حتى نزل قبول توبتهم وروي أن جبرائيل (ع) علَّم يعقوب هذا الدعاء يا رجاء المؤمنين لا تخيِّب رجائي وياغوث المؤمنين أغثني ويا عون المؤمنين أعني ويا حبيب التوابين تب عليَّ واستجب لهم .

﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ

يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ
ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ
يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ
أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ
بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا
يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ
ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾
ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟
أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾

[الإعراب] دخول مِن في قوله ﴿ **من الملك** ﴾ ومن تأويل الأحاديث جائز أن يكون للتبعيض فيكون المراد آتيتني بعض الملك وعلمتني بعض تأويل الأحاديث وجائز أن يكون لتبيين هـذا الجنس من سائـر الأجناس فيكـون المعنى آتيتني الملك وعلمتني التأويـل عن الزجاج قال وقوله ﴿ **تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء** ﴾ يدل على أن من هاهنا لتبيين الجنس ومثله قوله ﴿ **فاجتنبوا الرجس من الأوثان** ﴾ أي الرجس الذي هو وثن، فاطر السماوات والأرض منصوب على وجهين (أحدهما) أن يكون على الصفة لقوله ﴿ رب ﴾ لأن المعنى يا ربي فهو نداء مضاف في موضع نصب فيكون فاطر السماوات صفة له وجائز أن ينتصب على أنه نداء ثان على تقدير يا فاطر السماوات وذلك في موضع رفع بالابتداء ويكون خبره من أنباء الغيب ويكون نوحيه إليك خبراً ثانياً وإن شئت جعلت نوحيه هو الخبر وجعلت ذلك في معنى الذي وقوله من أنباء الغيب صلته .

[المعنى] ﴿ فلما دخلوا على يوسف ﴾ هاهنا حذف تقديره فلما خرج يعقوب وأهله من أرضهم وأتوا مصر دخلوا على يوسف وفي حديث ابن محبـوب باسنـاده عن أبي جعفر (ع) أن يعقوب قال لولده تحملوا إلى يوسف من يومكم هذا بأهلكم أجمعين فساروا إليه ويعقوب معهم وخالة يوسف أم يامين فحثُّوا السير فرحاً وسروراً تسعة أيام إلى مصر فلما دخلوا على يوسف في دار الملك اعتنق أباه وقبَّله وبكى ورفعه ورفع خالته على سرير الملك ثم دخل منزله واكتحل وادهن ولبس ثياب العز والملك فلما رأوه سجدوا جميعاً اعظاماً له وشكراً لله عندٍ ذلك ولم يكن يوسف في تلك العشرين سنة يدهن ولا يكتحل ولا يتطيب حتى جمع الله بينه وبين أبيه واخوته وقيل أن يوسف بعث مع البشير مائتي راحلة مع ما يحتاج إليه في السفر وسألهم أن يأتوه بأهلهم أجمعين فلما دنا يعقوب من مصر تلقاه يوسف في الجند وأهل مصر فقال يعقوب يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك ثم تلاقيا قال الكلبي على يوم من مصر فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه بدأ يعقوب بالسلام فقال السلام عليك يا مذهب الأحزان وفي كتاب النبوة بالاسناد عن محمد بن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله (ع) قال لما أقبل يعقوب إلى مصر خرج يوسف ليستقبله فلما رآه يوسف همَّ بأن يترجل له ثم نظر إلى ما هو فيه من الملك فلم يفعل فلما سلَّم على يعقوب نزل عليه جبرائيل فقال له يا يوسف إن الله جل جلاله يقول منعك أن تنزل إلى عبدي الصالح ما أنت فيه أبسط يدك فبسطها فخرج من بين أصابعه نور فقال ما هذا يا جبرائيل قال هذا أنه لا يخرج من صلبك نبي أبداً عقوبة بما صنعت بيعقوب إذ لم تنزل إليه وقوله ﴿ آوى إليه أبويه ﴾ أي ضمَّهما إليه وأنزلهما عنده وقال أكثر المفسرين أنه يعني بأبويه أباه وخالته فسمى الخالة أُمّاً كما سمى العم أباً في قوله ﴿ وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ﴾ وذلك أن أمه كانت قد ماتت في نفاسها بابن يامين فتزوجها أبوه وقيل يريد أباه وأمه وكانا حيين عن ابن إسحاق والجبائي وقيل أن راحيل أُمّه نشرت من قبرها حتى سجدت له تحقيقاً للرؤيا عن الحسن ﴿ وقال ﴾ لهم قبل دخولهم مصر ﴿ ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين ﴾ والاستثناء يعود إلى الأمن وإنما قال آمنين لأنهم كانوا فيما خلا يخافون ملوك مصر ولا يدخلونها إلا بجوازهم قال وهب أنهم دخلوا مصر وهم ثلاثة وسبعون إنساناً وخرجوا مع موسى وهم ستمائة ألف وخمس مائة وبضع وسبعون رجلاً ﴿ ورفع أبويه على العرش ﴾ أي رفعهما على سرير ملكه اعظاماً لهما والعرش السرير الرفيع عن ابن عباس والحسن وقتادة ﴿ وخروا له سجداً ﴾ أي انحطوا على وجوههم وكانت تحية الناس بعضهم لبعض يومئذ السجود والانحناء والتكفير عن قتادة ولم يكونوا نهوا عن السجود لغير الله في شريعتهم فأعطى الله تعالى هذه الأمة السلام وهي

تحية أهل الجنة عجلها لهم قال أعشى بن ثعلبة :

فَلَمّا أَتانا بُعَيْدَ الْكَرَى سَجَدْنا لَهُ وَرَفَعْنا الْعَمارا[١]

وكان من سنة التعظيم يومئذ أن يسجد للمعظم عن الزجاج وقيل كان سجودهم كهيئة الركوع كما يفعل الأعاجم عن الكلبي وقيل إن السجود كان لله تعالى شكراً له كما يفعله الصالحون عند تجدد النعم والهاء في قوله ﴿ **له** ﴾ عائدة إلى الله تعالى أي سجدوا لله تعالى على هذه النعمة وتوجَّهوا في السجود إليه كما يقال صلى للقبلة ويراد به إستقبالها عن ابن عباس وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) قال علي بن إبراهيم وحدَّثني محمد بن عيسى بن عبيد أبن يقطين أن يحيى بن أكثم سأل موسى بن محمد بن علي بن موسى مسائل فعرضها على أبي الحسن علي بن محمد (ع) فكان إحداها أن قال أخبرني أسجد يعقوب وولده ليوسف وهم أنبياء فأجاب أبو الحسن عليه السلام أما سجود يعقوب وولده فإنه لم يكن ليوسف وإنما كان ذلك منهم طاعة لله وتحية ليوسف كما أن السجود من الملائكة لآدم كان منهم طاعة لله وتحية لآدم فسجد يعقوب وولده ويوسف معهم شكراً لله تعالى لاجتماع شملهم ألم تر أنه يقول في شكره في ذلك الوقت ﴿ **رب قد آتيتني من الملك** ﴾ الآية الخبر بتمامه ﴿ **وقال** ﴾ يوسف ﴿ **يا أبت هذا تأويل رؤياي** ﴾ أي هذا تفسير رؤياي وتصديق رؤياي التي رأيتها ﴿ **من قبل قد جعلها ربي حقاً** ﴾ أي صدقاً في اليقظة وقيل كان بين الرؤيا وتأويلها ثمانون سنة عن الحسن وقيل سبعون سنة عن عبد الله بن شوذب وقيل أربعون سنة عن سلمان الفارسي وعبد الله بن شداد وقيل إثنتان وعشرون سنة عن الكلبي وقيل ثماني عشرة سنة عن ابن إسحاق قال إبن إسحاق وولد ليوسف من امرأة العزيز افرايم وميشا ورحمة امرأة أيوب وكان بين يوسف وبين موسى أربعمائة سنة ﴿ **وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن** ﴾ أي وقد أحسن ربي إلي حيث أخرجني من السجن وأنعم عليَّ به ﴿ **وجاء بكم من البدو** ﴾ أي من البادية فإنهم كانوا يسكنون البادية ويرعون أغنامهم فيها فكانت مواشيهم قد هلكت في تلك السنين بالقحط فأغناهم الله تعالى بمصيرهم إلى يوسف وإنما بدأ (ع) بالسجن في تعداد نعم الله دون إخراجه من الجب كرماً لئلاً يبدأ بصنيع إخوته به وقيل لأن نعم الله تعالى في إخراجه من السجن كانت أكثر ولأن السجن طالت مدته وكثرت محنته ﴿ **من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي** ﴾ أي من بعد أن أفسد الشيطان بيني وبين إخوتي وحرش بيني وبينهم وقال ابن عباس معناه دخل بيننا بالحسد ﴿ **إن ربي لطيف لما يشاء** ﴾ أي لطيف في

---

(١) العمار : كل شيء على الرأس من عمامة أو قلنسوة أو تاج أو غير ذلك . يعني وضعناه من رؤوسنا إعظاماً له .

تدبير عباده يدبّر أمرهم على ما يشاء ويسهّل لهم العسير وبلطفه حصلت هذه النعم علينا من الاجتماع وغيره قال الأزهري اللطيف من أسماء الله سبحانه معناه الرفيق بعباده يقال لطف فلان بفلان لطفاً إذا رفق وقال غيره اللطيف الذي يوصل إليك اربك في رفق وقيل اللطيف العالم بدقائق الأمور ﴿ **أنه هو العليم** ﴾ بجميع الأشياء ﴿ **الحكيم** ﴾ في كل التدابير وفي كتاب النبوة بالإسناد عن أبي عبد الله (ع) قال قال يعقوب ليوسف يا بني حدثني كيف صنع بك إخوتك قال يا أبه دعني فقال أقسمت عليك ألا أخبرتني فقال له أخذوني وأقعدوني على رأس الجب ثم قالوا لي إنزع قميصك فقلت لهم إني اسألكم بوجه أبي يعقوب أن لا تنزعوا قميصي ولا تبدوا عورتي فرفع فلان السكين عليَّ وقال إنزل فصاح يعقوب فسقط مغشياً عليه ثم أفاق فقال له يا بني كيف صنعوا بك فقال يوسف إني اسألك بإلّه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ألا أعفيتني قال فتركه وروي أيضاً أن يوسف قال ليعقوب (ع) يا أبه لا تسألني عن صنيع إخوتي بي وسل عن صنع الله بي قال أبو حمزة بلغنا أن يعقوب عاش مائة وسبعاً وأربعين سنة ودخل مصر على يوسف وهو ابن مائة وثلاثين سنة وكان عند يوسف بمصر سبع عشرة سنة وقال إبن إسحاق أقام يعقوب بمصر أربعاً وعشرين سنة ثم توفي ودفن بالشام وقال سعيد بن جبير نقل يعقوب إلى بيت المقدس في تابوت من ساج ووافق ذلك يوم مات عيصو فدفنا في قبر واحد فمن ثم ينقل اليهود موتاهم إلى بيت المقدس وولد يعقوب وعيصو في بطن واحد ودفنا في قبر واحد وكان عمرهما جميعاً مائة وسبعاً وأربعين سنة ثم رجع يوسف إلى مصر بعد أن دفن أباه في بيت المقدس عن وصية منه إليه وعاش بعد أبيه ثلاثاً وعشرين سنة وكان أول رسول في بني إسرائيل ثم مات وأوصى أن يدفن عند قبور آبائه وقيل دفن بمصر ثم أخرج موسى عظامه فحمله حتى دفنه عند أبيه وقيل أفضت النبوة بعده إلى روبيل ثم إلى يهوذا وفي كتاب النبوة بالإسناد عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر (ع) قال قلت له كم عاش يعقوب مع يوسف بمصر قال عاش حولين قلت فمن كان الحجة لله في الأرض يعقوب أم يوسف قال كان يعقوب الحجة وكان الملك ليوسف فلما مات يعقوب حمله يوسف في تابوت إلى أرض الشام فدفنه في بيت المقدس فكان يوسف بعد يعقوب الحجة قلت وكان يوسف رسولاً نبياً قال نعم أما تسمع قوله عز وجل ﴿**ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات**﴾ وبالإسناد عن أبي خالد عن أبي عبد الله (ع) قال دخل يوسف السجن وهو ابن إثنتي عشرة سنة ومكث فيها ثماني عشرة سنة وبقي بعد خروجه ثمانين سنة فذلك مائة سنة وعشر سنين قالوا ولما جمع الله سبحانه ليوسف شمله وأقرَّ له عينه وأتمَّ له رؤياه ووسع عليه في ملك الدنيا ونعيمها علم أن ذلك لا يبقى له ولا يدوم فطلب من الله سبحانه نعيماً لا يفنى وتاقت نفسه إلى الجنة

فتمنى الموت ودعا به ولم يتمن ذلك نبي قبله ولا بعده تمنى أحد فقال ﴿ **رب قد آتيتني من الملك** ﴾ أي أعطيتني ملك النبوة وملك مصر ﴿ **وعلمتني من تأويل الأحاديث** ﴾ أي تأويل الرؤيا ﴿ **فاطر السماوات والأرض** ﴾ أي خالق السماوات والأرض ومنشئهما لا على مثال سبق ﴿ **أنت وليي** ﴾ أي ناصري ومدبري وحافظي ﴿ **في الدنيا والآخرة** ﴾ تتولى فيهما إصلاح معاشي ومعادي ﴿ **توفني مسلماً** ﴾ قال ابن عباس ما تمنى نبي تعجيل الممات ألا يوسف لما إنتظمت أسباب مملكته إشتاق إلى ربه وقيل معناه ثبّتني على الإيمان إلى وقت الممات وأمتني مسلماً ﴿ **وألحقني بالصالحين** ﴾ أي بأهل الجنة من الأنبياء والأولياء والصديقين وقيل لما جمع الله سبحانه بينه وبين أبويه وإخوته أحب أن يجتمع مع آبائه في الجنة فدعا بذا الدعاء والمعنى ألحقني بهم في ثوابهم ودرجاتهم قيل فتوفاه الله تعالى بمصر وهو نبي فدفن في النيل في صندوق من رخام وذلك أنه لما مات تشاح الناس عليه كلٌ يحبُّ أن يدفن في محلته لما كانوا يرجون من بركته فرأوا أن يدفنوه في النيل فيمرَّ الماء عليه ثم يصل إلى جميع مصر فيكون كلهم فيه شركاء وفي بركته شرعاً سواء فكان قبره في النيل إلى أن حمله موسى (ع) حين خرج من مصر ثم عاد سبحانه بعد تمام القصة إلى خطاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ﴿ **ذلك** ﴾ أي الذي قصصت عليك من قصة يوسف يا محمد ﴿ **من أنباء الغيب** ﴾ أي من جملة إخبار الغيب ﴿ **نوحيه إليك** ﴾ على ألسنة الملائكة لتخبر به قومك ويكون دلالة على إثبات نبوتك ومعجزة دالة على صدقك ﴿ **وما كنت لديهم** ﴾ أي وما كنت يا محمد عند أولاد يعقوب ﴿ **إذ أجمعوا أمرهم** ﴾ إذ عزموا على إلقائه في البئر واجتمعت آراؤهم عليه ﴿ **وهم يمكرون** ﴾ أي يحتالون في أمر يوسف حتى ألقوه في الجب عن الجبائي وقيل يمكرون بيوسف عن ابن عباس والحسن وقتادة .

﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ
بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ
لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ
عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم
مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَـٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ

ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴿١٠٧﴾

[**القراءة**] في الشواذ قراءة عكرمة وعمرو بن فائد والأرضُ يمرون عليها بالرفع وقراءة السدي والأرض نصباً والقراءة المشهورة بالجر .

[**الحجة**] من رفع أو نصب وقف على السماوات ثم ابتدأ والأرض فالرفع على الابتداء والجملة بعدها خبره والعائد إلى المبتدأ الهاء من عليها والضمير في عنها عائد إلى الآية وأما النصب فبفعل مضمر تقديره ويطأون الأرض ويؤيد ذلك قراءة ابن مسعود يمشون عليها فلما أضمر الفعل الناصب فسرَّه بقوله ﴿ **يمرون عليها** ﴾ ومن جرَّ الأرض على قراءة القراء فإن شاء وقف على الأرض وإن شاء وقف آخر الآية .

[**اللغة**] الحرص طلب الشيء باجتهاد في إصابته والعالم الجماعة من الحيوان التي من شأنها أن تعلم مأخوذ من العلم وقيل لما حواه الفلك عالم على سبيل التبع للحيوان الذي ينتفع به وهو مخلوق لأجله والغاشية المجللة للشيء بانبساطها عليه وغشيه يغشاه إذا غطاه والغشاء الغطاء والبغتة الفجأة وهي مجيىء الشيء من غير توقع .

[**الإعراب**] وكأين في معنى كم وأصلها أي دخلت عليها الكاف وبغتة مصدر وضع موضع الحال تقول لقيته بغتة وفجاءة .

[**المعنى**] لمّا تقدَّم ذكر الآيات والمعجزات التي لو تفكروا فيها عرفوا الحق من جهتها فلم يتفكروا بيَّن عقيبها أن التقصير من جهتهم حيث رضوا بالجهل وليس من جهته سبحانه لأنه نصب الأدلة والبينات ولا من جهتك لأنك دعوتهم فقال ﴿ **وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين** ﴾ أي وليس أكثر الناس بمصدِّقين ولو حرصت على إيمانهم وتصديقهم واجتهدت في دعائهم إليه وإرشادهم إليه لأن حرص الداعي لا يغني شيئاً إذا كان المدعو لا يجيب ﴿ **وما تسألهم عليه من أجر** ﴾ أي ولا تسألهم على تبليغ الرسالة وبيان الشريعة أجراً فيصدَّهم ذلك عن القبول ويمنعهم من الإيمان ويثقل عليهم ما يلزمهم من الغرامة فأعذارهم منقطعة ﴿ **إن هو إلا ذكر للعالمين** ﴾ أي ما القرآن إلا موعظة وعبرة وتذكير للخلق أجمعين فلست بنذير لهؤلاء خاصة ﴿ **وكأين من آية** ﴾ أي كم من حجة ودلالة ﴿ **في السماوات والأرض** ﴾ تدل على وحدانية الله تعالى من الشمس والقمر والنجوم في السماء ومن الجبال والشجر وألوان النبات وأحوال المتقدمين وآثار الأمم السالفة في الأرض ﴿ **يمرُّون عليها** ﴾ ويبصرونها ويشاهدونها ﴿ **وهم عنها معرضون** ﴾ أي هم عن التفكر فيها والاعتبار بها

معرضون لا يتفكرون فيها يعني الكفار ﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون** ﴾ إختلف في معناه على أقوال (أحدها) أنهم مشركو قريش كانوا يقرُّون بالله خالقاً ومحيياً ومميتاً ويعبدون الأصنام ويدعونها آلهة مع أنهم كانوا يقولون الله ربنا وإلهنا يرزقنا فكانوا مشركين بذلك عن ابن عباس والجبائي (وثانيها) إنها نزلت في مشركي العرب إذ سألوا من خلق السماوات والأرض وينزل المطر قالوا الله ثم هم يشركون وكانوا يقولون في تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك عن الضحاك (وثالثها) أنهم أهل الكتاب آمنوا بالله واليوم الآخر والتوراة والإنجيل ثم أشركوا بإنكار القرآن وإنكار نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن الحسن وهذا القول مع ما تقدمه رواه دارم بن قبيصة عن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن جده عن أبي عبد الله (ع) (ورابعها) أنهم المنافقون يظهرون الإيمان ويشركون في السر عن البلخي (وخامسها) أنهم المشبهة آمنوا في الجملة وأشركوا في التفصيل وروي ذلك عن ابن عباس (وسادسها) إن المراد بالإشراك شرك الطاعة لا شرك العبادة أطاعوا الشيطان في المعاصي التي يرتكبونها مما أوجب الله عليها النار فأشركوا بالله في طاعته ولم يشركوا بالله شرك عبادة فيعبدون معه غيره عن أبي جعفر (ع) وروي عن أبي عبد الله أنه قول الرجل لولا فلان لهلكت ولولا فلان لضاع عيالي جعل لله شريكاً في ملكه يرزقه ويدفع عنه فقيل له لو قال لولا أن منَّ عليَّ بفلان لهلكت فقال لا بأس بهذا وفي رواية زرارة ومحمد بن مسلم وحمران عنهما (ع) أنه شرك النعم وروى محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الرضا (ع) قال أنه شرك لا يبلغ به الكفر ﴿ **أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله** ﴾ أي أفأمن هؤلاء الكفار أن يأتيهم عذاب من الله سبحانه يُعمُّهم ويحيط بهم وهي من غاشية السرج لأنها تعمه بالسر وإنما أتى بلفظة التأنيث على تقدير العقوبة أي عقوبة مجللة لجميعهم عن ابن عباس وقيل هو عذاب الاستئصال عن مجاهد وأبي مسلم وقيل هي الصواعق والقوارع عن الضحاك ﴿ **أو تأتيهم الساعة** ﴾ يعني القيامة ﴿ **بغتة** ﴾ أي فجأة على غفلة منهم ﴿ **وهم لا يشعرون** ﴾ بقيامها قال ابن عباس تهجم الصيحة بالناس وهم في أسواقهم .

﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم

[library stamp]

مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ
عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۚ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾

[**القراءة**] قرأ حفص عن عاصم إلا رجالاً نوحي إليهم بالنون حيث كان وقرأ الباقون يوحى بالياء وفتح الحاء أفلا تعقلون ذكرنا الخلاف فيه في سورة الأنعام .

[**الحجة**] قال أبو علي الوجه في النون قوله ﴿ **إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح** ﴾ والوجه في الياء قوله ﴿ **وأوحي إلى نوح** ﴾ وقل أوحي إليَّ .

[**اللغة**] السبيل الطريق وهو المكان المهيأ للسلوك ودين الإسلام طريق يؤدي إلى الجنة والسبيل يذكر ويؤنث قال :

فَلا تَبْعُدْ فَكُلُّ بَنِي أُناسٍ سَيَصْبَحُ سالِكاً تِلْكَ السَّبِيلا

والبصيرة ما يبصر به الشيء أي يعرف والسير المرور الممتد في جهة ومنه السير واحد السيور لامتداده في جهة .

[**المعنى**] ثم أمر سبحانه نبيَّه صلى الله عليه وآله وسلم أن يبيّن للمشركين ما يدعو إليه فقال ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهم ﴿ **هذه سبيلي** ﴾ أي طريقي وسنتي ومنهاجي عن ابن زيد وقيل معناه هذه الدعوة التي أدعو إليها ديني وطريقي عن مقاتل والجبائي ثم فسَّر ذلك بقوله ﴿ **إدعو إلى الله على بصيرة** ﴾ أي أدعو إلى توحيد الله وعدله ودينه على يقين ومعرفة وحجة قاطعة لا على وجه التقليد ﴿ **أنا ومن اتبعني** ﴾ أي أدعوكم أنا ويدعوكم أيضاً إليه من آمن بي ويذكر بالقرآن والموعظة وينهى عن معاصي الله قال ابن الأنباري ويجوز أن يتمَّ الكلام عند قوله ﴿ **أدعو إلى الله** ﴾ ثم ابتدأ وقال على بصيرة أنا ومن اتبعني وهذا معنى قول ابن عباس أنه يعني أصحاب محمد كانوا على أحسن طريقة ﴿ **وسبحان الله** ﴾ معناه تنزيهاً لله عما أشركوا وتقديره قل هذه سبيلي وقل سبحان الله وقيل أنه إعتراض بين الكلامين والواو فيه مثل قولك قال الله وهو منزه عن الشركاء سبحان الله ﴿ **وما أنا من المشركين** ﴾ الذين اتخذوا مع الله نِدّاً وكفواً وولداً وفي هذه الآية دلالة على فضل الدعاء إلى الله سبحانه وإلى توحيده وعدله ويعضد ذلك الحديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال العلماء أمناء الرسل على

عباده وفيها دلالة أيضاً على أنه (ع) كان يدعو إلى الله في كل أوقاته وإن كان يبين الشرائع في أوقات ما وفيها دلالة أيضاً على أن الواجب في السعي أن يكون على ثقة وبصيرة ودلالة قاطعة وذلك يوجب فساد التقليد ﴿ **وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى** ﴾ بيَّن سبحانه أنه إنما أرسل الرسل من أهل الأمصار لأنهم أرجح عقلاً وعلماً من أهل البوادي لبعد أهل البوادي عن العلم وأهله عن قتادة وقال الحسن لم يبعث الله نبياً قط من أهل البادية ولا من الجن ولا من النساء وذلك أن أهل البادية يغلب عليهم القسوة والجفاء وأهل الأمصار أحد فطناً ﴿ **أفلم يسيروا في الأرض** ﴾ أي أفلم يسر هؤلاء المشركون المنكرون لنبوتك يا محمد في الأرض ﴿ **فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم** ﴾ من الأمم المكذبين لرسلهم وكيف أهلكهم الله بعذاب الاستئصال فيعتبروا بهم ويحذروا مثل ما أصابهم ﴿ **ولدار الآخرة خير للذين إتقوا** ﴾ يقول هذا صنيعنا بأهل الإيمان والطاعة في دار الدنيا إذ أُهلكنا عدوَّهم ونجيّناهم من شرِّهم ولدار الآخرة خير لهم من دار الدنيا ونعيمها وروى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لشبر من الجنة خير من الدنيا وما فيها قال الزجاج قال الله سبحانه في غير هذا الموضع والدار الآخرة . فالآخرة نعت للدار لأن لجميع الخلق دارين الدار التي خلقوا فيها وهي الدنيا والدار الآخرة هي التي يعادون فيها خلقاً جديداً فإذا قال دار الآخرة فكأنه قال دار الحال الآخرة لأن للناس حالين حال الدنيا وحال الآخرة ومثل هذا في الكلام الصلاة الأولى وصلاة الأولى فمن قال الصلاة الأولى جعل الأولى نعتاً للصلاة ومن قال صلاة الأولى أراد صلاة الفريضة الأولى والساعة الأولى ﴿ **أفلا تعقلون** ﴾ أي أفلا يفهمون ما قيل لهم فيعلمون .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة وأبو جعفر كذبوا بالتخفيف وهي قراءة عليٍّ وزين العابدين

ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وزيد بن علي وابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير وعكرمة والضحاك والأعمش وغيرهم وقرأ الباقون كذّبوا بالتشديد وهي قراءة عائشة والحسن وعطا والزهري وقتادة وروي عن ابن عباس بخلاف ومجاهد بخلاف كذبوا بالتخفيف وفتح الذال والكاف وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب وسهل فنجي من نشاء بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء وقرأ الباقون فننجي من نشاء بنونين وتخفيف الجيم وسكون الياء وفي الشواذ عن ابن محيصن فنجا بفتح النون والجيم والتخفيف وعن عيسى الثقفي ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة برفع الأحرف الثلاثة والقراءة بنصبها .

[**الحجة**] قال أبو علي الضمير في ظنوا في قول من شدَّد كذبوا للرسل تقديره ظن الرسل أي تيقنوا أو ظنوا الظن الذي هو حسبان ومعنى كذبوا تلقوا بالتكذيب كقولهم جبنته خطأته وتكذيبهم إياهم يكون بأن يلقوا بذلك كقولهم له وأن نظنك لمن الكاذبين أو بما يدل عليه وإن خالفه في اللفظ ومن حجة التثقيل قوله ﴿ **فقد كذّبت رسل من قبلك** ﴾ وقوله ﴿ **وكذَّبوا رسلي** ﴾ وقوله ﴿ **ألا كذَّب الرسل** ﴾ وأما من خفف فقال كذبوا فهو من قولهم كذبتك الحديث أي لم أصدقك وفي التنزيل وقعد الذين كَذَبوا الله ورسوله وقياسه اذا اعتبر الخلاف أن يتعدى إلى مفعولين كما تعدى صدق في قوله﴿ **لقد صَدَق الله رسوله الرؤيا بالحق**﴾ **وقال الأعشى**

فَصَدَقْتُهُ وكَذَبْتُهُ وَالْمَرءُ يَنْفَعُهُ كِذابُهُ

قال سيبويه كذب يكذب كذباً وقالوا كِذاباً فجاءوا به على فِعال وقد خفَّفه الأعشى وقال ذو الرمة :

وَقَدْ حَلَفَتْ بِاللَّهِ مَيَّةُ مَا الَّذِي أقُولُ لَها إلاَّ الَّذِي أَنَا كَاذِبُهُ[1]

والضمير الذي في قوله وظنوا أنهم كذبوا للمرسل إليهم وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذَّبوهم فيما أخبروهم به من أنهم إن لم يؤمنوا أنزل بهم العذاب وإنما ظنّوا ذلك لما شاهدوه من إمهال الله إياهم وإملائه لهم فإن قلت كيف يجوز أن يحمل الضمير في ظنوا على أنه للمرسل إليهم الرسل والذين قد تقدَّم ذكرهم الرسل دون المرسل اليهم قيل إن ذلك لا يمتنع لأن ذكر الرسل يدل على المرسل إليهم لمقاربة إحدى الإسمين الآخر ولما في لفظ الرسل من

(١) مية : اسم امرأة و « ما » نافية أي ليس الذي أقول إلا كذباً .

الدلالة على المرسل إليهم وقد قال الشاعر :

أمِنْـكَ الْبَـرْقُ أرْقُبُـهُ فَهْـاجَـا فَبِـتُّ أخَـالُـهُ دَهْـمـاً خِـلاَجـا

أي بت أخال الرعد صوت دهم فاضمر الرعد ولم يجر له ذكر لدلالة البرق عليه لمقاربة لفظ كل واحد منهما للآخر وفي التنزيل سرابيل تقيكم الحرّ واستغنى عن ذكر البرد لدلالة الحرّ عليه وإن شئت قلت أن ذكرهم قد جرى في قوله ﴿ **أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم** ﴾ فيكون الضمير للذين من قبلهم من مكذبي رسل الله فإن ذهب ذاهب إلى أن المعنى ظن الرسل أن الذي وعد الله سبحانه أممهم على لسانهم قد كذبوا به فقد أتى عظيماً لا يجوز أن ينسب مثله إلى الأنبياء ولا إلى صالحي عباد الله تعالى وكذلك من زعم أن ابن عباس ذهب إلى أن الرسل قد ضعفوا فظنوا أنهم قد أخلفوا لأن الله تعالى لا يخلف الميعاد حدثنا أحمد بن محمد قال حدثنا المؤمل قال حدثنا إسماعيل بن علية عن أبي المعلى عن سعيد بن جبير في قوله ﴿ **حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا** ﴾ قال إن الرسل يئسوا من قومهم أن يؤمنوا وأن قومهم ظنوا أن الرسل قد كذبوا فيما قالوا لهم أتاهم نصر الله عند ذلك وأما قوله فنجيّ من نشاء فإن ننجي حكاية للحال لأن القصة مما قد مضى وإنما حكى فعل الحال كما كانت عليه كما أن قوله ﴿ **وإن ربك ليحكم بينهم** ﴾ حكاية للحال الكائنة وكما أن قوله ﴿ **ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين** ﴾ جاء على الحكاية للحال الكائنة ومن ذلك قوله ﴿ **وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد**﴾ فلولا حكاية الحال لم يعمل إسم الفاعل لأنه إذا مضى إختص وصار معهوداً فخرج بذلك من شبه الفعل ألا ترى أن الفعل لا يكون معهوداً فكما أن اسم الفاعل إذا وصف أو حقر لم يعمل عمل الفعل لزوال شبه الفعل عنه بالاختصاص الذي يحدثه فيه التحقير والوصف كذلك إذا كان ماضياً وأما النون الثانية من ننجي فهي مخفاة مع الجيم وكذلك النون مع سائر حروف الفم لا تكون إلا مخفاة قال أبو عثمان تبيينها معها لحن وللنون مع الحروف ثلاث أحوال الإدغام والإخفاء والبيان وإنما تدغم إذا كانت مع مقاربها كما يدغم سائر المقاربة فيما يقاربه والإخفاء فيها مع حروف الفم التي لا تقاربها والبيان فيها مع حروف الحلق فأما حذف النون الثانية من الخط فيشبه أن يكون لكراهة اجتماع المثلين فيه ألا ترى أنهم كتبوا مثل العليا والدنيا ويحيا ونحو ذلك بالألف فلولا اجتماعها مع الياء لكتبت بالياء كما كتبت حبلى ويخشى وما لم يكن فيه ياء من هذا النحو بالياء فكأنهم لما كرهوا إجتماع المثلين في الخط حذفوا النون وقوى ذلك أنه لا يجوز فيها إلا الاخفاء ولا يجوز فيها البيان فأشبه بذلك الإدغام لأن

الإخفاء لا يبين فيه الحرف المخفي كما أن الإدغام لا يبين فيه الحرف المدغم بيانه في غير الإدغام فلما وافق النون المدغم في هذا الوجه إستجيز حذفه من الخط ومن ذهب إلى أن النون الثانية مدغمة في الجيم فقد غلط لأنها ليست مثل الجيم ولا مقاربة لها وإذا خلا الحرف من هذين الوجهين لم يدغم فيما إجتمع معه ومن قرأ فنجي فإنه أتى على لفظ الماضي لأن القصة ماضية ويقوي ذلك أنه عطف عليه فعل مسند إلى المفعول به وهو قوله ﴿ **ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين** ﴾ ولو كان ننجي مسنداً إلى الفاعل كقول من خالفه لكان لا نرد بأسنا أشبه ليكون مثل المعطوف عليه ومن قرأ تصديق الذي بين يديه وما بعده بالرفع فيكون التقدير لكن هو تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء فحذف المبتدأ وبقي الخبر .

[**اللغة**] استيأس بمعنى يئس كأنه طلب اليأس لعلمه بامتناع الأمر والبأس الشدة وهو شدة الأمر على النفس ومنه البؤس الفقر ومنه لا بأس عليك والقصص الخبر يتلو بعضه بعضاً من اخبار من تقدم والعبرة الدلالة التي تعبر إلى البغية والالباب العقول واحدها لب وإنما سمي بذلك لأنه انفس شيء في الإنسان ولب كل شيء خياره .

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه وتعالى عن حال الرسل مع أممهم تسلية للنبي ﷺ فقال ﴿**حتى إذا استيأس الرسل**﴾ وهاهنا حذف يدل الكلام عليه وتقديره إنا اخّرنا العقاب عن الامم السالفة المكذبة لرسلنا كما اخّرناه عن امتك يا محمد حتى إذا بلغوا إلى حالة يأس الرسل عن إيمانهم وتحقق يأسهم باخبار الله تعالى إياهم ﴿**وظنوا انهم قد كذبوا**﴾ اي تيقن الرسل ان قومهم كذّبوهم تكذيباً عاماً حتى انه لا يصلح واحد منهم عن عائشة والحسن وقتادة وابي علي الجبائي ومن خفف فمعناه ظن الامم ان الرسل كذّبوهم فيما اخبروهم من نصر الله اياهم واهلاك اعدائهم عن ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد والضحاك وأبي مسلم وقيل يجوز ان يكون الضمير في ظنوا راجعاً إلى الرسل أيضاً ويكون معناه وعلم الرسل ان الذين وعدوهم الإيمان من قومهم اخلفوهم أو كذبوا فيما اظهروه من الإيمان وروي أن سعيد بن جبير والضحاك اجتمعا في دعوة فسئل سعيد بن جبير في هذه الآية كيف يقرأها فقال وظنوا انهم قد كذبوا بالتخفيف بمعنى وظن المرسل اليهم ان الرسل كذبوهم فقال الضحاك ما رأيت كاليوم قط لو رحلت في هذه إلى اليمن لكان قليلا وروي ان أبي مليكة عن ابن عباس قال كانوا بشراً فضعفوا ويئسوا وظنوا انهم قد اخلفوا ثم تلا قوله تعالى حتى يقول الرسول ﴿**والذين آمنوا معه متى نصر الله** ﴾ الآية وهذا بعيد وقد بيّنا ما فيه

﴿جاءهم﴾ أي جاء الرسل **﴿نصرنا﴾** حين يأسوا بارسال العذاب على الكفار **﴿فنجي من نشاء﴾** أي نخلّص من نشاءَ من العذاب عند نزوله وهم المؤمنون **﴿ولا يرد بأسنا﴾** أي عذابنا **﴿عن القوم المجرمين﴾** اي المشركين **﴿لقد كان في قصصهم﴾** أي في قصص يوسف واخوته **﴿عبرة﴾** أي فكرة وبصيرة من الجهل وموعظة وهو ما اصابه (ع) من ملك مصر والجمع بينه وبين ابويه واخوته بعد القائه في الجب وبيعه وحبسه وقيل في قصصهم عبرة لأن نبينا ﷺ لم يقرأ كتاباً ولا سمع حديثاً ولا خالط اهله ثم حدثهم به في حسن معانيه وبراعة الفاظه ومبانيه بحيث لم يرد عليه أحد من ذلك شيئاً فهذا من ادل الدلائل على صدقه وصحة نبوته **﴿لأولي الألباب﴾** أي لذوي العقول **﴿ما كان حديثاً يفترى﴾** أي ما كان ما أدّاه محمد أو أنزل عليه حديثاً يختلق كذباً **﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾** أي ولكن كان تصديق الكتب الذي بين يديه لأنه جاء كما بشّر به في الكتب عن الحسن وقتادة **﴿وتفصيل كل شيء﴾** أي وبيان كل شيء يحتاج إليه من الحلال والحرام وشرائع الإسلام **﴿وهدىً﴾** أي ودلالة **﴿ورحمة﴾** أي ونعمة ينتفع بها المؤمنون علماً وعملاً **﴿لقوم يؤمنون﴾** إنما خصّهم بذلك لأنهم المنتفعون به دون غيرهم وبالله التوفيق والعصمة وهو حسبنا ونعم الوكيل.

تمَّ الجزء الخامس من كتاب
مجمع البيان في علوم القرآن

وقد تصدّى لتصحيحه والتعليق عليه

العبد المذنب الفاني السيد هاشم الرسولي المحلاّتي

عفى عنه وعن والديه

بحق محمدّ وآله الطاهرين.

مجمع البيان

في

تفسير القرآن

لمؤلّفه

الشيخ ابي علي الفضل بن الحسن الطّبرسي

من أكابر علماء الإماميّة في القرن السّادس

تصحيح وتحقيق وتعليق

السيّد هاشم الرّسولي المحلاتي و السيّد فضل الله اليزدي الطباطبائي

عفا الله عنهما

الجزء السّادس

دار المعرفة

للطباعة والنشر

شبكة كتب الشيعة

shiabooks.net

mktba.net رابط بديل

جَمِيعُ الحُقوق مَحفوظَة للنّاشِر

دار المعرفة
لِلطبَاعَة وَالنشر وَالتوزيع
Publishing & Distributing
DAR EL-MAREFAH
مستديرة المطار - تجاه بنك ميكو - شارع البرجاوي ص.ب ٧٨٧٦ تلفون: ٨٣٤٣٠١-٨٣٤٣٣٢ - برقياً معرفكار بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

(١٣) سورة الرعد مدنية وآياتها ثلاث وأربعون

مكية كلها عن ابن عباس وعطاء وقال الكلبي ومقاتل مكية إلا آخر آية منها نزلت في عبد الله بن سلام وقال سعيد بن جبير كيف تكون هذه الآية نزلت في عبد الله بن سلام والسورة كلها مكية وقال الحسن وعكرمة وقتادة انها مدنية إلا آيتين نزلتا بمكة ولو ان قرآنا سيرت به الجبال وما بعدها.

[عدد آيها] اربعون وسبع آيات شامي وخمس بصري اربع حجازي ثلاث كوفي.

[اختلا فها]

خمس آيات لفي خلق جديد الظلمات والنور غير الكوفي الأعمى والبصير وسوء الحساب شامي من كل باب عراقي شامي.

[فضلها] أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة الرعد أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل سحاب مضى وكل سحاب يكون إلى يوم القيامة وكان يوم القيامة من الموفين بعهد الله تعالى وقال أبو عبد الله (ع) من اكثر قراءة الرعد لم يصبه الله بصاعقة ابداً وإن كان مؤمناً أدخل الجنة بغير حساب وشفع في جميع من يعرفه من أهل بيته واخوانه.

[تفسيرها] لما ختم الله سبحانه سورة يوسف بذكر قصص الأنبياء افتتح هذه السورة بأن جميع ذلك آيات الكتاب وأن الذي أنزله هو الحق تعالى فقال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ

ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾

ولم يعد أحد آلمرآية وعدَّ الكوفيون طه وحم آيـة لأن طه مشـاكلة لرؤوس الآي التي بعدها بالألف مع انه لا يشبه الاسم المفرد كما اشبه صاد وقاف ونون لأنها بمنزلة باب ونوح.

[**اللغة**] العُمُد والعَمَد جميعاً بمعنى واحد وهما جمع عمود وعماد إلا ان عُمُداً جمع عمود وعماد وعمداً اسم للجمع ومثله اديم وادم واهاب وأهب وافيق وأفق.

[**الإعراب**] الذي أُنزل يجوز أن يكون موضعه رفعاً على الابتـداء ويجوز أن يكـون موضعه[1] بالعطف على آيات الكتاب ويكون الحق مرفوعاً على اضمار هو ويجوز ان يكون في موضع جر بالعطف على الكتاب وتقديره تلك آيات الكتاب وآيات الذي أنزل اليك من ربك ويكون الحق مرفوعاً على الأضمار ويجوز أن يكون الحق مجروراً صفة للذي إذا جعلته عطفاً على الكتاب ولكنه لم يقرأ به أحد من القراء.

[**المعنى**] **﴿آلمر﴾** قد فسّرناه في اول البقرة وبيّنا ما قيل فيه وروي ان معناه انـا الله اعلم وأرى **﴿تلك آيات الكتاب﴾** أي هذه السورة هي آيات الكتاب التي تقـدَّم الوعـد بها ليست بمفتريات ولا بسحر والكتاب القرآن عن ابن عباس والحسن وقيل ان الكتاب عبـارة عن التوراة والانجيل عن مجاهد وقتادة ويكون تقديره تلك الاخبار التي قصصتها عليك آيات التوراة والانجيل والكتب المتقـدمة والآيـات الدلالات العجيبـة المؤدية إلى المعـرفة بـالله سبحانه وانه لا يشبه الأشيـاء ولا تشبهه **﴿والـذي أنزل اليـك من ربك الحق﴾** يعني وهـذا القرآن الذي أنزل اليك من ربك هو الحق فاعتصم بالله واعمل بما فيه وعلى القول الأول فإنه وصف القرآن بصفتين احداهما بأنه كتاب والأخرى بأنه منزل **﴿ولكن اكثر الناس لا يؤمنون﴾** أي لا يصدقون بأنه منزل وانه حق مع وضوحه **﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها﴾** لما ذكر الله سبحانه انهم لا يؤمنون عرف الدليل الذي يوجب التصديق بالخالق ويريد بالعمد

(١) [رفعاً] .

السواري والدعائم وقيل فيه قولان (أحدهما) ان المراد رفع السماوات بغير عمد وانتم ترونها كذلك عن ابن عباس والحسن وقتادة والجبائي وابي مسلم وهو الأصح قال ابن عباس يعني ليس من دونها دعامة يدعمها ولا فوقها علاقة تمسكها قال الزجاج وفي ذلك من القدر والدلالة ما لا شيء أوضح منه لأن السماء محيطة بالأرض متبرية منها بغير عمد (والآخر) ان يكون ترونها من نعت العمد فيكون المعنى بغير عمد مرئية فعلى هذا تعمدها قدرة الله عز وجل وروي ذلك عن ابن عباس ومجاهد ﴿**ثم استوى على العرش**﴾ قد مضى تفسيره وإذا حملنا الإستواء على معنى الملك والاقتدار فالوجه في ادخال ثم فيه ولم يزل سبحانه كذلك ان المراد اقتداره على تصريفه وتقليبه وإذا كان كذلك فلا يكاد القديم سبحانه يوصف به إلا وقد وجد نفس العرش ﴿**وسخر الشمس والقمر**﴾ أي ذللهما لمنافع خلقه ومصالح عباده ﴿**وكل يجري لأجل مسمى**﴾ اي كل واحد منهما يجري إلى وقت معلوم وهو فناء الدنيا وقيام الساعة التي تكور عندها الشمس ويخسف القمر وتنكدر النجوم عن الحسن وقال ابن عباس اراد بالأجل المسمى درجاتهما ومنازلهما التي ينتهيان اليها ولا يجاوزانها وللشمس مائة وثمانون منزلاً تنزل كل يوم منزلا حتى تنتهي إلى آخر المنازل فلا تجاوزه وترجع إلى أول المنازل وينزل القمر كل ليلة منزلاً حتى ينتهي إلى آخر منازله ﴿**يدبر الأمر**﴾ أي يدبر الله كل أمر من أمور السماوات والأرض وأُمور الخلق على وجه توجبه الحكمة وتقتضيه المصلحة ﴿**يفصل الآيات**﴾ اي يأتي بآية في اثر آية فصلاً فصلاً مميزاً بعضها عن بعض ليكون أمكن للاعتبار والتفكر وقيل معناه يبيّن الدلائل بما يحدثه في السماوات والأرض ﴿**لعلكم بلقاء ربكم توقنون**﴾ اي لكي توقنوا بالبعث والنشور وتعلموا أن القادر على هذه الاشياء قادر على البعث بعد الموت وفي هذا دلالة على وجوب النظر المؤدّي إلى معرفة الله تعالى وعلى بطلان التقليد ولولا ذلك لم يكن لتفصيل الآيات معنى .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ

﴿مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾

[**القراءة**] قد ذكرنا الاختلاف في قوله يغشى الليل والنهار في سورة الاعراف وقرأ ابن كثير وأبو عمر ويعقوب وحفص وزرع ونخيل صنوان أو غير صنوان جميعها بالرفع والباقون بالجر في الجميع وقرأ حفص صنوان بضم الصاد وكذلك رواية الحلواني عن القواس وقرأ الباقون بكسر الصاد وفي الشواذ قراءة الحسن وقتادة صنوان وقرأ يسقي بالياء ابن عامر وزيد ورويس عن يعقوب وقرأ الباقون تسقى بالتاء وقرأ اهل الكوفة غير عاصم وروح عن يعقوب ويفضل بالياء والباقون بالنون.

[**الحجة**] قال ابو علي من رفع قوله وزرع فتقديره وفي الارض زرع ونخيل صنوان فجعله محمولاً على قوله وفي الأرض قطع ولم يجعله محمولاً على ما في الجنات من الأعناب والجنة على هذا تقع على الأرض التي فيها الأعناب دون غيرها كما تقع على الأرض التي فيها الأعناب والنخيل دون غيرهما ويقوي ذلك قول زهير.

كَأَنَّ عَيْنَيَّ فِي غَرْبَيْ مُقَتَّلَةٍ ... مِنَ النَّوَاضِحِ تَسْقِي جَنَّةً سُحُقا[1]

فالمعنى تسقي نخيل جنة فأما من قرأ بالجرّ فإنه حمل النخيل والزرع على الأعناب فكأنه قال جنات من اعناب من زرع ونخيل والدليل على ان الأرض إذا كان فيها النخل والكرم والزرع سميت جنة قوله ﴿**جعلنا لأحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً**﴾ فكما سميت الأرض ذات العنب والنخل والزرع جنة كذلك يكون النخيل والزرع محمولين على الأعناب فتكون الجنة من هذه الأشياء ويقوي ذلك قوله.

أَقْبَلَ سَيْلٌ جَاءَ مِنْ أَمْرِ الله ... يَحْرِدُ حَرْدَ الْجَنَّةِ الْمُغِلَّهْ[2]

والغلة إنما هي ما يكال بالقفيز في اكثر الأمر قال والصنوان فيما يذهب إليه ابو عبيدة

(١) الغرب : الدلو العظمية. والناضحة: الناقة التي تسقي الماء. والمقتلة: المذللة لعمل من الأعمال. والسحق جمع السحوق: النخلة الطويلة.

(٢) قائله الراجز وفي اللسان: يريد: يقصد قصدها.

صفة للنخيل والمعنى ان يكون من اصل واحد ثم يتشعب من الرؤوس فيصير نخلاً ونخلين قال وقال يسقي بماء واحد لأنها تشرب من أصل واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل وهي التمر وأجاز غيره ان يكون الصنوان من صفة الجنات وكأنه يكون يراد به في المعنى ما في الجنات وإن جرى على لفظ الجنات وعلى هذا يجوز أن ترفع وإن جررت النخيل لأن الجنات مرفوعة ولم يحك هذا في قراءة السبعة واما الكسرة التي في صنوان فليست التي كانت في صنو كما ان الكسرة التي في قنو ليست في قنوان لأن تلك قد حذفت في التكسير وعاقبتها الكسرة التي يجتلبها التكسير وكذلك الكسرة التي في هجان وانت تريد الجمع ليست الكسرة التي كانت في الواحد ولكنه مثل الكسرة التي في ظراف إذا جمعت عليه ظريفاً واما من ضم الصاد من صنوان فإنه جعله مثل ذئب ودؤبان وربما تعاقب فِعلان وفُعلان على البناء الواحد نحو حش وحُشان وحِشان واما صَنوان بفتح الصاد فليست من أمثلة الجمع المكسر فإن صحَّ ذلك فإنه يكون اسما للجمع لا مثالاً له من أمثلة التكسير فيكون بمنزلة الجامل والسامر ومثله قولهم السعدان والضمران في الجمع ومن قرأ تسقى بالتاء فالمراد تسقى هذه الأشياء ومن قرأ بالياء حمله على الزرع وحده.

[**المعنى**] لمّا ذكر سبحانه وتعالى في الآية من نعمائه وآلائه على عباده في رفع السماوات وتسخير الشمس والقمر ودلَّ بذلك على وحدانيته عقَّبه بذكر الأرض وما فيها من الآيات فقال **﴿وهو الذي مدَّ الارض﴾** اي بسطها طولاً وعرضاً ليتمكن الحيوانات من الثبات فيها والاستقرار عليها **﴿وجعل فيها رواسي﴾** اي جبالاً ثوابت لتمسك الأرض ولو أراد أن يمسكها من غير جبال لفعل إلا انه امسكها بالرواسي لأن ذلك اقرب الى افهام الناس وادعى لهم إلى الاستدلال والنظر **﴿وانهاراً﴾** اي وشقَّ فيها انهاراً تجري فيها المياه ولولا الانهار لضاع اكثر المياه ولما امكن الشرب والسقي **﴿ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين﴾** اي وجعل في الأرض من كل الثمرات لمأكولهم ومطعومهم صنفين اسود وابيض وحلواً وحامضاً وصيفياً وشتوياً ورطباً ويابساً عن ابن عباس وقيل الزوج قد يكون واحداً وقد يكون اثنين يقال زوج نعل وزوج نعلين عن أبي عبيدة وإنما قال اثنين للتأكيد والزوج في الحيوانات عبارة عن الذكر والأنثى وفي الثمار عبارة عن لونين وقال الماوردي واحد الزوجين ذكر وأنثى كفحول النخل واناثها وكذلك كل جنس من النبات وإن خفي الزوج الآخر حلو وحامض أو عذب ومالح أو أبيض واسود أو أ أحمر واصفر فإن كل جنس من النبات ذو نوعين فصارت كل ثمرة زوجين هما اربعة انواع **﴿يغشي الليل والنهار﴾** اي يلبس ظلمة الليل ضياء النهار عن الحسن وقيل يدخل الليل في النهار والنهار في الليل عن ابن عباس وقيل معناه يأتي بالليل

ليذهب بضياء النهار ويستره ليسكن الحيوانات فيه ويأتي بضياء النهار ليمحو ظلام الليل وينصرف الناس فيه لمعايشهم ﴿إن في ذلك﴾ أي فيما سبق ذكره ﴿لآيات﴾ أي لدلالات واضحات على وحدانية الله تعالى ﴿لقوم يتفكرون﴾ فيها فيستدلون منها على ان لهم صانعاً ﴿وفي الأرض قطع متجاورات﴾ أي ابعاض متقاربات مختلفات في التفاضل منها جبل صلب ولا ينبت شيئاً ومنها سهل حر ينبته ومنها سبخة لا تنبت عن ابن عباس ومجاهد والضحاك بيَّن الله سبحانه باختلاف هذه الأرضين مع تجاورها وتقارب بعضها من بعض في الهيئة والمنظر انه قادر على كل شيء من الأصناف المختلفة والمؤتلفة ﴿وقيل﴾ انها متجاورات بعضها عامر وبعضها غير عامر عن الزجاج ﴿جنات﴾ أي بساتين ﴿من اعناب وزرع ونخيل صنوان﴾ أي نخلات من أصل واحد ﴿وغير صنوان﴾ أي نخلات من أصول شتى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والصنو الأصل يقال هذا صنوه أي اصله عن ابن الانباري وقيل ان الصنوان النخلة تكون حولها النخلات وغير صنوان النخل المتفرق عن البراء بن عازب وسعيد بين جبير وقيل الصنو المثل والصنوان الامثال ومنها قوله ﷺ عمُّ الرجل صنو أبيه عن الجبائي ﴿يسقي بماء واحد﴾ أي يسقي ما ذكرناه من القطع المتجاورة والجنات والنخيل المختلفة بماء الأنهار أو بماء السماء ﴿ويفضل بعضها على بعض في الأكل﴾ أي ويفضّل الله ومن قرأ بالنون فالمعنى نفضّل نحن بعضها على بعض في الطعم واللون والطبع مع أن البئر واحدة والشرب واحد والجنس واحد حتى يكون بعضها حامضاً وبعضها حلواً وبعضها مراً فلو كانت بالطبع لما اختلف الوانها وطعومها مع كون الأرض والماء والهواء واحداً وفي هذا أوضح دلالة على ان لهذه الأشياء صانعاً قادراً أحدثها وأبدعها ودبَّرها على ما تقتضيه حكمته والأكل الثمر الذي يؤكل ﴿إن في ذلك﴾ أي في اختلاف الوانها وطعومها عن ابن عباس وقيل ان فيما تقدم ذكره ﴿لآيات﴾ أي حججاً ودلالات ﴿لقوم يعقلون﴾ دلائل الله تعالى ويتفكرون فيها ويستدلون بها وروي عن جابر قال سمعت النبي ﷺ يقول لعلي (ع) الناس من شجر شتى وانا وانت من شجرة واحدة ثم قرأ وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من اعناب الآية.

﴿ ۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ۝٥

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ
ٱلْمَثُلَٰتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن
رَّبِّهِۦٓ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر إذا كنا بغير استفهام إنّا بهمزة واحدة مطولة وكذلك يفعل بكل استفهامين يجتمعان في القرآن يستفهم بالثاني ولا يستفهم بالأول الا في سورة الصافات والواقعة واما نافع ويعقوب وسهل فإنهم يستفهمون بالاول بهمزة واحدة غير مطولة ولا يستفهمون بالثاني إلا في سورة النمل والعنكبوت إلا ان قالون عن نافع وزيداً عن يعقوب يمدان الهمزة مثل ابي جعفر والكسائي ايضاً يستفهم بالاول ولايستفهم بالثاني إلا في سورة النمل غير انه يهمز بهمزتين وابن عامر مثل ابي جعفر لا يستفهم في إذا كل القرآن إلا في سورة الواقعة فإنه يستفهم في أئذا وأئنا جميعاً بمهزتين همزتين بينهما مد آإنا يهمز ثم يمد ثم يهمز على وزن عاعنا ولا يجمع بين استفهامين إلا هاهنا وفي سورة النمل يستفهم أإذا بهمزتين أئننا بنونين والكسائي مثله في هذا الموضع وأبو عمرو يستفهم فيهما جميعاً وفي جميع اشباههما بهمزة واحدة مطولة وابن كثير يستفهم فيهما جميعاً بهمزة واحدة غير مطولة وعاصم وحمزة وخلف يستفهمون فيهما بهمزتين همزتين كل القرآن وخالف ابن كثير وحفص عن عاصم في حرف واحد في العنكبوت وسنذكره هناك إن شاء الله .

[**الحجة**] قال أبو علي من استفهم في الجملتين فموضع إذا نصب بفعل مضمر يدل على قوله أإنا لفي خلق جديد لأن هذا الكلام يدل على نبعث ونحشر فكأنه قال انبعث إذا كنا تراباً ومن لم يدخل الاستفهام في الجملة الثانية كان موضع إذا أيضاً نصباً بما دلَّ عليه قوله﴿أإنا لفي خلق جديد﴾ فكأنه قال انبعث إذا كنا تراباً وما بعد أن في انه لا يجوز أن يعمل فيما قبله بمنزلة الاستفهام فكما قدرت هذا الناصب لإذا مع الاستفهام لأن الاستفهام لا يعمل فيما قبله كذلك تقدره في ان لأن ما بعدها ايضاً لا يعمل فيما قبلها ومن قرأ إذا كنا من غير استفهام أئنا ينبغي ان يكون على مضمر كما حل من تقدم على ذلك لأن ما بعد الاستفهام منقطع مما قبله .

[**اللغة**] العجب والتعجب هجوم ما لا يعرف سببه على النفس والغل طوق تشدُّ به

اليد إلى العنق والاستعجال طلب التعجيل بالأمر والتعجيل تقديم الأمر قبل وقته والسيئة خصلة تسوء النفس ونقيضها الحسنة وهي خصلة تسرُّ النفس والمثلات العقوبات واحدها مَثُلة بفتح الميم وضم الثاء ومن قال في الواحد مُثْله بضم الميم وسكون الثاء قال في الجمع مُثُلات بضمتين نحو غُرْفة وغُرُفات وقيل في جمعها مُثَلات ومُثْلات أيضاً قال الشاعر :

وَلَـمّـا رَأَوْنـا بـادِيـاً رُكَـبـاتِـنـا عَلىٰ مَـوْطِنٍ لا يُخْلَطُ الْجِـدُّ بِـالْهَـزْلِ

رووه بفتح الكاف في ركبات.

[**المعنى**] لما تقدَّم ذكر الأدلة على انه سبحانه قادر على الانشاء والاعادة عقَّبه بالتعجب من تكذيبهم بالبعث والنشور فقال ﴿**وان تعجب**﴾ يا محمد من قول هؤلاء الكفار في انكارهم البعث مع اقرارهم بابتداء خلق الخلق فقد وضعت التعجب موضعه لأن هذا قول عجب ومعناه عجب للمخلوقين فإن معنى العجب في صفات الله لا يجوز لأن العجب ان يشتبه عليه سر أمره فيستطرفه ﴿**فعجب قولهم**﴾ أي فقولهم عجب ﴿**أإذا كنا تراباً أئنا لفي خلق جديد**﴾ أي انبعث ونعاد بعدما صرنا تراباً هذا مما لا يمكن وهذا منهم نهاية في الأعجوبة فإن الماء إذا حصل في الرحم استحال علقة ثم مضغة ثم لحماً فإذا مات ودفن استحال تراباً فإذا جاز ان يتعلق الإنشاء بالاستحالة الاولى فلم لا يجوز تعلقه بالاستحالة الثانية وسمّى الله تعالى الاعادة خلقاً جديداً واختلف المتكلمون فيما يصح عليه الاعادة فقال بعضهم كلما يكون مقدوراً للقديم سبحانه خاصة ويصحُّ عليه البقاء يصحُّ عليه الإعادة ولا يصح الإعادة على ما لا يقدر على جنسه غيره تعالى وهذا قول أبي علي الجبائي وقال آخرون كلما كان مقدوراً له وهو مما يبقى يصح عليه الاعادة وهو قول ابي هاشم ومن تابعه فعلى هذا يصح إعادة أجزاء الحياة ثم اختلفوا فيما يجب إعادته من الحي فقال أبو القسم البلخي يعاد جميع اجزاء الشخص وقال أبو هاشم يعاد الاجزاء التي بها يتميز الحي من غيره ويعاد التأليف ثم رجع عن ذلك وقال تعاد الحياة مع البنية وقال القاضي أبو الحسن تعاد البنية وما عدا ذلك يجوز فيه التبديل وهذا هو الاصح ﴿**اولئك**﴾ المنكرون للبعث ﴿**الذين كفروا بربهم**﴾ اي جحدوا قدرة الله تعالى على البعث ﴿**وأولئك الاغلال في اعناقهم**﴾في الآخرة وقيل أراد به اغلال الكفر أي كفرهم اغلال في اعناقهم ﴿**واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون**﴾ مضى تفسيره ﴿**ويستعجلونك**﴾ أي يستعجلك يا محمد هؤلاء المشركون ﴿**بالسيئة قبل الحسنة**﴾ أي بالعذاب قبل الرحمة عن ابن عباس ومجاهد أي بالعقاب الذي توعدوا به على التكذيب قبل الثواب الذي وعدوا به على الإيمان وذلك حين قالوا فأمطر علينا حجارة من

السماء وقيل يستعجلونك بالعذاب الذي توعدهم به قبل الإحسان بالانظار فإن انظار من وجب عليه العقاب احسان اليه كانذار من وجب عليه الدّين وسمّاها سيئة لانها جزاء السيئة **﴿وقد خلت من قبلهم﴾** أي مضت من قبلهم **﴿المثلات﴾** أي العقوبات التي يقع بها الاعتبار وهو ما حلَّ بهم من المسخ والخسف والغرق وقد سلك هؤلاء طريقتهم فكيف يتجاسرون على استعجالها وقيل هي العقوبة الفاضحة التي تسير بها الامثال وتقديره وقد خلت المثلات باقوام أو خلا اصحاب المثلات فحذف المضاف **﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾** قال المرتضى (ره) في هذه الآية دلالة على جواز المغفرة للمذنبين من اهل القبلة لانه سبحانه دلّنا على انه يغفر لهم مع كونهم ظالمين لأن قوله على ظلمهم اشارة إلى الحال التي يكونون عليها ظالمين ويجري ذلك مجرى قول القائل أنا اودُّ فلاناً على غدره وأصله على هجره **﴿وان ربك لشديد العقاب﴾** لمن استحقّه وروي عن سعيد بن المسيب قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ أحداً العيش ولولا وعيد الله وعقابه لاتكل كل واحد وتلا مطرف يوماً هذه الآية فقال لو يعلم الناس قدر رحمة الله وعفو الله وتجاوز الله لقرت اعينهم ولو يعلم الناس قدر عذاب الله وبأس الله ونكال الله ونقمة الله ما رقأ لهم دمع ولا قرت اعينهم بشيء **﴿ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه﴾** مثل الناقة والعصا عن ابن عباس وقال الزجاج طلبوا غير الآيات التي اتى بها فالتمسوا مثل آيات موسى وعيسى فاعلم الله أن لكل قوم هاد والمعنى انه سبحانه بيَّن سوء طريقتهم في اقتراح الآيات كما في قوله لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً إلى قوله أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً وكما قالوا اجعل الصفا لنا ذهباً حتى نأخذ منه ما نشاء وإنما لم يظهر الله تعالى تلك الآيات لأنه لو اجاب أولئك لاقترح قوم آخرون آية أخرى وكذلك كل كافر فكان يؤدّي إلى غير نهاية **﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾** فيه أقوال (أحدها) ان معناه إنما انت منذر اي مخوِّف وهاد لكل قوم وليس إليك انزال الآيات عن الحسن وابي الضحى وعكرمة والجبائي وعلى هذا فيكون انت مبتدأ ومنذر خبره وهاد عطف على منذر وفصّل بين الواو والمعطوف بالظرف (والثاني) ان المنذر هو محمد والهادي هو الله تعالى عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك ومجاهد (والثالث) أن معناه إنما أنت منذر يا محمد ولكل قوم هاد نبي يهديهم وداع يرشدهم عن ابن عباس في رواية اخرى وقتادة والزجاج وابن زيد (والرابع) ان المراد بالهادي كل داع إلى الحق وفي رواية اخرى عن ابن عباس قال لما نزلت الآية قال رسول الله انا المنذر وعليٌّ الهادي من بعدي يا علي بك يهتدي المهتدون وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني في كتاب شواهد التنزيل بالإسناد عن إبراهيم بن الحكم بن ظهير عن أبيه

عن حكم بن جبير عن ابي بردة الأسلمي قال دعا رسول الله ﷺ بالطهور وعنده علي بن أبي طالب فأخذ رسول الله بيد علي بعد ما تطهر فألزمها بصدره ثم قال إنما أنت منذر ثم ردَّها إلى صدر علي ثم قال ولكل قوم هاد ثم قال انك منارة الأنام وغاية الهدى وامير القرى واشهد على ذلك انك كذلك وعلى هذه الأقوال الثلاثة يكون هاد مبتدأ ولكل قوم خبره على قول سيبويه ويكون مرتفعاً بالظرف على قول الأخفش.

﴿ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۚ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾

[**القراءة**] في الشواذ قراءة ابي البرهسم[١] له معاقيب من بين يديه ورقباء من خلفه يحفظونه بأمر الله وروي عن أبي عبد الله (ع) له معقبات من خلفه ورقيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله وروي عن علي (ع) وابن عباس وعكرمة وزيد بن علي يحفظونه بأمر الله.

[**الحجة**] يجب أن يكون معاقيب تكسير مُعَقِّبَه غير انه لما حذف احد القافين عوض منها الياء وقوله يحفظونه بأمر الله فمعناه يحفظونه مما يحاذره بأمر الله والمفعول هنا محذوف

(١) أبي البرهسم كفرجل عنوان بن عثمان الزبيدي الشامي صاحب القراآت الشاذة كما عن القاموس.

قال ابن جني وأما قراءة الجماعة يحفظونه من أمر الله فتقديره له معقبات من أمر الله يحفظونه مما يخافه فمِن على هذا مرفوعة الموضع لأنها صفة للمرفوع الذي هو معقبات وليس هـذا على معنى يحفظونه من أمر الله ان ينزل به لأنه لو كان كذلك لكانت منصوبة الموضع كقولك حفـظت زيداً من الاسـد والذي ذكـرته رأي ابي الحسن فـإن قلت فهلا كـان تقديـره على يحفظونه من أمر الله بأمر الله ويستدل على ارادة الباء هنا بقراءة علي (ع) يحفظونه بأمر الله وجاز ان يكون يحفظونه بأمر الله لأن هذه المصائب كلها في علم الله وبإقداره فاعليها عليها فيكون هذا كقولك هربت من قضاء الله بقضاء الله قيل تأويل ابي الحسن اذهب في الاعتداد عليهم وذلك لأنه سبحانه وكَّل بهم من يحفظهم من حـوادث الدهـر ومخاوفـه التي لا يعتد عليهم بتسليطها عليهم فهذا اسهل طريقاً وارسخ في الاعتداد بالنعمة عليهم عرفاً.

[**اللغة**] الغيض ذهاب المائع في جهة العمق وغاضت المياه نقصت وغَيَّضْتُه نقصته قال:

غَـيَّـضْـنَ مِـنَ عَـبَـراتِـهِـنَّ وَقُـلْنَ لـي ... مـاذا لَـقَـيْـتَ مِـنَ الـهَـوى وَلَـقـيـنـا

المتعالي والعالي واحد وتعالى اي جلَّ عن كل ثناء وقيل المتعالي المقتدر على وجه يستحيل ان يساويه غيره والسارب الساري الجاري بسرعة والسَرَب بفتح السين والراء الماء السائل من المزادة قال ذو الرمة .

مَـا بـالُ عَيْنِـكَ مِنْهـا الـمـاءُ يَنْسَكِبُ ... كَـأَنَّـهُ مِـنَ كُلي مَـفْـرِيَّـةٍ سَـرَبُ(١)

وقيل السارب الذاهب في الأرض ومنه قول قيس بن الحطيم ﴿**اني سربت وكنت غير سروب**﴾ ويقال خلَّ سربـه أي طريقـه والمعقبات المتنـاوبات التي يخلف كـل واحد منهـا صاحبه ويكون بدلاً منه وأصل التعقيب ان يكون الشيء عقيب آخر والمعقب الطالب دينه مرة بعد مرة قال الشاعر:

حَتّى تَـهَـجَّـرِ فـي الـرَّواحِ وَهـاجَهـا ... طَـلَبَ الْمُـعَـقِّـبِ حَـقَّـه الـمَـظْلُومُ(٢)

---

(١) كلية الاداوة: الرقعة التي تحت عروتها وجمعها الكلى. والمفرية: المنشقة.

(٢) هذا بيت من قصيدة للبيد بن ربيعة في وصف حمار وحش واتانه شبه به ناقته. وتهجر أي سـار في الهاجـرة وهي نصف النهار عند اشتداد الحر. والرواح من زوال الشمس الى الليل . وهـاجها اي اثـارها وازعجهـا. يعني هذا الحمار يسوق اتانه امامه سوقاً عنياً وهو ملازم لها من خلفها كطالب دين مظلوم. والمظلوم نعت للمعقب ومرفوع باعتبار محله الذي هو الرفع بالفاعلية.

ومنه العِقاب لأنه يستحق عقيب الجرم والعُقاب لأنها تعقب الصيد تطلبه مرة بعد مرة وقيل إن واحد المعقبات معقب والجمع معقبة ومعقبات جمع الجمع كما قالوا رجالات عن الفراء.

[الاعراب] ما في قوله ما تحمل وما تغيض وما تزداد استفهامية وموضعها نصب بالفعل الذي بعدها معناه ايّ شيء تحمل والجملة معلقة بيعلم قال الزجاج سواء منكم من اسرَّ القول ومن جهر به موضع من رفع بسواء وكذلك من الثانية يرتفعان جميعاً بسواء لأن سواء يطلب اثنين تقول سواء زيد وعمرو في معنى ذو سواء لأن سواء مصدر فلا يجوز ان يرتفع ما بعده إلا على الحذف تقول عدل زيد وعمرو والمعنى ذو عدل زيد وعمرو لأن المصادر ليست باسماء الفاعلين وإنما ترفع الاسماء أوصافها فإذا رفعتها المصادر فهي على الحذف كما قالت الخنساء .

تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتّى إذا ادَّكَرَتْ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ[1]

أي ذات اقبال وادبار وكذلك زيد اقبال وادبار وهذا مما كثر استعماله اعني سواء فجرى مجرى اسماء الفاعلين ويجوز ان يرتفع على أن يكون في موضع مستوى الا ان سيبويه يستقبح ذلك لا يجيز مستو زيد وعمرو لأن اسماء الفاعلين عنده إذا كانت نكرة لا يبتدأ بها لضعفها عن الفعل فلا يبتدأ بها ويجريها مجرى الفعل.

[المعنى]﴿الله يعلم ما تحمل كل أُنثى﴾ أي يعلم ما في بطن كل حامل من ذكر أو أُنثى تام أو غير تام ويعلم لونه وصفاته ﴿وما تغيض الارحام﴾ أي يعلم الوقت الذي تنقصه الارحام من المدة التي هي تسعة اشهر ﴿وما تزداد﴾ على ذلك عن اكثر المفسرين وقال الضحاك الغيض النقصان من الأجل والزيادة ما يزداد على الأجل وذلك ان النساء لا يلدن لأجل واحد وقيل يعني بقوله ما تغيض الارحام الولد الذي تأتي به المرأة لأقل من ستة اشهر وما تزداد الولد الذي تأتي به المرأة لأقصى مدة الحمل عن لحسن وقيل معناه ما تنقص الأرحام من دم الحيض وهو انقطاع الحيض وما تزداد بدم النفاس بعد الوضع عن ابن عباس بخلاف وابن زيد ﴿وكل شيء﴾ أي وكل شيء من الرزق أو الأجل أو ما سبق ذكره من الحمل ﴿عنده بمقدار﴾ أي بقدر واحد لا يجاوزه ولا يقصر عنه على ما توجبه الحكمة ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ أي عالم بما غاب عن حسّ العباد وبما يشاهده العباد لا يغيب عنه

---

(١) مر البيت في الجزء الخامس

شيء وقيل عالم بالمعدوم والموجود والغيب هو المعدوم وقيل عالم السر والعلانية عن الحسن والأولى أن يحمل على العموم ويدخل في هاتين الكلمتين كل معلوم نبّه سبحانه بذلك على انه عالم بجميع المعلومات الموجودات منها والمعدومات منها **﴿الكبير﴾** وهو السيد الملك القادر على جميع الأشياء وقيل هو الذي كل شيء دونه لكمال صفاته ولكونه عالماً لذاته قادراً لذاته حياً لذاته وقيل هو الذي كبر عن شبه المخلوقين **﴿المتعال﴾** وهو الذي علا كل شيء بقدرته فلا يساويه قادر وقيل هو المنزه عما لا يجوز عليه في ذاته وفعله وعما يقوله المشركون **﴿سواء منكم من أسرَّ القول ومن جهر به﴾** معناه سواء عند الله وفي علمه من أسرَّ القول في نفسه وأخفاه ومن اعلنه وأبداه ولم يضمره في نفسه **﴿ومن هو مستخف بالليل وسارت بالنهار﴾** أي ومن هو مستتر متوار بالليل ومن هو سالك في سربه أي في مذهبه ماض في حوائجه بالنهار معناه انه يرى ما اخفته ظلمة الليل كما يرى ما اظهره ضوء النهار بخلاف المخلوقين الذين يخفي عليهم الليل احوال أهله وقال الحسن معناه ومن هو مستتر بالليل ومن هو مستتر بالنهار وصحح الزجاج هذا القول لأن العرب تقول انسرب الوحش إذا دخل في كناسه **﴿له معقبات﴾** اختلف في الضمير الذي في له على وجوه (أحدها) انه يعود إلى مَنْ في قوله مَنْ أسرَّ القول ومَنْ جهر به (والآخر) انه يعود إلى اسم الله تعالى وهو عالم الغيب والشهادة (وثالثها) انه يعود إلى النبي ﷺ في قوله إنما انت منذر عن ابن زيد واختلف في المعقبات على اقوال (أحدها) انها الملائكة يتعاقبون تعقب ملائكة الليل ملائكة النهار وملائكة النهار ملائكة الليل وهم الحفظة يحفظون على العبد عمله عن الحسن وسعيد بن جبير وقتادة ومجاهد والجبائي وقال الحسن هم اربعة املاك يجتمعون عند صلاة الفجر وهو معنى قوله إن قرآن الفجر كان مشهوداً وقد روي ذلك عن أئمتنا (ع) أيضاً (والثاني) انهم ملائكة يحفظونه من المهالك حتى ينتهوا به إلى المقادير فيحيلون بينه وبين المقادير عن علي (ع) وابن عباس وقيل هم عشرة املاك على كل آدمي يحفظونه (والثالث) انهم الأمراء والملوك في الدنيا الذين يمنعون الناس عن المظالم وتكون لهم الاحراس والشرط والمواكب يحفظونه عن عكرمة والضحاك وروي أيضاً عن ابن عباس وتقديره ومن هو سارب بالنهار له احراس وأعوان قدر انهم يحرسونه ولم يتجه احراسه من الله **﴿من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾** أي يطوفون به كما يطوف الموكل بالحفظة وقيل يحفظون ما تقدم من عمله وما تأخر إلى أن يموت فيكتبونه عن الحسن وقيل يحفظونه من وجوه المهالك والمعاطب ومن الجن والانس والهوام وقال ابن عباس يحفظونه مما لم يقدر نزوله فإذا جاء المقدر بطل الحفظ وقيل من أمر الله أي بأمر الله عن الحسن ومجاهد والجبائي وروي ذلك عن

ابن عباس وهذا كما يقال هذا الأمر بتدبير فلان ومن تدبير فلان وقيل معناه يحفظونه عن خلق الله فتكون من بمعنى عَنْ كما في قوله وآمنهم من خوف أي عن خوف قال كعب: لولا ان الله وكَّل بكم ملائكة يذبُّون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفنكم الجن **﴿إن الله لا يغير ما بقوم﴾** من النعمة والحال الجميلة **﴿حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾** من الطاعة فيعصون ربهم ويظلم بعضهم بعضاً قال ابن عباس إذا أنعم الله على قوم فشكروها زادهم وإذا كفروها سلبهم اياها وإلى هذا المعنى اشار امير المؤمنين (ع) بقوله إذا اقبلت عليكم اطراف النعم فلا تنفروا اقصاها بقلة الشكر **﴿وإذا أراد الله بقوم سوء﴾** أي عذاباً وإنما سماه سوءاً لأنه يسوء **﴿فلا مردَّ له﴾** أي لا مدفع له وقيل معناه إذا أراد الله بقوم بلاء من مرض وسقم فلا مرد لبلائه **﴿وما لهم من دونه من وال﴾** يلي امرهم ويمنع العذاب عنهم .

[**النظم**] اتصلت الآية الاولى بقوله وإن تعجب الآية فإنه احتجاج للبعث والمعنى أن من كان بهذه الصفة في القدرة والعلم فإنه يقدر على البعث وقيل انها اتصلت بقوله ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقوله لولا انزل عليه آية من ربه يعني ان من يعلم غوامض الأمور فهو اعلم بالمصالح ولو علم الصلاح في انزال العذاب أو الآية لفعل عن البلخي وأبي مسلم وقوله له معقبات يتصل بقوله وسارب بالنهار عن الجبائي وقيل يتصل بقوله عالم الغيب والشهادة ويعلم ما تحمل كل انثى أي كما يعلمهم جعل عليهم حفظه يحفظونهم وقيل يتصل بقوله إنما انت منذر يعني انه (ع) محفوظ بالملائكة واتصل قوله إن الله لا يغير ما بقوم إلى آخره بقوله ويستعجلونك بالعذاب يعني انه لا ينزل العذاب إلا بمن يعلم من جهتهم التغير حتى لو علم أن فيهم من يؤمن في المستقبل أو يعقب مؤمناً لا ينزل العذاب وقيل بل اتصلت بالسارب بمعنى انه إذا اتى بالمعصية بطل به حفظه وحاق به عقابه وقيل بل هو على الاطلاق والعموم .

﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ

مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ
لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي
ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا
وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿١٥﴾

[**القراءة**] في الشواذ قراءة الأعرج شديد المحال بفتح الميم وقراءة ابي مجلز بالغدو والايصال.

[**الحجة**] قال ابن جني المحال مفعل من الحيلة قال ابو زيد يقال ما له حيلة ولا محالة فيكون تقديره شديد الحيلة وتفسيره قوله سبحانه سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقوله ومكروا ومكر الله والايصال مصدر آصلنا أي دخلنا في وقت الأصيل ونحن موصلون.

[**اللغة**] يقال اراه يريه اراءة وهو أن يجعله على صفة الرؤية باظهار المرئي له أو يجعله على صفة يرى والسحاب جمع سحابة ولذلك قال الثقال ولو قيل الثقيل لجاز والصواعق جمع صاعقة وهي نار تسقط من السماء والرعد والبرق ذكرنا معناهما في اول البقرة والمحال الأخذ بالعقاب هاهنا فقال ماحله مماحلة ومحالاً إذا قاواه حتى يتبين ايهّما أشد ومحلت به محلا قال الأعشى:

فَرْعُ نَبْعٍ يَهْتَزُّ في غُصُنِ الْمَجْدِ غَزِيرِ النَّدىَ شَدِيدِ المِحَالِ(١)

والاستجابة والإجابة بمعنى غير ان في الاستجابة معنى الطلب قال (فَلَم يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذاكَ مُجِيبُ)(٢) والظلال جمع الظل وهو ستر الشخص ما بازائه والظل الظليل وهو ستر الشمس اللازم واما الفيء فهو الذي يرجع بعد ذهاب ضوئه ومنه الظلة لسترها والآصال جمع أُصُل وأُصُل جمع اصيل فهو جمع الجمع مأخوذ من الأصل فكأنه اصل الليل الذي ينشأ منه وهو ما بين العصر إلى مغرب الشمس وقد يقال في جمعه اصائل قال ابو ذؤيب.

لَعَمْري لأنْتَ الْبَيْتَ أكْرَمُ أهْلِهِ وَأقْعَدُ في أفْنَائِهِ بِالأصَائِلِ

---

(١) النبع شجر تتخذ من أغصانه القسي والسهام.

(٢) قائله كعب بن سعد الغنوي يرثي أخاه أبي المغوار. وقبله «وداع دعا يا من يجيب الى الندى».

[**الاعراب**] خوفاً وطمعاً لا ينتصبان على الغرض لأن ما ينتصب لذلك يجب ان يكون فاعله وفاعل الفعل الأول واحداً وهاهنا الخائف والطامع ليسا بالذي يرى البرق وهما في قوله يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ينتصبان على الغرض لأن الخائف والطامع هناك هو الداعي فاعلمه فإنه جيد مفيد والمعنى هاهنا يخوّفكم بما يريكم خوفاً ويطمعكم طمعاً فالمصدر وقع موقع الحال وهم يجادلون في الله جاز أن تكون هذه الواو والحال أي يصيب بها من يشاء في حال جدالهم في الله لأنه جاء في التفسير أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فجادله فقال يا محمد ممَّ ربك أمن نحاس أم من حديد أم من لؤلؤ أم من ياقوت أم من ذهب أم من فضة فأرسل الله عليه صاعقة ذهب بقِحْفِه(١) وهو قول انس بن مالك ومجاهد ويجوز ان يكون لما تمم الله أوصاف ما يدل على توحيده وقدرته قال بعد ذلك وهم يجادلون والكاف من قوله كباسط كفيه يتعلق بصفة مصدر تقديره إلا استجابة كائنة كاستجابة باسط كفيه إلى الماء هذا إذا كان الكاف حرفاً وإذا كان اسماً محضاً فالتقدير إلا استجابة مثل استجابة باسط كفيه إلى الماء فلا يكون في الكاف ضمير أي كما يستجيب الماء باسط كفيه اليه واللام في قوله ليبلغ فاه يتعلق بباسط كفيه وما هو ببالغه أي ما الماء ببالغ فاه وقيل ما فوه ببالغ الماء وقيل ما باسط كفيه إلى الماء ببالغ الماء وطوعاً وكرهاً مصدران وضعا موضع الحال.

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه عن كمال قدرته فقال ﴿**هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً**﴾ أي تخويفاً واطماعاً فأقام الخوف والطمع مقام التخويف والاطماع وذكر فيه وجوه (أحدها) أن المعنى خوفاً من الصواعق التي يكون معها وطمعاً في الغيث الذي يزيل القحط عن الحسن وأبي مسلم (والثاني) خوفاً للمسافر من أن يضل الطريق فلا يمكنه المسير وطمعاً للمقيم في نمو الزرع والخير الكثير عن قتادة والضحاك والجبائي (الثالث) خوفاً لمن يخاف ضرَّ المطر لأنه ليس كل بلد ينتفع فيه بالمطر وطمعاً لمن يرجو الانتفاع به عن الزجاج ﴿**وينشىء السحاب الثقال**﴾ أي ويخلق السحاب الثقال بالماء يرفعها من الأرض فيجريها في الجو ﴿**ويسبح الرد بحمده**﴾ تسبيح الرعد دلالته على تنزيه الله تعالى ووجوب حمده فكأنه هو المسبح وقيل إن الرعد هو الملك الذي يسوق السحاب ويزجره بصوته وهو يسبح الله تعالى ويحمده وروي عن النبيﷺ انه قال إن ربكم سبحانه يقول لو أن عبادي اطاعوني لاسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد وكان ﷺ إذا سمع صوت الرعد قال سبحان من يسبِّح الرعد بحمده وكان ابن عباس يقول

(١) القحف ـ بالكسر ـ ما انفلق من الجمجمة.

سبحان الذي سبحت له وروى سالم بن عبد الله عن أبيه قال كان رسول الله ﷺ إذا سمع الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وقال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فإن أصابته صاعقة فعلي دينه **﴿والملائكة من خيفته﴾** أي ويسبِّح الملائكة من خيفة الله تعالى وخشيته قال ابن عباس إنهم خائفون من الله تعالى ليس كخوف ابن آدم لا يعرف احدهم من على يمينه ومن على يساره ولا يشغله عن عبادة الله طعام ولا شراب ولا شيء **﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء﴾** ويصرفها عمن يشاء إلا أنه حذف وروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام ان الصواعق تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب ذاكراً **﴿وهم يجادلون في الله﴾** يعني ان هؤلاء الجهال مع مشاهدتهم لهذه الآيات يخاصمون أهل التوحيد ويحاولون فتلهم[1] عن مذاهبهم بجدالهم لأن معنى الجدال فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس انه عني بذلك أربد بن قيس اخا لبيد بن ربيعة العامري لأمّه وعامر بن طفيل وذلك أنهما أتيا النبي ﷺ يجادلانه ويريدان الفتك به وكان عامر اوصى إلى أربد إذا رأيتني أكلّمه فدر من خلفه فاضربه بالسيف فجعل عامر يخاصم رسول الله ﷺ ويراجعه الكلام فدار أربد خلف رسول الله ﷺ ليضربه فاخترط من سيفه شبراً ثم حبسه الله عنه فلم يقدر على سلّه وجعل عامر يومي إليه فالتفت رسول الله ﷺ فرأى أربداً وما يصنع بسيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فأرسل الله على أربد صاعقة في يوم صاح صائف فأحرقته وولى عامر هارباً وقال يا محمد دعوت ربك فقتل أربداً والله لأملأنها عليك خيلاً جرداً وفتياناً مرداً ولأربطن بكل نخلة فرساً فقال ﷺ الله يمنعك من ذلك فنزل بيت امرأة من سلول وخرج على ركبتيه في الوقت غدة عظيمة فكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية حتى قتلته وفي ذلك يقول لبيد بن ربيعة يرثي أخاه أربداً .

أَخْشَىٰ علىٰ أَرْبَدِ الْحُتُوفَ وَلَا ... أَرْهَبُ نَوْءَ السِّماكِ والأَسَدَ
فَجَّعَني الْبَرْقُ والصَّواعِقُ بالـ ... ـفارِسِ يَوْمَ الكَرِيهَةِ النجدِ[2]

﴿وهو شديد المحال﴾ أي شديد الأخذ عن علي (ع) وقيل شديد القوة عن قتادة ومجاهد وقيل شديد النقمة عن الحسن وقيل شديد القدرة والعذاب عن الزجاج وقيل شديد الكيد للكفار عن الجبائي **﴿له دعوة الحق﴾** أي لله سبحانه دعوة الحق واختلف في معنى

(١) أي صرفهم .

(٢) النوء النجم والسماك: كوكب . والاسد: برج معروف. ورجل نجد: شجاع ماض في الأمور .

دعوة الحق على أقوال (أحدها) انها كلمة الإخلاص شهادة أن لا إلّه إلا الله عن ابن عباس وقتادة وابن زيد (والثاني) أن الله تعالى هو الحق فدعاؤه دعوة الحق ومن دعاه دعا الحق عن الحسن (والثالث) انها الدعوة التي يدعى بها الله على اخلاص التوحيد عن الجبائي والمعنى أن من دعاه على جهة الاخلاص فهو يجيبه فله سبحانه من خلقه دعوة الحق **﴿والذين يدعون من دونه﴾** أي والذين يدعوهم المشركون من دون الله لحاجاتهم من الاوثان وغيرها **﴿لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه﴾** هذا مثل ضربه الله لكل من عبد غير الله ودعاءه رجاء أن ينفعه يقول ان مثله كمثل رجل بسط كفيه إلى الماء من مكان بعيد ليتناوله ويسكن به غلته وذلك الماء لا يبلغ فاه لبعد المسافة بينهما فكذلك ما كان يعبده المشركون من الأصنام لا يصل نفعها اليهم ولا يستجيب دعاءهم عن ابن عباس وقيل كباسط كفيه إلى الماء أي كالذي يدعو الماء بلسانه ويشير إليه بيده فلا يأتيه الماء عن مجاهد وقيل كالذي يبسط كفيه إلى الماء ليبلغ فمات قبل أن يبلغ الماء فاه عن الحسن وقيل انه تمثيل العرب لمن يسعى فيما لا يدركه فيقول هو كالقابض على الماء عن أبي عبيدة والبلخي وأبي مسلم قال الشاعر

فَأَصْبَحْتُ مِمَّا كانَ بَيْنِي وبَيْنَها مِنَ الوُدِّ مِثْلَ القابِضِ الماءَ بِالْيَدِ

وقال الآخر

فَإِنِّي وإِيّاكُمْ وَشَوْقاً إِلَيْكُمُ كَقابِضِ ماءٍ لَمْ تَسَعْهُ أَنامِلُهُ

﴿وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾ أي ليس دعاؤهم الاصنام من دون الله إلا في ذهاب عن الحق والصواب وقيل في ضلال عن طريق الإجابة والنفع ثم بيَّن سبحانه كمال قدرته وسعة مملكته فقال **﴿ولله يسجد من في السماوات والأرض﴾** يعني الملائكة وسائر المكلفين **﴿طوعاً وكرهاً﴾** اختلف في معناه على قولين (أحدهما) ان معناه أنه يجب السجود لله تعالى إلا أن المؤمن يسجد له طوعاً والكافر يسجد له كرهاً بالسيف عن الحسن وقتادة وابن زيد (والثاني) ان المعنى ولله يخضع من في السماوات والأرض إلا أن المؤمن يخضع له طوعاً والكافر يخضع له كرهاً لأنه لا يمكنه ان يمتنع من الخضوع لله لما يحلّ به من الآلام والاسقام عن الجبائي **﴿وظلالهم﴾** أي ويسجد ظلالهم لله **﴿بالغدو والآصال﴾** أي العشيات قيل ان المراد بالظل الشخص فإن من يسجد يسجد ظله معه قال الحسن يسجد ظل الكافر ولا يسجد الكافر ومعناه عند أهل التحقيق انه يسجد شخصه دون قلبه لأنه لا يريد بسجوده عبادة ربه من حيث انه يسجد للخوف وقيل إن الظلال على ظاهرها والمعنى في

سجودها تمايلها من جانب الى جانب وانقيادها بالتسخير بالطول والقصر .

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ (١٦)

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة غير حفص أم هل يستوي الظلمات بالياء والباقون بالتاء .

[**الحجة**] من قرأ بالتاء فإنه مسند إلى مؤنث لم يفصل بينه وبين فاعله بشيء كقوله وقالت اليهودوقالت الاعراب وقد جاء في مثل ذلك التذكير كقوله وقال نسوة ومن قرأ بالياء فإنه مؤنث غير حقيقي .

[**المعنى**] لما بيَّن سبحانه في الآية الأولى أنه المستحق للعبادة وان له من في السماوات والأرض عقَّبه بما يجري مجرى الحجة على ذلك فقال ﴿**قل**﴾ يا محمد لهؤلاء الكفار ﴿**من رب السماوات والأرض**﴾ أي من مدبّرهما ومصرِّفهما على ما فيهما من البدائع فإذا استعجم عليهم الجواب ولا يمكنهم ان يقولوا الأصنام ﴿**فقل**﴾ انت لهم رب السماوات والأرض وما بينهما من انواع الحيوان والنباتات والجماد ﴿**الله**﴾ فإذا أقرُّوا بذلك ﴿**قل**﴾ لهم على وجه التبكيت والتوبيخ لفعلهم ﴿**أفاتخذتم من دونه اولياء**﴾ توجهون عبادتكم إليهم فالصورة صورة الاستفهام والمراد به التقريع ثم بيَّن ان هؤلاء الذين اتخذوهم من دونه اولياء ﴿**لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً**﴾ ومن لا يملك لنفسه ذلك فالأولى والأحرى ان لا يملك لغيره ومن كان كذلك فكيف يستحق العبادة وإذا قيل كيف يكون هو السائل والمجيب والملزم بقوله﴿**قل أفاتخذتم من دونه أولياء**﴾فالجواب أنه إذا كان القصد بالحجاج ما يُبيِّنه من بعدُ من بعد لم يمتنع ذلك فكأنه قال الله الخالق فلماذا اتخذتم من دون الله أولياء لأن الأمر

الظاهر الذي لا يجيب الخصم إلا به لا يمتنع أن يبادر السائل إلى ذكره ثم يورد الكلام عليه تفادياً من التطويل ويكون تقدير الكلام أليس الله رب السماوات والأرض فلم اتخذتم من دونه أولياء ثم ضرب لهم سبحانه مثلاً بعد الزام الحجة فقال **﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير﴾** أي كما لا يستوي الأعمى والبصير كذلك لا يستوي المؤمن والكافر لأن المؤمن يعمل على بصيرة ويعبد الله الذي يملك النفع والضر والكافر يعمل على عمى ويعبد من لا يملك النفع والضر ثم زاد في الايضاح فقال **﴿أم هل تستوي الظلمات والنور﴾** أي هل يستوي الكفر والإيمان أو الضلالة والهدى أو الجهل والعلم **﴿أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه﴾** أي هل جعل هؤلاء الكفار لله شركاء في العبادة خلقوا أفعالاً مثل خلق الله تعالى من الأجسام والألوان والطعوم والأراييح والقدرة والحياة وبغير ذلك من الأفعال التي يختص سبحانه بالقدرة عليها **﴿فتشابه الخلق عليهم﴾** أي فاشتبه لذلك عليهم ما الذي خلق الله وما الذي خلق الأوثان فظنوا ان الأوثان تستحق العبادة لأن افعالها مثل أفعال الله فإذا لم يكن ذلك مشتبهاً إذ كان ذلك كله لله تعالى لم يبق شبهة أنه الإله لا يستحق العبادة سواه **﴿فقل﴾** لهم **﴿الله خالق كل شيء﴾** يستحق به العبادة من أصول النعم وفروعها **﴿وهو الواحد﴾** ومعناه أنه يستحق من الصفات ما لا يستحقه غيره فهو قديم لذاته قادر لذاته عالم لذاته حيّ لذاته غني لا مثل له ولا شبه وقيل الواحد هو الذي لا يتجزأ ولا يتبعض وقيل هو الواحد في الإلهية لا ثاني له في القدم **﴿القهار﴾** الذي يقهر كل قادر سواه ولا يمتنع عليه شيء واستدلت المجبرة بقوله الله تعالى خالق كل شيء على أن افعال العباد مخلوقة لله لأن ظاهر العموم يقتضي دخول افعال العباد فيه وبقوله أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه قالوا لأنه أنكر أن يكون خالق خلق كخلقه وأجيب عن ذلك بأن الآية وردت حجة على الكفار إذ لو كان المراد ما قالوا لكان فيها حجة لهم على الله لأنه إذا كان الخالق لعبادتهم الأصنام هو الله فلا يتوجه التوبيخ إلى الكفار ولا يلحقهم اللوم بذلك بل يكون لهم أن يقولوا انك خلقت فينا ذلك فلم توبخنا على فعل فعلته فينا فيبطل حينئذ فائدة الآية وأيضاً فإن اكثر اصحابنا لا يطلقون على غيره سبحانه انه يخلق أصلاً فضلاً عن أن يقولوا أنه يخلق كخلق الله ولكن يقولون ان العباد يفعلون ويحدثون ومعنى الخلق عندهم الاختراع ولا يقدر العباد عليه ومن جوَّز منهم إطلاق لفظ الخلق في أفعال العباد فإنه يقول انه سبحانه إنما نفى أن يكون احد يخلق مثل خلقه ونحن لا نقول ذلك لأن خلق الله اختراع وابداع وافعال غيره مفعولة في محل القدرة عليها مباشراً او متولداً في الغير بسبب حال في محل القدرة ولا يقدر على اختراع الأفعال في الغير على وجه من الوجوه إلا الله سبحانه الذي ابدع السماوات والأرض

وما فيهما وينشىء الأجناس من الاعراض التي لا يقدر عليها غيره فكيف يشبه الخلق مع هذا التمييز الظاهر على أن عندهم كل حركة هي كسب للعبد وفعل الله تعالى ولا يتميز فقد حصل التشابه هنا ونحن نقول ان أحدنا يفعل بقدرة محدثة يفعلها الله تعالى فيه والله يفعل لكونه قادراً لذاته فالفرق والتمييز ظاهر فعلمنا أن المراد بقوله خالق كل شيء ما قدَّمناه من أنه خالق كل شيء يستحق لخلقه العبادة .

﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٨﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر يوقدون بالياء والباقون بالتاء .

[**الحجة**] قال أبو علي من قرأ بالتاء فلما قبله من الخطاب وهو قوله **﴿قل أفاتخذتم﴾** ويجوز أن يكون خطاباً عاماً يراد به الكافة كأن المعنى ومما توقدون عليه ايها الموقدون زبد مثل زبد الماء الذي يحمله السيل ومن قرأ بالياء فلأن ذكر الغيبة قد تقدّم في قوله أم جعلوا لله شركاء ويجوز أن يراد به جميع الناس ويقوي ذلك قوله وأما ما ينفع الناس فكما ان الناس يعمّ المؤمنين والكافرين كذلك الضمير في يوقدون وقال ومما يوقدون عليه في النار فجعل الظرف متعلقاً بيوقدون لأنه قد يوقد على ما ليس في النار كقوله فأوقد لي يا هامان على الطين فهذا ايقاد يقال على ما ليس في النار وإن كان يلحقه وهجها ولهبها .

[**اللغة**] الوادي سفح الجبل العظيم المنخفض الذي يجتمع فيه ماء المطر ومنه اشتقاق الدية لأنه جمع المال العظيم الذي يؤدّى عن القتيل والقدر اقتران الشيء بغيره من غير زيادة ولا نقصان والوزن يزيد وينقص فإذا كان مساوياً فهو القدر وقرأ الحسن بقِدرها بسكون الدال وهما لغتان يقال اعطى قدر شبر وقَدْر شبر والمصدر بالتخفيف لا غير وهم يختصمون في القَدْر معاً بالسكون والحركة قال

أَلاَ يَا لَقَوْمِ لِلنَّوائِبِ وَالْقَدْرِ ... وَلِلأَمْرِ يَأْتي المرْءَ مِنْ حَيْثُ لا يَدْري

والاحتمال رفع الشيء على الظهر بقوة الحامل له ويقال علا صوته على فلان فاحتمله ولم يغضبه والزبد وضر الغليان وهو خبث الغليان ومنه زبد القدر وزبد السيل والجفاء ممدود مثل الغثاء وأصله الهمز يقال جفا الوادي جفاء قال أبو زيد يقال جفأت الرجل إذا صرعته واجفأت القدر بزبدها إذا القيت زبدها عنها قال الفراء كل شيء ينضم بعضه إلى بعض فإنه يجيء على فعال مثل الحطام والقماش والغثاء والجفاء والإيقاد القاء الحطب في النار واستوقدت النار واتقدت وتوقدت والمتاع ما تمتعت به والمكث الكون في المكان على مرور الزمان يقال مكث ومكُث وتمكث أي تلبث .

[**الإعراب**] قال جامع العلوم البصير قوله في النار متعلق بمحذوف في موضع الحال من الضمير المجرور بقوله عليه أي ومما توقدون عليه ثابتاً في النار ابتغاء حلية أي مبتغين حلية فهو مصدر في موضع الحال من الضمير في يوقدون ولا يجوز أن يكون قوله في النار من صلة يوقدون لأن المعنى ليس على ذلك فالمعنى أنهم يوقدون على الذهب في حال كونه في النار فافهمه من كلام أبي علي ولم يهتد اليه غيره وقوله زبد مبتدأ ومثله نعت له والظرف الذي هو قوله مما توقدون خبره على قول سيبويه وهو مرتفع بالظرف على قول الأخفش وموضع جفاء نصب على الحال أي يذهب على هذه الحالة قال الشاعر

إِذا أَكَلْتُ سَمَكاً وَفَرْضاً ... ذَهَبْتُ طُولاً وَذَهَبْتُ عَرْضاً

أي ذهبت على هذه الحالة والفرض نوع من التمر .

[**المعنى**] ثم ضرب سبحانه مثلين للحق والباطل (أحدهما) الماء وما يعلوه من الزبد (والآخر) ما توقد عليه النار من الذهب والفضة وغيرهما وما يعلوه من الزبد على ما رتَّبه فقال **﴿أنزل من السماء ماء﴾** أي مطراً **﴿فسالت أودية بقدرها﴾** يعني فاحتمل الانهار الماء كل نهر بقدره الصغير على قدر صغره والكبير على قدر كبره فسالت كل نهر بقدره عن

الحسن وقتادة والجبائي وقيل بقدرها بما قدر لها من مائها عن الزجاج **﴿فاحتمل السيل زبداً رابياً﴾** أي طافياً عالياً فوق الماء شبَّه سبحانه الحق والإسلام بالماء الصافي النافع للخلق والباطل بالزبد الذاهب باطلاً وقيل انه مثل القرآن النازل من السماء ثم تحتمل القلوب حظها من اليقين والشك على قدرها فالماء مثل اليقين والزبد مثل الشك عن ابن عباس ثم ذكر المثل الآخر فقال **﴿ومما يوقدون عليه في النار﴾** وهو الذهب والفضة والرصاص وغيره مما يذاب **﴿ابتغاء حلية﴾** أي طلب زينة يتخذ منه كالذهب والفضة **﴿أو متاع﴾** معناه أو ابتغاء متاع ينتفع به وهو مثل جواهر الأرض يتخذ منها الأواني وغيرها **﴿زبد مثله﴾** أي مثل زبد الماء فإن هذه الاشياء التي تستخرج من المعادن وتوقد عليها النار ليتميز الخالص من الخبيث لها أيضاً زبد وهو خبثها **﴿كذلك يضرب الله الحق والباطل﴾** أي مثل الحق والباطل وضرب المثل تسييره في البلاد حتى يتمثل به في الناس **﴿فأما الزبد فيذهب جفاء﴾** أي باطلاً متفرقاً بحيث لا ينتفع به **﴿ وأما ما ينفع الناس ﴾** هو الماء الصافي والاعيان التي ينتفع لها **﴿فيمكث في الأرض ﴾** فينتفع به الناس فمثل المؤمن واعتقاده كمثل هذا الماء المنتفع به في نبَات الأرض وحياة كل شيء به وكمثل نفع الذهب والفضة وسائر الأعيان المنتفع بها ومثل الكافر وكفره كمثل هذا الزبد الذي يذهب جفاء وكمثل خبث الحديد وما تخرجه النار من وسخ الذهب والفضة الذي لا ينتفع به **﴿ كذلك يضرب الله الأمثال ﴾** للناس في أمر دينهم قال قتادة هذه ثلاثة أمثال ضربها الله تعالى في مثل واحد شبَّه نزول القرآن بالماء الذي ينزل من السماء وشبَّه القلوب بالأودية والأنهار فمن استقصى في تدبره وتفكر في معانيه اخذ حظاً عظيماً منه كالنهر الكبير الذي يأخذ الماء الكثير ومن رضي بها ادّاه إلى التصديق بالحق على الجملة كان أقل خطأ منه كالنهر الصغير فهذا مثل ثم شبَّه الخطوات ووساوس الشيطان بالزبد يعلو على الماء وذلك من خبث التربة لا عين ا لماء كذلك ما يقع في النفس من الشكوك فمن ذاتها لا من ذات الحق يقول فكما يذهب الزبد باطلاً ويبقى صفوة الماء كذلك يذهب مخايل الشك هباء باطلاً ويبقى الحق فهذا مثل ثان والمثل الثالث قوله ومما توقدون عليه في النار إلى آخره فالكفر مثل هذا الخبث الذي لا ينتفع به والإيمان مثل الماء الصافي الذي ينتفع به وتمَّ الكلام عند قوله يضرب الله الأمثال ثم استأنف بقوله **﴿للذين استجابوا لربهم الحسنى﴾** عن الحسن والبلخي وقيل بل يتصل بما قبله لأن معناه ان الذي يبقى مثل الذين استجابوا لربهم والذي يذهب جفاء مثل الذي لا يستجيب والمراد به للذين استجابوا دعوة الله وآمنوا به وأطاعوه الحسنى وهي الجنة عن الحسن والجبائي وقيل معناه الخصلة الحسنى والحالة الحسنى وهي صفة الثواب والجنة ايضاً عن أبي مسلم **﴿والذين لم يستجيبوا له﴾** أي لله فلم يؤمنوا به **﴿لو**

أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به﴾ أي جعلوا ذلك فدية أنفسهم من العذاب لم يقبل ذلك منهم **﴿أولئك لهم سواء الحساب﴾** قيل فيه أقوال (أحدها) ان سوء الحساب أخذهم بذنوبهم كلها من دون ان يغفر لهم شيء منها عن إبراهيم النخعي ويؤيد ذلك ما جاء في الحديث ومن نوقش الحساب عذب فيكون سوء الحساب المناقشة (والثاني) هو ان يحاسبوا للتقريع والتوبيخ فإن الكافر يحاسب على هذا الوجه والمؤمن يحاسب ليسرّ بما اعدَّ الله تعالى له عن الجبائي (والثالث) هو ان لا يقبل لهم حسنة ولا يغفر لهم سيئة عن الزجاج وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع) (والرابع) ان سوء الحساب هو سوء الجزاء فسمي الجزاء حساباً لأن فيه اعطاء المستحق حقه **﴿ومأواهم جهنم﴾** أي مصيرهم الى جهنم **﴿وبئس المهاد﴾** أي وبئس ما مهّدوا لأنفسهم والمهاد الفراش الذي يوطأ لصاحبه وتسمى النار مهاداً لأنها موضع المهاد لهم .

﴿ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾

[**اللغة**] الألباب العقول ولب الشيء اجل ما فيه وأخلصه وأجوده ولب الانسان عقله لأنه اجل ما فيه ولب الخلة قلبها والميثاق العهد الواقع على احكام والوصل ضم الثاني الى

الأول من غير فاصلة والخوف والخشية والفزع نظائر وهو انزعاج النفس بما لا يأمن منه من الضرر والسوء ورود ما يشق على النفس والحساب احصاء ما على العامل ولـه وهو هـا هنا احصاء ما على المجازي وله والسر هو اخفاء المعنى في النفس ومنه السرور لأنه لذة تحصل للنفس ومنه السرير لأنه مجلس سرور والدرء الدفع والعـدن الاقامة الطويلة وعَدَن بالمكان يَعْدُن عدنا ومنه المعدن والصلاح استقامة الحال والمصلح من فعل الصلاح الذي يدعو اليه العقل والشرع والصالح المستقيم الحـال في نفسه والعقبى فعلى من العـاقبة وهـو الانتهاء الذي يؤدي اليه الابتداء من خير أو شر .

[**الإعراب**] موضع الذين يوفون رفع لأنه صفة لقوله ﴿**أولوا الألباب**﴾ وقيل انه صفة لمن يعلم وابتغاء نصب لأنه مفعول له وجنات عدن بدل من عقبى ومن صلح موضعـه رفع عطفاً على الوٌاو في قوله يدخلونها وجائز أن يكون نصباً بأنه مفعول معه كما تقول قد دخلوا وزيداً أي مع زيد والباء في قوله بما صبرتم يتعلق بمعنى سلام لأنه دل على السلامة لكم بما صبرتم ويحتمل أن يتعلق بمحذوف على تقدير هذه الكرامة لكم بما صبرتم وما في قوله بما صبرتم مصدرية تقديره بصبركم وقيل انه بمعنى الـذي كأنـه قال بـالذي صبـرتم على فعل طاعاته وتجنب معاصيه .

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه الفرق بين المؤمن والكافـر فقال ﴿ **أفمن يعلم إنمـا أنزل إليك** ﴾ يا محمد ﴿ **من ربك الحق كمن هو أعمى** ﴾ عنه أخـرج الكلام مخـرج الاستفهام والمراد به الانكار أي لا يكونان مستويين فإن الفرق بينهما هو الفرق بين الأعمى والبصير لأن المؤمن يبصر ما فيه رشده فيتبعه والكافر يتعامى عن الحق فيتبع ما فيه هلاكه ﴿ **إنما يتـذكر أولوا الألباب** ﴾ أي إنما يتفكر فيه ويستدل به ذوو العقول والمعرفة قال علي بن عيسى وفي هذا حثٌ على طلب العلم وإلزام له لأنه إذا كانت حال الجاهل كحال الأعمى وحال العالم كحال البصير وأمكن هذا الأعمى أن يستفيد بصراً فما الـذي يقعده عن طلب العلم الـذي يخرجه عن حـال العمى بالجهـل إلى حال البصيـر ﴿ **الذين يـوفون بعهـد الله ولا ينقضون الميثاق** ﴾ أي يؤدّون ما عهد الله إليه وألزمهم إياه عقلاً وسمعاً فـالعهد العقلي مـا جعله في عقولهم من اقتضاء صحة أمور وفساد أمور أخر كاقتضاء الفعل للفاعل وإن الصنائع لا بدَّ أن ترجع إلى صانع غير مصنوع وإلا أدّى إلى ما لا يتناهى وإن للعالم مدبِّراً لا يشبهه والعهـد الشرعي ما أخذه النبي ﷺ على المؤمنين من الميثاق المؤكد باليمين أن يطيعوه ولا يعصـوه ولا يرجعوا عما اُلتزموه من أوامر شرعه ونواهيه وإنما كرَّر ذكر الميثاق وإن دخل جميع الأوامر والنواهي في لفظ العهد لئلا يظن ظان أن ذلك خاص فيما بين العبد وربه فأخبر أن ما بينه وبين العباد من المواثيق كذلك في الوجوب واللزوم وقيل أنه كرَّره تأكيداً ﴿ **والذين يصلون ما**

أمر الله به أن يوصل ﴾ قيل المراد به الإيمان بجميع الرسل والكتب كما في قوله ﴿ **لا نفرق بين أحد من رسله**﴾ وقيل هو صلة محمد وموازرته ومعاونته والجهاد معه عن الحسن وقيل هو صلة الرحم عن ابن عباس وروى أصحابنا أن أبا عبد الله (ع) لما حضرته الوفاة قال أعطوا الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين وهو الأفطس سبعين ديناراً فقالت له أم ولد له أتعطي رجلاً حمل عليك بالشفرة فقال لها ويحك أما تقرئين قوله تعالى ﴿**والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل** ﴾ الآية وقيل هو ما يلزم من صلة المؤمنين بأن يتولوهم وينصروهم ويذبُّوا عنهم ويدخل فيه صلة الرحم وغير ذلك عن الجبائي وأبي مسلم وروى جابر عن أبي جعفر (ع) قال قال رسول الله ﷺ برُّ الوالدين وصلة الرحم يهونان الحساب ثم تلا هذه الآية روى محمد بن الفضيل عن موسى بن جعفر الكاظم (ع) في هذه الآية قال صلة آل محمد ﷺ معلقة بالعرش تقول اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني وهي تجري في كل رحم وروى الوليد بن أبان عن أبي الحسن الرضا (ع) قال قلت له هل على الرجل في ماله سوى الزكاة قال نعم أين ما قال الله والذين يصلون الآية ﴿ **ويخشون ربهم** ﴾ أي ويخافون عقاب ربهم في قطعها ﴿ **ويخافون سوء الحساب** ﴾ قد بينّا ما قيل فيه وروى هشام بن سالم عن أبي عبد الله (ع) قال سوء الحساب أن يحسب عليهم السيئات ولا يحسب لهم الحسنات وهو الاستعصاء وروى حماد بن عثمان عن أبي عبد الله (ع) أنه قال لرجل يا فلان مالك ولأخيك قلت جعلت فداك لي عليه شيء فاستقصيت حقي عنه قال أبو عبد الله (ع) أخبرني عن قول الله سبحانه ويخافون سوء الحساب أتراهم خافوا أن يجور عليهم أو يظلمهم لا والله ولكن خافوا الاستقصاء والمداقة ﴿ **والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم** ﴾ أي الذين صبروا على القيام بما أوجبه الله عليهم وعلى بلاء الله من الأمراض والعقوبة وغير ذلك وعن معاصي الله سبحانه لطلب ثواب الله تعالى لأن ابتغاء وجه الله هو ابتغاء الله وابتغاء الله يكون ابتغاء ثوابه تقول العرب في تعظيم الشيء هذا وجه الرأي وهذا نفس الرأي للرأي المعظم فكذلك وجه ربهم هو نفسه المعظم فلا شيء أعظم منه ولا شيء يساويه في العظم وقيل أن ذكر الوجه هنا عبارة عن الإخلاص وترك الرياء ﴿ **وأقاموا الصلاة** ﴾ أي أدُّوها بحدودها وقيل داموا على فعلها ﴿ **وأنفقوا مما رزقناهم سرّاً وعلانية** ﴾ أي ظاهراً وباطناً ﴿ **ويدرؤن بالحسنة السيئة** ﴾ أي يدفعون بفعل الطاعة المعصية قال ابن عباس يدفعون بالعمل الصالح السيء من العمل كما روي عن النبي ﷺ أنه قال لمعاذ بن جبل إذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها وقيل معناه يدفعون إساءة من أساء إليهم بالإحسان والعفو ولا يكافئون كقوله سبحانه ﴿ **ادفع بالتي هي أحسن السيئة** ﴾ عن قتادة وابن زيد والقتيبي قال الحسن إذا حرموا أعطوا وإذا

ظلمـوا عفوا وإذا قـطعوا وصلوا وقيـل معناه يـدفعون بـالتوبـة معرة الـذنب عن ابن كيسان ﴿ أولئك ﴾ يعني أن هؤلاء الذين هذه صفاتهم ﴿ لهم عقبى الدار ﴾ أي ثواب الجنة فالدار الجنة وثوابها عقباها التي هي العاقبة المحمودة عن ابن عباس والحسن ثم وصف الدار فقال ﴿ جنات عدن ﴾ أي بساتين إقامة تدوم ولا تفنى وقيل هي الدرجة العليا وسكانها الشهـداء والصديقون عن ابن عبـاس وقيل هي مـدينة في الجنـة فيها الأنبيـاء والأئمة والشهـداء عن الضحاك وقيل قصر من ذهب لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حاكم عدل عن الحسن وعبـد الله بن عمر ثم بيِّن سبحـانه مـا يتكامـل به سـرورهم من اجتماع قـومهم معهم فقال ﴿ يدخلونها ومن صلح من آبـائهم وأزواجهم وذرياتهم ﴾ أي أولادهم يعني من آمن منهم وصدَّق بما صدَّقوا به وذلك أن الله سبحانه جعل من ثواب المطيع سروره بما يراه في أهله من إلحـاقهم به في الجنـة كرامـة له كمـا قال ألحقنـا بهم ذريتهم عن ابن عباس ومجـاهد ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ﴾ من أبواب الجنة الثمانية وقيل من كل باب من أبواب البرّ كالصلاة والـزكاة والصـوم وقيل من أبـواب قصورهم وبسـاتينهم بالتحيـة من الله سبحانه والتحف والهـدايا عن ابن عبـاس ويقولـون ﴿ سلام عليكم بمـا صبرتم ﴾ والقـول محذوف لدلالة الكلام عليه والسلام والتحية والبشارة منهم بالسلامة والكرامة وانتفاء كل أمر تشوبه مضرة أي سلمكم الله من الأهوال والمكاره بصبركم على شدائد الـدنيا ومحنهـا في طاعة الله تعالى ﴿ فنعم عقبى الدار ﴾ أي نعم عاقبة الدار ما أنتم فيه من الكرامة .

﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ
مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ
فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ
ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ
ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا مَتَـٰعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ
عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ
مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ

ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ
لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾

[**اللغة**] الانابة الرجوع إلى الحق بالتوبة انتاب فلان القوم أتاهم مرة بعد مرة ويقال ناب ينوب نوبة إذا رجع مرة بعد مرة وطوبى فعلى من الطيب وهو تأنيث الاطيب ولم يغيروا طوبى بأن يقولوا طِيبى كما قالوا ضيزى فقلبوا الواو ياء والضمة كسرة لأن طوبى اسم وضيزى صفة فرَّقوا بين الاسم والصفة .

[**الإعراب**] ﴿ **الذين آمنوا** ﴾ في موضع نصب رداً على مَنْ. المعنى يهدي إليه الذين آمنوا وألا حرف تنبيه وابتداء وحسن مآب عطف على طوبى لأن طوبى في موضع رفع .

[**المعنى**] لما ذكر سبحانه الذين يوفون بعهد الله ووصفهم بالصفات التي يستحقون بها الجنة عقَّبه بذكر من هو على خلاف حالهم فقال ﴿ **والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل** ﴾ قد ذكرنا معنى عهد الله وميثاقه وصلة ما أمر الله به أن يوصل ﴿ **ويفسدون في الأرض** ﴾ بالدعاء إلى غير الله عن ابن عباس وقيل بقتال النبي ﷺ والمؤمنين عن الحسن وقيل بالعمل فيها بمعاصي الله والظلم لعباده واخراب بلاده وهذا أعم ﴿ **أولئك لهم اللعنة** ﴾ وهي الابعاد من رحمة الله والتبعيد من جنته ﴿ **ولهم سوء الدار** ﴾ أي عذاب النار والخلود فيها ﴿ **الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر** ﴾ أي يوسف الرزق على من يشاء من عباده بحسب ما يعلم من المصلحة ويضيقه على آخرين إذا كانت المصلحة في التضييق ﴿ **وفرحوا بالحياة الدنيا** ﴾ أي فرحوا بما أوتوا من حطام الدنيا فرح البطر ونسوا فناءه وبقاء أمر الآخرة وتقديره وفرح الذين بسط لهم في الرزق في الحياة الدنيا ﴿ **وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع** ﴾ أي ليست هذه الحياة الدنيا بالإضافة إلى الحياة الآخرة إلا قليل ذاهب لأن هذه فانية وتلك دائمة باقية عن مجاهد وقيل أنه مذكور على وجه التعجب أي عجباً لهم أن فرحوا بالدنيا الفانية وتركوا النعيم الدائم والدنيا في جنب الآخرة متاع لا خطر له ولا بقاء له مثل القدح والقصعة والقدر يتمتع به زماناً ثم ينكسر عن ابن عباس ﴿ **ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه** ﴾ أي هلا أنزل على محمد معجزة من ربه يقترحها ويجوز أنهم لم يتفكروا في الآيات المنزلة فاعتقدوا أنه لم ينزل عليه آية ولم يعتدوا بتلك الآيات فقالوا هذا القول جهلاً منهم بها ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **إن الله يضل من يشاء** ﴾ عن طريق الجنة بسوء

أفعاله وعظم معاصيه وقد مضى القول في وجوه الإضلال والهدى فلا معنى لإعادته ﴿ **ويهدي إليه من أناب** ﴾ أي رجع إليه بالطاعة ﴿ **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله** ﴾ معناه الذين اعترفوا بتوحيد الله على جميع صفاته ونبوة نبيه وقبول ما جاء به من عند الله وتسكن قلوبهم بذكر الله وتأنس إليه والذكر حصول المعنى للنفس وقد يسمى العلم ذكراً والقول الذي فيه المعنى الحاضر للنفس أيضاً يسمى ذكراً وقد وصف الله المؤمن ههنا بأنه يطمئن قلبه إلى ذكر الله ووصفه في موضع آخر بأنه إذا ذكر الله وجل قلبه لأن المراد بالأول أنه يذكر ثوابه وأنعامه وآلاءه التي لا تحصى وأياديه التي لا تجازى فيسكن إليه وبالثاني أنه يذكر عقابه وانتقامه فيخافه ويوجل قلبه ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾ وهذا حث للعباد على تسكين القلب إلى ما وعد الله به من النعيم والثواب والطمأنينة إليه فإن وعده سبحانه صادق ولا شيء تطمئن النفس إليه أبلغ من الوعد الصادق وهو اعتراض وقع بين الكلامين إذا كان قوله ﴿ **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله** ﴾ في موضع رفع بالابتداء ويكون قوله ﴿ **الذين آمنوا وعملوا الصَّـٰلحـٰت** ﴾ بدلاً منه وقوله ﴿ **طوبى لهم وحسن مآب** ﴾ جملة في موضع الرفع بأنه خبر المبتدأ وإذا كان الذين آمنوا الأول في موضع نصب على ما تقدم ذكره فيكون ﴿ **الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ مبتدأ مستأنفاً وطوبى لهم خبره ومعناه أن الذين يؤمنون بالله ويعملون ما يجب عليهم من الطاعات ﴿ **طوبى لهم** ﴾ وفيه أقوال (أحدها) أن معناه فرح لهم وقرة عين عن ابن عباس (والثاني) غبطة لهم عن الضحاك (والثالث) خير لهم وكرامة عن إبراهيم النخعي (والرابع) الجنة لهم عن مجاهد (والخامس) معناه العيش المطيب لهم عن الزجاج والحال المستطابة لهم عن ابن الأنباري لأنه فعلى من الطيب وقيل أطيب الأشياء لهم وهو الجنة عن الجبائي (والسادس) هنيئاً بطيب العيش لهم (السابع) حسنى لهم عن قتادة (الثامن) نعم ما لهم عن عكرمة (التاسع) طوبى لهم دوام الخير لهم (العاشر) أن طوبى شجرة في الجنة أصلها في دار النبي ﷺ وفي دار كل مؤمن منها غصن عن عبيد بن عمير ووهب وأبي هريرة وشهر بن حوشب ورواه عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً وهو المروي عن أبي جعفر (ع) قال لو أن راكباً مجداً سار في ظلها مائة عام ما خرج منها ولو أن غراباً طار من أصلها ما بلغ أعلاها حتى يبيض هرما ألا في هذا فارغبوا إن المؤمن نفسه منه في شغل والناس منه في راحة إذا جنَّ عليه الليل فرش وجهه وسجد لله يناجي الذي خلقه في فكاك رقبته إلا فهكذا فكونوا وروى علي بن إبراهيم عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن علي بن رئاب عن أبي عبيدة الحذاء عن أبي عبد الله (ع) كان رسول الله ﷺ يكثر تقبيل فاطمة (ع) فأنكرت عليه بعض نسائه ذلك فقال ﷺ إنه لما أسري بي إلى السماء دخلت الجنة

وأدناني جبرائيل (ع) من شجرة طوبى وناولني منها تفاحة فأكلتها فحوَّل الله ذلك في ظهري ماء فهبطت إلى الأرض وواقعت خديجة فحملت بفاطمة فكلما اشتقت إلى الجنة قبلتها وما قبلتها إلا وجدت رائحة شجرة طوبى فهي حوراء أنسية وروى الثعلبي بإسناده عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال طوبى شجرة أصلها في دار علي (ع) في الجنة وفي دار كل مؤمن منها غصن ورواه أبو بصير عن أبي عبد الله (ع) وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده عن موسى بن جعفر (ع) عن أبيه عن آبائه (ع) قال سئل رسول الله ﷺ عن طوبى قال شجرة أصلها في داري وفرعها على أهل الجنة ثم سئل عنها مرة أخرى فقال في دار علي (ع) فقيل في ذلك فقال أن داري ودار علي في الجنة بمكان واحد ﴿ **وحسن مآب** ﴾ أي ولهم حسن مآب أي مرجع .

[**النظم**] وجه اتصال قوله ﴿ **الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر** ﴾ الآية بما قبله أنه بيَّن أن نقضهم للعهد إنما كان لحب الرئاسة والمنافسة في الدنيا وزهدهم في المنافسة و أخبر بأنه يبسط الرزق لمن يرى صلاحه فيه ويرزق مقدار الكفاية من علم أن صلاحه فيه ثم لما ذكر سبحانه سوء عاقبة الكفار عقَّب ذلك بذكر ما اقترحوه من الآيات وترك تفكرهم فيما أنزل من الآيات الخارقة للعادات فقال ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه ولما استعجلوا العذاب بيَّن سبحانه أنه يضل من يشاء أي يهلك من يشاء معجلاً ويؤخر عذاب من يشاء عن أبي مسلم قال والمراد بقوله آية آيات العذاب وقيل أنهم لما اقترحوا الآيات بيَّن أنهم إنما لم يجابوا إلى ذلك لأن في المعلوم أنهم لا يؤمنون وأنه يهلكهم .

﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا

صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾

[**القراءة**] قرأ علي وابن عباس وعلي بن الحسين (ع) وزيد بن علي وجعفر بن محمد وابن أبي مليكة وعكرمة والجحدري وأبو يزيد المزني أفلم يتبين[1] والقراءة المشهورة بيائس .

[**الحجة**] قال ابن جني هذه القراءة فيها تفسير قوله ﴿ **أفلم ييأس الذين آمنوا** ﴾ وروي عن علي بن عياش أنها لغة فخذ من النَّخع قال :

أَلَمْ يَيْأَسِ الأَقْوامُ أَنّي أَنَا ابْنُهُ ... وَإِنْ كُنْتُ عَنْ أَرْضِ الْعَشِيرَةِ نَائِيا

وقال سحيم بن وثيل :

أَقُولُ لأَهْلِ الشِّعْبِ إِذْ يَأْسِرُونَني ... أَلَمْ يَيْأَسُوا أَنّي ابنُ فَارِسِ زَهْدَمٍ[2]

وروي إذ ييسرونني أي يقسمونني أي ألم يعلموا قال ويشبه عندي أن يكون هذا أيضاً راجعاً إلى معنى اليأس وذلك أن المتأمل للشيء المتطلب لعلمه ذاهب بفكره في جهات تعرفه إياه فإذا ثبت نفسه على شيء اعتقده وأضرب عما سواه فلم ينصرف إليه كما ينصرف اليائس عن الشيء عنه ولا يلتفت إليه هذا طريق الصنعة فيها .

[**اللغة**] المتاب التوبة تاب يتوب توباً ومتاباً والتوبة الفعلة الواحدة والتسيير تصيير الشيء بحيث يسير يقال سار يسير سيراً وسيَّره غيره والتقطيع تكثير القطع والقطع تفصيل المتصل والحلول حصول الشيء في الشيء كحصول العرض في الجوهر وحصول الجوهر في الوعاء والأصل الأول والثاني مشبه به والقارعة الشديدة من شدائد الدهر ومنه سميت القيامة قارعة وأصله من القرع وهو الضرب ومقارعة الابطال ضرب بعضهم بعضاً وقوارع القرآن الآيات التي من قرأها أمن من الشيطان كأنها تضرب الشياطين إذا قرئت .

[**النزول**] نزلت الآية الأولى في صلح الحديبية حين أرادوا كتاب الصلح فقال رسول

---

(١) وحكى عن أبي عباس أنه قال: كتب الكاتب « أفلم ييأس الذين آمنوا » وهو ناعس .

(٢) زهدم اسم فرس وقيل اسم فرس سحيم وقائل البيت ولده جابر بن سحيم وروى « أنى ابن قاتل زهدم » وزهدم رجل من عبس فعليه يصح أن يكون الشعر لسحيم . وفي رواية أخرى « أنى ابن فارس لازم » .

الله ﷺ لعلي (ع) اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو والمشركون ما نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب باسمك اللهم وهكذا كان أهل الجاهلية يكتبون ثم قال رسول الله ﷺ اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال مشركوا قريش لئن كنت رسول الله ثم قاتلناك وصددناك لقد ظلمناك ولكن اكتب هذا ما صالح محمد بن عبد الله فقال أصحاب رسول الله ﷺ دعنا نقاتلهم قال لا ولكن اكتبوا كما يريدون فأنزل الله عز وجل ﴿ **كذلك أرسلناك في أمة** ﴾ الآية عن قتادة ومقاتل وابن جريج وقيل نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي ﷺ اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن عن الضحاك عن ابن عباس ونزلت الآية الأخرى في نفر من مشركي مكة منهم أبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية المخزومي جلسوا خلف الكعبة ثم أرسلوا إلى النبي ﷺ فأتاهم فقال له عبد الله بن أمية إن سرك أن نتبعك فسير لنا جبال مكة بالقرآن فأذهبها عنا حتى تنفسخ فإنها أرض ضيقة واجعل لنا فيها عيوناً وأنهاراً حتى نغرس ونزرع فلست كما زعمت أهون على ربك من داود (ع) حيث سخر له الجبال تسبح معه أو سخر لنا الريح فنركبها إلى الشام فنقضي عليها مسيرتنا وحوائجنا ثم نرجع من يومنا فقد كان سليمان سخرت له الريح فكما زعمت لنا فلست أهون على ربك من سليمان واحي لنا جدك قصياً أو من شئت من موتانا لنسأله أحق ما تقول أم باطل فإن عيسى (ع) كان يحيي الموتى ولست بأهون على الله منه فأنزل الله سبحانه ﴿ **ولو أن قرآنا** ﴾ الآية .

[**المعنى**] لما ذكر سبحانه النعمة على من تقدَّم ذكره بالثواب وحسن المآب عقَّبه بذكر النعمة على من أرسل إليه النبي ﷺ فقال ﴿ **كذلك أرسلناك** ﴾ أي كما أنعمنا على المذكورين بالثواب في الجنة أنعمنا على المرسل إليهم بإرسالك وقيل أن معنى التشبيه أنا كما أرسلنا الأنبياء في الأمم قبلك أرسلناك ﴿ **في أمة قد خلت من قبلها أمم** ﴾ أي في جماعة قد مضت من قبلها قرون وجماعات ﴿ **لتتلوا عليهم الذي أوحينا إليك** ﴾ بيِّن الغرض في إرساله وهو أن يقرأ عليهم القرآن ليتدبروا آياته ويتَّعظوا بها ﴿ **وهم يكفرون بالرحمن** ﴾ أي وقريش يكفرون بالرحمن أي ويقولون قد عرفنا الله ولا ندري ما الرحمن كما أخبر عنهم بأنهم قالوا وما الرحمن انسجد لما تأمرنا عن الحسن وقتادة وقيل معناه أنهم يجحدون بالوحدانية ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **هو ربي** ﴾ أي الرحمن الذي أنكرتموه ربي أي خالقي ومدبري ﴿ **لا إله إلا هو عليه توكلت** ﴾ أي إليه فوضت أمري متمسكاً بطاعته راضياً بحكمه ﴿ **وإليه متاب** ﴾ أي مرجعي وقيل معناه إلى الرحمن توبتي ﴿ **ولو أن قرآناً سيرت به الجبال** ﴾ أي تجعل به الجبال سائرة فأذهبت من مواضعها وقلعت من أماكنها ﴿ **أو قطعت به**

الأرض ﴾ أي شققت فجعلت أنهاراً وعيوناً ﴿ **أو كلم به الموتى** ﴾ أي أحيي به الموتى حتى يعيشوا ويتكلموا وحذف جواب لو لأن في الكلام دليلاً عليه والتقدير لكان هذا القرآن لعظم محله وعلو أمره وجلالة قدره قال الزجاج والذي أتوهم وقد قاله بعضهم أن المعنى لو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى لما آمنوا ودليله قوله ﴿ **ولو أنزلنا إليهم الملائكة** ﴾ إلى قوله ﴿ **ما كانوا ليؤمنوا** ﴾ وحذف جواب لو يكثر في الكلام قال امرؤ القيس :

فَلَوْ أَنَّها نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً وَلٰكِنَّها نَفْسٌ تُساقِطُ أَنْفُسَا[1]

وهو آخر القصيدة[2] وقال :

وَجَدِّكَ لَوْ شَيْءٌ أَتانا رَسُولُهُ سِواكَ وَلٰكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعاً[3]

﴿ **بل لله الأمر جميعاً** ﴾ معناه أن جميع ما ذكر من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وإحياء الموتى وكل تدبير يجري هذا المجرى لله لأنه لا يملكه سواه ولا يقدر عليه غيره ولكنه لا يفعل لأن فيما أنزل من الآيات مقنعاً وكفاية للمنصفين والأمر ما يصح أن يؤمر به وينهى عنه وهو عام وأصله الأمر نقيض النهي ﴿ **أفلم ييأس الذين آمنوا** ﴾ أي أفلم يعلموا ويتبينوا عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وأبي مسلم وقيل معناه أفلم يعلم الذين آمنوا علماً ييأسوا معه من أن يكون غير ما علموه عن الفراء وقيل معناه أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء الذين وصفهم الله عز وجل بأنهم لا يؤمنون عن الزجاج قال لأنه قال ﴿ **إن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً** ﴾ أي أن الله لو أراد أن يهدي الخلق كلهم إلى جنته لهداهم لكنه كلفهم لينالوا الثواب بطاعاتهم على وجه الاستحقاق وقيل أراد به مشيئة الالجاء أي لو أراد أن يلجئهم إلى الاهتداء لقدر على ذلك لكنه ينافي التكليف ويبطل الغرض به ﴿ **ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا** ﴾ من كفرهم وأعمالهم الخبيثة ﴿ **قارعة** ﴾ أي نازلة وداهية تقرعهم ومصيبة شديدة من الحرب والجدب والقتل والأسر عليهم على جهة العقوبة للتنبيه والزجر وقيل أراد بالقارعة سرايا النبي ﷺ كان يبعثها إليهم وقيل أراد بذلك ما مرّ ذكره من حديث أريد وعامر ﴿ **أو تحل قريباً من دارهم** ﴾ وقيل أن التاء في تحل للتأنيث والمعنى أو تحل تلك القارعة قريباً من دارهم فتجاورهم حتى يحصل لهم المخافة منه عن الحسن

(١) مر البيت بمعناه في صفحة ٣٤٣ فراجع. (٢) أي ليس بعده بيت يكون فيه جواب لو، بل هذا آخر القصيدة.
(٣) أي لو أتانا غيرك لدفعناه.

وقتادة وأبي مسلم والجبائي وقيل أن التاء للخطاب والمعنى أو تحل أنت يا محمد بنفسك قريباً من دارهم ﴿ حتى يأتي وعد الله ﴾ أي ما وعد الله من فتح مكة عن ابن عباس قال وهذه الآية مدنية وقيل حتى يأتي يوم القيامة عن الحسن ﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾ ظاهر المعنى .

[النظم] اتصلت الآية الأخيرة بقوله ﴿ ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه ﴾ والتقدير أن مثل هذا القرآن أُنزل عليهم وهم يطلبون آيات أخر عن الجبائي وقيل اتصلت بقوله ﴿ كذلك أرسلناك ﴾ الآية لأن المفهوم من قوله ﴿ لتتلو عليهم ﴾ أنه قرأ عليهم القرآن وأنهم كفروا به .

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة ويعقوب وصُدّوا بضم الصاد وكذلك في حم المؤمن والباقون وصَدّوا بفتح الصاد .

[الحجة] قال أبو الحسن صَدَّ وصددته مثل رجع ورجعته قال :

صَدَّتْ كَما صَدَّ عَمّا لا يَحِلُّ لَهُ ... ساقي نَصارىٰ قُبَيْلَ الفِصْحِ صُوّامُ(١)

(١) الفصح ـ بالكسر ـ : فطر النصارى وهو عيد لهم .

قال عمرو بن كلثوم :

صَــدَدْتِ الـكَــأْسَ عَـنّــا أُمَّ عَــمْــرٍو وَكَــانَ الْكَــأْسُ مَجْــرَاهَــا الْيَمِينـا(١)

وحجة من أسند الفعل إلى الفاعل قوله ﴿ **الذين كفروا وصدُّوا عن سبيل الله** ﴾ وفي موضع آخر ويصدون عن سبيـل الله وصدوكم عن المسجـد الحرام فلمـا أسند الفعـل إلى الفاعل في هذه الآية فكذلك في هذه الآية أي صدّوا الناس عن النبي ﷺ ومن بنى الفعـل للمفعول به جعل فاعل الصد غواتهم والعتاة منهم في كفرهم وقد يكون على نحو مـا يقال صد فلان عن الخير وصد عنه بمعنى أنه لم يفعل خيراً ولا يراد به أن مانعاً منعه .

[**اللغة**] الاستهزاء طلب الهزؤ والهزؤ إظهـار خلاف الإضمـار للاستصغـار والإملاء التأخير وهو من الملاوة والملوان الليل والنهار قال ابن مقبل :

أَلَا يَــا دِيَــارَ الـحَيِّ بِــالـسَّبُـعَــانِ أَلَــحَّ عَـلَيْهَــا بِــالـبِلَى الْـمَلَوَانِ(٢)

وقال في التهنئة ألبس جديداً وتملَّ حبيباً أي لتطل أيامك معه والواقي المانع فاعل من الوقاية وهوالحجر بما يدفع الأذى والمكروه .

[**المعنى**] ثم عزَّى سبحانـه نبيَّه صلى الله عليـه وآله وسلم فقـال ﴿**ولقد إستهـزىء برسل من قبلك** ﴾ كما استهزأ هؤلاء بـك ﴿ **فأمليت للذين كفـروا** ﴾ أي فأمهلتهم وأطلت مـدتهم ليتوبـوا ولتتم عليهم الحجة ﴿ **ثم أخـذتهم** ﴾ أي أهلكتهم وأنـزلت عليهم عـذابي ﴿ **فكيف كـان عقاب** ﴾ أي فكيف حـلَّ عقابي بهم وهـو إشـارة إلى تفخيم ذلـك العقـاب وتعظيمه ثم عاد سبحانه إلى الحجاج مع الكفار ﴿ **أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت** ﴾ معناه أفمن هو قائم بالتدبير على كل نفس وحافظ كل نفس أعمالها يجازيها وقيل أفمن هو قائم عليها برزقها وحفظها والدفع عنها كمن ليس بهذه الصفات من الأصنام التي لا تنفع ولا تضر ويدل على هذا المحذوف قوله ﴿ **وجعلوا لله شركاء** ﴾ يعني أن هؤلاء الكفار جعلوا لله شـركاء في العبـادة من الأصنـام التي لا تقـدر على شيء ممـا ذكـرنـا ﴿ **قـل** ﴾ يـا محمـد ﴿ **سموهم** ﴾ أي سمُّوهم بما يستحقون من الصفات وإضافة الأفعال إليهم إن كانوا شركاء لله كما يوصف الله بالخالق والرازق والمحيي والمميت ويعود المعنى إلى أن الصنم لو كان إلَهاً لتصور منه أن يخلق الرزق فيحسن حينئذ أن يسمى بالخالق والرازق وقيل سمُّوهم بالأسماء

(١) أي أنا في اليمين وعليك أن تسقيني أولاً .

(٢) السبعان : موضع في ديار قيس . وقد ينسب هذا البيت إلى ابن الأحمر .

التي هي صفاتهم ثم أنظروا هل تدل صفاتهم على جواز عبادتهم وإتخاذهم آلهة وقيل معناه أنه ليس لهم إسم له مدخل في استحقاق الإلّهية وذلك إستحقار لهم وقيل سمُّوهم ماذا خلقوا وهل ضروا أو نفعوا وهو مثل قوله ﴿ أروني ماذا خلقوا من الأرض ﴾ عن الحسن ﴿ أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض ﴾ هذا إستفهام منقطع مما قبله أي بل أتخبرون الله بشريك له في الأرض وهو لا يعلمه على معنى أنه ليس ولو كان لعلم ﴿ أم بظاهر من القول ﴾ أي أم تقولون مجازاً من القول وباطلاً لا حقيقة له عن مجاهد وقتادة والضحاك وعلى هذا فالمعنى أنه كلام ظاهر ليس له في الحقيقة باطن ومعنى فهو كلام فقط وقيل أم بظاهر كتاب أنزل الله تعالى سميتم الأصنام آلهة فبيَّن أنه ليس هاهنا دليل عقلي ولا سمعي يوجب استحقاق الأصنام الإلّهية عن الجبائي ثم بيَّن سبحانه بطلان قولهم فقال ﴿ بل زين للذين كفروا مكرهم ﴾ أي دع ذكر ما كنا فيه زين الشيطان لهم الكفر لأن مكرهم بالرسول كفر منهم عن ابن عباس وقيل بل زين لهم الرؤساء والغواة كذبهم وزورهم ﴿ وصدوا عن السبيل ﴾ أي وصدوا الناس عن الحق أو صدوا بأنفسهم عن الحق وعن دين الله ﴿ ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾ سبق معناه في مواضع ﴿ لهم عذاب في الحياة الدنيا ﴾ بالقتل والسبي والأسر وقيل بالمصائب والأمراض ﴿ ولعذاب الآخرة أشق ﴾ أي أغلظ وأبلغ في الشدة على النفس لدوامه وخلوصه وكثرته ﴿ وما لهم من الله من واق ﴾ أي مالهم من دافع يدفع عنهم عذاب الله تعالى .

﴿ * مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي
وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ
عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ
ٱلْكِتَـٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ
قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ
مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ
أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾

[**اللغة**] الأنهار جمع نهر ونهر كفرد وأفراد وجمل وأجمال والنهر المجرى الواسع من مجاري الماء على وجه الأرض وأصله الإتساع ومنه النهار لإتساع الضياء فيه وإنهرت الدماء وسعت مجراها وقال « مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَـانْهَرْتُ فَتْقَهَـا »[1] أي وَسَّعتُه والأكـل بضم الهمزة المأكول والأحزاب جمع الحزب وهم الجماعة التي تقوم بالنائبة يقال تحزَّب القوم إذا صاروا حزباً وحزبهم الأمر يحزبهم أي نالهم بمكروه .

[**الإعراب**] مثل الجنة التي فيه أقوال (أحدهـا) أنه بمعنى الشبـه وخبره محـذوف وتقديره مثل الجنة التي هي كذا أَجَلُّ مَثَل (والثاني) أن تقديره فيما نقص عليكم مثل الجنة أو مثل الجنة فيما نقص عليكم فهو مرفوع أيضاً على الابتداء وخبره محذوف وهو قول سيبويه واختاره أبو علي الفارسي (والثالث) إن معناه صفة الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار فتجري من تحتها الأنهار مع ما بعده خبر المبتدأ الذي هـو مثل الجنـة قالـوا وقولـه سبحانه ﴿ **ولله المثل الأعلى** ﴾ معناه الصفة العليا ولم يرتض أبو علي هذا القول .

[**المعنى**] لمّا تقدَّم ذكر ما أعدّ الله للكافرين عقَّبه سبحانه بذكر ما أعدَّه للمؤمنين فقال ﴿ **مثل الجنة التي وعد المتقون** ﴾ أي شبهها عن مقاتل وقيل صفتها وصورتهـا عن الحسن قال ابن قتيبة المثل الشبه في أصل اللغة ثم قد يصير بمعنى صورة الشيء وصفته يقال مثلت لك كذا أي صورته ووصفته وقيل إن مثل مقحم والتقدير الجنة التي وعد المتقون ﴿ **تجري من تحتها الأنهار أُكلها دائم** ﴾ يعني أن ثمارهـا لا تنقطع كثمـار الدنيـا وظلها لا يـزول ولا تنسخه الشمس عن الحسن وقيل معناه نعيمها لا ينقطع بموت ولا آفة عن ابن عباس وقيـل لذتها في الأفواه باقية عن إبراهيم التيمي ﴿ **وظلها** ﴾ أيضاً دائم لا يكون مرة شمساً ومرة ظلاً كما يكون في الدنيا ﴿ **تلك عقبى الذين اتقوا** ﴾ أي تلك الجنة عاقبة المتقين فالطريق إليها التقوى ﴿ **وعقبى الكافرين النار** ﴾ أي وعاقبة أمر الكفار النار ولمّا تقدَّم ذكر الوعد والـوعيد أخبر سبحانـه عن المتقين والكافـرين فقال ﴿ **والـذين آتيناهم الكتـاب يفرحـون بما أنـزل إليك** ﴾ يريد أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين آمنوا به وصدَّقوه أعطوا القرآن وفرحوا بإنزاله ﴿ **ومن الأحزاب من ينكر بعضه** ﴾ يعني اليهود والنصارى والمجوس أنكروا بعض معانيه وما يخالف أحكامهم عن الحسن وقتادة ومجاهد وقيل الذين آتيناهم الكتاب هم الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه فرحوا بالقرآن لأنهم يصـدّقون بـه والأحزاب بقية أهـل الكتاب وسـائر المشـركين عن ابن عباس قـال لأن عبد الله بن سـلام

(١) قائله قيس بن الحطيم يصف طعنة وبعده « يرى قائم من دونها ما ورائها » .

وأصحابه أساءهم قلة ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة فأنزل الله ﴿ **قل أدعوا الله أو أدعوا الرحمن** ﴾ ففرحوا بذلك وكفر المشركون بالرحمن وقالوا ما نعرف الرحمن إلا رحمن اليمامة ويريد بالأحزاب الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمعاداة ومن ينكر بعضه يعني ذكر الرحمن وهو قوله ﴿ **وهم يكفرون بالرحمن** ﴾ ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **إنما أُمرت أن أعبد الله ولا أشرك به** ﴾ أي أمرت أن أوجّه عبادتي إلى الله ولا أشرك به في عبادته أحداً ﴿ **إليه أدعو** ﴾ يعني إلى الله أو إلى الإقرار بتوحيده وصفاته وتوجيه العبادة إليه وحده أدعو ﴿ **وإليه مآب** ﴾ أي إليه مرجعي ومصيري أي أرجع وأصير إلى حيث لا يملك الضر والنفع إلا هو وحده فإنه لا يملك يوم القيامة الأمر أحداً من عباده كما ملكهم في الدنيا ﴿ **وكذلك أنزلناه حكماً عربياً** ﴾ أي كما أُنزلنا الكتب إلى من تقدَّم من الأنبياء بلسانهم أنزلنا إليك حكمة عربية أي جارية على مذاهب العرب في كلامهم يعني القرآن فالحكم هاهنا بمعنى الحكمة كما في قوله ﴿ **وآتيناه الحكم والنبوة** ﴾ وقيل إنما سمّاه حكماً لما فيه من الأحكام في بيان الحلال والحرام وسمّاه عربياً لأنه أتى به نبي عربي ﴿ **ولئن إتبعت أهواءهم** ﴾ خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد به الأمة أي لئن وافقت وطلبت أهواء الذين كفروا والأهواء جمع الهوى وهو ميل الطباع إلى شيء بالشهوة ﴿ **بعد ما جاءك من العلم** ﴾ بالله تعالى لأن ما آتيناك من الدلالات والمعجزات موجب للعلم الذي يزول معه الشبهات ﴿ **ما لك من الله من ولي** ﴾ أي ناصر يعينك عليه ويمنعك من عذابه ﴿ **ولا واق** ﴾ يقيك منه « مِنْ وليٍّ » في موضع رفع ومِنْ مزيدة .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾

[القراءة] قرأ أهل البصرة وابن كثير وعاصم يثبت بالتخفيف وقرأ الباقون يثبّت بالتشديد .

[الحجة] قال أبو على المعنى يمحو ما يشاء ويثبته فاستغني بتعدية الأول من الفعلين عن تعدية الثاني ومثل ذلك والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات وزعم سيبويه إن من العرب من يعمل الأول من الفعلين ولا يعمل الثاني في شيء من كلامهم كقولهم متى رأيت أو قلت زيداً منطلقاً قال الكميت :

بِـأَيِّ كِـتَـابٍ أَمْ بِـأَيَّـةِ سُـنَّـةٍ ... تَـرىٰ حُبَّهُمْ عَـاراً عَلَيَّ وَتَـحْسَـبُ

فلم يعمل الثاني وهذا والله أعلم فيما يحتمل النسخ والتبديل من الشرائع الموقوفة على المصالح على حسب الأوقات فأما غير ذلك فلا يمحى ولا يبدل وحجة من قال يُثَبِّت قوله وأشدُّ تثبيتاً وحجة من قرأ يُثْبِت ما روي عن عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا صلى صلاة أثبتها وقوله ﴿ ثابت ﴾[1] لأن ثبت مطاوع أثبت .

[النزول] قال ابن عباس عيَّروا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكثرة تزويج النساء وقالوا لو كان نبياً لشغلته النبوة عن تزويج النساء فنزلت الآية **﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك ﴾** .

[المعنى] ﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك ﴾ يا محمد **﴿ وجعلنا لهم أزواجاً وذرية ﴾** أي نساء وأولاداً أكثر من نسائك وأولادك وكان لسليمان (ع) ثلاث مائة امرأة مهيرة وسبعمائة سرية ولداود (ع) مائة امرأة عن ابن عباس أي فلا ينبغي أي يستنكر منك أن تتزوج ويولد لك وروي أن أبا عبد الله (ع) قرأ هذه الآية ثم أومى إلى صدره فقال نحن والله ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **﴿ وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله ﴾** أي لم يكن لرسول يرسله الله أن يجيء بآية ودلالة إلا بعد أن يأذن ا في ذلك ويطلق له فيه **﴿ لكل أجل كتاب ﴾** ذكر فيه وجوه (أحدها) أن معناه لكل أجل مقدر كتاب أثبت فيه ولا تكون آية إلا بأجل قد قضاه الله في كتاب على وجه ما يوجبه التدبير فالآية التي اقترحوها لها وقت أجله الله لا على شهواتهم وإقتراحاتهم عن البلخي (والثاني) لكل أمر قضاه الله كتاب كتبه فيه فهو عنده كأجل الحياة والموت وغير ذلك عن أبي علي الجبائي (والثالث) أنه من المقلوب والمعنى لكل كتاب ينزل من السماء أجل ينزل فيه عن ابن عباس والضحاك ومعناه لكل كتاب وقت يعمل به فللتوراة وقت وللإنجيل وقت وكذلك القرآن **﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾** قيل في المحو والإثبات أقوال (أحدها) إن ذلك في الأحكام من الناسخ

---

(١) [حيث قال يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت] .

والمنسوخ عن ابن عباس وقتادة وابن زيد وابن جريج وهو اختيار أبي علي الفارسي (والثاني) أنه يمحو من كتاب الحفظة المباحات وما لا جزاء فيه ويثبت ما فيه الجزاء من الطاعات والمعاصي عن الحسن والكلبي والضحاك عن ابن عباس والجبائي (والثالث) أنه يمحو ما يشاء من ذنوب المؤمنين فضلاً فيسقط عقابها ويثبت ذنوب من يريد عقابه عدلاً عن سعيد بن جبير (الرابع) أنه عام في كل شيء فيمحو من الرزق ويزيد فيه ومن الأجل ويمحو السعادة والشقاوة ويثبتهما عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وأبي وائل وقتادة وأم الكتاب أصل الكتاب الذي أثبت فيه الحادثات والكائنات وروى أبو قلابة عن ابن مسعود أنه كان يقول اللهم إن كنت كتبتني في الأشقياء فامحني من الأشقياء وأثبتني في السعداء فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب وروي مثل ذلك عن أئمتنا (ع) في دعواتهم المأثورة وروى عكرمة عن ابن عباس قال هما كتابان كتاب سوى أم الكتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت وأم الكتاب لا يغير منه شيء ورواه عمران بن حصين عن النبي ﷺ وروى محمد بن مسلم عن أبي جعفر قال سألته عن ليلة القدر فقال ينزل الله فيها الملائكة والكتبة إلى السماء الدنيا فيكتبون ما يكون من أمر السنة وما يصيب العباد وأمر ما عنده موقوف له فيه المشيئة فيقدّم منه ما يشاء ويؤخر ما يشاء ويمحو ويثبت وعنده أم الكتاب وروى الفضيل قال سمعت أبا جعفر (ع) يقول العلم علمان علم علّمه ملائكته ورسله وأنبياءه وعلم عنده مخزون لم يطلع عليه أحد يحدث فيه ما يشاء وروى زرارة عن حمران عن أبي عبد الله (ع) قال هما أمران موقوف ومحتوم فما كان من محتوم أمضاه وما كان من موقوف فله فيه المشيئة يقضي فيه ما يشاء (والخامس) أنه في مثل تقتير الأرزاق والمحن والمصائب يثبته في أم الكتاب ثم يزيله بالدعاء والصدقة وفيه حثٌّ على الانقطاع إليه سبحانه (والسادس) إنه يمحو بالتوبة جميع الذنوب ويثبت بدل الذنوب حسنات يبيّنه قوله ﴿ **إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات** ﴾ عن عكرمة (والسابع) أنه يمحو ما يشاء من القرون ويثبت ما يشاء منها كقوله ﴿ **ثم أنشأنا من بعدهم قرناً آخرين** ﴾ وقوله ﴿ **كم أهلكنا قبلهم من القرون** ﴾ وروي ذلك عن علي (ع) (والثامن) إنه يمحو ما يشاء يعني القمر ويثبت يعني الشمس وبيانه فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة عن السدي وأم الكتاب هو اللوح المحفوظ الذي لا يغيّر ولا يبدّل لأن الكتب المنزلة إنتسخت منه فالمحو والإثبات أنما يقع في الكتب المنتسخة لا في أصل الكتاب عن أكثر المفسرين وقيل إن ابن عباس سأل كعباً عن أم الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون فقال لعلمه كن كتاباً فكان كتاباً وقيل إنما سمي أم الكتاب لأنه الأصل الذي كتب فيه أو سيكون كذا وكذا لكل ما

يكون فإذا وقع كتب أنه قد كان ما قيل أنه سيكون والوجه في ذلك ما فيه من المصلحة والاعتبار لمن تفكر فيه من الملائكة الذين يشاهدونه إذا قابلوا ما يكون بما هو مكتوب فيه وعلموا أن ما يحدث على كثرته قد أحصاه الله تعالى وعلمه قبل أن يكون مع أن ذلك أهول في الصدور وأعظم في النفوس حتى كان من تصوره وفكر فيه شاهداً له ﴿ **وأما نرينك** ﴾ يا محمد ﴿ **بعض الذي نعدهم** ﴾ أي نعد هؤلاء الكفار من نصر المؤمنين عليهم بتمكينك منهم بالقتل والأسر واغتنام الأموال ﴿ **أو نتوفينك** ﴾ أي ونقبضنك إلينا قبل أن نريك ذلك وبيَّن بهذا أنه يكون بعض ذلك في حياته وبعضه بعد وفاته أي فلا تنتظر أن يكون جميع ذلك في أيام حياتك وأن يكون مما لا بدَّ أن تراه ﴿ **فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب** ﴾ أي عليك أن تبلغهم ما أرسلناك به إليهم وتقول بما أمرناك بالقيام به وعلينا حسابهم ومحازاتهم والانتقام منهم إما عاجلاً وإما آجلاً وفي.هذه دلالة على أن الاسلام سيظهر على سائر الأديان ويبطل الشرك في أيامه وبعد وفاته وقد وقع المخبر به على وفق الخبر .

[**النظم**] إتصلت الآية الأولى بما تقدمها من قولهم لولا أنزل عليه آية من ربه فبيَّن سبحانه أنه بشركما أن الرسل الذين كانوا قبله كانوا بشراً والبشر لا يقدر على الآيات بل إنما يأتي سبحانه بها إذا اقتضت المصلحة ذلك عن أبي مسلم وقيل أنه لم تقدَّم ذكر إرساله بيَّن سبحانه أنه أرسل قبله بشراً كما أرسله فحاله مثل حالهم عن القاضي وإنما اتصلت الآية الثانية بقوله ﴿ **لكل أجل كتاب** ﴾ لأن الظاهر اقتضى أن يكون كل مكتوب لا يجوز محوه فبيَّن سبحانه أنه يمحو ما يشاء ويثبت لئلا يتوهم أن المعصية مثبتة مع التوبة كما أنها كذلك قبل التوبة عن علي بن عيسى وقيل لما نزلت وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله قالت قريش ما نراك يا محمد تملك شيئاً فلقد فرغ من الأمر فأنزل هذه الآية تخويفاً ووعيداً لهم إنا لو شئنا أحدثنا من أمرنا ما شئنا ونمحو ونثبت في ليلة القدر ما نشاء من أرزاق الناس ومصائبهم عن مجاهد وإنما اتصل قوله ﴿ **وأما نرينك** ﴾ الآية بما قبله من وعيد الله بالعذاب فبيَّن سبحانه أنه يفعل ذلك لا محالة أما في حياته أو بعد وفاته بشارة له وقيل أنه لما تقدَّم أن لكل أجل كتاباً بيَّن أن لعذابهم وقتاً سيفعله فيه لا محالة إما في حياته أو بعد وفاته .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ

مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو وسيعلم الكافر على لفظ الواحد والباقون الكفار على الجمع وفي الشواذ قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة وابن أبي إسحاق والضحاك والحكم بن عيينة ومن عندِه علمِ الكتاب بكسر الميم والدال وقراءة علي والحسن وابن السميفع ومن عنده عُلِمَ الكتاب .

[**الحجة**] قال أبو علي العلم في قوله ﴿ **وسيعلم الكفَّار** ﴾ هو المتعدي إلى مفعولين بدلالة تعليقه ووقوع الاستفهام بعده تقول علمت لمن الغلامُ فتعلقه مع الجار كما تعلقه مع غيره في نحو فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار وموضع الجار مع المجرور نصب من حيث سدّ الكلام الذي هو فيه مسد المفعولين لا من حيث حكمت في نحو مررت بزيد بأن موضعه نصب ولكن اللام الجارة كانت متعلقة في الأصل بفعل فكان مثل علمت بمن تمر في أن الجار يتعلق بالمرور والجملة التي هي منها في موضع نصب وقد علّق الفعل عنها فأما من قرأ الكافر فإنه جعل الكافر إسماً شائعاً كالإنسان في قوله ﴿ **إن الإنسان لفي خسر** ﴾ وزعموا أن لا ألف فيه وهذا الحذف إنما يقع في كل فاعل نحو خالد وصالح ولا يكاد الحذف في فُعَال وزعموا أن في بعض الحروف وسيعلم الذين كفروا فهذا يقوي الجمع وقد جاء فاعل يراد به إسم الجنس أنشد أبو زيد :

إنْ تَبْخَلِي يَا جُمْلُ أوْ تَعْتَلِّي ... وَتُصْبِحِي فِي الظَّاعِنِ المُوَلِّي

فهذا إنما يكون في الكسرة وليس المراد على كل كافر واحد والجمع الذي هو الكفار المراد في الآية لا إشكال فيه فأما من قرأ ومن عنده علم الكتاب فمعناه ومن فضله ولطفه أم الكتاب ومن قرأ من عنده عُلم الكتاب فالمعنى مثل ذلك إلا أن الجار ههنا يتعلق بعُلم وفي الأول بمحذوف وعلم الكتاب مبتدأ ومرفوع بالظرف على ما تقدم ذكره في قوله ﴿ **ومنهم أميون** ﴾ .

[**اللغة**] النقص أخذ الشيء من الجملة ثم يستعمل في نقصان المنزلة والطرف منتهى

الشيء وهو موضع من الشيء ليس وراءه ما هو منه وأطراف الأرض نواحيها والتعقيب ردُّ الشيء بعد فصله ومنه عقب العقاب على صيده إذا ردّ الكرور عليه بعد فصله عنه ومنه قول لبيد « طَلَبَ المُعَقِّبِ حَقَّهُ المَظْلُومُ »(١) والمكر الفتل عن البغية بطريق الحيلة والشهيد والشاهد واحد إلا أن في شهيد مبالغة والشهادة البينة على صحة المعنى من طريق المشاهدة .

[**الإعراب**] ننقصها من أطرافها جملة منصوبة الموضع على الحال وكذلك قوله ﴿ **لا معقب لحكمه** ﴾ والباء في قوله ﴿ **كفى بالله** ﴾ زائدة قال علي بن عيسى دخلت لتحقيق الإضافة من وجهين جهة الفاعل وجهة حرف الإضافة وذلك أن الفعل لما جاز أن يضاف إلى غير فاعله بمعنى أنه أمر به أزيل هذا الإحتمال بهذا التأكيد ونظيره في تأكيد الإضافة قوله ﴿ **لما خلقت بيدي** ﴾ .

[**المعنى**] ثم ذكر سبحانه ما يكون للكفار كالبينة على الإعتبار فقال ﴿ **أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها** ﴾ أي نقصدها ﴿ **من أطرافها** ﴾ واختلف في معناه على أقوال (أحدها) أو لم ير هؤلاء الكفار أنا ننقص أطراف الأرض بإماتة أهلها ومجازه ننقص أهلها من أطرافها كقوله ﴿ **واسأل القرية** ﴾ أي أفلا يخافون أن نفعل مثل ذلك بهم عن ابن عباس وقتادة وعكرمة (وثانيها) ننقصها بذهاب علمائها وفقهائها وخيار أهلها عن عطا ومجاهد والبلخي وروي نحو ذلك عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعن أبي عبد الله (ع) قال عبد الله بن مسعود موت العالم ثلمة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار (وثالثها) إن المراد نقصد الأرض ننقصها من أطرافها بالفتوح على المسلمين معناه فننقص من أهل الكفر ونزيد في المسلمين يعني ما دخل في الإسلام من بلاد الشرك عن الحسن والضحاك ومقاتل قال الضحاك أو لم ير أهل مكة أنا نفتح لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ما حولها من القرى وقال الزجاج علم الله تعالى أن بيان ما وعد المشركون من قهرهم قد ظهر أي أفلا يخافون أن نفتح لمحمد أرضهم كما فتحنا له غيرها وقد روي ذلك أيضاً عن ابن عباس قال القاضي وهذا القول أصح لأنه يتصل بما وعده من إظهار دينه ونصرته (ورابعها) إن معناه أو لم يروا ما يحدث في الدنيا من الخراب بعد العمارة والموت بعد الحياة والنقصان بعد الزيادة عن الجبائي ﴿ **والله يحكم** ﴾ أي يفصل الأمر ﴿ **لا معقب لحكمه** ﴾(٢) ولا رادَّ لقضائه عن ابن عباس ومعناه لا يعقب أحد حكمه بالرد والنقض ﴿ **وهو سريع الحساب** ﴾ أي سريع

---

(١) مر البيت في صفحة ٤٢٩ .

(٢) [أي لا ناقض لحكمه] .

المجازاة على أفعال العباد على الطاعات بالثواب وعلى المعاصي بالعقاب ثم بيَّن سبحانه أن مكرهم يضمحل عند نزول العذاب بهم فقال ﴿ **وقد مكر الذين من قبلهم** ﴾ يريد أن الكفار الذين كانوا قبل هؤلاء قد مكروا بالمؤمنين واحتالوا في كفرهم ودبَّروا في تكذيب الرسل بما في وسعهم فأبطل الله مكرهم كذلك يبطل مكر هؤلاء ﴿ **فللّه المكر جميعاً** ﴾ أي له الأمر والتدبير جميعاً فيردُّ عليهم مكرهم بنصب الحجج لعباده وقيل معناه فالله يملك الجزاء على المكر عن أبي مسلم وقيل يريد بالمكر ما يفعل الله تعالى بهم من المكروه عن الجبائي ﴿ **يعلم ما تكسب كل نفس** ﴾ فلا يخفى عليه ما يكسبه الإنسان من خير وشر لأنه عالم بجميع المعلومات وقيل يعلم ما يمكرونه في أمر الرسول فيبطل أمرهم ويظهر أمره ودينه ﴿ **وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار** ﴾ هذا تهديد لهم بأنهم سوف يعلمون من تكون له عاقبة الجنة حين يدخل المؤمنون الجنة والكافرون النار وقيل معناه وسيعلمون لمن العاقبة المحمودة لكم أم لهم إذا أظهر الله دينه ﴿ **ويقول الذين كفروا** ﴾ لك يا محمد ﴿ **لست مرسلاً** ﴾ من جهة الله تعالى إلينا ﴿ **قل** ﴾ لهم ﴿ **كفى بالله شهيداً بيني وبينكم** ﴾ أي كفى الله شاهداً بيني وبينكم بما أظهر من الآيات وأبان من الدلالات على نبوتي ﴿ **ومن عنده علم الكتاب** ﴾ قيل فيه أقوال (أحدها) أن من عنده علم الكتاب هو الله عن الحسن والضحاك وسعيد بن جبير واختاره الزجاج قال ويدل عليه قراءة من قرأ ومِنْ عِنْدِهِ علمِ الكتاب (والثاني) إن المراد به مؤمنوا أهل الكتاب منهم عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري عن ابن عباس وقتادة ومجاهد واختاره الجبائي وأنكر الأولون هذا القول بأن قالوا السورة مكية وهؤلاء أسلموا بعد الهجرة (والثالث) إن المراد به علي بن أبي طالب وأئمة الهدى (ع) عن أبي جعفر وأبي عبد الله (ع) وروي عن بريد بن معاوية عن أبي عبد الله أنه قال إيانا عني وعلي أولنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وروى عنه عبد الله بن كثير أنه وضع يده على صدره ثم قال عندنا والله علم الكتاب كملا ويؤيد ذلك ما روي عن الشعبي أنه قال ما أحد أعلم بكتاب الله بعد النبي من علي بن أبي طالب (ع) ومن الصالحين من أولاده وروى عاصم بن أبي النجود عن أبي عبد الرحمن السلمي قال ما رأيت أحداً اقرأ من علي بن أبي طالب (ع) للقرآن وروى أبو عبد الرحمن أيضاً عن عبد الله بن مسعود قال لو كنت أعلم أن أحداً أعلم بكتاب الله مني لأتيته قال فقلت له فعليٌّ وقال أو لم آته .

(١٤) سورة إبراهيم مكية وآياتها اثنتان وخمسون

قال ابن عباس وقتادة والحسن هي مكية إلا آيتان نزلتا في قتلى بدر من المشركين الم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفراً إلى قوله فبئس القرار .

[عدد آيها]

خمس وخمسون آية شامي أربع حجازي آيتان كوفي آية بصري .

[**اختلافها**] سبع آيات إلى النور في الموضعين حجازي وشامي وعاد وثمود حجازي بصري وخلق جديد كوفي شامي والمدني الأول وفرعها في السماء غير المدني الأول والليل والنهار غير البصري عما يعمل الظالمون شامي .

[**فضلها**] أُبي بـن كعب قال قال رسول الله ﷺ من قرأ سورة إبراهيم (ع) والحجر اعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الأصنام وبعدد من لم يعبـدها وروى عيينـة بن مصعب عن أبي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة إبراهيم والحجر في ركعتين جميعاً في كل جمعة لم يصبه فقر ولا جنون ولا بلوى .

[**تفسيرها**] لما ختم الله سورة الرعد باثبات الرسالة وانزال الكتاب افتتح هذه السورة ببيان الغرض في الرسالة والكتاب فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ

بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ
شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ
وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ
بَعِيدٍ ﴿٣﴾

[**القراءة**] الله الذي بالرفع مدني شامي والباقون بالجر .

[**الحجة**] قال أبو علي بالجر جعله بدلاً من الحميد ولم يكن صفة لأن الاسم وان كان مصدراً في الأصل والمصادر يوصف بها كما يوصف بأسماء الفاعلين فكذلك كان هذا الاسم في الأصل الإلّه ومعناه ذو العبادة أي العبادة تجب له قال أبو زيد التأله التنسك وانشد لرؤبة « سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ عَنْ تَأَلُّهِي »(١) فهذا في أنه في الأصل مصدر قد وصف به مثل السلام والعدل إلا أن هذا الاسم غلب حتى صار في الغلبة لكثرة استعمال هذا الاسم كالعلم وقد يغلب ما أصله الصفة فيصير بمنزلة العلم قال :

وَنَابِغَةُ الْجَعْدِيُّ بِالرَّمْلِ بَيْتُهُ ... عَلَيْهِ صَفِيحٌ مِنْ تُرَابٍ وَجَنْدَلٍ

والأصل النابغة ولما غلب نزع منه الألف واللام كما ينزع من الاعلام نحو زيد وجعفر وربما استعمل في هذا النحو الوجهان قال:

تُقَعِّدُهُمْ أَعْرَاقُ حِذْيَمَ بَعْدَمَا ... رَجَا الْهُتْمُ إِدْرَاكَ الْعُلَى وَالْمَكَارِمِ(٢)

وقال « وجلت عن وجوه الأهاتم »(٣) ومن قرأ بالرفع قطعه من الأول وجعل الذي الخبر أو جعله صفة واضمر الخبر ومثل ذلك في القطع قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب ومن قطع ورفع جعل قوله لا يعزب عنه خبراً لقوله عالم الغيب والشهادة ومن جرَّ أجرى عالم

---

(١) وقبله « لله در الغانيات المده » .

(٢) يعني يمنع قبيلة هتم عن ادراك المكارم نسبتهم الى حديم وهو اسم رجل .

(٣) شطر من بيت الفرزدق وقد مر .

الغيب صفة على الأول وعلى هذا يجوز من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن أي ان شئت جعلت هذا صفة لقوله من مرقدنا واضمرت خبراً لقوله ما وعد الرحمن وان شئت جعلت قوله هذا ابتداء وما وعد الرحمن خبراً .

[**اللغة**] العزيز القادر على الأشياء الممتنع بقدرته من أن يضام والحميد المحمود على كل حال والاستحباب طلب محبة الشيء بالتعرض لها والمحبة ارادة منافع المحبوب وقد يستعمل بمعنى ميل الطباع والشهوة والبغية والابتغاء الطلب .

[**المعنى**] **﴿الر﴾** قد ذكرنا معاني الحروف المقطعة في أوائل السور وذكرنا اختلاف الاقاويل فيه في أول البقرة **﴿كتاب أنزلناه إليك﴾** يعني القرآن نزل به جبرئيل (ع) من عند الله تعالى أي هذا كتاب منزل إليك يا محمدﷺ ليس بسحر ولا بشعر **﴿لتخرج الناس﴾** أي جميع الخلق **﴿من الظلمات إلى النور﴾** أي من الضلالة الى الهدى ومن الكفر إلى الإيمان **﴿بإذن ربهم﴾** أي بإطلاق الله ذلك وأمره به وفي هذا دلالة على أنه سبحانه يريد الإيمان من جميع المكلفين لأن اللام لام الغرض ولا يجوز أن يكون لام العاقبة لأنه لو كان ذلك لكان الناس كلهم مؤمنين والمعلوم خلافه ثم بيَّن سبحانه ما النور فقال **﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾** أي يخرجهم من ظلمات الكفر إلى طريق الله المؤدي إلى معرفة الله المنيع في سلطانه المحمود في فعاله ونعمه التي أنعم بها على عباده **﴿الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض﴾** أي له التصرف فيهما على وجه لا اعتراض عليه **﴿وويل للكافرين من عذاب شديد﴾** أخبر أنَّ الويل للكافرين الذين يجحدون نعم الله ولا يعترفون بوحدانيته من عذاب تتضاعف الأمة ثم وصف الكافرين بقوله **﴿الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة﴾** أي يختارون المقام في هذه الدنيا العاجلة على الكون في الآخرة وإنما دخلت على لهذا المعنى وذمَّهم سبحانه بذلك لأن الدنيا دار انتقال وفناء والآخرة دار مقام وبقاء **﴿ويصدون عن سبيل الله﴾** أي يمنعون غيرهم من اتباع الطريق المؤدي إلى معرفة اللهويجوز أن يريد أنهم يعرضون بنفوسهم عن اتباعها **﴿ويبغونها عوجاً﴾** أي يطلبون للطريق عوجاً أي عدولاً عن الاستقامة والسبيل يذكر ويؤنث وقيل معناه يلتمسون الدنيا من غير وجهها لأن نعمة الله لا تستمد إلا بطاعته دون معصيته **﴿أولئك في ضلال بعيد﴾** أي في عدول عن الحق بعيد عن الاستقامة والصواب .

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ

فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ
إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ
أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ
عَظِيمٌ ﴿٦﴾

[**اللغة**] التذكير التعريض للذكر الذي هو خلاف السهو والصبّار كثير الصبر .

[**الإعراب**] أنْ أخْرِجْ يحتمل أن تكون أنْ بمعنى أي على وجه التفسير ويصلح ان تكون ان التي توصل بالأفعال إلا أنها وصلت ههنا بالأمر والتأويل الخبر كما تقول انت الذي فعلت والمعنى أنت الذي فعل يسومونكم سوء العذاب جملة في موضع الحال .

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه أنه إنما يرسل الرسل إلى قومهم بلغتهم ليكون أقرب إلى الفهم واقطع للعذر فقال ﴿**وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم**﴾ أي لم يرسل فيما مضى من الأزمان رسولاً إلا بلغة قومه حتى إذا بيَّن لهم فهموا عنه ولا يحتاجون إلى من يترجمه عنه وقد أرسل الله تعالى نبينا محمداً ﷺ إلى الخلق كافة بلسان قومه وهم العرب بدلالة قوله ﴿**وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً**﴾ قال الحسن امتن الله على نبيّه محمد ﷺ أنه لم يبعث رسولاً إلا إلى قومه وبعثه خاصة إلى جميع الخلق وبه قال مجاهد وقيل ان معناه أنا كما ارسلناك الى العرب بلغتهم لتبين لهم الدين ثم أنهم يبينونه للناس كذلك أرسلنا كل رسول بلغة قومه ليظهر لهم الدين ثم استأنف فقال ﴿**فيضل الله من يشاء**﴾ عن طريق الجنة إذا كانوا مستحقين للعقاب ﴿**ويهدي من يشاء**﴾ إلى طريق الجنة وقيل بلطف لمن يشاء ممن له لطف ويضل عن ذلك من لا لطف فمن تفكر وتدبر اهتدى وثبته الله ومن أعرض عنه خذله الله ﴿**وهو العزيز الحكيم**﴾ ظاهر المعنى ثم ذكر سبحانه إرساله

موسى فقال ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ أي بالمعجزات والدلالات ﴿ان اخرج قومك﴾ أي بأن اخرج قومك ﴿من الظلمات إلى النور﴾ مرَّ معناه أي أمرناه بذلك وانما أضاف الاخراج إليه لأنهم بسبب دعائه خرجوا من الكفر إلى الإيمان ﴿وذكِّرهم بأيام الله﴾ قيل فيه أقوال (أحدها) ان معناه وأمرناه بأن يذكر قومه وقائع الله في الأمم الخالية واهلاك من أهلك منهم ليحذروا ذلك عن ابن زيد والبلخي ويعضدة قول عمرو بن كلثوم

وَأَيَّامٍ لَنَا غُرٌّ طِوَالٍ عَصَيْنَا المَلْكَ فيها أنْ نَدِينا(١)

فيكون المعنى الأيام التي انتقم الله فيها من القرون الأولى (والثاني) ان المعنى ذكرهم بنعم الله سبحانه في سائر أيامه عن ابن عباس وأبي بن كعب والحسن ومجاهد وقتادة وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع) (والثالث) أنه يريد بأيام الله سننه وأفعاله في عباده من انعام وانتقام وكنّى بالأيام عنهما لأنها ظرف لهما جامعة لكل منهما عن أبي مسلم وهذا جمع بين القولين المتقدمين ﴿إن في ذلك﴾ التذكير ﴿لآيات لكل صبار شكور﴾ أي دلالات لكل من كان عادته الصبر على بلاء الله والشكر على نعمائه وإنما جمع بينهما لأن حال المؤمن لا يخلو من نعمة يجب شكرها أو محنة يجب الصبر عليها فالشكر والصبر من خصال المؤمنين فكأنه قال لكل مؤمن ولأن التكليف لا يخلو من الصبر والشكر ﴿وإذ قال موسى لقومه﴾ والتقدير واذكر يا محمد إذ قال موسى لهم ﴿اذكروا نعمة الله عليكم إذا أنجكم﴾ أي في الوقت الذي أنجاكم ﴿من آل فرعون يسومونكم﴾ أي يذيقونكم ﴿سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم﴾ أي يستقونهن احياء للاسترقاق ﴿وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ والآية مفسرة في سورة البقرة(٢) قال الفراء وإنما دخلت الواو هنا للعطف لأنهم كانوا يعذّبون انواعاً من العذاب سوى الذبح فجاز العطف فإذا حذفت الواو كان يذبحون تفسيراً للعذاب .

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا أَنتُمْ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ

(١) هذا بيت من معلقته يريد أيام الوقائع التي نصروا فيها على أعدائهم ويذكر قصة تحاكمهم الى الملك عمرو بن المنذر وقوله « ان ندينا » أي كراهية ان ندين أو لئلا ندين فحذف لا .

(٢) راجع الجزء الأول

جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ
قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ
جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟
إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ
مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ
يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ
قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ
ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

[**اللغة**] التأذن الاعلام يقال أذن وتأذن ومثله اوعد وتوعد قال الحارث بن حلزة

آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ(١)

والنبأ الخبر عما يعظم شأنه لهذا الأمر نبأ عظيم اي شأن ونبأ الله محمداً وتنبأ مسيلمة الكذاب ادعى النبوة والريب أخبث الشك والمريب المتهم وهو الذي يأتي بما فيه التهمة يقال أراب يريب إذا أتى بما يوجب الريبة .

[**الإعراب**] قوم نوح وما بعده مجرور بأنه بدل من قوله الذين من قبلكم وفاطر مجرور بأنه صفة لله في قوله أفي الله شك ومن في قوله من ذنوبكم للتبعيض وقيل ان من زائدة عن أبي عبيدة وانكر سيبويه زيادتها في الإيجاب .

[**المعنى**] لمّا تقدّم ذكر النعمة اتبعه سبحانه بذكر ما يلزم عليها من الشكر فقال ﴿**وإذ تأذن ربكم**﴾ التقدير واذكر إذ أعلـم ربكم عن الحسن والبلخي وقيل معناه وإذ قال لكم ربكم

(١) هذا أول بيت من معلقته الشهيرة يعني أعلمتنا أسماء بعزمها على فراقها أيانا ولم نمل من معاشرتها ولم نعن غيرها .

عن ابن عباس وقيل أخبر ربكم عن الجبائي **﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾** أي لئن شكرتم لي على نعمي لأزيدنكم في النعم **﴿ولئن كفرتم﴾** أي جحدتم نعمتي **﴿إن عذابي لشديد﴾** لمن كفر نعمتي وقال أبو عبد الله (ع) في هذه الآية أيما عبد انعمت عليه نعمة فأقر بها بقلبه وحمد الله عليها بلسانه لم ينفذ كلامه حتى يأمر الله له بالزيادة **﴿وقال موسى ان تكفروا﴾** أي تجحدوا نعم الله سبحانه **﴿أنتم ومن في الأرض جميعاً﴾** من الخلق لم تضروا الله شيئاً وإنما يضركم ذلك بأن تستحقوا عليه العقاب **﴿فإن الله﴾** سبحانه **﴿لغني﴾** عن شكركم **﴿حميد﴾** في أفعاله وقد يكون كفر النعمة بأن يشبه الله بخلقه أو يجور في حكمه أو يرد على نبي من أنبيائه فإن الله سبحانه قد أنعم على خلقه في جميع ذلك بأن أقام الحجج الواضحة والبراهين الساطعة على صحته وعرض بالنظر فيها للثواب الجزيل **﴿ألم يأتكم﴾** قيل ان هذا الخطاب متوجه إلى أمة نبينا ﷺ فذكرت بأخبار من تقدمها من الأمم وقيل انه من قول موسى (ع) لأنه متصل به في الآية المتقدمة والمعنى ألم يجئكم **﴿نبأ الذين من قبلكم﴾** أي أخبار من تقدمكم **﴿قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله﴾** أي لا يعلم تفاصيل أحوالهم وعددهم وما فعلوه وفعل بهم من العقوبات إلا الله قال ابن الأنباري ان الله تعالى أهلك أمماً من العرب وغيرها فانقطعت أخبارهم وعفت آثارهم فليس يعرفهم أحد إلا الله وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون وقيل ان النبي ﷺ كان لا يجاوز في انتسابه معد بن عدنان فعلى هذا يكون قوله والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله مبتدأ وخبراً **﴿جاءتهم رسلهم بالبينات﴾** أي بالأدلة والحجج والأحكام والحلال والحرام **﴿فردوا أيديهم في أفواههم﴾** اختلفوا في معناه على أقوال (أحدها) ان معناه عضُّوا على أصابعهم من شدة الغيظ لأنه ثقل عليهم مكان الرسل عن ابن مسعود وابن عباس والجبائي (وثانيها) ان معناه جعلوا أيديهم في أفواه الأنبياء تكذيباً لهم ورداً لما جاؤوا به فالضمير في أيديهم للكفار وفي أفواههم للأنبياء فكأنهم لما سمعوا وعظ الأنبياء وكلامهم أشاروا بأيديهم إلى أفواه الرسل تسكيتاً لهم عن الحسن ومقاتل (وثالثها) ان معناه وضعوا أيديهم على أفواههم مومين بذلك إلى الرسل ان اسكتوا عما تدعوننا إليه كما يفعل الواحد منا مع غيره إذا أراد تسكيته عن الكلبي فيكون على هذا القول الضميران للكفار (ورابعها) ان كلا الضميرين للرسل أي أخذوا أيدي الرسل فوضعوها على أفواههم ليسكتوهم ويقطعوا كلامهم فيسكتوا عنهم لما يئسوا منهم هذا كله إذا حمل معنى الأيدي والأفواه على الحقيقة ومن حملها على التوسع والمجاز فاختلفوا في معناه فقيل المراد باليد ما نطقت به الرسل من الحجج والمعنى فردُّوا حججهم من حيث جاءت لأن الحجج تخرج من الأفواه عن أبي مسلم وقيل ان المعنى ردُّوا

ما جاءت به الرسل وكذّبوهم عن مجاهد وقتادة وقيل معناه تركوا ما أمروا به وكفُّوا عن قبول الحق عن أبي عبيدة والأخفش قال القتيبي ولم يسمع أحد ان العرب تقول ردَّ يده في فيه بمعنى ترك ما أمر به وانما المعنى انهم عضوا على الأيدي حنقاً وغيظاً كقول الشاعر « يردون في فيه عشر الحسود » يعني أنهم يغيظون الحسود حتى يعض على أصابعه العشر وقال آخر

قَدْ أَفْنَىٰ أَنَامِلَهُ أَزْمُهُ فَأَضحىٰ يَعَضُّ عَلَيَّ الْوَظِيفَا(١)

وقيل المعنى ردوا بأفواههم نعم الرسل أي وعظهم وبيانهم فوقع في موقع الباء عن مجاهد قال الفراء انشدني بعضهم

وَأَرْغَبُ فِيهَا عَنْ لَقِيطٍ وَرَهْطِهِ وَلٰكِنَّني عَنْ سِنْبِسٍ لَسْتُ أَرْغَبُ(٢)

قال أراد أرغب بها يعني بنتاً له يقول ارغب بها عن لقيط وقبيلته ﴿**وقالوا إنا كفرنا**﴾ أي جحدنا ﴿**بما أرسلتم به**﴾ أي برسالاتكم ﴿ **وإنَّا لفي شك مما تدعوننا إليه**﴾ من الدين ﴿**مريب**﴾ متهم أي يوقعنا في الريب بكم انكم تطلبون الرئاسة وتفترون الكذب ﴿**قالت رسلهم**﴾ حينئذ لهم ﴿**أفي الله شك**﴾ مع قيام الأدلة على وحدانيته وصفاته ﴿**فاطر السماوات والأرض**﴾ أي خالقهما ومنشئهما لا يقدر على ذلك غيره فوجب أن يعبد وحده ولا يشرك به من لا يقدر على اختراع الاجسام ﴿**يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم**﴾ أي يدعوكم إلى الإيمان به لينفعكم لا ليضركم وقال من ذنوبكم بمعنى ليغفر لكم بعض ذنوبكم لأنه يغفر ما دون الشرك ولا يغفر الشرك وقال الجبائي دخلت من للتبعيض ووضع البعض موضع الجميع توسعاً ﴿**ويؤخركم إلى أجل مسمى**﴾ أي يؤخركم إلى الوقت الذي ضربه الله لكم أن يميتكم فيه ولا يؤاخذكم بعاجل العقاب ﴿**قالوا**﴾ أي قال لهم قومهم ﴿**إن أنتم**﴾ أي ما أنتم ﴿**إلا بشر مثلنا**﴾ أي خلق مثلنا ﴿**تريدون ان تصدونا**﴾ أي تمنعونا ﴿**عما كان يعبد آباؤنا**﴾ من الأصنام والأوثان ﴿**فأتونا بسلطان مبين**﴾ أي بحجة واضحة على صحة ما تدعونه وبطلان ما نحن فيه وانما قالوا ذلك لأنهم اعتقدوا ان جميع ما جاءت به الرسل من المعجزات ليست بمعجزة ولا دلالة وقيل انهم طلبوا معجزات مقترحات سوى ما ظهرت فيما بينهم وفي هذه الآية دلالة على انه سبحانه لا يريد الكفر والشرك وإنما يريد الخير والإيمان وانه إنما بعث الرسل إلى الكفار رحمة وفضلاً وانعاماً عليهم ليؤمنوا فإنه قال يدعوكم ليغفر لكم .

(١) الازم شدة العض بالفم كله وأزمه في البيت كأنه فاعل أفنى . وفي بعض النسخ « أزمة » والوظيف: مستدر الذراع والساق .

(٢) سنبس ـ كزبرج : قبيلة من طي .

﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ
إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَمَا كَانَ
لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا
وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾

[المعنى] ثم حكى سبحانه جواب الرسل للكفار فقال **﴿قالت لهم رسلهم ان نحن إلا بشر مثلكم﴾** في الصورة والهيئة ولسنا ملائكة **﴿ولكن الله يمنُّ على من يشاء من عباده﴾** أي ينعم عليهم بالنبوة وينبئهم بالمعجزة فلقد منَّ الله علينا واصطفانا وبعثنا أنبياء **﴿وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان﴾** أي بحجة على صحة دعوانا **﴿إلا بإذن الله﴾** أي بأمره واطلاقه لنا في ذلك **﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾** المصدّقون به وبأنبيائه **﴿وما لنا الا نتوكل على الله﴾** معناه وأيُّ شيء لنا إذا لم نتوكل على الله ولم نفوّض أمورنا اليه وعلى هذا تكون ما للاستفهام وقيل ان معناه ولا وجه لنا ولا عذر لنا في أن لا نتوكل على الله ولا نثق به فتكون ما للنفي وإذا كانت للاستفهام فمعناه النفي أيضاً **﴿وقد هدانا سبلنا﴾** أي عرفنا طريق التوكل وقيل معناه هدانا إلى سبيل الإيمان ودلنا على معرفته ووفقنا لتوجيه العبادة إليه وان لا نشرك به شيئاً وضمن لنا على ذلك جزيل الثواب والمراد أنا إذا كنا مهتدين فلا ينبغي لنا أن لا نتوكل على الله **﴿ولنصبرن على ما آذيتمونا﴾** فإنه تعالى يكفينا أمركم وينصرنا عليكم **﴿وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾** وإنما قصَّ هذا وأمثاله في القرآن على نبينا ليقتدي بمن كان قبله من المرسلين في تحمل اذى المشركين والصبر على ذلك والتوكل وروى الواقدي بإسناده عن أبي مريم عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ إذا آذاك البراغيث فخذ قدحاً من الماء فاقرأ عليه سبع مرات وما لنا ألا نتوكل على الله الآية وقل فإن كنتم آمنتم بالله فكفوا شركم وأذاكم عنا ثم ترش الماء حول فراشك فإنك تبيت تلك الليلة آمناً من شرها .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ
فِي مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ

ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾
وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ
مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن
كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ
لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

[**القراءة**] في الشواذ قراءة ابن عباس ومجاهد وابن محيصن واستفتِحوا وقراءة ابن أبي إسحاق في يوم عاصف بالإضافة .

[**الحجة**] قوله ﴿ **واستفتحوا** ﴾ معطوف على ما سبق من قوله ﴿ **فأوحى إليهم ربهم** ﴾ أي وقال لهم استفتحوا أي استنصروا الله عليهم واستقضوه بينكم وفي الحديث كان ﷺ يستفتح بصعاليك المهاجرين أي يستنصر بهم وقيل معناه أنه يقدمهم ويبدأ أمره بهم وكأنهم إنما سموا القاضي فتاحاً لأنه يفتح باب الحق الذي هو منسد فيعمل عليه وأما قوله ﴿ **في يوم عاصف** ﴾ فمعناه في يوم ريح عاصف فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وكذلك في قراءة الجماعة في يوم عاصف هو الريح لا اليوم .

[**اللغة**] الاستفتاح طلب الفتح بالنصر. والخيبة اخلاف ما قدر به المنفعة وضده النجاح وهو إدراك الطلبة والجبرية طلب علو المنزلة بما ليس له غاية في الوصف وإذا وصف العبد بأنه جبار كان ذماً وإذا وصف الله سبحانه به كان مدحاً لأن له علو المنزلة بما ليس وراءه غاية في الصفة والعنيد مبالغة العائد والعناد الامتناع من الحق مع العلم به كبراً وبغياً قال :

إذا نـزلـتُ فـاجْعَـلاني وَسَـطاً إنّي كَبِيـرٌ لا أُطِيـقُ الْعَـنَـدا

والوراء والخلف واحد وهو الجهة المقابلة لجهة القدام وقد يكون وراء بمعنى قدام قال :

أَيَـرْجُـو بَنُـو مَرْوَانَ سَمْعي وَطَـاعَتي وَقَـوْمِـي تَـمـيـم وَالْـفَـلاةُ وَرائِـيـا

قال الزجاج الوراء ما يوارى عنك وليس من الاضداد قال النابغة :

حَلَفْتُ وَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِي رِيبَةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبُ

والصديد القيح يسيل من الجرح أخذ من أنه يُصد عنه تكرهاً له والقيح دم مختلط بمِدَّةٍ[1] وقوله ﴿ صديد ﴾ بيان الماء الذي يسقون فلذلك أعرب بإعرابه والتجرع تناول المشروب جرعة جرعة على الاستمرار والإساغة إجراء الشراب في الحلق يقال ساغ الشيء وأسغته أنا والاشتداد الإسراع بالحركة على عظم القوة يقال اشتد به الوجع من هذا لأنه أسرع إليه على قوة ألمه ويوم عاصف شديد الريح والعصف شدة الريح وإنما جعل العصف صفة لليوم لأنه يقع فيه كما يقال ليل نائم ويوم ماطر ويجوز أن يكون المراد يوم عاصف ريحه ومثله جحر ضب خرب أي خرب جحره .

[**الإعراب**] أو في قوله ﴿ **أو لتعودن** ﴾ بمعنى إلا أن كما يقال لا أكلمك أو تدعوني وقال الفراء لا يكاد يستعمل فيما يقع وفيما لا يقع فما يقع مثل قوله ﴿ **ولا يكاد يسيغه** ﴾ وما لم يقع مثل قوله ﴿ **لم يكد يراها** ﴾ لأن المعنى لم يرها . مثل الذين كفروا تقديره فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا بربهم فيكون رفعاً بالابتداء ويجوز أن يكون مثل مقحماً كأنك قلت الذين كفروا بربهم فيكون رفعاً بالابتداء وأعمالهم رفع على البدل وهو بدل الاشتمال وكرماد الخبر .

[**المعنى**] ﴿ **وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا** ﴾ أي من بلادنا ﴿ **أو لتعودن في ملتنا** ﴾ أي إلا أن ترجعوا إلى أدياننا ومذاهبنا التي نحن عليها ﴿ **فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين** ﴾ أي فأوحى الله إلى رسله لما ضاقت صدورهم بما لقوا من قومهم انا نهلك هؤلاء الظالمين الكافرين ﴿ **ولنسكننكم الأرض من بعدهم** ﴾ أي نسكننكم أرضهم من بعدهم يريد اصبروا فإني أهلك عدوكم وأورثكم أرضهم وفي معناه ما جاء في الحديث من آذى جاره ورثه الله داره ﴿ **ذلك لمن خاف مقامي** ﴾ أي ذلك الفوز لمن خاف وقوفه للحساب والجزاء بين يدي في الموضع الذي أقيمه فيه وأضاف المقام إلى نفسه لأنهم يقومون بأمره ﴿ **وخاف وعيد** ﴾ أي عقابي وإنما قالوا أو لتعودن في ملتنا وهم لم يكونوا على ملتهم قط أما لأنهم توهموا على غير حقيقة أنهم كانوا على ملتهم وأما لأنهم ظنوا بالنشوء أنهم كانوا عليها ﴿ **واستفتحوا** ﴾ أي طلبت الرسل الفتح والنصر من قبل الله تعالى على

(١) المدة ما يجتمع في الجرح من القيح .

الكفار عن مجاهد وقتادة وقيل هو سؤالهم أن يحكم الله بينهم وبين أممهم لأن الفتح الحكم والفتاح الحاكم عن الجبائي ﴿ **وخاب كل جبار عنيد** ﴾ أي خسر كل متكبر معاند مجانب للحق دافع له وقيل معناه واستفتح الكفار العذاب الذي توعدهم به الأنبياء على جهة التكذيب لهم ﴿ **من ورائه جهنم** ﴾ أي جهنم بين يدي هذا الجبار عن الزجاج أي له مع الخيبة نار جهنم بين يديه وقيل معناه من خلفه وإنما جاز في الزمان أن يسمى الأمام وراء وأن لم يجز في غيره لأن الزمان المستقبل كأنه خلفهم لأنه يأتي فيلحقهم كما يلحق الإنسان من خلفه ﴿ **ويسقى من ماء صديد** ﴾ أي ويسقى مما يسيل من الدم والقيح من فروج الزواني في النار عن أبي عبد الله (ع) وأكثر المفسرين أو لونه لون الماء وطعمه طعم الصديد وروى أبو أمامة عن النبي ﷺ في قوله ﴿ **ويسقى من ماء صديد** ﴾ قال يقرب إليه فيكرهه فإذا أدني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه[١] فإذا شرب قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله عز وجل ﴿ **وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم** ﴾ ويقول وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه وقال رسول الله ﷺ من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين يوماً فإن مات وفي بطنه شيء من ذلك كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة خبال[٢] وهو صديد أهل النار وما يخرج من فروج الزناة فيجتمع ذلك في قدور جهنم فيشربه أهل النار فيصهر به ما في بطونهم والجلود رواه شعيب بن واقد عن الحسين بن زيد عن الصادق (ع) عن آبائه (ع) عنه ﷺ ﴿ **يتجرعه** ﴾ أي يشرب ذلك الصديد جرعة جرعة ﴿ **ولا يكاد يسيغه** ﴾ أي لا يقارب أن يشربه تكرهاً له وهو يشربه والمعنى أن نفسه لا تقبل لحرارته ونتنه ولكن يكره عليه ﴿ **ويأتيه الموت من كل مكان** ﴾ أي تأتيه شدائد الموت وسكراته من كل موضع من جسده ظاهره وباطنه حتى تأتيه من أطراف شعره عن إبراهيم التيمي وابن جريج وقيل يحضره الموت من كل موضع ويأخذه من كل جانب من فوقه ومن تحته وعن يمينه وشماله ومن قدامه وخلفه عن ابن عباس والجبائي ﴿ **وما هو بميت** ﴾ أي ومع اتيان أسباب الموت والشدائد التي يكون معها الموت من كل جهة وأنواع العذاب التي كان يموت بدونها في الدنيا لا يموت فيستريح وهذا كقوله ﴿ **لا يقضي عليهم فيموتوا** ﴾ ﴿ **ومن ورائه** ﴾ أي وراء هذا الكافر ﴿ **عذاب غليظ** ﴾ وهو الخلود في النار وقيل معناه ومن بعد هذا العذاب الذي سبق ذكره عذاب أشد وأوجع مما تقدم عن الكلبي ثم أخبر سبحانه عما ينال الكفار من الحسرة فيما تكلفوه من الأعمال فقال ﴿ **مثل الذين كفروا بربهم** ﴾ وقيل ان معناه مثل أعمال الذين كفروا بربهم

(١) الفروة: جلدة الرأس .

(٢) الخبال: عصارة أهل النار ذكره في النهاية . وفي اللسان وطينة الخبال : ما سال من جلود أهل النار .

فحذف المضاف اعتماداً على ذكره بعد المضاف إليه عن الفراء وقيل معناه مما نقص عليك مثل الذين كفروا عن سيبويه ﴿ **أعمالهم** ﴾ في قلة انتفاعهم بها ﴿ **كرماد اشتدت به الريح** ﴾ أي ذرته ونسفته ﴿ **في يوم عاصف** ﴾ أي شديد الريح فكما لا يقدر أحد على جمع ذلك الرماد المتفرق والانتفاع به فكذلك هؤلاء الكفار ﴿ **لا يقدرون مما كسبوا على شيء** ﴾ أي لا يقدرون على الانتفاع بأعمالهم ومثل قوله ﴿ **وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً** ﴾﴿ **ذلك هو الضلال البعيد** ﴾ يعني أن عملهم ذلك هو الذهاب البعيد عن النفع وقيل الخطأ البعيد عن الصواب عن ابن عباس وفي هذه الآية دلالة واضحة على بطلان قول المجبرة لأنه أضاف العمل إليهم ولو كان مخلوقاً له سبحانه لما صح إضافته إليهم .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ
وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ
جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ
أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ
لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾

[**القراءة**] قرأ خالق السماوات ههنا وفي النون أهل الكوفة غير عاصم والباقون خلق .

[**الحجة**] قال أبو علي من قرأ خلق فلأن ذلك فعل ماض فأخبر عنه بلفظ الماضي ومن قرأ خالق على اسم الفاعل جعله مثل فاطر السماوات لأن فاطر بمعنى خالق .

[**اللغة**] البروز خروج الشيء عما كان ملتبساً به إلى حيث يقع عليه الحس يقال برز للقتال إذا ظهر له. الضعفاء جمع ضعيف والضعف نقصان القوة يقال اضعفه فضعف والاستكبار والتكبر والتجبر واحد وهو رفع النفس فوق مقدارها في الوصف والتبع جمع تابع كالغيب جمع غائب قال الزجاج ويجوز أن يكون مصدراً وصف به فيكون بمعنى ذوي تبع وأغنى عنه أي دفع عنه فأغناه أي نفى الحاجة عنه بما فيه كفايته وحاص يحيص حيصاً وحيوصاً مثل حاد والحيد الزوال عن المكروه والجزع انزعاج النفس بورود ما يغم ونقيضه الصبر قال :

فَـإِنْ تَصْبِـرَا فَـالصَّبْـرُ خَيْـرٌ مَغَبَّـةٍ[1] وَإِنْ تَجْـزَعَـا فَـالأَمْـرُ مَـا تَـرَيَـانِ

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه أنه إنما خلق الخلق ليعبدوه وليؤمنوا به لا ليكفروا فقال ﴿ **ألم تر** ﴾ أي ألم تعلم لأن الرؤية قد تكون بمعنى العلم كما تكون بمعنى الادراك للبصر وههنا لا يمكن أن يكون بمعنى الرؤية بالبصر والخطاب للنبي ﷺ والمراد به الأمة ﴿ **إن الله خلق السماوات والأرض** ﴾ على ما تقتضيه الحكمة والخلق فعل الشيء على تقدير وترتيب ﴿ **بالحق** ﴾ أي بقوله الحق وقيل أراد للحق أي للغرض الصحيح والأمر الحق وهو الدين والعبادة أي ليعبدوه فيستحقوا به الثواب عن ابن عباس والجبائي ﴿**إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد** ﴾ أي إن يشأ يهلككم ويفنكم ويخلق قوماً آخرين مكانكم لأن من قدر على بناء الشيء كان على هدمه أقدر إذ لم يخرج عن كونه قادراً ﴿ **وما ذلك على الله بعزيز** ﴾ أي وما اهلاككم والاتيان بخلق جديد بممتنع ولا متعذر على الله تعالى ﴿ **وبرزوا لله جميعاً** ﴾ أخبر سبحانه أن الخلق يبرزون يوم القيامة لله أي يظهرون من قبورهم ويخرجون منها لحكم الله فاللفظ للماضي والمراد به الاستقبال للتحقيق وصحة الوقوع وقيل معناه سيبرزون لله جميعاً القادة والاتباع عن ابن عباس وهو يتصل بقوله ولا يكاد يسيغه. لما تقدَّم ذلك الوعيد بيَّن صفة ذلك اليوم وما يجري بين الاتباع والمتبوعين من المجادلة وقال ﴿ **فقال الضعفاء للذين استكبروا** ﴾ أي تكبروا عن الإيمان فلم يؤمنوا وهم القادة في الدنيا الذين هم الأكابر والرؤساء والقادة في الدين الذين هم علماء السوء ﴿ **إنا كنا لكم تبعاً** ﴾ في الكفر على وجه التقليد ﴿ **فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء** ﴾ أي هل أنتم دافعون عنا شيئاً من عذاب الله الذي قد نزل بنا إن لم تقدروا على دفع الكل ومِنْ للتبعيض ﴿ **قالوا لو هدانا الله لهديناكم** ﴾ أي قال المتبوعون للاتباع لو هدانا الله إلى طريق الخلاص من العقاب والوصول إلى النعيم والثواب لهديناكم إلى ذلك والمعنى لو خلصنا لخلصناكم أيضاً لكن لا مطمع فيه لنا ولكم عن الجبائي وأبي مسلم وقيل معناه لو هدانا الله إلى الرجعة إلى الدنيا فنصلح ما أفسدناه لهديناكم وقيل لو هدانا الله بإجابتنا إلى الطلب لهديناكم بالمسألة له سبحانه ذكر هذين الوجهين القاضي عبد الجبار في تفسيره ﴿ **سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص** ﴾ يعني أن الصبر والجزع سيان مثلان ليس لنا محيص ولا مهرب من عذاب الله أي انقطعت حيلتنا ويئسنا من النجاة. حثَّ الله سبحانه في هذه الآية على النظر وحذَّر من التقليد وإلى هذا أشار أمير المؤمنين علي (ع) في قوله للحارث الهمداني يا جار الحق لا يُعرف

(١) مغبة الأمر: عاقبته وقد مضى البيت.

بالرجال أعرف الحق تعرف أهله .

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾

[**القراءة**] قرأ حمزة وحده بمصرخيِّ بكسر الياء والباقون بفتحها .

[**الحجة**] قال أبو علي قال الفراء في كتابه في التصريف هو قراءة الأعمش ويحيى بن وثاب قال وزعم القاسم بنِ معن أنه صواب قال وكان ثقة بصيراً وزعم قطرب أنه لغة من بني يربوع يزيدون على ياء الإضافة ياء وانشد :

قَالَ لَهَا هَلْ لَكِ يا تَاقِيِّ قَالَتْ لَهُ مَا أَنْتَ بِالْمَرْضِيِّ

ماضٍ إذا ما هَمَّ بِالمُضِيِّ

وأنشد الفراء ذلك أيضاً ووجه ذلك من القياس أن الياء ليست تخلو من أن تكون في موضع النصب أو الجر فالياء في النصب والجر كالهاء فيهما وكالكاف في أكرمتك وهذا لك فكما أن الهاء قد لحقتها الزيادة في هذا كهو وألحقت أيضاً الكاف الزيادة في قول من قال أعطيتكاه وأعطتكيه فيما حكاه سيبويه وهما اختا الياء كذلك ألحقوا الياء الزيادة في المد فقالوا فيَّ ثم حذفت الياء الزائدة على الياء كما حذفت الزيادة من الهاء في قول من قال لَهْ أرقان[1] وزعم أبو الحسن أنها لغة فكما حذفت الزيادة من الكاف في قول من قال أعطيتكيه وأعطيتكه كذلك حذفت الياء اللاحقة للياء وبالجملة حذفت الزيادة من الياء كما حذفت من أختيها وأقرت الكسرة التي كانت تلي الياء المحذوفة فبقيت الياء على ما كانت عليها من الكسرة وكما لحقت الكاف والهاء والياء الزيادة كذلك لحقت التاء الزيادة نحو « رميتيه فأصبتيه وما أخطأت الرمية » فإذا كانت هذه الكسرة في الياء على هذه اللغة وإن كان غيرها

(١) هذا شطر من بيت مر في صفحة ٢٥٣ فراجع .

أفشى منها وعضده من القياس ما ذكرنا لم يجز لقائل أن يقول أن القراءة بذلك لحن لاستفاضة ذلك في السماع والقياس قال البصير كسر الياء ليكون طبقاً لكسرة همزة قوله ﴿ اني كفرت ﴾ لأنه أراد الوصل دون الوقف والابتداء بإني كفرت لأن الابتداء بأني كفرت محال فلما أراد هذا المعنى كان كسر الياء أدل على هذا من فتحها .

[**اللغة**] الاصراخ الاغاثة بإجابة الصارخ ويقال استصرخني فلان فأصرخته أي استغاث بي فأغثته .

[**المعنى**] لما تقدَّم وعيد الكافر وصفة يوم الحشر وما يجري فيه من الجدال بين الاتباع والمتبوعين عقَّب ذلك سبحانه بكلام الشيطان في ذلك اليوم فقال ﴿ **وقال الشيطان** ﴾ وهو إبليس باتفاق المفسرين يقول لأوليائه الذين اتبعوه ﴿ **لما قضي الأمر** ﴾ أي فرغ من الحكم بين الخلائق ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار عن ابن عباس والحسن وقالا أنه لم يخاطبهم بذلك قال الحسن وهو أحقر وأذل من أن يخاطب لولا أن الله أذن فيه توبيخاً لأهل النار وقيل أنه يوضع له منبر في النار فيرقاه ويجتمع الكفار عليه باللائمة عن مقاتل ﴿ **إن الله وعدكم وعد الحق** ﴾ من البعث والنشور والحساب والثواب والعقاب ﴿ **ووعدتكم** ﴾ أن لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار وقيل ووعدتكم الخلاص من العقاب بارتكاب المعاصي ﴿ **فاخلفتكم** ﴾ أي كذبتكم وقيل لم أوف لكم بما وعدتكم ﴿ **وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم** ﴾ أي وما كان لي عليكم سلطان بالإكراه والإجبار على الكفر والمعاصي وإنما كان لي سبيل الوسوسة والدعوة ﴿ **فاستجبتم لي** ﴾ بسوء اختياركم وقيل معناه ما أظهرت لكم حجة احتج بها عليكم إلا أن دعوتكم فيكون هذا من الاستثناء المنقطع ومعناه لكن دعوتكم إلى الضلال وأغويتكم فصدَّقتموني وأجبتموني وقبلتم مقالتي بسوء اختياركم لأنفسكم ﴿ **فلا تلوموني** ﴾ على ما حلَّ بكم من العقاب بسوء اختياركم ﴿ **ولوموا أنفسكم** ﴾ حيث عدلتم عن أمر الله إلى اتباعي من غير دليل وبرهان ﴿ **ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي** ﴾ أي ما أنا بمغيثكم ولا معينكم وما أنتم بمغيثي ولا معيني ﴿ **إني كفرت بما أشركتموني من قبل** ﴾ أي كفرت الآن بما كان من إشراككم إياي مع الله في الطاعة أي جحدت أن أكون شريكاً لله تعالى فيما أشركتموني فيه من قبل هذا اليوم وقال الفراء وجماعة تقديره إني كفرت بما أشركتموني به أي بالله ويعني بقوله ﴿ **من قبل** ﴾ في وقت آدم (ع) حين أمر بالسجود فأبى واستكبر ﴿ **إن الظالمين لهم عذاب أليم** ﴾ قيل أنه من تمام قول الشيطان لأهل النار وقيل أنه ابتداء وعيد من الله تعالى لهم وهو الأظهر وفي هذه الآية دلالة على أن الشيطان لا يقدر على أكثر من الدعاء والاغواء وأنه ليس عليه إلا عقاب الدعوة فحسب .

﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ
فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ
طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ
بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾
وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ
مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾

[**القراءة**] في الشواذ قراءة الحسن وادخِلُ الذين آمنوا برفع اللام .

[**الحجة**] قال ابن جني هذه القراءة على أن أدخل من كلام الله كأنه قطع الكلام واستؤنف فقال الله وأنا أدخل المؤمنين جنات وعلى هذا فقوله ﴿ **بإذن ربهم** ﴾ أي بإذني إلا أنه أعاد ذكر الرب ليضيفه إليهم فيكون اذهب في الإكرام والتقريب منه لهم .

[**اللغة**] التحية التلقي بالكرامة في المخاطبة وأما قوله ﴿ **التحيات لله** ﴾ فإن في ذلك ثلاثة أقوال (أولها) المعنى أن الملك لله يقال حياك الله أي ملكك (وثانيها) البقاء لله يقال حياك الله أي أبقاك الله فيكون بمعنى أحياك الله كما يقال وصى وأوصى ومهل وأمهل (وثالثها) أن ذلك بمعنى السلام قال القتيبي وإنما جمع لأنه كان في الأرض ملوك يحيون بتحيات مختلفة فيقال لبعضهم أبيت اللعن ولبعضهم أسلم وأنعم ولبعضهم عش ألف سنة فقيل لنا قولوا التحيات لله أي كل الألفاظ التي يحيا بها الملوك هي لله والاجتثاث اقتلاع الشيء من أصله يقال جثه واجتثه والجثة أخذت منه

[**المعنى**] لما تقدم وعيد الكافرين عقبه سبحانه بالوعد للمؤمنين فقال ﴿ **وادخل الذين آمنوا** ﴾ أي صدقوا الله ورسوله ﴿ **وعملوا الصالحات** ﴾ أي الطاعات ﴿ **جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها** ﴾ قد سبق معناه ﴿ **بإذن ربهم** ﴾ أي بأمر ربهم واطلاقه

﴿ **تحيتهم فيها سلام** ﴾ مرَّ تفسيره في سورة يونس[١] ثم ضرب الله سبحانه مثل يقـرب من أفهام السامعين ترغيباً للخلق في اتباع الحق فقال ﴿ **ألم تر** ﴾ أي ألم تعلم يا محمد ﴿ **كيف ضرب الله مثلاً** ﴾ أي بيَّن الله شِبَهـا ثم فسَّر ذلـك المثل فقـال ﴿ **كلمة طيبـة** ﴾ وهي كلمة التوحيد شهـادة أن لا إلَه إلا الله عن ابن عبـاس وقيل هي كـل كلام أمـر الله تعالى بـه من الطاعات عن أبي علي قال وإنما سماها طيبة لأنها زاكية نامية لصاحبها بالخيرات والبركات ﴿ **كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء** ﴾ أي شجرة زاكية نامية راسخة أصولها في الأرض عالية أغصانها وثمارها في السماء وأراد به المبالغة في الرفعة والأصل سافل والفرع عال إلا أنه يتوصل من الأصل إلى الفرع وروى أنس عن النبي ﷺ أن هذه الشجرة الطيبة هي النخلة وقيل أنها شجرة في اللجنة عن ابن عباس وروى ابن عقدة عن أبي جعفر (ع) أن الشجرة رسول الله ﷺ وفرعها علي (ع) وعنصر الشجرة فاطمة وثمرتها أولادها وأغصانهـا وأوراقهـا شيعتنا ثم قـال (ع) أن الرجـل من شيعتنا ليمـوت فيسقط من الشجرة ورقـة وأن المولود من شيعتنا ليولد فيورق مكان تلك الورقة ورقة وروي عن ابن عباس قال قال جبريل (ع) للنبي ﷺ أنت الشجرة وعلي غصنها وفاطمة ورقها والحسن والحسين ثمارها وقيل أراد بتلك شجرة هذه صفتها وإن لم يكن لها وجود في الدنيا لكن الصفة معلومة وقيل أن المراد بالكلمة الطيبة الإيمان وبالشجرة الطيبة المؤمن ﴿ **تؤتي أكلها** ﴾ أي تخرج هذه الشجـرة ما يؤكل منها ﴿ **كل حين** ﴾ أي في كل ستة أشهر عن ابن عباس وأبي جعفر (ع) وقال الحسن وسعيد بن جبير أراد بذلك أنه يؤكل ثمرها في الصيف وطلعها في الشتاء وما بين صرام النخلة إلى حملها ستة أشهر وقال مجاهد وعكرمة كل حين أي كل سنة لأنها تحمل في كل سنة مرة وقال سعيد بن المسيب في كل شهرين لأن من وقت ما يطعم النخل إلى صرامه يكون شهرين وقيل لأن من وقت أن يصرم النخل إلى حين يطلع يكون شهرين وقـال الربيـع بن أنس كل حين أي كل غدوة وعشية وروي ذلك عن ابن عباس أيضاً وقيل معناه في جميع الأوقات لأن ثمر النخل يكون أولاً طلعاً ثم يصير بلحاً ثم بسرا ثم رطباً ثم تمرا فيكون ثمره موجوداً في كل الأوقات ويدل على أن الحين بمنزلة الوقت قول النابغة في صفة الحية والملدوغ :

تَنَـاذَرَهَـا الـرَّاقُـونَ مِنْ سُـوءِ سَمِّهَـا ... تُـطَلِّقُـهُ حِينـاً وَحِينـاً تُـرَاجِـعُ[٢]

---

(١) في صفحة ١٤١ .

(٢) تناذرها أي أنذر بعضهم بعضاً . وراقون جمع الراقي : من يصنع الرقبة وهي العوذة. وفي الديوان وشرح الاشموني « تطلقه طوراً وطوراً تراجع » . ويروى أيضاً « من سوء سمعها » .

يعني أن السم يخف ألمه وقتاً ويعود وقتاً وقيل أنه سبحانه شبَّه الإيمان بالنخلة لثبات الإيمان في قلب المؤمن كثبات النخلة في منبتها وشبَّه ارتفاع علمه إلى السماء بارتفاع فروع النخلة وشبَّه ما يكسبه المؤمنون من بركة الإيمان وثوابه في كل وقت وحين بما ينال من ثمرة النخلة في أوقات السنة كلها من الرطب والتمر وقيل أن معنى قوله تؤتي أكلها كل حين ﴿ **بإذن ربها** ﴾ ما يفتي به الأئمة من آل محمد ﷺ وشيعتهم في الحلال والحرام ﴿ **ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون** ﴾ أي لكي يتدبروا فيعرفوا الغرض بالمثل ﴿ **ومثل كلمة خبيثة** ﴾ وهي كلمة الكفر والشرك عن ابن عباس وغيره وقيل هو كل كلام في معصية الله تعالى عن أبي علي ﴿ **كشجرة خبيثة** ﴾ غير زاكية وهي شجرة الحنظل عن ابن عباس وأنس ومجاهد وقيل أنها شجرة هذه صفتها وهو أنه لا قرار لها في الأرض عن الحسن وقيل أنها الكشوث[1] عن الضحاك وروى أبو الجارود عن أبي جعفر (ع) أن هذا مثل بني أمية ﴿ **اجتثت من فوق الأرض** ﴾ أي اقتطعت واستؤصلت واقتلعت جثته من الأرض ﴿ **ما لها من قرار** ﴾ أي ما لتلك الشجرة من ثبات فإن الريح تنسفها وتذهب بها فكما أن هذه الشجرة لاثبات لها ولا بقاء ولا ينتفع بها أحد فكذلك الكلمة الخبيثة لا ينتفع بها صاحبها ولا يثبت له منها نفع ولا ثواب وروي عن ابن عباس أيضاً أنها شجرة لم يخلقها الله بعد وإنما هو مثل ضربه بهذا القول حسن لأن الحنظل وغيره قد ينتفع بذلك في الأدوية .

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾

[**اللغة**] الاحلال وضع الشيء في محل أما بمجاورة أن كان من قبيل الاجسام أو بمداخلة ان كان من قبيل الاعراض والبوار الهلاك يقال بار الشيء يبور بوراً إذا هلك ورجل

---

(٢) الكشوت : نبات يلتف على الشوك والشجر لا أصل له في الأرض ولا ورق .

بور أي هالك وقوم بور أيضاً قال ابن الزبعري :

يَـا رَسُـولَ الـمَلِيـكِ إنَّ لِسَـانِي رَاتِـقٌ مَـا فَـتَـقْـتُ إِذْ أَنَـا بُـورُ

والانداد الامثال المنادُّون قال :

تُـهْـدىٰ رُؤُوسُ الْمُتْـرَفِيـنَ الأَنْـداد إِلـىٰ أَمِيـرِ الْـمُؤْمِنِيـنِ الـمُـمْـتَـادِ[1]

[**الإعراب**] جهنم انتصب على البدل من قوله ﴿ **دار البوار ويصلونها** ﴾ في موضع نصب على الحال من قومهم وان شئت كان حالاً من جهنم وان شئت فمنهما كقوله ﴿ **تحمله** ﴾ بعد قوله ﴿ **فأتت به قومها** ﴾ .

[**المعنى**] لما قدَّم سبحانه ذكر الكلمة الطيبة عقَّبه بذكر ما يحصل لصاحبها من المثوبة والكرامة فقال ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾ أي يثبتهم في كرامته وثوابه بالقول الثابت الذي وجد منهم وهو كلمة الإيمان لأنه ثابت بالحجج والأدلة وقيل معناه يثبت الله المؤمنين بسبب كلمة التوحيد وحرمتها في الحياة الدنيا حتى لا يزلّوا ولا يضلوا عن طريق الحق ويثبتهم بها حتى لا يزلّوا ولا يضلّوا عن طريق الجنة وقيل معناه يثبتهم بالتمكين في الأرض والنصرة والفتح في الدنيا وبإسكانهم الجنة في الآخرة عن أبي مسلم وقال أكثر المفسرين أن المراد بقوله ﴿ **في الآخرة** ﴾ في القبر والآية وردت في سؤال القبر وهو قول ابن عباس وابن مسعود وهو المروي عن أئمتنا (ع) وروى محمد بن يعقوب الكليني في كتاب الكافي بإسناده عن سويد بن غفلة عن أمير المؤمنين علي (ع) قال أن ابن آدم إذا كان في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة مُثّل له ماله وولده وعمله فيلتفت إلى ماله فيقول والله إني كنت عليك لحريصاً شحيحاً فمالي عندك فيقول خذ مني كفنك فيلتفت إلى ولده فيقول والله إني كنت لكم لمحباً وعليكم لمحامياً فماذا لي عندكم فيقولون نؤديك إلى حفرتك نواريك فيها قال فيلتفت إلى عمله فيقول والله إني كنت فيك لزاهداً وإن كنت علي لثقيلاً فماذا لي عندك فيقول أنا قرينك في قبرك ويوم نشرك حتى أعرض أنا وأنت على ربك قال فإن كان لله ولياً أتاه أطيب الناس ريحاً وأحسنهم منظراً وأحسنهم رياشاً فقال أبشر بروح وريحان وجنة نعيم ومقدمك خير مقدم فيقول له من أنت فيقول أنا عملك الصالح أرتحل من الدنيا إلى الجنة وأنه ليعرف غاسله ويناشد حامله أن يعجله فإذا أدخل قبره أتاه ملكا القبر يجران أشعارهما ويخدان الأرض بأنيابهما أصواتهما

(١) مر البيت في صفحة ٣٠٦ .

كالرعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول الله ربي وديني الإسلام ونبيي محمد ﷺ فيقولان ثبتك الله فيما تحب وترضى وهو قوله سبحانه **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾ ثم يفسحان له في قبره مدّ بصره ثم يفتحان له باباً إلى الجنة ثم يقولان له نم قرير العين نوم الشاب الناعم فإن الله يقول ﴿ **أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً** ﴾ قال وإذا كان لربه عدواً فإنه يأتيه أقبح خلق الله زياً وأنتنه ريحاً فيقول أبشر بنزل من حميم وتصلية جحيم وأنه ليعرف غاسله ويناشد حملته أن يحتبسوه فإذا أدخل القبر أتاه ملكا القبر فألقيا أكفانه ثم يقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لا أدري فيقولان له لا دريت ولا هديت فيضربان يافوخه بمرزبة معهما ضربة ما خلق الله من دابة إلا تذعر لها ما خلا الثقلين ثم يفتحان له بابا إلى النار ثم يقولان له نم بشرٍّ حال فيه من الضيق مثل ما فيه القناه من الزج حتى أن دماغه ليخرج من بين ظفره ولحمه ويسلط الله عليه حيات الأرض وعقاربها وهوامها فتنهشه حتى يبعثه الله من قبره وأنا ليتمنى قيام الساعة مما هو فيه من الشر نعوذ بالله من عذاب القبر ﴿ **ويضل الله الظالمين** ﴾ أي ويضلّهم عن هذا التثبيت في الدنيا وفي الآخرة ﴿ **ويفعل الله ما يشاء** ﴾ من الإمهال والانتقام وضغطة القبر ومساءلة منكر ونكير لا اعتراض عليه في ذلك ولا قدرة لأحد على منعه وهذا من تمام الترغيب والترهيب ثم خاطب سبحانه نبيَّه ﷺ فقال ﴿ **ألم تر إلى الذين بدَّلوا نعمة الله كفراً** ﴾ يحتمل أن يكون المراد ألم تر إلى هؤلاء الكفار عرفوا نعمة الله بمحمد ﷺ أي عرفوا محمداً ثم كفروا به فبدَّلوا مكان الشكر كفراً وروي عن الصادق (ع) أنه قال نحن والله نعمة الله التي أنعمها أنعم بها على عباده وبنا يفوز من فاز. ذكره علي بن إبراهيم في تفسيره ويحتمل أن يكون المراد جميع نعم الله على العموم بدلوها أقبح التبديل إذا جعلوا مكان شكرها الكفر بها واختلف في المعنى بالآية فروي عن أمير المؤمنين علي (ع) وابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك ومجاهد أنهم كفار قريش كذبوا نبيهم ونصبوا له الحرب والعداوة وسأل رجل أمير المؤمنين علياً (ع) عن هذه الآية فقال هم الافجران من قريش بنو أمية وبنو المغيرة فأما بنو أمية فمتعوهم إلى حين وأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وقيل أنهم جبلة بن الايهم ومن اتبعوه من العرب تنصروا ولحقوا بالروم ﴿ **وأحلوا قومهم دار البوار** ﴾ أي أنزلوا قومهم دار الهلاك بأن أخرجوهم إلى بدر وقيل معناه أنزلوهم دار الهلاك وهي النار بدعائهم إياهم إلى الكفر بالنبي وإغوائهم إياهم ﴿ **جهنم يصلونها وبئس القرار** ﴾ وهذا تفسير لدار البوار يعني أن تلك الدار هي جهنم يدخلونها وبئس القرار قرار من قراره النار ﴿ **وجعلوا لله أنداداً** ﴾ أي وجعل

هؤلاء الكفار الذين بدَّلوا نعمة الله كفراً لله نظراء وأمثالاً في العبادة زيادة على كفرهم وجحدهم ﴿ ليضلوا عن سبيله ﴾ أي ليكون عاقبة أمرهم إلى الضلال الذي هو الهلاك وليست هذه اللام لام الغرض لأنهم لم يعبدوا الأوثان من دون الله وغرضهم أن يهلكوا ومن قرأ ليُضلوا بضم الياء فمعناه ليضل الناس عن سبيل الله ثم قال سبحانه لنبيّه ﷺ ﴿ قل ﴾ لهؤلاء الكفار الذين وصفناهم ﴿ تمتعوا ﴾ وانتفعوا بما تهوون من عاجل هذه الدنيا والمراد به التهديد وإن كان بصورة الأمر ﴿ فإن مصيركم ﴾ أي مرجعكم ومآلكم ﴿ إلى النار ﴾ والكون فيها وكان قد يكون .

﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾

[**القراءة**] قرأ زيد عن يعقوب من كُلٍ ما سألتموه بالتنوين وهو قراءة ابن عباس والحسن ومحمد بن علي الباقر (ع) وجعفر بن محمد الصادق (ع) والضحاك وعمرو بن قائد وقرأ سائر القراء من كل ما سألتموه بالإضافة .

[**الحجة**] أما القراءة بالتنوين فإن المفعول فيها ملفوظ به أي وأتاكم ما سألتموه من كل شيء سألتموه أن يؤتيكم منه وقال الضحاك أن ما للنفي معناه وآتاكم من كل شيء لم تسألوه إياه أما القراءة على الإضافة فالمفعول فيها محذوف أي وآتاكم سؤالكم من كل شيء سألتموه .

[**اللغة**] الخلال مصدر خاللته مخالة وخلالاً أي صادقته قال امرؤ القيس :

صَـرَفْتُ الْهَـوىٰ عَنْهُنَّ مِنْ خَشْيَـةِ الرَّدىٰ وَلَسْتُ بِـمَقْلِيِّ الـخِـلاَلِ وَلاَ قـالِ[١]

وقد يكون الخلال جمع خلة ويكون مثل قلة وقلال والدؤوب مرور الشيء في العمل على عادة جارية فيه يقال دأب يدأب دأباً ودؤوباً فهو دائب .

[**الإعراب**] يقيموا جزم من ثلاثة أوجه (أحدها) أنه جواب الأمر الذي هو قل لأن المعنى في قل أن تقل لهم يقيموا الصلاة (والثاني) أنه جواب أمر محذوف وتقديره قل لعبادي أقيموا الصلاة يقيموا الصلاة (والثالث) أنه على حذف لام الأمر كأنه قال قل لعبادي ليقيموا الصلاة وإنما جاز حذف اللام هنا لأن في الكلام دليلًا على المحذوف ألا ترى أن لفظ الأمر بقل قد دل على الغائب تقول قل لزيد ليضرب عمرواً وإن شئت قلت قل لزيد يضرب عمرواً ولا يجوز أن تقول يضرب زيد عمرواً بالجزم حتى تقول ليضرب لأن لام الغائب ليس هنا عوض منها إذا حذفتها وقوله لا بيع فيه ولا خلال إن شئت رفعت البيع والخلال جميعاً وإن شئت فتحتهما وإن شئت فتحت أحدهما ورفعت الآخر وقد شرحنا ذلك فيما مضى .

[**المعنى**] ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **لعبادي الذين آمنوا** ﴾ أي اعترفوا بتوحيد الله وعدله عنى به أصحاب النبي ﷺ عن ابن عباس وقيل أراد به جميع المؤمنين عن الجبائي ﴿ **يقيموا الصلاة** ﴾ أي يؤدّوا الصلوات الخمس لمواقيتها فإن الصلاة لا تصير قائمة إلا بإقامتهم ﴿ **وينفقوا مما رزقناهم سرّاً وعلانية** ﴾ أي وقل لهم ينفقوا من أموالهم في وجوه البر من الفرائض والنوافل ينفقون في النوافل سراً ليدفعوا عن أنفسهم تهمة الرياء وفي الفرائض علانية ليدفعوا تهمة المنع ﴿ **من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه** ﴾ يعني يوم القيامة والمراد بالبيع إعطاء البدل ليتخلص به من النار لا أن هناك مبايعة ﴿ **ولا خلال** ﴾ أي ولا مصادقة وهذا مثل قوله الإخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوٌّ إلا المتقين ثم بيَّن سبحانه أنه المستحق للإلٓهية فقال ﴿ **الله الذي خلق السماوات والأرض** ﴾ أي أنشأهما من غير شيء وبدأ بذكرهما لعظم شأنهما في القدرة والنعمة ﴿ **وأنزل من السماء ماء** ﴾ أي غيثاً ومطراً ﴿ **فأخرج به** ﴾ أي بذلك الماء ﴿ **من الثمرات رزقاً لكم** ﴾ يعني أن الغرض في ذلك أن يؤتيكم أرزاقكم ﴿ **وسخَّر لكم الفلك** ﴾ أي السفن والمراكب ﴿ **لتجري في البحر بأمره** ﴾ أي بأمر الله لأنها تسير بالرياح

(١) المقلى : المبغوض. والقالي : الباغض .

والله هو المنشىء للرياح ﴿ **وسخر لكم الأنهار** ﴾ التي تجري بالمياه التي ينزلها من السماء ويجريها في الأودية وينصب منها في الأنهار ﴿ **وسخر لكم الشمس والقمر** ﴾ أي ذلَّل لمنافعكم الشمس والقمر في سيرهما لتنتفعوا بضوء الشمس نهاراً وبضوء القمر ليلاً وليبلغ بها الثمار والنبات في النضج الحد الذي عليه تتمُّ النعمة فيهما ﴿ **دائبين** ﴾ أي دائمين لا يفتران في صلاح الخلق والنباتات ومنافعهم ﴿ **وسخر لكم الليل والنهار** ﴾ أي ذلَّلهما لكم ومهَّدهما لمنافعكم لتسكنوا في الليل ولتبتغوا في النهار من فضله ﴿ **وآتاكم من كل ما سألتموه** ﴾ معناه أن الإنسان قد يسأل الله العافية فيعطى ويسأله النجاة فيعطى ويسأله الغنى فيعطى ويسأله الولد والعز فيعطى ويسأله تيسير الأمور وشرح الصدور فيعطى فهذا في الجملة حاصل في الدعاء لله تعالى ما لم يكن فيه مفسدة في الدين أو على غيره فأين يذهب به مع هذه النعم التي لا تحصى كثرة عن الله الذي هو في كل حال محتاج إليه وهو مظاهره بالنعم عليه ودخلت من للتبعيض لأنه لو قال وآتاكم كل ما سألتموه لاقتضى أن جميع ما يسأله العبد يعطيه الله تعالى والأمر بخلافه لأن ما فيه مفسدة لا يعطيه الله إياه وتقديره وآتاكم من كل ما سألتم شيئاً وقيل معناه وأتاكم من كل ما بكم إليه حاجة فما من شيء يحتاج إليه العباد إلا وهو موجود فيما بينهم وهو كقوله ﴿ **خلق لكم ما في الأرض جميعاً** ﴾ ولم يخصص كل واحد من الخلق بإيتاء كل ما سأله وقيل معناه وآتاكم من كل شيء سألتموه ولم تسألوه فما ههنا نكرة موصوفة والجملة صفة له وحذف الجملة المعطوفة وهي لم تسألوه كقوله سرابيل تقيكم الحر والمعنى وتقيكم البرد وإن فيما أبقى دليلاً على ما ألقى ﴿ **وأن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾ أي لا تقدروا على إحصائها لكثرتها والنعمة هنا اسم أقيم مقام المصدر ولذلك لم يجمع فبيّن سبحانه أنه هو المنعم على الحقيقة وأنه المستحق للعبادة ويروى عن طليق بن حَبيب أنه قال أن حق الله تعالى أثقل من أن يقوم به العباد فإن نعم الله أكثر من أن تحصيها العباد ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين ﴿ **إن الإنسان لظلوم** ﴾ أي كثير الظلم لنفسه ﴿ **كفار** ﴾ أي كثير الكفران لنعم ربه وقيل معناه ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع ولم يرد بالإنسان هاهنا العموم بل هو مثل ما في قوله ﴿ **والعصر إن الإنسان لفي خسر** ﴾ .

[**النظم**] اتصل قوله سبحانه ﴿ **قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة** ﴾ بما تقدم من قوله ﴿ **قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار** ﴾ فانه عقَّب ذلك بالأمر للمؤمنين بما يوجب النعيم المقيم ومرافقة الأبرار ليكون قد عقّب الوعيد بالوعد والعقاب بالثواب واتصلت الآية الثانية بقوله ﴿ **وجعلوا لله أنداداً** ﴾ فإنه سبحانه لما ذكر ما هم عليه من اتخاذ الأنداد لله سبحانه بيِّن

بعده أن واجب الوجود المستحق للإلهية الذي يحق له العبادة هو الله الذي خلق السماوات والأرض الآية .

﴿ وَإِذْ قَالَ
إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ
ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى
فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ
مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟
ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ
ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى
وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى
ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ
وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ
وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾

[القراءة] في الشواذ قراءة الجحدري والثقفي وأبي الجحجاح واجنبني بقطع الهمزة وقرأ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وأبو جعفر الباقر (ع) وجعفر بن محمد (ع) ومجاهد تهوى إليهم بفتح الواو وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وهبيرة عن حفص وتقبل دعائي ربنا بإثبات الياء في الوصل وفي رواية البزي عن ابن كثير أنه يصل ويقف بياء وقال

قبيل أنه يشم الياء في الوصل ولا يثبتها ويقف عليها بالألف والباقون دعاء بغير ياء وقرأ الحسن بن علي (ع) وأبو جعفر محمد بن علي (ع) والزهري وإبراهيم النخعي ولولَدَيَّ وقرأ يحيى بن يعمر ولوُلدي وقرأ سعيد بن جبير ولوالدي .

[**الحجة**] يقال جنبت الشيء أجنبه جنوباً ومن العرب من يقول أجنبته أجنبه أي تجنبته عن الشيء وكأن معنى قوله أجنبني وبني أن نعبد الأصنام أصرفني وإياهم عن عبادة الأصنام ومعنى أجنبني اجعلني كالجنيب عن ذلك وأما قوله ﴿ **تهوى إليهم** ﴾ بفتح الواو فهو من هويت الشيء أهواه إذا أحببته وإنما جاز تعديته بإلى لأن معنى هويت الشيء ملت إليه فكأنه قال تميل إليهم فهو محمول على المعنى ومثله قوله سبحانه ﴿ **أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم** ﴾ فعدّى الرفث بإلى وأنت لا تقول رفثت إلى فلانة وإنما تقول رفثت بها أو معها ولكنه لما كان معنى الرفث هنا معنى الإفضاء عدّاه بإلى فكأنه قال أحل لكم الافضاء إلى نسائكم قال ابن جني المعنى في قراءة الجماعة تهوى إليهم تميل إليهم أي تحبهم فهذا في المعنى كقولهم وهو ينحط في هواك أي يخلد إليه ويقيم عليه وذلك أن الإنسان إذ أحب الشيء أكثر من ذكره وأقام عليه وإذا كرهه خف إلى سواه وقولهم هويت فلاناً من لفظ هوى إلى الشيء يهوي إلا أنهم خالفوا بين المثالين لاختلاف ظاهر الأمرين وإن كانا على معنى واحد متلاقيين وأما من وصل دعائي بياء فهو القياس من شم الياء في الوصل ولا يثبتها فلدلالة الكسرة على الياء قال أبو علي حذف الياء في الوقف أقيس من حذفها في الوصل لأن الوقف موضع تغيير يغير فيه الحرف الموقوف عليه كثيراً قال الأعشى :

فَهَلْ يَمْنَعَنِّي إرْتِيادي البِلادِ ... مِنْ حَذَرِ الْمَوْتِ أنْ يَأتِيَنْ

وقال :

وَمِنْ شَانِىءٍ كَاسِفٍ وَجْهُهُ ... إذا مَا انْتَسَبْتُ لَهُ أنْكَرَنْ

ومن قرأ لوَلَدَيَّ فإنه يعني إسماعيل وإسحاق ومن قرأ لوُلدي فإنّ الولد قد يكون واحداً وجمعاً تقول العرب ولدك من دمّي عقبيك ومعناه ولدك من ولدته فسال دمك على عقبيك عند ولادته لا من اتخذته ولداً وإذا كان جمعاً فيجوز أن يكون جمع ولَدَ فهو كأسد وأُسد ويجوز أن يكون جمع وُلد أيضاً فيكون مثل الفلك في أنه جمع الفلك .

[**اللغة**] الوادي سفح الجبل العظيم ومنها قيل للأنهار العظام أودية لأن حافاتها كالجبال لها ومنه الدية لأنه مال عظيم يحتمل في أمر عظيم .

[المعنى] ﴿ وإذ قال إبراهيم ﴾ معناه واذكر يا محمد إذ قال إبراهيم ﴿ رب اجعل هذا البلد آمناً ﴾ يعني مكة وما حولها من الحرم وقيل أن إبراهيم (ع) لما فرغ من بناء الكعبة دعا بهذا الدعاء وقد تقدَّم تفسيره في سورة البقرة[١] وإنما قال هناك بلداً آمناً وقال هنا هذا البلد آمناً معرفاً لأن النكرة إذا تكررت وأعيدت صارت معرفة ومثله في التنزيل فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب فاستجاب الله دعاء إبراهيم (ع) حتى كان الإنسان يرى قاتل أبيه فيها فلا يتعرض له ويدنو الوحش فيها من الناس فيأمن منهم ﴿ وأجنبني وبنيَّ أن نعبد الأصنام ﴾ أي والطف لي ولبنيَّ لطفاً نتجنب به عن عبادة الأصنام ودعاء الأنبياء لا يكون إلا مستجاباً فعلى هذا يكون سؤاله ذلك مخصوصاً بمن علم الله من حاله أن يكون مؤمناً لا يعبد إلا الله ويكون الله سبحانه قد أذن له في الدعاء لهم واستجاب دعاءه فيهم ﴿ رب انهن أضللن كثيراً من الناس ﴾ معناه ضلَّ بسببهن وعبادتهن كثير من الناس كما يقال فتنتني فلانة يعني افتتنتُ بحبها لا لأنها عملت شيئاً وكما في قول الشاعر :

هَبُونِي امرَأً مِنْكُمْ أَضَلَّ بَعيرهُ ... لَهُ ذِمَّةٌ إِنَّ الذِّمَامَ كَبِيرُ

وإنما أراد ضلَّ بعيره لأن أحداً لا يضلُّ بعيره قاصداً إلى إضلاله ﴿ فمن تبعني فإنه مني ﴾ يريد فمن تبعني من ذريتي الذين أسكنتهم هذا البلد على ديني في عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام فإنه من جملتي وحاله كحالي ﴿ ومن عصاني فإنك غفور رحيم ﴾ أي ساتر على العباد معاصيهم رحيم بهم في جميع أحوالهم منعم عليهم ثم حكى سبحانه تمام دعاء إبراهيم (ع) وأنه قال ﴿ ربنا اني أسكنت من ذريتي ﴾ أي أسكنت بعض أولادي ولا خلاف أنه يريد إسماعيل (ع) مع أمه هاجر وهو أكبر ولده وروي عن الباقر (ع) أنه قال نحن بقية تلك العترة وقال كانت دعوة إبراهيم (ع) لنا خاصة ﴿ بواد غير ذي زرع ﴾ يريد وادي مكة وهو الأبطح وإنما قال غير ذي زرع لأنه لم يكن بها يومئذ ماء ولا زرع ولا ضرع ولم يذكر مفعول أسكنت لأن مِنْ يفيد بعض القوم كما يقال قتلنا من بني فلان وأكلنا من الطعام وكما قال سبحانه أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله وتقديره أسكنت من ذريتي أناساً أو ولداً عن البلخي ﴿ عند بيتك المحرم ﴾ إنما أضاف البيت إليه سبحانه لأنه مالكه لا يملكه أحد سواه وما عداه من البيوت قد ملكه غيره من العباد ويسأل فيقال كيف سماه بيتاً ولم يبنه إبراهيم (ع) بعد والجواب من وجهين (أحدهما) أنه لما كان من المعلوم أنه يبنيه سماه بيتاً والمراد عند بيتك الذي مضى في سابق علمك كونه (والثاني) أن البيت قد كان

---

(١) راجع الجزء الأول

قبل ذلك وإنما خربه طسم وجديس [١] وقيل أنه رفعه الله إلى السماء أيام الطوفان وإنما سمّاه المحرَّم لأنه لا يستطيع أحد الوصول إليه إلا بالإحرام وقيل لأنه حرم فيه ما أحل في غيره من البيوت من الجماع والملابسة بشيء من الاقذار والدماء وقيل معناه العظيم الحرمة ﴿ **ربنا ليقيموا الصلاة** ﴾ أي أسكنتهم هذا الوادي ليداوموا على الصلاة ويقيموا بشرائطها واللام تتعلق بقوله ﴿ **أسكنت** ﴾ وفصل بينه وبين ما تعلق بقوله ربنا لأن الفصل بالنداء مستحب في هذا وإذا جاء نحو قوله :

عَلىٰ حِينَ أَلْهَى النَّاسَ جُلُّ أُمُورِهِمْ فَنَدْلًا زُرَيْقُ الْمَالَ نَدْلَ الثَّعَالِبِ [٢]

أي أندل المال يا زريق ففصل بالنداء بين المصدر وما تعلق به كان هذا أولى ﴿ **فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم** ﴾ هذا سؤال من إبراهيم (ع) أن يجعل الله قلوب الخلق تحنّ إلى ذلك الموضع ليكون في ذلك أنس لذريته بمن يرد عليهم من الوفود وليدر أرزاقهم على مرور الأوقات ولولا لطفه سبحانه بإمالة قلوب الناس إليه إما للدين كالحج والعمرة وإما للتجارة لما صحَّ أن يعيش ساكنوه قال سعيد بن جبير لو قال أفئدة الناس لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال من الناس فهم المسلمون وروى مجاهد أنه قال إن إبراهيم (ع) لو قال أفئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم وروى الفضل بن يسار وغيره عن الباقر (ع) أنه قال إنما أمر الناس أن يطوفوا بهذه الأحجار ثم ينفروا إلينا فيُعلمونا ولا يتهم ويعرضوا علينا نصرهم ثم قرأ هذه الآية وقيل إن معنى تهوي إليهم ينزع إليهم ويميل عن ابن عباس وقتادة وقيل معناه وينزل ويهبط إليهم لأن مكة في غور عن أبي مسلم ﴿ **وأرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون** ﴾ أي لكي يشكروا لك ويعبدوك ﴿ **ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن** ﴾ هذا إعتراف من إبراهيم (ع) لله سبحانه بأنه يعلم ما يبطن الخلق وما يظهرونه وأنه لا يخفى عليه شيء مما في الأرض والسماء وقيل إن قوله ﴿ **وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء** ﴾ إنما هو إخبار منه سبحانه بذلك وابتداء كلام من جهته لا على سبيل الحكاية عن إبراهيم (ع) بل هو إعتراض عن الجبائي قال ثم عاد إلى حكاية كلام إبراهيم (ع) فقال ﴿ **الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق** ﴾ وهذا

---

(١) طسم وجديسَ : قبيلتان من العرب سكان مكة فانقرضوا وقيل : حيان من عاد .

(٢) قيل إن قائل البيت هو أعشى همدان يهجو به لصوصاً . وندلاً هو هنا الأخذ باليدين أو هو الخطف . والثعلب يضرب به المثل في الأخذ لأنه يدخر لنفسه ويأتي علي ما يعدو عليه من الحيوان وفي المثل « هو أكسب من ثعلب » وزريق اسم قبيلة .

اعتراف منه بنعم الله سبحانه وحمد له على إحسانه بأن وهب له على الكبر كبر سنه ولدين قال ابن عباس ولد له إسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له إسحاق وهو ابن مائة وإثنتي عشرة سنة وقال سعيد بن جبير لم يولد لإبراهيم (ع) إلا بعد مائة وسبع عشرة سنة ﴿ **إن ربي لسميع الدعاء** ﴾ أي قابله ومجيبه عن ابن عباس ويؤيده قوله ﴿ **سمع الله لمن حمده** ﴾ ﴿ **رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي** ﴾ تقديره واجعل من ذريتي مقيم الصلاة فحذف الفعل لأن ما قبله يدل عليه وهذا سؤال من إبراهيم (ع) من الله تعالى بأن يلطف له اللطف الذي عنده يقيم الصلاة ويتمسك بالدين وأن يفعل مثل ذلك بجماعة من ذريته وهم الذين أسلموا منهم فسأل لهم مثل ما سأل لنفسه ﴿ **ربنا وتقبل دعاء** ﴾ أي وأجِبْ دعائي فإن قبول الدعاء إنما هو الإجابة وقبول الطاعة الإثابة ﴿ **ربنا إغفر لي ولوالدي** ﴾ واستدل أصحابنا بهذا على ما ذهبوا إليه من أن أبوي إبراهيم (ع) لم يكونا كافرين لأنه إنما يسأل المغفرة لهما يوم القيامة فلو كانا كافرين لما سأل ذلك لأنه قال فلما تبيَّن له أنه عدوٌّ لله تبرأ منه فصحَّ أن أباه الذي كان كافراً إنما هو جده لأمه أو عمه على الخلاف فيه ومن قال إنما دعا لأبيه لأنه كان وعده أن يسلم فلما مات على الكفر تبرأ منه على ما روى الحسن فقوله ﴿ **فاسد** ﴾ لأن إبراهيم (ع) إنما دعا بهذا الدعاء بعد الكبر وبعد أن وهب له إسماعيل وإسحاق وقد تبيَّن له في هذا الوقت عداوة أبيه الكافر لله فلا يجوز أن يقصده بدعائه ﴿ **وللمؤمنين يوم يقوم الحساب** ﴾ أي واغفر للمؤمنين أيضاً يوم يقوم الخلق للحساب وقيل معناه يوم يظهر وقت الحساب كما يقال قامت السوق .

[النظم] إتصلت الآيات بما قبلها لأن النهي عن عبادة الأصنام والأمر بعبادة الله سبحانه قد تقدَّم فبيَّن الله سبحانه عقيب ذلك ما كان عليه إبراهيم (ع) من التشدد في إنكار عبادة الأصنام والدعاء بما دعا به وقيل إنه معطوف على ما تقدم من قوله ﴿ **ولقد أرسلنا موسى بآياتنا** ﴾ وقيل إنه لما قال ﴿ **وآتاكم من كل ما سألتموه** ﴾ بيَّن عقيبه ما دعا به إبراهيم (ع) وسأله إياه وأجابته لدعائه وسؤاله .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا
يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾
مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾

وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾

[**اللغة**] الإهطاع الإسراع قال :

فِي مُهْطِعٍ سَرَعٍ كَأَنَّ زِمَامَهُ ... فِي رَأْسِ جِذْعٍ مِنْ أَرَاكٍ مُشَذَّبِ(١)

وقال آخر :

بِدَجْلَةَ أَهْلُها وَلَقَدْ أَرَاهُمْ ... بِدَجْلَةَ مُهْطِعينَ إِلَى السَّماعِ

أي مسرعين وقيل إن الإهطاع مدُّ العنق والهطع طول العنق قال أحمد بن يحيى المهطع الذي ينظر في ذل وخشوع لا يقلع بصره والإقناع رفع الرأس وقال الزجاج المقنع الرافع والمقنع المرتفع قال الشماخ :

يُبَاكِرْنَ الْعِضَاهَ بِمُقْنِعَاتٍ ... نَوَاجِذُهُنَّ كَالْحَدَإ الْوَقِيعِ(٢)

أي كالفؤوس المحدبة يصف إبلاً ترعى الشجر والطرف مصدر طرفت عين فلان إذا نظَرت وهو أن ينظر ثم يغمض والطرف العين أيضاً وأفئدتهم هواء أي متجوفة لا تعي شيئاً للخوف والفزع شبَّهها بهواء الجو قال حسان :

ألا أَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي ... فَأَنْتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَوَاءُ(٣)

(١) جذع مشذب أي مقشر إذا قشرت ما عليه من الشوك .

(٢) العضاه : كل شجر يعظم وله شوك . والمقنع : الفم الذي يكون عطف أسنانه إلى داخل الفم وذلك القوى الذي يقطع له كل شيء . والحدأ جمع الحدأة : الفأس ذات الرأسين . وسكين وقيع أي حديد .

(٣) رجل نخب أي جبان .

وقال زهير :

كَـأَنَّ الـرَّحْـلَ مِنْهـا فَـوْقَ صَعْـلٍ مِنَ الـظِّلْمَـانِ جُـؤْجُـؤُهُ هَـوَاءُ[١]

والأجل الوقت المضروب لانقضاء الأمد .

[**الإعراب**] يوم يأتيهم نصب على أنه مفعول به والعامل فيه أنذرهم ولا يكون على الظرف لأنه لم يؤمر بالإنذار في ذلك اليوم . فيقول عطف على يأتيهم وليس جواب الأمر لأنه لو كان جواباً له لجاز فيه النصب والرفع فالنصب مثل قول الشاعر :

يَـا نَـاقَ سِيـرِي عَنَقـاً فَسِيحَـا إلىٰ سُلَيْمَـانَ فَنَسْتَـرِيحَـا

والرفع على الإستئناف وتبين لكم كيف فعلنا بهم فاعل تبين محذوف أي تبين لكم فعلنا بهم ولا يكون الفاعل كيف لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ولأن كيف لا يخبر عنه وإنما يخبر به وكيف هنا منصوب بقوله فعلنا .

[**المعنى**] لما ذكر سبحانه يوم الحساب وصفه وبيَّن أنه لا يمهل الظالمين عن غفلة لكن لتأكيد الحجة قال ﴿ **ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون** ﴾ وفي هذا وعيد للظالم وتعزية للمظلوم ومعناه ولا تظنن الله ساهياً عن مجازاة الظالمين على أعمالهم وقيل إن تقديره ولا تحسبن الله لا يعاقب الظالمين على أفعالهم ولا ينتصف للمظلومين منهم ﴿ **إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار** ﴾ ومعناه إنما يؤخر عقابهم ومجازاتهم إلى يوم القيامة وهو اليوم الذي تكون فيه الأبصار شاخصة عن مواضعها لا تغمض لهول ما ترى في ذلك اليوم ولا تطرف عن الجبائي وقيل تشخص أبصارهم إلى إجابة الداعي حين يدعوهم عن الحسن وقيل تبقى أبصارهم مفتوحة لا تنطبق للتحير والرعب ﴿ **مهطعين** ﴾ أي مسرعين عن الحسن وسعيد بن جبير وقتادة وقيل يريد دائمي النظر إلى ما يرون لا يطوفون عن ابن عباس ومجاهد ﴿ **مقنعي رؤوسهم** ﴾ أي رافعي رؤوسهم إلى السماء حتى لا يرى الرجل مكان قدمه من شدة رفع الرأس وذلك من هول يوم القيامة وقال مؤرج معناه ناكسي رؤوسهم بلغة قريش ﴿ **لا يرتد إليهم طرفهم** ﴾ أي لا ترجع إليهم أعينهم ولا يطبقونها ولا يغمضونها وإنما هو نظر دائم ﴿ **وأفئدتهم هواء** ﴾ أي قلوبهم خالية من كل شيء فزعاً وخوفاً عن ابن عباس وقيل خالية من كل سرور وطمع في الخير لشدة ما يرون من الأهوال كالهواء الذي بين السماء

(١) الظلمان جمع الظليم : الذكر من النعامة . والصعل : الدقيق الرأس .

والأرض وقيل معناه وأفئدتهم زائلة عن مواضعها قد ارتفعت إلى حلوقهم لا تخرج ولا تعود إلى أماكنها بمنزلة الشيء الذاهب في جهات مختلفة المتردد في الهواء عن سعيد بن جبير وقتادة وقيل معناه خالية عن عقولهم عن الأخفش ﴿ **وأنذر الناس** ﴾ معناه ودُمْ يا محمد على إنذارك الناس وهو عام في كل مكلف عن الجبائي وأبي مسلم وقيل معناه وخوِّف أهل مكة بالقرآن عن ابن عباس والحسن ﴿ **يوم يأتيهم العذاب** ﴾ وهو يوم القيامة أو يأتيهم العذاب عذاب الاستئصال في الدنيا وقيل هو يوم المعاينة عند الموت والأول أظهر ﴿ **فيقول الذين ظلموا** ﴾ نفوسهم بارتكاب المعاصي ﴿ **ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك** ﴾ أي ردَّنا إلى الدنيا واجعل ذلك مدة قريبة نجب دعوتك فيها ﴿ **ونتبع الرسل** ﴾ أي نتبع رسلك فيما يدعوننا إليه فيقول الله تعالى مخاطباً لهم أو يقول الملائكة بأمره ﴿ **أو لم تكونوا أقسمتم** ﴾ أي حلفتم ﴿ **من قبل** ﴾ في دار الدنيا ﴿ **ما لكم من زوال** ﴾ أي ليس لكم من انتقال من الدنيا إلى الآخرة عن مجاهد وقيل معناه من زوال من الراحة إلى العذاب عن الحسن وفي هذه دلالة على أن أهل الآخرة غير مكلفين خلافاً لما يقول النجار وجماعة لأنهم لو كانوا مكلفين لما كان لقولهم أخِّرنا إلى أجل قريب وجه ولكان ينبغي لهم أن يؤمنوا فيتخلصوا من العقاب إذا كانوا مكلفين ﴿ **وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم** ﴾ هذا زيادة توبيخ لهم وتعنيف أي وسكنتم ديار من كذب الرسل قبلكم فأهلكهم الله وعرفتم ما نزل بهم من البلاء والهلاك والعذاب المعجل عن ابن عباس والحسن ومساكنهم دورهم وقراهم وقيل أنهم عاد وثمود وقيل هم المقتولون ببدر ﴿ **وضربنا لكم الأمثال** ﴾ وبيَّنا لكم الأشباه وأخبرناكم بأحوال الماضين قبلكم لتعتبروا بها فلم تعتبروا ولم تتعظوا وقيل الأمثال ما ذكر في القرآن مما يدل على أنه تعالى قادر على الإعادة كما هو قادر على الإنشاء والابتداء وقيل هي الأمثال المنبهة على الطاعة الزاجرة عن المعصية عن الجبائي وفي هذه الآيات دلالة على أن الإيمان من فعل العبد إذ لو كان من فعل الله تعالى لم يكن لتمني العود إلى الدنيا معنى .

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ
مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ
مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ

ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَـٰذَا بَلَـٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٢﴾

[**القراءة**] قرأ الكسائي وحده لَتزولُ بفتح اللام الأولى ورفع الثانية والباقون لِتزولَ بكسر اللام الأولى ونصب الثانية وفي الشواذ عن علي (ع) وعمرو بن مسعود وأبي بن كعب وإن كاد مكرهم لتزول وقرأ زيد عن يعقوب من قطرآنٍ على كلمتين منونتين وهو قراءة أبي هريرة وابن عباس وسعيد بن جبير والكلبي وقتادة وعيسى الهمداني والربيع وقرأ سائر القراء قطران .

[**الحجة**] قال أبو علي من قرأ لِتزُولَ بالنصب فإنَّ إنْ هي النافية فيكون مثل قوله ﴿ **وما كان الله ليطلعكم على الغيب** ﴾ فمعناه وما كان مكرهم لتزول منه الجبال والجبال كأنه أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإعلامه ودلائله أي ما كان مكرهم لتزول منه ما هو مثل الجبال في امتناعه ممن أراد إزالته ومن قرأ لَتَزُولُ كانت إنْ هي المخففة من الثقيلة على تعظيم أمر مكرهم بخلاف القراءة الأولى فيكون كقوله ﴿ **ومكروا مكراً كباراً** ﴾ أي قد كان مكرهم لعظمه وكبره يكاد يزيل ما هو مثل الجبال في الإمتناع على من أراد إزالتها وثباته. ومثل هذا في التعظيم للأمر قول الشاعر :

أَلَمْ تَرَ صَدْعاً فِي السَّمَاءِ مُبَيَّناً عَلَى ابْنِ لُبَيْنَى الحَارِثِ بْنِ هِشَامِ

وقال :

بَكَى الحَارِثَ الجَوْلَانُ مِنْ مَوْتِ رَبِّهِ وَحَوْرَانُ مِنْهُ خَاشِعٌ مُتَضَائِلُ(١)

قال أوس :

---

(١) الجولان والحوران : موضعان بالشام . ومتضائل أي حقير . وفي رواية الحموي « من فقد ربه » .

أَلَمْ تَكْسِفِ الشَّمْسُ شَمْسُ النَّهَارِ مَعَ النَّجْمِ وَالْقَمَرِ الوَاجِبِ(١)

ويدل على أن الجبال يعني بها أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله بعد ﴿ **فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله** ﴾ أي فقد وعد الظهور عليهم والغلبة لهم في قوله ﴿ **ليظهره على الدين كله** ﴾ وقوله ﴿ **للذين كفروا ستغلبون** ﴾ وقد استعمل لفظ الجبال في غير هذا الموضع في تعظيم الشيء وتفخيمه قال ابن مقبل :

إِذا مِتُّ عَنْ ذِكْرِ الْقَوافِي فَلَنْ تَرىٰ لَها شاعِراً مِثْلِي أَطَبَّ وَأَشْعَرا
وَأَكْثَر بَيْتاً شاعِراً ضَرَبَتْ بِهِ بُطُونَ جِبالِ الْشِعْرِ حَتَّى تَيَسَّرا

ومن قرأ وإن كاد مكرهم لتزول فهي مخففة من الثقيلة أيضاً فتقديره وأنه كاد مكرهم لتزول منه الجبال قال ابن جني القطر الصفر والنحاس وهو أيضاً الفلز رويناه عن قطرب وهو أيضاً الصاد ومنه قدور الصاد أي قدور الصفر والآني الذي قد أنى وأدرك أنى الشيء يأني أنيا وأناً مقصور ومنه قوله عز سبحانه ﴿ **غير ناظرين اناه** ﴾ أي بلوغه وإدراكه قال أبو علي ومنه الإناء لأنه الظرف الذي قد بلغ غايته المرادة منه من حرز وصياغة ونحو ذلك قال أمية :

وَسُلَيْمانُ إِذْ يَسِيلُ لَهُ القِطْـ ـرُ عَلىٰ مُلْكِهِ ثَلاثَ لَيالِ

وأما القطران ففيه ثلاث لغات قَطِران على فِعَلان وقَطْران بفتح القاف وإسكان الطاء وقِطْران بكسر القاف وإسكان الطاء والأصل فيهما قطران فاسكنا على ما يقال في كَلِمة كَلْمة وكِلْمة لغة تميمية قال أبو النجم :

جَوْنٌ كَأَنَّ العَرَقَ الْمَنْتُوحا أَلْبَسَهُ الْقَطْرانَ وَالْمُسُوحا(٢)

وقال :

كَأَنَّ قَطْراناً إِذا تَلاها تَرْمِي بِهِ الرِّيحُ إِلىٰ مَجْراها

[**اللغة**] البروز الظهور والأصفاد جمع الصفد وهو الغل الذي يقرن به اليد إلى العنق ويجوز أن يكون السلسلة التي يقع بها التقرين والتقرين جمع الشيء إلى نظيره والقران الحبل يقرن به شيئان يقال صفدته بالحديد وأصفدته وصفَّدته قال عمرو بن كلثوم :

فَآبُوا بِالنِّهابِ وَبِالسَّبايا وَأُبْنا بِالْمُلُوكِ مُصَفَّدِينا

(١) أجب بمعنى الساقط . (٢) الجون : الأسود المشرب حمرة والمنتوح : الجاري من العرق .

ومنه أصفدته إصفاداً إذا أعطيته مالاً والصفد العطية وهو من الأول لأن العطية تصفد المودة وتقيدها وإلى هذا المعنى أشار المتنبي بقوله « ومن وجد الإحسان قيداً تقيدا » والإختبار في الحديد صفدته وفي العطية أصفدته قال الأعشي :

تَضَيَّفْتُهُ يَوْماً فَقَرَّبَ مَجْلِسي وَأَصْفَدَنِي عَلَى الزَّمَانَةِ قائِدا

ومعناه وأعطاني قايداً وقال النابغة في الصفد الذي هو العطية :

هٰذَا الثَّنَاءُ فَإِنْ تَسْمَعْ لِقائِلِه فَمَا عَرَضْتُ أَبَيْتَ اللَّعْنَ لِلصَّفَدِ

والسربال القميص قال امرؤ القيس :

وَمِثْلِكَ بَيْضَاءُ العَوَارِضِ طِفْلَةٍ لَعُوبُ تُنَسِّينِي إِذَا قُمْتُ سِرْبَالي[١]

والبلاغ الكفاية ومنه البلاغة وهو البيان الكافي والبليغ هو الذي يبلغ بلسانه كنه ما في ضميره .

[الإعراب] مخلف وعده رسله إضافة مخلف إلى وعده إضافة غير محضة لأنها في تقدير الإنفصال ووعده وإن كان مجروراً في اللفظ فإنه منصوب في المعنى لأنه مفعول في المعنى فإن الإخلاف يقتضي مفعولين يقال أخلفت زيداً وعده فعلى هذا يكون تقديره مخلفاً وعده رسله وقيل أنه قرأ في الشواذ مخلفَ وعده بالنصب رسله بالجر وهي رديئة للفصل بين المضاف والمضاف إليه وأنشدوا في ذلك « فَزَجَجْتُها بِمَزجَّةٍ * زَجَّ القَلوصَ أبي مَزَادَه »[٢] ومعناه فزججتها زج أبي مزادة القلوص والعامل في قوله ﴿ يوم تبدل الأرض ﴾ قوله ﴿ مخلف وعده أو انتقام ﴾ أي ينتقم ذلك اليوم أو يكون محذوفاً على تقدير واذكر يوم تبدل الأرض وإن شئت جعلته نعتاً لقوله ﴿ يوم يقوم الحساب والأرض ﴾ مرفوعة على ما لم يسم فاعله وغير منصوب على أنه مفعول ما لم يسم فاعله تقول بدل الخاتم خاتماً آخر إذا كسر وصيغ صيغة أخرى وقد تقول بدل زيد إذا تغير حاله .

[المعنى] ثم أبان سبحانه عن مكر الكفار ودفعه ذلك عن رسله (ع) تسلية لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم فقال ﴿ وقد مكروا مكرهم ﴾ أي وقد مكروا بالأنبياء قبلك ما

---

(١) الطفلة : الرخصة الناعمة .

(٢) زججتها . أي طعنتها بالزج ـ بضم الزاي ـ : وهي الحديدة التي تركب في أسفل الرمح . والمزجة : الرمح القصير . والقلوص : الناقة الشابة . وأبي مزادة : كنية رجل .

أمكنهم من المكر كما مكروا بك فعصمهم الله من مكرهم كما عصمك وقيل عنى بـه كفار قريش الذين دبَّروا في أمرالنبي صلى الله عليه وآله وسلم واحتالوا عليـه ومكروا بـالمؤمنين وخدعوهم ﴿ **وعند الله مكرهم** ﴾ أي جـزاء مكرهم فحـذف المضاف كمـا حذف من قـوله ﴿ **ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا** ﴾ وهو واقع بهم أي جزاؤه يريد وقد عرف الله مكرهم فهو يجازيهم عليه ﴿ **وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال** ﴾ أي ولم يكن مكرهم ليبطل حجج القرآن وما معك من دلائل النبوات فإن ذلك ثابت بالدليـل والبرهـان والمعنى لا تزول منـه الجبال فكيف يزول منه الدين الذي هو أثبت من الجبال وعلى القراءة الأخرى فالمعنى أن مكرهم وإن بلغ كل مبلغ فلا يزيل دين الله تعالى على ما تقدَّم بيانه ولا يضرُّ ذلك أنبياءه ولا يزيل أمرهم ولا سيما أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإنه أثبت من الجبال وقد قيل إن المراد به نمرود بن كوش بن كنعان حين أخذ التابوت وأخذ أربعة من النسور فأجاعها أياماً وعلق فوقها لحماً وربط التابوت إليها وطارت النسور بالتابوت وهو ووزيره فيه إلى أن بلغت حيث شاء الله تعالى وظنَّ أنه بلغ السماء ففتح باب التابوت من أعلاه فرأى بعد السماء منه كبعدها حين كان في الأرض وفتح باباً من أسفل التابوت فرأى الأرض قد غابت عنه فهالـه الأمر فصوب النسور وسقط التابوت وكانت له وجبة عن ابن عباس وابن مسعود وجماعة ﴿ **فلا تحسبن الله مخلف، وعده رسله** ﴾ أي فلا تظنن الله عز اسمه مخلفاً رسله ما وعدهم بـه من النصر والظفر بالكفار والظهور عليهم ﴿ **إن الله عزيز** ﴾ أي ممتنع بقدرته من أن ينال باهتضام وهو من الكفار ﴿ **ذو انتقام يـوم تبدل الأرض غيـر الأرض والسمـاوات** ﴾ قيـل فيـه قـولان (أحدهما) إن المعنى تبدل صورة الأرض وهيئتها عن ابن عباس فقد روي عنه أنه قال تبدل آكامها وآجامها وجبالها وأشجارها والأرض على حالتها وتبقى أرضاً بيضاء كالفضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة وتبدل السماوات فيذهب بشمسها وقمرهـا ونجومهـا وكان ينشد :

فَمَـا النَّاسُ بِـالنَّاسِ الَّـذِينَ عَهِدْتُهُمْ وَلَا الدَّارُ بِالدَّارِ التي كُنْتُ أعـرِفُ

ويعضده ما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ قال يبدل الله الأرض غير الأرض والسماوات فيبسطهـا ويمدهـا مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجاً ولا امتاً ثم يزجر الله الخلق زجرة فإذا هم في هذه المبدلة مثل مواضعهم من الأولى . ما كان في بطنها كان في بطنها وما كان عـلى ظهـرهـا كان على ظهرها (والآخر) أن المعنـى تبدل الأرض وتنشأ أرض غيرها والسماوات كذلك تبدل بغيرها وتفنى هذه عن الجبائي وجماعة من المفسرين وفي تفسير

أهل البيت (ع) بالإسناد عن زرارة ومحمد بن مسلم وحمران بن أعين عن أبي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام قالا تبدل الأرض خبزة نقية يأكل الناس منها حتى يفرغ من الحساب قال الله تعالى وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وهو قول سعيد بن جبير ومحمد بن كعب وروى سهل بن سعد الساعدي عن النبي ﷺ أنه قال يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها معلم لأحد وروي عن ابن مسعود انه قال تبدل الأرض بنار فتصير الأرض كلها يوم القيامة ناراً والجنة من ورائها يرى كواعبها وأكوابها ويلجم الناس العرق ولم يبلغ الحساب بعد وقال كعب تصير السماوات جنانا ويصير مكان البحر النار وتبدل الأرض غيرها وروي عن أبي أيوب الأنصاري قال أتى النبي ﷺ حبر من اليهود فقال أرأيت إذ يقول الله تعالى في كتابه يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات فأين الخلق عند ذلك فقال اضياف الله فلن يعجزهم ما لديه وقيل تبدل الأرض لقوم بأرض الجنة ولقوم بأرض النار وقال الحسن يحشرون على الأرض الساهرة وهي ارض غير هذه وهي ارض الآخرة وفيها تكون جهنم وتقدير الكلام وتبدل السماوات غير السماوات إلا انه حذف لدلالة الظاهر عليه ﴿**وبرزوا لله**﴾ أي يظهرون من ارض قبورهم للمحاسبة لا يسترهم شيء وجعل ذلك بروزاً لله لأن حسابهم معه وإن كانت الأشياء كلها بارزة له لا يسترها عنه شيء ﴿**الواحد**﴾ الذي لا شبه له ولا نظير ﴿**القهار**﴾ المالك الذي لا يضام يقهر عباده بالموت الزؤام[1] ﴿**وترى المجرمين**﴾ يعني الكفار عن ابن عباس والحسن وهو الظاهر لأنه تقدَّم ذكرهم ﴿**يومئذ**﴾ أي يوم القيامة ﴿**مقرنين في الأصفاد**﴾ أي مجمعين في الاغلال قرنت ايديهم بها إلى اعناقهم وقيل يقرن بعضهم إلى بعض عن الجبائي وقيل مشدودين في قرن أي حبل من الأصفاد والقيود عن أبي مسلم وقيل يقرن كل كافر مع شيطان كان يضلُّه في غلّ من حديد عن ابن عباس والحسن ويبيّنه قوله تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم اي قرناءهم من الشياطين وقوله وإذا النفوس زوّجت ﴿**سرابيلهم**﴾ أي قميصهم ﴿**من قطران**﴾ وهو ما يطلى به الإبل شيء أسود لزج منتن يطلون به فيصير كالقميص عليهم ثم يرسل النار فيهم لتكون أسرع إليهم وابلغ في الإشتعال وأشدّ في العذاب على الحسن والزجاج وقيل نحاس أو صفر مذاب قد انتهى حرّه عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وجوَّز الجبائي على القراءتين ان يسربلوا سربالين أحدهما من القطران والآخر من القطر الآني ﴿**وتغشى وجوههم النار**﴾ أي وتصيب وجوههم النار لاقطران عليها ﴿ **ليجزي الله كل نفس بما كسبت** ﴾ اللام تعلقت بما تقدم أخبر سبحانه أنه إنما

---

(١) موت زؤام: عاجل. وقيل سريع مجهز وقيل: كريه.

فعل ذلك بهم لتجزي كل نفس بما كسبت ان كسبت خيراً بأن آمنت وأطاعت أثابها الله بالنعيم المقيم وان كسبت شراً بأن كفرت وجحدت عاقبها بالعذاب الأليم في نار الجحيم **﴿إن الله سريع الحساب﴾** أي سريع المجازاة وقد سبق بيانه **﴿هذا بلاغ للناس﴾** هو اشارة الى القرآن عن ابن عباس والحسن وابن زيد وغيرهم أي هذا القرآن عظة للناس بالغة كافية وقيل هو اشارة إلى ما تقدم ذكره اي هذا الوعيد كفاية لمن تدبره من الناس والاول هو الصحيح **﴿ولينذروا به﴾** أي أنزل ليبلغوا وينذروا به وليخوفوا بما فيه من الوعيد **﴿وليعلموا إنما هو إلّه واحد﴾** لا شريك له بالنظر في أدلة التوحيد التي بيّنها الله في القرآن **﴿وليذكر أولو الألباب﴾** أي وليتعظ به أهل العقول وذوو النهى وفي هذه الآية دلالة على ان القرآن كاف في جميع ما يحتاج الناس إليه في أمور الدين لأن جميع أمور الدين جملها وتفاصيلها يعلم بالقرآن اما بنفسه واما بواسطة فيجب على المؤمن المجتهد المهتم بأمور الدين أن يشمر عن ساق الجد في طلب امور القرآن ويصدق عنايته بمعرفة ما فيه من بدائع الحكمة ومواضع البيان مكتفياً به عما سواه لينال لسعادة في دنياه وعقباه وفي قوله وليعلموا إنما هو إلّه واحد دلالة على أنه سبحانه أراد من الناس علم التوحيد خلافاً لأهل الجبر في قولهم انه سبحانه اراد من النصارى اثبات التثليث ومن الزنادقة القول بالتثنية تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وفي قوله ليذكر دلالة على انه اراد من الجميع التدبر والتذكر وعلى ان العقل حجة لأن غير ذوي العقول لا يمكنهم الفكر والاعتبار.

[**النظم**] اتصلت الآية الثانية بقوله وعند الله مكرهم اي فلا تحسبوا ان الله يخلف وعده بل يجازيهم وينصر رسله وقيل اتصلت بقوله إنما يؤخرهم اي فلا تحسبوه مخلف وعده في العقوبة للكفار بل ان شاء أخّر وإن شاء عجّل واتصل قوله **﴿ يوم تبدل الأرض غير الأرض﴾** بقوله **﴿ ولا تحسبن الله مخلف وعده رسله ﴾** أي لا يخلفهم وعده لا في الدنيا ولا في الآخرة عن أبي مسلم وقيل المراد به أنه ذوّ انتقام من الكفار ذلك اليوم واتصل قوله ليجزي الله كل نفس بما كسبت بقوله يوم تبدل الأرض.

(١٥) سورة الحجر مكية وآياتها تسع وتسعون

مكية في قول قتادة ومجاهد وقال الحسن إلا قوله ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم وقوله كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين وهي تسع وتسعون آية بالاجماع.

[**فضلها**] أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها اعطي من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين بمحمد ﷺ.

[**تفسيرها**] لما ختم الله سبحانه سورة إبراهيم (ع) بذكر القرآن وانه بلاغ وكفاية لأهل الإسلام افتتح هذه السورة بذكر القرآن وانه مبين للأحكام فقال.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ
ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا
كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾

[**القراء**] قرأ أهل المدينة وعاصم ربما يود خفيفة الباء والباقون بالتشديد وروى محمد

بن حبيب الشموني عن الأعشى عن ابي بكر ربتما بالتاء .

[**الحجة**] قال أبو علي انشد أبو زيد :

مَاوِيَّ بَلْ رُبَّتَمَا غَارَةٌ شَعْواءُ كَاللَّذعَةِ بِالْمِيسَمِ[١]

وأنشد أيضاً :

يَا صَاحِبا رُبَّتَ إنْسانٍ حَسَنٍ يَسْأَلُ عَنْكَ الْيَوْمَ أَوْ تَسْأَلُ عَنْ

وقال السكري ربَّما وربَّتما ورُبَما ورُبتَما ورُبَّ ورُبَ ست لغات قال سيبويه رب حرف ويلحقها ما على وجهين (أحدهما) ان يكون نكرة بمعنى شيء وذلك كقوله :

رُبَمَا تَكْرَهُ النُّفُوسُ مِن الأَمْرِ لَهُ فَرْجَةٌ كَحَلِّ العِقَالِ[٢]

فما في هذا البيت اسم لما يقدر من حذف الضمير إليه من الصفة والمعنى رب شيء تكرهه النفوس وإذا عاد إليه الهاء كان اسماً ولم يجز أن يكون حرفاً كما ان قوله ايحسبون إنما نمدهم به من مال وبنين لما عاد إليه الذكر علمت بذلك انه اسم وقوله فرجْوة يرتفع بالظرف في قول الناس جميعاً ولا يرتفع بالابتداء وقد يقع أيضاً لفظة من بعد رب في مثل قوله :

الا رُبَّ مَنْ تَغْتَشُّهُ لَكَ نَاصِحُ وَمُؤْتَمَنٍ بِالْغَيْبِ غَيْرُ أَمينِ[٣]

فكما دخلت رب على مَنْ وكانت نكرة في معنى شيء كذلك تدخل على ما والآخر أن تدخل كافة كما في الآية ونحو قول الشاعر :

رُبَمَا أوفَيْتُ فِي عَلَمٍ تَرْفَعَنْ ثَوْبِي شِمَالاتُ[٤]

والنحويون يسمّون ما هذه كافة يريدون انها بدخولها كفت الحرف عن العمل الذي كان له وهيأته لدخوله على ما لم يكن يدخل عليه الا ترى ان رب إنما تدخل على الاسم المفرد نحو رب رجل كريم يقول ذلك وربه رجلاً يقول ذلك ولا يدخل على الفعل فلما دخلت ما عليها سوَّغتْ لها الدخول على الفعل فمن ذلك قوله ربما يود الذين كفروا فوقع

(١) غارة شعواء : فاشية متفرقة . والميسم : اسم للالة التي يوسم بها . وفي اللسان وتفسير التبيان «ماوى يا ربتما . اهـ» .

(٢) البيت مذكور في جامع الشواهد .

(٣) قوله تغتشه اي تظن به الغش . وفي قوله «ناصح» يجوز الرفع والجر فالرفع على الخبرية والجر على انه صفة لمن ويتبعه في الوجهين «مؤتمن» وكذا «غير» .

(٤) الشعر في جامع الشواهد ايضاً .

الفعل بعدها في الآية وهو على لفظ المضارع ووقع في قوله ربما اوفيت في علم على لفظ الماضي وهكذا ينبغي في القياس لأنها تدل على امر قد مضى وإنما وقع في الآية على لفظ المضارع لأنه حكاية لحال آتية كما ان قوله ان ربك ليحكم بينهم حكاية لحال آتية ومن حكاية الحال قول القائل:

جارِيَةٌ في رَمَضانِ الماضِي تُقَطِّعُ الحَديثَ بِالإيماضِ(١)

ومن زعم ان الآية على اضمار كان وتقديره ربما كان يود فقد خرج بذلك عن قول سيبويه ألا ترى ان كان لا يضمره ولم يجز عبد الله المقتول وانت تريد كن عبد الله المقتول فأما اضمارها بعد إن في قولهم ان خيراً فخير فإنما جاز ذلك لاقتضاء الحرف له فصار اقتضاء الحرف له كذكره فأما ما انشده ابن حبيب لنبهان بن مسور.

لَقَدْ رُزِيَتْ كَعْبُ بْنُ عَوْفٍ وَرُبَّما فَتًى لَمْ يَكُنْ يَرْضَى بِشَيْءٍ يَضيمُهُ

فإن قوله فتى في ربما فتى يحتمل ضروباً (أحدها) ان يكون لما جرى ذكر رزيت استغنى بجري ذكره من ان يعيده فكأنه قال ربما رزيت فتى فيكون انتصاب فتى برزيت هذه المضمرة كقوله الآن وقد عصيت قبل فاستغنى بذكر آمنت له المتقدم عن اظهاره بعد وقد يجوز أن ينتصب فتى برزيت هذه المذكورة كأنه قال لقد رزيت كعب بن عوف فتى وربما لم يكن يرضى اي رزئت فتى لم يكن يضام ويكون هذا الفصل في انه أجنبي بمنزلة قوله (أبو أُمه حيٌّ أبوهُ يُقَارِبُه)(٢) وقد يجوز ان يكون مرتفعاً بفعل مضمر كأنه قال ربما لم يرض فتى كقوله (وَقَلَّما وِصالٌ عَلىٰ طول الصُّدُودِ يَدُومُ)(٣)ويجوز أن يكون ما نكرةبمنزلةشيء فيكون فتى وصفاً لها لأنها لما كانت كالأسماء المبهمة في إبهامها وصفت بأسماء الأجناس كأنه قال رب شيء فتى لم يكن كذا فهذه الأوجه كلها ممكنة ويجوز في الآية ان يكون ما بمنزلة شيء ويود صفة له لأن ما لعمومها يقع على كل شيء فيجوز أن يعني بها الود كأنه قال رب ودٍ يوده الذين كفروا ويكون يود في هذع الوجه ايضاً حكاية حال الا ترى انه لم يكن بعد وهذه الآية في المعنى كقوله ارجعنا نعمل صالحاً وكقوله حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون

(١) أو مضت المرأة: سارقت النظر. اي إذا تبسمت قطع الناس حديثهم ونظروا الى ثغرها. وقيل يعني ان الناس كانوا يتحدثون فنظرت اليهم فاشتغلوا الحسن نظرها عن الحديث.

(٢) قائله الفرزدق وقبله «وما مثله في الناس الامملكا» والشعر مذكور في جامع الشواهد.

(٣) تمام البيت: «صددت فأطولت الصدود وقلما * وصال . ا ه وهو من شواهد كتب سيبويه.

وكتمنيهم الرد في قوله يا ليتنا نرد ولا نكذب واما قول من قال ربما بالتخفيف فلأنه حرف مضاعف والحرف والحروف المضاعفة قد تحذف وإن لم يحذف غير المضاعف فمن المضاعف الذي حذف أن وإن ولكن وليس كل المضاعف يحذف لم اعلم الحذف في ثم[١] واما دخول التاء في ربتما فإن من الحروف ما يدخل عليه حرف التأنيث نحو ثم وثمت ولا ولات قال.

ثُـمَّـتَ لا يَـجْـزُونَـنـي عـنْـد ذاكُـمُ   وَلٰكِنْ سَيَجْـزِيـنِي الـمَلِيـكُ فَـيَعْـقبـا

فكذلك ألحقت التاء في قولهم ربتما وأنشد الزجاج في تخفيف رب قول الحادرة.

أَسُمَّي مـا يـدْرِيـكَ أَنْ رُبَ فِـتْيَـةٍ   بـاكَـرْتُ لَـذَّتَهُمْ بـأدكَـنَ مُـتْـرعِ

قال وقد يسكنون في التخفيف يقولون رب رجل جاءني وأنشدوا بيت الهذلي :

أَزُهَـيْـرُ إنْ يَـشِـبِ الـقَـذالُ فَـإِنَّـنـي   رُبَ هَيْضَـلٍ مَـرِسٍ لَفَفْتُ بِهَيْضَـلٍ[٢]

ويقولون ربْت رجل ورَبت رجل بفتح الراء ورب رجل وربما رجل جاءني وربتما رجل فيفتحون حكى ذلك قطرب.

[**الاعراب**] قرآن عطف على الكتاب وإنما عطفه عليه وإن كان الكتاب هو القرآن لاختلاف اللفظين وما فيهما من الفائدتين وإن كانا لموصوف واحد لأن وصفه بالكتاب يفيد أنه مما يكتب ويدوّن ووصفه بالقرآن يفيد أنّه مما يؤلف ويجمع بعض حروفه إلى بعض كما قال الشاعر:

إلـى المـلكِ القَـرْمِ وابْـنِ الـهـمـامِ   وَلَـيْـثِ الْـكَـتِيـبَـةِ فـي الْـمُـزْدَحَـمِ
وذي الـرَّأيِ حـيـنَ تَـغُـمُّ الأمُـورُ   بِـذاتِ الـصَّـلـيـلِ وَذاتِ الـلُّـجـمِ

ويقال لم جاز ربما يود الذين كفروا ورب للتقليل وجوابه على وجهين (أحدهما) انه ابلغ في التهديد كما تقول ربما ندمت على هذا وانت تعلم انه يندم ندماً طويلاً أي يكفيك قليل الندم فكيف كثيره (والثاني) انه يشغلهم العذاب عن تمني ذلك إلا في اوقات قليلة.

[**المعنى**] ﴿**آلر**﴾ قد تقدّم الكلام في هذه الحروف وأقوال العلماء فيها ﴿**تلك آيات**

---

(١) وفي التبيان «لاني لا اعلم الحذف في ثم» وسمي مرخم سمية: اسم امرأة . والدكنة : السواد.
(٢) القذا الاجماع مؤخر الرأس من الإنسان. والهيضل: جماعة متسلحة امرهم في الحرب واحد ويقال هـ.

الكتاب وقرآن مبين﴾ أي هذه آيات الكتاب وآيات قرآن مميز بين الحق والباطل وقيل المبين البين الواضح عن أبي مسلم وقيل هو المبين للحلال والحرام والأوامر والنواهي والأدلة وغير ذلك وقيل المراد بالكتاب التوراة والإنجيل عن مجاهد وقيل المراد به الكتب المنزلة قبل القرآن عن قتادة **﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾** أي ربما يتمنى الكفار الإسلام في الآخرة إذا صار المسلمون إلى الجنة والكفار إلى النار ويجوز أن يتمنوا ذلك وقت اليأس وروى مجاهد عن ابن عباس قال ما يزال الله يدخل الجنة ويرحم ويشفع حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال الصادق (ع) ينادي مناد يوم القيامة يسمع الخلائق انه لا يدخل الجنة إلا مسلم فثمّ يود سائر الخلائق انهم كانوا مسلمين وروي مرفوعاً عن النبي ﷺ قال إذا اجتمع اهل النار في النار ومعهم من يشاء الله من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيسمع الله عز وجل ما قالوا فأمر من كان في النار من أهل الإسلام فأخرجوا منها فحينئذ يقول الكفار يا ليتنا كنا مسلمين **﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا﴾** معناه دعهم يأكلوا في دنياهم أكل الأنعام ويتمتعوا فيها بما يريدون والتمتع التلذذ وهو طلب اللذة حالاً بعد حال **﴿ويلههم الأمل﴾** اي وتشغلهم آمالهم الكاذبة عن اتباع النبي ﷺ والقرآن يقال ألهاه الشيء اي شغله وانساه **﴿فسوف يعلمون﴾** وبال ذلك فيما بعد حين يحلّ بهم العذاب يوم القيامة وصاروا إلى ما يجحدون به وفي هذه الآية اشارة إلى ان الانسان يجب ان يكون مقصور الهمة على أمور الآخرة مستعداً للموت مسارعاً إلى التوبة ولا يأمل الآمال المؤدية إلى الصد عنها وقد روي عن أمير المؤمنين (ع) انه قال ان اخوف ما أخاف عليكم اثنان اتباع الهوى وطول الأمل فإن اتباع الهوى يصد عن الحق وطول الأمل ينسي الآخرة **﴿وما اهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم﴾** معناه ولم نهلك اهل قرية فيما مضى على وجه العقوبة إلا وكان لهم أجل مكتوب لا بد أن سيبلغونه يريد فلا يغرنّ هؤلاء الكفار امهالي إياهم إنما ينزل العذاب بهم في الوقت المكتوب المقدر لذلك **﴿ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون﴾** اي لم تكن امة فيما مضى تسبق أجلها فتهلك قبل ذلك ولا تتأخر عن أجلها الذي قدّر لها بل إذا استوفت أجلها اهلكها الله .

﴿ وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا

بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ
لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾
وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ
نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ
ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ
يَعۡرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ
مَّسۡحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا
لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظۡنَٰهَا مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ
ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ ﴿١٨﴾

[**القراءة**] قرأ اهل الكوفة غير أبي بكر ما نُنَزّل بنونين الملائكة بالنصب وقرأ أبو بكر عن عاصم ما تُنَزَّل بضم التاء الملائكة بالرفع وقرأ الباقون ما تَنَزَّل بفتح التاء والزاي الملائكة بالرفع وقرأ ابن كثير سُكِرَت بالتخفيف والباقون بالتشديد وفي الشواذ قراءة الزهري سَكَرَت .

[**الحجة**] قال ابو علي حجة من قرأ تَنَزَّلُ قوله تَنَزَّلُ الملائكة والروح فيها وحجة من قرأ تُنَزَّل قوله ونزلَّ الملائكة تنزيلاً وحجة من قرأ نُنَزّل قوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة ووجه التثقيل في سكرت ان الفعل مسند إلى جماعة فهو مثل مفتحة لهم الأبواب ووجه التخفيف ان هذا النحو من الفعل المسند إلى جماعة قد يخفف قال «ما زلت افتح ابواباً وأغلقها »[1]

[**اللغة**] الشيع الفِرَق عن الزجاج وكل فرقة شيعة واصلة من المشايعة وهي المتابعة يقال شايع فلان فلاناً على امره أي تابعه عليه ومنه شيعة علي (ع) وهم الذين تابعوه على امره ودانوا بإمامته وفي حديث أم سلمة عن النبي ﷺ شيعة علي هم الفائزون يوم القيامة

(١) منسوب الى الفرزدق وبعده «حتى اتيت ابا عمرو بن عمار».

وسلك واسلك بمعنى والمصدر السلك والسلوك قال عدي بن زيد .

وَكُنْتُ لِزَازَ خَصْمِكَ لَمْ أُعَرِّدْ وَقَدْ سَلَكُوكَ فِي يَوْمٍ عَصِيبِ(١)

وقال آخر :

حَتَّى إذا أَسْلَكُوهُمْ فِي قُتَائِدَةٍ شَلًّا كَما تَطْرُدُ الجَمَّالَةُ الشُّرُدَا(٢)

والعروج الصعود في الدرج والمضارع يعرُج ويعرِج أبو عبيدة سكرت ابصارنا غشيت قال ابو علي فكأن معناه لا ينفذ نورها ولا يدرك الأشياء على حقيقتها ومعنى الكلمة انقطاع الشيء عن سننه الجاري فمن ذلك سكر الماء وهو ردّه عن سننه في الجري وقالوا التسكير في الرأي قبل ان يعزم على الشيء وإذا عزم على امر ذهب التسكير ومنه السكر في الشراب إنما هو ان ينقطع عما هو عليه من المصافي حال الصحو فلا ينفذ رأيه ونظره على حد نفاذه في صحوه وقالوا سكران لا يثبت فعبروا عن هذا المعنى فيه قال الزجاج فسروا سُكِرّت اغشيت وسَكَرَت تحيرت وسكنت عن ان تنظر والعرب تقول سكرت الريح سكنت وكذلك سكر الحرُّ قال الشاعر:

جَاءَ الشِّتَاءُ وأَجْثَأَلَّ القُبَّرُ وَجَعَلَتْ عَيْنُ الحَرُورِ تَسْكُرُ(٣)

والبرج اصله الظهور ومنه البرج من بروج السماء وبرج الحصن ويقال تبرجت المرأة إذا اظهرت زينتها والرجيم المرجوم والرجم الرمي بالشيء بالاعتماد من غير آلة مهيأة للاصابة فإن القوس يرمي عنها ولا يرجم بها ورجمته شتمته والشهاب القطعة من النار قال الزجاج والشهب المنقضة من آيات النبي ﷺ والدليل على انها كانت بعد مولد النبي ﷺ ان شعراء العرب الذين كانوا يمثلون في السرعة بالبرق وبالسيل وبالاشياء المسرعة لم يوجد في اشعارهم بيت واحد فيه ذكر الكواكب المنقضة فلما حدثت بعد مولد النبي ﷺ استعملت الشعراء ذكرها قال ذو الرمة.

كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ فِي إِثْرِ عِفْرِيَةٍ مُسَوَّمٌ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ مُنْقَضِبُ(٤)

---

(١) مضى البيت في صفحة ٢٧٧ .

(٢) قائلة عبد مناف الهذلي وقتائدة: عقبة معروفة. والشرد بضمتين جمع شارد من شرد البعير. نفر. قال ابن منظور ويروى الشرداء ـ بفتحتين ـ مثل خادم وخدم. وجواب إذا محذوف دل عليه قوله شلا كانه قال شلوهم شلا.

(٣) قائله المثنى الطهوي . وأجثأل: اجتمع وتقبض. والحرور: الريح الحارة.

(٤) يصف

[الاعراب] لو ما دعاء إلى الفعل وتحريض عليه وهو بمعنى لـولا وهـلا وقـد جاءت لو ما في معنى لولا التي لها جواب قال ابن مقبل .

لَـوْ مَـا الحَيـاءُ وَلَـوْلا الـدِّينُ عِبْتُكُمـا ببَعْضِ مَـا فيكُمـا إذْ عِبْتُمـا عَـوَري

الا من استرق السمع استثناء منقطع والمعنى لكن من استرق السمع يتبعه شهاب وقال الفراء هو استثناء صحيح لأن الله تعالى لم يحفظ السماء ممن يصعـد اليها ليسترق السمع لكن إذا سمعه واداه إلى الكهنة اتبعه شهاب .

[المعنى] ﴿وقالوا﴾ أي قال المشركون للنبي ﷺ ﴿يا أيها الذي نزل عليه الـذكر﴾ أي القرآن في زعمه ودعواه ﴿إنك لمجنون﴾ في دعواك انه نزل عليك وفي توهمك انا نتبعك ونؤمن بك ﴿لو ما تأتينا بالملائكة﴾ يشهدون لك على صدق قولك ﴿إن كنت من الصادقين﴾ فيما تدَّعيه عن ابن عباس والحسن ثم أجـابهم سبحانـه بالجـواب المقنع فقـال ﴿ما نـنـزل الملائكة إلا بالحق﴾ أي لا ننزل الملائكة الا بالحق الذي هو الموت لا يقع فيه تقديم وتأخير فيقبض أرواحهم عن ابن عبـاس وقيل لا ينـزلون إلا بعـذاب الاستئصال ان لم يؤمنـوا عن الحسن ومجاهد والجبائي وقيل ما ينزلون في الدنيا إلا بالرسالة عن مجاهد ﴿وما كانوا إذاً﴾ أي حين ننزل الملائكة ﴿منظرين﴾ مؤخرين ممهلين أي لا يمهلون ساعة ثم زاد سبحانه في البيان فقال ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ أي القرآن ﴿وإنا له لحـافظون﴾ عن الـزيادة والنقصـان والتحريف والتغيير عن قتادة وابن عباس ومثله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقيل معناه متكفل بحفظه إلى آخر الدهر على ما هو عليه فتنقله الأمة وتحفظه عصراً بعد عصر إلى يوم القيامة لقيام الحجة به على الجماعة من كل من لزمته دعوة النبي ﷺ عن الحسن وقيل يحفظه من كيد المشركين ولا يمكنهم ابطاله ولا يندرس ولا ينسى عن الجبائي وقال الفراء يجوز ان يكون الهاء في له كناية عن النبي ﷺ فكأنه قال إنا نـزلنا القـرآن وإنا لمحمـد ﷺ لحافظون وفي هذه الآية دلالـة على ان القرآن محـدث إذ المنزل والمحفـوظ لا يكون إلا محدثاً ﴿ولقد ارسلنا من قبلك﴾ يـا محمد رسـلاً عن ابن عباس فحـذف المفعول لـدلالة الإرسال عليه ﴿في شيع الاولين﴾ اي في فرق الاولين عن الحسن والكلبي وقيل في الأمم الأولين عن عطا عن ابن عباس ﴿وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن﴾ وهذا تسلية للنبي ﷺ إذ أخبره ان كل رسول كان مبتلى بقومه واستهزاؤهم بالرسل إنما حملهم على ذلك استبعادهم ما دعوهم اليه واستيحاشهم منـه واستنكارهم له حتى توهموا انه مما لا يكون ولا يصح مع مخالفته لما وجدوا عليه اسلافهم ﴿كذلك نسلكه في قلوب المجرمين﴾ فيه قولان

(أحدهما) ان معناه إن نسلك الذكر الذي هو القرآن في قلوب الكفار باخطاره عليها والقائه فيها وبأن نفهمهم إياه وانهم مع ذلك **﴿لا يؤمنون به﴾** ماضين على سنة من تقدمهم في تكذيب الرسل كما سلكنا دعوة الرسل في قلوب من سلف من الأمم عن البلخي والجبائي والمراد أن اعراضهم عن القرآن لا يمنعنا من ان ندخله في قلوبهم تأكيداً للحجة عليهم (والآخر) ان المعنى نسلك الاستهزاء في قلوبهم عقوبة لهم على كفرهم والأول هو الصحيح وقد رووا عن جماعة من المفسرين ان المراد نسلك الشرك في قلوب الكفار وذلك لا يصح لأنه لم يجر للشرك ذكر وقد جرى ذكر الذكر وهو القرآن ولأنه قال لا يؤمنون به ولو عاد الضمير في قوله به إلى الشرك لكان الكفار محمودين إذا كانوا لا يؤمنون بالشرك ولا خلاف ان الآية وردت على سبيل الذم لهم ولو كان الله سبحانه قد سلك الكفر في قلوبهم لسقط عنهم الذم ولما جاز ان يقول لهم كيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله لقد جئتم شيئاً اداً تكاد السماوات يتفطرن منه وكيف ينكر عليهم هذا الإنكار وهو الواضع لذلك في قلوبهم وكيف يأمرهم باخراجه من حيث وضعه فيه تعالى وتقدس عن ذلك **﴿وقد خلت سنة الأولين﴾** أي مضت طريقة الأمم المتقدمة بأن كانت رسلهم تدعوهم إلى كتب الله المنزلة ثم لا يؤمنون وقيل مضت سنة الأولين بأن عوجلوا بعذاب الاستئصال عند الاتيان بالآيات المقترحة مع اصرارهم على الكفر عن أبي مسلم وقيل مضت سنتهم في التكذيب كما ان قومك كذَّبوك عن ابن عباس ثم قال بعد ما تقدم ذكر اقتراحهم للآيات **﴿ولو فتحنا عليهم﴾** اي على هؤلاء المشركين **﴿باباً من السماء﴾** ينظرون اليه **﴿فظلوا فيه يعرجون﴾** اي فظلت الملائكة تصعد وتنزل في ذلك الباب عن ابن عباس وقتادة وقيل فظل هؤلاء المشركون يعرجون الى السماء من ذلك الباب وشاهدوا ملكوت السماوات عن الحسن والجبائي وأبي مسلم **﴿لقالوا إنما سكرت ابصارنا﴾** أي سدت وغطيت عن مجاهد وقيل اغشيت وعميت عن ابن عباس والكلبي وابي عمرو والكسائي وقيل تحيرت وسكنت عن ان تنظر **﴿بل نحن قوم مسحورون﴾** سحرنا محمد ﷺ فلا ننظر ببصر ويخيل الاشياء الينا على خلاف حقيقتها ثم ذكر سبحانه دلالات التوحيد فقال سبحانه **﴿ولقد جعلنا﴾** أي خلقنا وهيأنا **﴿في السماء بروجاً﴾** أي منازل الشمس والقمر **﴿وزيناها للناظرين﴾** بالكواكب النيرة عن أبي عبد الله (ع) وهي اثنا عشر برجاً وقيل البروج النجوم عن ابن عباس والحسن وقتادة **﴿وحفظناها﴾** أي وحفظنا السماء **﴿من كل شيطان رجيم﴾** أي مرجوم مرمي بالشهب عن أبي علي الجبائي وابي مسلم وقيل رجيم ملعون مشؤوم عن ابن عباس وحفظ الشيء جعله على ما ينفي عنه الضياع فمن ذلك حفظ القرآن بدرسه حتى لا ينسى وحفظ المال باحرازه

حتى لا يضيع وحفظ السماء من الشيطان بالمنع حتى لا يدخلها ولا يبلغ الى موضع يتمكن فيه من استراق السمع بما اعدَّ له من الشهاب ﴿الا من استرق السمع﴾ والسرقة عند العرب ان يأتي الإنسان الى حرز خفية فيأخذ ما ليس له والمراد بالسمع هنا المسموع والمعنى الا من حاول اخذ المسموع من السماء في خفية ﴿فأتبعه﴾ أي لحقه ﴿شهاب مبين﴾ أي شعلة نار ظاهر لأهل الارض بين لمن رآه ونحن في رأي العين نرى كأنهم يرمون بالنجوم والشهاب عمود من نور يضيء ضياء النار لشدة ضيائه وروي عن ابن عباس انه قال كان في الجاهلية كهنة ومع كل واحد شيطان فكان يقعد من السماء مقاعد للسمع فيستمع من الملائكة ما هو كائن في الأرض فينزل ويخبر به الكاهن فيفشيه الكاهن إلى الناس فلما بعث الله عيسى (ع) منعوا من ثلاث سماوات ولمابعث محمد ﷺ منعوا من السماوات كلها وحرست السماء بالنجوم فالشهاب من معجزات نبينا محمد ﷺ لأنه لم ير قبل زمانه وقيل ان الشهاب يحرق الشياطين ويقتلهم عن الحسن وقيل انه يخبل ويحرق ولا يقتل عن ابن عباس .

﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا
وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا
لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا
عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ
لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ
بِخَـٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ
عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

[القراءة] قرأ حمزة وحده الريح لواقح والباقون الرياح لواقح .

[**الحجة**] قال أبو عبيدة لا اعرف لذلك وجهاً إلا ان يريد ان الريح تأتي مختلفة من كل وجه فكانت بمنزلة الرياح وحكى الكسائي ارض اغفال وارض سباسب قال المبرد يجوز ذلك على أن يجعل الريح جنساً وليس بجيد لأن الرياح ينفصل بعضها عن بعض ومعرفة كل واحدة منها والأرض ليست كذلك لأنها بساط واحد.

[**اللغة**] الرواسي الثوابت واحدها راسية والمراسي ما يثبت به والوزن وضع أحد الشيئين بازاء الآخر على ما يظهر به مساواته في المقدار وزيادته والمعايش جمع معيشة وهي طلب أسباب الرزق مدة الحياة وقد يطلبها الإنسان لنفسه بالتصرف والتكسب وقد يطلب له فإن أتاه أسباب الرزق من غير طلب فذلك العيش الهنيء واللواقح الرياح التي تلقح السحاب حتى يحمل الماء أي يلقى إليه ما يحمل به الماء يقال لقحت الناقة إذا حملت وألقحها الفحل فاللواقح في معنى الملقحات وقيل في علة ذلك قولان (أحدهما) أنه في معنى ذات لقاح ومثله همٌّ ناصب أي ذو نصب قال النابغة .

كِلِيني لِهَمّ يَا أُمَيْمَةُ نَاصِبِ وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الكَوَاكِبِ[(١)]

أي منصب وقال نهشل بن جري .

لِيُبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ وَمُخْتَبِطٌ مِمّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ[(٢)]

أي المطاوح (والآخر) أن الرياح لاقحة بحملها الماء ملقحة بالقائها إياه إلى السحاب ويقال سقيته فيما يشربه بشفته واستقيته بالألف فيما تشربه ارضه قال علي بن عيسى وقد يجيء أحدهما بمعنى الآخر كقوله نسقيكم مما في بطونه وقال ذو الرمة .

وَقَفْتُ عَلىٰ رَبْعٍ لِمَيَّةَ نَاقَتِي[(٣)] فَمَا زِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَأُخَاطِبُهْ
وأَسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمّا أُبِثُّهُ تُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ وَمَلاعِبُهْ

[**الاعراب**] والأرض منصوب بفعل مضمر تقديره ومددنا الأرض ﴿**مددناها**﴾ كقوله والقمر قدرناه أي وقدرنا القمر قدرناه ومن لستم له برازقين من في موضع نصب عطفاً على معايش والمراد به العبيد والاماء والانعام والدواب عن مجاهد وقال الفراء العرب لا تكاد تجعل من إلا في الناس خاصة فإن كان مع الدواب العبيد حسن حينئذ قال وقد يجوز ان

---

(١) مر البيت في صفحة ١٢٢ .
(٢) الشعر في جامع الشواهد وقد مر ايضاً في ج ٢ .
(٣) الربع : الدار.

يكون من في موضع جر عطفاً على الكاف والميم في لكم وقال المبرد والظاهر المخفوض لا يعطف على المضمر المخفوض نحو مررت بك وزيد إلا أن يضطر شاعر وأنشد الفراء .

نُعلّقُ في مثْلِ السّوارِي سُيُوفنا ومَا بَيْنَها والْكَعْبِ غَوْطٌ نَفانِفُ[1]

فرد الكعب على الهاء في بينها وقال :

هلاَّ سألْت بذي الجَماجِم عَنْهُمُ وَأبي نَعِيمٍ ذي اللِّوَاءِ المُحْرِقِ[2]

فرد ابا نعيم على هم في عنهم قال ويجوز أن يكون مَنَ في موضع رفع لأن الكلام قد تمَّ ويكون التقديرلأ على قوله ولكم فيها من لستم له برازقين قال الزجاج والأجود من الأقوال الاول وجاز أن يكون عطفاً على تأويل لكم لأن معنى قوله ولكم فيها معايش اعشناكم ومن لستم له برازقين اي رزقناكم ومن لستم له برازقين وان من شيء من مزيدة وشيء مبتدأ وعندنا خبر له وخزائنه مرفوع بالظرف لأن الظرف جرى خبراً على المبتدأ لا خلاف في هذا بين سيبويه والأخفش .

[**المعنى**] لما تقدَّم ذكر السماء وما فيها من الأدلة والنعم اتبعه بذكر الأرض فقال **﴿والأرض مددناها﴾** أي بسطناها وجعلنا لها طولاً وعرضاً **﴿والقينا فيها رواسي﴾** أي طرحنا فيها جبالاً ثابتة **﴿وأنبتنا فيها﴾** اي في الأرض **﴿من كل شيء موزون﴾** أي مقدر معلوم عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقيل من كل شيء يوزن في العادة كالذهب والفضة والصفر والنحاس ونحوها عن الحسن وقيل يعني بذلك كل ما تخرجه الأرض عن أبي مسلم قال وإنما خصّ الموزون بالذكر دون المكيل لوجهين (أحدهما) ان غاية المكيل تنتهي إلى الوزن لأن جميع المكيلات إذا صار طعاماً دخل في الوزن فالوزن أهم (والآخر) ان في الوزن معنى الكيل لأن الوزن هو طلب المساواة وهذا المعنى ثابت في الكيل فخصّ الوزن بالذكر لاشتماله على معنى الكيل وردّ عليه السيد الأجل المرتضى قدس الله روحه فقال ظاهر لفظ الآية يشهد بغير ما قاله فإن المراد بالموزون المقدار الواقع بحسب الحاجة فلا يكون ناقصاً عنها ولا زائداً عليها زيادة مضرة داخلة في باب العبث ونظير ذلك قولهم كلام فلان

(١) البيت منسوب إلى مسكين الدارمي يصف نفسه وقومه بالطول والسمو والعظم والشجاعة السواري جمع السارية وعنى بها اعنان الرجال . والكعب : كل مفصل للعظام . والغوط : الأرض المطمئنة . والنفانف جمع نفنف : الهواء بين الشيئين يقول ان الرجل منهم لطوله وضخامته كالسارية واذا وضع السيف بحمائله على عاتقه

(٢) المحرق ـ كمحدث ـ لأنه كان يحرق العرب في ديارهم واسكن الراء في الشعر للضرورة .

موزون وافعاله موزونة والمراد ما ذكرناه وعلى هذا المعنى تأول المفسرون ذكر الموازين في القرآن على أحد التأويلين وانها التعديل والمساواة بين الثواب والعقاب[١] **﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾** اي خلقنا لكم في الأرض معايش من زرع او نبات عن ابن عباس والحسن وقيل معايش اي مطاعم ومشارب تعيشون بهما وقيل هي التصرف في اسباب الرزق مدة الحياة **﴿ومن لستم له برازقين﴾** يعني العبيد والدواب يرزقهم الله ولا ترزقونهم ومعناه يدور على ما تقدم ذكره في الإعراب وأتى بلفظة من دون لفظة ما لأنه غلب العقلاء على غيرهم **﴿وإن من شيء﴾** أي وليس من شيء ينزل من السماء وينبت من الأرض **﴿إلا عندنا خزائنه﴾** معناه إلا ونحن مالكوه والقادرون عليه وخزائن الله سبحانه مقدوراته لأنه تعالى يقدر أن يوجد ما شاء من جميع الأجناس ويقدر من كل جنس على ما لا نهاية له وقيل المراد به الماء الذي منه النبات وهو مخزون عنده إلى ان ينزله ونبات الأرض وثمارها إنما تنبت بماء السماء وقال الحسن المطر خزائن كل شيء **﴿وما ننزله﴾** أي وما ننزل المطر **﴿إلا بقدر معلوم﴾** تقتضيه الحكمة وقيل انه سبحانه استعار الخزائن للقدرة على إيجاد الأشياء وعبرَّ عن الإيجاد بالإنزال لأن الإنزال في معنى الإعطاء والرزق والمعنى ان الخير كله من عند الله لا يوجد ولا يعطي إلا بحسب المصلحة والحاجة ثم بيَّن سبحانه كيفية الإنزال فقال **﴿وارسلنا الرياح لواقح﴾** اي اجرينا الرياح لواقح أي ملقحة للسحاب محملة بالمطر[٢] **﴿فأنزلنا من السماء ماء﴾** أي مطراً **﴿فأسقيناكموه﴾** أي فأسقيناكم ذلك الماء ومكناكم منه **﴿وما أنتم له بخازنين﴾** أي وما انتم ايها الناس له بحافظين ولا محرزين بل الله يحفظه ثم يرسله من السماء ثم يحفظه في الأرض ثم يخرجه من العيون بقدر الحاجة ولا يقدر احد على إحراز ما يحتاج اليه من الماء في موضع **﴿وانا لنحن نحيي ونميت﴾** اخبر سبحانه انه يحيي الخلق إذا شاء ويميتهم إذا أراد **﴿ونحن الوارثون﴾** الأرض ومن عليها اخبر انه يرث الأرض لأنه إذا أفنى الخلق ولم يبق أحد كانت الاشياء كلها راجعة إليه يتفرد بالتصرُّف فيها **﴿ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد**

(١) وقال بعض علماء اهل العصر ان من الاسرار التي كشف عنها الوحي الإلهي ما في هذه الآية حيث انها دلت على ان كل ما ينبت في الأرض له وزن خاص وقد ثبت اخيراً ان كل نوع من أنواع النبات مركب من أجزاء خاصة على وزن مخصوص بحيث لو زيد في بعض أجزائه أو نقص لكان ذلك مركباً آخر وان نسبة بعض الأجزاء الى بعض من الدقة بحيث لا يمكن ضبطها تحقيقاً بأدق الموازين المعروفة للبشر .

(٢) وربما يقال ان الرياح لا تحمل السحاب وانما تدفعه من مكان الى مكان آخر ولو سلم فليس في التنبيه على هذا المعنى كبير اهتمام بل النظرة الصحيحة في معنى الآية بعد ملاحظة ما اكتشفه علماء النبات تفيدنا سراً دقيقاً لم تدركه كما في المشمش والصنوبر والرمان والقطن ونباتات الحبوب فإذا نضجت حبوب الطلع انتفخت الاكياس وانتثرت خارجها محمولة على اجنحة الرياح فتسقط على مياسم الازهار الأخرى عفواً .

علمنا المستأخرين﴾ قيل فيه اقوال (أحدها) ان معناه ولقد علمنا الماضين منكم ولقد علمنا الباقين عن مجاهد والضحاك وقتادة (وثانيها) علمنا الأولين منكم والآخرين عن الشعبي (وثالثها) علمنا المستقدمين في صفوف الحرب والمتأخرين عنها عن سعيد بن المسيب (ورابعها) علمنا المتقدمين في الخير والمبطئين عنه عن الحسن (وخامسها) علمنا المتقدمين إلى الصف الاول في الصلاة والمتأخرين عنه فإنه كان يتقدم بعضهم إلى الصف الاول ليدركوا فضيلته وكان يتأخر بعضهم لينظروا إلى اعجاز النساء فنزلت الآية فيهم عن ابن عباس (وسادسها) ان النبي ﷺ حثّ الناس على الصف الأول في الصلاة وقال خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها اولها وقال ﷺ ان الله وملائكته يصلون على الصف المتقدم فازدحم الناس وكانت دور بني عذرة بعيدة عن المسجد فقالوا لنبيعنَّ دورنا ولنشترين دوراً قريبة من المسجد حتى ندرك الصف المقدم فنزلت هذه الآية عن الربيع بن أنس فعلى هذا يكون المعنى انا نجازي الناس على نياتهم ﴿وان ربك هو يحشرهم﴾ معناه ان ربك يا محمد او أيها السامع هو الذي يجمعهم يوم القيامة ويبعثهم بعد إماتتهم للمجازاة والمحاسبة ﴿انه حكيم﴾ في افعاله ﴿عليم﴾ بما استحق كل منهم.

[**النظم**] إنما اتصل قوله وانا لنحن نحيي ونميت وما بعده بما ذكره فيما قبل من انواع النعم فبيّن سبحانه انه يرثهم كل ما خولهم من ذلك تزهيداً في الدنيا وترغيباً في الآخرة عن أبي مسلم وقيل انه لما بيّن انواع نعمه عرَّفهم بعد انه لم يخلق ذلك للبقاء وإنما أنعم به عليهم ليكون طريقاً إلى نعم الآخرة عن القاضي وقيل انه لما ذكَّرهم نعم الدنيا نبَّه بالإحياء والإماتة وعلمه بجميع الأشياء وحشر الخلق على وجوب الانقطاع اليه والعبادة والطاعة له.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ
مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ
مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا
مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن
رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ

أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾
قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن
لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ
مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾

[**اللغـة**] الصلصال الطين اليابس اخذ من الصلصلة وهي القعقعة ويقال لصوت الحديد ولصوت الرعد صلصلة وهي صوت شديد متردد في الهواء وصلَّ يصل إذا صوَّت قال.

رَجَعْتُ إلىٰ صَوْتٍ كَجَرَّةِ حَنْتَمٍ   إذا قُرِعَتْ صِفْراً مِنَ الماءِ صَلَّتِ[1]

ويقال الصلصال المنتن أخذ من صل اللحم وأصل إذا أنتن والحمأ جمع حمأة وهو الطين المتغير إلى السواد يقال حمئت البئروأحمأتها انا والمسنون المصبوب من سننت الماء على وجهه أي صببته ويقال سننت بالسين غير معجمة أرسلت الماء وشننت بالشين معجمة صببت وقيل انه المتغير من قولهم سننت الحديد على المسن إذا غيرتها بالتحديد واصلها الاستمرار في جهة من قولهم هو على سنن واحد والسنة الطريقة وسنة الوجه صورته قال ذو الرمة .

تُرِيكَ سُنَّةَ وَجْهٍ غَيْرَ مُقْرِفَةٍ   مَلْسَاءَ لَيْسَ بِهَا خَالٌ وَلَا نَدَبُ[2]

قال سيبويه جمع الجان جنان فهو مثل حائط وحيطان وراع ورعيان والسموم الريح الحارة اخذ من دخولها بلطفها في مسام البدن ومنه السم القاتل يقال سم يومنا يسم إذا هبت فيه ريح السموم.

[**الاعراب**] من جعل الجان جمعاً قال ولم يقل خلقناها كما قال مما في بطونه ومما في بطونها وقوله مالك ان لا تكون مع الساجدين ما مبتدأ ولك خبره والتقدير ايّ شيء ثابت لك والا تكون تقديره في ان لا تكون فحذف في وهي متعلقة بالخبر ايضاً فلما حذفت في

(١) الحنتم: جرار خضر. تضرب إلى الحمرة. والصفر بمعنى الخالي .

(٢) وجه مقرف: غير حسن. والندب: أثر الجرح .

انتصب موضع ان لا تكون على قول سيبويه وبقي على الجر على قول الخليل وأبو الحسن حمل ان على الزيادة ولا تكون في موضع الحال قال وتقديره مالك خارجاً عن الساجدين.

[**المعنى**] لما ذكر سبحانه الاحياء والإماتة والنشأة الثانية عقَّبه ببيان النشأة الأولى فقال ﴿**ولقد خلقنا الانسان**﴾ يعني آدم ﴿**من صلصال**﴾ أي من طين يابس يسمع له عند النقر صلصلة اي صوت عن ابن عباس والحسن وقتادة واكثر المفسرين وقيل طين صلب يخالطه الكثيب عن الضحاك وقيل منتن عن مجاهد واختاره الكسائي ﴿**من حمأ**﴾ أي من طين متغير ﴿**مسنون**﴾ أي مصبوب كانه افرغ حتى صار صورة كما يصب الذهب والفضة وقيل انه الرطب عن ابن عباس وقيل مسنون مصور عن سيبويه قال اخذ من سنة الوجه ﴿**والجان**﴾ وهو ابليس عن الحسن وقتادة وقيل هو ابو الجن كما ان آدم ابو البشر عن ابن عباس وقيل هم الجن نسل ابليس وهو منصوب بفعل مضمر معناه وخلقنا الجان ﴿**خلقناه من قبل**﴾ اي من قبل خلق آدم ﴿**من نار السموم**﴾ اي من نار لها ريح حارة تقتل وقيل هي نار لا دخان لها والصواعق تكون منها وروى ابو روق عن الضحاك عن ابن عباس قال كان ابليس من حي من احياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة وخلق الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وقيل السموم النار الملتهبة عن أبي مسلم وفي هذا اشارة إلى ان الانسان لا يفضل بأصله وإنما يفضل بدينه وعلمه وصالح عمله واصل آدم (ع) كان من تراب وذلك قوله خلقه من تراب ثم جعل التراب طيناً وذلك قوله وخلقته من طين ثم ترك ذلك الطين حتى تغير واسترخى وذلك قوله من حمأ مسنون ثم ترك حتى جف وذلك قوله من صلصال فهذه الاقوال لا تناقض فيها إذ هي اخبار عن حالاته المختلفة ﴿**وإذ قال ربك للملائكة**﴾ تقديره واذكر يا محمد إذ قال ربك للملائكة ﴿**اني خالق**﴾ أي سأخلق ﴿**بشراً**﴾ أي آدم وسمي بشراً لأنه ظاهر الجلد لا يواريه شعر ولا صوف ﴿**من صلصال من حمأ مسنون**﴾ مرَّ معناه ﴿**فإذا سويته**﴾ بإتمام خلقته واكمال خلقه وقيل معناه عدلت صورته ﴿**ونفخت فيه من روحي**﴾ والنفخ اجراء الريح في الشيء باعتماد فلما اجرى الله سبحانه الروح في آدم على هذه الصفة كان قد نفخ الروح فيه وإنما اضاف روح آدم إلى نفسه تكرمة له وتشريفاً وهي اضافة الملك ﴿**فقعوا له ساجدين**﴾ أي اسجدوا له قال الكلبي أي فخرّوا له ساجدين﴿**فسجد الملائكة كلهم اجمعون**﴾ هذا توكيد بعد توكيد عند سيبويه وقال المبرد ويدل قوله اجمعون على اجتماعهم في السجود اي فسجدوا كلهم في حالة واحدة قال الزجاج وقول سيبويه اجود لأن اجمعون معرفة فلا يكون حالاً ﴿**إلا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين**﴾ أي امتنع ان يكون معهم فلم يسجد معهم وقد سبق القول في ان ابليس هل كان

من الملائكة أو لم يكن واختلاف العلماء فيه وما لكل واحد من الفريقين من الحجج وذكرنا ما يتعلق بذلك من الكلام في سورة البقرة فلا معنى للإعادة وان يكون في محل نصب اي ابى الكون مع الساجدين ﴿قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين﴾ قال الزجاج معناه اي شيء يقع لك في ان لا تكون مع الساجدين فموضع ان نصب باسقاط في وافضاء الناصب الى ان وهذا خطاب من الله سبحانه لإبليس ومعناه لم لا تكون مع الساجدين فتسجد كما سجدوا وإنما قال سبحانه بنفسه على جهة الاهانة له كما يقول لأهل النار اخسأوا فيها ولا تكلمون وقال الجبائي إنما قال سبحانه ذلك على لسان بعض رسله لأنه لا يصح ان يكلمه الله بلا واسطة في زمان التكليف ﴿قال﴾ اي قال ابليس مجيباً لهذا الكلام ﴿لم اكن لأسجد﴾ اي ما كنت لاسجد وقيل معناه ما كان ينبغي ان اسجد ﴿لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون﴾ لأني اشرف اصلاً منه ولم يعلم ان التفاضل بالدين والاعمال لا بالأصل ﴿قال فاخرج منها﴾ اي من الجنة ﴿فإنك رجيم﴾ اي مشؤوم مطرود معلون وقيل معناه اخرج من السماء عن أبي مسلم وقيل من الأرض فألحقه بالبحار لا يدخل الأرض إلا كالسارق وقيل رجيم مرجوم أي إن رجعت إلى السماء رجمت بمثل الشهب التي يرجم به الشياطين عن الجبائي ﴿وان عليك اللعنة﴾ اي وان عليك مع ذلك اللعنة اي الابعاد من رحمة الله ولذلك لا يجوز ان يلعن بهيمة ﴿إلى يوم الدين﴾ أي يوم الجزاء وهو يوم القيامة والمراد أن الله سبحانه قد لعنك وأهل السماء والأرض يلعنونك لعنة لازمة لك إلى يوم القيامة ثم يحصل بعد ذلك على الجزاء بعذاب النار وفيه بيان انه لا يؤمن قط وقال بعض المحققين إنما قال سبحانه هنا وان عليك اللعنة بالألف واللام وقال في سورة صٓ لعنتي بالاضافة لأن هناك يقول لما خلقت بيدي مضافاً فقال وان عليك لعنتي على المطابقة وقال هنا مالك ألا تكون مع الساجدين وساق الآية على اللام في قوله ولقد خلقنا الانسان وقوله والجان فأتى باللام أيضاً في قوله وان عليك اللعنة .

﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾
إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ
لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ
ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي

لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾
وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ
مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾

[**القراءة**] قرأ يعقوب صراطُ عليٌّ بالرفع وهي قراءة أبي رجاء وابن سيرين وقتادة والضحاك ومجاهد وقيس بن عبادة وعمرو بن ميمون وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع) والباقون من القراء قرأوا عَلَيَّ .

[**الحجة**] قال ابن جني عَلِيٌّ هنا كقولهم كريم شريف وليس المراد به علو الشخص والنصبة وقال أبو الحسن في قراءة الجماعة هذا صراط عَلَيَّ مستقيم هو كقولك الدلالة اليوم عليَّ على أي هذا صراط في ذمتي وتحت ضماني كقولك صحة هذا المال علي وتوفية عدته علَيَّ وليس معناه عنده مستقيم عَلَيَّ كقولنا قد استقام على الطريق واستقرَّ على كذا وما أحسن ما ذهب إليه أبو الحسن فيه .

[**اللغة**] الإغواء الدعاء إلى الغي والاغواء خلاف الارشاد وهذا أصله وقد يكون بمعنى الحكم بالغي على وجه الذم والتزيين جعل الشيء متقبلاً في النفس من جهة الطبع أو العقل بحق أو بباطل واغواء الشيطان تزيينه الباطل حتى يدخل صاحبه فيه .

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه ما سأله إبليس عند إياسه من الآخرة فقال عز اسمه ﴿**قال رب فأنظرني**﴾ أي فامهلني وأخِّرني ﴿**إلى يوم يبعثون**﴾ أي يحشرون للجزاء استنظره إبليس إلى يوم القيامة لئلا يموت إذ يوم القيامة لا يموت فيه أحد فلم يجبه الله تعالى إلى ذلك بل ﴿**قال**﴾ له ﴿**فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم**﴾ الذي هو آخر أيام التكليف وهو النفخة الأولى حين يموت الخلائق عن ابن عباس وقيل الوقت المعلوم يوم القيامة انظره الله سبحانه في رفع العذاب عنه إلى يوم القيامة عن الحسن والجبائي وأبي مسلم وقيل هو الوقت الذي قدَّر الله أجله فيه وهو معلوم لله سبحانه غير معلوم لإبليس فأبهم ولم يبيّن لأن في بيانه اغراء بالمعصية عن البلخي واختلف في تجويز إجابة دعاء الكافر وقال الجبائي لا يجوز لأن في إجابة الدعاء تعظيماً له وقال ابن الاخشيد يجوز ذلك لأن الإجابة كالنعمة في احتمالها أن يكون ثواباً وتعظيماً وأن يكون استصلاحاً ولطفاً ﴿**قال**﴾ إبليس ﴿**رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين**﴾ قيل فيه أقوال (أحدها) ان الاغواء الأول والثاني بمعنى

الإضلال أي كما أضللتني لأضلنّهم وهذا لا يجوز لأن الله سبحانه لا يضل عن الدين إلا أن يحمل على أن إبليس كان معتقداً للخير (وثانيها) إن الاغواء الأول والثاني بمعنى التخييب أي بما خيبتني من رحمتك لأخيبنهم بالدعاء إلى معصيتك عن الجبائي (وثالثها) إن معناه بما أضللتني عن طريق جنتك لأضلنهم بالدعاء إلى معصيتك (ورابعها) بما كلفتني السجود لآدم الذي غويتُ عنده فسمي ذلك غواية كما قال فـزادتهم رجساً إلى رجسهم لمـا ازدادوا عندها عن البلخي والباء في قوله بما أغويتني قيل ان معناها القسم ههنا عن أبي عبيدة وقيل هي بمعنى السبب أي بكوني غاوياً لأزينن كما يقال بطاعته لندخلن الجنة وبمعصيته لندخلن النار ومفعول التزيين محذوف وتقديره لأزيننَّ البـاطل لهم أي لأولاد آدم حتى يقعـوا فيه ثم استثنى من جملتهم فقـال ﴿**إلا عبادك منهم المخلصين**﴾ وهم الـذين اخلصـوا عبـادتهم لله وامتنعوا عن عبادة الشيطان وانتهوا عما نهاهم الله عنه ومن قرأ المخلصين بفتـح اللام فهم الذين أخلصهم الله بأن وفّقهم لذلك ولطف لهم فيه ليس للشيطان عليهم سبيل ﴿**قال**﴾ الله سبحانه ﴿**هذا صراط علي مستقيم**﴾ قيل فيه وجوه (أحدها) إنه على وجه التهديد له كـما تقول لغيرك افعل ما شئت وطريقك عليَّ أي لا تفوتني عن مجاهد وقتادة ومثله قوله إن ربك لبالمرصاد (وثانيها) معناه أن ما نذكره من أمر المخلصين والغاوين طريق ممره عليَّ أي ممر من مسلكه علي مستقيم لا عدول فيه عني وأجاز لي كلا من الفريقين بما عمل (وثالثها) أن معناه هذا دين مستقيم عليَّ بيانه والهـداية إليـه ﴿**إن عبادي ليس لـك عليهم سلطان**﴾ هذا اخبار منه تعالى بأن عباده الذين يطيعونه وينتهون إلى أوامـره لا سلطان للشيطان عليهم ولا قدرة له على أن يكرههم على المعصية ويحملهم عليها ولكن من يتبعه فإنما يتبعه باختياره قال الجبائي وذلك يدل على أن الجن لا يقدرون على الاضرار ببني آدم لأنه على عمومه ثم استثنى سبحانه من جملة العباد من يتبع إبليس على اغوائه وينقاد له ويقبل منه فقال ﴿**إلا من اتبعك من الغاوين**﴾ لأنه إذا قبل منه صار له عليه سلطان بعدوله عن الهدى إلى ما يدعوه إليه من اتباع الهوى وقيل ان الاستثناء منقطع والمراد لكن من اتبعك من الغاوين جعل لك على نفسـه سلطاناً ﴿**وإن جهنم لمـوعدهم أجمعين**﴾ أي مـوعـد إبليس ومن تبعـه ﴿**لهـا سبعـة أبواب**﴾ فيه قولان (أحدهـا) ما روي عن أميـر المؤمنين (ع) ان جهنم لها سبعـة أبواب أطباق بعضها فوق بعض ووضع احدى يديه على الأخرى فقال هكذا وان الله وضع الجنان على العر ض ووضع النيران بعضها فوق بعض فأسفلها جهنم وفوقها لظى وفوقها الحـطمة وفوقها سقر وفوقها الجحيم وفوقها السعير وفوقها الهاوية وفي روايـة الكلبي اسفلها الهـاوية وأعلاها جهنم وعن ابن عباس ان الباب الأول جهنم والثـاني سعير والثـالث سقر والـرابع

جحيم والخامس لظى والسادس الحطمة والسابع الهاوية اختلفت الروايات في ذلك كما ترى وهو قول مجاهد وعكرمة والجبائي قالوا اِن أبواب النيران كإطباق اليد على اليد (والآخر) ما روي عن الضحاك قال للنار سبعة أبواب وهي سبعة ادراك بعضها فوق بعض فأعلاها فيه أهل التوحيد يعذَّبون على قدر أعمالهم وأعمارهم في الدنيا ثم يخرجون والثاني فيه اليهود والثالث فيه النصارى والرابع فيه الصابئون والخامس فيه المجوس والسادس فيه مشركو العرب والسابع فيه المنافقون وذلك قوله ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار وهو قول الحسن وأبي مسلم والقولان متقاربان ﴿لكل باب منهم﴾ أي من الغاوين ﴿جزء مقسوم﴾ أي نصيب مفروض عن ابن عباس .

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾
ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا
عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا
بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ
عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾

[اللغة] الغل الحقد الذي ينغل في القلب ومنه الغل الذي يجعل في العنق والغلول الخيانة التي يطوق عارها صاحبها والسرير المجلس الرفيع موطأ للسرور وجمعه الأسرة والسرر والنصب التعب والوهن الذي يلحق من العمل مشتق من الانتصاب لأن صاحبه ينتصب بالانقطاع عن العمل للوهن الذي يلحقه.

[المعنى] لمّا ذكر سبحانه عباده المخلصين عقّبه بذكر حالهم في الآخرة فقال ﴿إن المتقين﴾ الذين يتقون عقاب الله باجتناب معاصيه ﴿في جنات﴾ أي في بساتين خلقت لهم ﴿وعيون﴾ من ماء وخمر وعسل يفور من الفوارة ثم يجري في مجاريها ﴿ادخلوها بسلام﴾ أي يقال لهم ادخلوا الجنات بسلامة من الآفات وبراءة من المكاره والمضرات ﴿آمنين﴾ من الاخراج منها ساكني النفس إلى انتفاء الضرر فيها ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾ أي وأزلنا عن صدور أهل الجنة ما فيها من أسباب العداوة من الغل أي الحقد والحسد والتنافس

والتباغض ﴿اخواناً﴾ منصوب على الحال أي وهم يكونون اخواناً متوادين يريد مثل الاخوان فيصفو لذلك عيشهم ﴿على سرر﴾ أي كائنين على مجالس السرور ﴿متقابلين﴾ متواجهين ينظر بعضهم إلى وجه بعض قال مجاهد لا يرى الرجل في الجنة قفا زوجته ولا ترى زوجته قفاه لأن الاسرة تدور بهم كيف ما شاءوا حتى يكونوا متقابلين في عموم احوالهم وقيل متقابلين في الزيارة إذا تزاوروا استوت مجالسهم ومنازلهم وإذا افترقوا كانت منازل بعضهم ارفع من بعض ﴿لا يمسهم فيها﴾ أي في الجنة ﴿نصب﴾ أي عناء وتعب لأنهم لا يحتاجون إلى إتعاب أنفسهم لتحصيل مقاصدهم إذ جميع النعم حاصلة لهم ﴿وما هم منها بمخرجين﴾ أي يبقون فيها مؤبدين ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ أن يخبر عباده بكثرة عفوه ومغفرته ورحمته لأوليائه وشدة عذابه لأعدائه فقال ﴿نبيء﴾ يا محمد ﴿عبادي أني أنا الغفور﴾ أي كثير الستر لذنوب المؤمنين ﴿الرحيم﴾ كثير الرحمة لهم ﴿وإن عذابي هو العذاب الأليم﴾ فلا تعولوا على محض غفراني ورحمتي وخافوا عقابي ونقمتي .

﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾
إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟
لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن
مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ
ٱلْقَـٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾
قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ
مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ
قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾

[القراءة] قرأ نافع وحده فبم تبشرون خفيفة النون مكسورة وقرأ ابن كثير وحده فبم تبشرونّ مشددة النون مكسورة وقرأ الباقون تبشرونَ مفتوحة النون خفيفة وروى أبو علي

الضرير عن روح وغيره عن يعقوب فبم تبشروني بإثبات الياء وقرأ أبو عمرو والكسائي يقنط ويقنطوا بكسر النون حيث كان والباقون بفتح النون وقرأ لمنجوهم خفيفة اهل الكوفة غير عاصم ويعقوب والباقون بالتشديد وقرأ قدرنا بالتخفيف أبو بكر عن عاصم وكذلك في النمل والباقون بالتشديد .

[**الحجة**] قال أبو علي الوجه في قراءة نافع انه أراد تبشرونني إلا أنه حذف النون الثانية استثقالاً لأن التكرير بها وقع ولم يحذف النون الأولى التي هي علامة الرفع وقد حذفوا هذه النون في كلامهم لأنها زائدة ولأن علامة الضمير الياء من دونها قال

أَبِالْمَوْتِ الَّذي لَا بُدَّ إنّي مُلاقٍ لا أَباكَ تُخَوِّفيني

وقال

تَراهُ كالثَّغامِ يَعَلُّ مِسْكاً يَسُوءُ الفالِياتِ إذا فَلَيْني(١)

والوجه في تشديد ابن كثير النون انه أدغم النون الأولى التي هي علامة الرفع في الثانية المتصلة بالياء التي هي المضمر المنصوب المتكلم ومن فتح النون فلأنه لم يعدّ الفعل إلى المفعول به كما عدّى غيره وحذف المفعول به كثير والنون علامة الرفع وقنط يقنَط وقنَط يقنِط لغتان وكان قنَط يقنِط اعلى ويدل على ذلك اجماعهم في قوله قنطوا وحكى ان يقنُط لغة وهذا يدل على ان يقنِط أكثر لأن مضارع فعَل يجيء على يفعِل ويفعُل وحجة من قرأ لمنجُّوهم قوله ونجينا الذين آمنوا وحجة من قرأ بالتخفيف قوله فأنجاه الله من النار وقدرت بالتخفيف لغة في قدرت يدل على ذلك قول الهذلي

وَمُفْرِهَةٍ عَنْسٍ قَدَرْتُ لِساقِها فَخَرَّتْ كَما تَتَّايَع الرّيحُ بِالقَفْلِ(٢)

والمعنى قدرت ضربتي لساقها فضربتها فحذف لدلالة الكلام عليه فمن قرأ قدرنا مخففاً كان في معنى التشديد .

[**اللغة**] الضيف هو المنضوي إلى غيره لطلب القرى وهو يقع على الواحد والاثنين والجمع لأنه في الأصل مصدر وصف به وقد يجمع بالأضياف والضيوف والضيفان والوجل

---

(١) البيت في جامع الشواهد .

(٢) العنس : الناقة القوية ومفرهة : التي تلد الفرهة يقال دابة فارهة أي نشيطة حادة قوية . وأتابعت الريح بورق الشجر إذا ذهبت به وأصله تتابعت به . والقفل ما يبس من الشجر .

الخوف يقال وجل يوجل وياجل وييجِل وييجَل إذا خاف والخطب الأمر الجليل ومنه الخطبة والخطبة والمجرم المنقطع عن الحق إلى الباطل وهو القاطع لنفسه عن المحاسن إلى القبائح والغابر الباقي فيمن يهلك قال الشاعر

فَـمَا وَنَـى مُـحَـمَّـدٌ مُـذْ أنْ غَـفَـرَ   لَـهُ الإِلَـهُ مَـا مَـضَـى وَمَـا غَـبَـرَ

[**الإعراب**] سلاماً منصوب على المصدر كأنهم قالوا سلمنا إلا آل لوط قال الزجاج هو استثناء ليس من الأول وقوله إلا امرأته استثناء من الهاء والميم في قوله إنا لمنجوهم وقوله قدرنا انها لمن الغابرين في معنى علمنا أنها لمن الغابرين قال أبو عبيدة في الآية معنى فقهي كان أبو يوسف يتأوله فيها وهو أن الله استثنى آل لوط من المجرمين ثم استثنى امرأة لوط من آل لوط فرجعت امرأته في التأويل إلى القوم المجرمين وكذلك كل استثناء في الكلام إذا جاء بعد استثناء آخر دعا المعنى إلى أول الكلام كقول الرجل لفلان عليَّ عشرة دراهم إلا اربعة إلا درهماً فإنه يكون اقراراً بسبعة وكذلك لو قال له عليَّ خمسة إلا درهماً إلا ثُلثاً كان اقراراً بأربعة وثُلث .

[**المعنى**] لما ذكر سبحانه الوعد والوعيد عقَّبه بذكر قصة إبراهيم (ع) وقوم لوط مصدقاً لما ذكره وارشاداً إلى الدلالة بالعاجل على الآجل فقال **﴿ونبئهم عن ضيف إبراهيم﴾** أي وأخبرهم عن أضياف إبراهيم **﴿إذ دخلوا عليه﴾** يعني الملائكة وإنما سمّاهم ضيفاً لأنهم جاءوه في صورة الأضياف **﴿فقالوا سلاماً﴾** أي سلَّموا عليه سلاماً على وجه الدعاء والتحية وبشَّروه بالولد وباهلاك قوم لوط **﴿قال﴾** إبراهيم **﴿إنا منكم وجلون﴾** أي خائفون **﴿قالوا لا توجل﴾** أي لا تخف **﴿إنا نبشرك﴾** أي نخبرك بما يسرُّك **﴿بغلام عليم﴾** أي بولد يكون غلاماً إذا ولد ويكون عليماً إذا بلغ **﴿قال﴾** إبراهيم **﴿أبشرتموني﴾** بالمولود **﴿على أن مسني الكبر﴾** أي في حال الكبر الذي يوجب اليأس عن الولد **﴿فبم تبشرون﴾** أبأمر الله تعالى فأثق به ام من جهة أنفسكم ومعنى مسني الكبر غيَّرني الكبر عن حال الشباب الذي يطمع في الولد إلى حال الهرم وقيل معناه عن رأس الكبر **﴿قالوا بشرناك بالحق﴾** أي قالت الملائكة لإبراهيم إنا بشرناك بذلك على وجه الحقيقة بأمر الله **﴿فلا تكن من القانطين﴾** أي اليائسين فأجابهم إبراهيم (ع) بأن **﴿قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾** أي ومن الذي ييأس من رحمة الله وحسن انعامه إلا العادلون عن الحق الضالون عن طريق الهدى الجاهلون بقدرته على خلق الولد من الشيخ الكبير وهذا القول من إبراهيم (ع) يدل على أنه لم يكن قانطاً ولكنه استبعد ذلك فظنت الملائكة قنوطاً فنفى ذلك عن نفسه **﴿قال﴾** إبراهيم (ع) بعد ذلك

للملائكة ﴿فما خطبكم أيها المرسلون﴾ أي ما الأمر الجليل الذي بعثتم له وما شأنكم وسمّاهم مرسلين لما علم أنهم ملائكة ﴿قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين﴾ أي مذنبين وقيل كافرين اخبروه بهلاكهم واقتصروا على هذا لأن من المعلوم ان الملائكة إنما يرسلون إلى المجرمين للهلاك ﴿إلا آل لوط﴾ استثنى منهم آل لوط وهم خاصته وعشيرته وإنما استثناهم منهم وإن لم يكونوا مجرمين من حيث كانوا من قوم لوط وممن بعث إليهم وقيل إن معناه لكن آل لوط ﴿إنا لمنجوهم أجمعين﴾ أي نخلصهم أجمعين من العذاب ﴿إلا امرأته﴾ استثنى امرأة لوط من آل لوط لأنها كانت كافرة ﴿قدرنا إنها لمن الغابرين﴾ أي من الباقين في المدينة مع المهلكين أي قضينا أنها تهلك كما يهلكون .

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾

[**اللغة**] الاسراء سير الليل يقال سرى يسري سرى وأسرى إسراء لغتان قال امرؤ القيس

سَـرَيْتُ بِـهِـمْ حَـتَّى تَـكِـلَّ مَـطِيُّـهُـمْ وَحَتَّى الجِيَـادُ مَـا يُـقَـدْنَ بِـأَرْسَـانِ(١)

والقطع كأنه جمع قطعة مثل يسرة ويسر وتمرة وتمر والاتباع اقتفاء الأثر والاتبـاع في المذهب والاقتداء بمعنى وخلافه الابتداع والادبار جمع دبر هـو جهة الخلف والقبـل جهة القدام وقد يكنى بهما عن الفرج والدابر الاصل وقيل ان الدابر الآخـر وعقب الرجـل دابره والعُمـر والعَمر واحـد غير انـه لا يجوز في القسم إلا بـالفتح لأن الفتـح اخف عليهم وهم يكثرون القسم بلعمري ولعَمرك فلزموا الأخف .

[**الإعراب**] ان دابر هؤلاء مقطوع موضع ان نصب بأنه بدل من ذلك الأمر لأنه تفسيره ويجوز أن يكون نصباً على حذف الجار فكأنه قال وقضينـا اليه بـأن دابرهم مقـطوع وقولـه مصبحين نصب على الحال ويستبشرون أيضاً في موضع نصب على الحال لعمـرك مرفـوع على الابتداء وخبره محذوف والتقدير لعمرك قسمي او لعمرك ما اقسم به ولا يستعمل اظهار هذا الخبر قال الزجـاج إن باب القسم يحـذف معه الفعـل تقول والله لأفعلن وبـالله لأفعلن والمعنى احلف بالله فحذف الفعل للعلم به فكذلك حذف خبر الابتداء لدلالة الكلام عليه .

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه ان الملائكة لما خرجوا من عند إبراهيم (ع) اتوا لوطـاً (ع) يبشرونه بهلاك قومه فقال ﴿**فلما جاء آل لوط المرسلون قال إنكم قوم منكرون**﴾ وإنما قال لهم لوط ذلك لأنهم جاءوه على صفة المرد على هيئة وجمال لم يـر مثلهم قط فأنكـر شأنهم وهيأتهم وقيل انه أراد اني انكركم فعرِّفوني انفسكم ليطمئنَّ قلبي ﴿**قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون**﴾ أي بالعذاب الذي كانوا يشكّون فيه إذا خوَّفتهم به ﴿**وأتيناك بالحق**﴾ أي بالعذاب المستيقن به ﴿**وإنا لصادقون**﴾ فيما أخبرناك به وقيل معناه وأتيناك بأمر الله تعالى ولا شك أنَّ أمره سبحانه حق ﴿**فأسر بأهلك بقطع من الليل**﴾ ومعناه سر بأهلك بعدما يمضي أكثر الليل ويبقى قطعة منه ﴿**واتبع أدبارهم**﴾ أي اقتف اثرهم وكن وراءهم لتكون عيناً عليهم فلا يتخلف احد منهم ﴿**ولا يلتفت منكم أحد**﴾ أي لا يلتفت احد منكم إلى ما خلف وراءه في المدينة وهذا كما يقول القائل امض لشأنك ولا تعرج على شيء وقيـل لا ينظر أحـد منكم وراءه لئلا يروا العذاب فيفزعـوا ولا يحتمل قلبهم ذلـك عن الحسن وأبي مسلم ﴿**وامضوا حيث تؤمرون**﴾ أي اذهبوا إلى الموضع الذي أمركم الله بالذهاب إليه وهو الشام عن السدي ﴿**وقضينا إليه ذلك الأمر**﴾ أي أعلمنا لوطاً وأخبرناه وأوحينا إليه ما ننزل به من العذاب ﴿**أن**

(١) مر البيت في صفحة ٢٧٧ .

دابر هؤلاء مقطوع﴾ يعني أن آخر من يبقى منهم يهلك وقت الصبح وهو قوله مصبحين أي داخلين في وقت الصبح والمراد أنهم مستأصلون بالعذاب وقت الصباح على وجه لا يبقى منهم أثر ولا نسل ولا عقب ﴿وجاء أهل المدينة يستبشرون﴾ يبشر بعضهم بعضاً بنزول من هو في صورة الاضياف بلوط وإنما فرحوا طمعاً في ان ينالوا الفجور منهم ﴿قال﴾ لوط لهم ﴿إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون﴾ فيهم والفضيحة الزام العار والشنار بالإنسان ومعناه لا تلزموني فيهم عاراً بقصدكم إياهم بالسوء ﴿واتقوا الله﴾ باجتناب معاصيه ﴿ولا تخزون﴾ في ضيفي والخزي الانقماع بالعيب الذي يستحيي منه ﴿قالوا أولم ننهك عن العالمين﴾ معناه أولم ننهك أن تجير أحداً أو تضيف احداً قال الجبائي وهذا القول إنما كان من لوط لقومه قبل أن يعلم انهم ملائكة بعثوا لإهلاك قومه وإنما ذكر مؤخراً وهو في المعنى مقدم كما ذكر في غير هذه السورة ﴿قال﴾ لوط لهم وأشار إلى بناته لصلبه ﴿هؤلاء بناتي﴾ فتزوجوهن إن كان لكم رغبة في التزويج عن ابن عباس والحسن وقتادة وقوله ﴿إن كنتم فاعلين﴾ كناية عن النكاح إن كنتم متزوجين قيل وإنما قال ذلك للرؤساء الذين يكفون الاتباع وقد كان يجوز تزويج المؤمنة من الكافر يومئذ وقد كان ذلك أيضاً جائزاً في صدر شريعتنا ثم حُرّم عن الحسن والجبائي وقيل انهن كن بنات قومه عرضهن عليهم بالتزويج والاستغناء بهن عن الذكران والأول أوضح ﴿لعمرك﴾ أي وحياتك يا محمد ومدة بقائك حياً وقال المبرد هو دعاء ومعناه اسأل الله عمرك قال ابن عباس ما خلق الله عز وجل ولا ذرأ ولا برأ نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ وما سمعت الله أقسم بحياة أحد إلا بحياته فقال لعمرك ﴿إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ ومعناه انهم لفي غفلتهم يتحيرون ويترددون فلا يبصرون طريق الرشد .

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾

وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾

[**القراءة**] قرأ جميع القراء الأيكة هاهنا لأنها مكتوبة بالألف الا ورشا عن نافع فإنه يترك الهمزة ويرد حركتها إلى اللام .

[**الحجة**] إذا خففت الهمزة في الأيكة وقد ألحقتها الألف واللام حذفتها وألقيت حركتها على اللام ويجوز فيه إذا استأنف لغتان فمن قال الحْمَرُ(١) قال اليكَةُ ومن قال الحمْرُ قال لَيْكَةُ .

[**اللغة**] الايكة الشجر الملتف وجمعها ايك مثل شجرة وشجر قال امية

كَبُكَا الحَمَامِ عَلىٰ فُرُو ... عِ الأيْكِ في الطَّيْرِ الجَوَانِحِ (٢)

وقيل الأيكة الغيضة والمتوسم الناظر في السمة الدالة وهي العلامة ويقال وسمت الشيء وسما إذا أثرت فيه بسمةومنه الوسمي اول المطر لأنه يسم الأرض بالنبات وتوسم الرجل طلب كلأ الوسمي قال

وَأَصْبَحْنَ كَالدَّوْمِ النَّوَاعِمِ غُدْوَةً ... عَلىٰ وِجْهَةٍ مِنْ ظَاعِنٍ مُتَوَسِّمِ (٣)

وتوسم فيه الخير إذا عرف سمة ذلك فيه والأمام الطريق والإمام المبين اللوح المحفوظ والإمام في اللغة هو المتقدم الذي يتبعه من بعده الحِجْر اخذ من الحجر الذي هو المنع ومنه سمي العقل حجراً لأنه يمنع من القبائح .

[**الإعراب**] إنتصب قوله ﴿ **مشرقين ومصبحين** ﴾ على الحال يقال إشرقوا وهم مشرقون إذا صادفوا شروق الشمس وهو طلوعها كما يقال أصبحوا إذا صادفوا الصبح فمعنى مشرقين مصادفين لطلوع الشمس وإنْ في قوله ﴿ **وإن كان أصحاب الايكة** ﴾ مخففة من الثقيلة آمنين منصوب على الحال .

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه عن كيفية عذاب قوم لوط فقال ﴿ **فأخذتهم الصيحة مشرقين** ﴾ أي أخذهم الصوت الهائل في حال شروق الشمس ﴿ **فجعلنا عاليها سافلها**

(١) في قولهم الأحمر جاءني .

(٢) من قصيدة قالها في رثاء من أصيب من قريش يوم بدر وقبل هذا البيت وهو أول القصيدة « الا بكيت على الكرام بني الكرام اولى الممادح » والجوانح : الموائل يقال: جنح إذا مال .

(٣) الدوم : شجر يشبه النخل . وشجرة ناعمة الورق ورقها كورق السلق ولا تنبت إلى على ماء ولا تمر لها وهي خضراء غليظة الساق .

وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ﴾ مضى تفسيره في سورة هود ﴿ **إن في ذلك لآيات للمتوسمين** ﴾ معناه إن فيما سبق ذكره من إهلاك قوم لوط لدلالات للمتفكرين المعتبرين عن قتادة وابن زيد وقيل للمتفرسينِ عن مجاهد وقد صحَّ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله وقال إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسم ثم قرأ هذه الآية وروي عن أبي عبد الله (ع) أنه قال نحن المتوسمون والسبيل فينا مقيم والسبيل طريق الجنة ذكره علي بن إبراهيم في تفسيره ﴿ **وإنها لبسبيل مقيم** ﴾ معناه إن مدينة لوط لبطريق مسلوك يسلكها الناس في حوائجهم فينظرون إلى آثارها ويعتبرون بها لأن الآثار التي يستدل بها مقيمة ثابتة بها وهي مدينة سدوم وقال قتادة إن قرى قوم لوط بين المدينة والشام ﴿ **إن في ذلك لآيات** ﴾ أي عبرة ودلالة ﴿ **للمؤمنين** ﴾ وخصَّ المؤمنين لأنهم هم الذين إنتفعوا بها ﴿ **وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين** ﴾ وأصحاب الأيكة هم أهل الشجر الذين أرسل إليهم شعيب (ع) وأرسل إلى أهل مدين فأهلكوا بالصيحة وأما أصحاب الأيكة فأهلكوا بالظلة التي إحترقوا بنارها عن قتادة وجماعة من المفسرين ومعنى الآية أنه كان أصحاب الأيكة لظالمين في تكذيب رسولهم وكانوا أصحاب غياض فعاقبهم الله تعالى بالحر سبعة أيام ثم أنشأ سبحانه سحابة فاستظلوا بها يلتمسون الروح فيها فلما إجتمعوا تحتها أرسل منها صاعقة فأحرقتهم جميعاً ﴿ **فانتقمنا منهم** ﴾ أي من قوم شعيب ومن قوم لوط أي عذبناهم بما إنتقمناه منهم والانتقام هو المجازاة على جناية سابقة وفرَّق علي بن عيسى بين الإنتقام والعقاب بأن الإنتقام هو نقيض الأنعام والعقاب هو نقيض الثواب ﴿ **وإنهما لبإمام مبين** ﴾ معناه وإن مدينتي قوم لوط وأصحاب الأيكة بطريق يؤم ويتبع ويهتدى به عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وسمي الطريق إماماً لأن الإنسان يؤمُّه وقيل معناه وإن حديث مدينتيهما لمكتوب مذكور في اللوح المحفوظ أو حديث لوط وحديث شعيب عن الجبائي فيكون نظير قوله ﴿ **وكل شيء أحصيناه في إمام مبين** ﴾ والمبين الظاهر ثم أخبر سبحانه عن إهلاك قوم صالح فقال ﴿ **ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين** ﴾ والحجر إسم البلد الذي كان فيه ثمود وإنما سموا أصحاب الحجر لأنهم كانوا سكانه كما يسمى الإعراب الذين يسكنون البوادي أصحاب الصحارى لأنهم كانوا يسكنونها وقيل إن الحجر إسم لواد كان يسكنها هؤلاء عن قتادة وإنما قال تعالى ﴿ **المرسلين** ﴾ لأن في تكذيب صالح تكذيب المرسلين لأنه كان يدعوهم إلى ما دعا إليه المرسلون وإلى الإيمان بالمرسلين فكان في تكذيب أحدهم تكذيب الجميع وقيل بعث الله إليهم رسلاً منهم صالح عن الجبائي ﴿**وآتيناهم آياتنا**﴾ أي آتينا أصحاب الحجر الحجج والمعجزات والدلالات الدالة على صدق الأنبياء وقيل آتينا الرسل

الآيات عن الحسن ﴿ **فكانوا عنها** ﴾ أي عن الآيات ﴿ **معرضين** ﴾ أعرضوا عن التفكر فيها والاستدلال بها ﴿ **وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين** ﴾ أي وكان قوم صالح في القوة بحيث ينحتون من الجبال بيوتاً يسكنونها وكانوا آمنين من خرابها وسقوطها عليهم وقيل كانوا آمنين من عذاب الله وقيل آمنين من الموت لطول أعمارهم ﴿ **فأخذتهم الصيحة مصبحين** ﴾ أي فأهلكوا بالصيحة في وقت دخولهم في الصباح ﴿ **فما أغنى عنهم** ﴾ أي فما دفع عنهم العذاب ولم يغنهم ﴿ **ما كانوا يكسبون** ﴾ أي يجمعون من المال والأولاد وأنواع الملاذ .

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾

[**اللغة**] عضين جمع عضة وأصله عضوة فنقصت الواو ولذلك جمعت عضين بالنون كما قال عزة وعزون والأصل عزوة والتعضية التفريق مأخوذ من الأعضاء يقال عضيت الشيء أي فرقته وبعضته قال روبة « وليس دين الله بالمعضي » وقال آخر :

تِلْكَ دِيَارُ تَأْزُمُ المَآزِمَا وَعَضَوَاتٌ تَقْطَعُ اللَّهَازِمَا(١)

وقيل أصل عضة عضهة فحذفت الهاء كما حذفت من شفة وشاة وأصلها شفهة وشاهة بدلالة أن الجمع شفاه وشياه بالهاء والتصغير شفيهة وشويهة .

(١) المآزم جمع المأزم : المضيق . وعضوات جمع عضة : كل شجر له شوك واللهازم : أصول الحنكين واحدتها لهزمة ـ بالكسر ـ وفي اللسان « هذا طريق يأزم . ا.هـ » وقال ابن منظور ويروى « عصوات » جمع عصا .

[المعنى] ﴿ **وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق** ﴾ معناه وما خلقناهما عبثاً بل لما اقتضته الحكمة وهي أنا قد تعبدنا أهلها ثم نجازيهم بما عملوا ﴿ **وإن الساعة** ﴾ وهي يوم القيامة ﴿ **لآتية** ﴾ أي جائية بلا شك بعذابهم وقيل بمجازاة الخلائق كلهم وقيل هو تفسير قوله إلا بالحق ﴿ **فاصفح الصفح الجميل** ﴾ أي فأعرض يا محمد عن مجازاة المشركين وعن مجاوبتهم وأعف عنهم عفواً جميلاً واختلف في الآية فقيل إنها منسوخة بآية القتال عن إبن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك وقيل لا نسخ فيه بل هو فيما بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبينهم لا فيما أمر به من جهة جهادهم . أمره بالصفح عنهم في موضع الصفح لقوله ﴿ **فاعرض عنهم وعظهم** ﴾ عن الحسن قال القاضي والصفح ممدوح في سائر الحالات وهو كالحلم والتواضع وقد يلزمنا الصفح الجميل مع لزوم التشدد في أمر الجهاد وحكي عن علي بن أبي طالب (ع) إن الصفح الجميل هو العفو من غير عتاب وقيل هو العفو بغير تعنيف وتوبيخ ﴿ **إن ربك هو الخلاق** ﴾ للأشياء ﴿ **العليم** ﴾ بتدبير خلقه فلا يخفى عليه ما يجري بينكم ويجوز أن يريد إن ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الأصلح لكم وقد علم إن الصفح أصلح الآن إلى أن يؤمر بالسيف ثم ذكر سبحانه ما خصَّ به نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم من النعم فقال ﴿ **ولقد آتيناك سبعاً من المثاني** ﴾ وقد تقدّم الكلام فيه وإن السبع المثاني هي فاتحة الكتاب وهو قول علي (ع) وابن عباس والحسن وأبي العالية وسعيد بن جبير وابراهيم ومجاهد وقتادة وروي ذلك عن أبي عبد الله وأبي جعفر عليهما السلام وقيل هي السبع الطوال وهي السور السبع من أول القرآن وإنما سميت مثاني لأنه يثني فيها الإخبار والعبر عن ابن عباس في رواية أخرى وابن مسعود وابن عمر والضحاك وقيل المثاني القرآن كله لقوله ﴿ **كتاباً متشابهاً مثاني** ﴾ عن أبي مالك وطاوس وروي نحو ذلك عن عباس ومجاهد ومن قال هي فاتحة الكتاب اختلفوا في سبب تسميتها مثاني فقيل لأنها تثنى قراءتها في الصلاة عن الحسن وأبي عبد الله (ع) وقيل لأنها تثني بها مع ما يقرأ من القرآن عن الزجاج وقيل لأن فيها الثناء مرتين وهو الرحمن الرحيم وقيل لأنها مقسومة بين الله وعبده على ما روي في الخبر وقيل لأن نصفها ثناء ونصفها دعاء وقيل لأنها نزلت مرتين تعظيماً وتشريفاً لها وقيل لأن حروفها كلها مثناة نحو الرحمن الرحيم إياك وإياك والصراط وصراط وقيل لأنها تثني أهل الفسق عن الفسق ومن قال المراد بالمثاني القرآن كله فإن من في قوله من المثاني يكون للتبعيض ومن قال أنها الحمد كان من للتبيين وقال الراجز :

نَشَدْتُكُمْ بِمُنْزِلِ الْقُرْآنِ ... أُمِّ الْكِتَابِ السَّبْعِ مِنْ مَثَانِي
ثِنْتَيْنِ مِنْ آيٍ مِنَ الْقُرْآنِ ... وَالسَّبْعِ سَبْعِ الطُّوَلِ الدَّوَانِي

﴿ **والقرآن العظيم** ﴾ تقديره وآتيناك القرآن العظيم وصفه بالعظيم لأنه يتضمن جميع ما يحتاج إليه من أمور الدين بأوجز لفظ وأحسن نظم وأتم معنى ﴿ **لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم** ﴾ أي لا ترفعن عينيك من هؤلاء الكفار إلى ما متعناهم وأنعمنا عليهم به أمثالاً في النعم من الأموال والأولاد وغير ذلك من زهرات الدنيا فإنها في معرض الزوال والفناء مع ما يتبعها من الحساب والجزاء وعلى هذا فيكون أزواجاً منصوباً على الحال والمراد به الإشباه والأمثال وقيل إن معناه لا تنظرنَّ إلى ما في أيديهم من النعم التي هي أشباه يشبه بعضها بعضاً فإن ما أنعمنا عليك وعلى من اتبعك من أنواع النعم وهي النبوة والقرآن والإسلام والفتوح وغيرها أكثر وأوفر مما آتيناهم وقيل إن معناه ولا تنظرن ولا تعظمن في عينيك ولا تمدهما إلى ما متعنا به أصنافاً من المشركين والأزواج الأصناف ويكون على هذا مفعولاً به نهى الله رسوله عن الرغبة في الدنيا فحظر عليه أن يمدَّ عينيه إليها وكان رسول الله لا ينظر إلى ما يستحسن من الدنيا ﴿ **ولا تحزن عليهم** ﴾ أي على كفار قريش إن لم يؤمنوا ونزل بهم العذاب عن الكلبي وقيل لا تحزن عليهم بما يصيرون إليه من عذاب النار بكفرهم عن الحسن وقيل لا تحزن لما أنعمت عليهم دونك عن الجبائي ﴿ **واخفض جناحك للمؤمنين** ﴾ أي أَلِن لهم جانبك وأرفق بهم عن ابن عباس والعرب تقول فلان خافض الجناح إذا كان وقوراً حليماً وأصله أن الطائر إذا ضمَّ فرخه إلى نفسه بسط جناحه ثم خفضه فالمعنى تواضع للمؤمنين لكي يتبعك الناس في دينك ﴿ **وقل إني أنا النذير المبين** ﴾ معناه وقل إني أنا المعلم بموضع المخافة ليتقى المبين لكم ما تحتاجون إليه وما أرسلت به إليكم ﴿ **كما أنزلنا على المقتسمين** ﴾ قيل فيه قولان (أحدهما) إن معناه أنزلنا القرآن عليك كما أنزلنا على المقتسمين وهم اليهود والنصارى ﴿ **الذين جعلوا القرآن عضين** ﴾ أي فرَّقوه وجعلوه أعضاء كأعضاء الجزور فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه عن قتادة قال آمنوا بما وافق دينهم وكفروا بما خالف دينهم وقيل سماهم مقتسمين لأنهم إقتسموا كتب الله تعالى فآمنوا ببعضها وكفروا ببعضها عن ابن عباس (والآخر) إن معناه إني أنذركم عذاباً كما أنزلنا على المقتسمين الذين إقتسموا طرق مكة يصدون عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والإيمان به قال مقاتل وكانوا ستة عشر زجلاً بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم يقولون لمن أتى مكة لا تغتروا بالخارج منا والمدعي النبوة فأنزل الله بهم عذاباً فماتوا شر ميتة ثم وصفهم فقال الذين جعلوا القرآن عضين أي جزأوه أجزاء فقالوا سحر وقالوا أساطير الأولين وقالوا مفترى عن ابن عباس .

[**النظم**] وجه إتصال الآية الأولى بما قبلها هو أن الأمم لما خالفوا الحق أهلكوا لأن

الله تعالى ما خلق السماوات والأرض إلا بالحق وإن الساعة آتية للجزاء وإن جميع ما خلق الله يرجع إلى عالم يدبّره واتصل قوله ﴿ ولقد آتيناك سبعاً من المثاني ﴾ بقوله ﴿ فاصفح الصفح الجميل ﴾ فإنه سبحانه لما أمره بالصفح عن أذاهم بيَّن ما خصَّه الله به من النعم وما له من الحجة عليهم واتصل قوله ﴿ كما أنزلنا ﴾ على القول الأول بهذا أي كما أنزلنا عليهم أنزلنا إليك القرآن وعلى القول الثاني يتصل بقوله أنا لنذير .

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾
إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ
فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا
يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾
وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

[**اللغة**] الصدع والفرق والفصل نظائر وصدع بالحق إذا تكلم به جهاراً قال أبو ذؤيب :

وَكَأَنَّهُنَّ رِبَابَةٌ وَكَأَنَّهُ يَسَرٌ يُفِيضُ عَلَى القِداحِ وَيَصْدَعُ(١)

والصديع الصبح قال « كَأَنَّ بَيَاضَ غُرَّتِهِ الصَّديعُ » .

[**الإعراب**] فاصدع بما تؤمر إن جعلت ما بمعنى الذي كان العائد من الصلة إلى الموصول محذوفاً ويكون تقديره على إستعمال الصيغة فيه فاصدع بما تؤمر بالصدع به ثم تحذف الباء التي في به فيصير بالصدعة ولا يجوز الإضافة مع لام المعرفة فتحذف لام المعرفة توصلاً بحذفه إلى الإضافة فيصير بما تؤمر بصدعه ثم يحذف المضاف ويقيم المضاف إليه مقامه فيبقى بما تؤمر به ثم يحذف حرف الجر على حد قولك أمرتك الخير في

(١) الربابة جعبة يجعل فيها القدام . واليسر بمعنى الياسر : اللاعب بالقداح وأفاض القداح : ضرب بها يصف .

إمرتك بالخير فيصير بما تؤمره ثم يحذف العائد المنصوب من الصلة على ما قد تكرر بيانه في مواضع فيصير بما تؤمر وهذا من لطائف أسرار النحو وإن جعلت ما مصدرية كان على تقدير فاصدع بالأمر كما تقول عجبت مما فعلت والتقدير عجبت من فعلك ولا يحتاج هنا إلى عائد يعود إلى ما لأنه حرف وحكى يونس النحوي عن رؤبة أنه قال في هذه اللفظة أفصح ما في القرآن .

[**المعنى**] لما بيَّن سبحانه كفرهم بالقرآن وتعضيتهم له بيَّن عقيب ذلك لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم أنه يسألهم عما فعلوه ويجازيهم عليه فقال ﴿ **فوربك** ﴾ يا محمد ﴿ **لنسئلنهم أجمعين** ﴾ أقسم بنفسه وأضاف نفسه إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم تشريفاً له وتنبيهاً للخلق على عظيم منزلته عنده لنسألن هؤلاء الكفار سؤال توبيخ وتقريع بأن نقول لهم لم عصيتم وما حجتكم في ذلك فيظهر عند ذلك خزيهم وفضيحتهم عند تعذر الجواب ﴿ **عما كانوا يعملون**﴾ معناه عما عملوا فيما عملوا عن سفيان بن عيينة وقيل عن لا إله إلا الله والإيمان برسله عن الكلبي وقيل عما كانوا يعبدون وبماذا أجابوا المرسلين عن أبي العالية ﴿ **فاصدع بما تؤمر** ﴾ أي أظهر وأعلن وصرح بما أمرت به غير خائف عن ابن عباس وابن جريج ومجاهد وابن زيد وقيل معناه فافرق بين الحق والباطل بما أمرت به عن الجبائي والأخفش وقيل أبن ما تؤمر به وأظهره عن الزجاج قال وتأويل الصدع في الزجاج وفي الحائط أن تبين بعض الشيء عن بعض ﴿ **واعرض عن المشركين** ﴾ أي لا تخاصمهم إلى أن تؤمر بقتالهم وقيل معناه لا تلتفت إليهم ولا تخف عنهم عن أبي مسلم وقيل واعرض عن مجاوبتهم إذا آذوك عن الجبائي ﴿ **إنا كفيناك المستهزئين** ﴾ أي كفيناك شر المستهزئين واستهزاءهم بأن أهلكناهم وكانوا خمسة نفر من قريش العاص بن وائل والوليد بن المغيرة وأبو زمعة وهو الأسود بن المطلب والأسود بن عبد يغوث والحرث بن قيس عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل كانوا ستة رهط عن محمد بن ثور وسادسهم الحارث بن الطلاطلة وأمه عيطلة قالوا وأتى جبرائيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمستهزؤون يطوفون بالبيت فقام جبرائيل ورسول الله إلى جنبه فمرَّ به الوليد بن المغيرة المخزومي فأومى بيده إلى ساقه فمرَّ الوليد على قين لخزاعة وهو يجرُّ ثيابه فتعلقت بثوبه شوكة فمنعه الكبر أن يخفض رأسه فينزعها وجعلت تضرب ساقه فخدشته فلم يزل مريضاً حتى مات ومرَّ به العاص بن وائل السهمي فأشار جبرائيل إلى رجله فوطىء العاص على شوكة فدخلت في أخمص رجله فقال لدغت فلم يزل يحكها حتى مات ومرَّ به الأسود بن المطلب بن عبد مناف فأشار إلى عينه فعمي وقيل رماه بورقة خضراء فعمي وجعل يضرب رأسه على الجدار حتى هلك ومرَّ به

الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى فمات وقيل أصابه السموم فصار أسود فأتى أهله فلم يعرفوه فمات وهو يقول قتلني رب محمد ومرَّ به الحارث بن الطلاطلة فأومى ألى رأسه فامتخط قيحاً فمات وقيل إن الحرث بن قيس أكل حوتاً مالحاً فأصابه العطش فما زال يشرب حتى انقدَّ بطنه فمات ثم وصفهم سبحانه بالشرك فقال ﴿ **الذين يجعلون مع الله إلّهاً آخر**﴾ أي إتخذوا معه إلّهاً يعبدونه ﴿ **فسوف يعلمون** ﴾ هذا وعيد لهم وتهديد ﴿ **ولقد نعلم أنك** ﴾ يا محمد ﴿ **يضيق صدرك** ﴾ أي قلبك ﴿ **بما يقولون** ﴾ من تكذيبك والاستهزاء بك وهذا تعزية من الله تعالى لنبيه وتطييب لقلبه ﴿ **فسبح بحمد ربك** ﴾ أي قل سبحان الله وبحمده ﴿ **وكن من الساجدين** ﴾ أي المصلين عن الضحاك وابن عباس قال وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا حزنه أمر فزع إلى الصلاة وقيل معناه إحمد ربك على نعمه إليك وكن من الذين يسجدون لله ويوجهون بعبادتهم إليه ﴿ **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾ أي إلى أن يأتيك الموت عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل حتى يأتيك اليقين من الخير والشر عند الموت عن قتادة وسمي الموت يقيناً لأنه موقن به ويحتمل أن يكون أراد حتى يأتيك العلم الضروري بالموت والخروج من الدنيا الذي يزول معه التكليف قال الزجاج المعنى إعبد ربك أبد الآبدين ولو قال إعبد ربك بغير توقيت لجاز أن يكون الإنسان مطيعاً إذا عبد الله مرة فإذا قال حتى يأتيك اليقين فقد أمر بالإقامة على العبادة أبداً ما دام حياً .

(١٦) سورة النحل مكية
وآياتها ثمان وعشرون ومائة

أربعون آية من أولها مكية والباقي من قوله ﴿ **والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم**﴾إلى آخر السورة مدنية عن الحسن وقتادة وقيل مكية كلها غير ثلاث آيات نزلت في إنصراف النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أحد وإن عاقبتم فعاقبوا إلى آخر السورة نزلت بين مكة والمدينة عن ابن عباس وعطا والشعبي وفي إحدى الروايات عن ابن عباس بعضها مكي وبعضها مدني فالمكي من أولها إلى قوله ﴿ **ولكن عذاب عظيم** ﴾ والمدني قوله ﴿ **ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً** ﴾ إلى قوله ﴿ **بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾ .

[**عدد آيها**] مائة وثمان وعشرون آية ليس فيها إختلاف .

[**فضلها**] أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من قرأها لم يحاسبه الله تعالى بالنعم التي أنعمها عليه في دارالدنيا وأعطي من الأجر كالذي مات وأحسن الوصية وإن مات في يوم تلاها أو ليلة كان له من الأجر كالذي مات فأحسن الوصية وروى محمد بن مسلم عن أبي جعفر (ع) قال من قرأ سورة النحل في كل شهر كفي المغرم في الدنيا وسبعين نوعاً من أنواع البلاء أهونه الجنون والجذام والبرص وكان مسكنه في جنة عدن وهي وسط الجنان .

[**تفسيرها**] لما ختم الله سبحانه سورة الحجر بوعيد الكفار كان افتتاح هذه السورة بوعيدهم أيضاً فقال :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾

﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ ﴾

[**القراءة**] تشركون بالتاء كوفي غير عاصم والباقون بالياء تنزل الملائكة بفتح التاء والزاي والتشديد ورفع الملائكة روح وزيد عن يعقوب وسهل وهي قراءة الحسن والباقون بالياء بكسر الزاي ونصب الملائكة وابن كثير وأبو عمرو يخففان ينزل على أصلها وكذلك رويس عن يعقوب والباقون يشددون .

[**اللغة**] قيل إن التسبيح بالتشديد في اللغة على أربعة أقسام (الأول) التنزيه كقوله ﴿ **سبحان الذي أسرى** ﴾ (والثاني) بمعنى الاستثناء كقوله ﴿ **لولا تسبحون** ﴾ أي تستثنون بقولكم إن شاء الله (والثالث) بمعنى الصلاة كقوله ﴿ **فلولا أنه كان من المسبحين** ﴾ (والرابع) بمعنى النور كما جاء في الحديث فلولا سبحات وجهه أي نوره والروح يأتي على عشرة أقسام الروح حياة النفوس بالإرشاد والروح الرحمة كما ورد في القراءة فروح وريحان والروح النبوة كقوله ﴿ **يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده** ﴾ والروح عيسى روح الله لأنه خلق من غير بشر وقيل من غير فحل وقيل لكونه رحمة على عباده بما يدعوهم إلى الله والروح جبرائيل (ع) والروح النفخ يقال أحييت النار بروحي أي بنفخي قال ذو الرمة يصف الزند والزندة :

فَلَمّا بَدَتْ كَفَنْتُها وَهْيَ طِفْلَةٌ ... بِطَلْساءَ لَمْ تَكْمُلْ ذِراعاً وَلا شِبْراً
وَقُلْتُ لَهُ ارْفَعْها إِلَيْكَ وَأَحْيِها ... بِرُوحِكَ وَاقْتَتْهُ لَها قِيتَةً قَدْراً[1]

والروح الوحي في قوله ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا** ﴾ وقيل أنه جبرائيل والروح ملك في السماء من أعظم من خلق الله فإذا كان يوم القيامة وقف صفاً والملائكة كلهم صفاً والروح روح الإنسان وقال ابن عباس في الإنسان روح ونفس فالنفس هي التي يكون فيها التمييز والكلام والروح هو الذي يكون به الغطيط والنفس فإذا نام العبد خرجت نفسه وبقي روحه وإذا مات خرجت نفسه وروحه معاً .

[**المعنى**] ﴿ **أتى أمر الله** ﴾ فيه أقوال (أحدها) إن معناه قرب أمر الله تعالى بعقاب هؤلاء المشركين المقيمين على الكفر والتكذيب عن الحسن وابن جريج قال الحسن إن

---

(١) الزند : العود الذي يقتدح به النار والزندة : العود الأسفل الذي فيه الفرصة . ويقال للنار ساعة تقدح : طفلة .

المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أئتنا بعذاب الله فقال سبحانه ﴿ **إن أمر الله آت وكل ما هو آت قريب دان** ﴾ (وثانيها) إن أمر الله أحكامه وفرائضه عن الضحاك (وثالثها) إن أمر الله هو يوم القيامة عن الجبائي وروي نحوه عن ابن عباس وعلى هذا الوجه فيكون أتى بمعنى يأتي وجاء وقوع الماضي ههنا لصدق المخبر بما أخبر به فصار بمنزلة ما قد مضى ولأن سبحانه قرب أمر الساعة فجعله أقرب من لمح البصر وقال اقتربت الساعة ﴿ **فلا تستعجلوه** ﴾ خطاب للمشركين المكذبين بيوم القيامة لعذاب الله المستهزئين به وكانوا يستعجلونه كما حكى الله سبحانه عنهم قولهم فأمطر علينا حجارة من السماء وتقديره قل لهؤلاء الكفار لا تستعجلوا القيامة والعذاب فإن الله سيأتي بكل واحد منهما في وقته وحينه كما تقتضيه حكمته ﴿ **سبحانه وتعالى عما يشركون** ﴾ هذه كلمة تنزيه لله تعالى عما لا يليق به وبصفاته وتنزيه له من أن يكون له شريك في عبادته أي جل وتقدس وتنزه من أن يكون له شريك تعالى وتعظم وارتفع من جميع صفات النقص ﴿ **ينزل الملائكة** ﴾ أي ينزل الله الملائكة أو تنزل الملائكة ﴿ **بالروح من أمره** ﴾ أي بالوحي عن ابن عباس وقيل بالقرآن عن ابن زيد وهما واحد وسمي روحاً لأنه حياة القلوب والنفوس بالارشاد إلى الدين وقيل بالنبوة عن الحسن وقوله ﴿ **من أمره** ﴾ أي بأمره ونظيره قوله ﴿ **يحفظونه من أمر الله** ﴾ أي بأمر الله لأن أحداً لا يحفظه عن أمره ﴿**على من يشاء من عباده**﴾ ممن يصلح للنبوة والسفارة بينه وبين خلقه ﴿ **إن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون** ﴾ هذا تفسير للروح المنزل وبدل منه فإن المعنى تنزل الملائكة بأن أنذروا أهل الكفر والمعاصي بأنه لا إله إلا أنا أي مروهم بتوحيدي وبأن لا يشركوا بي شيئاً ومعنى فاتقون فاتقوا مخالفتي وفي هذا دلالة على أن الغرض من بعثة الأنبياء الأنذار والدعاء إلى الدين .

[**النظم**] وجه اتصال قوله سبحانه وتعالى بما تقدم ﴿ **إن الكفار كانوا يستعجلون العذاب** ﴾ على وجه التكذيب به ويكذبون البعث والقيامة فبيَّن سبحانه أنه منزه عما يصفون به فإن الحكيم إذا كلف وجب أن يجازي المكلف فترك المجازاة قبيح وقيل إنهم كانوا ينكرون قدرة الله تعالى سبحانه على إعادة الخلق فنزَّه نفسه عن قولهم واتصل قوله ﴿ **ينزل الملائكة** ﴾ بما تقدم فإنه سبحانه لما أوعدهم بالعذاب بيَّن أنه ينزل الملائكة للتخويف وأنه لا يأخذ أحداً من المشركين حتى يحتج عليه بالنذر وقيل أنه سبحانه بيَّن أن الحال حال التكليف لا حال نزول العذاب وإن الصلاح الآن إنزال الملائكة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالوحي والكتاب للإنذار وبيان الأدلة ولذلك اتبعه بذكر الأدلة .

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن
نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا
دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ
وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَـٰلِغِيهِ
إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر بشَقِّ الأنفس بفتح الشين والباقون بكسرها .

[**الحجة**] الشَق والشِق بكسر الشين وفتحها بمعنى وكلاهما المشقة قال عمرو بن مِلقط وهو جاهلي « وَالْخَيْلُ قَدْ تَجْشَمُ أَرْبَابَهَا * الْشَّقَّ وَقَدْ تَعْتَسِفُ الرَّاوِيَة »[1] والرواية بفتح الشين .

[**اللغة**] الأنعام جمع نعم وهي الإبل والبقر والغنم سميت بذلك لنعمة مشيها بخلاف الحافر الذي يصلب مشيها والدفء ما استدفأت به ودفؤ يومنا دفأ فهو دفيء والإراحة رد الماشية بالعشي من مراعيها إلى مباركها والمكان الذي يراح فيه مراح والسروح خروج الماشية إلى المرعى بالغداة يقال سرحت الماشية سرحاً وسروحاً وسرحها أهلها قال :

كَـأَنَّ بَقَـايَـا الإِثْـرِ فَـوْقَ مُتُـونِـهِ مَدَبُّ الدُّبا فَوْقَ النَّقا وَهْوَ سَارِحُ[2]

والأثقال جمع الثقل وهو المتاع الذي يثقل حمله .

[**الإعراب**] والأنعام منصوب بفعل مقدر يفسره ما بعده والتقدير وخلق الأنعام خلقها وقوله ﴿ **لكم فيها دفء** ﴾ جملة منصوبة الموضع على الحال من الأنعام والتقدير كائنة بهذه الصفة .

[**المعنى**] لمّا تقدَّم ذكر بعث الملائكة للإنذار وبيان التوحيد وشرائع الإسلام إتبعه

(١) جشمه : تكلفه على مشقة . والراوية : البعير أو البغل أو الحمار الذي يستقى عليه الماء .
(٢) الدبا : الجراد قبل أن يطير .

سبحانه بالاحتجاج على الخلق بالخلق وتعداد صنوف الأنعام فقال ﴿ **خلق السماوات والأرض بالحق** ﴾ ومعناه أنه خلقهما ليستدل بهما على معرفته ويتوصل بالنظر فيهما إلى العلم بكمال قدرته وحكمته وقيل خلقهما لينتفع بهما في الدين والدنيا وليعمل بالحق ﴿ **تعالى عما يشركون** ﴾ أي تقدس عن أن يكون له شريك ثم بيَّن سبحانه دلالة أخرى فقال ﴿ **خلق الإنسان من نطفة** ﴾ والنطفة الماء القليل غير أنه بالتعارف صار إسماً لماء الفحل ﴿ **فإذا هو خصيم مبين** ﴾ اختصرها هنا ذكر تقلب أحوال الإنسان لذكره ذلك في أمكنة كثيرة من القرآن فالمعنى-أنه خلق الإنسان من نطفة سيالة ضعيفة مهينة دبَّرها وصوَّرها بعد أن قلبها حالاً بعد حال حتى صارت إنساناً يخاصم عن نفسه ويبيّن عما في ضميره فبيَّن سبحانه أنقص أحوال الإنسان وأكملها منبهاً على كمال قدرته وعلمه وقيل خصيم مجادل بالباطل مبين ظاهر الخصومة عن ابن عباس والحسن فعلى هذا يكون المعنى أنه خلقه ومكنه فأخذ يخاصم في نفسه وفيه تعريض لفاحش ما ارتكبه الإنسان من تضييع حق نعمة الله عليه ثم بيَّن سبحانه نعمته في خلق الأنعام فقال ﴿ **والأنعام خلقها** ﴾ معناه وخلق الأنعام من الماء كما خلقكم منه يدل عليه قوله ﴿ **والله خلق كل دابة من ماء** ﴾ وأكثر ما يتناول الأنعام الإبل ويتناول البقر والغنم أيضاً وفي اللغة هي ذوات الأخفاف والأظلاف دون ذوات الحوافر ﴿ **لكم فيها دفء** ﴾ أي لباس عن ابن عباس ومجاهد وقيل ما يستدفأ به مما يعمل من صوفها ووبرها وشعرها عن الحسن فيدخل فيه الأكسية واللحف والملبوسات وغيرها قال الزجاج أخبر سبحانه أن في الأنعام ما يدفئنا ولم يقل ولكم فيها ما يكنكم من البرد لأن ما ستر من الحر ستر من البرد وقال في موضع آخر سرابيل تقيكم الحر فعلم أنها تقي البرد أيضاً فكذلك هاهنا وقيل إن معناه وخلق الأنعام لكم أي لمنافعكم ثم ابتدأ وأخبر وقال فيها دفء عن الحسن وجماعة ﴿ **ومنافع** ﴾ معناه ولكم فيها منافع آخر من الحمل والركوب وإثارة الأرض والزرع والنسل ﴿ **ومنها تأكلون** ﴾ أي ومن لحومها تأكلون ﴿ **ولكم فيها جمال** ﴾ أي حسن منظر وزينة ﴿ **حين تريحون** ﴾ أي حين تردونها إلى مراحها وهي حيث تأوى إليه ليلاً ﴿ **وحين تسرحون** ﴾ أي حين ترسلونها بالغداة إلى مراعيها وأحسن ما يكون النعم إذا راحت عظاماً ضروعها ممتلئة بطونها منتصبة أسنمتها وكذلك إذا سرحت إلى المراعي رافعة رؤوسها فيقول الناس هذه جمال فلان ومواشيه فيكون له فيها جمال ﴿ **وتحمل أثقالكم** ﴾ أي أمتعتكم ﴿ **إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس** ﴾ أي وتحمل الإبل وبعض البقر أحمالكم الثقيلة إلى بلد بعيدة لا يمكنكم أن تبلغوه من دون الأحمال إلا بكلفة ومشقة تلحق أنفسكم فكيف تبلغونه مع الاحمال لولا أن الله تعالى سخّر هذه الأنعام لكم حتى حملت أثقالكم إلى

أين شئتم وقيل إن الشق معناه الشطر والنصف فيكون المراد إلا بأن يذهب شطر قوتكم أي نصف قوة الأنفس وقيل معناه تحمل أثقالكم إلى مكة لأنها من بلاد الفلوات عن ابن عباس وعكرمة ﴿ إن ربكم لرؤوف ﴾ أي ذو رأفة ﴿ رحيم ﴾ أي ذو رحمة ولذلك أنعم عليكم بخلق هذه الأنعام ابتداء منه بهذه الأنعام .

﴿ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ
وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ
ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ١٠ يُنۢبِتُ
لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ
وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ١٢ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا
أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ١٣

[**القراءة**] قرأ حماد ويحيى عن أبي بكر عن عاصم ننبت بالنون والباقون بالياء وقرأ ابن عامر والشمس والقمر والنجوم مسخرات كلها بالرفع وقرأ حفص عن عاصم والشمس والقمر بالنصب والنجوم مسخرات بالرفع وقرأ الباقون كل ذلك بالنصب .

[**الحجة**] من قرأ ينبت بالياء فلما تقدم من قوله ﴿ **هو الذي أنزل** ﴾ فالياء أشكل بما تقدم من الأفراد والنون لا يمتنع أيضاً ويقال نبت البقل وأنبته الله قال أبو علي والنصب في قوله ﴿ **والشمس والقمر** ﴾ أحسن ليكون معطوفاً على ما قبله وداخلاً في إعرابه ألا ترى أن ما في التنزيل من نحو قوله ﴿ **وكلا ضربنا له الأمثال والظالمين أعدَّ لهم عذاباً أليماً** ﴾ يختار فيه

النصب ليكون مثل ما يعطف عليه ومشاكلاً له فكذلك هنا إذا حمل ذلك على التسخير كان أشبه فإن قلت فقد جاء مسخرات بعد هذه الأشياء المنصوبة المحمولة على سخر فإن ذلك لا يمتنع لأن الحال تكون مؤكدة ومجيىء الحال مؤكدة في التنزيل وغيره كثير كقوله ﴿ **وهو الحق مصدقاً** ﴾ وأنا ابن دارة معروفاً « وكفى بالنأي من أسماء كاف » ويقوي النصب قوله تعالى ﴿ **وسخر لكم الشمس والقمر** ﴾ دائبين فكما حمل هنا على التسخير كذلك في الأخرى وكذلك النجوم قد حملت على التسخير في قوله ﴿ **وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر** ﴾ وكأن ابن عامر قطعه عن سخر لئلا يجعل الحال مؤكدة فابتدأ الشمس والقمر والنجوم وجعل مسخرات خبراً عنها ويدل على جواز ذلك أنه إذا جاء سخر لكم الشمس والقمر والنجوم علم من هذا أنها مسخرات فجاز الإخبار بالتسخير عنها لذلك وأما حفص فإنما رفع والنجوم مسخرات لأنه لا يصح أن يقال وسخر النجوم مسخرات فقطعها مما قبلها فعلى هذا يكون حجة من نصب أن يقدر فعلاً آخر وتقديره وجعل النجوم مسخرات .

[**اللغة**] القصد إستقامة الطريق يقال طريق قصد وقاصد إذا قصد إلى ما يريد والجائز المائل عن الحق والشجر ما ينبت من الأرض وقام على ساق وله ورق وجمعه أشجار ومنه المشاجرة لتداخل بعض الكلام في بعض كتداخل ورق الشجر وقال الأزهري الشجر ما ينبت من الأرض قام على ساق أو لم يقم تسيمون من الاسامة يقال أسمت الإبل إذا رعيتها وأطلقتها فترعى متصرفة حيث شاءت وسامت هي إذا رعت وهي تسوم وإبل سائمة ويقال سمتها إذا قصرتها على مرعى بعينه وسمتها الخسف إذا تركتها على غير مرعى ومنه قيل سيم فلان خسفاً إذا ذل واهتضم قال الكميت في الإسامة :

رَاعِياً كَانَ مُسْجِحاً فَفَقَدْنَاهُ   وَفَقْدُ الْمُسِيمِ هُلْكُ السَّوَامِ

وقال آخر :

وَأَسْكُنُ مَا سَكَنْتُ بِبَطْنِ وَادٍ   وَأَظْعَنُ إِنْ ظَعَنْتُ فَلَا أُسِيمُ

وذهب قوم إلى أن السوم في البيع من هذا لأن كل واحد من المتبايعين يذهب فيما يبيعه من زيادة ثمن أو نقصانه إلى ما يهواه كما تذهب السائمة حيث شاءت وقد جاء في الحديث لا سوم قبل طلوع الشمس فحمله قوم على أن المواشي لا تسام قبل طلوع الشمس لئلا تنتشر وحمله آخرون على أن البيع في ذلك الوقت مكروه لأن المبيع لا تنكسر عيوبه

فيدخل في بيع الغرر المنهي عنه والذرأ إظهار الشيء بإيجـاده يقال ذرأه يـذرأه وذرأه وفطره وأنشأه نظائر وملح ذرء أني ظاهر البياض .

[**الإعـراب**] نصب الخيل والبغـال والحمير على أنهـا مفعول في المعنى أي وخلق الخيل والبغال والحمير ونصب زينة لأنها مفعول لها . وخلقها زينة وما ذرأ « ما » بمعنى الذي وموضعه نصب على تقدير وخلق ما ذرأ لكم وقيل هو في موضع الجر بالعطف على ذلك أي أن في ذلك ما ذرأ لكم . مختلفاً نصب على الحال وألوانه فاعله .

[**المعنى**] ثم عطف سبحانه على ما عدَّده من صنوف إنعامه فقـال ﴿ **والخيل** ﴾ أي وخلق لكم الخيل ﴿ **والبغال والحمير لتركبوها** ﴾ في حوائجكم وتصرفاتكم ﴿ **وزينة** ﴾ أي ولتتزينوا بها مَنَّ الله تعالى على خلقه بأن خلق لهم من الحيوان ما يركبونه ويتجملون به وليس في هذا ما يدل على تحريم أكل لحومها وقد روى البخاري في الصحيح مرفوعاً إلى أسماء بنت أبي بكر قال أكلنا لحم فرس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ **ويخلق ما لا تعلمون** ﴾ من أنواع الحيوان والنبات والجماد لمنافعكم ﴿ **وعلى الله قصد السبيل** ﴾ أي بيان قصد السبيل عن ابن عباس ومعنا واجب على الله في عدله بيان الطريق المستقيم وهو بيان الهدى من الضلالة والحلال من الحرام ليتبع الهدى والحلال ويجتنب الضلالة والحرام وهذا مثل قوله إنَّ علينا للهدى ﴿ **ومنها جائر** ﴾ معناه من السبيل ما هو جائـر أي عادل عن الحق ﴿ **ولو شاء لهداكم أجمعين** ﴾ إلى قصد السبيل بالإلحاء والقهر فإنه قـادر على ذلك وقيل معناه لهداكم إلى الجنة والثواب تفضلاً عن الجبائي وأبي مسلم وقيل إن معنى الآيـة وعلى الله الممر . ومن الطرق التي الممر فيها على الله جائر وكلاهما على الله لا يخرج أحداً عن قبضتـه وحكمه كقـوله ﴿ **إن ربك لبالمرصاد** ﴾ وقيل على الله ممـر ذي السبيل القصـد والسبيل الجائر وإليه مرجع كل واحد منهما لا يخرج واحـد عن سلطانه ولـو أراد أن يحمل الجميع على الحق لفعل ومن عدل عن الطرق المستقيم فليس ذلك لعجز من الله تعالى ثم عدَّ سبحانه نعمة أخرى دالَّة على وحدانيته فقال ﴿ **هو الذي أنزل من السماء ماء** ﴾ أي مطراً ﴿ **لكم منه شراب** ﴾ أي لكم من ذلك الماء شراب تشربـونه ﴿ **ومنـه شجر** ﴾ فيـه وجهان (أحدهما) أن يكون المراد ومنه شرب شجر أو سقي شجر فحذف المضاف (والآخر) أن يكون المراد ومن جهة الماء شجر ومن سقيه وإنباته شجر فحذف المضاف إلى الهاء في منه كما قال زهير :

أمِنْ أمِّ أوْفى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ ... بِحَوْمَانَةِ الدَّرَّاجِ فَالْمُتَثَلَّمِ (١)

أي أمن ناحية أم أوفى وقال أبو ذؤيب :

أمِنْكَ الْبَرْقُ أرْقُبُهُ فَهَاجَا ... فَبِتُّ إخَالُهُ دُهْماً خِلَاجَا(٢)

أي أمن جهتك وقال الجعدي :

لِمَنِ الدِّيَارُ عَفَوْنَ بِالتَّهْطَالِ ... بَقِيَتْ عَلَى حِجَجٍ خَلَوْنَ طِوَالِ

أي على مر حجج والمعنى وينبت منه شجر ونبات ﴿ **فيه تسيمون** ﴾ أي ترعون أنعامكم من غير كلفة والتزام مؤنة لعلفها ﴿ **ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات** ﴾ أي ينبت الله لكم بذلك المطر هذه الأشياء التي عددًها لتنتفعوا بها ﴿ **إن في ذلك لآية** ﴾ أي دلالة وحجة واضحة ﴿ **لقوم يتفكرون** ﴾ فيه فيعرفون الله تعالى به وخصَّ المتفكرين فيه لأنهم المنتفعون به ﴿ **وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر** ﴾ قد مضى بيانه والتسخير في الحقيقة للشمس والقمر لأن النهار هو حركات الشمس من وقت طلوع الفجر إلى وقت غروب الشمس والليل حركات الشمس تحت الأرض من وقت غروب الشمس إلى وقت طلوع الفجر إلا أنه سبحانه أجرى التسخير على الليل والنهار على سبيل التجوز والاتساع ﴿ **والنجوم مسخرات بأمره** ﴾ مضى بيانه ﴿ **إن في ذلك** ﴾ التسخير ﴿ **لآيات** ﴾ أي دلالات ﴿ **لقوم يعقلون** ﴾ عن الله وينبئون أن المسخر لذلك على هذا تقدير الذي لا يختلف لأجل منافع خلقه ومصالحهم والمدبر لذلك قادر عالم حكيم ﴿ **وما ذرء لكم في الأرض** ﴾ أي سخَّر لكم ما خلقه لكم في الأرض أي لقوام أبدانكم من الملابس والمطاعم والمناكح من أنواع الحيوان والنبات والمعادن وسائر النعم ﴿ **مختلفاً ألوانه** ﴾ لا يشبه بعضها بعضاً ﴿ **إن في ذلك لآية** ﴾ أي دلالة ﴿ **لقوم يذكرون** ﴾ أي يتفكرون في الأدلة فينظرون فيها ويتعظون ويعتبرون بها .

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا

(١) الدمنة : ما أسود من آثار الدار بالبعر والرماد وغيرهما . وحومانة الدراج والمتثلم : موضعان قوله لم تكلم . نعت لدمنة . والبيت من المعلقة .
(٢) الخلاج جمع الخلوج : الناقة التي جذب عنها ولدها بذبح أو موت .

وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا
وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾
أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ
لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾

[**القراءة**] في الشواذ قراءة الحسن وبالنجم بضم النون .

[**الحجة**] هو جمع نجم مثل سقف وسقف ورهن ورهن .

[**اللغة**] المخر شق الماء من عن يمين وشمال مخرت السفينة الماء تمخر مخراً فهي ماخرة والمخر أيضاً صوت هبوب الريح إذا إشتد هبوبها ومخر الأرض شقها للزراعة ومخرها بالماء إذا أرسل عليها الماء لتطيب والميد الميل يميناً وشمالاً وهو الإضطراب ماد يميد ميداً والعلامة صورة يعلم بها المعنى من خط أو لفظ أو إشارة أو هيئة وقد تكون وضعية وقد تكون برهانية .

[**الإعراب**] قوله ﴿ **أن تميد بكم** ﴾ في موضع نصب بأنه مفعول له وتقديره كراهة أن تميد بكم وانتصب قوله ﴿ **وأنهاراً وسبلاً** ﴾ بمحذوف تقديره وجعل لكم أنهاراً لدلالة قوله ﴿ **ألقي** ﴾ عليه لأنه لا يجوز أن يكون عطفاً على القى ومثله قوله ﴿ **عَلَّفْتُها تِبْناً وَماءً بارِداً** ﴾[1] وقول الآخر :

تَسْمَعُ فِي أَجْوافِهِنَّ صَرَدا   وَفِي الْيَدَيْنِ جُسْأَةً وَبَدَداً[2]

أي وترى في اليدين يبساً وتفرقاً وعلامات منصوب عطف على قوله ﴿ **وأنهاراً وسبلاً** ﴾ وقيل ﴿ **وخلق لكم علامات** ﴾

---

(١) هذا المصراع يجعله بعض العلماء صدراً عجزه « حتى شتت همالة عيناها » ما في جامع الشواهد ويجعله بعضهم عجزاً ويجعل صدره « لما حططت الرحل عنها وارداً » كما في شرح الأشموني . والشاهد في قوله ﴿ وماءاً ﴾ فإن معناه وسقيتها ماءاً .

(٢) وفي رواية التبيان في سورة الأنفال « تسمع للأحشاء منه لغطا » .

[المعنى] ثم عدَّد سبحانه نوعاً آخر من أنواع نعمه فقال ﴿ **وهو الذي سخر البحر** ﴾ أي ذلَّله لكم وسهل لكم الطريق إلى ركوبه واستخراج ما فيه من المنافع ﴿ **لتأكلوا منه لحماً** ﴾ أي لتصطادوا منه أنواع السمك وتأكلوا لحمه ﴿ **طرياً** ﴾ ولا يجوز أن يهمز طرياً لأنه من الطراوة ﴿ **وتستخرجوا منه حلية** ﴾ يعني اللالىء التي تخرج من البحر بالغوص ﴿ **تلبسونها** ﴾ وتتزينون بها وتلبسونها نساءكم ولولا تسخيره سبحانه ذلك لكم لما قدرتم على الدنو منه والغوص فيه ﴿ **وترى الفلك مواخر فيه** ﴾ أي وترى أيها الإنسان السفن شواق في البحر وقواطع لمائه عن عكرمة وقيل جواري عن ابن عباس ﴿ **ولتبتغوا من فضله** ﴾ أي ولتركبوه للتجارة وتطلبوا من فضل الله تعالى ﴿ **ولعلكم تشكرون** ﴾ أي ولكي تشكروا الله على نعمه ليزيدكم منها ويثيبكم والواو إنما دخلت في ذلك للدلالة على أن الله سبحانه أراد جميع ما ذكره إنعاماً منه على عباده ﴿ **وألقى في الأرض رواسي** ﴾ أي جبالاً عالية ثابتة واحدها راسية ﴿ **أن تميد بكم** ﴾ الأرض أي كراهة أن تميد بكم أو لئلا تميد بكم أي تتحرك وتضطرب ﴿ **وأنهاراً** ﴾ أي وجعل فيها أنهاراً ﴿ **وسبلاً** ﴾ أي طرقاً لكي تجروا الماء في الأنهار إلى بساتينكم وحيث تريدون وتهتدوا بالطرق إلى حيث شئتم من البلاد وقيل أراد بالأنهار النيل والفرات ودجلة وسيحان وجيحان وأمثالها ﴿ **لعلكم تهتدون** ﴾ قد ذكرنا معناه وقيل لتهتدوا بها إلى توحيد الله ﴿ **وعلامات** ﴾ وجعل لكم علامات أي معالم تعلم بها الطرق وقيل العلامات الجبال يهتدى بها نهاراً ﴿ **وبالنجم هم يهتدون** ﴾ ليلاً عن ابن عباس والمراد بالنجم الجنس أي جميع النجوم الثابتة وقيل تمَّ الكلام عند قوله ﴿ **وعلامات** ﴾ ثم ابتدأ ﴿ **وبالنجم هم يهتدون** ﴾ وقيل إن العلامات هي النجوم أيضاً لأن من النجوم ما يهتدي بها ومنها يكون علامات لا يهتدى بها عن قتادة ومجاهد وقيل أراد به الإهتداء في القبلة قال ابن عباس سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنه فقال الجدي علامة قبلتكم وبه تهتدون في برّكم وبحركم وقال أبو عبد الله (ع) نحن العلامات والنجم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال إن الله جعل النجوم أماناً لأهل السماء وجعل أهل بيتي أماناً لأهل الأرض ﴿ **أفمن يخلق كمن لا يخلق** ﴾ معناه أفمن يخلق هذه الأشياء في استحقاق العبادة والإلّهية كالأصنام التي لا تخلق شيئاً حتى يسوّى بينها في العبادة وبين خالق جميع ذلك ﴿ **أفلا تذكرون** ﴾ أي أفلا تتذكرون أيها المشركون فتعتبرون وتعرفون أن ذلك من الخطأ الفاحش وجعل من فيما لا يعقل لما إتصل بذكر الخلق ثم عطف سبحانه على ذلك تذكر كثرة نعمه فقال ﴿ **وأن تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾ معناه وإن أردتم تعداد نعم الله سبحانه عليكم ومعرفة تفاصيلها لم يمكنكم إحصاؤها ولا تعديدها وإنما يمكنكم أن تعرفوا جملها بيِّن

سبحانه أن من وراء النعم التي ذكرها نعماً له لا تحصى ﴿ إن الله لغفور ﴾ لما حصل منكم من تقصير في شكر نعمه ﴿ رحيم ﴾ بكم حيث لم يقطعها عنكم بتقصيركم في شكرها .

﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ
وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا
وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ
يُبۡعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ
قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ
وَمَا يُعۡلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ ﴿٢٣﴾

[**القراءة**] ﴿ **والذين يدعون** ﴾ بالياء عاصم غير الأعشى والبرجمي عن أبي بكر ويعقوب وسهل والباقون بالتاء .

[**الحجة**] من قرأ بالتاء فلأن ما بعده وما قبله خطاب ومن قرأ بالياء وجه الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويكون الخبر عن المشركين .

[**المعنى**] لما قدَّم سبحانه الدعاء إلى عبادته بذكر نعمه وكمال قدرته عقَّبه ببيان علمه بسريرة كل أحد وعلى نيته ثم ذكر بطلان الإشراك في عبادته فقال ﴿ **والله يعلم ما تسرون وما تعلنون** ﴾ أخبر سبحانه أنه يعلم ما يسرونه وما يظهرونه فيجازيهم على أفعالهم إذ لا يخفى عليه الجلي والخفي من أحوالهم ﴿ **والذين يدعون من دون الله** ﴾ إلّهاً ﴿ **لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون** ﴾ يعني الأصنام لا يمكنها خلق شيء بل هي مخلوقة مربوبة منحوتة من الحجر والخشب ونحوهما مما هو مخلوق لله تعالى ثم قال ﴿ **أموات** ﴾ أي هي أموات ﴿ **غير أحياء** ﴾ أكَّد كونها أمواتاً بقوله غير أحياءً لنفي الحياة عنها على الإطلاق فإن من الأموات من سبقت له حالة في الحياة وله حالة منتظرة في الحياة بخلاف الأصنام فإنه ليس لها حياة سابقة ولا منتظرة وقال أموات ولم يقل موات وإن كان الأموات جمع الميت الذي كان فيه حياة فزالت لأنهم صور والأصنام على صور العقلاء وهيئاتهم وعاملوها معاملة العقلاء تسمية

واعتقاداً ولذلك قال لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ﴿ **وما يشعرون أيان يبعثون** ﴾ معناه وما تشعر هذه الأصنام متى تبعث عن الفراء وقيل في الآية أن معناه هم أموات يعني أن الكفار في حكم الأموات لذهابهم عن الحق والدين ولا يدرون متى يبعثون وقيل أن المعنى ولا تدري الأصنام متى يبعث الخلق عن الجبائي وأيان في موضع نصب يبعثون وقرىء في الشواذ إيان بكسر الهمزة والفتح أفصح وأصح ثم خاطب سبحانه عباده فقال ﴿ **إلهكم إله واحد** ﴾ لا يقدر على ما يستحق به العبادة من خلق أصول النعم سواه فأثبتوا على عبادته ﴿ **فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة** ﴾ أي جاحدة للحق تستبعد ما يرد عليها من المواعظ ﴿ **وهم مستكبرون** ﴾ عن الانقياد للحق ذاهبون عنه دافعون له من غير حجة والاستكبار طلب الترفع بترك الإذعان للحق ثم قال سبحانه ﴿ **لا جرم** ﴾ أي حقاً وهو بمنزلة اليمين قال الخليل وهو كلمة تحقيق ولا يكون إلا جواباً لقول فعلوا كذا فيقول السامع لا جرم يندمون وقال الزجاج معناه حقٌّ أن الله ووجبَ أن الله ولا ردٌّ لفعلهم قال الشاعر :

وَلَقَدْ طَعَنْتُ أَبا عُيَيْنَةَ طَعْنَةً ... جَرَمَتْ فَزارَةَ بَعْدَها أَنْ يَغْضِبُوا

المعنى أحقت فزارة بالغضب وقال أبو مسلم أصله من الكسب فكأنه قال لا يحتاج في معرفة هذا الأمر إلى اكتساب علم بل هو معلوم ﴿ **إن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون** ﴾ وهذا تهديد لهم بأنه عالم بجميع أحوالهم فيجازيهم على أقوالهم وأفعالهم ﴿ **لأنه لا يحب المستكبرين** ﴾ أي المتعظمين الذين يأنفون أن يكونوا اتباعاً للأنبياء أي لا يريد ثوابهم وتعظيمهم .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ

شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ
ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ
ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ
بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ
خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾

[**القراءة**] قرأ نافع وحده تشاقون بكسر النون والباقون بفتحها وقرأ حمزة وخلف في الموضعين يتوفاهم بالياء والباقون بالتاء وفي الشواذ قراءة مجاهد عليهم السقف بضم السين وروي عن أهل البيت (ع) فأتى بنيتهم من القواعد .

[**الحجة**] قد تقدم الوجه في قراءة نافع في سورة الحجر عند قوله ﴿ **فبم تبشرون** ﴾ فأما قراءة حمزة يتوفاهم بالياء فلأن الفعل مقدم والامالة حسنة في هذا النحو من الفعل ومن قرأ بالتاء فلأن الجماعة مؤنثة كما جاء وإذ قالت الملائكة .

[**اللغة**] قد مضى معنى الأساطير والأوزار في سورة الأنعام والقواعد الأساس والواحدة القاعدة وقواعد الهودج خشبات أربع معترضات في أسفله والشقاق الخلاف في المعنى وتشاقون تكونون في جانب والمسلمون في جانب ومن ثم قيل لمن خرج عن طاعة الإمام وعن جماعة المسلمين شق عصا المسلمين أي صار في جانب عنهم فلم يكن مجتمعاً معهم في كلمتهم وهو مأخوذ من الشق الذي هو النصف كأنه صار في شق غير شقهم .

[**الإعراب**] ما أنزل ما مبتدأ وذا بمعنى الذي والمعنى ما الذي أنزل ربكم وأساطير مرفوعة على الجواب كأنهم قالوا الذي أنزل أساطير الأولين وتقديره وإذا قيل لهم هذا القول فالذي قام مقام فاعل قيل هو المصدر لا الجملة لأن الجملة نكرة والفاعل يجوز اضماره والمضمر لا يكون قط نكرة بل هو أعرف المعارف وقوله ﴿ **ومن أوزار الذين يضلونهم** ﴾ من زيادة على قول الأخفش أي وأوزار الذين يضلونهم وعلى قول سيبويه هو صفة مصدر محذوف وتقديره وأوزاراً من أوزار الذين يضلونهم وما يزرون في موضع رفع كما يرفع بعد بئس ونعم وتقديره وبئس الشيء وزرهم فما حرف موصول ويزرون صلته وظالمي أنفسهم

نصب على الحال أي في حال ظلمهم أنفسهم .

[**المعنى**] ثم ابان سبحانه عن أحوال المشركين وأقوالهم فقال ﴿ **وإذا قيل لهم** ﴾ أي لمشركي قريش ﴿ **ماذا أنزل ربكم** ﴾ على محمد ﷺ ﴿ **قالوا أساطير الأولين** ﴾ أي أجابوا فقالوا هذا المنزل في زعمكم هو عندنا أحاديث الأولين الكاذبة عن ابن عباس وغيره ويروى أنها نزلت في المقتسمين وهم ستة عشر رجلاً خرجوا إلى عقاب مكة أيام الحج على طريق الناس على كل عقبة أربعة منهم ليصدّوا الناس عن النبي صلى الله عليه وآله وإذا سألهم الناس عما أنزل على رسول الله ﷺ قالوا أحاديث الأولين وأباطيلهم عن الكلبي وغيره ﴿ **ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة** ﴾ اللام للعاقبة والمعنى كان عاقبة أمرهم حين فعلوا ذلك أن حملوا أوزار كفرهم تامة يوم القيامة ﴿ **ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم** ﴾ أي ويحملون مع أوزارهم بعض أوزار الذين أضلوهم عن سبيل الله وأغووهم عن اتباع الحق وهو وزر الاضلال والاغواء ولم يحملوا وزر غوايتهم وضلالهم وقوله ﴿ **بغير علم** ﴾ معناه من غير علم منهم بذلك بل جاهلين به وعلى هذا ما روي عن النبي ﷺ أنه قال أيما داع دعا إلى الهدى فاتبع فله مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً وأيما داع دعا إلى ضلالة فاتبع عليه فإن عليه مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً ﴿ **ألا ساء ما يزرون** ﴾ أي بئس الحمل حملهم وهو ما يحملونه من الآثام لأنه إذا تحمل اثمه ودخل النار كان سبباً فكيف إذا تحمله بسبب فعل غيره ﴿ **قد مكر الذين من قبلهم** ﴾ أي من قبل هؤلاء المشركين بأنبيائهم من جهة التكذيب وغيره وهذا على سبيل التسلية لنبينا ﷺ والوعيد لقومه ﴿ **فأتى الله بنيانهم من القواعد** ﴾ أي أتى أمر الله بنيانهم التي بنوها من جوانب قواعدها فهدمها عن ابن عباس قال يعني نمرود بن كنعان بنى صرحاً طويلاً ورام منه الصعود إلى السماء ليقاتل أهلها بزعمه فأرسل الله ريحاً فألقت رأس الصرح في البحر وخرّ عليهم الباقي وقال الزجاج من القواعد يريد من أساطين البناء التي تعمده وقيل هو بخت نصر وقيل أن هذا مثل ضربه الله سبحانه لاستئصالهم ولا قاعدة هناك ولا سقف والمعنى فأتى الله مكرهم من أصله أي عاد ضرر المكر عليهم وبهم عن الزجاج وابن الأنباري وهذا الوجه أليق بكلام العرب كما قالوا أتي فلان من مأمنه أي أتاه الهلاك من جهة مأمنه وإنما أسند سبحانه الإتيان إلى نفسه من حيث كان تخريب قواعدهم من جهته ﴿ **فخرَّ عليهم السقف من فوقهم** ﴾ إنما قال من فوقهم مع حصول العلم بأن السقف لا يكون إلا من فوق لأحد وجوه (منها) أنه للتوكيد كما تقول لمن خاطبته قلت أنت كذا وكذا وكما يقال مشيت برجلي وتكلمت بلساني (ومنها) إنما قال ذلك ليدل على أنهم كانوا تحته فإن الإنسان قد يقول بيتي قد تهدم عليَّ

وإن لم يكن هو تحته (ومنها) أن يكون على في قوله فخرَّ عليهم بمعنى عن فيكون المعنى فخرَّ عنهم السقف من فوقهم أي خرَّ عن كفرهم وجحدهم بالله وآياته والمراد من أجل كفرهم كما يقال اشتكى فلان عن دواء شربه وعلى دواء شربه أي من أجل الدواء قال الشاعر « أرمي عليها وهي فرع أجمع »[1] أراد أرمي عنها ولو قال على هذا المعنى فخرَّ عليهم السقف ولم يقل من فوقهم لجاز أن يتوهم متوهم أن السقف خرَّ وليس هم تحته والعرب لا تستعمل لفظة على في مثل هذا الموضع إلا في الشر والأمر المكروه ﴿ **وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون** ﴾ أي جاءهم عذاب الاستئصال من حيث لا يعلمون لأنهم ظنوا أنهم على حق فكانوا لا يتوقعون العذاب وهذا مثل قوله ﴿ **فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا** ﴾ ﴿ **ثم يوم القيامة يخزيهم** ﴾ معناه ثم أنه تعالى مع ذلك يذلّهم ويفضحهم يوم القيامة على رؤوس الخلائق ويهينهم بالعذاب أي لا يقتصر بهم على عذاب الدنيا ﴿ **ويقول** ﴾ على سبيل التوبيخ لهم والتهجين ﴿ **أين شركائي** ﴾ الذين كنتم تشركونهم معي في العبادة على زعمكم ﴿ **الذين كنتم تشاقون فيهم** ﴾ أي تعادون المؤمنين على قراءة فتح النون وعلى الكسر تعادونني فيهم ﴿ **قال الذين أوتوا العلم** ﴾ بالله تعالى وبدينه وشرائعه من المؤمنين وقيل هم الملائكة عن ابن عباس ﴿ **أن الخزي اليوم والسوء على الكافرين** ﴾ أي أن الهوان اليوم والعذاب الذي يسوء على الجاحدين لنعم الله المنكرين لتوحيده وصدق رسله ﴿ **الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم** ﴾ الذين في موضع جر بأنه بدل من الكافرين أو صفة لهم ومعناه الذين يقبض ملك الموت وأعوانه أرواحهم ففارقوا الدنيا وهم ظالمون لأنفسهم بإصرارهم على الكفر ﴿ **فألقوا السلم** ﴾ أي استسلموا للحق وانقادوا حين لا ينفعهم الانقياد والإذعان ﴿ **ما كنا نعمل من سوء** ﴾ أي يقولون ما كنا نعمل عند أنفسنا من سوء أي من معصية فكذبهم الله تعالى وقال بلى قد فعلتم ﴿ **إن الله عليم بما كنتم تعملون** ﴾ في الدنيا من المعاصي وغيرها وقيل أنه يقول لهم ذلك المؤمنون الذين أوتوا العلم والملائكة ﴿ **فادخلوا أبواب جهنم** ﴾ أي طبقات جهنم ودركاتها ﴿ **خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين** ﴾ أي بئس منزل المتعظمين عن قبول الحق واللام للتوكيد .

﴿ * وَقِيلَ لِلَّذِينَ

ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُواْ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ

(١) قوس فرع أي غير مشقوق وقيل: التي عملت من رأس القضيب وطرفه. وهذا صدر بيت وبعده « وهي ثلاث أذرع واصبع » .

الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتُ
عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ
كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ
طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾
هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ
فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾

[**الإعراب**] ماذا أنزل ربكم ما وذا هنا كالشيء الواحد وتقديره أي شيء أنزل ربكم وخيراً منصوب على أنه جواب ماذا أي أنزل خيراً وقوله ﴿ **للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة** ﴾ يجوز أن يكون تفسيراً لقوله ﴿ **خيراً** ﴾ ويجوز أن يكون ابتداء كلام ولنعم دار المتقين المخصوص بالمدح محذوف المعنى ولنعم دار المتقين دار الآخرة والمبين لقوله ﴿ **دار المتقين جنات عدن** ﴾ وتقديره هي جنات عدن فيكون خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون جنات عدن مرتفعة بالابتداء وتكون المخصوصة بالمدح والتقدير جنات عدن نعم دار المتقين .

[**المعنى**] لمّا قدَّم سبحانه ذكر أقوال الكافرين فيما أنزله على نبيه ﷺ عقّبه بذكر أقوال المؤمنين في ذلك فقال ﴿ **وقيل للذين اتقوا** ﴾ الشرك والمعاصي وهم المؤمنون ﴿ **ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً** ﴾ أي أنزل الله خيراً لأن القرآن كله هدى وشفاء وخير ﴿ **للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة** ﴾ ويجوز أن يكون هذا ابتداء كلام من الله تعالى معناه للمحسنين في هذه الدنيا حسنة مكافأة لهم وهي الثناء والمدح على ألسنة المؤمنين والهدى والتوفيق للإحسان ﴿ **ولدار الآخرة خير** ﴾ أي وما يصل إليهم من الثواب في الآخرة خيراً مما يصل إليهم في الدنيا ويجوز أن يكون الجمع من كلام المتقين وأجاز الحسن والزجاج كلا الوجهين

وقوله ﴿ **ولنعم دار المتقين** ﴾ أي والآخرة نعم دار المتقين الذين اتقوا عقاب الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه وقيل معناه ولنعم دار المتقين الدنيا لأنهم نالوا بالعمل فيها الثواب والجزاء عن الحسن وقيل معناه ولنعم دار المتقين ﴿ **جنات عدن يدخلونها** ﴾ كما يقال نعم الدار دار ينزلها ﴿ **تجري من تحتها الأنهار** ﴾ سبق معناه ﴿ **لهم فيها ما يشاؤون** ﴾ أي يشتهون من النعم ﴿ **كذلك يجزي الله المتقين** ﴾ أي كذلك يجازي الله الذين اتقوا معاصيه ﴿ **الذين تتوفاهم الملائكة طيبين** ﴾ أي طيبي الأعمال طاهري القلوب من دنس الشرك وقيل معناه طيبة نفوسهم بالمصير إليه لعلمهم بما لهم عنده من الثواب وقيل طيبين أي صالحين بأعمالهم الجميلة وقيل بطيب وفاتهم فلا يكون صعوبة فيها ﴿ **يقولون سلام عليكم** ﴾ أي تقول الملائكة سلام عليكم أي سلامة لكم من كل سوء ﴿ **ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون** ﴾ قيل أنهم لما بشّروهم بالسلامة صارت الجنة كأنها دارهم وهم فيها فقولهم ادخلوا الجنة بمعنى حصلت لكم الجنة وقيل إنما يقولون ذلك عند خروجهم من قبورهم ﴿ **هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك** ﴾ قد مضى تفسيره في سورتي البقرة والأنعام ﴿ **كذلك فعل الذين من قبلهم** ﴾ أخبر سبحانه أن الذين مضوا من الكفار فعلوا مثل ما فعل هؤلاء من تكذيب الرسل وجحد التوحيد فأهلكهم الله فما الذي يؤمن هؤلاء من أن يهلكهم الله ﴿ **وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** ﴾ بالمعاصي التي استحقوا بها الهلاك ﴿ **فأصابهم سيئات ما عملوا** ﴾ أي عقاب سيئاتهم فسمى العقاب سيئة كما قال ﴿ **وجزاء سيئة سيئة مثلها**﴾ ﴿ **وحاق بهم** ﴾ أي وحلَّ بهم جزاء ﴿ **ما كانوا يستهزؤون** ﴾ .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا
مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن
شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ
ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ
ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ
فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾

إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾

[القراءة] قرأ أهل الكوفة لا يهدي بفتح الياء والباقون بضم الياء وفتح الدال ولم يختلفوا في يضل أنها مضمومة الياء مكسورة الضاد .

[الحجة] قال أبو علي الراجع على اسم أن هو الذكر الذي في قوله يضل في قراءة من قرأ يُهدي ومن قرأ يَهدي فمن جعل يهدي من هديته جاز أن يعود الذكر الفاعل الذي فيه إلى اسم ان ومن جعل يهدي في معنى يهتدي وجعل من يضل مرتفعاً به فالراجع إلى اسم أن الذكر الذي في يضل كما كان كذلك في قول من قال يهدي والراجع إلى الموصول الذي هو من الهاء المحذوفة من الصلة تقديره يضله والمعنى أن من حكم باضلاله لكفره وتكذيبه فلا يهدى ومثل هذا المعنى قوله ﴿ فمن يهديه من بعد الله ﴾ تقديره من بعد اضلال الله إياه والمفعول محذوف أي من بعد حكمه بإضلاله ومن قرأ لا يهدي فهو في المعنى كقوله ﴿ من يضل الله فلا هادي له ﴾ وهذا كقوله ﴿ والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ وقوله ﴿ وما يضل به إلا الفاسقين ﴾ فموضع من نصب بيهدي وقد قيل أن يهدي في معنى يهتدي بدلالة قوله ﴿ لا يهدي إلا أن يهدى ﴾ فموضع من على هذا رفع كما أنه لو قال يهتدي كان كذلك وقوله ﴿ لا يضل ﴾ من قولك ضل الرجل وأضله الله أي حكم بإضلاله كقولك كفرزيد وكفّره الناس أي نسبوه إلى الكفر فقالوا أنه كافر كما أن أسقيته قلت له سقاك الله قال ذو الرمة .

وَأُسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أُبُثُّهُ تُكَلِّمُني أَحْجَارُهُ وَمَلاعِبُهُ[1]

[اللغة] البلاغ والإبلاغ إيصال المعنى إلى الغير والحرص طلب الشيء بجد واجتهاد يقال حرص يحرص حرصاً وحرِص يحرَص بكسر الراء في الماضي وفتحها في المستقبل لغة وقد روي في الشواذ عن الحسن وإبراهيم أن تحرَص بفتح الراء والأول لغة أهل الحجاز والأصل من السحابة الحارصة وهي التي تقشر وجه الأرض وشجة حارصة التي تقشر جلدة الرأس وكذلك الحرص كان صاحبه ينال من نفسه لشدة اهتمامه بما هو حريص فيه .

[المعنى] ثم عاد سبحانه إلى حكاية قول المشركين فقال ﴿ وقال الذين أشركوا ﴾

---

(١) هذا من كلمة لذي الرمة بائية ومطلعها « وقفت على ربع لمية ناقتي * فما زلت أبكي عنده وأخاطبه » والربع الدار وابثه أي أظهر له بثي أي حزني وملاعب جمع ملعب مكان اللعب .

مع الله إلَهاً آخر ﴿ **لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء** ﴾ أي لو أراد الله ما عبدنا من دونه شيئاً من الأصنام والأوثان ﴿ **نحن ولا آباؤنا** ﴾ الذين اقتدينا بهم ﴿ **ولا حرمنا من دونه من شيء** ﴾ من البحيرة والسائبة وغيرهما بل شاء ذلك منا وأراد بذلك فعلنا فأنكر الله سبحانه هذا القول عليهم وقال ﴿ **كذلك** ﴾ أي مثل ذلك ﴿ **فعل الذين من قبلهم** ﴾ من الكفار والضلال كذّبوا رسل الله وجحدوا آياته قالوا مثل قولهم وفعلوا مثل فعلهم ﴿ **فهل على الرسل إلا البلاغ المبين** ﴾ أي ليس عليهم إلا إبلاغ الرسالة وقد سبق بيان مثل هذه الآية في سورة الأنعام ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة** ﴾ أي في كل جماعة وقرن ﴿ **رسولاً** ﴾ كما بعثناك يا محمد رسولاً إلى أمتك ﴿ **ان اعبدوا الله** ﴾ أي ليقول لهم أعبدوا الله ﴿ **واجتنبوا الطاغوت** ﴾ أي عبادة الطاغوت وأن هذه هي المفسرة ويعني بالطاغوت الشيطان وكل داع يدعو إلى الضلالة ﴿ **فمنهم من هدى الله** ﴾ معناه فمنهم من هداه الله بأن لطف له بما علم أنه يؤمن عنده فآمن فسمى ذلك اللطف هداية ويجوز أن يريد فمنهم من هداه الله إلى الجنة بإيمانه ولا يجوز أن يريد بالهداية هنا نصب الأدلة كما في قوله ﴿ **فأما ثمود فهديناهم** ﴾ لأنه سبحانه سوّى في ذلك بين المؤمن والكافر ﴿ **ومنهم من حقت عليه الضلالة** ﴾ معناه ومنهم من أعرض عما دعاه إليه الرسول فخذله الله فثبتت عليه الضلالة ولزمته فلا يؤمن قط وقيل معناه وجبت عليه الضلالة وهي العذاب والهلاك وقيل معناه ومنهم من حقت عليه عقوبة الضلالة عن الحسن وقد سمى الله سبحانه العقاب ضلالاً بقوله ﴿ **ان المجرمين في ضلال وسعر** ﴾ ﴿ **فسيروا في الأرض** ﴾ أي أرض المكذبين الذين عاقبهم الله ان لم تصدقوني ﴿ **فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين** ﴾ أي فانظروا كيف حقت عليهم العقوبة وحلت بهم فلا تسلكوا طريقهم فينزل بكم مثل ما نزل بهم ﴿ **ان تحرص على هداهم** ﴾ أي على أن يؤمنوا بك ﴿**فإن الله لا يهدي من يضل** ﴾ هذا تسلية للنبي ﷺ في دعائه لمن لا يفلح بالإجابة لانهماكه في الكفر وإشارة إلى أن ذلك ليس لتقصير وقع من جهته ﷺ وإعلام له أنهم لا يؤمنون أبداً وإذا كانوا هكذا فإن الله لا يهديهم بل يضلّهم على المعنى الذي فسّرناه قبل ﴿ **وما لهم من ناصرين** ﴾ أي ليس لهم من ناصر ينصرهم ويخلصهم من العقاب وفي هذا بيان أن الإضلال في الآية ليس المراد به ما ذكره أهل الجبر .

﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾

لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر والكسائي فيكون بالنصب وفي يّس مثله والباقون بالرفع .

[**الحجة**] من نصب فإنه يحمله على أن قال الزجاج الرفع على فهو يكون على معنى أن ما أراد الله فهو يكون فالنصب على ضربين (أحدهما) أن يكون عطفاً على أن تقول (والآخر) أن يكون نصباً على جواب كن قال أبو علي اعلم أن الذي أجازه من النصب على أن يكون جواب كن لم يجزه أحد من أصحابنا غيره لأن كن وإن كان على لفظ الأمر فليس القصد به هنا الأمر إنما هو والله أعلم الإخبار عن كون الشيء وحدوثه .

[**الإعراب**] جهد ايمانهم مصدر وضع موضع الحال والتقدير يجتهدون اجتهاداً في إيمانهم وهذا مثل قولهم طلبته جهدك أي تجهد جهدك وعداً منصوب لتوكيد المعنى فإن المعنى بلى يبعثهم الله وعد الله ذلك وعداً وقوله ليبين اللام فيه يتعلق بالبعث أيضاً أي يبعثهم ليبين لهم وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ويجوز أن يتعلق بقوله ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً** ﴾ أي ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً ليبين لهم اختلافهم وقولنا مرفوع بالابتداء وخبره أن القول والمعنى إنما قولنا لكل مراد قولنا له كن .

[**النزول**] قالوا كان لرجل من المسلمين على مشرك دين فتقاضاه فوقع في كلامه والذي أرجوه بعد الموت أنه لكذا فقال المشرك وانك لتزعم أنك تبعث بعد الموت وأقسم بالله لا يبعث الله من يموت فأنزل الله الآية عن أبي العالية .

[**المعنى**] ثم حكى سبحانه عن المشركين نوعاً آخر من كفرهم فقال ﴿ **وأقسموا بالله جهد ايمانهم** ﴾ أي حلفوا بالله مجتهدين في إيمانهم والمعنى أنهم قد بلغوا في القسم كل مبلغ ﴿ **لا يبعث الله من يموت** ﴾ أي لا يحشر الله أحداً يوم القيامة ولا يحيي من يموت بعد موته ثم كذبهم الله تعالى في ذلك فقال ﴿ **بلى** ﴾ يحشرهم الله ويبعثهم ﴿ **وعداً** ﴾ وعدهم به ﴿ **عليه** ﴾ انجازه وتحقيقه من حيث الحكمة ﴿ **حقاً** ﴾ ذلك الوعد ليس له خلف إذ لولا البعث لما حسن التكليف لأن التكليف إنما يحسن لإثابة من عوض به ﴿ **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ صحة ذلك لكفرهم بالله وجحدهم نبوة أنبيائه وقيل لا يعلمون وجه الحكمة في

البعث فلا يؤمنون به ﴿ **ليبين لهم الذي يختلفون فيه** ﴾ هذا بيان من الله تعالى إنه إنما يحشر الخلائق يوم القيامة ليبين لهم الحق فيما كانوا فيه يختلفون فيه في دار الدنيا لأنه يخلق فيهم العلم الضروري يوم القيامة الذي يزول معه التكليف ﴿ **وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين** ﴾ في الدنيا في قولهم ان الله لا يبعث أحداً بعد موته وإذا تعلق اللام قوله ﴿ **ولقد بعثنا** ﴾ فالمعنى بعثنا إلى كل أمة رسولاً ليبين لهم ذلك الرسول ما يختلفون فيه ويهديهم إلى طريق الحق وينبّههم عليه ﴿ **إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون** ﴾ قد ذكرنا تفسيره في سورة البقرة والمراد به هاهنا بيان أنه قادر على البعث لا يتعذر عليه ذلك فإنه إذا أراد شيئاً كونه .

﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾

[**القراءة**] قرأ حفص نوحي بالنون وقد تقدَّم ذكره في سورة يوسف وروي عن علي (ع) لنثوينهم بالثاء والقراءة لنبوِّءنهم بالباء .

[**الحجة**] قال ابن جني نصب حسنة ههنا أي نحسن إليهم إحساناً ووضع حسنة موضع الإحسان كأنه واحد من الحسن دال عليه ودل قوله لنبوئنهم على ذلك الفعل لأنه إذا أقرهم على الفعل بإطالة مدتهم فقد أحسن إليهم كما قال ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وذلك ضد ما يعمل بالعاصين الذين يصطلمهم بذنوبهم وجرائم أفعالهم .

[**النزول**] الآية الأولى نزلت في المعذبين بمكة مثل صهيب وعمار وبلال وخباب

وغيرهم مكّنهم الله بالمدينة وذكر أن صهيباً قال لأهل مكة أنا رجل كبير إن كنت معكم لم ينفعكم وإن كنت عليكم لم يضركم فخذوا مالي ودعوني فأعطاهم ماله وهاجر إلى رسول الله ﷺ فقال له أبو بكر ربح البيع يا صهيب ويروى أن عمر بن الخطاب كان إذا أعطى أحداً من المهاجرين عطاء قال له خذ هذا ما وعدك الله في الدنيا وما أخّره لك أفضل ثم تلا هذه الآية .

[المعنى] ﴿ **والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا** ﴾ معناه والذين فارقوا أوطانهم وديارهم وأهليهم فراراً بدينهم واتباعاً لنبيهم في الله أي في سبيله لابتغاء مرضاته من بعد ما ظلمهم المشركون وعذّبوهم بمكة وبخسوهم حقوقهم ﴿ **لنبوئنهم في الدنيا حسنة** ﴾ أي بلدة حسنة بدل أوطانهم وهي المدينة عن ابن عباس وقيل لنعطينهم حالة حسنة وهي النصر والفتح وقيل هي ما استولوا عليه من البلاد وفتح لهم من الولايات ﴿ **ولأجر الآخرة أكبر** ﴾ مما أعطيناهم في الدنيا ﴿ **لو كانوا يعلمون** ﴾ أي لو كان الكفار يعلمون ذلك وقيل معناه لو علم المؤمنون تفاصيل ما أعدَّ الله لهم في الجنة لازدادوا سروراً وحرصاً على التمسك بالدين ﴿ **الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون** ﴾ هذا وصف لهؤلاء المهاجرين أي صبروا في طاعة الله على أذى المشركين وفوَّضوا أمورهم إلى الله تعالى ثقة به ثم خاطب سبحانه نبيَّه ﷺ فقال ﴿ **وما أرسلنا من قبلك** ﴾ إلى الأمم الماضية ﴿ **إلا رجالاً** ﴾ من البشر ﴿ **نوحي إليهم** ﴾ أي أوحينا إليهم كما أوحينا إليك وأرسلناهم إلى أممهم كما أرسلناك إلى أمتك وذلك أن مشركي مكة كانوا ينكرون أن يرسل إليهم بشر مثلهم فبيِّن سبحانه أنه لا يصلح أن يكون الرسل إلى الناس إلا من يشاهدونه ويخاطبونه ويفهمون عنه وأنه لا وجه لاقتراحهم إرسال الملك ﴿ **فاسألوا أهل الذكر** ﴾ فيه أقوال (أحدها) أن المعني بذلك أهل العلم بأخبار من مضى من الأمم سواء أكانوا مؤمنين أو كفاراً وسمي العلم ذكراً لأن الذكر منعقد بالعلم فإن الذكر هو ضد السهو فهو بمنزلة السبب المؤدي إلى العلم في ذكر الدليل فحسن أن يقع موقعه وينبىء عن معناه إذا تعلق به هذا التعلق عن الرماني والزجاج والأزهري (وثانيها) أن المراد بأهل الذكر أهل الكتاب عن ابن عباس ومجاهد أي فاسألوا أهل التوراة والانجيل ﴿ **إن كنتم لا تعلمون** ﴾ يخاطب مشركي مكة وذلك أنهم كانوا يصدقون اليهود والنصارى فيما كانوا يخبرون به من كتبهم لأنهم كانوا يكذبون النبي ﷺ لشدة عداوتهم له (وثالثها) أن المراد بهم أهل القرآن لأن الذكر هو القرآن عن ابن زيد ويقرب منه ما رواه جابر ومحمد بن مسلم عن أبي جعفر (ع) أنه قال نحن أهل الذكر وقد سمى الله رسوله ذكراً في قوله ﴿ **ذكراً رسولاً** ﴾ على أحد الوجهين وقوله ﴿ **بالبينات والزبر** ﴾ العامل فيه قوله أرسلنا والتقدير وما

أرسلنا بالبينات والزبر أي بالبراهين والكتب إلا رجالاً نوحي إليهم وقيل أن في الكلام إضماراً وحذفاً والتقدير أرسلناهم بالبينات كما قال الأعشى :

وَلَيْسَ مُجيراً إنْ أتَى الْحَيَّ خائِفُ وَلا قائِلاً إلاّ هُوَ الْمُتَعَيِّبا(١)

أي أعني المتعيبا ونظير الأول قول الشاعر :

نَبَّأْتُهُمْ عَذَّبُوا بِالنَّارِ جارَتَهُمْ وَهَلْ يُعَذِّبُ إلاَّ اللهُ بِالنّارِ

﴿ **وأنزلنا إليك الذكر** ﴾ يعني القرآن ﴿ **لتبين للناس ما نزل إليهم** ﴾ فيه من الأحكام والشرائع والدلائل على توحيد الله ﴿ **ولعلهم يتفكرون** ﴾ في ذلك فيعلموا أنه حق وفي هذا دلالة على أن الله تعالى أراد من جميعهم التفكر والنظر المؤدي إلى المعرفة بخلاف ما يقوله أهل الجبر .

[**النظم**] قيل في اتصال الآية الأولى بما قبلها وجوه (أحدها) أنها اتصلت بقوله ﴿ **ليبين لهم الذي يختلفون فيه** ﴾ فيكون المعنى ليبين لهم وليعلم الكافرين كونهم كاذبين وليجزي المؤمنين المهاجرين على ما فعلوه من الهجرة وقيل لما تقدَّم ذكر الكفار وما أعدَّ لهم من الدمار ودخول النار عقَّبه بذكر المؤمنين المهاجرين والأنصار تحريضاً لغيرهم في الاقتداء بهم فاتصل به اتصال النقيض بالنقيض وقيل أنه لما تقدَّم ذكر البعث بيَّن بعده حكم يوم البعث وأنه ينتصف فيه للمظلوم من الظالم .

﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ

(١) وفي نسخة مخطوطة « المتعينا » بالنون .

وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾

[**القراءة**] قرأ ﴿ **أولم تروا** ﴾ بالتاء أهل الكوفة غير عاصم والباقون بالياء وكذلك في العنكبوت وقرأ أهل البصرة تتفيوء بالتاء والباقون بالياء .

[**الحجة**] حجة الياء ان ما قبله غيبة وهو قوله ﴿ **ان يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم أو يأخذهم أولم يروا** ﴾ ومن قرأ بالتاء أراد جميع الناس والتأنيث والتذكير في قوله ﴿ **يتفيؤ ظلاله حسنان** ﴾ وقد تقدَّم ذكر ذلك في عدة مواضع .

[**اللغة**] التخوف التنقص وهو أن يأخذ الأول فالأول حتى لا يبقي منهم أحد وتلك حالة يخاف معها الفناء ويتخوف الهلام يقال تخوفه الدهر قال الشاعر :

تَخَـوَّف السَّيْـر مِنْهـا تـامكـاً قَـرِداً كَمـا تَخَـوَّفَ عُـودَ النَّبْعَـةِ السَّفَنُ(١)

أي ينقص السير سنامها بعد تموكه وقال آخر :

تَخَـوَّف عَـدْوُهُـمْ مَـالـي وَأَهْـدىٰ سـلاسِلَ فـي الحُـلُوقِ لَهـا صَليـلُ

قال الفراء تحوفته وتخوفته بالحاء والخـاء إذا تنقصته من حـافاتـه قال المبـرد لا يقال تحوفته وإنما يقال تحيفته بالياء والتفيؤ التفعل من الفيىء يقال فاء الفيء يفيء إذا رجع وعاد بعـد ما كـان ضياء الشمس نسخـه ومنه فيء المسلمين لمـا يعود عليهم وقتـاً بعد وقت من الخراج والغنائم ويعدى فاء بزيادة الهمزة نحو أفاء وبالتضعيف نحو فاء الظل وفيأه الله فتفيأ والفيء ما نسخه ضوء الشمس والظل ما كان قائماً لم تنسخه الشمس قال الشاعر :

فـلا الـظّل منْ بَـرْدِ الضُّحى تَسْتَـطِيعُـهُ وَلاَ الفَيْءَ مِنْ بَـرْدِ العَشِيّ تَـذُوقُ(٢)

فجعل الظل وقت الضحى لأن الشمس لم تنسخه في ذلك الوقت وجمع الفيء أفياء وفيؤ قال :

(١) قائله ابن مقبل والسفن : الحديدة التي تبرد بها القسي ، أي تنقص كما تأكل هذه الحديدة خشب القسي .
(٢) قائله حميد بن ثور يصف سرحة وكنى بها عن امرأة .

أَرَى الْـمَـالَ أَفْيَـاءَ الـظِّـلاَلِ فَتَـارَةً   يَؤُوبُ وَأُخْـرَى يَحْبِـلُ الْمَالَ حَابِلُهُ(١)

وقال النابغة الجعدي :

فَـسَـلاَمُ الإِلَـهِ يَـغْـدُو عَـلَيْـهِـمْ   وَفُيُـوءُ الفِـرْدَوْسِ ذَاتُ الـظِّلاَلِ(٢)

وإنما قال عن اليمين على التوحيد والشمائل على الجمع لأنه أراد باليمين الإيمان كما قال الشاعر :

بِفِي الشَّـامِتِينَ الصَّخْرُ إِنْ كَـانَ هَـدَّنِي   رَزِيَّـةُ شِبْلَي مُـخْـدِرٍ فِي الـضَّـرَاغِمِ

والمعنى بأفواه وقال آخر :

الْـوَارِدُونَ وَتَـيْـمٌ فـي ذَرَى سَـبَـإٍ   قَـدْ عَضَّ أَعْنَـاقَهُمْ جِلْدُ الجَـوَامِيسُ(٣)

والداخر الخاضع الصاغر قال :

فَـلَمْ يَبْـقَ إِلاَّ دَاخِـرٌ فـي مُـخَـيَّسٍ   وَمُنْجَحِـرٌ في غَيْرِ أَرْضِـكَ في جُحْـرٍ(٤)

[المعنى] ثم أوعد سبحانه المشركين فقال ﴿ **أفأمن الذين مكروا السيئات** ﴾ فاللفظ لفظ الاستفهام والمراد به الانكار ومعناه أيّ شيء أمن هؤلاء القوم الذين دبّروا التدابير السيئة في توهين أمر النبي ﷺ واطفاء نور الدين وإيذاء المؤمنين من ﴿ **أن يخسف الله بهم الأرض** ﴾ من تحتهم عقوبة لهم كما خسف بقارون ﴿ **أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون** ﴾ قال ابن عباس يعني يوم بدر وذلك أنهم أهلكوا يوم بدر وما كانوا يقدرون ذلك ولا يتوقعونه﴿ **أو يأخذهم في تقلبهم** ﴾ يعني أو أن يأخذهم العذاب في تصرفهم في أسفارهم وتجاراتهم وقيل يريد في تقلبهم في كل الأحوال ليلاً ونهاراً فيدخل في هذا تقلبهم على الفرش يميناً وشمالاً عن مقاتل ﴿ **فما هم بمعجزين** ﴾ أي فليسوا بفائتين وما يريده الله بهم من الهلاك لا يمتنع عليه ﴿ **أو يأخذهم على تخوف** ﴾ قال أكثر المفسرين معناه على تنقص أما بقتل أو بموت أي بنقص من أطرافهم ونواحيهم فيأخذ منهم الأول فالأول حتى يأتي على جميعهم وقيل معناه في حال تخوفهم من العذاب أي يعذب أهل قرية ويخوف به

(١) حبل الشيء: شده بالحبل .

(٢) يصف حال أهل الجنة .

(٣) كناية عن الإسارة .

(٤) نسبه في التبيان إلى ذي الرمة وفي اللسان إلى الفرزدق والخيس: السجن .

أهل قرية أخرى فيتخوفون أن ينزل بهم من العذاب ما نزل بالأولى عن الحسن وقيل معناه على تنقص من الأموال والأنفس بالبلايا والاسقام إن لم يعذبهم بعذاب الاستئصال لينبّه غيرهم ويزجرهم عن الجبائي ﴿ **فإن ربكم لرؤوف رحيم** ﴾ بكم ومن رأفته ورحمته بكم أنه أمهلكم لتتوبوا وترجعوا ولم يعاجلكم بالعقوبة ثم بيَّن سبحانه دلائل قدرته فقال ﴿ **أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء** ﴾ معناه ألم ينظروا هؤلاء الكفار الذين جحدوا وحدانية الله تعالى وكذَّبوا نبيَّه ﷺ إلى ما خلق الله من شيء له ظل من شجر وجبل وبناء وجسم قائم ﴿**يتفيؤا ظلاله عن اليمين والشمائل سجَّداً لله** ﴾ أي يتميل ظلاله عن جانب اليمين وجانب الشمال وأضاف الظلال إلى مفرد ومعناه الإضافة إلى ذوي الظلال لأن الذي يعود إليه الضمير واحد يدل على الكثرة وهو قوله ما خلق الله ومعنى تفيؤ الظلال يميناً وشمالاً أن الشمس إذا طلعت وأنت متوجه إلى القبلة كان الظلال قدامك وإذا ارتفعت كان عن يمينك فإذا كان بعد ذلك كان خلفك فإذا كان قبل أن تغرب الشمس كان عن يسارك فهذا تفيؤه عن اليمين والشمائل عن الكلبي ومعنى سجود الظل لله دورانه من جانب إلى جانب لأنه مستسلم منقاد مطيع للتسخير وهذه الآية كقوله ﴿ **وظلالهم بالغدو والآصال** ﴾ وقد مرَّ تفسيره وقيل أن المراد بالظل هو الشخص بعينه ويدل على ذلك قول علقمة :

لَمَّا نَزَلْنا رَفَعْنا ظِلَّ أَخْبِيَةٍ ... وَفارَ لِلْقَوْمِ بِاللَّحْمِ المَراجِيلُ(١)

ألا ترى أنهم لا ينصبون الظل وإنما ينصبون الأخبية ويقوّي ذلك قول عمارة :

كَأَنَّهُنَّ الْفَتَياتُ اللُّعْسُ ... كَأَنَّ في أَظْلالِهِنَّ الشَّمْسُ(٢)

أي في أشخاصهن وقول الآخر :

يُتَبِّعُ أَفْياءَ الظِّلالِ عَشِيَّةً ... عَلى طُرُقٍ كَأَنَّهُنَّ سُيُوفُ(٣)

أي أفياء الشخوص فعلى هذا يكون تأويل الظلال في الآية تأويل الأجسام التي عنها الظلال ﴿ **وهم داخرون** ﴾ أي أذلة صاغرون قد نبَّه الله بهذا على أن جميع الأشياء تخضع له بما فيها من الدلالة على الحاجة إلى واضعها ومدبرها بما لولاه لبطلت ولم يكن لها قوام

---

(١) المراجيل جمع المرجل : القدر .

(٢) جارية لعساء : كان في لونها أدنى سواد فيه شربة حمرة .

(٣) وفي بعض النسخ « سبوب » بدل « سيوف » .

طرفة عين فهي في ذلك كالساجد من العباد بفعله الخاضع بذلّه ثم قال سبحانه ﴿ **ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة** ﴾ أي يسجد لله جميع ما في السماوات وجميع ما في الأرض ومعنى مِنْ في قوله ﴿ **من دابة** ﴾ تبيين الصفة أي الذي هو دابة تدب على وجه الأرض ﴿ **والملائكة** ﴾ أي وتسجد له الملائكة وتخضع له بالعبادة وإنما خصَّ الملائكة بالذكر تشريفاً لهم ولأن اسم الدابة يقع على ما يدب ويمشي وهم أولو الأجنحة فصفة الطيران أغلب عليهم ﴿ **وهم لا يستكبرون** ﴾ عن عبادة الله تعالى وهذا من صفة الملائكة لأنه قال ﴿ **يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾ وإنما قال من فوقهم لوجهين (أحدهما) أن المراد يخافون عقاب ربهم وأكثر ما يأتي العقاب المهلك إنما يأتي من فوق (والآخر) أن الله سبحانه لما كان موصوفاً بأنه عال متعال بمعنى أنه قادر على الكمال حسن أن يقال من فوقهم ليدل على أنه في أعلى مراتب القادرين وعلى هذا معنى قول ابن عباس في رواية مجاهد قال ذلك مخافة الاجلال واختاره الزجاج فقال يخافون ربهم خوف معظمين مجلين ومثله في المعنى قوله ﴿ **وهو القاهر فوق عباده** ﴾ وقوله إخباراً عن فرعون ﴿ **وانا فوقهم قاهرون** ﴾ وذهب بعضهم إلى أن قوله ﴿ **من فوقهم** ﴾ من صفة الملائكة والمعنى أن الملائكة من فوق بني آدم وفوق ما في الأرض من دابة يخافون الله مع علو رتبتهم فلأن يخافه من دونهم أولى وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال أن لله تعالى ملائكة في السماء السابعة سجوداً منذ خلقهم إلى يوم القيامة ترعد فرائصهم من مخافة الله تعالى لا تقطر من دموعهم قطرة إلا صارت ملكاً فإذا كان يوم القيامة رفعوا رؤوسهم وقالوا ما عبدناك حق عبادتك أورده الكلبي في تفسيره .

﴿ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٥٥﴾

[اللغة] وصب الشيء وصوباً إذا دام ووصب الدين وجب وقال أبو الأسود :

لا أَبْتَغي الْحَمْدَ الْقَليلَ بَقاؤُهُ يَوْماً بِذَمّ الدَّهْرِ أَجْمَعَ واصِباً

والوصب الألم الذي يكون عن الاعياء بدوام العمل مدة قال :

لَا يَغْمِزُ السَّاقِ مِنْ أَيْنٍ وَمِنْ وَصَبٍ وَلَا يَعَضُّ عَلى شُرسُوفِهِ الصَّفَرُ(١)

والجؤار الاستغاثة برفع الصوت ويقال جأر الثور يجأر جؤاراً إذا رفع صوته من جوع أو غيره قال الأعشى :

وَما أَيْبُلِيٌّ عَلىٰ هَيْكَلٍ بَناهُ وَصَلَّبَ فِيهِ وَصارا(٢)
يُراوِحُ مِنْ صَلَواتِ الْمَليكِ طَوْراً سُجُوداً وَطَوْراً جُؤارا

وبناء الأصوات على فُعال وفَعيل نحو الصراخ والبكاء والعويل والصفير والفُعال أكثر .

[الإعراب] ذكر اثنين توكيداً لقوله إلَهين كما ذكر الواحد في قوله ﴿ إلَه واحد ﴾ ﴿ واصباً ﴾ نصب على الحال وما بكم موصول وصلة في موضع الرفع بالابتداء ودخلت الفاء في خبره وهو قوله ﴿ فمن الله ﴾ تقديره فهو من الله ولا فعل هاهنا لأن قوله ﴿ بكم ﴾ قد تضمن معنى الفعل فإنه بمعنى وما حل بكم من نعمة .

[المعنى] لما بيَّن سبحانه دلائل قدرته وإلَهيته عقَّبه بالتنبيه على وحدانيته فقال ﴿ وقال الله لا تتخذوا إلَهين اثنين ﴾ أي لا تعبدوا مع الله إلَهاً آخر فتشركوا بينهما في العبادة لأنه لا يستحق العبادة سواه وذكر اثنين كما يقال فعلت ذلك لأمرين اثنين وقيل أن تقديره لا تتخذوا اثنين إلَهين يريد به نفسه وغيره ﴿ إنما هو إلَه واحد ﴾ وإنما لإثبات المذكور ونفي ما عداه فكأنه قال هو إلَه واحد لا إلَه غيره ﴿ فإياي فارهبون ﴾ أي ارهبوا أعقابي وسطواتي ولا تخشوا غيري وورد عن بعض الحكماء أنه قال نهاك ربك أن تتخذ إلَهين فاتخذت آلهة عبدت نفسك وهواك ودنياك وطبعك ومرادك وعبدت الخلق فأنى تكون موحداً ﴿ وله ما في السماوات والأرض ﴾ مُلكاً ومِلكاً وخلقاً ﴿ وله الدين واصباً ﴾ أي وله الطاعة دائمة واجبة على الدوام عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ومعناه أنه سبحانه الذي يعبد دائماً وغيره

---

(١) الشرسوف : رأس الضلع مما يلي البطن . والصفر: دابة تعفن الضلوع والشراسيف وفي اللسان في « صفر » قال أعشى باهلة يرثي أخاه : « لا يتاري لما في القدر يرقبه * ولا يعض عن شرسوفه الصفر » ـ

(٢) الأيبلي : الراهب وصلب الراهب: اتخذ في بيعته صليباً . وصار أي صور .

إنما يعبد في وقت دون وقت وقيل معناه وله الدين خالصاً عن الفراء أي يجب على العبد أن يطيعه مخلصاً وقيل معناه وله الملك دائماً لا يزول ﴿ **أفغير الله تتقون** ﴾ أي أفغير الله تخشون وهو استفهام فيه معنى التوبيخ أي فكيف تعبدون غيره ولا تتقونه ﴿ **وما بكم من نعمة فمن الله** ﴾ معناه أن جميع ما بكم وما لكم من النعم مثل الصحة في الجسم والسعة في الرزق ونحوهما فكل ذلك من عند الله ومن جهته ﴿ **ثم إذا مسَّكم الضر** ﴾ مثل المرض والشدة والبلاء وسوء الحال ﴿ **فإليه تجئرون** ﴾ أي فإليه تتضرعون في كشفه وإليه ترفعون أصواتكم بالدعاء والاستغاثة لصرفه ﴿ **ثم إذا كشف الضر عنكم** ﴾ معناه ثم إذا دفع ما حلَّ بكم من الضر ودفع ما مسكم من المرض والفقر ﴿ **إذا فريق منكم بربهم يشركون** ﴾ أي دعا طائفة منكم إلى الشرك بربهم في العبادة جهلاً منهم بربهم ومقابلة لنعمه بالكفران والعصيان وهذا عجب من فعل العاقل المميز ﴿ **ليكفروا بما آتيناهم** ﴾ معنى اللام هاهنا هو البيان عن العلة التي لأجلها وقع الفعل والمعنى أنهم بمنزلة من أشرك في عبادة ربه ليكفر بما آتاه من النعمة كأنه كان لا غرض له في شركه إلا هذا والمعنى لأن يكفروا بأنعامنا عليهم ورزقنا إياهم وقيل أن اللام للأمر على وجه التحديد أي ليفعلوا ما شاؤوا فإنه ينزل الله بهم عاقبة كفرهم ويوافق هذا القول ما رواه مكحول عن أبي رافع قال حفظت عن رسول الله ﷺ فيمتعوا فسوف يعلمون بالياء فيهما فإن يمتعوا يكون معطوفاً مجزوماً ويجوز أيضاً أن يكون معطوفاً منصوباً والمعنى لأن يكفروا فيمتعوا فقوله ﴿ **فتمتعوا فسوف تعلمون** ﴾ يكون ابتداء خطاب لهم على التهديد والوعيد يقول فتمتعوا أيها الكفار في الدنيا قليلاً فسوف تعلمون ما يحل بكم في العاقبة من العقاب وأليم العذاب وحذف لدلالة الكلام عليه .

﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ
تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ
سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ
ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن
سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ
مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ

﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾

[اللغة] يقال ظل يفعل كذا إذا فعله في صدر النهار ويقال ظللت أظل ظلولاً ومثله أضحى غير أنه كثر حتى صار بمنزلة أخذ يفعل والكظيم المغموم الذي يطبق فاه لا يتكلم للغم الذي به مأخوذ من الكظامة وهي اسم لما يشد به فم القربة والكظامة أيضاً العقب على رؤوس القذذ والكظامة أيضاً البئر ومنه الحديث أن النبي ﷺ أتى كظامة فتوظأ ومسح على قدميه وجمعها كظائم والهون الهوان والمشقة وهي لغة قريش قال الحطيئة :

فَلَمّا خَشيتُ الْهُونَ وَالْعَيْنُ مُمْسِكٌ ... عَلىٰ رَغْمِهِ ما أَثْبَتَ الخَيْلَ حافِرُهُ

ودسست الشيء في التراب أدسه دساً إذا أخفيته والدساسة حية صماء تندس تحت التراب .

[الإعراب] ولهم ما يشتهون إن شئت جعلت ما في موضع نصب بمعنى يجعلون لهم البنين الذين يشتهون هم ويكون قوله سبحانه اعتراضاً بين المعطوف والمعطوف عليه وإن شئت جعلته في موضع رفع على الاستئناف فيكون مرفوعاً على الابتداء ولهم خبره أو مرفوعاً على أن الظرف عمل فيه على ما ذكرنا من الاختلاف فيه فيما مضى والهاء في يمسكه يعود إلى قوله ما بشّر به فلذلك ذكّر وقيل معناه ويجعلون للأصنام الذين لا يعلمون ولا يجعلون نصيباً من الأنعام والزرع فكنّى عن لفظة ما في قوله ﴿ **لما لا يعلمون** ﴾ بالواو لأنهم جعلوا الأصنام هنا بمنزلة العقلاء عن أبي علي الفارسي وقال أيضاً يجوز أن يكون تقديره ويجعلون لما لا يعلمونه إلّهاً نصيباً ويكون الضميران في يجعلون ويعلمون للمشركين وحذف المفعولان .

[المعنى] ثم ذكر سبحانه فعلاً آخر من أفعال المشركين دالاً على جهلهم فقال ﴿**ويجعلون لما لا يعلمون**﴾ والواو في يعلمون تعود إلى المشركين أي لما لا يعلمون أنه يضر وينفع ﴿**نصيباً مما رزقناهم**﴾ يتقربون بذلك إليه كما يجب أن يتقرب إلى الله تعالى وهو ما حكى الله عنهم في سورة الأنعام من الحرث وغير ذلك وقولهم هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا عن مجاهد وقتادة وابن زيد ثم أقسم تعالى فقال ﴿**تالله لتسألن**﴾ في الآخرة ﴿**عما كنتم تفترون**﴾ أي تكذبون به في دار الدنيا لتلتزموا به الحجة وتعاقبوا بعد اعترافكم على أنفسكم ثم ذكر سبحانه نوعاً آخر من جهالاتهم فقال ﴿**ويجعلون لله البنات**﴾ أي ويثبتون لله البنات ويضيفون إليه البنات وهو قولهم الملائكة بنات الله كما قال سبحانه وجعلوا الملائكة

الذين هم عباد الرحمن إناثاً ثم نزَّه سبحانه نفسه عما قالوا فقال ﴿**سبحانه**﴾ أي تنزيهاً له عن اتخاذ البنات ﴿**ولهم ما يشتهون**﴾ أي ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون ويحبُّونه من البنين دون البنات وعلى الوجه الآخر ولهم ما يحبونه يعني البنين ﴿**وإذا بشر أحدهم بالأنثى**﴾ أي وإذا بشر واحد منهم بأنه ولد له بنت ﴿**ظل وجهه مسوداً**﴾ أي صار لون وجهه متغيراً إلى السواد لما يظهر فيه من أثر الحزن والكراهة فقد جعلوا لله ما يكرهونه لأنفسهم وهذا غاية الجهل ﴿**وهو كظيم**﴾ أي ممتلىء غيظاً وحزناً ﴿**يتوارى من القوم من سوء ما بشر به**﴾ يعني ان هذا الذي بشر بالبنت يستخفي من القوم الذين يستخبرونه عما ولد له استنكافاً منه وخجلاً وحياء من سوء ما بشر به من الانثى وقبحه عنده ﴿**أيمسكه على هون أم يدسه في التراب**﴾ يعني يميل نفسه ويدبر في أمر البنت المولودة له أيمسكه على ذل وهوان أم يخفيه في التراب ويدفنه حياً وهو الوأد الذي كان من عادة العرب وهو أن أحدهم كان يحفر حفيرة صغيرة وإذا وله لد انثى جعلها فيها وحثا عليها التراب حتى تموت تحته وكانوا يفعلون ذلك مخافة الفقر عليهن فيطمع غير الاكفاء فيهن ﴿**ألا ساء ما يحكمون**﴾ أي بئس الحكم ما يحكمونه وهو ان يجعلوا لنفوسهم ما يشتهون ولله ما يكرهون وقيل معناه ساء ما يحكمونه في قتل البنات مع مساواتهن للبنين في حرمة الولادة ولعل الجارية خير من الغلام وروي عن ابن عباس أنه قال لو أطاع الله الناس في الناس لما كان الناس لأنه ليس احد إلا ويحب ان يولد ذكر ولو كان الجميع ذكوراً لما كان لهم أولاد فيفنى الناس ثم قال سبحانه ﴿**للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى**﴾ أي لهؤلاء الكفار الذين وصف الله بالولد صفة السوء أي الصفة القبيحة التي هي سواد الوجه والحزن ولله الصفة العليا من السلطان والقدرة وقيل له صفات النقص من الجهل والكفر والضلال والعمى وصفة الحدوث والضعف والعجز والحاجة إلى الأبناء وقتل البنات خوف الفقر ولله صفات الإلّهية والاستغناء عن الصاحبة والولد والربوبية واخلاص التوحيد ويسأل فيقال كيف يمكن الجمع بين قوله سبحانه وتعالى ولله المثل الأعلى وقوله فلا تضربوا لله الأمثال والجواب ان المراد بالأمثال هناك الأشباه أي لا تشبهوا الله بشيء والمراد بالمثل الأعلى هنا الوصف الأعلى الذي هو كونه قديماً قادراً عالماً حياً ليس كمثله شيء وقيل ان المراد بقوله المثل الأعلى المثل المضروب بالحق وبقوله فلا تضربوا لله الأمثال الأمثال المضروبة بالباطل ﴿**وهو العزيز**﴾ أي القادر الذي لا يمتنع عليه شيء ﴿**الحكيم**﴾ الذي يضع الأشياء مواضعها على ما هو حكمة وصواب وفي الآية دلالة على أنه لا يضاف إلى الله تعالى الا دون فإن الله سبحانه قد عاب المشركين باضافتهم اليه ما لا يرضونه لأنفسهم فإذا كره الانسان اضافة القبيح الى نفسه للنقص الذي فيه فكيف يجوز أن

يضيفه إلى الله تعالى .

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ
ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ
إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً
وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ
ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾
تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ
فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ
إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾
وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى
ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾

[**القراءة**] قرأ نافع وقتيبة عن الكسائي مفرطون ساكنة الفاء مكسورة الراء خفيفة وقرأ أبو جعفر (ع) مفرِّطون مفتوحة الفاء مكسورة الراء مشددة والباقون مفرطون ساكنة الفاء مفتوحة الراء خفيفة وروي عن الأعرج بفتح الراء وتشديده .

[**الحجة**] قال الزجاج اما تفسير مفرطون فجاء عن ابن عباس متروكون وقيل معجلون ومعنى الفرط في اللغة التقدم وقد فرط منّي قول أي تقدّم فمعنى مُفْرطون مقدَّمون إلى النار وكذلك مُفرَّطون بالتشديد ومن فسر متروكون فهو كذلك أي قد جعلوا مقدمين في العذاب أبداً متروكين فيه ومن قرأ مُفرّطون فالمعنى انه وصفهم الله بأنهم فرطوا في الدنيا ولم يعملوا فيها للآخرة وتصديقه قوله يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ومن قرأ مُفْرطون فالمراد

انهم أفرطوا في معصية الله كما تقول أفرط فلان في مكروهي وتأويله انه آثر العجز وقدمه قال أبو علي وكأنه من افرط أي صار ذا فرط مثل أقطف وأجرب فهو مقطف ومجرب فمعناه أنهم ذوو فرط إلى النار وسبق إليها .

[**الإعراب**] الكذب مفعول تصف وان لهم الحسنى بدل من الكذب وتقديره وتصف ألسنتهم ان لهم الحسنى أي تصفون ان لهم مع هذا الفعل القبيح الجزاء الحسن وان لهم النار في موضع نصب بجرم والمعنى جرم فعلهم هذا أي كسب ان لهم النار وقيل إنَّ ان في موضع رفع عن قطرب قال معناه انه وجب ان لهم النار وانهم مفرطون فيها لتبين لهم أي لأن تبين لهم الجار والمجرور في محل النصب بأنه مفعول له وكذلك قوله وهدى ورحمة وكلاهما معطوف على ما قبله بأنه مفعول له أيضاً أي أنزلنا عليك الكتاب بياناً وهدى ورحمة قال الزجاج ويجوز في هذا الموضع وهدى ورحمة بالرفع فيكون المعنى وما أنزلنا عليك الكتاب إلا للبيان وهو مع ذلك هدى ورحمة .

[**المعنى**] **﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة﴾** أخبر سبحانه أنه لو كان ممن يؤاخذ الكفار والعصاة بذنوبهم ويعاجلهم بالعقوبة لما ترك على وجه الأرض أحداً ممن يستحق ذلك من الظالمين وإنما قال عليها ولم يجر ذكر للأرض في الظاهر لأن الكلام يدل عليه فإن العلم حاصل بأن الناس يكونون على ظهر الأرض ومثله كثير في محاورات العرب يقولون ما بين لابتيها مثل فلان يعنون المدينة وأصبحت باردة يريدون الغداة إذ اللابتان بالمدينة والاصباح لا يكون الا غدوة وقوله **﴿ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى﴾** أي يمهلهم إلى وقت معلوم مسمى وهو يوم القيامة وقيل إلى وقت يعلمه الله تعالى انه لا يكون في بقائهم فيه مصلحة لأنهم لا يؤمنون ولا يخرج من نسلهم مؤمن وإنما يؤخرهم تفضلاً منه سبحانه ليراجعوا التوبة أو لما في ذلك من المصلحة واختلف أهل العدل في مَنِ المعلومُ من حاله أنه لا يؤمن فيما بعد هل يجوز احترامه فقال بعضهم يجوز لان التكليف تفضل فلا تجب تبقية وهو قول أبي هاشم وإليه ذهب المرتضى قدس الله روحه وقال آخرون لا يجوز اخترامه ويجب تبقيته وهو قول البلخي وأبي علي الجبائي وان اختلفا في علته فقال الجبائي لأنه مفسدة وقال البلخي لأنه الأصلح واليه ذهب الشيخ المفيد أبو عبد الله وقيل ان معنى الآية لو يؤاخذهم بذنوبهم لحبس المطر عنهم حتى تهلك كل دابة عن السدي وعكرمة « سؤال » متى قيل ان المكلف الظالم يستحق العقوبة بظلمه فما بال الحيوانات تؤخذ بغير جرم « فجوابه» ان العذاب للظالم عقوبة ولغير الظالم عبرة ومحنة فيكون كالأمراض النازلة بالأولياء وغير

المكلفين فيعوّضون عنها وقيل معناه لو هلك الآباء بكفرهم لم يوجد الأبناء وقيل انه إذا هلك الظلمة ولم يبق مكلف لا يبقىٰ غيرهم من الحيوانات لأنها انما خلقت للمكلفين فلا فائدة في بقائها بعدهم ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ قد سبق معناه فيما مضى ثم حكى سبحانه عن الكفار فقال ﴿ويجعلون لله ما يكرهون﴾ يعني البنات أي يحكمون لله بما يكرهونه لأنفسهم ﴿وتصف السنتهم الكذب﴾ أي وتخبر ألسنتهم بالكذب وهو ما يقولون ﴿ إن لهم الحسنى ﴾ وهي البنون عن مجاهد وقيل معناه تصفون أن لهم مع قبيح قولهم من الله الجزاء الحسن والمثوبة الحسنى وهي الجنة عن الزجاج وغيره فإن المشركين كانوا يقولون ان كان ما يقوله محمد من أمر البعث والآخرة حقاً فنحن من أهل الجنة وروي عن معاذ أنه قرأ وتصف ألسنتهم الكذُب بضم الذال والباء فعلى هذا يكون الكذب وصفاً للألسنة جمع كاذب أو كذوب ثم ردَّ سبحانه قولهم فقال ﴿لا جرم ان لهم النار﴾ أي ليس الأمر على ما وصفوا جرم فعلهم وقولهم اي كسب ان لهم النار والمفسرون يقولون معناه حقاً ان لهم النار أو لا بد أن لهم النار ﴿وانهم مفرطون﴾ أي مقدمون أي معجلون إلى النار ثم أقسم سبحانه فقال ﴿تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك﴾ يا محمد ﴿فزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ أي كفرهم وضلالهم وتكذيبهم الرسل ﴿فهو وليهم اليوم﴾ معناه ان الشيطان وليهم اليوم في الدنيا يتولونه ويتبعون اغواءه فأما يوم القيامة فيتبرأ بعضهم من بعض عن أبي مسلم وقيل معناه فهو وليهم يوم القيامة أي يكلهم الله تعالى إلى الشيطان أياساً لهم من رحمته ﴿ولهم عذاب اليم﴾ أي وللتابع والمتبوع عذاب مؤلم وجميع ثم بيّن سبحانه أنه قد أقام الحجة وأزاح العلة وأوضح المحجة فقال ﴿وما أنزلنا عليك﴾ يا محمد ﴿الكتاب﴾ أي القرآن ﴿إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه﴾ معناه إلا وقد أردنا منك ان تكشف لهم ما اختلفوا فيه من دلالة التوحيد والعدل وتبين لهم الحلال والحرام ﴿وهدى﴾ أي وأنزلناه دلالة على الحق ﴿ورحمة لقوم يؤمنون﴾ ثم أخبر سبحانه عن نعمته على خلقه فقال ﴿والله انزل من السماء ماء﴾ أي غيثاً ومطراً ﴿فأحيا به﴾ أي بذلك الماء ﴿الأرض بعد موتها﴾ أحياها بالنبات بعد جدوبها وقحطها ﴿إن في ذلك لآية﴾ أي حجة ودلالة ﴿لقوم يسمعون﴾ أي يستصغون أدلة الله ويتفكرون فيها ويعتبرون بها .

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ

نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا

لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ
سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾
وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ
وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ
ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ
وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾

[**القراءة**] قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم ويعقوب وسهل نسقيكم بفتح النون هاهنا وفي المؤمنين والباقون نسقيكم بضمها في الموضعين وقرأ أبو جعفر في المؤمنين تسقيكم بالتاء .

[**الحجة**] قيل بين سقيت وأسقيت فرق وهو ان سقيته معناه ناولته ليشرب وأسقيته معناه جعلت له ماء يشربه وقيل سقيته ماء وأسقيته سألت الله أن يسقيه وعليه بيت ذي الرمة .

وَأُسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبُثُّهُ تُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ وَمَلاعِبُه[1]

وقيل إذا سقاه مرة يقول سقيته وإذا سقاه دائماً يقال أسقيته عن أبي عبيدة وقيل هما بمعنى واحد واستدل ببيت لبيد

سَقَى قَوْمِي بَنِي مَجْدٍ وَأَسْقَى نُمَيْراً وَالْقَبَائِلَ مِنْ هِلالِ

فإنه أتى باللغتين .

[**اللغة**] العبرة والعظة من النظائر وهو ما يعتبر به والفرث الثفل الذي ينزل إلى الكرش

(١) مر البيت في صفحة ٥١٠ و٥٥٣ .

وساغ الطعام في الحلق وسوغته وأسغته. السكر في اللغة على أربعة أوجه (الأول) ما أسكر من الشراب (والثاني) ما طعم من الطعام قال الشاعر « جَعَلْت عَيْبَ الأكْرَمين سَكَرا »[١] أي أعلت ذمهم طُعْماً لك (والثالث) السكون ومنه ليلة ساكرة أي ساكنة قال الشاعر « وَلَيْسَتْ بِطَلْقٍ وَلا سَاكِرَه »[٢] ويقال سكرت الريح سكنت قال « وَجَعَلَتْ عَيْنُ الحَرُورِ تَسْكُرُ »[٣] (والرابع) المصدر من قولك سكر سكراً ومنه التسكير التحيير في قوله سكرت أبصارنا والذلل جمع الذلول يقال دابة ذلول بيّن الذل ورجل ذلول بيّن الذل والذلة والرذل الدون الرديء وكذلك الرذال يقال رذل الشيء يرذل رذالة وارذلته انا .

[الإعراب] الهاء في بطونه إلى ماذا يعود اختلف فيه فقيل ان الأنعام جمع والجمع يذكر ويؤنث فجاء هاهنا على لغة من يذكر وجاء في سورة المؤمنين على لغة من يؤنث وقيل انه رد على واحد الانعام وأنشد للراجز « وَطَابَ البَانُ اللِّقاحُ فَبَرَدْ »[٤] رده الى اللبن عن الفراء وقيل ان الانعام والنعم سواء فحمل على المعنى كما قال الصلتان العبدي

إنَّ السَّمَاحَةَ وَالْمُرُوءَةَ ضُمِّنَا   قَبْراً بِمَرْوَ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ

فكأنه قال شيئان ضمنا وقال الأعشى

فَإنْ تَعْهَدِينِي وَلي لِمَّةٌ   فَإنَّ الحَوَادِثَ أوْدَى بِهَا[٥]

حمله على الحدثان[٦] ويجوز أن يكون التقدير نسقيكم مما في بطون المذكور وقيل ان من يدل على التبعيض فكأنه قال نسقيكم مما في بطون بعض الأنعام لأنه ليس لجميعها لبن وقوله تتخذون منه الضمير في منه إلى ماذا يعود فيه وجهان (أحدها) انه يعود الى المذكور (والثاني) انه يعود إلى معنى الثمرات لأن الثمرات والثمر سواء وكذا الهاء في قوله فيه شفاء للناس قيل يعود إلى الشراب وهو العسل وقيل يعود إلى القرآن فإذا عاد الضمير إلى الشراب ارتفع شفاء بالظرف على المذهبين وتقديره شراب ثابت فيه شفاء وإذا عاد الضمير إلى القرآن ففي رفع شفاء خلاف فإن الظرف لم يجر على مذكور قبله، لكيلا يعلم بعد علم

(١) ورواية اللسان هكذا « جعلت اعراض الكرام سكراً » .
(٢) قائله اوس وقبله « تزاد ليالي في طولها » .
(٣) مر البيت بتمامه في صفحة ٥٠٧ .
(٤) وقبله « بال سهيل في الفصيخ ففسد » . والقاح : اسم ماء الفحل .
(٥) اللمة : الشعر الجعد خلف الاذن . وأودى بها أي أهلكها . ورواية اللسان « فأما تريني ولي لمة ا هـ » .
(٦) أي كان عليه ان يقول « اودت بها » فذكر على اراده الحدثان .

شيئاً ان نصبت شيئاً بعلم وهو مذهب سيبويه كنت قد أعملت الثاني وأضمرت المفعول في يعلم على شريطة التفسير وان أعملت يعلم وهو مذهب الفراء أضمرت لعلم مفعولاً وفصلت بين المعمول والعامل فجمعت بين مجازين بخلاف مذهب سيبويه .

[**المعنى**] ثم عطف سبحانه على ما تقدم من دلائل التوحيد وعجائب الصنعة وبدائع الحكمة بقوله **﴿وإن لكم في الأنعام﴾** يعني الابل والبقر والغنم **﴿لعبرة﴾** أي لعظة واعتباراً ودلالة على قدرة الله تعالى **﴿نسقيكم ممّا في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً﴾** وروى الكلبي عن ابن عباس قال إذا استقر العلف في الكرش صار أسفله فرثاً وأعلاه دماً ووسطه لبناً فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى الفرث كما هو فذلك قوله من بين فرث ودم لبناً خالصاً لا يشوبه الدم ولا الفرث **﴿سائغاً للشاربين﴾** أي جائزاً في حلوقهم والكبد مسلطة على هذه الأصناف فيقسمها على الوجه الذي اقتضاه التدبير الإلّهي بيَّن سبحانه لمن ينكر البعث ان من قدر على إخراج لبن أبيض سائغ من بين الفرث والدم من غير ان يختلط بهما قادر على اخراج الموتى من الأرض من غير أن يختلط شيء من أبدانهم بأبدان غيرهم ثم قال **﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً﴾** قيل معناه ولكم عبرة فيما أخرج الله لكم من ثمرات النخيل والاعناب عن الحسن وقيل معناه من ثمرات النخيل والاعناب ما تتخذون منه سكراً والعرب تضمر ما الموصولة كثيراً قال سبحانه وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً أي ما ثم وقيل ان تقديره ومن ثمرات النخيل والأعناب شيء تتخذون منه سكراً **﴿ورزقاً حسناً﴾** فحذف الموصوف لدلالة الصفة عليه والأعناب عطف على الثمرات أي ومن الأعناب شيء تتخذون سكراً وهو كل ما يسكر من الشراب كالخمر. والرزق الحسن ما أحل منهما كالخل والزبيب والرب والرطب والتمر عن ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومجاهد وغيرهم وروى الحاكم في صحيحه بالإسناد عن ابن عباس انه سئل عن هذه الآية فقال السكر ما حرم من ثمرها والرزق الحسن ما أحل من ثمرها قال قتادة نزلت الآية قبل تحريم الخمر ونزل تحريمها بعد ذلك في سورة المائدة قال أبو مسلم ولا حاجة إلى ذلك سواء كان الخمر حراماً أم لم يكن لأنه تعالى خاطب المشركين وعدَّد أنعامه عليهم بهذه الثمرات والخمر من أشربتهم فكانت نعمة عليهم وقيل ان المراد بالسكر ما يشرب من أنواع الأشربة مما يحل والرزق الحسن ما يؤكل والحسن اللذيذ عن الشعبي والجبائي فالمعنى تتخذون منه أصنافاً من الأشربة والأطعمة وقد أخطأ من تعلق بهذه الآية في تحليل النبيذ لأنه سبحانه إنما أخبر عن فعل كانوا يتعاطونه فأيّ رخصة في هذا اللفظ والوجه فيه أنه سبحانه أخبر أنه خلق هذه الثمار لينتفعوا بها فاتخذوا منها ما هو محرم عليهم ولا فرق بين قوله هذا

بين قوله تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم **﴿إن في ذلك لآية﴾** أي دلالة ظاهرة **﴿لقوم يعقلون﴾** عن الله تعالى ذلك ويتفكرون فيه بيّن الله سبحانه بذلك انكم تستخرجون من الثمرات عصيراً يخرج من قشر قد اختلط به فكذلك الله يستلخص ما تبدد من الميت مما هو مختلط به من التراب **﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾** أي ألهمها إلهاماً عن الحسن وابن عباس ومجاهد وقيل جعل ذلك في غرائزها بما يخفى مثله عن غيرها عن الحسن قال أبو عبيدة الوحي في كلام العرب على وجوه منها وحي ا لنبوة ومنها الإلهام ومنها الاشارة ومنها الكتاب ومنها الاسرار فوحي النبوة في قوله أو يرسل رسولاً فيوحي باذنه والإلهام في قوله **﴿وأوحى ربك إلى النحل وأوحينا إلى ام موسى﴾** والاشارة في قوله فأوحى إليهم أن سبّحوا قال مجاهد معناه أشار اليهم وقال الضحاك كتب لهم والأسرار في قوله يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً وأصل الوحي عند العرب أن يلقي الانسان إلى صاحبه شيئاً بالإستتار والإخفاء وأما ما روي عن ابن عباس أنه قال لا وحي إلا القرآن فإن المراد به ان القرآن هو الوحي الذي نزل به جبرائيل على محمد ﷺ دون ان يكون أنكر ما قلناه ويقال اوحي له وأوحي اليه قال العجاج « أوحي لهَا القَرار فَاسْتَقَرَّت »(١) والمعنى ان الله تعالى ألهم النحل اتخاذ المنازل والمساكن والأوكار والبيوت في الجبال والشجر وغير ذلك وتقديره **﴿أن اتخذي من الجبال بيوتاً﴾** للعسل ولا يقدر على مثلها احد **﴿ومن الشجر ومما يعرشون﴾** أي ومن الكرم لأنه الذي يعرش ويتخذ منه العريش وفيه لغتان يعرشون ويعرُشون بضم الراء وكسرها وقد قرىء بهما وقيل معنى يعرشون يبنون والعرش سقف البيت عن الكلبي والمعنى ما يبني الناس لها من خلاياها التي تعسل فيها ولولا الهام الله إياها ما كانت تأوي إلى ما بني لها من بيوتها وإنما أتى بلفظ الأمر وإن كانت النحل لا تعقل الأمر ولا تكون مأمورةلأنه لما أتى بلفظ الوحي أجرى عليه لفظ الأمر اتساعاً **﴿ثم كلي من كل الثمرات﴾** أي من انواع الثمرات من أيّ ثمرة شئت **﴿فاسلكي سبل ربك﴾** أي فادخلي سبل ربك التي جعلها الله لك **﴿ذللاً﴾** أي مذللة موطأة للسلوك واسعة يمكن سلوكها فيكون قوله ذللاً صفة للسبل وهي منصوبة على الحال وهو قول مجاهد وقيل ذللاً أي مطيعة لله منقادة مسخرة ويكون من صفة النحل عن قتادة **﴿يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه﴾** وهو العسل فإن ألوانه مختلفة لأن منه ما هو شديد البياض ومنه ما هو أصفر ومنه ما يضرب إلى الحمرة وذلك أن النحل تتناول ألواناً مختلفة من النبات والزهر فيجعلها الله تعالى عسلاً على ألوان مختلفة يخرج من بطونها إلا أنها تلقيه من أفواهها كالريق الذي يخرج من فم ابن

(١) وبعده « وشدها بالراسيات الثبت » وقد مر .

آدم وإنما قال سبحانه من بطونها ولم يقل من فيها لئلا يظن أنها تلقيه من فيها ولم يخرج من بطنها ﴿فيه شفاء للناس﴾ من الادواء عن قتادة وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال عليكم بالشفاءين القرآن والعسل وقيل معناه فيه شفاء للأوجاع التي شفاؤها فيه عن السدي والحسن وروي عن مجاهد ان الهاء في فيه راجعة إلى القرآن أي القرآن فيه شفاء للناس يعني ما فيه من الحلال والحرام والفتيا والأحكام والأول قول أكثر المفسرين وهو الأقوى إذ لم يسبق للقرآن ذكر وفي النحل والعسل وجوه من الاعتبار منها اختصاصه بخروج العسل من فيه ومنها جعل الشفاء من موضع السم فإن النحل يلسع ومنها ما ركّب الله من البدائع والعجائب فيه وفي طباعه ومن أعجبها ان جعل سبحانه لكل فئة يعسوباً هو أميرها يقدمها ويحامي عنها ويدبّر أمرها ويسوسها وهي تتبعه وتقتفي أثره ومتى فقدته انحل نظامها وزال قوامها وتفرقت شذر مذر وإلى هذا المعنى فيما قال أشار امير المؤمنين (ع) في قوله أنا يعسوب المؤمنين ﴿إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ معناه ان فيما ذكرناه من بدائع صنع الله تعالى دلالة بينة لمن تفكر فيه ثم بيَّن نعمته علينا في خلقنا واخرجنا من العدم إلى الوجود فقال ﴿والله خلقكم﴾ أي أوجدكم وأنعم عليكم بضروب النعم الدينية والدنيوية ﴿ثم يتوفاكم﴾ ويقبضكم أي يميتكم ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾ أي أدون العمر وأوضعه أي يبقيه حتى يصير إلى حال الهرم والخرف فيظهر النقصان في جوارحه وحواسه وعقله ورووا عن علي (ع) ان ارذل العمر خمس وسبعون سنة وروي في مثل ذلك عن النبي ﷺ وعن قتادة تسعون سنة ﴿لكيلا يعلم بعد علم شيئاً﴾ أي ليرجع الى حال الطفولية بنسيان ما كان علمه لأجل الكبر فكأنه لا يعلم شيئاً مما كان علمه وقيل ليقل علمه بخلاف ما كان عليه في حال شبابه ﴿إن الله عليم﴾ بمصالح عباده ﴿قدير﴾ على ما يشاء من تدبيرهم وتقدير أحوالهم .

﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ
فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَهُمْ
فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ
أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَـٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَـٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ
إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾

[**القراءة**] قرأ أبو بكر عن عاصم تجحدون بالتاء والباقون بالياء .

[**الوجه**] الوجه في القراءة بالياء أنه يراد به غير المسلمين لأنه لا يخاطب المسلم بجحود نعم الله والوجه في القراءة بالتاء قل لهم أفبنعمة الله التي تقدم اقتصاصها تجحدون ويقوي الياء قوله ﴿ **وبنعمة الله هم يكفرون** ﴾ .

[**اللغة**] الحفدة جمع حافد وأصل الحفد الإسراع في العمل ومنه ما جاء في الدعاء وإليك نسعى ونحفد ومرَّ البعير يحفد حفداً(١) إذا مرَّ يسرع في سيره قال الراعي :

كَلَّفْتُ مَجْهُولَهَا نُوقاً يَمَانِيَةً إذا الحُداةُ عَلىٰ أكْسَائِهَا حَفَدُوا(٢)

ومنه قيل للأعوان حفدة لإسراعهم في الطاعة قال جميل :

حَفَدَ الْوَلائِدُ حَوْلَهَا وَاسْتَسْلَمَتْ بِأَكُفِهِنَّ أزِمَّةَ الأَجْمَالِ(٣)

[**الإعراب**] فهم فيه سواء جملة إسمية وقعت موقع جملة فعلية في موضع النصب لأنه جواب النفي بالفاء والتقدير فيستووا شيئاً إنتصب على أحد وجهين إما أن يكون بدلاً من رزقاً بمعنى أنه لا يملك لهم رزقاً قليلاً ولا كثيراً وهو قول الأخفش وإما أن يكون مفعولاً لقوله ﴿ **رزقاً** ﴾ فكأنه قال ما لا يملك لهم أن يرزق شيئاً وهو مما أعمل من المصادر المنونة .

[**المعنى**] ثم عدَّد سبحانه نعمة منه أخرى فقال ﴿ **والله فضل بعضكم على بعض في الرزق** ﴾ فوسع على واحد وقتر على آخر على ما توجبه الحكمة ﴿ **فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء** ﴾ اختلف في معناه على قولين (أحدهما) أنهم

---

(١) [وحفداناً] .

(٢) الحداة : جمع الحادي . وإكساء جمع كسيء : مؤخر الشيء .

(٣) لولائد : الشواب من الجواري .

لا يشركون عبيدهم في أموالهم وأزواجهم حتى يكونوا فيه سواء ويرون ذلك نقصاً فلا يرضون لأنفسهم به وهم يشركون عبيدي في ملكي وسلطاني ويوجهون العبادة والقرب إليهم كما يوجهونها إليَّ عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقال ابن عباس يقول إذا لم ترضوا أن تجعلوا عبيدكم شركاءكم فكيف جعلتم عيسى إلّهاً معه وهو عبده ونزلت في نصارى نجران (والثاني) إن معناه فهؤلاء الذين فضَّلهم الله في الرزق من الأحرار لا يرزقون مماليكهم بل الله تعالى رازق الملاك والمماليك فإن الذي ينفقه المولى على مملوكه إنما ينفقه مما رزقه الله تعالى فالله تعالى رازقهم جميعاً فهم سواء في ذلك ﴿ **أفبنعمة الله يجحدون** ﴾ أي أفبهذه النعمة التي عددتها واقتصصتها يجحد هؤلاء الكفار ثم عدَّد سبحانه نعمة أخرى فال ﴿ **والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً** ﴾ أي جعل لكم من جنسكم ومن الذين تلدونهم نساء جعلهن أزواجاً لكم لتسكنوا إليهن وتأنسوا بهن ﴿ **وجعل لكم من أزواجكم** ﴾ يعني من هؤلاء الأزواج ﴿ **بنين** ﴾ تسرُّون بهم وتزيّنون بهم ﴿ **وحفدة** ﴾ إختلف في معناه فقيل هم الخدم والأعوان عن ابن عباس والحسن وعكرمة وفي رواية الموالبي هم اختان الرجل على بناته وهو المروي عن أبي عبد الله وعن ابن مسعود وإبراهيم وسعيد بن جبير وقيل هم البنون وبنو البنين عن ابن عباس في رواية أخرى ونصه عنه أيضاً أنهم بنو امرأة الرجل من غيره في رواية الضحاك وقيل البنون الصغار من الأولاد والحفدة الكبار منهم يسعون معه عن مقاتل ﴿ **ورزقكم من الطيبات** ﴾ أي الأشياء التي تستطيبونها قد أباحها لكم وإنما دخلت من لأنه ليس كل ما يستطيبه الإنسان رزقاً له وإنما يكون رزقه ماله التصرف فيه وليس لأحد منعه منه ﴿ **أفبالباطل يؤمنون** ﴾ يريد بالباطل الأوثان والأصنام وما حرَّم عليهم وزيّنه الشيطان من البحائر وغيرها أي أفبذلك يصدّقون ﴿ **وبنعمة الله** ﴾ التي عدَّدها ﴿ **هم يكفرون** ﴾ أي يجحدون ويريد بنعمة الله التوحيد والقرآن ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ابن عباس ﴿ **ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً** ﴾ أي لا يملك أن يرزقهم ﴿ **من السماوات والأرض شيئاً ولا يستطيعون** ﴾ شيئاً مما ذكرناه وقيل إن رزق السماء الغيث الذي يأتي من جهتها ورزق الأرض النبات والثمار وغير ذلك من أنواع النعم التي تخرج من الأرض ﴿ **فلا تضربوا لله الأمثال** ﴾ أي لا تجعلوا لله الأشباه والأمثال في العبادة فإنه لا شبه له ولا مثل ولا أحد يستحق العبادة سواه وإنما قال ذلك في إتخاذهم الأصنام آلهة عن ابن عباس وقتادة ﴿ **إن الله يعلم** ﴾ إن من كان إلّهاً فإنه منزّه عن الشركاء ﴿ **وأنتم لا تعلمون** ﴾ ذلك بل تجهلونه ولو تفكرتم لعلمتم وقيل معناه والله يعلم ما عليكم من المضرة في عبادة غيره وأنتم لا تعلمون ولو علمتم لتركتم عبادتها .

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا
لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا
وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ
ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ
مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ
وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾

[**القراءة**] في الشواذ قراءة ابن مسعود وعلقمة والحسن ومجاهد أينما يُوَجِّهْ وروي عن علقمة يُوَجَّهْ بفتح الجيم .

[**الحجة**] قال ابن جني أما يُوَجِّه بكسر الجيم فعلى حذف المفعول أي أينما يوجه وجهه فحذف للعلم به وأقول أن نظيره ما جاء في المثل « أينما أوجه ألق سعداً » ومعناه أينما أوجه وجوه ركابي وسعد قبيلته أي كل الناس مثل قبيلتي في التحاسد وأما يوجّه بفتح الجيم فمعناه أينما يرسل أو يبعث لا يأت بخير .

[**اللغة**] الأبكم الذي يولد أخرس لا يفهم ولا يفهم وقيل الأبكم الذي لا يمكنه أن يتكلم والكل الثقل يقال كلّ عن الأمر يكل كلا إذا ثقل عليه فلم ينبعث فيه وكلت السكين كلولا إذا غلظت شفرتها وكلَّ لسانه إذا لم ينبعث في القول لغلظه وذهاب حده فالأصل فيه الغلظ المانع من النفوذ والتوجيه الإرسال في وجه من الطريق يقال وجهته إلى موضع كذا فتوجه إليه .

[**الإعراب**] ﴿ **ومن رزقناه منا رزقاً حسناً** ﴾ رزقاً مفعول ثان لرزقناه وفي هذا دليل على أن رزق يتعدى إلى مفعولين ألا ترى أن قوله رزقاً حسناً لو كان مصدراً لما جاز أن يقول

فهو ينفق منه لأن الإنفاق إنما يكون من المال لا من الحدث الذي هو المصدر .

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه للمشركين أمر ضلالتهم فقال ﴿ **ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء** ﴾ أي بيَّن الله مثلاً فيه بيان المقصود تقريباً للخطاب إلى أفهامهم ثم ذكر ذلك المثل فقال عبداً مملوكاً لا يقدر من أمره على شيء ﴿ **ومن رزقناه منا رزقاً حسناً** ﴾ يريد وحُرّاً رزقناه وملكناه مالاً ونعمة ﴿ **فهو ينفق منه سراً وجهراً** ﴾ لا يخاف من أحد ﴿ **هل يستوون** ﴾ولم يقل يستويان لأنه أراد بقوله ﴿ **ومن رزقناه** ﴾ وقوله ﴿ **عبداً مملوكاً** ﴾ الشيوع في الجنس لا التخصيص يريد أن الإثنين المتساويين في الخلق إذا كان أحدهما مالكاً قادراً على الإنفاق والآخر عاجزاً عن الإنفاق لا يستويان فكيف يستوي بين الحجارة التي لا تعقل ولا تتحرك وبين الله عز اسمه القادر على كل شيء الخالق الرازق لجميع خلقه وهذا معنى قول المجاهد والحسن وقيل إن هذا المثل للكافر والمؤمن فإن الكافر لا خير عنده والمؤمن يكسب الخير عن ابن عباس وقتادة نبَّه الله سبحانه بذلك على اختلاف حاليهما ودعا إلى حال المؤمن وصرف عن حال الكافر ﴿ **الحمد لله** ﴾ أي الشكر لله على نعمه وفيه شارة إلى أن النعم كلها منه وقيل معناه قولوا الحمد لله الذي دلّنا على توحيدة ومعرفته وهدانا إلى شكر نعمته وأوضح لنا السبيل إلى جنته ﴿ **بل أكثرهم لا يعلمون** ﴾ يعني أن أكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون أن الحمد لي وإن جميع النعمة مني ثم ضرب سبحانه مثلاً آخر فقال ﴿ **وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء** ﴾ من الكلام لأنه لا يفهم ولا يفهم عنه وقيل معناه لا يقدر أن يدبر أمر نفسه ﴿ **وهو كل على مولاه** ﴾ أي ثقل ووبال على وليه الذي يتولى أمره ﴿ **أينما يوجهه لا يأت بخير** ﴾ معناه أنه لا منفعة لمولاه فيه أينما يرسله في حاجة لا يرجع بخير ولا يهتدي إلى منفعة ﴿ **هل يستوي هو** ﴾ أي هذا الأبكم الموصوف بهذه الصفة ﴿ **ومن يأمر بالعدل** ﴾ أي ومن هو فصيح يأمر بالعدل والحق ويدعو إلى الثواب والبر ﴿ **وهو على صراط مستقيم** ﴾ أي على دين قويم وطريق واضح فيما يأتي به ويذر والمراد أنهما لا يستويان قط لأنه لا جواب لهذا الكلام إلا النفي وهذا كما قال أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون وقيل في معنى هذا المثل أيضاً قولان (أحدهما) أنه مثل ضربه الله تعالى فيمن يؤمل الخير من جهته ومن لا يؤمل منه وأصل الخير كله من الله تعالى فكيف يستوي بينه وبين شيء سواه في العبادة (والآخر) أنه مثل للكافر والمؤمن فالأبكم الكافر والذي يأمر بالعدل المؤمن عن ابن عباس وقيل إن الأبكم أبي بن خلف ومن يأمر بالعدل حمزة وعثمان بن مظعون عن عطاء وقيل إن الأبكم هاشم بن عمر بن الحارث القرشي وكان قليل الخير يعادي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن مقاتل ثم وصف

سبحانه نفسه مؤكداً لما قدم ذكره من أوصاف الكمال فقال ﴿ **ولله غيب السماوات والأرض** ﴾ ومعناه أنه المختص بعلم الغيب وهو ما غاب عن جميع الخلائق مما يصح أن يكون معلوماً قال الجبائي ويمكن أن يكون المعنى ولله ما غاب عنكم مما في السماوات والأرض ثم قال ﴿ **وما أمر الساعة** ﴾ في قدرته ﴿ **إلا كلمح البصر** ﴾ أي كطوف العين وقيل كرد البصر قال الزجاج وما أمر إقامة الساعة في قدرته إلا كلمح البصر أي لا يتعذر عليه شيء ﴿ **أو هو أقرب** ﴾ من ذلك وهو مبالغة في ضرب المثل به في السرعة ودخول أو هنا لأحد أمرين إما للإبانة على أنه على إحدى هاتين المنزلتين وإما لشك المخاطب وقيل معناه بل هو أقرب ﴿ **إن الله على كل شيء قدير** ﴾ فهو قادر على إقامة الساعة وعلى كل شيء يريده لأن القدير مبالغة في صفة القادر .

[**النظم**] وجه اتصاله بما قبله أن أمر القيامة من الأمور الغائبة ومن أعظمها وأهمها لما فيه من الثواب والعقاب والإنصاف والإنتصاف والساعة إسم لإماتة الخلق وإحيائهم .

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾

[**القراءة**] قد ذكرنا القراءة في أمهاتكم في سورة النساء وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب وسهل وخلف ﴿ **ألم تروا** ﴾ بالتاء والباقون بالياء وقرأ أهل الكوفة وابن عامر ظعنكم ساكنة العين والباقون بفتح العين .

[**الحجة**] من قرأ ﴿ **ألم تروا** ﴾ بالتاء فإنه يدل عليه ما قبله من قوله ﴿ **وجعل لكم السمع ولعلكم تشكرون** ﴾ ومن قرأ بالياء فإنه على وجه التنبيه لمن تقدم ذكرهم من الكفار والظعَن والظعن بفتح العين وسكونها لغتان ومثله النهر والنهر والشمع والشمع قال الأعشى :

فَقَدْ أشْرَبُ الرّاحَ قَدْ تَعْلَمِينَ يَوْمَ الْمَقَامِ وَيَوْمَ الظَّعَنْ

قال أبو علي ولا يجوز أن يكون الظعن مخففاً عن الظعن كما أن عَضْداً مخفف عن عَضُد وكتفا مخففاً عن كتف ألا ترى أن من قال ذلك لم يخفف نحو جمل ورسن كما أن الذي يقول والليل إذا يسر وذلك ما كنا نبغ لا يقول والليل إذا يغش وحرف الحلق وغيره في ذلك سواء .

[**اللغة**] الأمهات أصله الأمات ولكن الهاء زيدت مؤكدة كما زادوها في أهرقت الماء والأصل أرقت والأفئدة جمع فؤاد كما يقال غراب وأغربة ولم يجمع الفؤاد على أكثر العدد لم يقل فيه فئدان كما قالوا غربان . الجو الهواء البعيد من الأرض وأبعد منه السُكاك واللُّوح وواحد السكاك سكاكة عن الزجاج قال الشاعر :

وَيْلُمِّها فِي هَواءِ الجَوِّ طَالِبَةً وَلا كَهَذَا الَّذِي فِي الأَرْضِ مَطْلُوبُ(١)

والسكن كل ما يسكن إليه والسكن أيضاً المسكن قال الفراء السكن بفتح الكاف الدار وبسكونها أهل الدار ومنه الحديث أن الرمانة لتشبع السكن وأصله من السكون الذي هو ضد الحركة وهما من جنس الأكوان التي يكون الجسم بها كائناً في الجهات ومنه السكين لأنه يسكن حركة المذبوح والأثاث متاع البيت الكثير من قولهم شعر أثيث أي كثير وأثَّ النّبتُ يَإِثُّ أثّاً إذا كثر والتف وكذلك الشعر ولا واحد للأثاث كما أنه لا واحد للمتاع قال الشاعر :

أَهَاجَتْكَ الظَّعَائِنَ يَوْمَ بَانُوا بِذِي الرِّئْيِ الْجَمِيلِ مِنَ الأَثاثِ(٢)

[**الإعراب**] قوله ﴿ **لا تعلمون شيئاً** ﴾ في موضع نصب على الحال من الكاف والميم وقوله ﴿ **شيئاً** ﴾ يجوز أن يكون منتصباً على المصدر أي لا تعلمون علماً ويجوز أن يكون مفعولاً ويكون تعلمون بمعنى تعرفون لاقتصاره على مفعول واحد وأثاثاً ومتاعاً نصب بجعل

---

(١) قائله امرىء القيس ورواية الديوان لا « كالتي في هواه اهـ . »ونسبه في التبيان والطبري إلى إبراهيم بن عمران الأنصاري . وقوله « ويلمها » مخفف « ويل أمها » .

(٢) قائله محمد بن نمير الثقفي . وفي بعض النسخ « الزي » . ورواية اللسان « أشاقتك الظعائن ا . هـ » .

أي يجعل لكم أثاثاً ومتاعاً .

[المعنى] ثم عدد سبحانه نعما لـه أخر فقـال ﴿ **والله أخرجكم من بطون أمهاتكم** ﴾ منعمـاً عليكم بذلـك وأنتم ﴿ **لا تعلمون شيئـاً** ﴾ من منـافعكم ومضـاركم في تلك الحـال ﴿ **وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة** ﴾ أي تفضل عليكم بالحواس الصحيحة التي هي طرق إلى العلم بالمدركات وتفضل عليكم بالقلوب التي تفقهـون بها الأشيـاء إذ هي محل المعارف ﴿ **لعلكم تشكرون** ﴾ أي لكي تشكروه على ذلك وتحمدوه ثم عطف سبحانه على ماتقدم من الدلائل بدلالة أخرى فقال ﴿ **ألم تروا** ﴾ أي ألم تتفكروا وتنـظروا ﴿ **إلى الطيـر مسخرات في جو السماء** ﴾ أي كيف خلقها الله خلقة يمكنها معها التصرف في جو السماء صاعدة ومنحدرة وذاهبة وجائية مذللات للطيران في الهواء بأجنحتها تطير من غير أن تعتمد على شيء ﴿ **ما يمسكهن إلا الله** ﴾ أي ما يمسكهن من السقوط على الأرض من الهواء إلا الله فيمسك الهواء تحت الطير حتى لا ينزل فيه كإمساك الماء تحت السائح في الماء حتى لا ينزل فيه فجعل إمساك الهواء تحتها إمساكاً لها على التوسع فإن سكونها في الجـو إنما هـو فعلها فالمعنى ألم تنظروا في ذلك فتعلموا إن لها مسخراً ومدبِّراً لا يعجزه شيء ولا يتعـذر عليه شيء وإنه إنما خلق ذلك ليعتبروا به فيصلوا إلى الثواب الذي عرضهم له ولو كان فعل ذلك لمجرد الأنعام على العبيد لكان حسناً لكنـه سبحانـه وتعالى ضمَّ إلى ذلـك التعريض للثواب ﴿ **إن في ذلك لآيات** ﴾ أي دلالات على وحدانية الله تعالى وقدرته ﴿ **لقوم يؤمنون** ﴾ لأنهم الذين انتفعوا به ثم عدَّد سبحانه نعماً أخر في الآية الأخرى فقال ﴿ **والله جعل لكم من بيوتكم سكناً** ﴾ أي موضعاً تسكنون فيه مما يتخذ من الحجر والمدر وذلك أنه سبحانه خلق الخشب والمـدر والآلة التي يمكن بهـا تسقيف البيـوت وبنـاؤهـا ﴿ **وجعـل لكم من جلود الأنعام** ﴾ يعني الإنطاع والأدم ﴿ **بيوتاً تستخفونها** ﴾ أي قباباً وخياماً يخفُّ عليكم حملها في أسفاركم ﴿ **يوم ظعنكم** ﴾ أي ارتحالكم من مكان إلى مكـان وقيل معنى الـظعن سير أهـل البوادي لنجعة أو حضور ماء أو طلب مرتع ﴿ **ويوم إقامتكم** ﴾ أي اليوم الذي تنزلون موضعاً تقيمون فيه أي لا يثقل عليكم في الحالتين ﴿ **ومن أصوافها** ﴾ وهي للضأن ﴿ **وأوبارهـا** ﴾ وهي للإبل ﴿ **وأشعارها** ﴾ وهي للمعز ﴿ **أثاثاً** ﴾ أي مالاً عن ابن عباس وقيل نوعاً من متاع البيت من الفراش والأكسية وقيل طنافس وبسطاً وثيابـاً وكسوة والكـل متقارب ﴿ **ومتـاعاً** ﴾ تتمتعون به ومعاشاً تتّجرون فيه ﴿ **إلى حين** ﴾ أي إلى يوم القيامة عن الحسن وقيل إلى وقت الموت عن الكلبي ويحتمل أن يكون أراد به موت المالـك أو موت الأنعـام وقيل إلى وقت البلى والفناء وفيه إشارة إلى أنهار فانية فلا ينبغي للعاقل أن يختارها على نعيم الآخرة .

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ
لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ
تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾
فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ
يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا
ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾

[**اللغة**] الأكنان جمع كنّ وهو الموضع الذي يستتر صاحبه فيه ويقال كننت الشيء في كِنّه أي صنته وأكننته أي أخفيته وكل ما لبسته من قميص أو درع أو جوشن أو غيره فهو كن قال الزجاج والعتب الموجدة يقال عتب عليه يعتب إذا وجد عليه فإذا فاوضه ما عتب عليه قالوا عاتبه وإذا رجع إلى مسرته قيل أعتب والاسم العتبي وهو رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضي العاتب واستعتبه طلب منه أن يعتب قال أبو مسلم الاستعتاب مأخوذ من العتاب والعتب وأصله دبغ الأديم وهو عتابه وفي المثل إنما يعاتب الأديم ذو البشرة يقال عتبت على فلان واستعتبته إذا أنكرت منه فعلاً واستنزلته عنه وأردت إصلاحه وأعتبك فلان إذا صار لك إلى ما تحب وزال عما تكره .

[**الإعراب**] فإن تولوا شرط وتقديره فإن تولوا لم يلزمك تقصير من أجل توليهم فإنّ الذي عليك هو البلاغ إلا أنه حذف الجزاء لدلالة الكلام عليه . للذين كفروا في محل الرفع لوقوع الإذن عليه .

[**المعنى**] ثم عدّد سبحانه نعماً أخر أضافها لى ما عدّده قبل من نعمه فقال ﴿ **والله جعل لكم مما خلق** ﴾ من الأشجار والأبنية ﴿ **ظلالاً** ﴾ أي أشياء تستظلون بها في الحرّ والبرد ﴿ **وجعل لكم من الجبال أكناناً** ﴾ أي مواضع تسكنون بها من كهوف وثقوب وتأوون إليها ﴿ **وجعل لكم سرابيل** ﴾ أي قميصاً من القطن والكتان والصوف عن ابن عباس وقتادة

﴿ **تقيكم الحر** ﴾ ولم يقل وتقيكم البرد لأن ما وقى الحر وقى البرد وإنما خصَّ الحر بذلك مع أن وقايتها للبرد أكثر لأن الذين خوطبوا بذلك أهل حرٍّ في بلادهم فحاجتهم إلى ما يقي الحر أكثر عن عطا على أن العرب تكتفي بذكر أحد الشيئين عن الآخر للعلم به كما قال الشاعر .

وما ادْرِي إذا يَمَّمْتُ أرْضاً أُرِيدُ الْخَيْرَ أيهما يَلِيني[1]

فكنّى عن الشر ولم يذكره لأنه مدلول عليه ذكره الفراء ﴿ **وسرابيل تقيكم بأسكم** ﴾ يعني دروع الحديد تقيكم شدة الطعن والضرب وتدفع عنكم سلاح أعدائكم ﴿ **كذلك** ﴾ أي مثل ما جعل لكم هذه الأشياء وأنعم بها عليكم ﴿ **يتم نعمته عليكم** ﴾ يريد نعمة الدنيا ويدل عليه قوله ﴿ **لعلكم تسلمون** ﴾ قال ابن عباس معناه لعلكم يا أهل مكة تعلمون أنه لا يقدر على هذا غيره فتوحدوه وتصدقوا رسوله ﴿ **فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين** ﴾ هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعناه فإن أعرضوا عن الإيمان بك يا محمد والقبول عنك وعن التدبر لما عددته في هذه السورة من النعم وبنيت فيها من الدلالات فلا عتب علك ولا لوم فإنما عليك البلاغ الظاهر وقد بلغت كما أمرت والبلاغ الاسم والتبليغ المصدر مثل الكلام والتكليم ثم أخبر سبحانه عن الكفار فقال﴿**يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها**﴾أي يعرفون نعم الله تعالى عليهم بما يجدونه من خلق نفوسهم وإكمال عقولهم وخلق أنواع المنافع التي ينتفعون بها لهم ثم أنهم مع ذلك ينكرون تلك النعم أن تكون من جهة الله تعالى خاصة بل يضيفونها إلى الأوثان ويشكرون الأوثان عليها يقولون رزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا فيشركونهم معه فيها وقيل أن معناه يعرون محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وهو من نعم الله سبحانه ثم يكذبونه ويجحدونه عن السدي ﴿ **وأكثرهم الكافرون** ﴾ إنما قال أكثرهم لأن منهم من لم تقم الحجة عليه إذ لم يبلغ حد التكليف لصغره أو كان ناقص العقل مأوفاً أو لم تبلغه الدعوة فلا يقع عليه إسم الكفر وقيل إنما ذكر الأكثر لأنه علم سبحانه أن فيهم من يؤمن وقيل أنه من الخاص في الصيغة العام في المعنى عن الجبائي وقريب منه قول الحسن أراد جميعهم الكافرون وإنما عدل عن البعض إحتقاراً له أن يذكره وفي هذه الآية دلالة على فساد قول المجبرة أنه ليس لله تعالى على الكافر نعمة وإن جميع ما فعله بهم إنما هو خذلان ونقمة لأنه سبحانه نصَّ في هذه الآية على خلاف قولهم ﴿ **ويوم نبعث من كل أمة شهيداً** ﴾ يعني يوم القيامة بيَّن سبحانه أنه

(١) قائله المثقب العبدي ومرجع الضمير في قوله « ايهما » في بيت بعده وهو « أألخير الذي انا ابتغيه * أم الشر الذي هو يبتغيني .

يبعث فيه من كل أمة شهيداً وهم الأنبياء والعدول من كل عصر يشهدون على الناس بأعمالهم وقال الصادق (ع) لكل زمان وأمة إمام تبعث كل أمة مع إمامها وفائدة بعث الشهداء مع علم الله سبحانه بذلك أن ذلك أهول في النفس وأعظم في تصور الحال وأشد في الفضيحة إذا قامت الشهادة بحضرة الملأ مع جلالة الشهود وعدالتهم عند الله تعالى ولأنهم إذا علموا أن العدول عند الله يشهدون عليهم بين يدي الخلائق فإن ذلك يكون زجراً لهم عن المعاصي وتقديره واذكر يوم نبعث ﴿ **ثم لا يؤذن للذين كفروا** ﴾ أي لا يؤذن لهم في الكلام والاعتذار عن ابن عباس كما قال ولا يؤذن لهم فيعتذرون وقيل معناه لا يؤذن لهم في الرجوع إلى الدنيا وقيل معناه لا يسمع منهم العذر يقال أذنت له أي إستمعت كما قال عدي بن زيد :

فِي سَمَاعٍ يَأْذَنُ الشَّيْخُ لَهُ   وَحَدِيثٍ مِثْلِ مَا ذِيٍّ مُشَارْ[1]

عن أبي مسلم ﴿ **ولا هم يستعتبون** ﴾ أي لايسترضون ولايستصلحون كما كان يفعل بهم في دار الدنيا لأن الآخرة ليست بدار تكليف ومعناه لا يسألون أن يرضوا الله بالكف عن معصية يرتكبونها ﴿ **وإذا رأى الذين ظلموا العذاب** ﴾ معناه إذا رأى الذين أشركوا بالله تعالى النار ﴿ **فلا يخفف عنهم** ﴾ العذاب ﴿ **ولا هم ينظرون** ﴾ أي لا يمهلون ولا يؤخرون بل عذابهم دائم في جميع الأوقات فإن وقت التوبة والندم قد فات .

[**النظم**] وجه اتصال قوله ﴿ **فإن تولوا** ﴾ بما قبله أنه سبحانه أمر نبيه ﷺ أن يذكرهم بهذه النعم ويحتج عليهم بهذه الحجج فإن أسلموا فذاك وإن أعرضوا فلا شيء على الرسول فإنما عليه البلاغ المبين فقط ووجه اتصال الآية الأخيرة بما قبلها وهي قوله ﴿ **ويوم نبعث من كل أمة شهيداً** ﴾ أنها تتصل بقوله ﴿ **فإنما عليك البلاغ** ﴾ لأن المعنى أن نجازيهم على أعمالهم يوم نبعث من كل أمة شهيداً وقال أبو مسلم أنه عطف على قوله ﴿ **والله خلقكم ثم يتوفاكم** ﴾ يريد ثم يبعثكم يوم يبعث من كل أمة شهيداً .

﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟

(١) الماذي : العسل الأبيض . والمشار من أشرت العسل إذا جنيته .

يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ
عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي
كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ
وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ
لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ * إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي
ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾

[**اللغة**] تقول ألقيت الشيء إذا طرحته واللقي الشيء الملقى وألقيت إليه مقالة أي قلتها له وتلقاها إذا قبلها والسلم الاستسلام والانقياد والتبيان والبيان واحد. الأزهري قال العرب تقول بينت الشيء تبييناً وتبياناً .

[**المعنى**] ثم أبان سبحانه عن حال المشركين يوم القيامة فقال ﴿ **وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم** ﴾ يعني الأصنام والشياطين الذين أشركوهم مع الله في العبادة وقيل سمّاهم شركاءهم لأنهم جعلوا لهم نصيباً من الزرع والأنعام فهم إذا شركاؤهم على زعمهم ﴿ **قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك** ﴾ أي يقولون هؤلاء شركاؤنا التي أشركناها معك في الإلّهية والعبادة وأضلونا عن دينك فحملهم بعض عذابنا ﴿ **فألقوا إليهم القول أنكم لكاذبون** ﴾ معناه فقالت الأصنام وسائر ما كانوا يعبدونه من دون الله بانطاق الله تعالى إياهم لهؤلاء انكم لكاذبون في أنا أمرناكم بعبادتنا ولكنكم اخترتم الضلال بسوء اختياركم لأنفسكم وقيل أنكم لكاذبون في قولكم انا آلهة وإلقاء المعنى إلى النفس إظهاره لها حتى تدركه متميزاً عن غيره ﴿ **وألقوا إلى الله يومئذ السلم** ﴾ معناه واستسلم المشركون وما عبدوهم من دون الله لأمر الله وانقادوا لحكمه يومئذ عن قتادة وقيل معناه أن المشركين زال عنهم نخوة الجاهلية وانقادوا قسراً لا اختياراً واعترفوا بما كانوا ينكرونه من توحيد الله تعالى ﴿ **وضلَّ عنهم ما كانوا يفترون** ﴾ أي بطل ما كانوا يأملونه ويتمنونه من الأماني الكاذبة من أن

آلهتهم تشفع لهم وتنفع ﴿ **الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله** ﴾ أي أعرضوا عن دين الله وقيل صدُّوا غيرهم عن اتباع الحق الذي هو سبيل الله وقيل صدَّ المسلمين عن البيت الحرام عن أبي مسلم ﴿ **زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون** ﴾ أي عذّبناهم على صدِّهم عن دين الله زيادة على عذاب الكفر وقيل زدناهم الأفاعي والعقارب في النار لها أنياب كالنخل الطوال عن ابن مسعود وقيل هي أنهار من صفر مذاب كالنار يعذبون بها عن ابن عباس ومقاتل وقيل زيدوا حيات كأمثال الفيلة والبخت وعقارب كالبغال الدلم عن سعيد بن جبير ﴿ **ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم** ﴾ أي من أمثالهم من البشر ويجوز أن يكون ذلك الشهيد نبيّهم الذي أرسل إليهم ويجوز أن يكون المؤمنون العارفون يشهدون عليهم بما فعلوه من المعاصي وفي هذا دلالة على أن كل عصر لا يجوز أن يخلو ممن يكون قوله حجة على أهل عصره وهو عدل عند الله تعالى وهو قول الجبائي وأكثر أهل العدل وهذا يوافق ما ذهَب إليه أصحابنا وإن خالفوهم في أن ذلك العدل والحجة منه هو ﴿ **وجئنا بك** ﴾ يا محمد ﴿ **شهيداً على هؤلاء** ﴾ يريد على قومك وأمتك وإنما أفرده بالذكر تشريفاً له وتمَّ الكلام هاهنا ثم قال سبحانه ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب** ﴾ يعني القرآن ﴿ **تبياناً لكل شيء** ﴾ أي بياناً لكل أمر مشكل ومعناه ليبين كل شيء يحتاج إليه من أمور الشرع فإنه ما من شيء يحتاج الخلق إليه في أمر من أمور دينهم إلا وهو مبين في الكتاب أما بالتنصيص عليه أو بالإحالة على ما يوجب العلم من بيان النبي ﷺ والحجج القائمين مقامه أو إجماع الأمة فيكون حكم الجميع في الحاصل مستفاداً من القرآن ﴿ **وهدى ورحمة** ﴾ أي ونزلنا عليك القرآن دلالة إلى الرشد ونعمة على الخلق لما فيه من الشرائع والأحكام ولأنه يؤدّي إلى نعم الآخرة ﴿ **وبشرى للمسلمين** ﴾ أي بشارة لهم بالثواب الدائم والنعيم المقيم ﴿ **إن الله يأمر بالعدل** ﴾ وهو الانصاف بين الخلق والتعامل بالاعتدال الذي ليس فيه ميل ولا عوج ﴿ **والإحسان** ﴾ إلى الناس وهو التفضل ولفظ الاحسان جامع لكل خير والأغلب عليه استعماله في التبرع بإيتاء المال وبذل السعي الجميل وقيل العدل التوحيد والإحسان أداء الفرائض عن ابن عباس وعطاء وقيل العدل في الأفعال والاحسان في الأقوال فلا يفعل إلا ما هو عدل ولا يقول إلا ما هو حسن وقيل العدل أن ينصف وينتصف والإحسان أن ينصف ولا ينتصف ﴿ **وإيتاء ذي القربى** ﴾ أي ويأمركم باعطاء الأقارب حقهم بصلتهم وهذا عام وقيل المراد بذي القربى قرابة النبي ﷺ الذين أرادهم الله بقوله فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى على ما مر تفسيره وهو المروي عن أبي جعفر (ع) قال نحن هم ﴿ **وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي** ﴾ إنما جمع بين الأوصاف الثلاثة في النهي مع أن الكل منكر فاحش ليبين بذلك

تفصيل ما نهى عنه لأن الفحشاء قد يكون ما يفعله الإنسان في نفسه من القبيح مما لا يظهره والمنكر ما يظهره للناس مما يجب عليهم انكاره والبغي ما يتطاول به من الظلم لغيره وقيل أن الفحشاء الزنا والمنكر ما ينكره الشرع والبغي الظلم والكبر عن ابن عباس وقيل أن العدل استواء السريرة والعلانية والاحسان أن تكون السريرة أحسن من العلانية والفحشاء والمنكر أن تكون العلانية أحسن من السريرة عن سفيان بن عيينة ﴿ **يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾ معناه يعظكم بما تضمنت هذه الآية من مكارم الأخلاق لكي تتذكروا وتتفكروا وترجعوا إلى الحق قال عبد الله بن مسعود هذه الآية أجمع آية في كتاب الله للخير والشر قال قتادة أمر الله سبحانه بمكارم الأخلاق ونهاهم عن سفاسف الأخلاق[١] وجاءت الرواية أن عثمان بن مظعون قال كنت أسلمت استحياء من رسول الله ﷺ لكثرة ما كان يعرض عليَّ الإسلام ولما يقرّ الإسلام في قلبي فكنت ذات يوم عنده حال تأمله فشخص بصره نحو السماء كأنه يستفهم شيئاً فلما سري عنه سألته عن حاله فقال نعم بينا أنا أحدثك إذ رأيت جبرائيل في الهواء فأتاني بهذه الآية أن الله يأمر بالعدل والإحسان وقرأها عليَّ إلى آخرها فقرَّ الإسلام في قلبي وأتيت عمه أبا طالب فأخبرته فقال يا آل قريش اتبعوا محمداً ﷺ ترشدوا فإنه لا يأمركم إلا بمكارم الأخلاق وأتيت الوليد بن المغيرة وقرأت عليه هذه الآية فقال إن كان محمد قاله فنعم ما قال وإن قاله ربه فنعم ما قال قال فأنزل الله ﴿ **أفرأيت الذي تولى وأعطى قليلاً وأكدى** ﴾ يعني قوله فنعم ما قال ومعنى قوله وأكدى أنه لم يقم على ما قاله وقطعه وعن عكرمة قال أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية على الوليد بن المغيرة فقال يا ابن أخي أعد فأعاد فقال ان له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما هو قول البشر .

[**النظم**] وجه اتصال قوله ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء** ﴾ بما قبله أنه سبحانه لما بيَّن أن الأنبياء تشهد على أممهم يوم القيامة بيَّن عقيبه أنه سبحانه قد كلَّف الجميع وأزاح عللهم في التكليف بأن أنزل القرآن بما فيه من البيان والهداية والرحمة والبشارة لأهل الإيمان وأنهم إذا عوقبوا فإنما أتوا في ذلك من قبل نفوسهم وهذا كله مما يدخل في الشهادة ووجه اتصال قوله ﴿ **إن الله يأمر بالعدل** ﴾ الآية بما قبله أنه سبحانه لما ذكر القرآن بيَّن عقيبه ما يأمر به وينهى عنه فيه وقيل أنه يتصل بقوله ﴿ **ويوم نبعث** ﴾ كأنه قال بعد ذكر القيامة والشهود أنه يأمر بالعدل وينهى عن الظلم فاعلموا أنه سبحانه لا يظلم أحداً بل يعدل ويتفضل ولذلك جاء بالشهود ليشهدوا على أممهم أنهم أتوا فيما لاقوه من العذاب من

(١) السفساف: الرديء من كل شيء .

قبل أنفسهم .

﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾

[اللغة] التوكيد التشديد وأوكد عقدك أي شدَّه وهي لغة أهل الحجاز وأهل نجد يقولون أكدت تأكيداً والانكاث الانقاض واحدها نكث والنكث المصدر وهذا قول لا نكثة فيه أي لا خلف وكل شيء نقض بعد الفتل فهو انكاث حبلاً كان أو غزلاً والحبل منتكث أي منتقض ومنه سموا من تابع الإمام طائعاً ثم خرج عليه ناكثاً لأنه نقض ما وكد على نفسه بالأيمان والعهود كفعل الناكثة غزلها والدخل ما أدخل في الشيء على فساد وقيل الدخل الدغل والخديعة وإنما قيل الدخل لأن داخل القلب على ترك الوفاء والظاهر على الوفاء قال أبو عبيدة كل أمر لم يكن صحيحاً فهو دخل وكل ما دخله عيب فهو مدخول وأربى أفعل من الربا وهو الزيادة ومنه الربوة والربا في المال وأربى فلان للزيادة التي تريدها على عزيمة في رأس ماله قال الشاعر :

وَأَسْمَرَ خَطِّيٍّ كَأَنَّ كُعُوبَهُ نَوَى القَسْبِ قَدْ أُرْبِىَ ذِراعاً عَلَى الْعَشْرِ[١]

[**الإعراب**] انكاثاً منصوب لأنه في معنى المصدر دخلاً بينكم منصوب لأنه مفعول له والمعنى تتخذون إيمانكم للدخل والغش وقوله ﴿ **ان تكون أمة** ﴾ على تقدير بأن تكون أمة وهي أربى موضع أربى رفع مبتدأ وخبر وكلاهما في محل النصب بأنه خبر كان وقال الفراء ان موضع أربى نصب وهي عماد وهذا لا يجوز لأن الفصل الذي يسميه الكوفيون عماداً لا يدخل بين النكرة وخبره وقد أخطأ أيضاً بأن شبه ذلك بقوله ﴿ **تجدوه عند الله هو خيراً** ﴾ فإن الهاء في تجدوه معرفة وهاهنا أمة نكرة فلا يشبه ذلك ويجوز أن تكون الجملة صفة لأمة ولا يحتاج تكون إلى خبر لأنه بمعنى يحدث ويقع وأمة فاعله وتقديره كراهة أن تكون فهو مفعول له ولئلا يكون عند الكوفيين .

[**المعنى**] لمّا تقدَّم ذكر الأمر بالعدل والاحسان والنهي عن المنكر والعدوان عقَّبه سبحانه بالأمر بالوفاء بالعهد والنهي عن نقض الأيمان فقال ﴿ **وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم** ﴾ قال ابن عباس الوعد من العهد وقال المفسرون العهد الذي يجب الوفاء به والوعد هو الذي يحسن فعله وعاهد الله ليفعلنه فإنه يصير واجباً عليه ﴿ **ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها** ﴾ هذا نهي منه سبحانه عن نكث الأيمان وهو أن ينقضها بمخالفة موجبها وارتكاب ما يخالف عقدها وقوله ﴿ **بعد توكيدها** ﴾ أي بعد عقدها وإبرامها وتوثيقها باسم الله تعالى وقيل بعد تشديدها وتغليظها بالعزم والعقد على اليمين بخلاف لغو اليمين عن أبي مسلم ﴿ **وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً** ﴾ أي حسيباً فيما عاهدتموه عليه وقيل كفيلاً بالوفاء وذلك أن من حلف بالله فكأنه أكفل الله بالوفاء بما حلف وقيل أنه قولهم الله علي كفيل أو وكيل وقيل أراد به أن الكفيل بالشيء يكون حفيظاً له والإنسان إنما يؤكد الأمر على نفسه بذكر اسم الله تعالى على جهة اليمين ليحفظ سبحانه ذلك الأمر ﴿ **إن الله يعلم ما تفعلون** ﴾ من نقض العهد والوفاء به فإياكم أن تلقوه وقد نقضتم وهذه الآية نزلت في الذين بايعوا النبي ﷺ على الإسلام فقال سبحانه للمسلمين الذين بايعوه لا يحملنكم قلة المسلمين وكثرة المشركين على نقض البيعة فإن الله حافظكم أي اثبتوا على ما عاهدتم عليه الرسول وأكدتموه بالأيمان وقيل نزلت في قوم خالفوا قوماً فجاءهم قوم وقالوا نحن أكثر منهم وأعز وأقوى فانقضوا ذلك العهد وخالفونا

(١) البيت منسوب إلى حاتم الطائي والطي : الرمح المنسوب إلى الخط وهو موضع باليمامة والقسم : نوع من التمر اليابس ونواه أصلب النوى وفي بعض الكتب « أرمى » بالميم وأرمى وأربى لغتان . يصف الشاعر رمحاً وشبه كعوبه بنوى القسب .

﴿ ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة ﴾ أي لا تكونوا كالامرأة التي غزلت ثم نقضت غزلها من بعد امرار وفتل للغزل وهي امرأة حمقاء من قريش كانت تغزل مع جواريها إلى انتصاف النهار ثم تأمرهن أن ينقضن ما غزلن ولا يزال ذلك دأبها واسمها ريطة بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة وكانت تسمى خرقاء مكّة عن الكلبي وقيل أنه مثل ضربه الله تعالى شبَّه فيه حال ناقض العهد بمن كان كذلك ﴿ انكاثاً ﴾ جمع نكث وهو الغزل من الصوف والشعر يبرم ثم ينكث وينقض ليغزل ثانية ﴿ تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم ﴾ أي دخلاً وخيانة ومكراً وذلك أنهم كانوا يخلفون في عهودهم ويضمرون الخيانة وكان الناس يسكنون إلى عهدهم ثم ينقضون العهد فقد اتخذوا ايمانهم مكراً وخيانة ﴿ ان تكون أمة هي أربى من أمة ﴾ أي لا تنقضوا العهد بسبب أن يكون قوم أكثر من قوم وأمة أعلى من أمة ولأجل ذلك وتقديره ولا تنكثوا ايمانكم متخذيها دغلاً وغدراً وخديعة لمداراتكم قوماً هم أكثر عدداً ممن حلفتم له ولقلتكم وكثرتهم بل عليكم الوفاء بما حلفتم والحفظ لما عاهدتم عليه ﴿ إنما يبلوكم الله به ﴾ أي إنما يختبركم الله بالأمر بالوفاء والهاء في به عائدة على الأمر وتحقيقه أنه يعاملكم معاملة المختبر ليقع الجزاء بحسب العمل ﴿ وليبينن ﴾ أي وليفصلن ﴿ لكم يوم القيامة ما كنتم فيه ﴾ أي في صحته ﴿ تختلفون ﴾ وليظهرن لكم حكمه حتى يعرف الحق من الباطل ﴿ ولو شاء لجعلكم أمة واحدة ﴾ أي لجعلكم مهتدين يعني به مشيئة القدرة كما قال ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ﴿ ولكن يضل من يشاء ﴾ بالخذلان أو بالحكم عليه بالضلال ﴿ ويهدي من يشاء ﴾ بالتوفيق وبالحكم عليه بالهداية وقد ذكرنا معاني الضلال والهدى في سورة البقرة ﴿ ولتسئلن ما كنتم تعملون ﴾ من الطاعات والمعاصي فستجازون على كل منهما بقدرة ﴿ ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم ﴾ نهى سبحانه عن الحلف على أمر يكون باطنه بخلاف ظاهره فيضمر خلاف ما يظهر أي يضمر الخلف والحنث فيه ﴿ فتزل قدم بعد ثبوتها ﴾ هذا مثل ضربه الله تعالى ومعناه فتضلوا عن الرشد بعد أن تكونوا على هدى يقال زل قدم فلان في أمر كذا إذا عدل عن الصواب وقيل معناه فيسخط الله عليكم بعد رضاه عنكم لأن ثبات القدم تكون برضاء الله سبحانه وزلة القدم تكون بسخطه وقيل أنها نزلت في الذين بايعوا رسول الله ﷺ على نصرة الإسلام وأهله فنهوا عن نقض ذلك ﴿ وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ﴾ أي تذوقوا العذاب بما منعتم الناس عن اتباع دين الله ﴿ولكم﴾ مع ذلك ﴿عذاب عظيم﴾ يريد عذاب الآخرة وروي عن سلمان الفارسي « ره » أنه قال تهلك هذه الأمة بنقض مواثيقها وروي عن أبي عبد الله (ع) أنه قال نزلت هذه الآيات في ولاية علي (ع) وما كان من قول رسول الله ﷺ سَلِّموا على

عليّ ٍ بأمرة المؤمنين .

[**النظم**] وجه اتصال قوله ﴿ **ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة** ﴾ الآية بما قبله أنه أخبر في الآية المتقدمة أنه يبين لهم في الآخرة الحق من الباطل والمحق من المبطل بيان ضرورة فأخبر عقيب ذلك أنه يقدر على ذلك أيضاً في الدنيا ولكنه لم يفعل ذلك ليستحق الناس الثواب بأعمالهم .

﴿ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر وابن كثير وعاصم ولنجزين بالنون والباقون بالياء وروى عياش عن أبي عمرو بالنون أيضاً .

[**الحجة**] حجة الياء وما عند الله باق والنون في المعنى مثل الياء .

[**اللغة**] النفاد الفناء ونفد الشيء ينفد نفاداً إذا فني وأنفد القوم إذا فني زادهم ونافدت الرجل مثل حاكمته ومعناه يرجع إلى أن كل واحد من الخصمين يريد نفاد حجة الآخر ومنه الحديث أن نافدتهم نافدوك ومن الناس من يرويه بالقاف والمعنى أن قلت قالوا لك والباقي هو الموجود المستمر وجوده وقيل الموجود عن وجود من غير فصل وضدّه الفاني وهو المعدوم

بعـد الوجـود واختلف المتكلمون في البـاقي فقال البلخي أنـه يبقى بمعنى هو بقـاء وقـال الأكثرون لا يحتاج إلى معنى به يبقى والبقاء هـو استمرار الـوجود والاستعـاذة طلب المعاذ استفعال من العوذ والعياذ والله سبحانه معاذ من عاذ به وقـال النبي ﷺ للمرأة التي قـالت له أعوذ بالله منك لقد عـذت بمعاذ فالحقي بأهلك وأصل السلطان من التسلط وهو القهر وإنما سميت الحجة سلطاناً لأن الخصم به يقهر وقيل اشتق من السليط وهو دهن الزيت وسميت الحجة سلطاناً لاضاءتها وفي الحديث عن ابن عباس أرأيت علياً وكأن عينيه سراجاً سليط .

[**الإعراب**] ما عند الله اسم أن وهو فصل وخير وخبره وما عندكم مبتدأ وينفـد خبره وكذلك ما عند الله بـاق وإنما قـال ولنجزينهم بلفظ الجمـع لأن لفظ من يقع على الـواحد والجمع فردّ الضمير على المعنى .

[**النزول**] قال ابن عباس ان رجلاً من حضرموت يقال له عبدان الأشرع قال يا رسول الله إن امـرأ القيس الكندي جـاورني في أرضي فاقتـطع من أرضي فذهب بهـا مني والقوم يعلمون أني لصادق ولكنه أكرم عليهم مني فسأل رسول الله ﷺ امرأ القيس عنه فقال لا أدري ما يقول فأمره أن يحلف فقال عبدان أنه فاجر لا يبالي أن يحلف فقال إن لم يكن لك شهود فخذ بيمينه فلما قام ليحلف انظره فانصرفا فنزل قوله ﴿ **ولا تشتروا بعهد الله** ﴾ الآيتان فلما قرأهما رسول الله ﷺ قال امرؤ القيس أما ما عندي فيفذ وهو صادق فيما يقول لقد اقتطعت أرضه ولم أدر كم هي فليأخذ من أرضي ما شاء ومثلها معها بما أكلت من ثمـرها فنـزل فيه ﴿ **ومن عمل صالحاً** ﴾ الآية .

[**المعنى**] لمّا تقدَّم النهي عن نقض العهد أكد سبحانه فقال ﴿ **ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً** ﴾ أي لا تخالفوا عهد الله بسبب شيء يسير تنالونه من حطام الدنيا فتكونوا قد بعتم عظيم ما عند الله بالشيء الحقير ﴿ **إن ما عند الله هو خير لكم** ﴾ معناه إن الذي عند الله من الثواب على الوفاء بالعهود خير لكم وأشرف مما تأخذونه من عرض الدنيا على نقضهـا فإن القليل الذي يبقى خير من الكثير الذي يفنى فكيف بالكثير الذي يبقى في مقابلة القليل الذي يفنى ﴿ **إن كنتم تعملون** ﴾ الفرق بين الخير والشر والتفاوت الذي بين القليل الفاني والكثير الباقي ﴿ **ما عندكم ينفد وما عند الله باق** ﴾ بيَّن سبحانه بهذا أن العلة التي لأجلها كان الثواب خيراً من متاع الدنيا هو أن الثواب الذي عند الله يبقى والذي عندكم من نعيم الدنيا يفنى ثم أخبر سبحانه أنه يجزي الصابرين فقال ﴿ **ولنجزين الذين صبروا** ﴾ أي لنكافئن الذين ثبتوا على الطاعات وعلى الوفاء بالعهود ﴿ **أجرهم** ﴾ وثوابهم ﴿ **بأحسن ما كـانوا يعملون** ﴾ أي

بالطاعات من الواجبات والمندوبات فإن أفعال المكلف قد تكون طاعة وقد تكون مباحاً لا يقع الجزاء عليه ولا يُستحق عليه أجر ولا حمد فلذلك قال سبحانه بأحسن فإن الطاعة أحسن من المباح وهذا يدل على فساد قول من يقول أنه لا يكون حسن أحسن من حسن ﴿ **من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن** ﴾ هذا وعد من الله سبحانه أي من عمل عملاً صالحاً سواء كان ذكراً أو أنثى وهو مع ذلك مؤمن مصدق بتوحيد الله مقرٌّ بصدق أنبيائه ﴿ **فلنحيينه حياة طيبة** ﴾ قيل فيه أقوال (أحدها) أن الحياة الطيبة الرزق الحلال عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء (وثانيها) أنها القناعة والرضا بما قسم الله عن الحسن ووهب وروي ذلك عن النبي ﷺ (وثالثها) أنها الجنة عن قتادة ومجاهد وابن زيد قال الحسن لا يطيب لأحد حياة إلا في الجنة وقال ابن زيد ألا ترى إلى قوله يا ليتني قدمت لحياتي (ورابعها) أنها رزق يوم بيوم (وخامسها) أنها حياة طيبة في القبر ﴿ **ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾ مرَّ تفسيره وإنما كرَّره تأكيداً ﴿ **فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم** ﴾ معناه إذا أردت يا محمد قراءة القرآن فاستعذ بالله من شر الشيطان المرجوم المطرود الملعون وهذا كما يقال إذا أكلت فاغسل يديك وإذا صليت فكبّر ومنه إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم والاستعاذة استدفاع الادنى بالأعلى على وجه الخضوع والتذلل وتأويله استعذ بالله من وسوسة الشيطان عند قراءتك لتسلم في التلاوة من الزلل وفي التأويل من الخطل والاستعاذة عند التلاوة مستحبة غير واجبة بلا خلاف في الصلاة وخارج الصلاة وقد تقدَّم ذكر اختلاف القراء في لفظ الاستعاذة في أول الفاتحة ﴿ **انه** ﴾ يعني الشيطان ﴿ **ليس له سلطان** ﴾ أي تسلط وقدرة ﴿ **على الذين آمنوا** ﴾ بالله ﴿ **وعلى ربهم يتوكلون** ﴾ والمعنى أنه لا يقدر على أن يكرههم على الكفر والمعاصي وقيل معناه ليس له حجة على ما يدعوهم إليه من المعاصي عن قتادة ﴿ **إنما سلطانه على الذين يتولونه** ﴾ معناه إنما تسلطه على الذين يطيعونه فيقبلون دعاءه ويتبعون اغواءه ﴿ **والذين هم به** ﴾ أي بسبب طاعته ﴿ **مشركون** ﴾ بالله وقيل معناه والذين هم بالله مشركون أي يشركون مع الله سبحانه غيره في العبادة عن مجاهد .

[**النظم**] اتصل قوله ﴿ **فإذا قرأت القرآن** ﴾ الآيات بما قدَّمه سبحانه من الأمر بالطاعات فعقَّب ذلك بالاستعاذة من الشيطان الآمر بالمعاصي تحذيراً منه وإنما خصَّ بالقرآن لأن القرآن هو العمدة في جميع أمور الدين وقيل اتصل بقوله ﴿ **وأنزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء** ﴾ ثم اعترض ذكر الأوامر والنواهي ثم عاد الكلام إلى ذكر القرآن والأمر بالاستعاذة عند قراءته .

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً
مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ
بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ
نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ
أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ
ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ
ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾

[**القراءة**] قرأ يَلْحَدون بفتح الياء والحاء أهل الكوفة غير عاصم والباقون يُلحِدون بضم الياء وكسر الحاء وروي في الشواذ عن الحسن اللسان الذي يلحدون إليه بالألف واللام .

[**الحجة**] حجة من قرأ يُلْحِدون قوله ومن يرد فيه بإلحاد ومن قرأ يَلْحَدون فلأن لحد لغة في أَلْحَد وذلك إذا مال ومنه أخذ اللحد لأنه في جانب القبر ويكون الضم أرجح من حيث لغة التنزيل .

[**اللغة**] التبديل في اللغة رفع الشيء مع وضع غيره مكانه يقال بدله وأبدله واستبدل به بمعنى واللسان العضو المعروف ويقال للغة اللسان وتقول العرب للقصيدة هذه لسان فلان قال الشاعر :

لِسَانَ السُّوءِ تَهْدِيهَا إِلَيْنَا   وَحِنْتَ وَمَا حَسِبْتُكَ أَنْ تَحِينَا(١)

[**المعنى**] ثم قال سبحانه مخبراً عن أحوال الكفار ﴿ **وإذا بدلنا آية مكان آية** ﴾ معناه .

(١) أي ضللت وما ظننتك أن تضلّ .

وإذا نسخنا آية وآتينا مكانها آية أخرى إما نسخ الحكم والتلاوة وإما نسخ الحكم مع بقاء التلاوة ﴿ **والله أعلم بما ينزل** ﴾ معناه والله أعلم بمصالح ما ينزل فينزل كل وقت ما توجبه المصلحة وقد تختلف المصالح باختلاف الأوقات كما تختلف باختلاف الأجناس والصفات ﴿ **قالوا إنما أنت مفتر** ﴾ أي قال المشركون إنما أنت كاذب على الله قال ابن عباس كانوا يقولون يسخر محمد بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر وغداً يأمرهم بأمر وانه لكاذب يأتيهم بما يقول من عند نفسه ﴿ **بل أكثرهم لا يعلمون** ﴾ أي لا يعلمون أنه من عند الله أو لا يعلمون جواز النسخ ولأي سبب ورد النسخ ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **نزله روح القدس** ﴾ أي أنزل الناسخ جبرائيل (ع) ﴿ **من ربك بالحق** ﴾ أي بالأمر الحق الصحيح الثابت ﴿ **ليثبت الذين آمنوا** ﴾ بما فيه من الحجج والآيات فيزدادوا تصديقاً ويقيناً ومعنى تثبيته استدعاؤه لهم بألطافه ومعونته إلى الثبات على الإيمان والطاعة ﴿ **وهدى** ﴾ أي وهو هدى فيكون هدى خبر مبتدأ محذوف ﴿ **وبشرى للمسلمين** ﴾ أي بشارة لهم بالجنة والثواب ﴿ **ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر** ﴾ يقول سبحانه أنا نعلم أن الكفار يقولون ان القرآن ليس من عند الله وإنما يعلم النبي ﷺ بشر قال ابن عباس قالت قريش إنما يعلمه بلعام وكان قينا بمكة رومياً نصرانياً وقال الضحاك أراد به سلمان الفارسي (ره) قالوا أنه يتعلم القصص منه وقال مجاهد وقتادة أرادوا به عبداً لبني الحضرمي رومياً يقال له يعيش أو عائش صاحب كتاب أسلم وحسن أسلامه وقال عبد الله بن مسلم كان غلامان في الجاهلية نصرانيان من أهل عين التمر اسم أحدهما يسار واسم الآخر خير كانا صيقلين يقرآن كتاباً لهما بلسانهم وكان رسول الله ﷺ ربما مرَّ بهما واستمع لقراءتهما فقالوا إنما يتعلم منهما ثم ألزمهم الله تعالى الحجة وأكذبهم بأن قال ﴿ **لسان الذي يلحدون إليه أعجمي** ﴾ أي لغة الذي يضيفون إليه التعليم ويميلون إليه القول أعجمية ولم يقل عجمي لأن العجمي هو المنسوب إلى العجم وإن كان فصيحاً والأعجمي هو الذي لا يفصح وإن كان عربياً ألا ترى أن سيبويه كان عجمياً وإن كان لسانه لسان اللغة العربية وقيل يلحدون إليه يرمون إليه ويزعمون أنه يعلمك أي لسان هذا البشر الذي يزعمون أنه يعلمك أعجمي لا يفصح ولا يتكلم بالعربية فكيف يتعلم منه ما هو في أعلى طبقات البيان ﴿ **وهذا** ﴾ القرآن ﴿ **لسان عربي مبين** ﴾ أي ظاهر بيّن لا يشكك يعني إذا كانت العرب تعجز عن الاتيان بمثله وهو بلغتهم فكيف يأتي الأعجمي بمثله قال الزجاج وصفه بأنه عربي أي صاحبه يتكلم بالعربية ثم اتبع سبحانه هذه الآية بذكر الوعيد للكفار على ما قالوه فقال ﴿ **إن الذين لا يؤمنون بآيات الله** ﴾ أي بحجج الله التي أظهرها والمعجزات التي صدق بها قومك يا محمد ﴿ **لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم** ﴾ أي لا يثبتهم الله على الإيمان أو لا

يهديهم إلى طريق الجنة بدلالة أنه إنما نفى هداية من لا يؤمن فالظاهر أنه أراد بذلك الهدى الذي يكون ثواباً على الإيمان لا الهداية التي في قوله ﴿ فأما ثمود فهديناهم ﴾ ثم بيَّن سبحانه أن هؤلاء هم المفترون فقال ﴿ إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ﴾ أي إنما يخترع الكذب الذين لا يصدّقون بدلائل الله تعالى دون من آمن بها لأن الإيمان يحجز عن الكذب ﴿ وأولئك هم الكاذبون ﴾ لا أنت يا محمد فحصر فيهم الكذب بمعنى أن الكذب لازم لهم وعادة من عاداتهم وهذا كما تقول كذبت وأنت كاذب فيكون قولك أنت كاذب زيادة في الوصف بالكذب وفي الآية زجر عن الكذب حيث أخبر سبحانه أنه إنما يفتري الكذب مَن لا يؤمن وقد روي مرفوعاً أنه قيل يا رسول الله المؤمن يزني قال قد يكون ذلك قيل يا رسول الله المؤمن يسرق قال قد يكون ذلك قيل يا رسول الله المؤمن يكذب قال لا ثم قرأ هذه الآية .

[النظم] قيل في اتصال قوله ﴿ وإذا بدلنا آية مكان آية ﴾ بما تقدَّم وجهان (أحدهما) أنه من تمام صفة أولياء الشيطان المذكورين في قوله﴿على الذين يتولونه﴾وتقديره يتولون الشيطان ويشركون بالآية المنزلة ويقولون عند تبديل الآية مكان الآية الأخرى ﴿ إنما أنت مفتر ﴾ (والآخر) أن الآية منقطعة عما قبلها وهي معطوفة على الآي المتقدمة التي فيها وصف أفعال الكافرين والأول أوجه .

﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ
بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ
ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ
ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾
ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ

إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر فتنوا بفتح الفاء والتاء والباقون فُتِنوا بضم الفاء وكسر التاء .

[**الحجة**] قال أبو علي حجة من قرأ فُتِنوا أن الآية في المستضعفين المقيمين الذين كانوا بمكة وهم صهيب وعمار وبلال فُتنوا وحُملوا على الارتداد عن دينهم فمنهم من أعطى التقية وعمار منهم فإنه ممن أظهر ذلك تقية ثم هاجـر ومن قرأ فَتَنـوا فيكون على معنى فتن نفسه بإظهار ما أظهر من التقية فكأنه يحكي الحال التي كانوا عليها من إظهار ما أخذوا به من التقية لأن الرخصة فيه لم تكن نزلت بعد وهي قوله ﴿ **إن الـذين توفـاهم الملائكـة ظالمي أنفسهم** ﴾ إلى قوله ﴿ **إلا المستضعفين** ﴾ وقوله ﴿ **من كفر بالله من بعد إيمانـه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان** ﴾ .

[**الإعـراب**] قال الـزجاج قـوله ﴿ **من كفـر بالله** ﴾ في مـوضع رفـع على البـدل من الكاذبين وهو تفسير للكاذبين ولا يجوز أن يكون رفعاً بالابتداء لأنه لا خبر هاهنا للابتداء فإن قوله ﴿ **من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان** ﴾ ليس بكلام تام وقوله ﴿ **فعليهم غضب من الله** ﴾ خبر قوله ﴿ **من شرح بالكفر صدراً** ﴾ وقال الكـوفيون من كفـر شرط وجوابه يدل عليه جواب من شرح فكأنه قيل من كفر فعليه غضب من الله وهذا كقوله من يأتنا فمن يحسن نكرمه فجواب الأول محذوف وقوله ﴿ **انهم في الآخرة هم الخاسرون** ﴾ يجوز أن يكون في موضع رفع على أن يكون قوله لا مـن لا جـرم رداً للكلام والمعنى وجب أنهم ويجوز أن يكون في موضع نصب على أن يكون المعنى جرم فعلهم هـذا أنهم الخاسرون وتكون لا مزيدة ويجوز أن يكون معناه لا بد أنهم فيكون على حذف الجار أي لا بدّ من ذلك ثم أن ربك خبر أن قوله ﴿ **غفور رحيم** ﴾ وهذا من باب ما جاء في التنزيل ان فيه مكرراً وكذلك الآية التي تأتي بعد ثم ﴿ **ان ربك للذين عملوا السوء** ﴾ الآية .

[**النزول**] قيل نزل قوله ﴿ **إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان** ﴾ في جماعة اكـرهوا وهم عمار وياسر أبوه وأمه سمية وصهيب وبلال وخباب عذبوا وقتل أبو عمار وأمه وأعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا منه ثم أخبر سبحانه بذلك رسول الله ﷺ فقال قوم كفر عمار فقال ﷺ كلا أن عماراً مليء إيماناً من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمـان بلحمه ودمـه وجاء عمـار إلى رسول الله ﷺ وهو يبكي فقال ﷺ ما وراءك فقال شرٌ يا رسول الله ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير فجعل رسول الله ﷺ يمسح عينيه ويقول ان عادوا لك فعد لهم بما قلت

فنزلت الآية عن ابن عباس وقتادة وقيل نزلت في أناس من أهل مكة آمنوا وخرجوا يـريدون المدينة فأدركهم قريش وفتنوهم فتكلموا بكلمـة الكفر كـارهين عن مجاهـد وقيل أن يـاسراً وسمية أبوي عمار أول شهيدين في الإسلام وقوله ﴿ **من كفر بالله ومن شرح بالكفر صدراً** ﴾ وهـو عبد الله بن سعـد بن أبي سرح من بني عـامر بن لؤي وأمـا قولـه ﴿ **ثم ان ربك للذين هاجروا** ﴾ الآية فقيل انها نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخي أبي جهل من الرضـاعة وأبي جندل بن سهيل بن عمرو والوليد بن المغيرة وغيرهم من أهل مكة فتنهم المشركون فأعطوهم بعض ما أرادوا ثم أنهم هاجروا بعد ذلك وجاهدوا فنزلت الآية فيهم .

[**المعنى**] ﴿ **من كفـر بالله من بعـد إيمانـه** ﴾ اختلف في تقديـره فقيـل ان تقـديـره وتلخيص معناه من كفر بالله بأن يرتد عن الإسلام وشرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ﴿ **إلا من أكره** ﴾ فتكلم بكلمة الكفـر على وجه التقيـة مكرهـا ﴿ **وقلبه مطمئن** ﴾ أي ساكن ﴿ **بالإيمان** ﴾ ثابت عليه فلا حرج عليه في ذلك وقيل أنه يتصل بما تقدَّم فمعناه إنما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه ثم استثنى من ذلك من أكره على ذلك وكان مطمئن القلب إلى الإيمان في باطنه فإنه بخلافه ﴿ **ولكن من شرح بالكفر صدراً** ﴾ أي من اتسع قلبه للكفر وطابت نفسه به ﴿ **فعليهم غضب من الله** ﴾ وله العذاب في الآخرة ثم أشار سبحانه إلى العذاب العظيم فقال ﴿ **ذلك بأنه استحبوا** ﴾ أي آثروا ﴿ **الحياة الـدنيا** ﴾ والتلذذ فيها والركون إليها ﴿ **على الآخرة** ﴾ عنى بذلك أنهم فعلوا ما فعلوه للدنيا طلباً لهـا دون طلب الآخرة ﴿ **وإن الله لا يهدي القوم الكافرين** ﴾ قد سبق معناه ﴿ **أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم** ﴾ قد سبق معنى الطبع القلوب والسمـع والأبصار في سـورة البقرة ﴿ **وأولئـك هم الغافلون** ﴾ وصفهم بعمـوم الغفلة مع أن الخـواطـر تـزعجهم لجهلهم عما يؤدّي إليه حالهم في الآخرة وقيل أراد أنهم بمنزلة الغافلين فيكون تهجينا لهم وذماً ثم قال ﴿ **لا جرم أنه في الآخرة هم الخاسرون** ﴾ هذا تأكيد لحكم الخسار عليهم يعني أنهم هم المغبونون إذ حرموا الجنة ;ونعيمها وعذبوا في النار ﴿ **ثم أن ربك للذين هاجـروا من بعدما فتنوا** ﴾ أي عذبوا في الله وارتدوا على الكفر فأعطوهم بعد مـا أرادوا ليسلموا من شـرّهم ﴿ **ثم جاهـدوا** ﴾ مع النبي ﷺ ﴿ **وصبـروا** ﴾ على الدين والجهـاد ﴿ **إن ربك من بعدها** ﴾ أي من بعد تلك الفتنة أو تلك الفعلة التي فعلوها من التفوه بكلمة الكفر ﴿ **لغفور رحيم** ﴾ .

[**النظم**] واتصلت هذه الآية الأخيرة بقوله ﴿ **إلا من أُكره وقلبه مـطمئن بالإيمـان** ﴾

فبيَّن سبحانه حالهم بعدما تخلصوا من المشركين وهاجروا وجاهدوا عن أبي مسلم وقيل أنه لما تقدَّم ذكر الخاسرين اتبعه سبحانه بذكر من ربحت صفقته وهو من هاجر وجاهد .

﴿ * يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ
تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١١١)
وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا
رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ
ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ (١١٢) وَلَقَدْ جَآءَهُمْ
رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ (١١٣)
فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ
إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٤) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ
وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ
فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١٥)

[**القراءة**] قرأ عباس بن الفضل عن أبي عمرو والخوف بالنصب والباقون بالجر وفي الشواذ قراءة الأعرج وابن يعمر وابن إسحاق وعمرو بن نعيم بن ميسرة لما تصف ألسنتكم الكذب بالجر وقراءة مسلم بن محارب الكُذُب .

[**الحجة**] من قرأ والخوف بالنصب فإنه حمله على الاذاقة والخوف لا يذاق على الحقيقة فحمله على اللباس أولى وقوله والكذب بالجر يكون على البدل من ما تصف وأما الكُذُب فهو وصف الألسنة وهو جمع كاذب أو كذوب .

[**اللغة**] الأنعم جمع نعمة فهو مثل شدة وأشد وقيل أن واحدها نعم فهو كغصن

وأغصن وقيل واحدها نعماء فيكون كبأساء وأبؤس وقوله ﴿ **أذاقها الله** ﴾ استعارة تقول العرب اركب هذا الفرس وذقه أي اختبره قال الشماخ :

فَذاقَ فَأَعْطَتْهُ مِنَ اللِّينِ جَانِباً كَفىٰ وَلَها أَنْ يُغْرِقَ السَّهْمَ حَاجِزُ(١)

يصف قوساً وقال الآخر:

وإنّ اللهَ ذاقَ حُلُومَ قَيْسٍ فَلَمّا رآءَ خِفَّتَها قَلاها(٢)

[**الإعراب**] يوم تأتي منصوب على أحد شيئين أما على معنى أن ربك لغفور رحيم يوم تأتي وأما أن يكون على معنى العظة والتذكير أي اذكر يوم تأتي عن الزجاج .

[**المعنى**] ﴿ **يوم تأتي كل نفس** ﴾ أراد به يوم القيامة ﴿ **تجادل عن نفسها** ﴾ أي تخاصم الملائكة عن نفسها وتحتج بما ليس فيه حجة وتقول والله ربنا ما كنا مشركين ويقول اتباعهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار ويحتمل أن يكون المراد أنها تحتج عن نفسها بما تقدر به إزالة العقاب عنها ﴿ **وتوفى كل نفس ما عملت** ﴾ أي جزاء ما عملت من خير وشر ﴿ **وهم لا يظلمون** ﴾ في ذلك ﴿ **وضرب الله مثلاً قرية** ﴾ أي مثل قرية ﴿ **كانت آمنة** ﴾ أي ذات أمن يأمن فيها أهلها لا يغار عليهم ﴿ **مطمئنة** ﴾ قارة ساكنة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال عنها بخوف أو ضيق ﴿ **يأتيها رزقها رغداً من كل مكان** ﴾ أي يحمل إليها الرزق الواسع من كل موضع ومن كل بلد كما قال سبحانه يجبى إليه ثمرات كل شيء ﴿ **فكفرت بأنعم الله** ﴾ أي فكفر أهل تلك القرية بأنعم الله ولم يؤدوا شكرها ﴿ **فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون** ﴾ أي فأخذهم الله بالجوع والخوف بصنيعهم وسوء فعالهم وسمى أثر الجوع والخوف لباساً لأن أثر الجوع والهزال يظهر على الإنسان كما يظهر اللباس وقيل لأنهم شملهم الجوع والخوف كما يشمل اللباس والبدن وقيل أن هذه القرية هي مكة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة عذبهم الله بالجوع سبع سنين حتى أكلوا القد والعلهز وهو الوبر يخلط بالدم والقراد ثم يؤكل وهم مع ذلك خائفون وجلون من النبي ﷺ وأصحابه يغيرون عليهم قوافلهم وذلك حين دعا النبي ﷺ عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعل عليهم سنين كسني يوسف وقيل أنها قرية كانت قبل نبينا ﷺ بعث الله إليهم نبياً

(١) أغرق السهم : بالغ في نزعه وقوله « حاجز » . أي لها حاجز يمنع من اغراق أي فيها لين وشدة وفي المنقول عن الاساس « لها ولها أن يغرق اه » . وفي اللسان « أن يغرق النبل » .

(٢) راء لغة في رأى .

فكفروا بذلك النبي وقتلوه فعذَّبهم الله بعذاب الاستئصال ﴿ **ولقد جاءهم رسول منهم** ﴾ يعني أهل مكة بعث الله عليهم رسولاً من صميمهم ليتبعوه لا من غيرهم ﴿ **فكذبوه** ﴾ وجحدوا نبوته ﴿ **فأخذهم العذاب وهم ظالمون** ﴾ أي في حال كونهم ظالمين وعذابهم ما حل بهم من الجوع والخوف المذكورين في الآية المتقدمة وما نالهم يوم بدر وغيره من القتل ومن قال أن المراد بالقرية غير مكة قال هذه صورة القرية المذكورة ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال ﴿ **فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيبا** ﴾ صيغته صيغة الأمر والمراد به الإباحة أي كلوا مما أعطاكم الله من الغنائم وأحلها لكم ﴿ **واشكروا نعمة الله** ﴾ فيما خلقه لكم وأحله لكم ﴿ **إن كنتم إياه تعبدون** ﴾ وهذه الآية مع التي بعدها مفسرة في سورة البقرة(1) .

﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾

[**الإعراب**] متاع قليل خبر مبتدأ محذوف وتقديره متاعهم بهذا الذي فعلوه متاع قليل وتم الكلام عند قوله ﴿ **لا يفلحون** ﴾ .

[**المعنى**] لمّا تقدَّم ذكر ما أحلَّه الله سبحانه لهم وحرَّمه عليهم عقَّبه سبحانه بالنهي عن مخالفة أوامره ونواهيه في التحليل والتحريم فقال ﴿ **ولا تقولوا لما تصف ألستكم الكذب** ﴾ وتقديره لوصف ألستكم الكذب ﴿ **هذا حلال وهذا حرام** ﴾ أي لا تقولوا لما

(1) راجع الجزء الأول من هذه الطبعة .

حللتموه بأنفسكم مثل الميتة هذا حلال ولما حرمتموه مثل السائبة هذا حرام ﴿ **لتفتروا على الله الكذب** ﴾ أي لتكذبوا على الله في إضافة التحريم إليه ﴿ **إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون** ﴾ أي لا ينجون من عذاب الله ولا ينالون خيراً ﴿ **متاع قليل** ﴾ معناه الذين هم فيه من الدنيا بشيء قليل ينتفعون به أياما قلائل ﴿ **ولهم عذاب أليم** ﴾ في الآخرة ﴿ **وعلى الذين هادوا** ﴾ يعني اليهود ﴿ **حرمنا ما قصصنا عليك من قبل** ﴾ يعني بذلك ما ذكره في سورة الانعام من قوله ﴿ **وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر** ﴾ الآية عن الحسن وقتادة وعكرمة وعنى بقوله من قبل نزول هذه الآية لأن ما في سورة الانعام نزل قبل هذه الآية ﴿ **وما ظلمناهم** ﴾ بتحريم ذلك عليهم ﴿ **ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** ﴾ بالعصيان والكفر بنعم الله تعالى والجحود بأنبيائه واستحقوا بذلك تحريم هذه الأشياء عليهم لتغيير المصلحة عند كفرهم وعصيانهم ثم ذكر سبحانه التائبين بعد تقدم الوعد والوعيد فقال ﴿ **ثم ان ربك** ﴾ الذي خلقك يا محمد ﴿ **للذين عملوا السوء** ﴾ أي المعصية ﴿ **بجهالة** ﴾ أي بداعي الجهل فإنه يدعو إلى القبيح كما أن داعي العلم يدعو إلى الحسن وقيل بجهالة السيئات أو بجهالتهم للعاقبة وقيل بجهالة أنها سوء وقيل الجهالة هو أن يعجل بالاقدام عليها ويعد نفسه التوبة عنها ﴿ **ثم تابوا** ﴾ عن تلك المعصية ﴿ **من بعد ذلك وأصلحوا** ﴾ نياتهم وأفعالهم ﴿ **إن ربك من بعدها** ﴾ أي من بعد التوبة أو الجهالة أو المعصية ﴿ **لغفور رحيم** ﴾ وأعاد قوله ان ربك للتأكيد وليعود الضمير في قوله من بعدها إلى الفعلة .

[**النظم**] إنما إتصل قوله ﴿**وعلى الذين هادوا**﴾ ﴿**حرمنا ما قصصنا عليك**﴾بما تقدم ذكره من التحريم والتحليل ليبين أن ما كانوا يحرّمونه ويحلّلونه بزعمهم ليس في التوراة كما أنه ليس ذلك في القرآن وقيل ليبين أنه إذا لم يحرم على اليهود جميع الطيبات بعصيانهم فكيف يحرم على المسلمين ذلك .

﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ
كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا
لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى
ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ

إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾
إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ
بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾

[المعنى] ﴿ **إن إبراهيم كان أمة** ﴾ إختلف في معناه فقيل قدوة ومعلماً للخير قال ابن الأعرابي يقال للرجل العالم أمة وهو قول أكثر المفسرين وقيل أراد إمام هدى عن قتادة وقيل سمّاه أمة لأن قوام الأمة كان به وقيل لأنه قام بعمل أمته وقيل لأنه إنفرد في دهره بالتوحيد فكان مؤمناً وحده والناس كفاراً عن مجاهد ﴿ **قانتا لله** ﴾ أي مطيعاً له دائماً على عبادته عن ابن مسعود وقيل مصلياً عن الحسن ﴿ **حنيفاً** ﴾ أي مستقيماً على الطاعة وطريق الحق وهو الإسلام ﴿ **ولم يك من المشركين** ﴾ بل كان موحداً ﴿ **شاكراً لأنعمه** ﴾ أي لأنعم الله معترفاً بها ﴿ **اجتباه** ﴾ الله أي إختاره الله واصطفاه ﴿ **وهداه إلى صراط مستقيم** ﴾ أي دلّه إلى الدين المستقيم وهو الإسلام والتوحيد ﴿ **وآتيناه** ﴾ أي أعطيناه ﴿ **في الدنيا حسنة** ﴾ أي نعمة سابغة في نفسه وفي أولاده وهو قول هذه الأمة كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وقيل هي النبوة والرسالة عن الحسن وقيل هي أنه ليس من أهل دين إلا وهو يرضاه ويتولاه عن قتادة وقيل هي تنويه الله بذكره بطاعته لربه ومسارعته إلى مرضاته حتى صار إماماً يقتدى به ويهتدى بهداه وقيل هي إجابة الله دعوته حتى أكرم بالنبوة ذريته ﴿ **وأنه في الآخرة لمن الصالحين** ﴾ ولم يقل لفي أعلى منازل الصالحين مع اقتضاء حاله ذلك ترغيباً في الصلاح فإنه عزَّ اسمه بيَّن أنه (ع) من جملة الصالحين مع علو رتبته وشرف منزلته تشريفاً لهم وتنويهاً بذكر من هو منهم وناهيك بهذا الترغيب في الصلاح وبهذا المدح لإبراهيم (ع) أن يشرف جملة هو منها حتى يصير الاستدعاء إليها بأنه فيها ﴿ **ثم أوحينا إليك** ﴾ يا محمد ﴿ **إن اتبع ملة إبراهيم** ﴾ أي أمرناك بإتباع ملة إبراهيم ﴿ **حنيفاً** ﴾ أي مستقيم الطريقة في الدعاء إلى توحيد الله وخلع الأنداد له وفي العمل بسنته ﴿ **وما كان** ﴾ إبراهيم ﴿ **من المشركين** ﴾ ومتى قيل أن نبينا كان أفضل منه فكيف أمر الفاضل بإتباع المفضول فجوابه أن إبراهيم (ع) سبق إلى إتباع الحق ولا يكون في سبق المفضول إلى متابعة الحق زراية على الفاضل في إتباعه ﴿ **إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه** ﴾ معناه إنما جعل السبت لعنة ومسخاً على الذين اختلفوا فيه وحرموه ثم استحلّوه فلعنهم الله ومسخهم عن الحسن ويجوز أن يكون اختلافهم فيه أنهم نهوا عن الصيد فيه فنصبوا الشباك يوم الجمعة ودخل فيه السمك يوم السبت وأخذوه يوم الأحد

وقيل معناه إنما فرض تعظيم السبت على الذين اختلفوا في أمر الجمعة وهم اليهود وكانوا قد أمروا بتعظيم الجمعة فعدلوا عما أمروا به عن مجاهد وابن زيد وقيل إن الذين إختلفوا فيه هم اليهود والنصارى قال بعضهم السبت أعظم الأيام لأن الله سبحانه فرغ فيه من خلق الأشياء وقال الآخرون بل الأحد أعظم لأنه ابتدأ بخلق الأشياء فيه فهذا اختلافهم ﴿ **وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون** ﴾ من أمور دينهم ويفصل بين المحق والمبطل منهم .

[**النظم**] وجه اتصال الآية الأخيرة بما قبلها أنه لما أمر سبحانه بإتباع الحق حذر من الإختلاف فيه بما ذكر من أحوال المختلفين في السبت كيف شدد عليهم فرضه وضيق عليهم أمره وقيل أنه سبحانه ردّ على اليهود والنصارى دعوتهم أن إبراهيم كان منهم ثم ردَّ عليهم في هذه الآية ما أوجبوه من تعظيم أمر السبت وأنه لا يجوز نسخه كما ردَّ عليهم ذلك عن أبي مسلم .

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير وحده في ضِيق بكسر الضاد وكذلك في النمل والباقون بفتح الضاد .

[**الحجة**] قال الزجاج من فتح أراد ضَيِّقٍ فخفف مثل سيد وهين ولين ويجوز أن يكون

بمعنى الضيق فيكون مصدراً قال أبو الحسن الضَيق والضِيق لغتان في المصدر قال أبو علي ينبغي أن يحمل على أنه مصدر لأنك إذا حملته على أنه مخفف من ضيّق فقد أقمت الصفة مقام الموصوف من غير ضرورة والمعنى لا تكن في ضيق أي لا يضيق صدرك من مكرهم كما قال وضائق به صدرك وليس المراد لا تكن في أمر ضيق قال أبو عبيدة الضِيق بالكسر في المعاش والمسكن والضَيق بالفتح في القلب وقال علي بن عيسى يقال في صدري ضيق من هذا الأمر بالفتح وهو أكثر من الكسر .

[**المعنى**] ثم أمر سبحانه نبيَّه بالدعاء إلى الحق فقال ﴿ **إدع إلى سبيل ربك** ﴾ أي أدع إلى دينه لأنه الطريق إلى مرضاته ﴿ **بالحكمة** ﴾ أي بالقرآن وسمي القرآن حكمة لأنه يتضمن الأمر بالحسن والنهي عن القبيح وأصل الحكمة المنع ومنه حكمة اللجام وإنما قيل لها حكمة لأنها بمنزلة المانع من الفساد وما لا ينبغي أن يختار وقيل أن الحكمة هي المعرفة بمراتب الأفعال في الحسن والقبح والصلاح والفساد لأن بمعرفة ذلك يقع المنع من الفساد والاستعمال للصدق والصواب في الأفعال والأقوال ﴿ **والموعظة الحسنة** ﴾ معناه الوعظ الحسن وهو الصرف عن القبيح على وجه الترغيب في تركه والتزهيد في فعله وفي ذلك تليين القلوب بما يوجب الخشوع وقيل أنَّ الحكمة هي النبوة والموعظة الحسنة مواعظ القرآن عن ابن عباس ﴿**وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾ أي ناظرهم بالقرآن وبأحسن ما عندك من الحجج وتقديره بالكلمة التي هي أحسن والمعنى اقتل المشركين واصرفهم عما هم عليه من الشرك بالرفق والسكينة ولين الجانب في النصيحة ليكونوا أقرب إلى الإجابة فإن الجدل هو قتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج وقيل هو أن يجادلهم على قدر ما يحتملونه كما جاء في الحديث أمرنا معاشر الأنبياء أن نكلّم الناس على قدر عقولهم﴿**إن ربك هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله**﴾أي عن دينه ﴿ **وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ أي القابلين للهدى وهو يأمرك في الفريقين بما فيه الصلاح ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به** ﴾ معناه وإن أردتم معاقبة غيركم على وجه المجازاة والمكافأة فعاقبوا بقدر ما عوقبتم به ولا تزيدوا عليه وقالوا إن المشركين لما مثلوا بقتلى أحد وبحمزة بن عبدالمطلب فشقوا بطنه وأخذت هند بنت عتبة كبده فجعلت تلوكه وجدعوا أنفه وأُذنه وقطعوا مذاكيره قال المسلمون لئن أمكنا الله منهم لنمثلن بالأحياء فضلاً عن الأموات فنزلت الآية عن الشعبي وقتادة وعطا بن يسار وقيل إن الآية عامة في كل ظلم كغصب أو نحوه فإنما يجازى بمثل ما عمل عن مجاهد وابن سيرين وإبراهيم وقال الحسن نزلت الآية قبل أن يؤمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقتال المشركين على العموم وأمر بقتال من قاتله ونظيره قوله ﴿ **فإن قاتلوكم فاقتلوهم** ﴾ ﴿ **ولئن صبرتم** ﴾ أي تركتم المكافأة والقصاص وجرعتم

مرارته ﴿ **لهو خير للصابرين** ﴾ معناه الصبر خير وأنفع للصابرين لما فيه من جزيل الثواب ﴿ **واصبر** ﴾ يا محمد فيما تبلغه من الرسالة وفيما تلقاه من الأذى وقيل معناه إصبر على ما يجب الصبر عليه وعما يجب الصبر عنه ﴿ **وما صبرك إلا بالله** ﴾ أي وليس صبرك إلا بتوفيق الله وأقداره وتيسيره وترغيبه فيه ﴿ **ولا تحزن عليهم** ﴾ أي ولا تحزن على المشركين في أعراضهم عنك فإنه يكون الظفر والنصرة لك عليهم ولا عتب عليك في أعراضهم فقد بلغت ما أمرت به وقضيت ما عليك وقيل معناه ولا تحزن على قتلى أحد فإن الله تعالى قد نقلهم إلى ثوابه وكرامته ﴿ **ولا تك في ضيق مما يمكرون** ﴾ أي ولا يكن صدرك في ضيق من مكرهم بك وبأصحابك فإن الله سبحانه يردّ كيدهم في نحورهم ويحفظكم من شرورهم ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا** ﴾ الشرك والفواحش والكبائر بالنصرة والحفظ والكلاءة ﴿ **و** ﴾ مع ﴿ **الذين هم محسنون** ﴾ قال الحسن اتقوا ما حرَّم عليهم وأُحسنوا فيما فرض عليهم .

(١٧) سُورَةُ الإِسْرَاءِ مَكِّيَّةٌ
وَآيَاتُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ وَمِائَةٌ

هي مكية كلها وقيل مكية إلا خمس آيات ﴿ **ولا تقتلوا النفس** ﴾ الآية ﴿ **ولا تقربوا الزنى** ﴾ الآية ﴿ **اولئك الذين يدعون** ﴾ الآية ﴿ **أقم الصلاة** ﴾ الآية ﴿ **وآت ذا القربى حقه** ﴾ الآية عن الحسن وقيل مكية إلا ثماني آيات ﴿**وإن كادوا ليفتنونك** ﴾ إلى قوله ﴿ **وقل رب أدخلني مدخل صدق** ﴾ الآية عن قتادة والمعدل عن ابن عباس .

[**عدد آيها**] مائة وإحدى عشرة آية كوفي وعشر آيات في الباقين .

[**اختلافها**] آية للأذقان سجداً كوفي .

[**فضلها**] أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال من قرأ سورة بني إسرائيل فرَّق قلبه عند ذكر الوالدين أعطي في الجنة قنطارين من الأجر والقنطار ألف أوقية ومائتا أوقية والأوقية منها خير من الدنيا وما فيها وروى الحسن بن أبي العلاء عن الصادق (ع) أنه قال من قرأ سورة بني إسرائيل في كل ليلة جمعة لم يمت حتى يدرك القائم ويكون من أصحابه .

[**تفسيرها**] ختم الله تعالى سورة النحل بذكر النبى صلى الله عليه وآله وسلم وافتتح سورة بني إسرائيل أيضاً بذكره وبيان إسرائه إلى المسجد الأقصى فقال :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ

ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾

[**القراءة**] قرأ أبو عمرو وحده ألا يتخذوا بالياء والباقون بالتاء .

[**الحجة**] من قرأ بالياء فلأن ما تقدَّمه على لفظ الغيبة والمعنى هديناهم لأن لا يتخذوا ومن قرأ بالتاء فللإنصراف من الغيبة إلى الخطاب كما في قوله ﴿ **الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين** ﴾ ثم قال ﴿ **إياك نعبد** ﴾ والضمير في ألا تتخذوا وإن كان على لفظ الخطاب فإنما يعني به الغيب في المعنى .

[**الإعراب**] سبحان منصوب على المصدر على معنى اسبح لله تسبيحاً قال أبو علي من زعم أن ألا تتخذوا على إضمار القول فكأنه يراد قال أن لا تتخذوا لم يكن قوله هذا مستقيماً وذلك لأن القول لا يخلو من أن يكون بعده جملة تحكى أو معنى جملة يعمل فيه لفظ القول فالأول كقوله قال زيد عمرو منطلق فموضع الجملة نصب بالقول والآخر نحو أن يقول القائل لا إلّه إلا الله فتقول قلت حقاً أن يقول الثلج حار فتقول قلت باطلاً فهذا معنى ما قاله وليس نفس المقول وقوله ﴿ **أن لا تتخذوا** ﴾ خارج من هذين الوجهين ألا ترى أن لا تتخذوا ليس هو القول كما أن قولك حقاً إذا سمعت كلمة الإخلاص بمعنى القول وليس قوله أن لا تتخذوا الجملة فيكون كقولك قال زيد عمرو منطلق ويجوز أن تكون أن بمعنى أي التي للتفسير وانصرف الكلام في الغيبة إلى الخطاب كما إنصرف منها إلى الخطاب في قوله ﴿ **وانطلق الملأ منهم أن امشوا في الأمر** ﴾ فكذلك إنصرف في الغيبة إلى الخطاب في النهي في أن لا تتخذوا وكذلك قوله ﴿ **إن اعبدوا الله ربي وربكم** ﴾ في وقوع الأمر بعد الخطاب ويجوز أن يضمر القول ويحمل يتخذوا على القول المضمر إذا جعلت أن زائدة فيكون التقدير وجعلناه هدى لبني إسرائيل وقلنا لا تتخذوا فيجوز إذاً في قوله ألا تتخذوا ثلاثة أوجه (أحدها) أن تكون أن الناصبة للفعل فيكون المعنى وجعلناه هدى كراهة أن يتخذوا من دوني وكيلاً أو لأن لا يتخذوا (والآخر) أن يكون بمعنى أي لأنه بعد كلام تام فيكون التقدير أي لا تتخذوا (والثالث) أن تكون أن زائدة ويضمر القول فأما قوله ﴿ **ذرية من حملنا** ﴾ فإنه يجوز أن يكون مفعول الإتخاذ لأنه فعل يتعدى إلى مفعولين وأفرد الوكيل وهو في معنى

الجمع لأن فعيلاً يكون مفرداً للفظ والمعنى على الجمع نحو قوله ﴿ وحسن أُولئك رفيقاً ﴾ فإذا حمل على هذا كان مفعولاً ثانياً في قراءة من قرأ بالتاء والياء ويجوز أن يكون نداء وذلك على قراءة من قرأ بالتاء لأن النداء للخطاب ولو رفع ذرية على البدل من الضمير المرفوع في أن لا تتخذوا كان جائزاً ويكون التقدير ألا تتخذوا ذرية من حملنا مع نوح من دوني وكيلاً ولو جعلته مجرداً بدلاً من قولك بني إسرائيل جاز وكان التقدير وجعلناه هدى لذرية من حملنا مع نوح .

[النزول] قيل نزلت الآية في أسرائه وكان ذلك بمكة صلى المغرب في المسجد الحرام ثم أسري به في ليلته ثم رجع فصلى الصبح في المسجد الحرام فأما الموضع الذي أسري إليه أين كان فإن الإسراء إلى بيت المقدس وقد نطق به القرآن ولا يدفعه مسلم وما قاله بعضهم ان ذلك كان في النوم فظاهر البطلان إذ لا معجز يكون فيه ولا برهان وقد وردت روايات كثيرة في قصة المعراج في عروج نبينا صلى الله عليه وآله وسلم إلى السماء ورواه كثير من الصحابة مثل ابن عباس وابن مسعود وأنس وجابر بن عبد الله وحذيفة وعائشة وأم هاني وغيرهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وزاد بعضهم ونقص بعض وتنقسم جملتها إلى أربعة أوجه (أحدها) ما يقطع على صحته لتواتر الأخبار به وإحاطة العلم بصحته (وثانيها) ما ورد في ذلك مما تجوِّزه العقول ولا تأباه الأصول فنحن نجوزه ثم نقطع على أن ذلك كان في يقظته دون منامه (وثالثها) ما يكون ظاهره مخالفاً لبعض الأصول إلا أنه يمكن تأويلها على وجه يوافق المعقول فالأولى أن نأوِّله على ما يطابق الحق والدليل (ورابعها) ما لا يصح ظاهره ولا يمكن تأويله إلا على التعسف البعيد فالأولى أن لا نقبله فأما الأول المقطوع به فهو أنَّه أُسري به على الجملة وأما الثاني فمنه ما روي أنه طاف في السماوات ورأى الأنبياء والعرش والسدرة المنتهى والجنة والنار ونحو ذلك وأما الثالث فنحو ما روي أنه رأى قوماً في الجنة يتنعمون فيها وقوماً في النار يعذّبون فيها فيحمل على أنه رأى صفتهم أو أسماءهم ﴿ وأما ﴾ الرابع فنحو ما روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم كلَّم الله سبحانه جهرة ورآه وقعد معه على سريره ونحو ذلك مما يوجب ظاهره التشبيه والله سبحانه يتقدس عن ذلك وكذلك ما روي أنه شقَّ بطنه وغسله لأنه صلى الله عليه وآله وسلم كان طاهراً مطهّراً من كل سوء وعيب وكيف يطهر القلب وما فيه من الإعتقاد بالماء فمن جملة الأخبار الواردة في قصة المعراج ما روي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال أتاني جبرائيل (ع) وأنا بمكة فقال قم يا محمد فقمت معه وخرجت إلى الباب فإذا جبرائيل ومعه ميكائيل وإسرافيل فأتى جبرائيل (ع) بالبراق وكان فوق الحمار ودون البغل خدّه كخدّ الإنسان وذنبه كذنب البقر وعرفه كعرف الفرس

وقوائمه كقوائم الإبل عليه رحل من الجنة وله جناحان من فخذيه خطوه منتهى طرفه فقال إركب فركبت ومضيت حتى انتهيت إلى بيت المقدس ثم ساق الحديث إلى أن قال فلما انتهيت إلى بيت المقدس إذا ملائكة نزلت من السماء بالبشارة والكرامة من عند رب العزة وصليت في بيت المقدس وفي بعضها بشَّر لي إبراهيم في رهط من الأنبياء ثم وصف موسى وعيسى ثم أخذ جبرائيل (ع) بيدي إلى الصخرة فأقعدني عليها فإذا معراج إلى السماء لم أر مثلها حسناً وجمالاً فصعدت إلى السماء الدنيا ورأيت عجائبها وملكوتها وملائكتها يسلّمون عليَّ ثم صعد بي جبرائيل إلى السماء الثانية فرأيت فيها عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فرأيت فيها يوسف ثم صعد بي إلى السماء الرابعة فرأيت فيها إدريس ثم صعد به إلى السماء الخامسة فرأيت فيها هارون ثم صعد بي إلى السماء السادسة فإذا فيها خلق كثير يموج بعضهم في بعض وفيها الكروبيون ثم صعد بي إلى السابعة فأبصرت فيها خلقاً وملائكة وفي حديث أبي هريرة رأيت في السماء السادسة موسى ورأيت في السماء السابعة إبراهيم (ع) قال ثم جاوزناها متصاعدين إلى أعلى عليين ووصف ذلك إلى أن قال ثم كلَّمني ربي وكلمته ورأيت الجنة والنار ورأيت العرش وسدرة المنتهى ثم رجعت إلى مكة فلما أصبحت حدثت به بالناس فكذَّبني أبو جهل والمشركون وقال مطعم بن عدي أتزعم أنك سرت مسيرة شهرين في ساعة أشهد أنك كاذب قالوا ثم قالت قريش أخبرنا عما رأيت فقال مررت بعير بني فلان وقد أضلوا بعيراً لهم وهم في طلبه وفي رحلهم قعب[1] مملوء من ماء فشربت الماء ثم غطيته كما كان فسألوهم هل وجدوا الماء في القدح قالوا هذه آية واحدة قال ومررت بعير بني فلان فنفرت بكرة فلان فانكسرت يدها فسألوهم عن ذلك فقالوا هذه آية أخرى قالوا فأخبرنا عن عيرنا قال مررت بها بالتنعيم وبيَّن لهم إجمالها وهيئاتها وقال تقدَّمها جمل أورق عليه قرارتان محيطتان ويطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا هذه آية أخرى ثم خرجوا يشتدون نحو التيه وهم يقولون لقد قضى محمد بيننا وبينه قضاء بيِّناً وجلسوا ينتظرون متى تطلع الشمس فيكذبوه فقال قائل والله إن الشمس قد طلعت وقال آخر والله هذه الإبل قد طلعت يقدمها بعير أورق فبهتوا ولم يؤمنوا وفي تفسير العياشي بالإسناد عن أبي بكر عن أبي عبد الله (ع) قال لما أسري برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى السماء الدنيا لم يمر بأحد من الملائكة إلا استبشر قال ثم مرَّ بملك حزين كئيب فلم يستبشر به فقال يا جبرائيل ما مررت بأحد من الملائكة إلا استبشر بي إلا هذا الملك فمن هذا فقال هذا مالك خازن جهنم

(١) القعب : القدح الضخم الغليظ .

وهكذا جعله الله قال فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم يا جبرائيل اسأله أن يرينيها قال فقال جبرائيل (ع) يا مالك هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد شكـا إليَّ فقال ما مررت بأحد من الملائكة إلا استبشر بي إلا هـذا فأخبـرته أن هكـذا جعله الله وقد سألني أن اسألك أن تريه جهنم قال فكشف له عن طبق من أطباقها قال فما رئي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضاحكاً حتى قبض وعن أبي بصير قال سمعته يقول إن جبـرائيل إحتمـل رسول الله حتى انتهى بـه إلى مكان من السمـاء ثم تركـه وقال لـه ما وطـأ نبي قط مكانك .

[المعنى] ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده** ﴾ سبحان كلمة تنزيه وإبراء لله عزَّ إسمه عما لا يليق به من الصفات وقد يراد به التعجيب يعني سبحان الذي سيّر عبده محمداً ﷺ وهو عجيب من قـدرة الله تعالـى وتعجيب ممن لـم يقـدر الله حق قـدره وأشرك بـه غيره وسرى بالليل وأسرى بمعنى وقد عدَّي هنا بالبـاء والوجـه في التأويـل أنه إذا كـان مشاهـدة العجب سبباً للتسبيح صار التسبيح تعجباً فقيل سبح أي عجب ﴿ **ليلاً** ﴾ قالوا كان ذلك الليل قبل الهجرة بسنة ﴿ **من المسجد الحرام** ﴾ وقال أكثر المفسرين أسري برسول الله صلى الله عليـه وآلـه وسلم من دار أم هـاني أخت علي بن أبي طـالب وزوجهـا هبيـرة بن أبي وهب المخزومي وكان ﷺ نائماً تلك الليلة في بيتها وان المراد بالمسجد الحرام هنا مكة ومكة والحرم كلها مسجد وقال الحسن وقتادة كان الإسراء من نفس المسجد الحرام ﴿ **إلى المسجد الأقصى** ﴾ يعني بيت المقدس وإنما قال الأقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام ﴿ **الذي باركنا حوله** ﴾ أي جعلنا البركـة فيما حـوله من الأشجـار والأثمار والنبـات والأمن والخصب حتى لا يحتاجوا إلى أن يجلب إليهم من موضع آخر وقيل باركنا حوله أي البركة فيما حوله بأن جعلناه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة عن مجاهد وبذلك صار مقدساً عن الشرك لأنه لما صار متعبداً للأنبياء ودار مقام لهم تفرق المشركون عنهم فصار مطهراً من الشرك والتقديس التطهير فقد إجتمع فيه بركات الدين والدنيا ﴿ **لنريه من آياتنـا** ﴾ أي من عجائب حججنا ومنها اسراؤه في ليلة واحدة من مكة إلى هناك ومنها أن أراه الأنبياء واحداً بعد واحد وإن عرج به إلى السماء وغير ذلك من العجائب التي أخبر بها الناس ﴿ **أنه هـو السميع** ﴾ لأقوال من صدَّق بذلك أو كذَّب ﴿ **البصير** ﴾ بما فعل من الإسراء والمعراج ﴿ **وآتينا موسى الكتاب** ﴾ يعني التوراة ﴿ **وجعلناه هدى لبني إسرائيل** ﴾ أي وجعلنا التوراة حجة ودلالة وبياناً وإرشاداً لبني إسرائيل يهتدون به ﴿ **ألا تتخذوا من دوني وكيلاً** ﴾ أي أمرهـم أن لا يتخذوا من دوني معتمداً يرجعون إليه في النوائب وقيل ربا يتوكلون عليه ﴿ **ذرية من حملنا مع نوح** ﴾

أي أولاد من حملنا مع نوح في السفينة فأنجيناه من الطوفان وقد ذكرنا وجوه ذلك في الإعراب وعلى هذا يدور المعنى ﴿ أنه كان عبداً شكوراً ﴾ معناه أن نوحاً كان عبداً لله كثير الشكر وكان إذا لبس ثوباً أو أكل طعاماً أو شرب ماء حمد الله وشكر له وقال الحمد لله وقيل أنه كان يقول في ابتداء الأكل والشرب بسم الله وفي انتهائه الحمد لله وروي عن أبي عبد الله (ع) وأبي جعفر (ع) أن نوحاً كان إذا أصبح وأمسى قال اللهم إني أشهدك إن ما أصبح أو أمسى بي من نعمة في دين أو دنيا فمنك وحدك لا شريك لك لك الحمد ولك الشكر بها عليَّ حتى ترضى وبعد الرضى وهذا كان شكره .

[النظم] وجه اتصال قوله ﴿وآتينا موسى الكتاب﴾ بما قبله ان المعنى فيه سبحان الذي أسرى بمحمد ﷺ وأراه الآيات كلها كما أرى موسى الآيات والمعجزات الباهرات وقيل ان معناه ان كونك نبياً ليس ببدع فقد آتيناك الكتاب والحجج كما آتينا موسى التوراة فلم أقروا به وأنكروا أمرك والطريق فيهما واحد وقيل ان معناه انهم كفروا بموسى كما كفروا بما أخبرتهم به من اسرائك .

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ
بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ
عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى
بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ
رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ
أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ
فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ
أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾

[**القراءة**] ليسوءَ بفتح الهمزة شامي كوفي غير حفص إلا أن الكسائي يقرأ بالنون والباقون ليسؤوا بالياء وضم الهمزة على وزن ليسوعوا وفي الشواذ قراءة ابن عباس لتُفسدن بضم التاء وفتح السين وعيسى الثقفي لتَفسُدن بفتح التاء وضم السين وقراءة علي (ع) عبيداً لنا وقراءة أبي السماك فحاسوا بالحاء وقراءة أبي بن كعب ليسؤاً بالتنوين .

[**الحجة**] من قرأ ليسوء بالياء ففاعل ليسوء يجوز أن يكون احد شيئين إمّا اسم الله تعالى لأن الذي تقدم بعثنا ورددنا لكم وأمددناكم بأموال وبنين وإمّا البعث ودلَّ عليه بعثنا المتقدم كقوله ﴿**لا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم**﴾ أي البخل خيراً لهم ومن قرأ لنسوء بالنون كان في المعنى كقول من قدر ان الفاعل ما تقدَّم من اسم الله تعالى وجاز ان ينسب المساءة إلى الله تعالى وان كانت من الذين جاسوا خلال الديار في الحقيقة لأنهم فعلوا المساءة بقوة الله تعالى فجاز أن ينسب إليه وأما قوله ليسوؤا فمعناه إذا جاء وعد الآخرة أي وعد المرة الأخرى من قوله لتفسدن في الأرض مرتين بعثناهم ليسوؤا وجوهكم فحذف بعثناهم لأن ذكره قد تقدم والحجة في ليسوؤا انه اشبه بما قبله وما بعده ألا ترى ان قبله ثم بعثناهم وبعده ليدخلوا المسجد الحرام والمبعوثون في الحقيقة هم الذين يسوؤنهم بقتلهم إياهم وأسرهم لهم فهو وفق المعنى وقال وجوهكم على أن الوجوه مفعول به ليسوء وعدّي إلى الوجوه لأن الوجوه قد يراد به ذو الوجوه كقوله ﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه** ﴾ وقوله ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة ووجوه يومئذ مسفرة** ﴾ ضاحكة مستبشرة وقال النابغة :

أَقَارِعُ عَوْفٍ لا أُحَاوِلُ غَيْرَهَا   وُجُوهُ قُرودٍ تَبْتَغي مَنْ تُجَادِعُ[١]

وأما قراءة أبي ليسوءاً فالوجه فيه على قول ابن جني أن يكون على حذف الفاء كما يقال إذا سألتني فلأعطِكَ كأنك تأمر نفسك ومعناه فلأعطينك واللامان بعده للأمر أيضاً وهما وليدخلوا المسجد وليتبروا ويقوي ذلك انه لم يأت لإذا جواب فيما بعد واما من قرأ لتُفسدن ولتَفسُدن فاحدى القراءتين شاهدة للأخرى لأن من أفسد فقد فسد وأما حاسوا فمعناه معنى جلسوا بعينه .

[**اللغة**] القضاء فصل الأمر على إحكام ومنه سمي القاضي ثم يستعمل بمعنى الخلق والاحداث كما قال فقضاهن سبع سماوات وبمعنى الإيجاب كما قال وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبمعنى الإعلام والإخبار بما يكون من الأمر وهو المعني هاهنا وأصله الإحكام والعلو

(١) جادعه مجادعة : شاتمه وشاره كأن كل واحد منها جدع أنف صاحبه .

الارتفاع وعلا فلان الشيء إذا أطاقه ويقال علا في المكارم يعلى علا فهو علي وعلا في المكان يعلو علواً فهو عال والجوس التخلل في الديار يقال تركت فلاناً يجوس بني فلان ويجوسهم ويدوسهم أي يطأهم قال أبو عبيد كل موضع خالطته ووطئته فقد حسته وجسته قال حسان

وَمِنّا الَّذي لاقىٰ بِسَيْفِ مُحَمَّدٍ فَجَاسَ بِهِ الأَعْداء عَرْضَ الْعَسَاكِرِ[1]

وقيل الجوس طلب الشيء باستقصاء والكرة معناه الرجعة والدولة والنفير العدد من الرجال قال الزجاج ويجوز أن يكون جمع نفر كما قيل العبيد والضئين والمعيز والكليب ونفر الإنسان ونفره ونفيره ونافرته رهطه الذين ينصرونه وينفرون معه والتتبير الإهلاك والتبار والهلاك والدمار واحد وكل ما يكسر من الحديد والذهب تبر والحصير الحبس ويقال للملك حصير لأنه محجوب قال لبيد

وقَمَاقِمُ غُلْبُ الرِّقَابِ كَأَنَّهُمْ جِنٌّ لَدىٰ بَابِ الحَصِيرِ قِيَامُ[2]

والحصير البساط المرمول لحصر بعضه على بعض بذلك الضرب من النسج .

[**المعنى**] لمّا تقدم أمره سبحانه لبني إسرائيل عقَّب ذلك بذكر ما كان منهم وما جرى عليهم فقال **﴿وقضينا إلى بني إسرائيل﴾** أي أخبرناهم وأعلمناهم **﴿في الكتاب﴾** أي في التوراة **﴿لتفسدن في الأرض مرتين﴾** أي حقاً لا شك فيه أن خلافكم سيفسدون في البلاد التي تسكنونها كرتين وهي بيت المقدس وأراد بالفساد الظلم وأخذ المال وقتل الأنبياء وسفك الدماء وقيل كان فسادهم الأول قتل زكريا والثاني قتل يحيى بن زكريا عن ابن عباس وابن مسعود وابن زيد قالوا ثم سلَّط الله عليهم سابور ذا الاكتاف ملكاً من ملوك فارس في قتل زكريا وسلط عليهم في قتل يحيى بخت نصر وهو رجل خرج من بابل وقيل الفساد الأول قتل شعيا والثاني قتل يحيى وان زكريا مات حتف أنفه عن محمد بن إسحاق قال وأتاهم في الأول بخت نصر وفي الثاني ملك من ملوك بابل وقيل كان الأول جالوت فقتله داود (ع) والثاني بخت نصر عن قتادة وقيل أنه سبحانه ذكر فسادهم في الأرض ولم يبين ما هو فلا يقطع على شيء مما ذكر عن أبي علي الجبائي **﴿ولتعلن علواً كبيراً﴾** أي ولتستكبرن ولتظلمن الناس

(١) العرض: الجيش الضخم .

(٢) القماقم من الرجال: السيد الكثير الخير، وغلب جمع أغلب: الغليظ الرقبة وهم يصفون أبداً السادة بغلظ الرقبة وطولها .

ظلماً عظيماً والعلو نظير العتو هنا وهو الجرأة على الله تعالى والتعرض لسخطه ﴿**فإذا جاء وعد أولاهما**﴾ معناه فإذا جاء وقت أولى المرتين اللتين تفسدون فيهما والوعد هنا بمعنى الموعود ووضع المصدر موضع المفعول به أي إذا جاء وقت الموعود لإفسادكم في المرة الأولى ﴿**بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد**﴾ أي سلّطنا عليكم عباداً لنا أولي شوكة وقوة ونجدة وخلّينا بينكم وبينهم خاذلين لكم جزاءاً على كفركم وعتوكم وهو مثل قوله ﴿**أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً**﴾ عن الحسن وقيل معناه أمرنا قوماً مؤمنين بقتالكم وجهادكم لأن ظاهر قوله تعالى عباداً لنا وقوله بعثنا يقتضي ذلك عن الجبائي وقيل يجوز أن يكونوا مؤمنين أمرهم الله بجهاد هؤلاء ويجوز أن يكونوا كافرين فتألفهم نبي من الأنبياء لحرب هؤلاء وسلّطهم على نظرائهم من الكفار والفساق عن أبي مسلم ﴿**فجاسوا خلال الديار**﴾ أي فطافوا وسط الديار يترددون وينظرون هل بقي منهم أحد لم يقتلوه عن الزجاج ﴿**وكان وعداً مفعولاً**﴾ أي موعوداً كائناً لا خلف فيه ﴿**ثم رددنا لكم الكرة عليهم**﴾ أي رددنا لكم يا بني إسرائيل الدولة وأظهرناكم عليهم وعاد ملككم على ما كان عليه ﴿**وأمددناكم بأموال وبنين**﴾ أي وأكثرنا لكم أموالكم وأولادكم ورددنا لكم العدة والقوة ﴿**وجعلناكم أكثر نفيراً**﴾ أي أكثر عدداً وأنصاراً من أعدائكم ﴿**إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم**﴾ معناه ان أحسنتم في أقوالكم وأفعالكم فنفع احسانكم عائد عليكم وثوابه واصل إليكم تنصرون على أعدائكم في الدنيا وتثابون في العقبى ﴿**وإن أسأتم فلها**﴾ معناه وان أسأتم فقد أسأتم إلى أنفسكم أيضاً لأن مضرة الاساءة عائدة إليها وإنما قال فلها على وجه التقابل لأنه في مقابلة قوله ﴿**إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم**﴾ كما يقال أحسن إلى نفسه ليقابل أساء إلى نفسه ولأن معنى قولك أنت منتهى الإساءة وأنت المختص بالإساءة متقارب فلذلك وضع اللام موضع إلى وقيل ان قوله فلها بمعنى فعليها كقوله تعالى لهم اللعنة أي عليهم اللعنة وقيل معناه فلها الجزاء والعقاب وإذا أمكن حمل الكلام على الظاهر فالأولى أن لا يعدل عنه وهذا الخطاب لبني إسرائيل ليكون الكلام جارياً على النسق والنظام ويجوز أن يكون خطاباً لأمة نبينا ﷺ فيكون اعتراضاً بين القصة كما يفعل الخطيب والواعظ يحكي شيئاً ثم يعظ ثم يعود إلى الحكاية فكأنه لما بيّن ان بني إسرائيل لما علوا وبغوا في الأرض سلّط عليهم قوماً ثم لما تابوا قبل توبتهم وأظفرهم على عدوهم خاطب أمتنا بأن من أحسن عاد نفع احسانه إليه ومن أساء عاد ضرره إليه ترغيباً وترهيباً ﴿ **فإذا جاء وعد الآخرة** ﴾ أي وعد المرة الأخرى من قوله ﴿**لتفسدن في الأرض مرتين**﴾ والمراد به جاء وعد الجزاء على الفساد في الأرض في

المرة الأخيرة أو جاء وعد فسادكم في الأرض في المرة الأخيرة أي الوقت الذي يكون فيه ما أخبر الله عنكم من الفساد والعدوان على العباد **﴿ليسوؤوا وجوهكم﴾** أي غزاكم اعداؤكم وغلبوكم ودخلوا دياركم ليسؤكم بالقتل والأسر يقال سئته اسوءة مساءة ومسائية وسوائية إذا أحزنته وقيل معناه ليسؤا كبراءكم ورؤساءكم وفي مساءة الأكابر واهانتهم مساءة الأصاغر **﴿وليدخلوا المسجد﴾** أي بيت المقدس ونواحيه فكنّى بالمسجد وهو المسجد الأقصى عن البلد كما كنّى بالمسجد الحرام عن الحرم ومعناه وليستولوا على البلد لأنه لا يمكنهم دخول المسجد إلا بعد الاستيلاء **﴿كما دخلوه أول مرة﴾** دلَّ بهذا على أن في المرة الأولى قد دخلوا المسجد أيضاً وإن لم يذكر ذلك ومعناه وليدخل هؤلاء المسجد كما دخله أولئك أول مرة **﴿وليتبروا ما علوا تتبيراً﴾** أي وليدمّروا ويهلكوا ما غلبوا عليه من بلادكم تدميراً ويجوز أن يكو ن ما مع الفعل بتأويل المصدر والمضاف محذوف أي ليتبروا مدة علوهم **﴿عسى ربكم﴾** يا بني إسرائيل **﴿أن يرحمكم﴾** بعد انتقامه منكم ان تبتم ورجعتم إلى طاعته **﴿وإن عدتم عدنا﴾** معناه وإن عدتم إلى الفساد عدنا بكم إلى العقاب لكم والتسليط عليكم كما فعلناه فيما مضى عن ابن عباس قال انهم عادوا بعد الأولى والثانية فسلَّط الله عليهم المؤمنين يقتلونهم ويأخذون منهم الجزية إلى يوم القيامة **﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً﴾** أي سجنا ومحبساً عن ابن عباس .

[**القصة**] اختلف المفسرون في القصة عن هاتين الكرتين اختلافاً شديداً فالأولى ان نورد من جملتها ما هو الأهم على سبيل الإيجاز قالوا لما عتا بنو إسرائيل في المرة الأولى سلّط الله عليهم ملك فارس وقيل بختنصر وقيل ملكاً من ملوك بابل فخرج إليهم وحاصرهم وفتح بيت المقدس وقيل ان بخت نصر ملك بابل بعد سنحاريب وكان من جيش نمرود وكان لزانية لا أب له فظهر على بيت المقدس وخرب المسجد وأحرق التوراة وألقى الجيف في المسجد وقتل على دم يحيى سبعين الفاً وسبى ذراريهم وأغار عليهم وأخرج أموالهم وسبى سبعين الفاً وذهب بهم إلى بابل فبقوا في يده مائة سنة يستعبدهم المجوس وأولادهم ثم تفضل الله عليهم بالرحمة فأمر ملكاً من ملوك فارس عارفاً بالله سبحانه وتعالى فردَّهم إلى بيت المقدس فأقاموا به مائة سنة على الطريق المستقيم والطاعة والعبادة ثم عادوا إلى الفساد والمعاصي فجاءهم ملك من ملوك الروم اسمه انطياخوس فخرب بيت المقدس وسبى أهله وقيل غزاهم ملك الرومية وسباهم عن حذيفة وقال محمد بن اسحاق كان بنو إسرائيل يعصون الله تعالى وفيهم الاحداث والله يتجاوز عنهم وكان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم ان الله تعالى بعث إليهم شعيا قبل مبعث زكريا وشعيا هو الذي بشّر بعيسى (ع) وبمحمد ﷺ وكان

لبني إسرائيل ملك كان شعيا يرشده ويسدده. فمرض الملك وجاء سنحاريب إلى بـاب بيت المقدس بستمائة ألف راية فدعا الله سبحانه شعيا فبرأ الملك ومات جمع سنحاريب ولم ينج منهم إلا خمسة نفر منهم سنحاريب فهرب وأرسلوا خلفه من أخذه ثم أمر سبحانه باطلاقـه ليخبر قومه بما نزل بهم فأطلقوه وهلك سنحاريب بعد ذلك بسبع سنين واستخلف بخت نصر ابن ابنه فلبث سبع عشرة سنة وهلك ملك بني إسرائيل ومرج أمرهم وتنافسوا في الملك فقتل بعضهم بعضاً فقام شعيا فيهم خطيباً ووعظهم بعظات بليغة وأمرهم ونهاهم فهمُّوا بقتله فهرب ودخل شجرة فقطعوا الشجرة بالمنشـار فبعث الله اليهم ارميا من سبط هـارون ثم خرج من بينهم لما رأى من أمرهم ودخل بخت نصر وجنوده بيت المقدس وفعل ما فعل ثم رجع إلى بابل بسبايا بني إسرائيل وكانت هذه الدفعة الأولى وقيل أيضاً ان سبب ذلك كان قتل يحيى ابن زكريا وذلك ان ملك بني اسرائيل أراد ان يتزوج بنت امرأته فنهاه يحيى وبلغ أمها فحقدت عليه وبعثته على قتله فقتله وقيل انه لم يزل دم يحيى بن زكريا يغلي حتى قتل بخت نصـر منهم سبعين الفاً أو اثنين وسبعين ألفاً ثم سكن الـدم وذكر الجميـع ان يحيى بن زكريـا هو المقتول في الفساد الثاني قال مقاتل كان بين فساد الأول والثاني مائتا سنة وعشر سنين وقيل إنما غزا بني إسرائيل في المرة الأولى بخت نصر وفي المرة الثانية ملوك فارس والروم وذلك حين قتلوا يحيى فقتلوا منهم مائة ألف وثمانين الفاً وخرب بيت المقدس فلم يزل بعد ذلك خراباً حتى بناه عمر بن الخطاب فلم يدخله بعد ذلك رومي إلا خائفاً وقيل إنما غزاهم في المرة الأولى جالوت وفي الثانية بخت نصر والله أعلم .

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ
يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ
دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ
وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً
لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ

شَيْءٍ فَصَّلْنَـٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾

[اللغة] مبصرة أي مضيئة منيرة نيرة قال أبو عمرو أراد تبصر بها كما يقال ليل نائم وسر كاتم وقال الكسائي العرب تقول أبصر النهار إذا أضاء وقيل المبصرة التي أهلها بصراء فيها كما يقال رجل مخبث أي أهله خبثاء ومضعف أي أهله ضعفاء ولا يكتب الواو في يدعُ في المصحف وهي ثابتة في المعنى .

[الإعراب] إن لهم أجراً كبيراً فتح أنّ على تقدير حذف الباء أي يبشرهم بأن لهم الجنة وان الثانية معطوفة عليها ولو كسرت على الاستئناف لجاز وان لم يقرأ به احد وأعتدنا أصله أعددنا فقلبت احدى الدالين تاءً فراراً من التضعيف إلى حرف من مخرج الدال وكل شيء منصوب بفعل مضمر يفسّره ما بعده وهو قوله فصلناه والتقدير وفصلنا كل شيء .

[المعنى] ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ معناه إن هذا القرآن يهدي إلى الديانة والملة والطريقة التي هي أشد استقامة يقال هذه الطريق وللطريق وإلى الطريق وقيل معناه يرشد إلى الكلمة التي هي اعدل الكلمات وأصوبها وهي كلمة التوحيد وقيل يهدي إلى الحال التي هي أعدل الحالات وهي توحيد الله والإيمان به وبرسله والعمل بطاعته عن الزجاج ﴿ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم﴾ أي بأن لهم ﴿أجراً كبيراً﴾ أي ثواباً عظيماً على طاعاتهم ﴿و﴾ يبشّرهم أيضاً بـ ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ أي بالنشأة الآخرة ﴿اعتدنا لهم﴾ أي هيأنا لهم ﴿عذاباً أليماً﴾ وهو عذاب النار وإنما سمي العذاب أجراً لأنه يستحق في مقابلة عمل كالأجرة التي تجب في مقابلة عمل يعود نفعه إلى المستأجر والثواب يستحق على الله تعالى وان كان نفعه يعود إلى العامل لأنه سبحانه أوجب ذلك على نفسه في مقابلة عمل العبد فضلاً منه وكرماً ﴿ويدعو الإنسان بالشر دعاءه بالخير﴾ قيل في معناه أقوال (أحدها) ان الإنسان ربما يدعو في حال الزجر والغضب على نفسه وأهله وماله بما لا يحب ان يستجاب له فيه كما يدعو لنفسه بالخير فلو أجاب الله دعاءه لأهلكه لكنه لا يجيب بفضله ورحمته عن ابن عباس والحسن وقتادة (والآخر) ان معناه ان الإنسان قد يطلب الشر لاستعجاله المنفعة (وثالثها) ان معناه ويدعو في طلب المحظور كدعائه في طلب المباح ﴿وكان الإنسان عجولاً﴾ يعجل بالدعاء في الشر عجلته بالدعاء في الخير عن مجاهد وقيل يريد ضجراً لا صبراً له على ضراء ولا على سراء عن ابن عباس وروي عنه أيضاً إنه أراد به آدم (ع) لما انتهت النفخة الى سرته أراد أن ينهض فلم يقدر فشبَّه الله سبحانه ابن آدم بأبيه في الاستعجال وطلب الشيء قبل وقته ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ أي دلالتين يدلّان على

وحدانية خالقهما لما في كل واحد منهما من الفوائد من الكسب بالنهار والاستراحة بـالليل والزيادة في أجزاء احدهما بالنقصان من أجزاء الآخر ولأن كل واحـد منهما ينقضي لمجيء الآخر وذلك يدل على حدوثهما اذ القديـم لا يجوز عليه الانقضاء وعلى ان لهما محدثاً قادراً عالماً وقد علمنا ضرورة ان أحداً من البشر لم يحدثهما لعجز البشر عن ذلك فدل على أنه من صنع القديم القادر لذاته العالم لذاته الذي ليس كمثله شيء ولا يتعذر عليـه شيء وقيل ان الآيتين هنا الشمس والقمر ﴿**فمحونا آية الليل**﴾ وهي القمر اي طمسنا نورها بما جعلنا فيها من السـواد عن ابن عباس ﴿**وجعلنا آية النهار**﴾ يعني الشمس ﴿**مبصرة**﴾ أي نيـرة مضيئة للأبصار يبصر أهل النهار النهار بها وقيل ان معناه جعلنا آية الليل ممحوة والمراد جعلنا الليل مظلماً لا يبصر فيه كما لا يبصر ما يمحى من الكتاب وجعلنا آية النهار مبصرة أي جعلنا النهار مضيئاً يبصر فيه وتدرك الأشياء فيه وعلى هذا فتكون آية الليل هي الليل نفسه وآية النهار هي النهار نفسه كما يقال نفس الشيء وعين الشيء وهذا من عجيب البلاغة وقيل ان آيـة الليل ظلمته وآية النهار ضوؤه فالمراد محونا ظلمة الليل بضوء النهار ومحـونا ضـوء النهار بـظلمة الليل إلا أنه ذكر احدهما وحذف الآخـر لدلالـة المذكـور على المحذوف ثم بيَّن سبحـانه الغرض في ذلك وقال ﴿**لتبتغوا فضلاً من ربكم**﴾ أي لتسكنوا بالليل وتطلبوا الرزق بأنـواع التصرف في النهار إلا أنه حذف لتسكنوا بالليل لما ذكره في مواضـع اخر ﴿**ولتعلمـوا عدد السنين والحساب**﴾ أي لتعلموا بالليل والنهار عدد السنين والشهور وآجال الديون وغير ذلك من المواقيت ولتعلموا حسنات أعماركم وآجالكم ولولا الليل والنهار لما علم شيء من ذلك ﴿**وكل شيء فصلناه تفصيلاً**﴾ أي ميَّزنـاه تمييزاً ظـاهراً بيّنـاً لا يلتبس وبيّناه تبيـاناً شـافياً لا يخفى .

[**النظم**] اتصلت الآية الأولى بقوله ﴿**عسى ربكم أن يرحمكم**﴾ والوجه فيه انـه لما أمر بني إسرائيل بالرجوع الى الطريق المستقيم من التوبة وقبول الإسلام بيَّن ان ذلك الطريق هذا الكتاب الذي يدل على ما هو أحسن الأديان وقيل يتصل بقوله﴿**وآتينا موسى الكتاب**﴾أي كما آتيناه التوراة آتينا محمدﷺ القرآن الذي يهدي الى الأحسن الأقـوم وقيل اتصل بقولـه ﴿**سبحان الذي أسرى**﴾كأنه قال أسرى بعبده وآتاه الكتاب الذي هذه صفته وإنما اتصل قوله يدعو الإنسان بالشر الآية مما تقدَّم من بشارة الكفار بالعذاب فبيَّن عقيبه انهم يستعجلون العذاب جهلاً وعناداً ثم بيَّن أنه يستجيب لهم ما فيه صلاحهم ثم بيَّن بالآية الأخرى أنه أنعم عليهم بوجوه النعم كالليل والنهار ونحو ذلك وان لم يشكروه .

﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى
عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ
كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا
يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ
وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر ويخرج له بضم الياء وفتح الراء وقرأ يعقوب ويخرُج له بفتح الياء وضم الراء والباقون ونخرج بالنون وقرأ أبو جعفر وابن عامر تلقّيه بضم التاء وفتح اللام وتشديد القاف والباقون يلقاه بفتح الياء وسكون اللام .

[**الحجة**] من قرأ ويُخْرَجُ له فمعناه أنه يخرج له عمله أو يخرج له طائره يوم القيامة كتاباً ويكون كتاباً منصوباً على الحال ومن قرأ ويَخْرُجُ فتقديره فيخرج له عمله او طائره ويكون كتاباً حالاً أيضاً من الضمير في يخرج كما في الأول ومن قرأ ونخرج بالنون فيكون كتاباً مفعولاً لنخرج ويجوز أن يكون منصوباً على التمييز على معنى ونخرج طائره له كتاباً ويجوز أن يكون نصباً على الحال فيكون بمعنى ذا كتابٍ أي مثبتاً في الكتاب الذي قال فيه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها وقوله منشوراً يكون منصوباً على الحال من الهاء في يلقاه على القراءات جميعاً ومن قرأ يلقاه منشوراً فإنه يدل عليه قوله وإذا الصحف نشرت ومن قرأ يُلقَّاه فيدل عليه قوله ويلقون فيها تحية وسلاماً .

[**اللغة**] الإنسان يقع على المذكر والمؤنث فإذا أردت الفصل قلت رجل وامرأة مثل ذلك فرس يقع على المذكر والمؤنث فإذا أردت الفصل قلت حصان وحِجر وفي الهماليج برذون ورمكة وكل بعير يقع على المذكر والمؤنث فإذا فصلت قلت جمل وناقة واشتقاق الإنسان من الإنس أو الأُنس وهو فعلان عند البصريين وقال الكوفيون هو من النسيان وأُصله إنسيان حذفت الياء منه إستخفافاً واحتجُّوا على ذلك بقول العرب في تصغيره إنيسيان وهذه الياء عند البصريين زائدة وهو من التصغير الشاذ عندهم مثل عشيشة ومغيربان الشمس ولييلية وأشباه ذلك والطائر هاهنا عمل الإنسان شبه بالطائر الذي يسنح ويتبرك به والطائر الذي يبرح

فيتشاءم به والسانح الذي يجعل ميامنه إلى مياسرك والبارح الذي يجعل مياسره إلى ميامنك والأصل في هذا أنه إذا كان سانحاً أمكن الرامي وإذا كان بارحاً لم يمكنه قال أبو زيد كل ما يجري من طائر أو ظبي أو غيره فهو عندهم طائر وأنشد لكثير :

فَلَسْتُ بِنَاسِيهَا وَلَسْتُ بِتَارِكٍ ... إِذَا أَعْرَضَ الأُدْمُ الجَوارِي سُؤالَها
أَأُدْرِكُ مِنْ أُمِّ الحَكِيمِ غَبِيطَةً ... بِهَا خَبَّرَتْنِي الطَّيْرُ أَمْ قَدْ أَتَى لَهَا(١)

يخبر في البيت الأخير ن الذي زجره طائر وأنشد لزهير في ذلك :

فَلَمَّا أَنْ تَفَرَّقَ آلُ لَيْلَى ... جَرَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمُ ظِبَاءُ
جَرَتْ سُنُحاً فَقُلْتُ لَهَا مَروعاً ... نَوىً مَشْمُولَةً فَمَتَى اللِّقَاءُ(٢)

وقال وقولهم سألت الطير وقلت للطير إنما هو زجرتها من خير أو شر ويقوّي ما ذكره قول الكميت :

وَلَا أَنَا مِمَّنْ يَزْجُرُ الطَّيْرَ ، هَمُّهُ : ... أَصَاحَ غُرَابٌ أَمْ تَعَرَّضَ ثَعْلَبُ(٣)

وأنشد لحسان بن ثابت :

ذَرِينِي وَعِلْمِي بِالأُمُورِ وَشِيمَتِي ... فَمَا طَائِرِي فِيهَا عَلَيْكَ بِأَخْيَلَا(٤)

أي ليس رأيي بمشؤوم وأنشد لكثير :

أَقُولُ إِذَا مَا الطَّيْرُ مَرَّتْ مُخِيلَةً(٥) ... لَعَلَّكَ يَوْماً فَانْتَظِرْ أَنْ تَنَالَهَا

وإنما قال طائره في عنقه ولم يقل في يده لينبّه على لزوم ذلك له وتعلقه به كما يقال طوقتك كذا أي قلدتك كذا وألزمته إياك ومنه قلَّده السلطان كذا أي صارت الولاية في لزومها له في موضع القلادة ومكان الطوق قال الأعشى :

---

(١) الأدم من الظباء : بيض تعلوهن جدد فيهن غبرة وقوله « سوالها » مفعول « تارك » . والغبيطة : شبه هودج للنساء .

(٢) السانح : ما أتاك من يمينك من ظبي أو طائر ومقابله البارح والعرب يتبرك بالسانح ويتشأم بالبارح وقد يتشأم بالسانح كما في هذا البيت وفي اللسان « فقلت لها أجيزي » والنوى : الموضع الذي تنويه ومشمولة أي شاملة . وقيل : أخذ بها ذات الشمال .

(٣) يجب الوقوف على « الطير » ثم يبدأ « بهمه » ليعلم الغرض والزجر هنا : التيمن أو التشاؤم بالطير وغيره .

(٤) أخيل : طائر أخضر يتشاءم العرب به .

(٥) مخيلة أي مكروهة من الأخيل .

قَلَّدْتُكَ الشِّعْرَ يَا سَلَامَةُ ذَا الْإِ فْضَالِ وَالشِّعْرُ حَيْثُ مَا جُعِلا

وقال الآخر :

إنَّ لِي حَاجَةً إلَيْكِ فَقَالَتْ بَيْنَ أُذْنِي وَعَاتِقِي مَا تُرِيدُ

والعرب تقيم هذا العضو مقام الذات فتقول أعتقت رقبة وطوقت عنقي أمانة ولذلك قال أبو حنيفة إذا قال الإنسان عنقك أو رقبتك حرٌّ عتق لأنه يعبّر بذلك عن جميع البدن ولو قال يدك أو شعرك حرٌّ لا يعتق لأنه لا يعبّر بذلك عن جميع البدن وقال الشافعي هما سواء يعتق في الحالين .

[**الإعراب**] موضع بنفسك رفع لأنه فاعل كفى وحسيباً نصب على التمييز له وقال أبو بكر السراج المعنى كفى الإكتفاء بنفسك فالفاعل على هذا محذوف والجار والمجرور في موضع النصب على أصله وحسيباً نصب على الحال من كفى .

[**المعنى**] لمّا قدّم سبحانه ذكر الوعيد أتبع ذلك بذكر كيفيته فقال ﴿ **وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه** ﴾ معناه وألزمنا كل إنسان عمله من خير أو شر في عنقه عن ابن عباس ومجاهد وقتادة يريد جعلناه كالطوق في عنقه فلا يفارقه وإنما قيل للعمل طائراً على عادة العرب في قولهم جرى طائره بكذا ومثله قوله سبحانه ﴿ **قالوا طائركم معكم** ﴾ وقوله ﴿ **إنما طائرهم عند الله** ﴾ وقيل طائره يمنه وشؤمه عن الحسن وهو ما يتطير منه وقيل طائره حظه من الخير والشر عن أبي عبدة والقتيبي وخصَّ العنق لأنه محل الطوق الذي يزين المحسن والغسل الذي يشين المسيء وقيل طائره كتابه وقيل معناه جعلنا لكل إنسان دليلاً من نفسه لأن الطائر عندهم يستدل به على الأمور الكائنة فيكون معناه كل إنسان دليل نفسه وشاهد عليها إن كان محسناً فطائره ميمون وإن ساء فطائره مشؤوم ﴿ **ونخرج له يوم القيامة كتاباً** ﴾ وهو ما كتبه الحفظة عليهم من أعمالهم ﴿ **يلقاه** ﴾ أي يرى ذلك الكتاب ﴿ **منشوراً** ﴾ أي مفتوحاً معروضاً عليه ليقرأه ويعلم ما فيه والهاء في له يجوز أن تكون عائدة إلى الإنسان ويجوز أن تكون عائدة إلى العمل ﴿ **إقرأ كتابك** ﴾ فهاهنا حذف أي ويقال له إقرأ كتابك قال قتادة يقرأ يومئذ من لم يكن قارئاً في الدنيا وروى جابر بن خالد بن نجيح عن أبي عبد الله (ع) قال يذكر العبد جميع أعماله وما كتب عليه حتى كأنه فعله تلك الساعة فلذلك قالوا يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴿ **كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً** ﴾ أي محاسباً وإنما جعله محاسباً لنفسه لأنه إذا رأى أعماله يوم القيامة كلها مكتوبة ورأى جزاء

أعماله مكتوباً بالعدل لم ينقص عن ثوابه شيء ولم يزد على عقابه شيء أذعن عند ذلك وخضع وتضرع واعترف ولم يتهيأ له حجة ولا إنكار وظهر لأهل المحشر أنه لا يظلم قال الحسن يا ابن آدم لقد أنصفك من جعلك حسيب نفسك ﴿ **من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه** ﴾ أي من إهتدى في الدنيا إلى دين الله وطاعته فمنفعة إهتدائه راجعة إليه ﴿ **ومن ضل فإنما يضل عليها** ﴾ أي ومن ضل عن الدين فضرر ضلاله راجع إلى نفسه وعقوبة ضلاله على نفسه ﴿ **ولا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾ أي لا تحمل حاملة حمل أخرى أي ثقل ذنوب غيرها ولا يعاقب أحد بذنوب غيره وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تحن يمينك على شمالك وهذا مثل ضربه (ع) وفي هذا دلالة واضحة على بطلان قول من يقول أن أطفال الكفار يعذّبون مع آبائهم في النار ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً** ﴾ معناه وما كنا معذبين قوماً بعذاب الاستئصال إلا بعد الأعذار إليهم والإنذار لهم بأبلغ الوجوه وهو إرسال الرسل إليهم مظاهرة في العدل وإن كان يجوز مؤاخذتهم على ما يتعلق بالعقل معجلاً فعلى هذا التأويل تكون الآية عامة في العقليات والشرعيات وقال الأكثرون من المفسرين وهو الأصح أن المراد بالآية أنه لا يعذب سبحانه في الدنيا ولا في الآخرة إلا بعد البعثة فتكون الآية خاصة فيما يتعلق بالسمع من الشرعيات فأما ما كانت الحجة فيه من جهة العقل وهو الإيمان بالله تعالى فإنه يجوز العقاب بتركه وإن لم يبعث الرسول عند من قال إن التكليف العقلي ينفك من التكليف السمعي على أن المحققين منهم يقولون أنه وإن جاز التعذيب عليه قبل بعثة الرسول فإنه سبحانه لا يفعل ذلك مبالغة في الكرم والفضل والإحسان والطول فقد حصل من هذا أنه سبحانه لا يعاقب أحداً حتى ينفذ إليهم الرسل المنبّهين إلى الحق الهادين إلى الرشد استظهاراً في الحجة لأنه إذا اجتمع داعي العقل وداعي السمع تأكد الأمر وزال الريب فيما يلزم العبد وقد أخبر سبحانه في هذه الآية عن ذلك وهذا لا يدل على أنه لو لم يبعث رسولاً لم يحسن منه أن يعاقب إذا ارتكب القبائح العقلية إلا أن يفرض في بعثة الرسول لطفاً فإن عند ذلك لا يحسن منه سبحانه أن يعاقب أحداً إلا بعد أن يوجه إليه مما هو لطف له فيزاح بذلك علته .

﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِنۢ بَعۡدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ

بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ
عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا
مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ
وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾
ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ
وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا
مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾

[**القراءة**] القراءة العامة أمرنا بالتخفيف غير ممدود وقرأ يعقوب آمرنا بالمد وهو قراءة علي بن أبي طالب (ع) والحسن وأبي العالية وقتادة وجماعة وقرأ أمَّرنا بالتشديد للميم ابن عباس وأبو عثمان النهدي وأبو جعفر محمد بن علي بخلاف وقرأ أمِرنا بكسر الميم بوزن عمرنا الحسن ويحيى بن يعمر .

[**الحجة**] قال أبو عبيدة أمِرنا أكثرنا من قولهم أمِر بنو فلان أي كثروا وأنشد للبيد :

إنْ يَغْبِطُوا يَهْبِطُوا وَإنْ أمِرُوا ... يَوْماً يَصِيرُوا لِلْهُلْكِ وَالنَّفَدِ

قال أبو علي لا يخلو قوله أمرنا مخففة الهمزة من أن يكون فعلنا من الأمر أو من أمر القوم وأمرتهم مثل شَتَرَتْ عينه وشترتها ورجع ورجعته وسار وسرته فمن لم ير أن يكون أمرنا من أمر القوم إذا كثروا كما حكى ذلك يونس عن أبي عمرو فإنه ينبغي أن يكون من الأمر الذي هو خلاف النهي ويكون المعنى أمرناهم بالطاعة فعصوا وفسقوا ومن قرأ آمرنا فإنه يكون افعلنا من أمر القوم إذا كثروا وأمرهم الله وكذلك إن ضاعف العين فقال أمرنا ويقوي حمل أمرنا على النقل من أمر وأن لا يجعل من الأمر الذي هو خلاف النهي أن الأمر بالطاعة على هذا يكون مقصوراً على المترفين فقد أمر الله بطاعته جميع خلقه من مترف وغيره ويحمل

أمَّرنا على أنه مثل أمرنا ونظير هـذا كثر وأكثـره الله وكثَّره ولا يحمـل أمَّرنـا على أن المعنى جعلناهم أمراء لأنه لا يكاد يكون في قرية واحدة جماعة أمراء فإن قلت يكون منهم الواحد بعد الواحد فإنهم إذا كانوا كذلك لا يكثرون في حال وإنما يهلك بكثرة المعاصي في الأرض وعلى هذا جاء الأمر في التنزيل يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون فأمرنا بالخروج من الأرض التي تكثر فيها المعاصي إلى ما كان بخلاف هذه الصفة ومما جاء فيه أمر بمعنى الكثرة قول زهير:

وَالْإِثْـمُ مِـنْ شَـرِّ مَـا يُصَـالُ بِـهِ وَالْـبِـرُّ كَـالْـغَـيْـثِ نَـبْـتُـهُ أمْـرٌ

وأما أمِرْنا فقد روى ابن جني بإسناده عن أبي حاتم قال قال أبو زيد يقال أمر الله ماله وآمره ومن قال إن أمرنا لا يكون بمعنى أكثرنا قال في قوله (خَيْر المال سِكَّةٌ مَأْبُورة ومُهْرَةٌ مأمورة)[1] إن معنى مأمورة مؤمرة فإنما قال هذه لمكان الإزدواج كما قالوا الغدايا والعشايا والغداة لا تجمع على الغدايا لكن قيل ذلك ليزدوج الكلام .

[**اللغة**] الترفه النعمة قال ابن عرفـة المترف المتـروك يصنع مـا يشاء ولا يمنـع منه والتدمير والإهلاك والدمار الهلاك ويقال ذممته وذاميته وذمته فهو مذموم ومذؤوم ومذيم بمعنى ويكون ذامته بمعنى طـردته ويقـال إصنع ذاك وخـلاك ذم أي ولاذم عليك والـدحر الإبعـاد والمدخور المبعد والمطرود يقال اللهم إدحر عنا الشيطان أي إبعده .

[**الإعراب**] كم أهلكنا موضع كم نصب بأهلكنا ودخلت الباء في قولك بربك للمدح كما تقول ناهيك به رجلاً وجاد بثوبك ثوباً وطاب بطعامك طعاماً وأكرم به رجلاً ويكون في كل ذلك في موضع رفع كما قال الشاعر :

وَيُخْبِـرُنِي عَنْ غَـائِبِ الْمَـرْءِ هَـدْيُـهُ كَفَى الْهَدْيُ عَمَّا غَيَّبَ الْمَرْءُ مُخْبِرا[2]

فرفع لما أسقط الباء ويصليها في موضع نصب على الحال لمن نريد بـدل من قولـه ﴿ **عجلنا له فيها ما نشاء** ﴾ وأعاد اللام لما كان البدل في تقدير جملة أخرى كقولـه ﴿ **لمن آمن منهم** ﴾ ومذموماً حال من الضمير المستكن في يصليها كلاً نمد نصب كلا بنمد وهؤلاء

(١) الحـديث منسوب إلى النبي ﷺ وفي بعض الكتب « أو مهـرة مأمـورة » والسكـة : الطريقة المصـطفـة النخـل . والمأبورة : الملحفة وقيل : السكة سكة الحرث والمأبورة : المصلحة له والمهر : ولد الفرس والأنثى المهرة أراد ﷺ خير المال : نتاج أو زرع .

(٢) قائله زيادة بن زيد العدوي . والهدى: الطريقة والسيرة .

بدل من قوله ﴿ كلا ﴾ أي نمد كل واحد من هؤلاء وهؤلاء .

[المعنى] ﴿ **وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها** ﴾ لما لم يجز في العقول تقديم إرادة العذاب على المعصية لأنه عقوبة عليها ويستحقه لأجلها فمتى لم توجد المعصية لم يحسن فعل العقاب وإذا لم يحسن فعله لم تحسن إرادته اختلفوا في تأويل الآية وتقديرها على وجوه (أحدها) إن معناه وإذا أردنا أن نهلك أهل قرية بعد قيام الحجة عليهم وإرسال الرسل إليهم أمرنا مترفيها أي رؤساءها وساداتها بالطاعة وإتباع الرسل أمراً بعد أمر نكرّره عليهم وبينة بعد بينة نأتيهم بها إعذاراً للعصاة وإنذاراً لهم وتوكيداً للحجة ففسقوا فيها بالمعاصي وأبوا إلا تمادياً في العصيان والكفران ﴿ **فحق عليها القول** ﴾ أي فوجب حينئذ عليها الوعيد ﴿ **فدمرناها تدميراً** ﴾ أي أهلكناها إهلاكاً وإنما خصَّ المترفين وهم المنعمون والرؤساء بالذكر لأن غيرهم تبع لهم فيكون الأمر لهم أمراً لإتباعهم وعلى هذا فيكون قوله ﴿ **أمرنا مترفيها** ﴾ جواباً لإذا وإليه يؤول ما روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير أن معناه أمرناهم بالطاعة فعصوا وفسقوا ومثله أمرتك فعصيتني ويشهد بصحة هذا التأويل الآية المتقدمة وهي قوله ﴿ **من اهتدى** ﴾ فإنما يهتدي لنفسه إلى قوله ﴿ **وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً** ﴾ (وثانيها) إن قوله ﴿ **أمرنا مترفيها** ﴾ من صفة القرية وتقديره وإذا أردنا أن نهلك قرية صفتها أنا كنا قد أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فلا يكون لإذا جواب ظاهر في اللفظ للإستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة عليه ونظيره قوله سبحانه ﴿ **حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها** ﴾ إلى قوله ﴿ **ونعم أجر العاملين** ﴾ فلم يأت لإذا جواب في طول الكلام للإستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة ومما يشهد بصحة ذلك قول الهذلي :

حَتَّى إذا سَلَكُوهُمْ فِي قُتَائِدَةٍ شَلّاً كَمَا تَطْرُدُ الْجَمَّالَةُ الشُّرُدا(١)

فحذف جواب إذا لأن هذا البيت آخر القيصيدة (وثالثها) إن الآية محمولة على التقديم والتأخير وتقديرها إذا أمرنا مترفي قرية بالطاعة فعصوا أردنا إهلاكهم ومما يمكن أن يكون شاهداً لهذا الوجه قوله ﴿ **وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك** ﴾ وقيام الطائفة معه يكون قبل إقامة الصلاة لأن إقامتها هي الإتيان بجميعها على الكمال وكذلك قوله ﴿ **إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم** ﴾ والطهارة إنما تجب قبل

(١) البيت لعبد مناف بن ربع الهذلي . وقتائدة : موضع . والجمالة : أصحاب الجمال كالبغالة والحمارة وانتصاب « شلا » على المصدر يعني إذا سلكوهم هذا الموضع شلوهم شلا يشبه طرد الشرد من الجمال إذا تزاحمت على الماء .

القيام إلى الصلاة (ورابعها) أنه سبحانه ذكر الإرادة على وجه المجاز والإتساع وإنما عني بها قرب الهلاك والعلم بكونه لا محالة كما يقال إذا أراد العليل أنْ يموت خلط في مأكله ويسرع إلى ما تتوق نفسه إليه وإذا أراد التاجر أن يفتقر أتاه الخسران من كل وجه ومعلوم أن العليل والتاجر لم يريدا في الحقيقة شيئاً لكن لما كان من المعلوم من حال هذا الهلاك ومن حال ذلك الخسران حسن هذا الكلام واستعمل ذكر الإرادة لهذا الوجه ولكلام العرب إشارات واستعارات ومجازات لأجلها كان كلامهم في الغاية القصوى من الفصاحة والوجه الأول عندي أصح الوجوه وأقربها إلى الصواب إذا تأولت الآية على الأمر الذي هو ضد النهي إذا تأولت الآية على معنى القراءتين الأخيرتين من آمرنا بالمد وأمّرنا بالتشديد فلن يخرج على هذا الوجه وتكون محمولة على أحد الأوجه الثلاثة الأخر ثم بيّن سبحانه ما فعله من ذلك بالقرون الخالية فقال ﴿ **وكم أهلكنا من القرون** ﴾ أي من الأمم الكثيرة المكذبة ﴿ **من بعد نوح** ﴾ أي من بعد زمان نوح إلى زمانك هذا لأن كم تفيد التكثير كما أن رب تفيد التقليل والقرن مائة وعشرون سنة عن عبد الله بن أبي أوفى وقيل مائة سنة عن محمد بن القسم المازني وروي ذلك مرفوعاً وقيل ثمانون سنة عن الكلبي وقيل أربعون سنة ورواه ابن سيرين مرفوعاً ﴿ **وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً** ﴾ أي كفى ربك عالماً بذنوب خلقه ﴿ **بصيراً** ﴾ بها يجازيهم عليها ولا يفوته شيء منها ثم بيّن سبحانه أنه يدبّر عباده بحسب ما يراه من المصلحة فقال ﴿ **من كان يريد العاجلة** ﴾ أي النعم العاجلة وهي الدنيا فعبَّر عنها بصفتها ﴿ **عجلنا له فيها ما نشاء** ﴾ من البسط والتقتير وعلَّق ذلك بمشيئته لا بمشيئة العبد فقد يشاء العبد ما لا يشاؤه الله فلا يعطيه لكونه مفسدة ﴿ **لمن نريد** ﴾ أي لمن نريد إعطاءه بيَّن بذلك أنه ربما يكون حريصاً يريد الدنيا فلا يعطى وإن أعطي أعطي قليلاً ﴿ **ثم جعلنا له جهنم يصليها** ﴾ أي يصير بصلاها ويحترق بنارها ﴿ **مذموماً** ﴾ ملوماً ﴿ **مدحوراً** ﴾ مبعداً من رحمة الله وروي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال معنى الآية من كان يريد ثواب الدنيا بعمله الذي إفترضه الله عليه لا يريد به وجه الله والدار الآخرة عجَّل له فيها ما يشاء الله من عرض الدنيا وليس له ثواب في الآخرة وذلك أن الله سبحانه وتعالى يؤتيه ذلك ليستعين به على الطاعة فيستعمله في معصية الله فيعاقبه الله عليه ﴿ **ومن أراد الآخرة** ﴾ أي ومن أراد خير الآخرة ونعيم الجنة ﴿ **وسعى لها سعيها وهو مؤمن** ﴾ أي فعل الطاعات وتجنب المعاصي وهو مع ذلك مصدّق بتوحيد الله مقرٌ بأنبيائه ﴿ **فأولئك كان سعيهم مشكوراً** ﴾ أي تكون طاعتهم مقبولة وقيل شكره أنه سبحانه يضاعف حسناتهم ويتجاوز عن سيئاتهم عن قتادة والمعنى أنا أحللنا سعيهم محل ما يشكر عليه في حسن الجزاء وروي عن الحسن أنه

قال إطلبوا الآخرة فما رأيت طالباً لها إلا نالها وربمانال الدنيا وما رأيت طالب دنيا نال الآخرة وربما لا ينال الدنيا أيضاً ﴿ **كلا نمد هؤلاء وهؤلاء** ﴾ أي كل واحد من هذين الفريقين ممن يريد الدنيا وممن يريد الآخرة نمدهم أي نزيدهم وقيل كلا نعطي من الدنيا البر والفاجر عن الحسن والمعنى أنا نعطي المؤمن والكافر فالدنيا وأما الآخرة فللمتقين خاصة ﴿ **من عطاء ربك** ﴾ أي نعمة ربك ورزقه ﴿ **وما كان عطاء ربك محظوراً** ﴾ معناه وما كان رزق ربك محبوساً عن الكافر لكفره ولا عن الفاسق لفسقه « سؤال » فإن قيل هل يجوز أن يريد المكلف بعمله العاجل والآجل والجواب نعم إذا جعل العاجل تبعاً للآجل كالمجاهد في سبيل الله يقاتل لأعزاز الدين ويجعل الغنيمة تبعاً ﴿ **أنظر** ﴾ يا محمد ﴿ **كيف فضلنا بعضهم على بعض** ﴾ بأن جعلنا بعضهم أغنياء وبعضهم فقراء وبعضهم موالي وبعضهم عبيداً وبعضهم أصحّاء وبعضهم مرضى على حسب ما علمناه من المصالح ﴿ **وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً** ﴾ أي درجاتها ومراتبها أعلى وأفضل وهي مستحقة على قدر الأعمال فينبغي أن تكون رغبتهم في الآخرة وسعيهم لها أكثر قد روي أن ما بين أعلى درجات الجنة وأسفلها ما بين السماء والأرض وفي الآية دلالة على أن الطاعة لا تزيد في رزق الدنيا وإنما تزيد في درجات الآخرة ﴿ **لا تجعل مع الله إلّهاً آخر** ﴾ قيل أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد به أمته وقيل معناه لا تجعل أيها السامع أو أيها الإنسان مع الله إلّهاً آخر في إعتقادك وإقرارك ولا في عبادتك ولا في رغبتك ورهبتك ﴿ **فتقعد مذموماً مخذولاً** ﴾ معناه فإنك إن فعلت ذلك قعدت وبقيت ما عشت مذموماً على لسان العقلاء مخذولاً ولا ناصر لك يمنع الله نصرته عنك ويكلك إلى ما أشركت به « وقيل » معنى القعود الذل والخزي والخسران والعجز لا الجلوس كما يقال قعد به الضعف عن القتال أي عجز عنه .

[النظم] وجه إتصال الآية الأولى بما قبلها أنها اتصلت بقوله ﴿ **حتى يبعث رسولاً** ﴾ والمعنى أنه لا يعذب إلا بعد إرسال الرسل وتقديم الأمر والنهي وإتمام النعمة في الإنذار والإعذار وظهور العصيان من الكفار والفجار وقيل إنها تتصل بما تقدم من قصة بني إسرائيل وما فعل بهم في الكرة الأولى والثانية فبيَّن سبحانه أن ما فعله موافق لعادته فيمن يريد إهلاكه فإنما يهلك القرى إذا أمر مترفيها بالطاعة ففسقوا فيكون إهلاكهم بالإستحقاق لا على الإبتداء .

﴿ * وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ

إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل
لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ
لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى
صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَـٰلِحِينَ
فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾

[**القراءة**] يبلغان بالألف وكسر النون كوفي غير عاصم والباقون يبلغن أف بفتح الفاء هاهنا وفي الأنبياء والأحقاف مكي شامي ويعقوب وسهل واف بالكسر والتنوين في الجميع مدني وحفص والباقون اف بالكسر غير منون وفي الشواذ قراءة أبي السماك اف مضمومة غير منونة وقرأ ابن عباس اف خفيفة وجناح الذل بكسر الذال .

[**الحجة**] قال أبو علي قوله ﴿ **إمَّا يبلغن** ﴾ يرتفع أحدهما به وقوله ﴿ **كلاهما** ﴾ معطوف عليه والذكر الذي عاد من قوله ﴿ **أحدهما** ﴾ يغني عن إثبات علامة الضمير في يبلغان فلا وجه لقول من قال إن الوجه إثبات الألف لتقدم ذكر الوالدين عني به الفراء وإنما الوجه في ذلك أنه على الشيء الذي يذكر على وجه التوكيد ولو لم يذكر لم يقع بترك ذكره إخلال نحو قوله ﴿ **أموات غير أحياء** ﴾ فقوله غير أحياء توكيد لأن قوله أموات يدل عليه فيكون الألف مجردة لمعنى التثنية ولاحظ للإسمية فيها ويرتفع أحدهما أو كلاهما بالفعل وقال الزجاج يكون أحدهما أو كلاهما بدلاً من الألف في يبلغان قال أبو علي من قرأ أفَّ بالفتح فإنه بناه على الفتح كقولهم سرعان ذا إهالة وهو إسم لسرع ومثله وشكان قال:

لَوشَكَانَ(١) مَا عَنَّيتُمُ وَشَمِتُّمُ بِإِخْوانِكُمْ وَٱلعِزُّ لَمْ يَتَجَمَّعُ

وكذلك أف إسم لأتضجر واتكره ونحو ذلك من قرأ أُفٍّ فإنه بدخول التنوين يدل على التنكير مثله مهٍ وصهٍ ومثله قولهم « فداء لك » بنوه على الكسر وإن كان في الأصل مصدراً كما كان افّ في الأصل مصدراً من قولهم أُفَّةً وتُفَّةً يراد بها نتنا ودفرا ومن قرأ أف ولم ينون جعله معرفة فلم ينون كما أن من قال صه وغاق فلم ينون أراد به المعرفة فإن قلت ما موضع

(١) وفي اللسان « أوشكان ».

أف في هذه اللغات بعد القول هل يكون موضعه نصباً كما ينتصب المفرد بعده أو يكون كما تكون الجمل فالقول أن موضعه موضع الجمل كما أنك لو قلت رويد لكان موضعه موضع الجمل قال الزجاج في أف سبع لغات أف بالضم منوناً وغير منون وأف بالكسر منوناً وغير منون وأفَّ وافاً وأوفِّي ممالة وزاد ابن الأنباري أف خفيفة[1] مفتوحة قال أبو الحسن وقول الذين قالوا أُفٌّ أكثر وأجود ولو قلت أف لك وافاً لك لاحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون الذي صار إسماً للفعل لحقه التنوين علامة للتنكير (والآخر) أن يكون نصباً معرباً وكذا الضم فإن لم يكن معه لك كان ضعيفاً ألا ترى أنك لا تقول ويل ولو قلته لم يستقم حتى يوصل به لك فيكون في موضع الخبر والذل ضد الصعوبة والذل ضد العز والأول في الدابة والثاني في الإنسان .

[**الإعراب**] قوله ﴿ **وبالوالدين إحساناً** ﴾ العامل في الباء قضى والتقدير وقضى بالوالدين إحساناً ويجوز أن يكون على تقدير وأوصى بالوالدين إحساناً وحذف لدلالة الكلام عليه قال الشاعر :

عَجِبْتُ مِنْ دَهْمَاءَ إذْ تَشْكُونَا وَمِنْ أبِي دَهْمَاءَ إذْ يُوصِينَا

خَيْراً بِهَا كَأنَّنا خَافُونا

فاعمل يوصينا في الخير « كما ربَّياني » أي كرحمة تربيتهما يعني رحمة تحدث عند التربية كما تقول ضرر التلف وقيل الكاف بمعنى على أرحمهما على ما ربياني عن الأخفش وكذا قال في قوله كما أمرت أن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين منكم فحذف ويجوز أن يكون على كان لكم فوضع الظاهر موضع المضمر لأنهم الصالحون .

[**المعنى**] لمّا تقدّم النهي عن الشرك والمعاصي عقّب سبحانه بالأمر بالتوحيد والطاعات فقال سبحانه ﴿**وقضى ربك**﴾ أي أمر ربك أمراً باتاً عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل الزم وأوجب ربك عن الربيع بن أنس وقيل أوصى عن مجاهد ﴿**أن لا تعبدوا إلا إياه**﴾ معناه أن تعبدوه ولا تعبدوا غيره فإن قيل ان الأمر لا يكون أمراً بأن لا يكون الشيء لأن الأمر يقتضي ارادة المأمور به والإرادة لا تتعلق بأن لا يكون الشيء وإنما تتعلق بحدوث الشيء فالجواب ان المعنى أراد منكم عبادته على وجه الاخلاص وكره منكم عبادة غيره وعبَّر عن ذلك بقوله أمر ان لا تعبدوا إلا إياه ﴿**وبالوالدين إحساناً**﴾ أي وقضى بالوالدين احساناً أو

(١) [ساكنة وأف خفيفة] .

أوصى بالوالدين إحساناً ومعناهما واحد لأن الوصية أمر **﴿إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما﴾** يعني به الكبر في السن والمعنى إن عاشا عندك أيها الإنسان المخاطب حتى يكبرا أو عاش أحدهما حتى يكبر يريد ان بلغا في السن مبلغاً يصيران بمنزلة الطفل الذي يحتاج إلى متعهد وخصَّ حال الكبر وإن كان من الواجب طاعة الوالدين على كل حال لأن الحاجة أكثر في تلك الحال إلى التعهد والخدمة وهذا مثل قوله **﴿ويكلم الناس في المهد وكهلاً﴾** مع ان الناس كلهم يتكلمون في حال الكهولة والوجه فيه انه سبحانه أخبر أن عيسى يكلم الناس في المهد وانه يعيش حتى يكهل ويتكلم بعد الكهولة ونحو ذلك قوله والأمر يومئذ لله وإنما خصَّ ذلك اليوم لأنه لا يملك فيه احد سواه وقيل ان الكبر في الآية راجع إلى المخاطب أي إن بلغت حال الكبر وهو حال التكليف وقد بقي معك أبواك أو أحدهما **﴿فلا تقل لهما أف﴾** وروي عن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن جدّه أبي عبد الله (ع) قال لو علم الله لفظة أوجز في ترك عقوق الوالدين من اف لأتى به وفي رواية أخرى عنه قال أدنى العقوق أف ولو علم الله شيئاً أيسر منه وأهون منه لنهى عنه وفي خبر آخر فليعمل العاق ما يشاء أن يعمل فلن يدخل الجنة فالمعنى لا تؤذيهما بقليل ولا كثير قال مجاهد معناه أن بلغا عندك من الكبر ما يبولان ويحدثان فلا تتقذ رهما وامط عنهما كما كانا يميطان عنك في حال الصغر والمتبرم يكثر قول اف وهي كلمة تدل على الضجر وقيل ان الاف والتف وسخ الاصابع إذا فتلته عن أبي عبيدة وقيل هي كلمة كراهة عن ابن عباس وقيل معناه النتن وجاء في المثل أبرُّ من النسر قالوا لأن النسر إذا كبر ولم ينهض للطيران جاء الفرخ فزقه كما كان أبواه يزقانه **﴿ولا تنهرهما﴾** أي لا تزجرهما بأغلاظ وصياح وقيل معناه لا تمتنع من شيء أراده منك كما قال وأما السائل فلا تنهر **﴿وقل لهما قولاً كريماً﴾** أي وخاطبهما بقول رقيق لطيف حسن جميل بعيد عن اللغو والقبيح يكون فيه كرامة لهما ويدل على كرامة المقول له على القائل وقيل معناه قل لهما قول العبد المذنب للسيد الفظ الغليظ عن سعيد بن المسيب **﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾** أي وبالغ في التواضع والخضوع لهما قولاً وفعلاً براً بهما وشفقة عليهما والمراد بالذل هاهنا اللين والتواضع دون الهوان من خفض الطائر جناحه إذا ضمّ فرخه إليه فكأنه سبحانه قال ضمّ أبويك إلى نفسك كما كانا يفعلان بك وأنت صغير وإذا وصفت العرب إنساناً بالسهولة وترك الآباء قالوا هو خافض الجناح وقال أبو عبد الله (ع) معناه لا تملأ عينيك من النظر إليهما إلا برأفة ورحمة ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما ولا يديك فوق أيديهما ولا تتقدم قدامهما **﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾** معناه ادع لهما بالمغفرة والرحمة في حياتهما وبعد مماتهما جزاء لتربيتهما إياك في صباك وهذا إذا كانا

مؤمنين وفي هذا دلالة على ان دعاء الولد لوالده الميت مسموع وإلا لم يكن للأمر به معنى وقيل ان الله تعالى أوصى الأبناء بالوالدين لقصور شفقتهم ولم يوص الوالدين بالأبناء لوفور شفقتهم وذكر حال الكبر لأنهما أحوج في تلك الحال إلى البر لضعفهما وكونهما كلًّا على الولد ففي الحديث أن النبي ﷺ قال رغم انفه رغم انفه رغم أنفه قالوا من يا رسول الله قال من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما ولم يدخل الجنة أورده مسلم في الصحيح وروى أبو أسيد الانصاري قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي من بر ابويّ شيء أبرهما به بعد موتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما قال قتادة هكذا علمتم وبهذا امرتم فخذوه بتعليم الله وأدبه ﴿**ربكم أعلم**﴾ أي أكثر معلوماً وقيل أثبت علماً فإنه سبحانه أعلم بأن الجسم حادث من الإنسان العالم بذلك ﴿**بما في نفوسكم**﴾ أي بما تضمرون من البر والعقوق فمن ندرت منه نادرة وهو لا يضمر عقوقاً غفر الله له ذلك وقيل معناه أنه أعلم بجميع ما في ضمائركم وهذا أوجه ﴿**ان تكونوا صالحين**﴾ أي طائعين لله ﴿**فإنه كان للأوابين غفوراً**﴾ والأواب التواب المتعبد الراجع عن ذنبه عن مجاهد وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع) وقيل ان الأولين المطيعون المحسنون عن قتادة وقيل انهم الذين يذنبون ثم يتوبون ثم يذنبون ثم يتوبون عن سعيد بن المسيب وقيل هم الراجعون إلى الله فيما ينوبهم عن ابن عباس وقيل هم المسبّحون عن ابن عباس في رواية أخرى ويعضده قوله ﴿**يا جبال أوبي معه**﴾ وقيل انهم الذين يصلون بين المغرب والعشاء روي ذلك مرفوعاً وروى هشام بن سالم عن أبي عبد الله (ع) قال صلاة أربع ركعات يقرأ في كل ركعة خمسين مرة ﴿**قل هو الله أحد**﴾ هي صلاة الأوّابين .

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ
وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ
ٱلشَّيَٰطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ
ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾
وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ

﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۝٢٩ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ۝٣٠﴾

[**اللغة**] التبذير التفريق بالاسراف وأصله أن يفرق كما يفرق البذر إلا أنه يختص بما يكون على سبيل الإفساد وما كان على وجه الإصلاح لا يسمى تبذيراً وان كثر قال النابغة

تَـرَائِبُ يَسْتَضِيءُ الْحَلْيُ فِيهَا   كَجَمْرِ النَّارِ بَذَّرَ بِالظَّلَامِ[1]

والإعراض صرف الوجه عن الشيء وقد يكون عن قلى وقد يكون للاشتغال بما هو الأولى وقد يكون للإذلال كما قال واعرض عن الجاهلين وأصل الحسر الكشف من قولهم حسر عن ذراعه يحسر حسراً إذا كشف عنه والحسرة الغم لانحسار ما فات ودابة حسير إذا كلَّت لشدة السير لانسحار قوتها بالكلال ومنه قوله ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير والمحسور المنقطع به لذهاب ما في يده وانحساره عنه قال الهذلي :

إِنَّ الْعَسِيرَ بِهَا دَاءٌ مُخَامِرُهَا   فَشَطْرَهَا نَظَرُ العَيْنَيْنِ مَحْسُورُ[2]

ويقال حسرت الرجل بالمسألة إذا افنيت جميع ما عنده .

[**الإعراب**] وأما تعرضن تقديره وان تعرض وما مزيدة وابتغاء مفعول له وقيل هو مصدر وضع موضع الحال أي مبتغياً رحمة من ربك ترجوها أي راجياً إياها وترجوها جملة في موضع الجر بكونها صفة لرحمة ويجوز أن يكون في موضع النصب على الحال من الضمير في تعرضن .

[**المعنى**] ثم حثَّ سبحانه نبيَّه ﷺ على إيتاء الحقوق لمن يستحقها على كيفية الانفاق فقال ﴿**وآت ذي القربى حقه**﴾ معناه وأعطِ القرابات حقوقهم التي أوجبها الله لهم في أموالكم عن ابن عباس والحسن وقيل ان المراد قرابة الرسول عن السدي قال ان علي بن الحسين (ع) قال لرجل من أهل الشام حين بعث به (ع) عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية أقرأت القرآن قال نعم قال أما قرأت وآت ذي القربى حقه قال وانكم ذو القربى الذي أمر الله أن يؤتى حقه قال نعم وهو الذي رواه أصحابنا عن الصادقين (ع) وأخبرنا السيد أبو

(١) الترائب: موضع القلادة من الصدر .

(٢) العسير: الناقة التي لم ترض والتي لم تحمل. وخامره الداء: خالط ونصف وشطرها على الظرف أي نحوها .

الحمد مهدي بـن نزار الحسيني قراءة قال حدثنا أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني قال حدثنا الحاكم الواحد أبو محمد قال حدثنا [عبد الله][1] عمر بن أحمد بن عثمان ببغداد شفاها قال اخبرني عمر بن الحسن بن علي بن مالك قال حدثنا جعفـر بن محمد الاحمسي قال حدثنا حسن بن حسين قال حدثنا أبـو معمر سعيـد بن خثيم وعلي بن القاسم الكنـدي ويحيى بن يعلى وعلي بن مسهـر عن فضل بن مـرزوق عن عـطيـة العـوفي عن أبي سعيـد الخدري قال لما نزل قوله وآت ذا القربى حقه أعطى رسول الله ﷺ فاطمة فـدكا قـال عبد الرحمن بن صالح كتب المأمون إلى عبد الله بن موسى يسأله عن قصة فدك فكتب إليه عبد الله بهذا الحديث رواه الفضيل بن مرزوق عن عطية فردَّ المأمون فدكا إلى ولد فاطمة (ع) ﴿والمسكين وابن السبيل﴾ معناه وآت المسكين حقه الذي جعله الله له من الزكاة وغيرهـا وآت المجتاز المنقطع عن بلاده حقه أيضاً ﴿ولا تبذر تبـذيراً﴾ قيـل ان المبذر الـذي ينفق المال في غير حقه عن ابن عباس وابن مسعود وقال مجاهد لو انفق مدّاً في باطل كان مبذراً ولو أنفق جميع ماله في الحق لم يكن مبذراً وروي عن أبي عبد الله (ع) ان أمير المؤمنين (ع) قـال لعنايـة كن زاملة للمؤمنين وان خير المـطايا أمثلهـا وأسلمهـا ظهـراً ولا تكن من المبذرين ﴿إن المبذرين كانوا اخوان الشياطين﴾ معناه ان المسرفين اتباع الشياطين سالكون طريقهم وهذا كما يقال لمن لازم السفر هو أخو السفر وقيل معناه أنهم قرناء الشياطين في النار ﴿وكان الشيطان لربه كفوراً﴾ أي كان الشيطان في قديم مذهبه كثير الكفر مرة بعد أخـرى ﴿وإما تعرضَنَّ عنهم﴾ أي وان تعرض عن هؤلاء الذين أمرتك بإيتاء حقوقهم عند مسـألتهم إياك لأنك لا تجد ذلك حياء منهم ﴿ابتغاء رحمة من ربك ترجوها﴾ أي لتبتغي الفضل من الله والسعـة الـتـي يمكنـك معهـا البـذل بـأمـل تلـك السعـة وذلـك الفضـل ﴿فقل لهم قولاً ميسوراً﴾ أي عدهـم عدة حسنة وقل لهـم قولاً سهلاً ليناً يتيسر عليك وروي ان النبي ﷺ كان لما نزلت هذه الآية إذا سئل ولم يكن عنده ما يعطي قال يرزقنا الله وإياكم من فضله ﴿ولا تجعـل يدك مغلولـة إلى عنقك﴾ أي لا تكن ممن لا يعـطي شيئاً ولا يهب فتكون بمنزلة من يده مغلولة إلى عنقه لا يقدر على الاعطاء والبذل وهذا مبالغة في النهي عن الشح والإمساك ﴿ ولا تبسطها كل البسط ﴾ أي ولا تعط أيضاً جميع ما عندك فتكون بمنزلة من بسط يده حتى لا يستقر فيها شيء وهذا كناية عن الاسراف ﴿فتقعد ملوماً﴾ تلوم نفسك

(١) ما بين المعقفتين ليس في المخطوطة .

وتلام ﴿محسوراً﴾ منقطعاً به وليس عندك شيء عن السدي وابن عباس وقيل عاجزاً نادماً عن قتادة وقيل محسوراً من الثياب والمحسور العريان عن أبي عبد الله (ع) وقيل معناه ان امسكت قعدت ملوماً مذموماً وان أسرفت بقيت متحسراً مغموماً عن الجبائي وقال الكلبي لا تعط ما عندك جميعاً فيجيء الآخرون يسألونك فلا تجد ما تعطيهم فيلومونك وروي ان امرأة بعثت ابنها الى رسول الله ﷺ وقالت قل له ان أمي تستكسيك درعاً فإن قال حتى يأتينا شيء فقل له انها تستكسيك قميصك فأتاه فقال ما قالت له فنزع قميصه فدفعه اليه فنزلت الآية ويقال انه (ع) بقي في البيت إذ لم يجد شيئاً يلبسه ولم يمكنه الخروج إلى الصلاة فلامه الكفار وقالوا ان محمداً اشتغل بالنوم واللهو عن الصلاة ﴿إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ أي يوسّع مرة ويضيق مرة بحسب المصلحة مع سعة خزائنه ﴿إنه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾ أي عالماً بأحوالهم بصيراً بمصالحهم فيبسط على واحد ويضيق على آخر يدبّرهم على ما يراه من الصلاح .

[**النظم**] وإنما اتصلت هذه الآية الأخيرة بما قبلها من حيث ان فيها حثاً على الاعطاء اعتماداً على الله تعالى ونهياً عن البخل وحتماً على القصد إذ هو سبحانه مع غناه وكمال قدرته يوسع مرة ويضيق مرة اخرى مراعاة للمصلحة فمن هو دونه اولى ان يراعي الصلاح ويملك طريق القصد .

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ
خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾
وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُواْ
ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا
لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَـٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾
وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ
وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذَا

كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر وابن عامر برواية ابن ذكوان كان خطأ بفتح الخاء والطاء من غير ألف بعدها وقرأ ابن كثير خطاءً بكسر الخاء وممدوداً والباقون خِطأً بكسر الخاء من غير مد وفي الشواذ قراءة الزهري وأبي رجاء خطا بكسر الخاء غير ممدود وقراءة الحسن خـطاءً بالمد وفي رواية أخرى عنه خطاً بفتح الخاء والطاء خفيفة وقرأ أهل الكوفة غير عاصم فـلا تسرف بالتاء والباقون بالياء وقرأ أهل الكوفة غير أبي بكر القسطاس بكسـر القاف والبـاقون بضمها .

[**الحجة**] الخطأ ما لم يتعمد وكان المأثم فيه موضوعاً عن صاحبه قال أبو علي قالوا اخطأ في معنى خطىء كما ان خطىء في معنى اخطأ في مثل قوله

عِـبَـادُكَ يَـخْـطَـئُـونَ وَأَنْـتَ رَبٌّ كَـرِيـمٌ لا يَـلِـيـقُ بِـكَ الـذُّمُـومُ

فمجرى الكلام انهم خاطئون وفي التنزيل لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا والمؤاخذة عن المخطىء موضوع فهذا يدل على ان اخطأنا في معنى خطئنا وكما جاء اخطأ في معنى خطىء كذلك جاء خطىء في معنى الخطأ في قوله « يا لَهْفَ هِنْـدٍ إذْ خَطَئْنَ كـاهِلاً »(١) وفي قـول الآخر

وَالـنَّـاسُ يَـلْحَـونَ الأمِـيـرَ إذا هُـمُ خَـطَـئُـوا الصَّـوابَ وَلا يُـلامُ المُـرْشِـدُ

فكذلك قراءة ابن عامر خطأ في معنى أخطأ كما جاء خطىء بمعنى اخـطأ ويجوز أن يكون الخَطأ بمعنى الخطء ايضاً كالمِثْل والمَثَل والشِبْه والشَبَه والبِدْل والبَدَل واما قراءة ابن كثير خطاءً فإنه يجوز ايضاً أن يكون مصدر خاطأ وان لم يسمع خاطأ ولكن جاء ما يدل عليه وهو قوله « تَخاطَأتِ النَّبْلُ أحْشَاءَهُ » قـال وأنشدنا محمد ابن السري في وصف كمأة .

وَأشْـعَـثَ قَـدْ نـاوَلْـتُـهُ احْـرَشُ القِـرى أَدَرَّتْ عَـلَـيْـهِ المُـدْجِـنـاتُ الهَـواضِـبُ
تَـخـاطَـأهُ الـقُـنّـاصُ حَـتّـى وَجَـدْتُـهُ وَخُـرْطُـومُـهُ في مَنْقَـعِ المَـاءِ راسِبُ(٢)

(١) هذا صدر بيت لامرىء القيس قاله عندما اغار على بني أسد. وبعده « نحن جلبنا القرح القوافلا » .

(٢) كل شيء خشن فهو أحرش وحرش وفي بعض النسخ « احوش » بالواو وفي التبيان والمنقول من تفسيري القرطبي وروح المعاني « أحرس » بالسين والراء والقرى: الطعام للضيف. وسحابة مدجنة: ذات المطر الكثير والهضبة: المطرة الدائمة العظيمة القطر: والقناص. الصيادون .

تخاطأ يدل على خاطأ لأن تفاعل مطاوع فعل كما أن تفعل مطاوع فعَّل ووجه من قرأ خِطْأ بيِّنٌ فإنه يقال خطىء يخطأ خطأ إذا تعمد الشيء والفاعل منه خاطىء وقد جاء الوعيد فيه في قوله تعالى لا يأكله الا الخاطئون واما خطاء فهو اسم بمعنى المصدر ومن اخطأت كالعطاء من أعطيت وقال ابن جنى يقال خطىء يخطأ خِطأة وخطأ في الدين واخطاء الغرض ونحوه وقد يتداخلان واما خطأ وخط فتخفيف خطاء وخطاء قال أبو علي وأما قوله فلا يسرف بالياء فإن فاعل يسرف يجوز ان يكون على وجهين (أحدهما) أن يكون القاتل الأول فيكون تقديره فلا يسرف القاتل في القتل ويكون مضمراً وان لم يجر له ذكر لأن الحال تدل عليه فإن قلت كيف يكون في القتل قصد بين شيئين حتى ينهى عن الاسراف فيه الذي هو ترك القصد (فالجواب) انه لا يمتنع أن يكون فيه الاسراف كما جاء في أموال اليتامى ولا تأكلوها اسرافاً ولم يجز ان يؤكل منه لا على الاقتصاد ولا على غيره لقوله **﴿إن الذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً﴾** الآية فكذلك لا يمتنع ان يقال للقاتل الأول لا يسرف في القتل لأنه بقتله يكون مسرفاً ويكون الضمير على هذا في قوله انه كان منصوراً لقوله ومن قتل مظلوماً تقديره فلا يسرف القاتل المبتدىء بقتله في القتل لأن من قتل مظلوماً كان منصوراً بأن يقتص له وليه أو السلطان ان لم يكن له وليّ غيره فيكون هذا ردعاً للقاتل عن القتل كما ان قوله ولكم في القصاص حياة كذلك فالوليّ إذا اقتص فإنما يقتص للمقتول ومنه انتقل الى الولي بدلالة ان المقتول لو أبرىء من السبب المؤدّي الى القتل لم يكن للولي ان يقتص ولو صالح الولي من العمد على مال كان للمقتول ان يؤدّي منه دينه ولا يمتنع ان يقال في المقتول منصور لأنه قد جاء ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا (والآخر) ان يكون في يسرف ضمير الولي اي فلا يسرف الولي في القتل واسرافه فيه ان يقتل غير الذي قتل او يقتل اكثر من قاتل وليه وكان مشركو العرب يفعلون ذلك والتقدير فلا يسرف الولي في القتل إذ الولي كان منصوراً بقتل قاتل وليه والاقتصاص من القاتل ومن قرأ فلا تسرف بالتاء احتمل وجهين أيضاً (أحدهما) أن يكون المبتدىء القاتل ظلماً فقيل له لا تسرف أيها الانسان فتقتل ظلماً من ليس لك قتله ان من قتل مظلوماً كان منصوراً بأخذ القصاص له (والآخر) ان يكون الخطاب للولي فيكون التقدير فلا تسرف أيها الولي في القتل فتتعدى قاتل وليك الى من لم يقتله ان المقتول ظلماً كان منصوراً وكل واحد من المقتول ظلماً ومن ولي المقتول قد تقدَّم ذكره في قوله ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً واما القِسطاس والقُسطاس فهما لغتان مثل القِرطاس والقُرطاس والضم أكثر.

[**المعنى**] ثم عطف سبحانه على ما تقدَّم فقال **﴿ولا تقتلوا أولادكم﴾** أي بناتكم **﴿خشية املاق﴾** أي خوف فقر وعجز عن النفقة عليهن ويحتمل أن يكون قوله ولا تقتلوا

منصوباً عطفاً على قوله ان لا تعبدوا ويجوز أن يكون على النهي فيكون مجزوماً وإنما نهاهم الله عن ذلك لأنهم كانوا يئدون البنات فيدفنونهن احياء ﴿**نحن نرزقهم وإياكم**﴾ أخبر سبحانه انه متكفل برزق اولادهم ورزقهم ﴿**ان قتلهم كان خطأ كبيراً**﴾ يعني ان قتلهم في الجاهلية كان إثماً عظيماً عند الله وهو اليوم كذلك ﴿**ولا تقربوا الزنى**﴾ وهو وطء المرأة حراماً بلا عقد ولا شبهة عقد ﴿**إنه كان فاحشة**﴾ أي معصية كبيرة عظيمة والمراد انه كان عندهم في الجاهلية فاحشة وهو الآن كذلك ومثل هذا في القرآن كثير ﴿**وساء سبيلاً**﴾ أي وبئس الطريق الزنا وفيه اشارة الى ان العقل يقبح الزنى من حيث انه لا يكون للولد نسب اذ ليس بعض الزناة اولى به من بعض فيؤدّي الى قطع الأنساب وإبطال المواريث وابطال صلة الرحم وحقوق الآباء على الاولاد وذلك مستنكر في العقول وأخبرني المفيد عبد الجبار بن عبد الله بن علي قال حدثنا الشيخ أبو جعفر الطوسي قال حدثنا أبو عبد الله الحسن بن أحمد بن حبيب الفارسي عن أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد الجرجرائي قال سمعت أبا عمرو عثمان بن الخطاب المعروف بأبي الدنيا يقول سمعت علي بن أبي طالب يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول في الزنا ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فأما اللواتي في الدنيا فيذهب بنور الوجه ويقطع الرزق ويسرع الفنا وأما اللواتي في الآخرة فغضب الرب وسوء الحساب والدخول في النار أو الخلود في النار ﴿**ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق**﴾ وهو أن يجب عليه القتل اما لكفره أوردته أو لأنه قتل نفساً بغير حق أو زنى وهو محصن ﴿**ومن قتل مظلوماً**﴾ بغير حق ﴿**فقد جعلنا لوليه سلطاناً**﴾ أي قد اثبتنا لوليه سلطان القود على القاتل أو الدية او العفو عن ابن عباس والضحاك وقيل سلطان القود عن قتادة ﴿**فلا يسرف في القتل انه كان منصوراً**﴾ مرَّ تفسيره قبل ﴿**ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده**﴾ فسَّرناه في سورة الانعام ﴿**وأوفوا بالعهد**﴾ في الوصية بمال اليتيم وغيرها وقيل ان كل ما أمر الله به ونهى عنه فهو من العهد وقد يجب الشيء أيضاً بالنذر والعهد به وان لم يجب ابتداء وانما يجب عند العقد ﴿**إن العهد كان مسؤولاً**﴾ عنه للجزاء عليه فحذف عنه لأنه مفهوم وقيل ان معناه ان العهد يسأل فيقال له بما نقضت كما تسأل المؤودة بأيّ ذنب قتلت ﴿**وأوفوا الكيل إذا كلتم**﴾ أي أتمّوه ولا تبخسوا منه ومعناه وأوفوا الناس حقوقهم إذا أكلتم عليهم ﴿ **وزنوا بالقسطاس**﴾ وهو الميزان صغُر ام كبر عن الزجاج وقيل هو القبان عن الحسن وقيل هو العدل بالرومية عن مجاهد فيكون محمولاً على موافقة اللغتين و ﴿**المستقيم**﴾ الذي لا بخس فيه ولا غبن ﴿**ذلك خير**﴾ أي خير ثواباً عن قتادة وقيل أقرب إلى الله عن عطا وقيل معناه أن ايفاء الكيل والوزن خير لكم في دنياكم فإنه يكسب اسم

الأمانة في الدنيا ﴿وأحسن تأويلاً﴾ أي وأحسن عاقبة في الآخرة ومرجعاً من آل يؤول إذا رجع حثَّ الله سبحانه بهذه الآية على اتمام الوزن والكيل في المعاملات والبياعات وايفاء حقوق العباد .

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنَـٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر وأهل الكوفة كان سيئه بضم الهمزة مضافاً الى الهاء وقرأ الباقون سيئة منصوباً منوناً غير مضاف.

[**الحجة**] من قرأ سيئُهُ مضافاً قال لأنه قد تقدَّم ذكر أمور منها سيء ومنها حسن فخصَّ الله سبحانه السيء منها بأنه مكروه عنده لأنه عز اسمه لا يكره الحسن ويقوي ذلك قوله مكروهاً ولو كان سيئة غير مضاف لوجب ان تكون مكروهة فإن قيل ان التأنيث غير حقيقي فلا يمتنع أن يذكر قيل ان هاهنا التذكير لا يحسن وان لم يكن حقيقياً لأن المؤنث قد تقدم ذكره فإن قوله « وَلَا أَرْضَ أَبْقَلَ إِبْقَالَها »[1] مستقبح عندهم ولو قال أبقل الأرض لم يستقبح وذلك ان المتقدم الذكر ينبغي أن يكون الراجع اليه وفقه كما يكون وفقه في التثنية والجمع واذا لم يتقدم له ذكر لم يلزم ان يراعي ذلك ومن قرأ سيئة فإنه يشبه ان يكون لما رأى الكلام اقتطع

(١) عجز بيت قاله عامر بن جوين الطائي وقبله « فلا مزنة ودقت ودقها » والمزنة: القطعة من السحاب. والودق المطر. وأبقل: أخرج البقل والشاهد في أبقل حيث لم يقل أبقلت .

عند قوله وأحسن تأويلاً وكان الذي بعده من قوله ولاتقف ماليس لك به علم لا أمْرَ حسناً فيه قال كل ذلك كان سيئة فأفرد ولم يضف فإن قلت كيف ذكر المؤنث ثم قال مكروهاً قلت فإنه يجوز أن لا نجعل مكروهاً صفة لسيئة ولكن نجعله بدلاً ولا يلزم أن يكون في البدل ذكر المبدل منه كما يجب ذلك في الصفة ويجوز ان يكون مكروهاً حالاً من الذكر الذي في قوله عند ربك على أن تجعل عند ربك صفة للنكرة قال النحوي البصير ليس هذا بصحيح لأن الضمير الذي في الظرف مؤنث كما ان السيئة مؤنث فيلزم منه ما لزم من الأول إذا جعلته صفة للسيئة وان حمله على التأنيث غير الحقيقي يجيء منه ما قال في قوله ولا أرض أبقل أبقالها .

[**اللغة**] القفو اتباع الأثر ومنه القيافة فكأنه يتبع قفا المتقدم قال :

وَمِثْلِ الدُّمٰى شُمُّ العَرانِينِ سَاكِنٌ بِهِنَّ الحَياءُ لا يُشِعْنَ التَّقافِيا[١]

أي التقاذف قال أبو عبيدة القفو العضيهة يقال قافه يقوفه وقفاه يقفوه بمعنى فهو مثل جذب وجبذ وأصل الخرق القطع ورجل خرق يتخرق في السخاء والخرق الفلاة لانقطاع أطرافها بتباعدها قال رؤبة وقاتمُ الأَعْماقِ خاوِي المخترق »[٢] أي خاوي المقطع والمرح شدة الفرح .

[**الإعراب**] قال كل أولئك لأن أولئك وهؤلاء للجمع القليل من المذكر والمؤنث وإذا أريد الكثير يقال كل هذه وتلك قال الشاعر :

ذُمَّ الْمَنازِلُ بَعْدَ مَنْزِلَةِ اللِّوىٰ وَالْعَيْشُ بَعْدَ أُولئكَ الأَيَّامِ

فأولئك كما يكون إشارة إلى العقلاء يكون إشارة إلى غيرهم وقوله ﴿ **كان عنه مسؤولاً** ﴾ الهاء تعود إلى كل أي يسأل عن استعمال هذه الأشياء وإن شئت كان الهاء يعود إلى الإنسان أي يسأل عن الإنسان فيما استعمل هذه الأشياء ويكون في مسؤولاً ضمير يعود إلى كل وقدره أبو علي أن أفعال السمع والبصر والفؤاد كل أفعال أولئك طولاً مصدر وضع موضع الحال أما عن الفاعل في لن تبلغ أو من الجبال وجوّز الأمرين أبو علي وفتلقى منصوب بإضمار أن لكونه جواب النهي بالفاء ملوماً مدحوراً نصب على الحال ومرحاً نصب على التمييز ويجوز أن يكون مصدراً وضع موضع الحال كقولهم جاء زيد ركضاً وجاء زيد راكضاً

(١) قائله النابغة الجعدي . والشمم : ارتفاع قصبة الأنف . والعرنين : الأنف وشمم الأنف من صفات المدح .

(٢) وبعده « مشتبه الاعلام لماع الخفق » ومكان قاتم الأعماق أي مغبر النواحي .

فركضا أو كد في الاستعمال لأن ركضاً يدل على توكيد الفعل وتقديره يركض ركضـاً وعلى هذا يكون معناه ولا تمش في الأرض مختالاً وقيل أن طولاً نصب على التمييز .

[**المعنى**] ثم قال سبحانه ﴿ **ولا تقف ما ليس لك به علم** ﴾ ومعنـاه لا تقل سمعت ولم تسمع ولا رأيت ولم تر ولا علمت ولم تعلم عن ابن عباس وقتادة وقيل معناه لا تقل في قفا غيرك كلاماً أي إذا مرَّ بك فـلا تغتبه عن الحسن وقيـل هو شهـادة الزور عن محمـد بن الحنفية والأصل أنه عام في كل قول وفعل أو عزم يكون على غير علم فكأنه سبحانه قال لا تقل إلا ما تعلم أنه مما يجوز أن يقال ولا تفعل إلا ما تعلم أنه مما يجوز أن يفعل ولا تعتقد الا ما تعلم أنه مما يجوز أن يعتقد وقد استـدل جماعـة من أصحابنـا بهذا على أن العمـل بالقياس وبخبر الواحد غير جائز لأنهما لا يوجبان العلم وقد نهى الله سبحانه عن اتباع ما هو غير معلوم ﴿ **إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً** ﴾ معناه أن السمع يسأل عما سمع والبصر عما رأى والقلب عما عزم عليه ذكر سبحانه السمع والبصر والفؤاد والمراد أن أصحابها هم المسؤولون ولذلك قال كل أولئك وقيل بل المعنى كل أولئك الجوارح يسأل عمـا فعل بهـا قال الـوالبي عن ابن عباس يسـأل الله العباد فيمـا استعملوها وروى علي بن إبراهيم في تفسيره عن أبيـه عن الحسن بن محبوب عن أبي حمـزة الثمالي عن أبي جعفـر (ع) قال قال رسول الله ﷺ لا يزول قدم عبد يوم القيامة بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن أربع خصال عمرك فيما أفنيته وجسدك فيما أبليته ومالك من أين كسبته وأين وضعته وعن حبنـا أهل البيت ﴿ **ولا تمش في الأرض مـرحاً** ﴾ معنـاه لا تمش على وجه الأشـر والبـطر والخيلاء والتكبر قال الزجاج معناه لا تمش في الأرض مختالاً فخوراً وقيل المرح شدة الفرح بالباطل ﴿ **إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً** ﴾ هذا مثل ضربه الله تعالى قال انك أيها الإنسان لن تشق الأرض من تحت قدمك بكبرك ولن تبلغ الجبال بتطاولك والمعنى أنك لن تبلغ مما تريد كثير مبلغ كما لا يمكنك أن تبلغ هذا فما وجه المنابزة على ما هذا سبيله مع أن الحكمة زاجرة عنه وإنما قال ذلك لأن من الناس من يمشي في الأرض بطراً يدق قدميه عليها ليري بذلك قدرته وقوته ويرفع رأسه وعنقه فبيَّن سبحانه أنـه ضعيف مهين لا يقدر أن يخرق الأرض بدق قدميه عليها حتى ينتهي إلى آخرها وإن طوله لا يبلغ طول الجبال وإن كان طويلاً علَّم الله سبحانه عباده التواضع والمروءة والوقار ﴿ **كل ذلك** ﴾ إشـارة إلى جميع مـا تقدم ذكره مما نهى الله سبحانه عنه في هذه الآيات ﴿ **كان سيئه** ﴾ أي معصيته ﴿ **عند ربك مكروهاً** ﴾ له سبحانه يكرهها ولا يريدها ولا يرضاها وعلى القراءة الثانية فيكون ذلك إشارة إلى جميع ما أمر به من المحسنات ونهى عنه من المقبحات أي كان سيء ما سبق من هذه

الأشياء مكروهاً عند ربك وفي هذا دلالة واضحة على بطلان قول المجبرة فإنه سبحانه صرَّح بأنه يكره المعاصي والسيئات وإذا كرهها فكيف يريدها فإن من المحال أن يكون الشيء الواحد مراداً مكروهاً عنده ﴿ **ذلك** ﴾ الذي تقدَّم ذكره من الأوامر والنواهي ﴿ **مما أوحى إليك ربك** ﴾ يا محمد ﴿ **من الحكمة** ﴾ المؤدية إلى المعرفة بالحسن والقبح والفرق بينهما ﴿ **ولا تجعل مع الله إلَهاً آخر** ﴾ في إقرارك وقولك والخطاب للنبي ﷺ والمراد به غيره ليكون أبلغ في الزجر كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك ﴿ **فتلقى** ﴾ أي فتطرح بمعنى أنك إذا فعلت ذلك أُلقيت وطرحت ﴿ **في جهنم ملوماً** ﴾ يلومك الناس ﴿ **مدحوراً** ﴾ أي مطروداً مبعداً عن رحمة الله تعالى ﴿ **أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة أناثاً** ﴾ هذا خطاب لمن جعل الملائكة بنات الله تعالى ومعناه أخلصكم الله سبحانه بالبنين وخصَّكم بهم واتخذ لنفسه الإناث وجعل البنات مشتركة بينكم وبينه واختصكم بالأرفع وجعل لنفسه الأدون تقول أصفيت فلاناً بالشيء إذا آثرته به ﴿ **انكم لتقولون قولاً عظيماً** ﴾ أي كبيراً في الإثم واستحقاق العقوبة حيث أضفتم إلى الله سبحانه ما لم ترضوا لانفسكم به وجعلتم الملائكة وهم أعلى خلق الله وأشرفهم أدون خلق الله وهم الاناث .

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِي ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة غير عاصم لِيَذْكروا ساكنة الذال خفيفة وفي سورة الفرقان مثله والباقون ليذكروا بفتح الذال والكاف وتشديدهما في السورتين وقرأ كما يقولون بالياء يسبح له بالياء أهل المدينة والشام وأبو بكر وقرأ أهل البصرة كما تقولون بالتاء عما يقولون

بالياء تسبح له بالتاء وقرأ حفص كما يقولون وعما يقولون بالياء تسبح بالتاء وقرأ الجميع بالياء ابن كثير وقرأ الجميع بالتاء حمزة والكسائي وخلف .

[**الحجة**] قال أبو علي حجة من قـال ليذكـروا قولـه ولقد وصلنـا لهم القول لعلهم يتذكرون فالتذكر هنا أشبه من الذكر لأنه كان يراد به التدبر وليس يراد الذكر الذي هو ضـد النسيان ولكنه كما قال كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبـروا آياتـه وليتذكـر أولـو الألبـاب وليس المراد ليتذكروه بعد نسيانهم بل المراد ليتدبروه بعقولهم ووجه التخفيف أن التخفيف قد جاء في هذا المعنى خذوا ما آتيناكم بقـوة واذكروا مـا فيه فهـذا ليس على معنى لا تنسوه ولكن تدبروه ومن قرأ كما يقولون بالياء فالمعنى كما يقول المشركون من اثبات الآلهة من دونه فهو مثل قوله تعالى ﴿ **قل للذين كفروا ستغلبون** ﴾ لأنهم غيب فأما من قرأ سبحانه وتعالى عما يقولون فإنه يحتمل وجهين (أحدهما) أن يعطف على كما يقولون (والآخر) أن يكون نزَّه سبحانه نفسه عن دعوتهم قال سبحانه وتعالى عما يقولون ومن قرأ كما تقولـون بالتـاء وعما يقولون بالياء فإن الأول على ما تقدم والثاني على أنه نزَّه نفسه عن قولهم ويجوز أن تحمله على القول كأنه قال قل أنت سبحانه وتعالى عما يقولون وأما قوله ﴿ **تسبح له السماوات** ﴾ فكل واحد من الياء والتاء حسن .

[**المعنى**] ثم احتج سبحانه على الذين تقدَّم ذكرهم فقال ﴿ **ولقد صرفنا** ﴾ أي كرَّرنا الـدلائل وفصَّلنـا المعاني والامثـال وغير ذلـك مما يـوجب الاعتبار بـه ﴿ **في هـذا القـرآن ليذكروا** ﴾ أي ليتفكروا فيها فيعلموا الحق وحذف ذكر الدلائـل والعبر لـدلالة الكـلام عليه وعلم السامع به ﴿ **وما يزيدهم إلا نفوراً** ﴾ أي وما يزداد هؤلاء الكفار عند تصريف الأمثال والدلائل لهم إلا تباعداً عن الاعتبار ونفوراً عن الحق وأضاف النفور إلى القرآن لأنهم ازدادوا النفور عند نـزوله كقـوله ﴿ **فلم يـزدهم دعائي إلا فـراراً** ﴾ فإن قيـل إذا كان المعلوم أنهم يزدادون النفور عند انزال القرآن فما المعنى في إنزاله وما وجه الحكمة فيه قيل الحكمة فيه الزام الحجة وقطع المعذرة في إظهار الدلائل التي تحسن التكليف وأنه يصلح عنـد انزالـه جماعة ما كانوا يصلحون عند عدم انزاله ولو لم ينزل لكان هؤلاء الذين ينفرون عن الإيمان يفسدون بفساد أعظم من هذا النفور فالحكمة اقتضت انزاله لهذه المعاني وإنما ازدادوا نفوراً عند مشاهدة الآيات والدلائل لاعتقادهم أنها شبه وحيل وقلة تفكرهم فيها ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿ **لو كان معه آلهة كما يقولون** ﴾ هم أو تقولون أنتم على القراءتين ﴿ **إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً** ﴾ أي لطلبوا طريقاً يقربهم إلى مالك العرش والتمسوا الزلفة

عنده لعلمهم بعلوّه عليهم وعظمته عن مجاهد وقتادة وقال أكثر المفسرين معناه لطلبوا سبيلاً إلى معازَّة مالك العرش ومغالبته ومنازعته فإن المشتركين في الإلّهية يكونـان متساويين في صفات الذات ويطلب أحدهما مغالبـة صاحبـه ليصفو لـه الملك وفي هذا إشـارة إلى دليل التمانع ثم نزَّه سبحانه نفسه من أن يكون له شريك في الإلّهية فقال ﴿ **سبحانه وتعـالى عما يقولون** ﴾ أي عن قولهم ﴿ **علواً كبيراً** ﴾ وإنما لم يقل تعالياً كبيراً لأنه وضـع مصدر مكـان مصدر نحوه قوله تبتل إليه تبتيلا ومعنى تعالى أن صفاته في أعلى المراتب ولا مساوي له فيها لأنه قادر لا أحد أقدر منه وعالم لا أحد أعلم منه وخصَّ العرش بإضافته إليه تعظيماً للعرش ويجوز أن يريد بالعـرش الملك ﴿ **تسبح لـه السماوات السبـع والأرض ومن فيهن** ﴾ معنى التسبيح هاهنا الدلالة على توحيد الله وعدله وأنه لا شريك له في الإلّهية وجرى ذلك مجرى التسبيح باللفظ وربما يكون التسبيح من طريق الدلالة أقوى لأنه يؤدّي إلى العلم ﴿ **وإن من شيء إلا يسبح بحمده** ﴾ أي ليس شيء من الموجودات إلا ويسبح بحمد الله تعالى من جهة خلقته إذ كل موجود سوى القديم حادث يدعو إلى تعظيمه لحاجته إلى صانـع غير مصنـوع صنعه أو صنع من صنعه فهو يدعو إلى تثبيت قديم غني بنفسه عن كل شيء سواه ولا يجوز عليه ما يجوز على المحدثات وقيل أن معناه وما من شيء من الاحياء إلا يسبح بحمده عن الحسن وقيل أن كل شيء على العموم من الوحوش والطيـور والجمادات يسبـح الله تعالى حتى صرير الباب وخرير الماء عن إبراهيم وجماعـة ﴿ **ولكن لا تفقهون تسبيحهم** ﴾ أي لا تعلمون تسبيح هذه الأشياء حيث لم تنظروا فيها فتعلموا كيف دلالتها على توحيده ﴿ **إنه كان حليماً** ﴾ يمهلكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفركم ﴿ **غفوراً** ﴾ لكم إذا تبتم وأنبتم إليه .

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ
ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا
مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ
وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ
نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ

هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾
ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ﴿٤٨﴾

[**اللغة**] الوقر بالفتح الثقل في الأذن وبالكسر الحمل والأصل فيه الثقل إلا أنه خولف بين البناءين للفرق والنفور جمع نافر وهذا الجمع قياس في كل فاعل اشتق من فعل مصدره على فعول مثل ركوع وسجود وشهود والنجوى مصدر يوصف بـه الواحـد والاثنان والجمـع والمذكر والمؤنث وهو مقر على لفظه .

[**الإعراب**] قوله أن يفقهوه في موضع نصب بأنه مفعول له على كراهة أن يفقهـوه. نفوراً نصب على الحال وتقديره ولّوا نافرين وقيل أنه مصدر ولـو أخرج على غيـر لفظه لأن معنى ولوا نفروا فكأنه قال نفروا نفوراً .

[**النزول**] قيل نزل قوله وإذا قرأت القرآن الآية في قوم كانوا يؤذون النبي ﷺ بالليل إذا تلا القرآن وصلى عند الكعبة وكانوا يرمونه بالحجارة ويمنعونه عن دعاء الناس إلى الدين فحال الله سبحانه بينه وبينهم حتى لا يؤذوه عن الزجاج والجبائي .

[**المعنى**] لمّا تقدَّم قوله ولقد صرفنا في هذا القـرآن بيَّن سبحانـه حالهم عنـد قراءة القرآن فقال ﴿ **وإذا قرأت القرآن** ﴾ يا محمد ﴿ **جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة** ﴾ وهم المشركون ﴿ **حجاباً مستوراً** ﴾ قال الكلبي وهم أبو سفيان والنضر بن الحرث وأبو جهل وأم جميل امرأة أبي لهب حجب الله رسوله عن أبصارهم عند قـراءة القرآن وكـانوا يـأتونـه ويمرون به ولا يرونه وقيل أراد حجاباً ساتراً عن الأخفش والفاعل قد يكون في لفظ المفعول يقال مشؤوم وميمون إنما هو شائم ويامن وقيل هو على بناء النسب لا على أن المفعول بمعنى الفاعل والفاعل بمعنى المفعول والمعنى حجاباً ذا ستر وهذا هو الصحيح وقيل حجاباً مستوراً عن الأعين لا يبصر إنما هو من قدرة الله تعالى حجب نبيّه بحجاب لا يرونه ولا يراه النبي ﷺ وقيل أن المعنى في الآية ﴿ **جعلنا بينك وبينهم حجـاباً** ﴾ بمعنى بـاعدنـا بينك وبينهم في القرآن فهو لك وللمؤمنين معك شفاء وهدى وهو للمشركين في آذانهم وقروعليهم عمى فهذا هو الحجاب عن أبي مسلم وهذا بعيد والأول أوجه لأنه الحقيقة ﴿ **وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا** ﴾ مرَّ تفسيره في سورة الأنعام ﴿ **وإذا ذكـرت ربك في القـرآن**

وحده ﴾ معناه وإذا ذكرت الله بالتوحيد وأبـطلت الشرك ﴿ **ولـوا على أدبارهم نفـوراً** ﴾ أي أعرضوا عنك مدبرين نافرين والمعني بذلك كفار قريش وقيل هم الشيـاطين عن ابن عباس وقيل معناه إذا سمعوا بسم الله الرحمن الرحيم ولوا وقيل إذا سمعوا قول لا إلّه إلا الله ﴿ **نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليـك** ﴾ معناه ليس يخفى علينـا حال هؤلاء المشـركين وغرضهم في الاستماع إليك وقد علمنا سبب استماعهم وهذا كما يقال فعلت ذلك بحرمتك ﴿ **وإذ هم نجـوى** ﴾ أي متناجـون وقيل هم ذوو نجـوى والمعنى أنـا نعلمهم في حـال مـا يصغون إلى سماع قراءتك وفي حال ما يقومون من عندك ويتناجون فيما بينهم فيقول بعضهم هو ساحر وبعضهم هو كـاهن وبعضهم هو شـاعر وقيـل يعني به أبـا جهل وزمعة بن الأسود وعمرو بن هشام وخويطب بن عبد العزى اجتمعوا وتشاوروا في أمر النبي ﷺ فقال أبو جهل هو مجنون وقال زمعة هو شاعر وقال خويطب هو كاهن ثم أتوا الوليد بن المغيرة وعرضوا ذلك عليه فقال هو ساحر ﴿ **إذ يقول الـظالمون أن تتبعـون إلا رجلاً مسحـوراً** ﴾ قيل فيـه وجوه (أحدها) أنهم يقولون ما يتبعون إلا رجلاً قد سحر فاختلط عليـه أمره وإنمـا يقولـون ذلك للتنفير عنه (وثانيها) أن المراد بالمسحور المخدوع المعلل كما في قول امرىء القيس :

أَرانـــا مُـــوضِـعِـيـنَ لِـحَــتْـمِ غَـيْـبٍ   وَنُسْحَـرُ فِي الـطَّعـامِ وَفِي الشَّـرابِ[1]

وقول أمية بن أبي الصلت :

فَـإِنْ تَـسْـأَلِيـنـا فِيـمَ نَحْـنُ فَـإِنَّـنـا   عَصَـافِيـرُ مِنْ هٰـذَا الأَنـامِ المُسَحَّـرِ[2]

(وثـالثها) أن المعنى أن تتبعـون إلا رجلاً ذا سحـر أي رئـة خلقـه الله بشـراً مثلكم (ورابعها) أن المسحور بمعنى الساحر كما قيل في قوله ﴿ **حجاباً مستوراً** ﴾ أي ساتراً وقد زيف هذا الوجه والوجوه الثلاثة أوضح وعلى هذا فمعنى الآية البيان عما توجبه حال المعادي للدين الناصب للحق اليقين وان قلبه كأنه في كنان عن تفهمه وكأن في أذنيه وقراً عن استماعه فهو مُوَلٍّ نافر عنه يناجي في حال الانحراف عنه جُهّالاً أمثاله قد بعدوا بالحجة حتى نسبـوا صـاحبها إلى أنـه مسحور لمـا لم يكن لهم إلى مقاومـة مـا أتى بـه سبيـل ولا على كسـره بالمعارضة دليل ثم قال سبحانه على وجه التعجيب ﴿ **انظر** ﴾ يا محمد ﴿ **كيف ضربوا لك**

(١) قوله موضعين أي مسرعين وأراد من قوله لحتم غيب الموت الذي قد غيب عنا وقته وقد مـر البيت في صفحة ٥٢ أيضاً .

(٢) نسبه في التبيان واللسان والصحاح إلى لبيد وهو موجود في ديوانه : ١ : ٨٠ .

الأمثال ﴾ أي شبَّهوا لك الأشياء فقالوا مجنون وساحر وشاعر ﴿ **فضلوا** ﴾ بهذا القول عن الحق ﴿ **فلا يستطيعون سبيلاً** ﴾ أي لا يجدون حيلة ولا طريقاً إلى بيان تكذيبك إلا البهت الصريح وقيل لا يجدون سبيلاً أي لا يجدون حيلة وطريقاً إلى صدِّ الناس عنك وإلى اثبات ما ادَّعوا عليك وقيل ضلوا عن الطريق المستقيم وهو الدين والإسلام فلا يجدون إليه طريقاً بعد ما ضلوا عنه .

﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا
جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ
فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ
فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ
قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾

[**اللغة**] الرفات ما تكسر وبلى من كل شيء ويكثر بناء فعال في كل ما يحطم ويرضض يقال حطام ودقاق وتراب وقال المبرد كل شيء مدقوق مبالغ في دقه حتى انسحق فهو رفات وقال الفراء لا واحد له من لفظه يقال رفت الشيء رفتاً فهو مرفوت إذا صير كالحطام ويقال انغض رأسه ينغضه ونغض رأسه ينغضه نغضاً إذا حركه قالوا والنغض تحريك الرأس بارتفاع وانخفاض ومنه قيل للظليم[1] نغض لأنه يحرك رأسه في مشيه بارتفاع وانخفاض قال العجاج « أَصَكَّ نَغْضاً لا يَنِي مُسْتَهْدَجاً »[2] ونغض السن إذا تحرَّكت قال « فَنَغَضَتْ مِنْ هرم أَسْنانها » .

[**الإعراب**] إذا في موضع نصب بفعل يدل عليه قوله ﴿ **أإنا لمبعوثون** ﴾ وتقديره

(١) الظليم : الذكر من النعام .

(٢) هذا عجز بيت صدره « واستبدلت رسومه سفنجاً » والصكك : اضطراب الركبتين والعرقوبتين من الإنسان وغيره ومستهدجاً أي مستعجلاً .

أنبعث في ذلك الوقت ولا يجوز أن يكون ظـرفاً لقـوله ﴿ مبعـوثون ﴾ لأن مـا بعد أن ولام الابتداء لا يجوز أن يعمل فيما قبلهما والباء في بحمده باء الحال أي تستجيبون حامدين له ويدعوكم في موضع الجر بإضافة يوم إليه وتستجيبون عطف عليه وتظنون ليس في موضـع الجر لأن الواو للحال وتقديره وحالكم إذ ذاك أن تظنوا وقليلاً نصب على الظرف وتقديره أن لبثتم إلا زمناً قليلاً .

[**المعنى**] لمّا تقدَّم ذكر البعث والنشور حكى سبحانه عن الكفار ما قالوا في انكـاره فقال ﴿ **وقالوا أإذا كنا عظاماً ورفاتاً** ﴾ أي غباراً عن ابن عباس وقيل تراباً عن مجاهد ﴿ **ءإنا لمبعوثون خلقاً جديداً** ﴾ والمعنى قال المنكرون للبعث إنا إذا متنا وانتثرت لحـومنا وصـرنا عظاماً وتراباً أنبعث بعد ذلك خلقاً جديداً أي متجدداً وهو انكار في صورة الاستفهام ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهم ﴿ **كونوا حجارة أو حديداً** ﴾ أي اجهدوا في أن لا تعادوا وكونوا ان استطعتم حجارة في القوة أو حديداً في الشدة ﴿ **أو خلقاً مما يكبر في صدوركم** ﴾ أي خلقاً هو أعظم من ذلك عندكم وأصعب فإنكم لا تفوتون الله تعالى وسيحييكم بعد الموت وينشركم إلا أن الكلام خرج مخـرج الأمر لأنـه أبلغ في الإلزام وقيـل يعني بقولـه ﴿ **ما يكبـر في صدوركم الموت** ﴾ عن ابن عباس وسعيد بن جبير أي لو كنتم الموت لأماتكم الله تعالى وليس شيء أكبر في صدور بني آدم من الموت وقيل يعني به السماوات والأرض والجبـال عن مجاهـد ﴿ **فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة** ﴾ معناه فإنك إذا قلت لهم ذلك سيقولون لك من يحيينا بعد الموت قل يا محمد يحييكم من خلقكم أول مرة فإن من قدر على ابتداء الشيء كان على إعادته أقدر ما لم تبطل قدرته ولم يتغير فإن ابتداء الشيء أصعب من إعادته وإنما قال ذلك لهم لأنهم كانوا يقرُّون بـالنشأة الأولى ﴿ **فسينغضـون إليك رؤوسهم** ﴾ أي فسيحـرّكون إليـك رؤوسهم تحريـك المستهـزىء المستخف المستبـطىء لمـا تنـذرهـم بـه ﴿ **ويقولون متى هو** ﴾ أي متى يكون البعث ﴿ **قل عسى أن يكون قـريباً** ﴾ لأن مـا هو آت قريب ومن كلام الحسن كـأنك بـالدنيـا لم تكن وكأنـك بالآخـرة لم تزل ﴿ **يـوم يدعـوكم فتستجيبون بحمده** ﴾ معنـاه عسى أن يكون بعثكم قـريباً أيهـا المشركـون يوم يـدعوكم من قبوركم إلى الموقف على ألسنةالملائكة وذلك عند النفخةالثانية فيقولون أيتها العظام النخرة والجلود البالية عودي كما كنت فتستجيبون مضطرين بحمده أي حامدين لله على نعمه وأنتم موحدون وهذا كما يقـول القائـل جاء فـلان بغضبه أي جـاء غضبان وقيـل معنى تستجيبون بحمده أنكم تستجيبون معتـرفين بأن الحمـد لله على نعمه لا تنكـرونه لأن المعـارف هناك ضرورية قال سعيد بن جبير يخرجون من قبورهم يقولون سبحـانه وبحمـدك ولا ينفعهم في

ذلك اليوم لأنهم حمدوا حين لا ينفعهم الحمد ﴿ **وتظنون أن لبثتم إلا قليلاً** ﴾ أي وتظنون أنكم لم تلبثوا في الدنيا إلا قليلاً لسرعة انقلاب الدنيا إلى الآخرة قال الحسن وقتادة استقصروا مدة لبثهم في الدنيا لما يعلمون من طول لبثهم في الآخرة ومن المفسرين من يذهب إلى أن هذه الآية خطاب للمؤمنين لأنهم الذين يستجيبون الله بحمده ويحمدونه على إحسانه إليهم ويستقلون مدة لبثهم في البرزخ لكونهم في قبورهم منعمين غير معذبين وأيام السرور والرخاء قصار .

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾

[**اللغة**] الوسيلة القربة والواسل الراغب قال لبيد « بلى كل ذي دين إلى الله واسل » قال الزجاج الوسيلة والسؤال والطلبة في معنى واحد .

[**الإعراب**] يقولوا جواب شرط محذوف تقديره قل لعبادي قولوا التي هي أحسن يقولوا وكان أبو عثمان يزعم أنَّ يقولوا واقع موقع قولوا وهو مبني لأنه وقع موقع قولوا ووقوع الفعل موقع الفعل المبني لا يوجب له البناء ألا ترى أن قوله ﴿ **تؤمنون بالله ورسوله** ﴾ واقع

موقع آمنوا وهو معرب وإنما ذلك في الأسماء نحو يا زيد بني لوقوعه موقع يا أنت « أُولئك » رفع بالإبتداء والذين يـدعونْ صفـة لهم ويبتغون خبـر الإبتداء وقـوله ﴿ أيهم أقـرب ﴾ قال الزجاج إن شئت كان أيهم رفعاً بالإبتداء والخبر وقوله أقرب ويكون معناه ينظرون أيهم أقرب إليه فيتوسلون به والجملة متعلقة بينظرون المضمرة ويجوز أن يكون أيهم أقرب بدلاً من الواو في يبتغون .

[النزول] كان المشركون يؤذون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة فيقولون يا رسول الله إئذن لنا في قتالهم فيقول لهم إني لم أؤمر فيهم بشيء فأنزل الله سبحانه ﴿ قل لعبادي ﴾ الآية عن الكلبي .

[المعنى] ثم أمر سبحانه عباده بإتباع الأحسن من الأقوال والأفعال فقال ﴿ وقل ﴾ يا محمد ﴿ لعبادي ﴾ وهذا إضافة تخصيص وتشريف أراد به المؤمنين وقيل هو عام في جميع المكلفين ﴿ يقولوا التي هي أحسن ﴾ أي يختاروا من المقالات والمذاهب المقالة التي هي أحسن المقالات والمذاهب وقيل معناه مر هم يقولوا الكلمة التي هي أحسن الكلمات وهي كلمة الشهادتين وكل ما ندب الله إليه من الأقوال وقيل معناه يأمروا بما أمر الله به وينهوا عما نهى الله عنه عن الحسن وقيل معناه قل لهم يقل بعضهم لبعض أحسن ما يقال مثل رحمك الله ويغفر الله لك وقيل معناه قل لعبادي إذا سمعوا قولك الحق وقول المشركين يقولوا ما هو أولى ويتبعوا ما هو أحسن عن أبي مسلم وقال نظيره فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنـه ﴿ إن الشيطان ينـزغ بينهم ﴾ أي يفسـد بينهم ويغـري بعضهم ببعض ويلقي بينهم العداوة ﴿ إن الشيطان كـان ﴾ في جميع الأوقـات ﴿ للإنسـان ﴾ أي لآدم وذريته ﴿ عـدواً مبيناً ﴾ مظهراً للعداوة ثم خاطب سبحانه الفريقين فقال ﴿ ربكم أعلم بكم ﴾ معناه أنه أعلم بأحوالكم فيدبّر أمـوركم على ما يعلمـه من المصلحة لكم ﴿ أن يشـأ يرحمكم أو أن يشـأ يعذبكم ﴾ قيل أراد أنه سبحانه مالك للرحمة والعذاب فيكون الـرجاء إليـه والخوف منـه عن الجبائي وقيل معناه إن يشأ يرحمكم بالتوبة أو إن يشأ يعذبكم بالإصرار على المعصيـة عن الحسن وقيل معناه إن يشأ يرحمكم بإخراجكم من مكة وتخليصكم من إيذاء المشركين أو إن يشأ يعذبكم بتسليطهم عليكم وقيل إن يشأ يرحكم بفضله وإن يشأ يعذبكم بعدله وهو الأظهر ثم عاد إلى خطاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ﴿ وما أرسلناك عليهم وكيلاً ﴾ أي وما أرسلناك موكلاً عليهم حفيظاً لأعمالهم يدخل الإيمان في قلوبهم شاؤوا أم أبوا ومعناه إنك لا تؤاخذ بأعمالهم فإنا أرسلناك داعياً لهم إلى الإيمان فإن أجابوك وإلا فلا شيء عليك فإن

عتاب ذلك يحلُّ بهم واللائمة تلزمهم ﴿ **وربك أعلم بمن في السماوات والأرض** ﴾ أي هو أعلم بمن في السماوات من الملائكة وبمن في الأرض من الأنبياء بيَّن سبحانه بهذا أنه لم يختـر الملائكـة والأنبياء للميـل إليهم وإنما إختـارهم لعلمه ببـاطنهم وقيل معنـاه أنه أعلم بالجميع فجعلهم مختلفين في الصـور والرزق والأحـوال كما إقتضتـه المصلحة كمـا فضَّل بعض النبيين على بعض ﴿ **ولقد فضَّلنا بعض النبيين على بعض** ﴾ والمعنى أن الأنبياء وإن كانوا في أعلى مراتب الفضل فإنهم طبقات في ذلك وبعضهـم أعلى من بعض بزيادة الدرجة والثواب وبالمعجزات والكتاب ولما كان سبحانه عالماً ببواطن الأمور إختـارك للنبوة وفضَّلك على الأنبياء كما فضل بعضهم على بعض فسخَّر لبعضهم النار وألان لبعضهم الحديد وآتى بعضهم الملك وكلَّم بعضهم وكذلك خصَّك بخصائص لم يعطها أحداً وختم بك النبوة ثم قال ﴿ **وآتينا داود زبوراً** ﴾ قال الحسن كل كتاب زبور إلا أن هذا الاسم غلب على كتـاب داود (ع) كما غلب إسم الفرقان على القرآن وإن كان كل كتاب من كتب الله فرقـاناً لأنـه يفرّق بين الحق والباطل وقال الزجاج معنى ذكر داود هنا أنه يقول لا تنكروا تفضيل محمـد صلى الله عليه وآله وسلم وإعطاءه القرآن فقد أعطينا داود الزبور ثم قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله ﴿ **إدعوا الذين زعمتم من دونه** ﴾ إنها إلّهة عند ضرٍّ ينزل بكم ليكشفوا ذلك عنكم أو يحولوا تلك الحالة إلى حالة أخرى ﴿ **فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً** ﴾ للحالة التي تكرهونها إلى حالة تحبّونها يعني تحويل حال القحط إلى الخصب والفقر إلى الغنى والمرض إلى الصحة وقيل معناه لا.يملكون تحويل الضر عنكم إلى غيركم بيَّن سبحانه أن من كان بهذه الصفة فإنه لا يصلح للإلّهية ولا يستحق العبادة والمراد بالذين من دونه هم الملائكة والمسيح وعـزيز عن ابن عباس والحسن وقيل هم الجن لأن قوماً من العرب كانوا يعبدون الجن عن ابن مسعود وقال واسلم أُولئك النفر من الجن وبقي الكفار على عبادتهم قال الجبائي ثم رجع سبحـانه إلى ذكر الأنبياء في الآية الأولى فقال ﴿ **أُولئك الذين يـدعون يبتغـون إلى ربهم الوسيلة** ﴾ ومعنـاه أُولئك الـذين يدعـون إلى الله تعالى ويـطلبون القـربة إليـه بفعل الـطاعات ﴿ **أيهم أقرب** ﴾ أي ليظهر أيهم الأفضل والأقرب منزلة منه وتأويله أن الأنبياء مع علو رتبهم وشرف منـزلتهم إذا لم يعبدوا غيـر الله فأنتم أولى أن لا تعبـدوا غير الله وإنمـا ذكر ذلـك حثاً على الإقتداء بهم وقيل إن معناه أُولئك الذين يدعونهم ويعبدونهم ويعتقدون أنهم آلهة من المسيح والملائكةيبتغون الوسيلة والقربة إلى الله تعالى بعبادتهم ويجتهد كل منهم ليكون أقرب من رحمته أو يطلب كل منهم أن يعلم أيهم أقرب إلى رحمته أو إلى الإجابة ﴿ **ويرجون رحمته**

ويخافون عذابه ﴾ أي وهم مع ذلك يستغفرون لأنفسهم فيرجون رحمته إن أطاعوا ويخافون عذابه إن عصوا ويعملون عمل العبيد ﴿ **إن عذاب ربك كان محذورا** ﴾ أي متقى يجب أن يحذر منه لصعوبته وقد ذكرنا ما جاء في معنى الوسيلة عند قوله ﴿ **وابتغوا** ﴾ إليه الوسيلة .

﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾

[**اللغة**] المسطور المكتوب قال العجاج :

وَاعْلَمْ بِـأَنَّ ذَا الْجَـلالِ قَـدْ قَـدَر فِي الصُّحُفِ الأُولَى الَّذِي كَانَ سَطَرَ

والمنع وجود ما لا يصح معه وقوع الفعل من القادر عليه وإنما جاز في وصف الله تعالى منعنا للمبالغة في أنه لا يقع منه الفعل فكأنه قد منع منه الفعل وإن كان لا يجوز إطلاق مثل هذه الصفة عليه سبحانه لأنه قادر لذاته ومقدوراته غير متناهية فلا يصح أن يمانعه شيء .

[**الإعراب**] وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون أنْ الأولى نصب وأنْ الثانية رفع والمعنى وما منعنا الإرسال إلا تكذيب الأولين ومبصرة نصب على الحال والشجرة الملعونة تقديرها وما جعلنا الشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس أيضاً والمعنى الشجرة الملعونة أهلها وآكلوها وهم الكفرة والفجرة فلما حذف المضاف إستتر الضمير في إسم المفعول فأنث المفعول لما جرى على الشجرة وقوله ﴿ **فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً** ﴾ أي فما يزيدهم التخويف فأضمر التخويف لجري ذكر الفعل وانتصب قوله طغياناً على أنه

مفعول ثان لقوله يزيد .

[المعنى] ثم زاد سبحانه في الموعظة فقال ﴿ **وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة** ﴾ معناه وما من قرية إلا نحن مهلكوها بإماتة أهلها ﴿ **أو معذبوها عذاباً شديداً** ﴾ وهو عذاب الاستئصال فيكون هلاك الصالحين بالموت وهلاك الطالحين بالعذاب في الدنيا فإنه يفني الناس ويخرب البلاد قبل يوم القيامة ثم تقوم القيامة عن الجبائي ومقاتل وقيل إن المراد بذلك قرى الكفر والضلال دون قرى الإيمان والمراد بالإهلاك التدمير عن أبي مسلم ﴿ **كان ذلك في الكتاب مسطوراً** ﴾ أخبر أن ذلك كائن لا محالة ولا يكون خلافه ومعناه كان ذلك الحكم في الكتاب الذي كتبه الله تعالى لملائكته وهو اللوح المحفوظ مكتوباً ﴿ **وما منعنا أن نرسل بالآيات إلى أن كذب بها الأولون** ﴾ ذكر فيه أقوال (أحدها) أن التقدير ما منعنا إرسال الآيات التي سألوها إلا تكذيب الأولين ومعناه إنا لم نرسل الآيات التي اقترحتها قريش في قولهم حوِّل لنا الصفا ذهباً وفَجِّر لنا الأرض ينبوعاً إلى غير ذلك لأنا لو أرسلناها لم يؤمنوا فيستحقوا المعاجلة بالعقوبة كما أنا لما أجبنا الأولين من الأمم إلى آيات اقترحوها فكذَّبوا بها عذَّبناهم بعذاب الإستئصال لأن من حكم الآية المقترحة أنه إذا كـذِّب بها وجب عذاب الإستئصال ومن حكمنا النافذ في هذه الآيات أن لا نعذبهم بعذاب الإستئصال لشرف محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولما يعلم في ذلك من المصلحة ولأن فيهم من يؤمن به وينصره ومن يولد له ولد مؤمن ولأن أمته باقية وشريعته مؤبدة إلى يوم القيامة فلذلك لم نجبهم إلى ذلك وأنزلنا من الآيات الواضحات والمعجزات البينات ما تقوم به الحجة وتنقطع به المعذرة (والثاني) إن معناه إنا لا نرسل الآيات لعلمنا بأنهم لا يؤمنون عندها فيكون إنزالنا إياها عبثاً لا فائدة فيه كما أن من كان قبلهم لم يؤمنوا عند إنزال الآيات ، والمعجزاتُ ضربان (أحدهما) ما لا يصح معرفة النبوة إلا به وهذا الضرب لا بدّ من إظهاره سواء وقع منه الإيمان أو لم يقع (والثاني) ما يكون لطفاً في الإيمان فهذا أيضاً يظهره الله سبحانه وما خرج عن هاتين الصفتين من المعجزات لا يفعله سبحانه (والثالث) إن المعنى أنا لا نرسل الآيات لأن آباءكم وأسلافكم سألوا مثلها ولم يؤمنوا عندها وأنتم على آثار أسلافكم مقتدون فكما لم يؤمنوا هم لا تؤمنون أنتم عن أبي مسلم ﴿ **وآتينا ثمود الناقة مبصرة** ﴾ أي بينة أراد آية مبصرة كما قال وجعلنا آية النهار مبصرة ومعناه دلالة واضحة ظاهرة وقيل ذات أبصار وقيل تبصرهم وتبين لهم حتى يبصروا بها الهدى من الضلالة وهي ناقة صالح المخرجة من الصخرة على الصفة التي اقترحوها ﴿ **فظلموا بها** ﴾ أي فكفروا بتلك الآية وجحدوا بأنها من عند الله وقيل ظلموا أنفسهم بسببها وبعقرها ﴿ **وما نرسل بالآيات إلاّ تخويفاً** ﴾ أي لا نرسل

الآيات التي نظهرها على الأنبياء إلا عظة للناس وزجراً أو تخويفاً لهم من عذاب الله إن لم يؤمنوا ثم خاطب سبحانه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ﴿ **وإذ قلنا لك** ﴾ أي واذكر الوقت الذي قلنا لك يا محمد ﴿ **إن ربك أحاط بالناس** ﴾ أي أحاط علماً بأحوالهم وبما يفعلونه من طاعة أو معصية وما يستحقونه على ذلك من الثواب والعقاب وهو قادر على فعل ذلك بهم فهم في قبضته لا يقدرون على الخروج من مشيئته وهذا معنى قول ابن عباس وقيل إن المراد به أنه عالم بجميع الأشياء فيعلم قصدهم إلى إيذائك إذا لم تأتهم ما إقترحوا منك من الآيات وهذا حثٌ للرسول ﷺ على التبليغ ووعد له بالعصمة من أذية قومه وهذا معنى قول الحسن وقيل معناه أنه أحاط بأهل مكة فيستفتحها لك عن مقاتل وقال الفراء معناه أحاط أمره بالناس وقيل معناه أنه قادر على ما سألوه من الآيات عالم بمصالحهم فلا يفعل إلا ما هو الصلاح فامض لما أمرت به من التبليغ فإن الله سبحانه أن أنزلها فلما يعلم في إنزالها من اللطف وإن لم ينزلها فلما يعلم من المصلحة عن الجبائي ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن** ﴾ فيه أقوال (أحدها) إن المراد بالرؤيا رؤية العين وهي ما ذكره في أول السورة من إسراء النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مكة إلى بيت المقدس وإلى السماوات في ليلة واحدة إلا أنه لما رأى ذلك ليلاً وأخبر بها حين أصبح سمّاها رؤيا وسماها فتنة لأنه أراد بالفتنة الإمتحان وشدة التكليف ليعرض المصدِّق بذلك لجزيل ثوابه والمكذِّب لأليم عقابه وهذا معنى قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومجاهد (وثانيها) ما روي عن ابن عباس في رواية أخرى أنها رؤيا نوم رآها أنه سيدخل مكة وهو بالمدينة فقصدها فصدَّه المشركون في الحديبية عن دخولها حتى شكَّ قوم ودخلت عليهم الشبهة فقالوا يا رسول الله أليس قد أخبرتنا أنا ندخل المسجد الحرام آمنين فقال صلى الله عليه وآله وسلم أو قلت لكم أنكم تدخلونها العام قالوا لا فقال لندخلها إن شاء الله ورجع ثم دخل مكة في العام القابل فنزل ﴿ **لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق** ﴾ وهو قول الجبائي وأبي مسلم وإنما كان فتنة وامتحاناً وابتلاء لما ذكرناه (وثالثها) إن ذلك رؤيا رآها النبي ﷺ في منامه ان قروداً تصعد منبره وتنزل فساءه ذلك واغتمَّ به روى سهل بن سعيد عن أبيه أن النبي ﷺ رأى ذلك وقال له ﷺ لم يستجمع بعد ذلك ضاحكاً حتى مات وروى سعيد بن يسار أيضاً وهو المروي عن أبي جعفر (ع) أبي عبد الله (ع) وقالوا على هذا التأويل أن الشجرة الملعونة في القرآن هي بنو أمية أخبره الله سبحانه بتغلبهم على منامه وقتلهم ذريته روي عن المنهال بن عمرو قال دخلت على علي بن الحسين (ع)

فقلت له كيف أصبحت يا ابن رسول الله فقال أصبحنا والله بمنزلة بني إسرائيل من آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم وأصبح خير البرية بعد رسول الله صلى ا الله عليه وآله وسلم يلعن على المنابر وأصبح من يحبنا منقوصاً حقه بحبه إيانا وقيل للحسن يا أبا سعيد قتل الحسين بن علي (ع) فبكى حتى اختلج جنباه ثم قال واذلاه لأمة قتل ابن دعيها ابن بنت نبيها وقيل إن الشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم عن ابن عباس والحسن وقيل الشجرة الملعونة هي اليهود عن أبي مسلم وتقدير الآية وما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة إلا فتنة للناس قالوا وإنما سمى شجرة الزقوم فتنة لأن المشركين قالوا إن النار تحرق الشجرة فكيف تنبت الشجرة في النار وصدَّق بها المؤمنون وروي أن أبا جهل قال إن محمداً يوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم أنه تنبت فيها الشجرة وقوله في القرآن معناه التي ذكرت في القرآن ﴿ ونخوفهم ﴾ أي نرهبهم بما نقص عليهم من هلاك الأمم الماضية وقيل بما نرسل من الآيات ﴿ فما يزيدهم ﴾ ذلك ﴿ إلا طغياناً كبيراً ﴾ أي عتواً في الكفر عظيماً وتمادياً في الغي كبيراً لأنهم لا يرجعون عنه .

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾

[**القراءة**] قرأ حفص ورجلك بكسر الجيم والباقون بسكونها .

[**الحجة**] من سكن الجيم فهو جمع راجل مثل راكب وركب وصاحب وصحب وتاجر

وتجر وأما قراءة حفص بكسر الجيم فروى أبو علي عن أبي زيد يقال رجل رجل للراجل ويقال جاءنا حافياً رجلاً وأنشد :

أمَا أُقَاتِلُ عَنْ دِينِي عَلىٰ فَرَسٍ وَلَا كَذا رَجِلًا إلَّا بِأَصْحَابِ(١)

كأنه قال أما أقاتل فارساً وراجلاً وروى ابن جني عن قطرب أنه قال الرجل الرجال وعليه قراءة عكرمة وقتادة ورجالك قال زهير في الرجل :

هُمُ ضَرَبُوا عَنْ فَرْجِها بِكَتِيبَةٍ كَبَيْضَاءِ حَرْسٍ فِي جَوانِبِها الرَّجْلُ(٢)

[**اللغة**] الإحتناك الإقتطاع من الأصل يقال إحتنك فلان ما عند فلان من مال أو علم إذا إستقصاه فأخذه كله واحتنك الجراد الزرع إذا أكله كله قال الشاعر :

أشْكُو إلَيْكَ سَنَةً قَدْ أجْحَفَتْ جَهْداً إلىٰ جَهْدٍ بِنا وَأضْعَفَتْ

وَاحْتَنَكَتْ أمْوالَنا وَجَلَفَتْ(٣)

وقيل أنه من قولهم حنك الدابة يحنكها إذا جعل في حنكها الأسفل حبلاً يقودها به والموفور المكمل يقال وفرته أفره وفراً قال زهير :

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِرْهُ وَمَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ

والاستفزاز الإزعاج والاستنهاض على خفة وإسراع وأصله القطع وتفزز الثوب إذا تخرق وفززته تفزيزاً فكأن معنى استفزه إستزله بقطعه عن الصواب ورجل فز أي خفيف والإستطاعة قوة تنطاع بها الجوارح للفعل ومنه الطوع والطاعة وهو الإنقياد للفعل والإجلاب السوق بجلبة من السائق والجلبة شدة الصوت وقال ابن الإعرابي أجلب الرجل على صاحبه إذا توعده بالشر وجمع عليه الجيش .

[**الإعراب**] قال الزجاج طيناً منصوب على الحال بمعنى أنك أنشأته في حال كونه من طين ويجوز أن يكون تقديره مِنْ طين فحذف مِنْ فوصل الفعل ومثله قوله ﴿ **أن تسترضعوا أولادكم** ﴾ أي لأولادكم وقيل أنه منصوب على التمييز والكاف في قوله ﴿ **أرأيتك** ﴾ لا

(١) قائله يحيى بن وائل قيل أنه خرج يقاتل السلطان فقيل له أتخرج راجلاً تقاتل ؟ فقال البيت . وكأنه قال : أما أقاتل فارساً ولا راجلاً إلا ومعي أصحابي .

(٢) الفرج : الثغر وحرس : جبل ورواية الحموي في معجم البلدان « كبيضاء حرس في طوائفها الرجل » .

(٣) جافه يجلفه ـ بالضم ـ نزعه ويقال للسنة الشديدة التي تذهب بالأموال جالفة .

موضع لها من الإعراب لأنها حرف خطاب جاء للتوكيد وموضع هذا نصب بأرأيت والجواب محذوف . المعنى أخبرني عن هذا الذي كرمته عليَّ ولِمَ كـرمته عليَّ وقـد خلقتني من نار وخلقته من طين فحذف ما ذكرناه لأن في الكلام دليلاً عليه .

[**المعنى**] ثم ذكر سبحانه قصة آدم (ع) وإبليس فقال ﴿ **وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس**﴾ قد مرَّ تفسيره في سورة البقرة[1]﴿ **قـال** ﴾ إبليس ﴿ **أأسجد لما خلقت طيناً** ﴾ وهو استفهام بمعنى الإنكار أي كيف أسجد له وأنا أفضل منه وأصْلي أشرف من أصله وفي هذا دلالة على أن إبليس فهم من ذلك تفضيل آدم على الملائكة ولولا ذلك لما كان لإمتناعه من السجود وجه وإنما جاز أن يأمرهم سبحانه بالسجود لآدم (ع) ولم يجز أن يأمرهم بالعبادة له لأن السجود يترتب في التعظيم حسب ما يراد به وليس كذلـك العبادة التي هي خضوع بالقلب ليس فوقه خضوع لأنه يترتب في التعظيم لجنسه يبيّن ذلك أنـه لو سجد ساهياً لم يكن له منزلة في التعظيم على قياس غيره من أفعال الجوارح ﴿ **قال أرأيتك هذا الذي كرَّمت عليَّ** ﴾ أي قال إبليس أرأيت يا رب هذا الذي فضلته عليَّ يعني آدم (ع) ﴿ **لئن أخّرتني إلى يوم القيامة** ﴾ أي لئن أخرت أُجل موتي ﴿ **لأحتنكن ذريته إلا قليلاً** ﴾ أي لأغوين ذريته وأقودنَّهم معي إلى المعاصي كما تقاد الدابة بحنكها إذا شدَّ فيها حبل تجرّ به إلا القليـل الذين تعصمهم وهم المخلصـون عن أبي مسلم وقيل لأحتنكنهم أي لأستـولين عليهم عن ابن عباس وقيل لأستـأصلنهم بالإغـواء من إحتناك الجـراد الزرع وهـو أن يأكله ويستأصله عن الجبائي وإنمـا طمع الملعـون في ذلك لأن الله سبحـانه أخبـر الملائكـة أنه سيجعل في الأرض من يفسد فيهـا فكأن العلم قـد سبق له بـذلك عن الجبـائي وقيل لأنـه وسوس إلى آدم فلم يجد له عزماً فقال إن أولاده أضعف منه عن الحسن ﴿ **قال** ﴾ الله سبحانه له على وجه الاستهانة والاستصغار ﴿ **إذهب** ﴾ يا إبليس ﴿ **فمن تبعك منهم** ﴾ أي من ذرية آدم (ع) واقتفى أثرك وقبل منك ﴿ **فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً** ﴾ أي موفراً كـاملاً لا نقصـان فيه عن الاستحقـاق ﴿ **واستفـزز من استـطعت منهم بصـوتـك** ﴾ أي واستـزل من استطعت منهم أضلهم بدعائك ووسوستك من قولهم صوت فلان بفلان إذا دعاه وهذا تهديد في صورة الأمر عن ابن عباس ويكون كما يقول الإنسان لمن يهدده أجهد جهدك فسترى ما ينزل بك وإنما جاء التهديد في صورة الأمر لأنه بمنزلة أن يؤمر الغير بإهانة نفسه وقيل بصوتك أي بالغناء والمزامير والملاهي عن مجاهـد وقيل كـل صوت يـدعى به إلى الفسـاد فهو من

(١) راجع ج ١

صوت الشياطين ﴿ **واجلب عليهم بخيلك ورجلك** ﴾ أي أجمع عليهم ما قـدرت عليه من مكايدك وأتباعك وذريتك وأعوانك وعلى هذا فيكون الباء مزيدة في بخيلك وكـل راكب أو ماش في معصية الله من الإنس والجن فهو من خيل إبليس ورجله وقيل هو من أجلب القوم وجلبـوا أي صاحـوا أي صح بخيلك ورجلك وأحشـرهم عليهم بالأغـواء ﴿ **وشـاركهم في الأموال والأولاد** ﴾ وهو كل مال أُصيب من حرام وأخذ بغير حقه وكل ولد زنا عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل إن مشاركتهم في الأموال أنه أمرهم أن يجعلوها سـائبة وبحيـرة غير ذلك وفي الأولاد أنهم هوَّدوهم ونصَّروهم ومجَّسوهم عن قتادة وقيل إن كل مال حرام أو فرج حـرام فله فيه شـرك عن الكلبي وقيل إن المراد بـالأولاد تسميتهم عبد شمس وعبـد الحرث ونحوهما وقيل هو قتل المؤودة من أولادهم والقولان مرويان عن ابن عباس ﴿ **وعدهم** ﴾ أي ومنّهم البقاء وطول الأمل وأنهم لا يبعثون وكل هذا زجر وتهديد في صورة الأمر ﴿ **وما يعدهم الشيطان إلا غروراً** ﴾ هذا إخبار من الله عز وجل أن مواعيد الشيطان تكون غروراً أي يزين لهم الخطأ أنه صواب وهو اعتراض ﴿ **إن عبادي** ﴾ يعني الذين يطيعونني أضافهم إلى نفسه تشريفاً لهم ﴿ **ليس لك عليهم سلطان** ﴾ أي قوة ونفاذ لأنهم يعلمون أن مواعيدك باطلة فلا يغتـرون بها وقيـل معناه لا سلطان لـك على جميع عبـادي إلا في الوسـوسة والـدعـاء إلى المعصية فأما في أن تمنعهم عن الطاعة وتحملهم على المعصية جبراً وكرهاً فلا عن الجبائي ﴿ **وكفى بربك وكيلاً** ﴾ أي حافظاً لعباده من شرك .

[**النظم**] الوجه في اتصال الآيات بما قبلها على تقدير وما يزيدهم إلا طغيـاناً كبيـراً محققين ظنَّ إبليس فيهم يوم قيل له إسجد فقال كذا وكذا عن علي بن عيسى وقيل إتصلت بقوله ﴿ **إن الشيـطان ينزغ بينهم** ﴾ إن الشيـطان كان لـلإنسان عـدواً مبيناً ثم عـاد إلى ذكر الشيطان لزيادة الإيضاح والبيان بما أبان عن قصته مع آدم (ع) عن أبي مسلم .

﴿ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ
لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ
فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ
وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ

﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير وأبو عمرو نخسف ونرسل ونعيدكم فنرسل عليكم فنغرقكم كله بالنون وقرأ أبو جعفر ويعقوب فتغرقكم بالتاء والباقي بالياء وقرأ الباقون كلها بالياء .

الحجة] من قرأ الجميع بالياء فلما تقدم من قوله ﴿ **ضلَّ من يدعون إلا إياه فلما نجاكم** ﴾ ومن قرأ بالنون فلأن هذا النحو قد تقطع بعضه من بعض ولأن الإنتقال من الغيبة إلى الخطاب جائز ومن قرأ فتغرقكم بالتاء فإنه ردَّ الضمير المؤنث في فتغرقكم إلى الريح .

[**اللغة**] الإزجاء سوق الشيء حالاً بعد حال والحاصب من قولهم حصبه بالحجارة يحصبه حصباً إذا رماه بها رمياً متتابعاً قال القتيبي الحاصب الريح التي ترمي بالحصباء وهي الحصا الصغار قال الفرزدق :

مُسْتَقْبِلِينَ شِمَالَ الشَّامِ يَضْرِبُنا ... بِحَاصِبٍ كَنَدِيفِ الْقُطْنِ مَنْدُوفٍ(١)

والقاصف الكاسر بشدة قصفه يقصفه قصفاً .

[**المعنى**] لمّا تقدَّم ذكر الشيطان وذكر المشركين وعبدة الأوثان إحتجَّ عليهم سبحانه بدلائل التوحيد والإيمان فقال ﴿ **ربكم** ﴾ أي خالقكم ومدبّركم ﴿ **الذي يزجي لكم الفلك** ﴾ أي يجري لكم السفن ﴿ **في البحر** ﴾ بما خلق من الرياح وبأن جعل الماء على وجه يمكن جري السفن فيه ﴿ **لتبتغوا من فضله** ﴾ أي لتطلبوا من فضل الله تعالى بركوب السفن على وجه الماء فيما فيه صلاح دنياكم من التجارة أو صلاح دينكم من الغرق ﴿ **إنه كان بكم رحيماً** ﴾ حيث أنعم عليكم بهذه النعم ﴿ **وإذا مسكم الضر** ﴾ أي الشدة ﴿ **في البحر** ﴾ بسكون الرياح واحتباس السفن أو باضطراب الأمواج وغير ذلك من أهوال البحر ﴿ **ضل من تدعون إلا إياه** ﴾ أي ذهب عنكم ذكر كل معبود إلا الله فلا ترجون هناك النجاة إلا من عنده فتدعونه ولا تدعون غيره ﴿ **فلما نجاكم** ﴾ من البحر ﴿ **إلى البر** ﴾ وأمنتم الغرق ﴿ **أعرضتم** ﴾ عن الإيمان به وعن طاعته كفراناً للنعمة ﴿ **وكان الإنسان كفوراً** ﴾ أي كثير

(١) الندف : طرق القطن بالمندف . والنديف : القطن المندوف . وفي رواية التبيان « كنديف القطن منثور » .

الكفران ﴿ **أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر** ﴾ معناه إن فعلكم هذا فعل من يتوهم إنه إذا صار إلى البرِّ أمن المكاره حتى أعرضتم عن شكر الله وطاعته فهل أمنتم أن يخسف بكم أي يغيبكم ويذهبكم في جانب البر وهو الأرض يقال خسف الله به الأرض أي غاب به فيها وأراد به بعض البر وهو موضع حلولهم فيه فسمّاه جانباً لأنه يصير بعد الخسف جـانباً وقيـل إنهم كانوا على ساحل البحر وساحله جانب البر وكانوا فيه آمنين من أهوال البحر فحذرهم ما أمنوه من البر كما حذرهم ما خافوه من البحر ﴿ **أو يرسـل عليكم حاصبـاً** ﴾ أي أو هل أمنتم أن يرسل عليكم حجارة تحصبون بها أي ترمون بها والمعنى أنه سبحانه قادر على إهلاككم في البر كما أنه قادر على إغراقكم في البحر ﴿ **ثم لا تجدوا لكم وكيلاً** ﴾ أي حافظاً يحفظكم عن عـذاب الله ودافعاً يـدفعه عنكم ﴿ **أم أمنتم** ﴾ أي أم هـل أمنتم ﴿ **أن يعيدكم فيـه تارة أخرى** ﴾ أي في البحر مرة أخرى بأن يجعل لكم حاجة أو يحدث لكم رغبة أو رهبة فترجعون إلى البحر مرة أخرى ﴿ **فيرسل عليكم قاصفاً من الريح** ﴾ أي فإذا ركبتم البحر أرسل عليكم ريحاً شديدة كاسرة للسفينة وقيل الحاصب الريح المهلكـة في البر والقـاصف المهلكة في البحر ﴿ **فيغرقكم بما كفرتم** ﴾ من نعم الله ﴿ **ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً** ﴾ أي تابعاً يتبع إهلاككم للمطالبة بدمائكم ويقول لِمَ فعلت هـذا بهم وهذا في معنى قـول المفسرين يعني ثائراً ولا ناصراً .

﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾

[**القراءة**] قرأ أهل البصرة أعمى الأولى بالإمالة وأعمى الثانيـة بالتفخيم وقـرأ حمزة

والكسائي بالإمالة فيهما والباقون بالتفخيم فيهما وقرأ زيد عن يعقوب يوم يدعوا بالياء والباقون بالنون وفي الشواذ قراءة الحسن يوم يُدعوا بضم الياء وفتح العين[1] .

[**الحجة**] قال أبو علي من أمالهما فإنه حسن لأنه ينجو بالألف نحو الياء ليعلم أنها ينقلب إلى الياء وإن كانت فاصلة أو مشبهة بالفاصلة فالإمالة فيها حسنة لأن الفاصلة موضع وقف والألف تخفى في الوقف فإذا أمالها نحى بها نحو الياء ليكون أظهر لها وأبين ومما يقوي ذلك أن من العرب من يقلب هذه الألفات في الوقف ياءآت ليكون أبين لها قالوا أفعى وحبلى ومنهم من يقول أفعو وهم كأنهم أحرص على البيان من الأولين من حيث كانت الواو أظهر من الياء والياء أخفى منها من حيث كانت أقرب إلى الألف من الواو إليها وأما من أمال الألف من الكلمة الأولى ولم يمل من الثانية فإنه يجوز أن لا يجعل أعمى الكلمة الثانية عبارة عن المؤوف الجارحة ولكنه جعله أفعل من كذا مثل أبلد من فلان فجاز أن يقول فيه أفعل من كذا وإن لم يجز أن يقول ذلك في المصاب ببصره فإذا جعله كذلك لم يقع الألف في آخر الكلمة لأن أخرها إنما هو من كذا وإنما تحسن الإمالة في الأواخر لما تقدم وقد حذف من أفعل الذي هو للتفضيل الجار والمجرور وهما مرادان في المعنى مع الحذف وذلك نحو قوله ﴿ **فإنه يعلم السر** ﴾ وأخفى المعنى من السر وكذلك قولهم عام أول أي أول من عامك وكذلك قوله ﴿ **فهو في الآخرة أعمى** ﴾ أي أعمى منه في الدنيا ومعنى أعمى في الآخرة أنه لا يهتدي إلى طرق الثواب ويؤكد ذلك ظاهر ما عطف عليه من قوله ﴿ **وأضل سبيلاً** ﴾ فكما أن هذا لا يكون إلا على أفعل فكذلك المعطوف عليه ومعنى أضل سبيلاً في الآخرة إن ضلاله في الدنيا قد كان ممكناً من الخروج منه وضلاله في الآخرة لا سبيل له إلى الخروج منه ويجوز أن يكون أعمى فيمن تأوله أفعل من كذا على هذا التأويل أيضاً قال ابن جني قراءة الحسن يوم يدعو على لغة من أبدل الألف في الوصل واواً نحو أفعو وحبلو ذكر ذلك سيبويه وأكثر هذا في الوقف .

[**المعنى**] لمّا تقدّم قول إبليس هذا الذي كرّمت عليّ ذكر سبحانه بعد ذلك تكرمة لبني آدم بأنواع الإكرام وفنون الأنعام فقال ﴿ **ولقد كرمنا بني آدم** ﴾ أي فضّلناهم عن ابن عباس وأجريت الصفة على جميعهم من أجل من كان فيهم على هذه الصفة كقوله ﴿ **كنتم خير أمة أُخرجت للناس** ﴾ وقيل إنما عمَّهم بالتكرمة مع أن فيهم الكافر المهان لأن المعنى أكرمناهم بالنعم الدنيوية كالصور الحسنة وتسخير الأشياء لهم وبعث الرسل إليهم وقيل معناه

(١) وفي نسخة « بضم الياء والعين ».

عاملناهم معاملة المكرم على وجه المبالغة في الصفة واختلف فيما كرموا به فقيل بالقوة والعقل والنطق والتمييز عن ابن عباس والضحاك وقيل أنهم يأكلون باليد وكل دابة تأكل بفمها رواه ميمون بن مهران عن ابن عباس وقيل بتعديل القامة واستدادها عن عطاء وقيل بالأصابع يعملون بها مايشاؤون روى ذلك جابر بن عبد الله وقيل بتسليطهم على غيرهم وتسخير سائر الحيوانات لهم عن ابن جرير وقيل بأن جعل محمداً صلى الله عليه وآله وسلم منهم عن محمد بن كعب وقيل بأنهم يعرفون الله ويأتمرون بأمره وقيل بجميع ذلك وغيره من النعم التي خصُّوا بها وهو الأوجه ﴿ **وحملناهم في البر والبحر** ﴾ في البرّ على الإبل والخيل والبغال والحمير وفي البحر على السفن ﴿ **ورزقناهم من الطيبات** ﴾ أي من الثمار والفواكه والأشياء الطيبة وسائر الملاذ التي خصَّ بها بنو آدم ولم يشركهم شيء من الحيوان فيها ﴿ **وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً** ﴾ إستدل بعضهم بهذا على إن الملائكة أفضل من الأنبياء قال لأن قوله على كثير يدل على أن ههنا من لم يفضلهم عليه وليس إلا الملائكة لأن بني آدم أفضل من كل حيوان سوى الملائكة بالإتفاق وهذا باطل من وجوه (أحدها) إن التفضيل ههنا لم يرد به الثواب لأن الثواب لا يجوز التفضيل به إبتداء وإنما المراد بذلك ما فضلهم الله به من فنون النعم التي عدَّدنا بعضها (وثانيها) إن المراد بالكثير الجميع فوضع الكثير موضع الجميع والمعنى إنا فضلناهم على من خلقنا وهم كثير كما يقال بذلت له العريض من جاهي وأبحته المنيع من حريمي ولا يراد بذلك إني بذلت له عريض جاهي ومنعته ما ليس بعريض وأبحته منيع حريمي ولم أبحه ما ليس منيعاً بل المقصود أني بذلت له جاهي الذي من صفته أنه عريض وفي القرآن ومحاورات العرب من ذلك ما لا يحصى ولا يخفى ذلك على من عرف كلامهم قال سويد بن أبي كاهل في شعره :

مِنْ أُنَاسٍ لَيْسَ فِي أَخْلَاقِهِمْ عَاجِلُ الْفُحْشِ وَلَا سُوءُ الْجَزَعِ

ولم يرد أن في إخلاقهم فحشاً آجلاً ولو أراد ذلك لم يكن مادحاً لهم (وثالثها) أنه إذا سلّم أن المراد بالتفضيل زيادة الثواب وإن لفظة مِنْ في قوله ممن خلقنا يفيد التبعيض فلا يمتنع أن يكون جنس الملائكة أفضل من جنس بني آدم لأن الفضل في الملائكة عام لجميعهم أو أكثرهم والفضل في بني آدم يختص بقليل من كثير وعلى هذا فغير منكر أن يكون الأنبياء أفضل من الملائكة وإن كان جنس الملائكة أفضل من جنس بني آدم ومتى قيل إذا كان معنى التكريم والتفضيل واحداً فما معنى التكرار (فجوابه) إن قوله ﴿ **كرمنا** ﴾ ينبيء عن الأنعام ولا ينبيء عن التفضل فجاء بلفظ التفضيل ليدل عليه وقيل إن التكريم يتناول نعم

الدنيا والتفضيل يتناول نعم الآخرة وقيل أن التكريم بالنعم التي يصحُّ بها التكليف والتفضيل بالتكليف الذي عرضهم به للمنازل العالية ﴿ **يوم ندعوا كل أناس بإمامهم** ﴾ فيه أقوال (أحدها) إن معناه بنبيهم عن مجاهد وقتادة ويكون المعنى على هذا أن ينادى يوم القيام فيقال هاتوا متبعي إبراهيم هاتوا متبعي موسى هاتوا متبعي محمد فيقوم أهل الحق الذين اتبعوا الأنبياء فيأخذون كتبهم بأسمانهم ثم يقال هاتوا متبعي الشيطان وهاتوا متبعي رؤساء الضلالة وهذا معنى ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس وروي أيضاً عن علي (ع) إن الأئمة إمام هدى وإمام ضلالة ورواه الوالبي عنه بأئمتهم في الخير والشر (وثانيها) معناه بكتابهم الذي أنزل عليهم من أوامر الله ونواهيه فيقال يا أهل القرآن ويا أهل التوراة عن ابن زيد والضحاك (وثالثها) إن معناه بمن كانوا يأتمون به من علمائهم وأئمتهم عن الجبائي وأبي عبيدة ويجمع هذه الأقوال ما رواه الخاص والعام عن الرضا علي بن موسى (ع) بالأسانيد الصحيحة أنه روى عن آبائه (ع) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال فيه يدعى كل أناس بإمام زمانهم وكتاب ربهم وسنة نبيهم وروي عن الصادق (ع) أنه قال ألا تحمدون الله إذا كان يوم القيامة فدعا كل قوم إلا من يتولونه ودعانا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفزعتم إلينا فإلى أين ترون يذهب بكم إلى الجنة ورب الكعبة قالها ثلاثاً (ورابعها) إن معناه بكتابهم الذي فيه أعمالهم عن ابن عباس في رواية أخرى والحسن وأبي العالية (وخامسها) معناه بأمهاتهم عن محمد بن كعب ﴿ **فمن أوتي كتابه بيمينه** ﴾ أي فمن أعطي كتاب عمله الذي فيه طاعاته وثواب أعماله بيمينه ﴿ **فأولئك يقرأون كتابهم** ﴾ فرحين مسرورين لا يجنبون عن قراءته لما يرون فيه من الجزاء والثواب ﴿ **ولا يظلمون فتيلاً** ﴾ أي لا ينقصون ثواب أعمالهم مقدار فتيل وهو المفتول الذي في شق النواة عن قتادة وقيل الفتيل في بطن النواة والنقير في ظهرها والقطمير قشر النواة عن الحسن جعل الله إعطاء الكتاب باليمين علامة الرضا والخلاص وإعطاء الكتاب باليسار ومن وراء الظهر علامة السخط والهلاك ﴿ **ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى** ﴾ ذكر في معناه أقوال (أحدها) إن هذه إشارة إلى ما تقدم ذكره من النعم ومعناه أن من كان في هذه النعم وعن هذه العبر أعمى فهو عما غيب عنه من أمر الآخرة أعمى عن ابن عباس (وثانيها) إن هذه إشارة إلى الدنيا ومعناه من كان في هذه الدنيا أعمى عن آيات الله ضالاً عن الحق ذاهباً عن الدين فهو في الآخرة أشد تحيراً وذهاباً عن طريق الجنة أو عن الحجة إذا سئل فإن من ضل عن معرفة الله في الدنيا يكون يوم القيامة منقطع الحجة فالأول إسم والثاني فعل من العمى وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وقتادة (وثالثها) إن معناها من كان في الدنيا أعمى القلب فإنه في الآخرة

أعمى العين يحشر كذلك عقوبة له على ضلالته في الدنيا عن أبي مسلم قـال وهذا كقـوله ﴿ **ونحشره يوم القيامة أعمى** ﴾ وتأول قوله سبحانه ﴿ **فبصرك اليوم حديد** ﴾ بأن معناه الأخبار عن قوة المعرفة والجاهل بالله سبحانه يكون عارفاً به في الآخرة وتقول العـرب فلان بصيـر بهذا الأمر وإنما أرادوا بذلك العلم والمعرفة لا الأبصار بالعين وعلى هذا فليس يكون قولـه ﴿ **فهو في الآخرة أعمى** ﴾ على سبيل المبالغـة والتعجب وإن عطف عليـه بقولـه ﴿ **وأضل سبيلاً** ﴾ و يكون التقدير وهو أضل سبيلاً قال ويجوز أن يكون أعمى عبـارة عما يلحقـه من الغم المفرط فإنه إذ لم ير إلا ما يسوء فكأنه أعمى كما يقال فلان سخين العين (ورابعها) إن معناه من كان في الدنيا ضالاً فهو في الآخرة أُضل لأنـه لا يقبل تـوبته عن الحسن واختـاره الزجاج على هذا القول وقال تأويله إنه إذا عمي في الدنيا وقد عرفه الله الهدى وجعل له إلى التوبة وصلة فعمي عن رشده ولم يتب فهو في الآخرة أشد عمى وأضل سبيلاً لأنـه لا يجد طريقاً إلى الهداية .

[**النظم**] قيل في وجه إتصال قوله ﴿ **يوم ندعو كل إناس بإمـامهم** ﴾ بما قبله وجوه (أحدها) أنه سبحانه ذكر تفضيل بني آدم ثم بيَّن أن ذلك التفضيل إنما يكون في ذلك اليوم فيستحق المهتدون الثواب بهـدايتهم (وثانيهـا) أنها إتصلت بقولـه ﴿ **إن عذاب ربـك كان محذوراً** ﴾ أي فاحذروا يوم يدعى كل أمة بإمامهم (وثالثها) إنها اتصلت بقوله ﴿ **يعيدكم** ﴾ أي يعيدكم يوم يدعو (ورابعها) أنه تعالى ذكر فيما تقدم من آمن ومن كفر ثم بيَّن في هاتين الآيتين ما أعدَّ للفريقين من ثواب وعقاب وأنه يعطيهم ذلك على ما هو مكتوب في كتبهم عن أبي مسلم .

﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

[**الإعراب**] لولا أن ثبتناك تقديره لولا تثبيتنا إياك فإن هاهنا في موضع رفع بالإبتداء وخبره مضمر وهذا يدل على بطلان مذهب أبي سعيد حيث قال « لـولا حددت ولا عـدوى

لمحدود » واستدل به على أن لولا تدخل على الفعل وخفي عليه إضمار أن في البيت .

[**النزول**] في سبب نزوله أقوال (أحدها) إن قريشاً قالت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لا ندعك تستلم الحجر حتى تلم بآلهتنا فحدث نفسه وقال ما علي في أن ألمَّ بها والله يعلم إني لكاره لها ويدعوني أستلم الحجر فأنزل الله تعالى هذه الآية عن سعيد بن جبير (وثانيها) أنهم قالوا له كف عن شتم آلهتنا وتسفيه أحلامنا واطرد هؤلاء العبيد والسقاط الذين رائحتهم رائحة الصنان[1] حتى نجالسك ونسمع منك فطمع في إسلامهم فنزلت الآية (وثالثها) إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخرج الأصنام من المسجد فطلبت إليه قريش أن يترك صنماً على المروة فهم بتركه ثم أمر بعد بكسره فنزلت الآية رواه العياشي بإسناده (ورابعها) إنها نزلت في وفد ثقيف قالوا نبايعك على أن تعطينا ثلاث خصال لا ننحني بفنون الصلاة ولا نكسر أصنامنا بأيدينا وتمتعنا باللات سنة فقال صلى الله عله وآله وسلم لا خير في دين ليس فيها ركوع ولا سجود فأما كسر أصنامكم بأيديكم فذاك لكم وأما الطاعة للات فإني غير ممتعكم بها وقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتوضأ فقال عمر بن الخطاب ما بالكم آذيتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه لا يدع الأصنام في أرض العرب فما زالوا به حتى أنزل هذه الآيات عن ابن عباس (وخامسها) أن وفد ثقيف قالوا أجلنا سنة حتى نقبض ما يهدى لآلهتنا فإذا قبضنا ذلك كسرناها وأسلمنا فهمَّ بتأجيلهم فنزلت الآية عن الكلبي رواه عن عطية عن ابن عباس .

[**المعنى**] ثم حكى الله سبحانه عن الكفار فقال ﴿ **وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك** ﴾ إن هذه مخففة من الثقيلة والمعنى أن المشركين الذين تقدَّم ذكرهم في هذه السورة همُّوا وقاربوا أن يزلُّوك ويصرفوك عن القرآن الذي أوحينا إليك أي من حكمه ﴿ **لتفتري علينا غيره** ﴾ أي لتخترع علينا غير ما أوحيناه إليك والمعنى لتحل محل المفتري لأنك تخبر إنك لا تنطق إلا عن وحي فإذا إتبعت أهواءهم أو هممت أنك تفعله بأمر الله فكنت كالمفتري ﴿ **وإذا لاتخذوك خليلاً** ﴾ معناه وإنك لو أجبتهم إلى ما طلبوا منك لتولوك وأظهروا خلتك أي صداقتك لموافقتك معهم وقيل هو من الخلة التي هي الحاجة أي فقيراً محتاجاً إليهم والأول أوجه ﴿ **ولولا أن ثبتناك** ﴾ أي ثبتنا قلبك على الحق والرشد بالنبوة والعصمة والمعجزات وقيل بالإلطاف الخفية ﴿ **لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً** ﴾ أي ركوناً قليلاً والمعنى لقد قاربت أن تسكن إليهم بعض السكون وأن تميل إليهم ميلاً قليلاً فتعطيهم بعض

(١) الصنان : نتن الإبط .

ما سألوك يقال كدت أفعل كذا أي قاربت أن أفعله ولم أفعله وقد صحَّ عنه صلى الله عليه وآله وسلم قوله وضع عن أمتي ما حدثت به نفسها ما لم تعمل به أو تتكلم به قال ابن عباس يريد حيث سكت عن جوابهم والله أعلم بنبيه ثم توعده سبحانه على ذلك لو فعله فقال ﴿ **إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات** ﴾ أي لو فعلت ذلك لعذبناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات أي مثلي ما نعذب به المشرك في الدنيا ومثلي ما نعذب به المشرك في الآخرة لأن ذنبك يكون أعظم وقيل إن المراد بالضعف العذاب المضاعف ألمه والمعنى لأذقناك عذاب الدنيا وعذاب الآخرة عن أبان بن تغلب وأنشد قول الشاعر :

لِمَقْتَلِ مَالِكٍ إذْ بَانَ مِنّي أَبِيْتُ اللَّيْلَ فِي ضِعْفٍ أَلِيمٍ

أي عذاب قال ابن عباس رسول الله صلى الله عليه وماله وسلم معصوم ولكن هذا تخويف لأمته لئلا يركن أحد من المؤمنين إلى أحد من المشركين في شيء من أحكام الله وشرائعه ﴿ **ثم لا تجد لك علينا نصيراً** ﴾ أي ناصراً ينصرك وقال أنه لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً عن قتادة .

﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَـٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو وأبو بكر خلفك بغير ألف والباقون خلافك بالألف وقرأ رويس عن عقوب بالوجهين .

[**الحجة**] قال أبو علي زعم أبو الحسن أن خلافك في معنى خلفك ومعناه بعدك فمن قرأ خلفك أو خلافك فهو في القراءتين جميعاً على تقدير حذف المضاف أي بعد خروجك فيكون مثل قول ذي الرمة :

لَـهُ وَاجِفٌ بِـالْقَلْبِ حَتّى تَقَـطَّعَتْ خِـلافَ ٱلثُّرَيـا مِنْ أرِيـكٍ مَـآرِبُـهُ[1]

والمعنى خلاف طلوع الثريا وكذلك من جعل قوله ﴿ **خلاف** ﴾ رسول الله صلى الله

(١) وجف القلب : خفق . واريك : اسم واد أو جبل على خلاف ذكره الحموي في المعجم .

عليه وآله وسلم إسماً للجهة كان على حذف المضاف كأنـه خلاف خـروج رسول الله ومن جعله مصدراً جعله مضافاً إلى مفعول به وعلى أيّ الأمرين حمل ذلك في سورة التوبـة كان بمقعدهم المقعد فيه مصدر لا إسم المكان لأن إسم المكان لا يتعلق به شيء .

[**الإعراب**] قال لا يلبثون بالرفع لأن إذاً إذا وقعت بعد الواو جـاز فيها الإلغـاء لأنها متوسطة في الكلام كما أنه لا بدَّ من أن تلقى إذا وقعت حشو أو سنة من قد أرسلنا إنتصب بمعنى قوله ﴿ **لا يلبثـون** ﴾ لأن تأويله إنـا سننا هـذه السنة فيمن أرسلنـاهم قبلك والتقديـر أهلكناهم إهلاكاً وسنة مثل سنة من قد أرسلنا قبلك .

[**النزول**] نزلت في أهل مكة لما همُّوا بإخراج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مكة عن مجاهد وقتادة وقيل نزلت في اليهود بالمدينة لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة قالوا له إن هذه الأرض ليست بأرض الأنبياء وإنما أرض الأنبياء الشام فأت الشام عن ابن عباس .

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه أن الكفار لما يئسوا من إجابته إياهم فيما التمسوه منه كادوا له فقالوا ﴿ **وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها** ﴾ معناه وإن المشركين أرادوا أن يزعجوك من أرض مكة بالإخراج عن قتادة ومجاهد وقيل عن أرض المدينة يعني اليهود عن ابن عباس وقيل يعني جميع الكفار أرادوا أن يخرجوك من أرض العرب عن الجبائي وقال الحسن ليستفـزونك معنـاه ليقتلونك ﴿ **وإذا لا يلبثـون خلافـك إلا قليلاً** ﴾ معنـاه أنهم لـو أخرجوك لكانوا لا يلبثون بعد خروجك إلا زماناً قليلاً ومدة يسيرة قيل وهي المدة بين خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مكة وقتلهم يوم بـدر عن الضحاك وقيـل إنهم أخرجـوه وأهلكوا والمراد بقوله ﴿ **إلا قليلاً** ﴾ إلا ناساً قليلاً منهم يريد من إنفلت منهم يوم بدر وآمنوا بعد ذلك ﴿ **سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا** ﴾ معناه أنهم لو أخرجوك لاستأصلناهم بعد خروجك كسنتنا فيمن قبلك قال سفيان بن عيينة يقول لم نرسل قبلك رسولاً فأخرجه قومه إلا اهلكوا فقد سننا هذه السنة فيمن أرسلنا قبلك إليهم ﴿ **ولا تجد لسنتنا تحويلاً** ﴾ أي تبديلاً ومعناه ما يتهيـأ لأحد أن يقلب سنـة الله ويبطلهـا والسنة هي العـادة الجاريـة والصحيح أن المعنيّين في الآية مشركـو مكة وأنهم لم يخرجوه من مكة ولكنَّهم همُّوا بإخراجه كما في قوله ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا** ﴾ إلى قوله ﴿ **أو يخرجوك** ﴾ ثم خـرج صلى الله عليه وآلـه وسلم لما أمر بالهجرة خوفاً منهم وندموا على خـروجه ولـذلك ضمنـوا الأموال في ردّه فلم يقدروا على ذلك ولو أخرجوه لاستؤصلوا بالعذاب ولماتوا طُرّاً .

﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾

[اللغة] الدلوك الزوال وقال المبرد دلوك الشمس من لدن زوالها إلى غروبها وقيل هو الغروب واصله من الدلك فسمي الزوال دلوكا لأن الناظر اليها يدلك عينيه لشدة شعاعها وسمي الغروب دلوكا لأن الناظر يدلك عينيه ليتبينها قال ثعلب دلكت الشمس مالت وقال الزجاج يقال دلكت بِراح وبراح أي مالت للزوال حتى صار الناظر يحتاج إذا تبصرها ان يكسر الشعاع عن بصره براحته قال الراجز.

هٰـذا مَـقـامُ قَـدَمَـيّ رَبـاحِ لِـلشَّمْسِ حَـتّـى دَلَـكَـتْ بَـراحِ(١)

ورباح اسم ساقي الإبل ومن قال براح بفتح الباء جعلها اسماً للشمس مبنياً على فعال مثل قطام وحذام ومن روى بِراحِ بكسر الباء أراد براحته وقال الفراء اي قال بالراحة على العين لينظر هل غابت الشمس بعد، وغسق الليل ظهور ظلامه يقال غسقت القرحة إذا انفجرت فظهر ما فيها والتهجد التيقظ والسهر بما ينفي النوم والهجود النوم وهو الأصل هجد يهجد نام وقد هجَّدته إذا نوَّمته قال لبيد .

قُلْتُ هَجِّـدْنـا وَقَـدْ طـالَ الـسُّـرى وَقَـدَرْنـا إِنْ خَنـا الـدَّهْـرِ غَفَـلْ(٢)

(١) وفي رواية الجوهري « ذبب حتى دلكت . اهـ » وذبب أي كثرت عليه الذباب وفي رواية الغنوي « بكرة حتى دلكت : أهـ . » ذكره في اللسان .

(٢) السرى : سير الليل كله. وقدرنا اي قدرنا على التهجيد او على السير. وخنى الدهر: آفته وفساده اي أن غفل عنا فساد الدهر فلم يعقنا.

وقال آخر :

أَلا طَرَقَتْنا وَالرِّفاقُ هُجُودُ فَباتَتْ بَعَلّاتِ النَّوالِ تَجُودُ

وقال الحطيئة :

أَلا طَرَقَتْ هِنْدُ الْهُنُودِ وَصُحْبَتي بِحَوْرانِ حَوْرانِ الْجُنُود هُجُودُ[1]

قال المبرد التهجد السهر للصلاة أو لذكر الله وقال علقمة التهجد يكون بعد نومة والنافلة والنفل الغنيمة قال لبيد :

إِنَّ تَقْوىٰ رَبِّنا خَيْرُ نَفَلْ وَبِإِذْنِ اللَّهِ رَيْثِي وَعَجَلِ[2]

أي وعجلي وعسى من الله واجبه وقد انشد لابن مقبل في وجوبها .

ظَنّي بِهِمْ كَعَسىٰ وَهُمْ بِتَنُوفَةٍ[3] يَتَنازَعُونَ جَوائِزَ الأَمْثالِ

يريد كيقين والزهوق الهلاك والبطلان يقال زهقت نفسه إذا خرجت فكأنه قد خرجت إلى الهلاك .

[**الاعراب**] قرآن الفجر منصوب على تقدير وأقم قرآن الفجر وانتصب قوله نافلة لك لأنه في موضع الحال.

[**المعنى**] ثم أمر سبحانه بعد اقامة البينات وذكر الوعد والوعيد، باقامة اصلاة فقال مخاطباً للنبي ﷺ والمراد هو وغيره **﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل﴾** اختلف المفسرون في الدلوك فقال قوم دلوك الشمس زوالها وهو قول ابن عباس بخلاف وابن عمر وجابر وابي العالية والحسن والشعبي وعطا ومجاهد وقتادة والصلاة المأمور بها على هذا هي صلاة الظهر وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) ومعنى قوله لدلوك الشمس أي عند دلوكها وقال قوم دلوكها غروبها وهو قول النخعي والضحاك والسدي والصلاة المأمور بها على هذا هي المغرب وروي ذلك عن ابن مسعود وابن عباس والقول الأول هو الاوجه

---

(١) حكى عن الثعلب انه قال ان اهل الشام يسمون كل كورة جنيداً وحوران : كورة واسعة من اعمال دمشق ذات قرى كثيرة وحوران الجنود اي بها جنود.

(٢) مر البيت في ج ٢

(٣) التنوفة : القفر من الأرض.

لتكون الآية جامعة للصلوات الخمس فصلاتا دلوك الشمس الظهر والعصر وصلاتا غسق الليل هما المغرب والعشاء الآخرة والمراد بقرآن الفجر صلاة الفجر فهذه خمس صلوات وهذا معنى قول الحسن واختاره الواحدي وغسق الليل وهو أول بدء الليل عن ابن عباس وقتادة وقيل هو غروب الشمس عن مجاهد وقيل هو سواد الليل وظلمته عن الجبائي وقيل هو انتصاف الليل عن ابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) واستدل قوم من اصحابنا بالآية على ان وقت صلاة الظهر موسَّع إلى آخر النهار لأنه سبحانه أوجب إقامة الصلاة من وقت دلوكها الى غسق الليل وذلك يقتضي ان ما بينهما وقت ولم يرتضه الشيخ أبو جعفر قدس الله روحه قال لأن من قال ان الدلوك هو الغروب فلا دلالة فيه عنده بل يقول اوجب سبحانه إقامة المغرب من عند الغروب إلى وقت اختلاط الظلام الذي هو غروب الشفق ومن قال الدلوك هو الزوال امكنه ان يقول ان المراد بالآية بيان وجوب الصلوات الخمس على ما ذكره الحسن لابيان وقت صلاة واحدة وأقول انه يمكن الاستدال بالآية على ذلك بأن يقال إن الله سبحانه جعل من دلوك الشمس الذي هو الزوال الى غسق الليل وقتاً للصلوات الأربع إلا ان الظهر والعصر اشتركا في الوقت من الزوال إلى الغروب والمغرب والعشاء الآخرة اشتركا في الوقت من الغروب إلى الغسق وافرد صلاة الفجر بالذكر في قوله ﴿وقرآن الفجر﴾ ففي الآية بيان وجوب الصلوات الخمس وبيان اوقاتها ويؤيد ذلك ما رواه العياشي بالاسناد عن عبيد بن زرارة عن أبي عبد الله (ع) وفي هذه الآية قال ان الله افترض اربع صلوات اول وقتها من زوال الشمس إلى انتصاف الليل منها صلاتان أول وقتهما من عند زوال الشمس إلى غروبها إلا ان هذه قبل هذه ومنها صلاتان أول وقتهما من غروب الشمس إلى انتصاف الليل إلا ان هذه قبل هذه وإلى هذا ذهب المرتضى علم الهدى قدس الله روحه في اوقات الصلوات وقال الزجاج ان في قوله وقرآن الفجر فائدة عظيمة تدل على ان الصلاة لا تكون إلا بقراءة لأن قوله أقم الصلاة وأقم قرآن الفجر قد أمر فيه ان يقيم الصلاة بالقراءة حتى سميت الصلاة قرآناً فلا يكون صلاة إلا بقراءة ﴿**إن قرآن الفجر كان مشهوداً**﴾ كلهم قالوا معناه ان صلاة الفجر تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار وقال النبي ﷺ تفضل صلاة الجماعة صلاة احدكم وحده بخمسة وعشرين جزءاً ويجتمع ملائكة الليل والنهار في صلاة الفجر اورده البخاري في الصحيح ﴿**ومن الليل فتهجد به**﴾ خطاب للنبي ﷺ اي فصل بالقرآن عن ابن عباس ولا يكون التهجد إلا بعد النوم عن مجاهد والاسود وعلقمة واكثر المفسرين وقال بعضهم ما تنفلت به في كل الليل يسمى تهجداً والمتهجد الذي يلقي الهجود عن نفسه كما يقال المتحرج والمتأثم ﴿**نافلة لك**﴾ أي زيادة لك على الفرائض وذلك ان صلاة الليل كانت

فريضة على النبي ﷺ مكتوبة عليه ولم تكتب على غيره وكانت فضيلة لغيره عن ابن عباس وقيل كانت واجبة عليه فنسخ وجوبها بهذه الآية وقيل ان معناه فضيلة لك وكفارة لغيرك فإن كل انسان يخاف ان لا يقبل فرضه فيكون نفله كفارة والنبي لا يحتاج إلى كفارة عن مجاهد وقيل معناه نافلة لك ولغيرك وإنما اختصه بالخطاب لما في ذلك من دعاء الغير إلى الاقتداء به والحث على الاستنان بسنته ﴿**عسى ان يبعثك ربك مقاماً محمودا**﴾ عسى من الله واجبة والمقام بمعنى البعث فهو مصدر من غير جنسه اي يبعثك يوم القيامة بعثاً انت محمود فيه ويجوز ان يجعل البعث بمعنى الإقامة كما يقال بعثت بعيري اي اثرته وأقمته فيكون معناه يقيمك ربك مقاماً محمودا يحمدك فيه الأولون والآخرون وهو مقام الشفاعة تشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطي وتشفع فتشفع وقد اجمع المفسرون على ان المقام المحمود هو مقام الشفاعة وهو المقام الذي يشفع فيه للناس وهو المقام الذي يعطي فيه لواء الحمد فيوضع في كفه ويجتمع تحته الأنبياء والملائكة فيكون ﷺ أول شافع وأول مشفع ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**رب ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق**﴾ المدخل والمخرج هنا مصدر الأدخال والأخراج فالتقدير ادخلني ادخال صدق واخرجني اخراج صدق وفي معناه اقوال (أحدها) ان المعنى ادخلني في جميع ما أرسلتني به أدخال صدق واخرجني منه سالماً اخراج صدق أي اعنّي على الوحي والرسالة عن مجاهد (وثانيها) ان معناه ادخلني المدينة واخرجني منها إلى مكة للفتح عن ابن عباس والحسن وقتادة وسعيد بن جبير (وثالثها) انه ﷺ أمر بهذا الدعاء إذا دخل في أمر أو خرج من أمر والمراد ادخلني كل أمر مدخل صدق عن أبي مسلم (ورابعها) ان المعنى ادخلني القبر عند الموت مدخل صدق واخرجني منه عند البعث مخرج صدق عن عطية عن ابن عباس ومدخل الصدق ما تحمد عاقبته في الدنيا والدين وإنما اضاف الأدخال والاخراج اليه سبحانه وان كانا من فعل العبد لأنه سأله اللطف المقرب إلى خير الدين والدنيا ﴿**واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً**﴾ أي اجعل لي عزاً امتنع به ممن يحاول صدّي عن إقامة فرائضك وقرة تنصرني بها على من عاداني فيك وقيل اجعل لي ملكاً عزيز اقهر به العصاة فنصر بالرعب حتى خافة العدو على مسيرة شهر وقيل حجة بينة أتقوى بها على سائر الاديان الباطلة عن مجاهد قال وسمَّاه نصيراً لأنه تقع به النصرة على الاعداء فهوكالمعين﴿**وقل**﴾ يا محمد ﴿**جاء الحق**﴾ أي ظهر الحق وهو الاسلام والدين ﴿**وزهق الباطل**﴾ أي وبطل الباطل وهو الشرك عن السدي وقيل الحق التوحيد وعبادة الله والباطل عبادة الأصنام عن مقاتل وقيل الحق القرآن والباطل الشيطان وزهق بطل واضحمل عن قتادة وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال دخل النبي ﷺ مكة وحول البيت

ثلاثمائة وستون صنماً فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كـان زهوقـاً اورده البخاري في الصحيح قال الكلبي فجعل الصنم ينكب لوجهه إذ قال ذلك واهل مكة يقولون ما رأينا رجلاً اسحر من محمد ﴿**إن الباطل كان زهوقاً**﴾ أي مضمحلاً ذاهباً هالكاً لا ثبات له.

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر وابن عامر برواية ابن ذكوان وناء بجانبه ممدودة مهموزة وفي حمّ مثله وقرأ حمزة إلا العجلي وأبو بكر برواية حماد ويحيى وعياش وأبو شعيب السوسي عن اليزيدي ونصير عن الكسائي نئي بفتح النون وكسر الهمزة وقرأ حمزة برواية العجلي وخلف والكسائي نئي بكسر النون والهمزة وقرأ الباقون نأى بفتح النون والهمزة في وزن نعى.

[**الحجة**] قال أبو علي ناء مثل فاع وهو على القلب وتقديره فلع ومثله رأى ورآء قال.

فَكُـلُّ خَلِيـلٍ رَاءَني فَهْـوَ قَـائِـلٌ مِنَ اجْلِكَ هٰـذا هٰـامَـةُ الْيَـوْمِ أَوْغَـدِ(١)

ومن امال الفتحتين فلأن الألف منقلبة من الياء التي في النأي فإذا أراد أن ينحـو نحوهـا امال فتحة النون لإمالة فتحة الهمزة وقد قالوا رأيت عماداً فأمالوا الألف لإمالة الألف فكذلك امالوا الفتحة لإمالة الفتحة لأنهم يجرون الحركة مجرى الحـرف في اشياء ومن فتـح النون وكسر الهمزة فإنه لم يمل الفتحة الاولى لإمالة الفتحـة الثانيـة كما لـم يميلوا الألف لإمـالة الألف في رأيت عماداً.

[**اللغة**] الشاكلة الطريقة والمذهب يقـال هذا طريق ذو شواكل أي ينشعب منه طرق جماعة.

---

(١) قائله كثير وهامة اليوم أو غد أي يموت اليوم أو غداً.

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه عن القرآن فقال ﴿ **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين**﴾ ووجه الشفاء فيه من وجوه ﴿**منها**﴾ ما فيه من البيان الذي يزيل عمى الجهل وحيرة الشك ﴿**ومنها**﴾ ما فيه من النظم والتأليف والفصاحة البالغة حدَّ الاعجاز الذي يدل على صدق النبي ﷺ فهو من هذه الجهة شفاء من الجهل والشك والعمى في الدين ويكون شفاء للقلوب (ومنها) انه يتبرك به وبقراءته ويستعان به على دفع العلل والاسقام ويدفع الله به كثيراً من المكاره والمضار على ما تقتضيه الحكمة (ومنها) ما فيه من ادلة التوحيد والعدل وبيان الشرائع والأمثال والحكم وما في التعبد بتلاوته من الصلاح الذي يدعو إلى امثاله بالمشاركة التي بينه وبينه فهو شفاء للناس في دنياهم وآخرتهم ورحمة للمؤمنين أي نعمة لهم وخصَّهم بذلك لأنهم المنتفعون به ﴿**ولا يزيد الظالمين إلا خساراً**﴾ ومعناه انهم لا يزدادون عند إلا خساراً يخسرون الثواب ويستحقون العقاب لكفرهم به وتركهم التدبر له والتفكر فيه وهذا كقوله فلم يزدهم دعائي إلا فراراً ويحتمل ان يريد ان القرآن يظهر خبث سرائرهم وما يأتمرون به من الكيد والمكر بالنبي ﷺ فيفتضحون بذلك ﴿**وإذا أنعمنا على الانسان اعرض**﴾ عن ذكرنا أي ولّى كأنه لم يقبل علينا بالدعاء والابتهال ﴿**ونأى بجانبه**﴾أي بعد بنفسه عن القيام بحقوق انعامنا فلا يشكره كما اعرض عن النعمة بالقرآن وقال مجاهد معناه تباعد منا وعلى هذا فيكون معناه تجبر وتكبر واعجب بنفسه لأن المعجب نافر عن الناس متباعد عنهم ﴿**وإذا مسّه الشركان يؤوسا**﴾ معناه وإذا أصابه المحنة والشدة والفقر لم يصبر وكان قنوطاً من رجاء الفرج من الله تعالى بخلاف المؤمن الذي يرجو الفرج والروح فيكون المراد بالآية خاصاً وإن كان اللفظ عاماً وسمى الأمراض والبلايا شراً لكونها شراً عند الكافر من حيث لا يرجو ثواباً ولا عوضاً ولأن الطباع تنفر عنها وتكرهها وإلا فهي في الحقيقة صلاح وحكمة وصواب ﴿**قل**﴾ يا محمد لهم ﴿**كلّ يعمل على شاكلته**﴾ أي كل واحد من المؤمن والكافر يعمل على طبيعته وخليقته التي تخلق بها عن ابن عباس وقيل على طريقته وسنته التي اعتادها عن الفراء والزجاج وقيل على ما هو اشكل بالصواب وأولى بالحق عنده عن الجبائي قال ولهذا قال ﴿**فربكم اعلم بمن هو أهدى سبيلاً**﴾ أي انه يعلم أيُّ الفريقين على الهدى وأيُّهما على الضلالة وقيل معناه انه اعلم بمن هو اصوب ديناً واحسن طريقاً وقال بعض ارباب اللسان هذه الآية ارجى آية في كتاب الله لأن الأليق بكرمه سبحانه وجوده العفو عن عباده فهو يعمل به.

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ

ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾

[**اللغة**] الظهير المعين وهو المظاهر وأصله من الظهر كأن كلّ واحد يسند ظهره إلى ظهر صاحبه فيتقوى به والتصريف تصيير الشيء دائراً في الجهات وكذلك تصريف الكلام هو تصييره دائراً في المعاني المختلفة .

[**الإعراب**] ألا رحمة من ربك الرحمة استثناء من الأول والمعنى ولكن الله تعالى رحمك فأثبت ذلك في قلبك لا يأتون مرفوع لأنه غلب جواب القسم على جواب ان واللام في لئن موطئة للقسم دالة عليه والتقدير فوالله لا يأتون بمثله ومثله قول كثير.

لَئِنْ عَادَ لِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بِمِثْلِهَا وَأَمْكَنَنِي مِنْهَا إِذاً لَا أُقِيلُهَا(١)

[**المعنى**] ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ **﴿ويسئلونك﴾** يا محمد **﴿عن الروح﴾** اختلف في الروح المسؤول عنه على اقوال (أحدها) انهم سألوه عن الروح الذي هو في بدن الانسان ما هو ولم يجبهم وسأله عن ذلك قوم من اليهود عن ابن مسعود وابن عباس وجماعة واختاره الجبائي وعلى هذا فإنما عدل النبي ﷺ عن جوابهم لعلمه بأن ذلك ادعى لهم إلى الصلاح في الدين ولأنهم كانوا بسؤالهم متعنتين لا مستفيدين فلو صدر الجواب لازدادوا عناداً وقد قيل ان اليهود قالت لكفار القريش سلوا محمداً عن الروح فإن أجابكم فليس بنبي وان لم يجبكم فهو نبي فإنا نجد في كتبنا ذلك فأمر الله سبحانه بالعدول عن جوابهم وان يكلهم في معرفة الروح إلى ما في عقولهم ليكون ذلك علماً على صدقه ودلالة لنبوته (وثانيها) أنهم

(١) مر البيت في صفحة ٢١٩ .

سألوا عن الروح أهي مخلوقة محدثة أم ليست كـذلك فقـال سبحانـه **﴿قل الـروح من أمر ربي﴾** أي من فعله وخلقه وكان هذا جواباً لهم عما سـألوه عنـه بعينه وعلى هـذا فيجوز أن يكون الروح الذي سألوا عنه هو الذي به قوام الجسد على قول ابن عباس وغيره أم جبرائيل (ع) على قول الحسن وقتادة أم ملك من الملائكة له سبعون الف وجه لكل وجـه سبعون الف لسان يسبح الله بجميع ذلك على ما روي عن علي (ع) أم عيسى (ع) فإنه قد سمي بالروح (وثالثها) ان المشركين سألوه عن الروح الذي هو القرآن كيف يلقاك به الملك أو كيف صار معجزاً وكيف صار نظمه وترتيبه مخالفاً لأنواع كلامنا من الخطب والاشعار وقد سمى الله تعالى القرآن روحاً في قوله وكذلك أوحينا إليك روحاً من امرنا فقال سبحانه قل يا محمد ان الروح الذي هو القرآن من أمر ربي أنزله دلالة علي دلالة نبوتي وليس من فعل المخلوقين ولا مما يدخل في امكانهم وعلى هذا فقد وقع الجواب ايضاً موقعه وأما على القول الأول فيكون معنى قوله الروح من أمر ربي هو من الأمر الذي يعلمه ربي ولم يـطلع عليه أحـد واختلف العلماء في ما هية الروح فقيل انه جسم رقيق هوائي متردد في مخارق الحيوان وهو مذهب اكثر المتكلمين واختاره الأجل المرتضى علم الهدى قدس الله روحه وقيل جسم هوائي على بنية حيوانية في كل جزء منه حياة عن علي بن عيسى قال فلكل حيوان روح وبدن إلا ان منه من الأغلب عليه الروح ومنه من الأغلب عليه البدن وقيل ان الـروح عرض ثم اختلف فيـه فقيل هو الحياة التي يتهيأ به المحل لوجود القدرة والعلم والاختيار وهو مذهب الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (ره) والبلخي وجماعة من المعتزلة البغداديين وقيل هـو معنى في القلب عن الاسواري وقيـل ان الروح الانسـان وهـو الحي المكلف عن ابن الأخشيد والنظام وقال بعض العلماء ان الله تعالى خلق الروح من ستة اشياء من جوهر النور والطيب والبقاء والحياة والعلم والعلو ألا ترى انه ما دام في الجسد كان الجسد نورانيا يبصر بالعينين ويسمع بالاذنين ويكون طيباً فإذا خرج من الجسد نتـن الجسد ويكون بـاقياً فـإذا فارقه الروح بلي وفني ويكون حياً وبخروجه يصير ميتاً ويكون عالماً فإذا خرج منه الروح لم يعلم شيئاً ويكون علوياً لطيفاً توجد به الحياة بدلالة قوله تعالى في صفة الشهداء بـل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين واجسامهم قد بليت في التـراب وقولـه **﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾** قيل هو خطاب للنبي ﷺ وغيـره إذا لم يبين له الـروح ومعناه ومـا أوتيتم من العلم المنصوص عليه إلا قليلاً أي شيئاً يسيراً لأن غير المنصوص عليه أكثر فإن معلومات الله تعالى لا نهاية لها وقيل خطاب لليهود الذين سألوه فقالت له اليهود عند ذلك كيف وقد اعطانا الله التوراة فقال التوراة في علم الله قليل ثم قال سبحانه **﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك﴾**

يعني القرآن ومعناه اني اقدر ان آخذ ما اعطيتك كما منعت غيرك ولكني دبرتك بالرحمة لك فأعطيتك ما تحتاج إليه ومنعتك ما لا تحتاج الى النص عليه وان توهم قوم انه مما تحتاج إليه فتدبر أنت بتدبير ربك وارض بما اختاره لك ﴿**ثم لا تجد لك به علينا وكيلا**﴾ أي ثم لو فعلنا ذلك لم تجد علينا وكيلا يستوفي ذلك منا وقيل معناه ولو شئنا لمحونا هذا القرآن من صدرك وصدر أمتك حتى لا يوجد له أثر ثم لا تجد له حفيظاً يحفظه عليك ويحفظ ذكره على قلبك عن الحسن وابي مسلم والأصم قالوا وفي هذا دلالة على ان السؤال وقع عن القرآن ﴿**إلا رحمة من ربك**﴾ معناه لكن رحمة من الله ربك لك أعطاك ما أعطاك من العلوم ومنعك ما منعك منها وأثبت القرآن في قلبك وقلوب المؤمنين ﴿**إن فضله كان**﴾ فيما مضى وفيما يستقبل ﴿**عليك كبيراً**﴾ عظيماً إذ اختارك للنبوة وخصّك بالقرآن فقابله بالشكر وقال ابن عباس يريد حيث جعلك سيد ولد آدم وختم ربك النبيين واعطاك المقام المحمود ثم احتج سبحانه على المشركين باعجاز القرآن فقال ﴿**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله**﴾ معناه قل يا محمد لهؤلاء الكفار لئن اجتمعت الإنس والجن متعاونين متعاضدين على ان يأتوا بمثل هذا القرآن في فصاحته وبلاغته ونظمه على الوجوه التي هو عليها من كونه في الطبقة العليا من البلاغة والدرجة القصوى من حسن النظم وجودة المعاني وتهذيب العبارة والخلو من التناقض واللفظ المسخوط والمعنى الدخول على حد يشكل على السامعين ما بينهما من التفاوت لعجزوا عن ذلك ولم يأتوا بمثله ﴿**ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**﴾ أي معيناً على ذلك مثل ما يتعاون الشعراء على بيت شعر فيقيمونه عن ابن عباس وفي هذا تكذيب للنضر بن الحارث حين قال لو نشاء لقلنا مثل هذا قال أبو مسلم وفي هذا ايضاً دلالة على ان السؤال بالروح وقع عن القرآن لأنه من تمام ما أمر الله نبيَّه ﷺ أن يجيئهم به ﴿**ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل**﴾ معناه لقد بيَّنا لهم في هذا القرآن من كل ما يحتاج اليه من الدلائل والأمثال والعبر والأحكام وما يحتاجون اليه في دينهم ودنياهم ليتفكروا فيها ﴿**فأبى اكثر الناس إلا كفوراً**﴾ اي جحوداً للحق والمثل قد يكون الشيء بعينه وقد يكون صفة للشيء وقد يكون شبهه.

﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا

كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن
زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا
كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾
وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ
بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ
لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة ويعقوب حتى تفجر لنا بفتح التاء وضم الجيم والباقون تُفجرّ بضم التاء وتشديد الجيم وقرأ أبو جعفر وابن عامر كِسَفا بفتح السين هاهنا وفي سائر القرآن كِسْفا ساكنة السين وقرأ حفص بالفتح في جميع القرآن إلا في الطور وقرأ اهل العراق وابن كثير بالسكون في جميع القرآن إلا في الروم ولم يقرأ في الروم بسكون السين إلا أبو جعفر وابن عامر وابن كثير وابن عامر قال سبحان ربي والباقون قل على الأمر.

[**الحجة**] من قرأ تُفجرّ بالتشديد فلأنهم ارادوا كثرة الانفجار من الينبوع وهو وإن كان واحداً فلتكثير الانفجار منه حسن ان يقال بتكرير العين كما يقال ضرّب زيد إذا كثر منه فعل الضرب ومن قرأ تَفْجُر فلأن الينبوع واحد فلا يكون كقوله فتُفجِّر الأنهار خلالها تفجيراً لأن فجرت الأنهار مثل غلقت الأبواب فلذلك اتفق الجميع على التثقيل فيه والكِسَف القِطَع واحدتها كِسْفة ومن سكنه جاز ان يريد الجمع مثل سِدْرَة وسِدْر قال أبو زيد كسفت الثوب اكسِفه كَسْفاً إذا قطعته قال أبو علي إذا كان المصدر الكَسْف فالكِسَفْ الشيء المقطوع كالطَحْن والطِحَن والسَقْي والسِقي ونحو ذلك فجاز ان يكون قوله أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا بمعنى ذات كسف وذلك ان اسقط لا يتعدى إلا إلى مفعول واحد فوجب ان ينتصب كسفاً على الحال والحال ذو الحال في المعنى وإذا كان كذلك وجب ان يكون الكسف هو السماء فيصير المعنى أو تسقط السماء علينا مقطعة أو قطعاً ومن قرأ قال سبحان ربي فالوجه فيه ان الرسول قال عند اقتراحهم هذه الأشياء سبحان ربي ومن قرأ قل فهو على الأمر له بأن يقول ذلك .

[**اللغة**] التفجير التشقيق عما يجري من ماء أو ضياء ومنه سمي الفجر لأنه ينشق عن عمود ومنه الفجور لأنه خروج إلى الفساد يشقق به عمود الحق والينبوع يفعول من نبع الماء ينبع فهو نابع إذا فار والقبيل الكفيل من قبلت به اقبل قبالة أي كفلت وتقبل فلان بالشيء إذا تكفل به قال الزجاج وجائز ان يكون المعنى تأتي بهم حتى نراهم مقابلة أي معاينة وانشد غيره.

نُصالِحُكُمْ حَتَّى تَبوؤا بِمِثْلِها كَصَرْخَةِ حُبْلى أَسْلَمَتْها قَبِيلُها(1)

أي قابلتها التي هي مقابلتها والعرب تجريه في هذا المعنى مجرى المصدر فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث وأصل الزخرف من الزخرفة وهي الزينة وزخرفت الشيء إذا أكملت زينته ولا شيء في تحسين بيت وتزيينه وزخرفته كالذهب ويقال في الصعود رقيت ارقى رُقِياً وفيما تداويه بالرقية رقيت أرقى رَقية ورقيا.

[**النزول**] قال ابن عباس ان جماعة من قريش وهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو سفيان ابن حرب والأسود بن المطلب وزمعة بن الاسود والوليد بن المغيرة وابو جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج والنضر بن الحارث وأبو البختري بن هشام اجتمعوا عند الكعبة وقال بعضهم لبعض ابعثوا إلى محمد فكلِّموه وخاصموه فبعثوا اليه ان اشراف قومك قد اجتمعوا لك فبادر ﷺ اليهم ظناً منه انهم بدا لهم في أمره وكان حريصاً على رشدهم فجلس اليهم فقالوا يا محمد انا دعوناك لنعذر اليك فلا نعلم احداً ادخل على قومه ما ادخلت على قومك شتمت الآلهة وعبت الدين وسفهت الأحلام وفرَّقت الجماعة فإن كنت جئت بهذا لتطلب مالاً اعطيناك وإن كنت تطلب الشرف سوَّدناك علينا وإن كانت علة غلبت عليك طلبنا لك الاطباء فقال ﷺ ليس شيء من ذلك بل بعثني الله اليكم رسولاً وأنزل كتاباً فإن قبلتم ما جئت به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردّوه اصبر حتى يحكم الله بيننا قالوا فإذن ليس أحد اضيق بلداً منا فاسأل ربك أن يسير هذه الجبال ويجري لنا انهاراً كأنهار الشام والعراق وأن يبعث لنا من مضى وليكن فيهم قصي فإنه شيخ صدوق لنسألهم عما تقول أحق أم باطل فقال ﷺ ما بهذا بعثت قالوا فإن لم تفعل ذلك فاسأل ربك أن يبعث ملكاً يصدّقك ويجعل لنا جنات وكنوزاً وقصوراً من ذهب فقال ﷺ ما بهذا بعثت وقد جئتكم بما بعثني الله به فإن قبلتم وإلا فهو يحكم بيني وبينكم قالوا فاسقط

(١) ويروى «بشرتها ـ يسرتها قبيلها ـ قبولها» والقبيل والقبول كلاهما بمعنى القابلة ، سميت بذلك لقبولها الولد وقوله «اسلمتها قبيلها» أي يئست منها قاله في اللسان.

علينا السماء كما زعمت ان ربك إن شاء فعل ذلك قال ذاك إلى الله إن شاء فعل وقال قائل منهم لا نؤمن حتى تأتي بالله والملائكة قبيلاً فقام النبي ﷺ وقـام معه عبـد الله بن أبي أمية المخزومي ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله ثم سألوك لأنفسهم أموراً فلم تفعل ثم سألوك ان تعجل ما تخوفهم به فلم تفعـل فوالله لا أؤمن بك ابداً حتى تتخذ سُلَّما إلى السماء ثم ترقى فيه وانا انظر ويأتي معك نفر من الملائكة يشهدون لك وكتاب يشهد لك وقال أبو جهل انه أبى إلا سبُّ الآلهة وشتم الآباء وأنا أعاهد الله لأحملن حجراً فإذا سجد ضربت به رأسه فانصرف رسول الله ﷺ حزيناً لما رأى من قومه فأنزل الله سبحانه الآيات .

[**المعنى**] لمّا بيَّن سبحانه فيما تقدّم اعجاز القرآن عقَّب ذلك البيـان بأنهم أبـوا الا الكفر والطغيان واقترحوا من الآيات ما ليس لهم ذلك فقال ﴿**وقالـوا لن نؤمن لك**﴾ أي لن نصدّقك فيما تدعي من النبوة ﴿**حتى تفجر لنا من الأرض**﴾ أي تشقّق لنا من ارض مكة فإنها قليلة الماء ﴿**ينبوعاً**﴾ أي عيناً ينبع منه الماء في وسط مكة ﴿**أو تكون لك جنة**﴾ وهي ما تجنّه الاشجـار أي تستره ﴿**من نخيـل وعنب فتفجر الأنهـار**﴾ من الماء ﴿**خـلالها**﴾ اي وسـطها ﴿**تفجيراً** ﴾ أي تشقيقاً حتى يجري الماء تحت الاشجار ﴿**أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً**﴾ أي قطعاً قد تركب بعضها على بعض عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقوله كما زعمت معناه كما خوَّفتنا بـه من انشقاق السمـاء وانفطارهـا وقيل معنـاه كما زعمت انـك نبي تأتي بالمعجزات ﴿**أو تأتي بالله والملائكة قبيلا**﴾ أي كفيـلاً ومعناه تأتي بكل واحـد حتى يكون كفيلا ضامناً لنا بما تقول عن ابن عباس والضحاك وقيل هو جمع القبيلة اي تأتي بـأصناف الملائكة قبيلة قبيلة عن مجاهد وقيل معناه مقابلين لنا كالشيء يقابل الشيء حتى نشاهدهم قبيلا أي مقابلة نعاينهم ويشهدون بأنك حق ودعوتك صدق عن الجبائي وقتـادة وهذا يـدل على ان القوم كانوا مشبهة مع شركهم ﴿**أو يكون لك بيت من زخرف**﴾ أي من ذهب عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل الزخرف النقوش عن الحسن ﴿**أو ترقى في السماء**﴾ أي تصعد ﴿**ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه**﴾ أي ولو فعلت ذلك لم نصدقك حتى تنزل على كل واحد منا كتاباً من الله شاهداً بصحة نبوتك نقرؤه وهو مثل قوله بل يـريد كل امرىء بمنهم ان يؤتي صحفاً منشرة ﴿**قل سبحان ربي**﴾ أي تنزيها له من كل قبيح وبراءة له من كل سوء وفي ذلك من الجواب انكم تتخيرون الآيات وهي إلى الله سبحانه فهو العالم بالتـدبير الفاعل لما توجبه المصلحة فلا وجه لطلبكم إياها مني وقيل معناه تعظيمـاً له عن ان يحكم عليه عبيده لأن له الطاعة عليهم وقيل انهم لمـا قالـوا تأتي بـالله وترقى في السمـاء الى الله

لاعتقادهم ان الله تعالى جسم قال قل سبحان ربي عن كونه بصفة الاجسام حتى تجوز عليه المقابلة والنزول وقيل معناه تنزيهاً له عن ان يفعل المعجزات تابعاً للاقتراحات ﴿**هل كنت إلا بشراً رسـولاً**﴾ معناه ان هذه الاشياء ليس في طاقة البشر ان يأتي بها وان يفعلها فلا اقـدر بنفسي ان آتي بها كما لم يقدر من كان قبلي من الرسل والله تعالى إنما يظهر الآيات المعجزة على حسب المصلحة وقد فعل فلا تطالبوني بمـا لا يطالب بـه البشر ﴿**ومـا منع النـاس ان يؤمنـوا**﴾ أي وما صـرف المشركين عن الإيمـان أي التصديق بـالله وبرسـوله ﴿**إذا جـاءهم الهـدى**﴾ أي حين أتاهم الحجـج والبينات ﴿**إلا ان قـالوا**﴾ أي الاقـولهم ﴿**ابعث الله بشراً رسـولاً**﴾ دخلت عليهم الشبهة في انـه لا يجوز ان يبعث الله رسـولاً الا من الملائكـة كما دخلت عليهم الشبهة في ان عبادتهم لا تصلح لله فوجهوها إلى الأصنام فعظموا الله بجهلهم بما ليس فيه تعظيم وإنما ذكر سبحانه هنا لفظ المنع مبالغة في وصف الصرف وإلا فـالمنع يستحيل معه الفعل فلا يجوز أن يكون مراداً هنا ولكن شبه الصرف بالمنع ﴿**قل**﴾ يا محمد ﴿**لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين**﴾ أي ساكنين قاطنين ﴿**لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً**﴾ منهم عن الحسن وقيـل معناه مـطمئنين إلى الدنيـا ولذاتهـا غير خـائفين ولا متعبدين بشرع لأن المطمئن من زال الخوف عنه عن الجبائي وقيل معناه لو كان أهل الأرض ملائكة لبعثنا اليهم ملكاً ليكونوا إلى الفهم اليه اسرع عن أبي مسلم وقيل ان العرب قالوا كنا ساكنين مطمئنين فجاء محمد فأزعجنا وشوَّش علينا أمرنـا فبيِّن سبحانه انهم لو كانوا ملائكة مطمئنين لأوجبت الحكمة إرسال الرسـل اليهم فكذلـك كون النـاس مطمئنين لا يمنـع من إرسال الرسول اليهم إذ هم أحوج اليه من الملائكة فكيف انكروا ارسال الرسـول اليهم مع كونهم مطمئنين (سؤال) قالوا إذا جاز ان يكون الرسول إلى النبي ملكاً ليس من جنسه فالأجاز ان يكون الرسول إلى الناس أيضاً ملكاً ليس من جنسهم (وجوابه) ان صاحب المعجزة قد اختير للنبوة فصارت حاله مقاربة لحال الملك وليس كذلك غيره من الأمة لأنه يجوز ان يرى الملائكة كما يرى بعضهم بعضاً بخلاف الأمة وأيضاً فإن النبي يحتاج إلى معجزة تعرف بها رسالة نفسه كما احتاجت اليه الأمة فجعل الله المعجزة رؤيته الملك .

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ

وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ
جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟
بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا
جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ * أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى
ٱلظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ
رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾

[**اللغة**] الخبو سكون النار عن الالتهاب يقال خبت النار تخبو قال عدي بن زيد.

وَسْطَهُ كَالْيَرَاعِ أَوْ سُرُجِ المِجْدَلِ ... حِيناً يَخْبُو وَحِيناً يُنِيرُ[1]

وقال آخر :

وَكُنَا كَالْحَرِيقِ أَصَابَ غَاباً ... فَيَخْبُو سَاعَةً وَيُنِيرُ سَاعاً

والقتر التضييق والقتور فعول منه للمبالغة ويقال قتر يقتر وتَقَتَّرَ واقتر وقَتَّرَ إذا قدر في النفقة.

[**الإعراب**] كفى بالله المفعول محذوف وهو الكاف والباء زيادة وشهيداً تمييز والتقدير كفاك الله من جملة الشهداء من يهدي الله ومن يضلل كلاهما شرط ووحد الضمير المتصل بيهدي ويضلل على اللفظ ثم قال فلن تجد لهم اولياء ونحشرهم الخ فجمع الضمير في كل ذلك على المعنى وقوله كلما خبت زدناهم سعيراً الجملة في موضع الحال من جهنم لأن جهنم توضع موضع متلظ ومتسعر ولولا ذلك لم يجز مجيء الحال عنها ويجوز ان تكون الجملة لا محل لها من الاعراب ويكون في تقدير العاطفة والتقدير وكلما خبت فحذف الواو. على وجوههم في موضع نصب على الحال وتقديره مجرورين على وجوههم وقوله لو

(١) هذا البيت من قصيدة يعظ فيها النعمان بن المنذر ومطلعها «أرواح مودع أم بكور» * أنت فانظر لاي ذاك تصير».

انتم تملكون . أنتم مرفوع بفعل مضمر يفسِّره هذا الظاهر الذي هو قوله تملكون لأن لو يقع بها الشيء لوقوع غيره فلا يليها إلا الفعل وإذا وليها اسم عمل فيه فعل مضمر قال.

لَـوْ غَـيْـرُكم عَـلِقَ الـزُّبَيْـرُ بِـحَبْـلِهِ أَدَّى الْـجَـوَارَ إِلـىٰ بَـنـي الـعَـوَّامِ[1]

[**المعنى**] ثم قال سبحانه لنبيّه ﷺ **﴿قـل﴾** يا محمـد لهؤلاء المشركين **﴿كفى بـالله شهيداً بيني وبينكم﴾** اني رسول الله اليكم وقد مرَّ معناه في سورة الرعد[2] **﴿أنه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾** لا يخفى عليه من احوالهم شيء والمراد به تأكيد الوعيد **﴿ومن يعد الله فهو المهتدي﴾**أي من يحكم الله بهداه فهو المهتدي بإخلاصه وطاعته على الحقيقة**﴿ومن يضلل﴾** أي ومن يحكم بضلاله **﴿فلن تجد لهم أولياء من دونـه﴾** أي لن تجد لهم أنصـاراً يقدرون على إزالة اسم الضلال عنهم وقد ذكرنا وجوه الهدى والضلال في سورة البقرة **﴿ونحشرهم﴾** أي نجمعهم **﴿يوم القيامة على وجوههم﴾** أي يسحبون على وجوههم إلى النار كما يفعل في الدنيا بمن يبالغ في اهانته وتعذيبه وروى انس بن مالك ان رجلاً قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال ان الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قـادر على ان يمشيه على وجهه يوم القيامة أورده البخاري ومسلم في الصحيح **﴿عميا وبكما وصماً﴾** قيل المعنى عميا عما يسرّهم بكما عن التكلم بما ينفعهم صماً عمـا يمتعهم عن ابن عباس أي كـأنهم عدموا هذه الجوارح وقيل يحشرون على هذه الصفة عمياً كما عموا عن الحق في دار الدنيا بكما جزاء على سكوتهم عن كلمة الاخـلاص وصماً لتـركهم سماع الحق واصغـائهم إلى الباطل قال مقاتل هذا حين يقـال لهم اخسئوا فيهـا وّلا تكلموني وقيـل يحشرون كـذلك ثم يجعلون يبصـرون ويسمعـون وينـطقـون عن الحسن **﴿مـأواهم جهنم كلمـا خبت زدنـاهم سعيراً﴾** أي مستقرّهم جهنم كلما سكن التهابها زدناهم اشتعالاً فيكون كذلك دائماً ومتى قيل كيف يبقى الحي حياً في تلك الحالة من الاحتراق دائماً قلنا ان الله تعالى قادر على ان يمنع وصـول النار إلى مقـاتلهم **﴿ذلك﴾** أي ذلـك الذي تقـدم ذكـره من العقـاب **﴿جـزاؤهم﴾** استحقوه **﴿بأنهم كذبوا﴾** [كذا في النسخ والصواب كفروا][3]**﴿بآياتنا﴾** أي بتكذيبهم بآيات الله **﴿وقالوا أئذا كنا عظاماً ورفاتا﴾** مثل التراب مترضضين **﴿أإنا لمبعوثون خلقاً جديداً﴾** مرَّ معناه في هذه السورة **﴿أو لم يروا﴾** أي أو لم يعلموا **﴿أن الله الذي خلق السماوات والأرض**

---

(١) مر البيت في ج ٢

(٢) في صفحة ٤٦٢ من هذه الطبعة .

(٣) قد خلت المخطوطة مما اوردناه بين المعقفتين وكانه مكتوباً في هامش بعض النسخ فأدخله الناسخ في المتن سهواً

قادر على ان يخلق مثلهم﴾ لأن القادر على الشيء قادر على امثاله إذا كان له مثل او أمثال في الجنس وإذا كان قادراً على خلق امثالهم كان قـادراً على إعادتهم إذ الإعـادة أهون من الإنشاء في الشاهد وقيل أراد قادر على أن يخلقهم ثانيـاً وأراد بمثلهم إياهم وذلـك ان مثل الشيء مُساوٍ له في حالته فجاز ان يعبَّر به عن الشيء نفسه يقال مثلك لا يفعل كـذا بمعنى أنت لا تفعله ونحوه ليس كمثله شيء وتمَّ الكلام ههنا ثم قال سبحانه ﴿وجعل لهم أجلا لا ريب فيه﴾ أي وجعل لإعادتهم وقتاً لا شك فيه أنه كائن لا محالة وقيل معناه وضرب لهم مدة ليتفكروا ويعلموا فيها أن من قدر على الابتداء قدر على الإعادة وقيل وجعل لهم أجلا يعيشون اليه ويخترمون عنده لا شك فيه ﴿فأبى الظالمون﴾ لنفوسهم الباخسون حقها بفعل المعاصي ﴿إلا كفوراً﴾ أي جحوداً بآيات الله ونعمه وفي الآية دلالة على ان القادر على الشيء يجب ان يكون قادراً على جنس مثله إذا كان له مثل وعلى انه يجب ان يكون قادراً على ضدّه لأن منزلته في المقـدور منزلـة مثله وفيـه دلالـة أيضـاً عـلى أنـه يقـدر على إعـادتـه إذا كـان مما يفنى وتصح عليـه الإعـادة ثم قـال سبحـانـه ﴿قـل﴾ يـا محمـد لهؤلاء الكفـار ﴿لـو أنتم تملكـون خـزائن رحمـة ربـي﴾ أي لـو ملكتم خـزائن أرزاق الله وقيـل لـو ملكتم مقدورات ربي أي ما يقدر عليه ربي من النعم إذ لا يكون له سبحانه موضع يخزن فيه الرحمة ثم يخرج منه كما يكون للعباد ورحمته نعمته﴿إذا لأمسكتم﴾ شحاً وبخـلا ﴿خشية الإنفاق﴾أي خشية الفقر والفاقـة عن ابن عباس وقتـادة وقيل خشيـة أن تنفقوا فتفتقـروا عن السدي والمعنى لأمسكتم عن الانفاق خشية الفقر للإنفاق ﴿وكان الإنسان قتوراً﴾ أي بخيلاً عن ابن عباس وقتادة وهذا جواب لقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ويقال نفقت نفقات القوم إذا نفدت وأنفقها صاحبها أي أنفدها حتى افتقر وظاهر قوله﴿وكان الإنسان قتوراً﴾ العموم وقد علمنا أن في الناس الجواد والوجه فيه أحد أمرين وهو أن يكون الأغلب عليهم من ليس بجواد فجاز الاطلاق تغليباً للأكثر وأيضاً فإن ما يعطيه الإنسان وان عدّ جواداً بخل في جنب ما يعطيه الله سبحانه لأن الإنسان إنما يعطي ما يفضل عن حاجته ويمسك ما يحتاج إليه والله سبحانه لا تجوز عليه الحاجة فيفيض من النعم على المطيع والعاصي إفاضة من لا يخاف الحاجة .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾
قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم
مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ
لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ
لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَـٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا
وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾

[**القراءة**] قرأ الكسائي وحده لقد علمت بضم التاء والباقون بفتحها.

[**الحجة**] قال أبو علي حجة من فتح ان فرعون ومن كان يتبعه قد علموا صحة أمر موسى بدلالة قوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننَّ لك وقله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ومن قال لقد علمت إذا قيل له كيف يصح الاحتجاج عليهم بعلمه وعلمه لا يكون حجة على فرعون وإنما يكون علم فرعون بما علم من صحة أمر موسى حجة عليه فالقول انه لما قيل له ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون كان ذلك قدحاً في علمه لأن المجنون لا يعلم فكأنه نفى ذلك فقال لقد علمت صحة ما أتيت به وانه ليس بسحر علماً صحيحاً كعلم العقلاء فصيَّر العقلَ حجة عليه من هذا الوجه وزعموا ان هذه القراءة رويت عن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (ع) .

[**اللغة**] الثبور الهلاك ثبره الله يثبره ويثبره لغتان ورجل مثبور محبوس عن الخيرات قال:

إِذْ أُجَارِي الشَّيْطَانَ فِي سَنَنِ الْغَيِّ وَمَنْ قَالَ مِثْلُهُ مَثْبُورُ

وتقول العرب ما ثبرك عن هذا الأمر أي ما صرفك عنه وما منعك منه ولفيف مصدر قولك لففت الشيء أي جمعته يقال لففته لفاً ولفيفاً ومن ذلك قولهم لففت الجيوش ضربت بعضها ببعض فاختلط الجميع قال الزجاج اللفيف الجماعات من قبائل شتى.

[**المعنى**] ثم ذكر سبحانه قصة موسى (ع) فقال ﴿**ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات**﴾ أي ولقد أعطينا موسى تسع دلالات وحجج واضحات واختلف في هذه الآيات التسع فقيل هي يد موسى وعصاه ولسانه والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم

عن ابن عباس والضحاك وقيل الطوفـان والجراد والقمـل والضفادع والـدم والبحر والعصـا والطمسة والحجر عن محمد بن كعب وعن أبي علي الجبائي أيضاً إلا انه ذكر بدل الطمسة اليد وعن قتادة ومجاهد وعكرمة وعطا كذلك إلا انهم ذكروا بدل البحر والطمسة والحجر اليد والسنين ونقص من الثمرات والطمسة هي دعاء موسى وتأمين هارون وقال الحسن مثل ذلك إلا انه جعل الأخذ بالسنين ونقص من الثمرات آية واحـدة وجعل التـاسعة تلقف العصـا ما يأفكون وقيل انها تسع آيات في الاحكام روى عبد الله بن سلمة عن صفوان بن عسال ان يهودياً قال لصاحبه تعال حتى نسأل هذا النبي قال فأتى الرسول ﷺ فسأله عن هذه الآية فقال هو أن الا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تمشوا بالبريء إلى سلطان ليقتله ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا المحصنة ولا تولوا الفرار يوم الزحف وعليكم خاصة يا يهود أن لا تعتدوا في السبت فقبَّل يده وقال أشهد انك نبي ﴿**فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم**﴾ هذا أمر للنبي ﷺ ان يسأل بني إسرائيل لتكون الحجة عليهم أبلغ وقيل ان المعنى فاسأل أيها السامع لأن العلم قد وقع بخبر الله تعالى فلا حاجة إلى الرجوع إلى اهل الكتاب وقيـل ان معنى السؤال ان تنظر مـا في القرآن من اخبـار بني إسرائيل عن الحسن وروي عن ابن عباس انه قـرأ فَسَأَلَ بني إسـرائيل بمعنى فسـأل موسى فرعون بني إسرائيل ان يرسلهم ﴿**فقال له فرعون إني لاظنك يا موسى مسحوراً**﴾ أي معطى على السحر فهذه العجائب التي فعلتها من سحـرك وقيل معنـاه إني لأظنك سـاحراً فـوضع المفعول موضع الفاعـل كما يقـال مشؤوم وميمون في معنى شـائم ويامن وقيـل معناه إنـك سحرت فأنت تحمل نفسك على ما تقوله للسحر الذي بك وقيل مسحوراً أي مخـدوعاً عن ابن عباس ﴿**قال**﴾ موسى ﴿**لقد علمت**﴾ أنت يا فرعون ﴿**ما أنزل هؤلاء**﴾ اي هذه الآيات ﴿**ألا رب السماوات والأرض**﴾ الذي خلقهن ﴿**بصائر**﴾ أي أُنزلها حججـاً وبراهين للنـاس يبصرون بها أمور دينهم وقيل أدلة على نبوتي لأنك تعلم انها ليست من السحر وروي ان علياً (ع) قال في علمت والله ما علم عدو الله ولكن موسى هو الذي علم فقال لقد علمت ﴿**واني لأظنك يا فرعون مثبوراً**﴾ معناه وإني لا علمك يا فرعون هالكاً لكفـرك وانكارك عن قتـادة والحسن وقيل أُعلمك ملعوناً عن ابن عباس وقيل مخبولاً لا عقل لك عن ابن زيد وقيل بعيداً عن الخير مصروفاً عنه عن الفراء وقيل المراد به الظن على الظاهر لأن الهلاك يكون بشرط الاصرار ولا يعلم حقيقة ذلك إلا الله ﴿**فأراد أن يستفزهم من الأرض**﴾ معناه فأراد فرعون ان يـزعج مـوسى ومن معه من ارض مصـر وفلسطين والأردن بـالنفي عنهـا وقيـل بـأن يقتلهم ﴿**فأغرقناه ومن معه**﴾ من جنوده ﴿**جميعاً**﴾ لم ينج منهم أحد ولم يهلك من بني إسرائيل أحد

﴿**وقلنا من بعده**﴾ أي من بعد هلاك فرعون وقومه ﴿**لبني إسرائيل اسكنوا الأرض**﴾ أي أرض مصر والشام ﴿**فإذا جاء وعد الآخرة**﴾ يعني يوم القيامة عن اكثر المفسرين أي وعد الكرة الآخرة وقيل اراد نزول عيسى عن الكبي وقتادة ﴿**جئنا بكم لفيفاً**﴾ معناه جئنا بكم من القبور إلى الموقف للحساب والجزاء مختلطين التف بعضكم ببعض لا تتعارفون ولا ينحاز أحد منكم إلى قبيلته وقيل لفيفاً أي جميعاً أولكم وآخركم عن ابن عباس ومجاهد ﴿**وبالحق أنزلناه**﴾ معناه وبالحق أنزلنا القرآن عليك ﴿**وبالحق نزل**﴾ القرآن وتأويله أردنا بانزال القرآن الحق والصواب وهو أن يؤمن به ويعمل بما فيه ونزل بالحق لأنه يتضمن الحق ويدعو إلى الحق وقال البلخي يجوز أن يكون المراد أنزلنا موسى فيكون كقوله وأنزلنا الحديد ويجوز أن يكون المراد وانزلنا الآيات اي وأنزلنا ذلك كما قال أبو عبيدة انشدني رؤبة.

فيهِ خُطوطٌ مِنْ سَوادٍ وَبَلَقٍ كَأَنَّهُ في الْعَيْنِ تَوْليعُ البَهَقْ[1]

فقلت له ان أردت الخطوط فقل كأنها وإن اردت السواد والبياض فقل كأنهما[2] قال فقال لي كأنَّ ذا ويلك توليع البهق ﴿ **وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً** ﴾ مبشراً بالجنة لمن أطاع ومنذراً بالنار لمن عصى.

﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ

(١) وفي اللسان في مادة ولع «فيها خطوط اهـ». والتوليع: التلميع من البرص. والبهق: بياض دون البرص.
(٢) قال ابن المنظور بعد ذكر القصة قال ابن بري: ورواية الاصمعي كأنها اي كان الخطوط «انتهى.

بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

[**القراءة**] القراءة المشهورة في فرقناه بالتخفيف وروي عن علي « ع » وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب والشعبي والحسن بخلاف وقتادة وعمرو بن فائد فرّقناه بالتشديد .

[**الحجة**] معنى فرّقناه فصّلناه ونزّلناه آية آية وسورة سورة ويدل عليه قوله على مكث والمَكث والمُكث لغتان .

[**الإعراب**] قرآنا منصوب بفعل مضمر يفسره هذا الظاهر أي وفرقنا قرآنا فرقناه وجاء بالنصب ولم يأت فيه الرفع لأن صدره فعل وفاعل وهو قوله ﴿ **وبالحق أنزلناه على مكث** ﴾ في موضع نصب على الحال أي متمهلاً متوقفاً غير مستعجل يخرّون للأذقان في موضع رفع بكونه خبر ان وسجداً نصب على الحال ان كان وعد ربنا إنْ هذه مخففة من الثقيلة وهي واللام دخلتا للتأكيد. أياً مّا تدعوا تدعوا مجزوم بالشرط الذي يتضمنه أيُّ وعلامة الجزم فيه سقوط النون وما مزيدة مؤكدة للشرط وأيا منصوب بتدعوا.

[**المعنى**] ثم عطف سبحانه على ما تقدَّم فقال ﴿ **وقرآنا فرقناه** ﴾ أي وأنزلنا عليك يا محمد قرآنا فصّلناه سوراً وآيات عن أبي مسلم وقيل معناه فرقنا به الحق عن الباطل عن الحسن وقيل معناه جعلنا بعضه خبراً وبعضه أمراً وبعضه نهياً وبعضه وعداً وبعضه وعيداً وأنزلناه متفرقاً لم ننزله جميعاً إذ كان بين أوله وآخره نيف وعشرين سنة ﴿ **لتقرأه على الناس على مكث** ﴾ أي على تثبت وتؤدة فترتله ليكون أمكن في قلوبهم ويكونوا أقدر على التأمل والتفكر فيه ولا تعجل في تلاوته فلا يفهم عنك عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه لتقرأه عليهم مفرقاً شيئاً بعد شيء ﴿ **ونزلناه تنزيلاً** ﴾ على حسب الحاجة ووقوع الحوادث وروي عن ابن عباس أنه قال لئن أقرأ سورة البقرة وأرتلها أحب إليَّ من أن أقرأ القرآن هَذّاً[1] وعن عبد الله بن مسعود أنه قال لا تقرأوا القرآن في أقل من ثلاث واقرأوا في سبع ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين ﴿ **آمنوا به** ﴾ أي بالقرآن ﴿ **أو لا تؤمنوا** ﴾ فإن إيمانكم ينفعكم ولا

(١) الهذ: سرعة القراءة .

ينفع غيركم وترككم الإيمان يضرُّكم ولا يضرُّ غيركم وهذا تهديد لهم وهو جواب لقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا ﴿ **إن الذين أوتوا العلم من قبله** ﴾ أي أعطوا علم التوراة من قبل نزول القرآن كعبد الله بن سلام وغيره فعلموا صفة النبي ﷺ قبل مبعثه عن ابن عباس وقيل أنهم أهل العلم من أهل الكتاب وغيرهم وقيل أنهم أمة محمد ﷺ عن الحسن ﴿ **إذا يتلى عليهم** ﴾ القرآن ﴿ **يخرُّون للأذقان سجداً** ﴾ أي يسقطون على الوجوه ساجدين عن ابن عباس وقتادة وإنما خصَّ الذقن لأن من سجد كان أقرب شيء منه إلى الأرض ذقنه والذقن مجمع اللحيين ﴿ **ويقولون سبحان ربنا** ﴾ أي تنزيهاً لربنا عز اسمه عما يضيف إليه المشركون ﴿ **إن كان وعد ربنا لمفعولاً** ﴾ إنه كان وعد ربنا مفعولاً حقاً يقيناً ولم يكن وعد ربنا إلا كائناً ﴿ **ويخرون للأذقان يبكون** ﴾ أي ويسجدون باكين اشفاقاً من التقصير في العبادة وشوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب ﴿ **ويزيدهم** ﴾ ما في القرآن من المواعظ ﴿ **خشوعاً** ﴾ أي تواضعاً لله تعالى واستسلاماً لأمر الله وطاعته ثم قال سبحانه ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين المنكرين نبوتك ﴿ **ادعوا الله أو ادعوا الرحمن** ﴾ وذكر في سببه أقوال (أحدها) أن النبي ﷺ كان ساجداً ذات ليلة بمكة يدعو يا رحمٰن يا رحيم فقال المشركون هذا يزعم أن له إلّهاً واحداً وهو يدعو مثنى مثنى عن ابن عباس (وثانيها) أن المشركين قالوا أما الرحيم فنعرفه وأما الرحمن فلا نعرفه عن ميمون بن مهران (وثالثها) أن اليهود قالوا إن ذكر الرحمن في القرآن قليل وهو في التوراة كثير عن الضحاك ﴿ **أياً ماتدعوا فله الأسماء الحسنى** ﴾ معناه أيَّ اسمائه تدعو وما هاهنا صلة كقوله عما قليل ليصبحن نادمين وقيل هي بمعنى أيُّ شيء كررت مع أيّ لاختلاف اللفظين توكيداً كما قالوا ما رأيت كالليلة ليلة وتقديره أيُّ شيء من أسمائه تدعونه به كان جائزاً فإن معنى أوفي قوله أو ادعوا الرحمن الإباحة أي أن دعوتم بأحدهما كان جائزاً وإن دعوتم بهما كان جائزاً فله الأسماء الحسنى فإن أسماءه تنبيء عن صفات حسنة وأفعال حسنة فأما اسماؤه المنبئة عن صفات ذاته فهو القادر العالم الحي السميع البصير القديم وأما اسماؤه المنبئة عن صفات أفعاله الحسنة فنحو الخالق والرازق والعدل والمحسن والمجمل والمنعم والرحمٰن والرحيم وأما ما أنبأ عن المعاني الحسنة فنحو الصمد فإنه يرجع إلى أفعال عباده وهو أنهم يصمدونه في الحوائج ونحو المعبود والمشكور بيَّن سبحانه في هذه الآية أنه شيء واحد وإن اختلفت أسماؤه وصفاته وفي الآية دلالة على أن الإسم عين المسمى وعلى أن تقديم أسمائه الحسنى قبل الدعاء والمسألة مندوب إليه مستحب وفيها أيضاً دلالة على أن الإسم عين المسمى وعلى أن تقديم أسمائه الحسنى قبل الدعاء والمسألة مندوب إليه مستحب وفيها أيضاً دلالة على أنه

سبحانه لا يفعل القبائح مثل الظلم وغيره لأن أسماءه حينئذ لا تكون حسنة فإن الأسماء قد تكون مشتقة من الأفعال فلو فعل الظلم لاشتق منه اسم الظالم كما اشتق من العدل العادل وقوله ﴿ **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها** ﴾ اختلف في معناه على أقوال (أحدها) أن معناه لا تجهر بإشاعة صلاتك عند من يؤذيك ولا تخافت بها عند من يلتمسها منك عن الحسن وروي أن النبي ﷺ كان إذا صلى فجهر في صلاته تسمع له المشركون فشتموه وآذوه فأمره سبحانه بترك الجهر وكان ذلك بمكة في أول الأمر وبه قال سعيد بن جبير وروي ذلك عن أبي جعفر وأبي عبد الله « ع » (وثانيها) أن معناه لا تجهر بدعائك ولا تخافت بها ولكن بين ذلك فالمراد بالصلاة الدعاء عن مجاهد وعطا ومكحول ونحوه روي عن ابن عباس (وثالثها) أن معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها﴿ **وابتغ بين ذلك سبيلاً** ﴾ بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار عن أبي مسلم (ورابعها) لا تجهر جهراً يشغل به من يصلي بقربك ولا تخافت بها حتى لا تسمع نفسك عن الجبائي وقريب منه ما رواه أصحابنا عن أبي عبد الله « ع » أنه قال الجهر بها رفع الصوت شديداً والمخافتة ما لم تسمع أذنيك واقرأ قراءة وسطا ما بين ذلك وابتغ بين ذلك سبيلاً أي بين الجهر والمخافتة ولم يقل بين ذينك لأنه أراد به الفعل فهو مثل قوله عوان بين ذلك ﴿ **وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً** ﴾ فيكون مربوباً لا رباً لأن رب الأرباب لا يجوز أن يكون له ولد ﴿ **ولم يكن له شريك في الملك** ﴾ فيكون عاجزاً محتاجاً إلى غيره ليعينه ولا يجوز أن يكون الإله بهذه الصفة ﴿ **ولم يكن له ولي من الذل** ﴾ أي لم يكن له حليف حالفه لينصره على من يناوئه لأن ذلك من صفة الضعيف العاجز ولا يجوز أن يكون الإله بهذه الصفة قال مجاهد لم يذل فيحتاج إلى من يتعزز به يعني أنه القادر بنفسه وكل ما عبد من دونه فهو ذليل مقهور وقيل معناه ليس له وليٌّ من أهل الذل لأن الكافر والفاسق لا يكون ولياً لله ﴿ **وكبره تكبيراً** ﴾ أي عظّمه تعظيماً لا يساويه تعظيماً ولا يقاربه وروي أن النبي ﷺ كان يعلم أهله هذه الآية وما قبلها عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقيل أن في هذه الآية ردّاً على اليهود والنصارى حين قالوا اتخذ الله الولد وعلى مشركي العرب حيث قالوا لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك وعلى الصابئين والمجوس حين قالوا لولا أولياء الله لذل الله عن محمد بن كعب القرظي (سؤال) قالوا كيف يحمد سبحانه أن لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك والحمد إنما يستحق على فعل له صفة التفضل (والجواب) أنه ليس له الحمد في الآية على أنه لم يفعل وإنما الحمد له سبحانه على أفعاله المحمودة وتوجه الحمد إلى من هذه صفته كما يقال أنا أشكر فلاناً الجميل ولا نشكره على جماله بل على أفعاله .

(١٨) سورة الكهف مكية وآياتها عشر ومائة

مكية قال ابن عباس إلا آية واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فإنها نزلت بالمدينة في قصة عيينة بن حصن الفزاري .

[**عدد آيها**] مائة وإحدى عشرة آية بصري وعشر كوفي وست شامي وخمس حجازي .

[**اختلافها**] إحدى عشرة آية فزدناهم هدى غير الشامي إلا قليل مدني الأخير إني فاعل ذلك غدا غير الأخير ذرعاً ومن كل شيء سبباً عراقي شامي والأخير، هذه أبداً غير شامي والأخير، عندها قوماً غير الكوفي والأخير فاتبع سبباً الثلاث عراقي بالأخسرين أعمالاً عراقي شامي .

[**فضلها**] أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها فهو معصوم ثمانية أيام من كل فتنة فإن خرج الدجال في تلك الثمانية الأيام عصمه الله من فتنة الدجال ومن قرأ الآية التي في آخرها قل إنما أنا بشر مثلكم الآية حين يأخذ مضجعه كان له في مضجعه نور يتلألأ إلى الكعبة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه فإن كان في مكة فتلاها كان له نوراً يتلألأ إلى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ . سمرة بن جندب عن النبي ﷺ قال من قرأ عشر آيات من سورة الكهف حفظاً لم تضره فتنة الدجال ومن قرأ السورة كلها دخل الجنة وعن النبي ﷺ قال إلا أدلكم على سورة شيعها سبعون ألف ملك حين نزلت ملأت عظمتها ما بين السماء والأرض قالوا بلى قال سورة أصحاب الكهف من قرأها يوم الجمعة غفر الله له إلى الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام وأعطي نوراً يبلغ السماء ووقي فتنة الدجال وروى الواقدي بإسناده عن أبي الدرداء عن

النبي ﷺ قال من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف ثم أدرك الدجال لم يضرّه ومن حفظ خواتيم سورة الكهف. كانت له نوراً يوم القيامة وروى أيضاً بالاسناد عن سعيد بن محمد الجزمي عن أبيه عن جدّه عن النبي ﷺ قال من قرأ الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلى ستة أيام من كل فتنة تكون فإن خرج الدجال عصم منه وروى العياشي بإسناده عن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن أبيه عن أبي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة الكهف في كل ليلة جمعة لم يمت إلا شهيداً وبعثه الله مع الشهداء ووقف يوم القيامة مع الشهداء .

[**تفسيرها**] ختم الله سبحانه سورة بني إسرائيل بالتحميد والتوحيد وذكر النبي ﷺ والقرآن وافتتح سورة الكهف أيضاً بالتحميد والتوحيد وذكر القرآن والنبي ﷺ ليتصل أول هذه بآخر تلك اتصال الجنس بالجنس فقال .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل
لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ
ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ
فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ
عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ
إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟
بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾

[**القراءة**] قرأ أبو بكر برواية يحيى من لدنه باشمام الدال الضم وكسر الهاء والنون وقرأ الباقون بضم الدال وسكون النون وفي الشواذ كبرت كلمةٌ برفع كلمة قرأه يحيى بن يعمر والحسن وابن المحيصن وابن أبي إسحاق والثقفي والأعرج بخلاف وعمرو بن عبيد .

[**الحجة**] قال أبو علي في لدن ثلاث لغات لَدُن مثل سبع ويخفف الدال ويكون على ضربين (أحدهما) أن يحذف الضمة من الدال فيقال لَدْن (والآخر) أن يحذف الضمة من الدال وينتقل إلى اللام فيقال لُدْن مثل عُضْد في عَضُد وفي كلا الوجهين يجتمع في الكلمة ساكنان فمن قرأ من لُدْنِه بكسر النون فإن الكسرة فيه ليست كسرة إعراب وإنما هي كسرة لالتقاء الساكنين وذاك أن الدال أسكنت كما أسكنت الباء في سبع والنون ساكنة فالتقى الساكنان فكسر الثاني منهما فأما إشمام الدال الضمة فليعلم أن الأصل كان في الكلمة الضمة ومثل ذلك قولهم أنت تغرين وقولهم قيل اشمت الكسرة فيهما الضمة ليدل على أن الأصل فيهما التحريك بالضم وإن كان الإشمام في لدنه ليس في حركة خرجت إلى اللفظة وإنما هو بهيئة العضو لإخراج الضمة وأما الجار في قوله من لدنه فيحتمل ضربين (أحدهما) أن يكون صفة متعلقاً بشديد (والآخر) أن يكون صفة للنكرة وفيها ذكر للموصوف .

[**اللغة**] العَوج بالفتح فيما يرى كالقناة والخشبة وبالكسر فيما لا يرى شخصاً قائماً كالدين والكلام والقيم والمستقيم والباخع القاتل المهلك يقال بخع نفسه يبخعها بخعاً وبخوعاً قال ذو الرمة :

أَلا أَيُّهذَا الْباخِعُ الْوَجْدِ نَفْسَهُ(١) لِشَيْءٍ نَحَتْهُ عَنْ يَدَيْهِ الْمَقادِرُ

يريد نحَّته فخفف والأسف المبالغة في الحزن والغضب يقال أسف الرجل فهو آسف وأسيف قال الأعشى .

تَرىٰ رَجُلاً مِنْهُمْ أَسِيفاً كَأَنَّهُ يَضُمُّ إِلىٰ كَشْحَيْهِ كَفّاً مُخَضَّبا

قَيّماً نصب على الحَال من الكتاب والعامل فيه أنزل وقوله ﴿ **إن لهم أجراً** ﴾ تقديره بأن لهم أجراً فحذف الجار وماكثين نصب على الحال في معنى خالدين وقوله كبرت كلمة اختلف في نصب كلمة فقال السراج انتصب على تفسير المضمر على حد قولهم نعم رجلاً زيد والتقدير على هذا كبرت الكلمة كلمة ثم حُذف الأول لدلالة الثاني عليه ومثله كرم رجلاً زيد ولؤم صاحبا عمرو ويكون المخصوص بالتكبير في هذه المسألة محذوفاً لدلالة صفته عليه والتقدير كلمة تخرج من أفواههم أي كلمة خارجة من أفواههم فيكون مرفوعاً على وجهين (أحدهما) أن يكون مبتدأ وما قبله الخبر (والآخر) أن يكون خبر مبتدأ محذوف وتقديره هي كلمة تخرج وقيل انتصب كلمة على التميز المنقول عن الفاعل على حد قولك

---

(١) الوجد : الحزن .

تصببت عرقاً وتفقأت شحماً والأصل كبرت كلمتهم الخارجة من أفواههم قال الشاعر :

وَلَقَـدْ عَلِمْتُ إِذَا الـرِّيَـاحُ تَنَاوَحَتْ(١) هُــدْجَ الـرِّيَــالَ تَـكُـبُّهُـنَّ شِـمَــالا

أي تكبهن الرياح شمالاً ومن قرأ كبرت كلمة فإنه جعل كلمة فاعل كبرت وجعل قولهم اتخذ الله ولداً كلمة كما قالوا للقصيدة كلمة وعلى هذا فيكون قوله تخرج من أفواههم في موضع رفع بكونه صفة لكلمة ولا يجوز أن يكون وصفاً لكلمة الظاهرة المنصوبة لأن الوصف يقرب النكرة من المعرفة والتمييز لا يكون معرفة البتة ولا يجوز أن يكون في موضع نصب على الحال من كلمة المنصوبة لوجهين (أحدهما) أن الحال يقوم مقام الوصف والثاني أن الحال لا يكون من نكرة في غالب الأمر وأسفاً منصوب بأنه مصدر وضع موضع الحال ولو كان في غير القرآن لجاز أن لم يؤمنوا بالفتح كما في قول الشاعر :

أَتَـجْـزَعُ أَنْ بَــانَ الْـخَـلِيطُ الْـمُـوَدِّعُ وَحَبْــلُ الصَّـفَـا مِنْ عِـزَّةَ الْـمُتَـقَـطِّعُ

[المعنى] ﴿ **الحمد لله** ﴾ يقول الله سبحانه لخلقه قولوا كل الحمد والشكر لله ﴿ **الذي أنزل على عبده** ﴾ محمد ﷺ ﴿ **الكتاب** ﴾ أي القرآن وأنتجبه من خلقه وخصَّه برسالته فبعثه نبياً رسولاً ﴿ **ولم يجعل له عوجاً قيما** ﴾ فيه تقديم وتأخير وتقديره الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجاً وعنى بقوله قيماً معتدلاً مستقيماً مستوياً لا تناقض فيه عن ابن عباس وقيل قيما على سائر الكتب المتقدمة يصدقها ويحفظها وينفي البطل عنها وهو ناسخ لشرائعها عن الفراء وقيل قيما لأمور الدين يلزم الرجوع إليه فيها فهو كقيم الدار الذي يرجع إليه في أمرها عن أبي مسلم وقيل قيماً دائماً يدوم ويثبت إلى يوم القيامة لا ينسخ عن الأصم ولم يجعل له عوجاً أي لم يجعله ملتبساً لا يفهم ومعوجاً لا يستقيم وهو معنى قول ابن عباس وقيل لم يجعل فيه اختلافاً كما قال عز وجل اسمه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً عن الزجاج ومعنى العوج في الكلام أن يخرج من الصحة إلى الفساد ومن الحق إلى الباطل ومما فيه فائدة إلى ما لا فائدة فيه ثم بيَّن سبحانه الغرض في إنزاله فقال ﴿ **لينذر بأساً شديداً من لدنه** ﴾ ومعناه ليخوِّف العبد الذي أنزل عليه الكتاب الناس عذاباً شديداً ونكاراً وسطوة من عند الله تعالى إن لم يؤمنوا به ﴿ **ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً** ﴾ معناه وليبشر المصدقين بالله ورسوله الذين يعملون الطاعات بعد الإيمان أن لهم ثواباً حسناً في الآخرة على إيمانهم

(١) تناوح الرياح : تقابلها في المهب .

وطاعاتهم في الدنيا وذلك الثواب هو الجنة ﴿ ماكثين فيه أبداً ﴾ أي لابثين في ذلك الثواب خالدين مؤبَّدين لا ينتقلون عنه ﴿ وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ﴾ أي وليحذر الكفار الذين قالوا الملائكة بنات الله وهم قريش عن الحسن ومحمد بن إسحاق وقيل هم اليهود والنصارى عن السدي والكلبي فعمَّ جميع الكفار بالانذار في الآية الأولى وخصَّ في هذه الآية القائلين بهذه المقالة منهم لتقليدهم الآباء في ذلك ولإصرارهم على الجهل وقلة التفكر ولصدّهم الناس عن الدين ﴿ ما لهم به من علم ولا لآبائهم ﴾ أي ليس لهؤلاء القائلين بهذا القول الشنيع علم به ولا لأسلافهم الذين مضوا قبلهم على مثل ما هم عليه اليوم وإنما يقولون ذلك عن جهل وتقليد من غير حجة وقيل معناه ليس لهم بالله من علم ولا لآبائهم ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم ﴾ أي عظمت الكلمة كلمة تخرج من أفواه هؤلاء الكفار ووصف الكلمة بالخروج من الأفواه توسعاً ومجازاً وإن كانت الكلمة عرضاً لا يجوز عليها الدخول والخروج ولا الحركة والسكون ولكن لما كانت الكلمة قد تحفظ وتثبت وتوجد مكتوبة ومقروءة في غير الموضع الذي فعلت فيه وصفها بالخروج وذكر الأفواه تأكيداً والمعنى أنهم صرَّحوا بهذه الكلمة العظيمة في القبح وأظهروها ﴿ أن يقولون إلا كذباً ﴾ أي ما يقول هؤلاء إلا كذباً وافتراء على الله ﴿ فلعلك ﴾ يا محمد ﴿ باخع نفسك على آثارهم ﴾ أي مهلك وقاتل نفسك على آثار قومك الذين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً تمرداً منهم على ربهم ﴿ إن لم يؤمنوا ﴾ أي إن لم يصدّقوا ﴿ بهذا الحديث ﴾ أي بهذا القرآن الذي أنزل عليك ﴿ اسفا ﴾ أي حزناً وتلهفاً ووجداً بإدبارهم عنك وإعراضهم عن قبول ما آتيتهم به وقيل على آثارهم أي بعد موتهم لشدة شفقتك عليهم وقيل معناه من بعد توليهم واعراضهم عنك وقيل أسفاً أي غيظاً وغضباً عن ابن عباس وقتادة وهذه معاتبة من الله سبحانه لرسوله على شدة وجده وكثرة حرصه على إيمان قومه حتى بلغ ذلك به مبلغاً يقربه إلى الهلاك .

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾

[اللغة] الصعيد ظهر الأرض وقال الزجاج الصعيد الطريق الذي لا نبات به والجرز الأرض التي لا تنبت كأنها تأكل النبت أكلاً يقال أرض جرز وأرضون أجراز وقال سيبويه يقال جرزت الأرض فهي مجروزة وجرزهما الجراز والنعم ويقال للسنة المجدبة الجرز لجدوبها ويبسها وقلة أمطارها قال الراجز « قَدْ جَرَفَتْهُنَّ السِّنُونُ الأَجْرازِ » ويقال أجرز القوم إذا صارت

أرضهم جرزاً وجرزوهم أرضهم إذا أكلوا نباتها كله .

[**الإعراب**] أيهم مرفوع بالابتداء لأن لفظه لفظ الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام أي لنختبر أهذا أحسن عملاً أم هذا وهو تعليق لما في الخبرة من معنى العلم .

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه أنه ابتدأ خلقه بالنعم وإن إليه مصير الأمم فقال ﴿ **إنا جعلنا ما على الأرض** ﴾ من الأنهار والأشجار وأنواع المخلوقات من الجماد والحيوان والنبات ﴿ **زينة لها** ﴾ أي حلية للأرض ولأهلها ﴿ **لنبلوهم أيهم أحسن عملاً** ﴾ أي لنختبرهم ونمتحنهم والمعنى لنعامل عبادنا معاملة المبتلى وقد سبق ذكر أمثاله والأحسن عملاً الأعمل بطاعة الله والأطوَع له وقيل أن معنى الابتلاء الأمر والنهي لأن بهما يظهر المطيع من العاصي وقيل أراد بالزينة الرجال لأنهم زينة الأرض وقيل أراد الأنبياء والعلماء ﴿ **وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً** ﴾ معناه وانا مخربون الأرض بعد عمارتها وجاعلون ما عليها مستوياً من الأرض يابساً لا نبات عليه وقيل بلاقع عن مجاهد وفي قوله أيهم أحسن عملاً دلالة على أنه سبحانه أراد من الخلق العمل الصالح وعلى أن أفعالهم الصادرة منهم حادثة من جهتهم ولولا ذلك لما صحَّ الابتلاء وفي ذلك بطلان قول أهل الجبر .

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾

[**اللغة**] الكهف المغارة في الجبل إلا أنه واسع فإذا صغر فهو غار والرقيم أصله من الرقم وهو الكتابة يقال رقمت الكتاب أرقمه فهو فعيل بمعنى مفعول كالجريح والقتيل ومنه الرقم في الثوب لأنه خط يعرف به ثمنه والأرقم الحية المنقشة لما فيه من الخطوط وتقول العرب عليك بالرقمة ودع الضفة أي عليك برقمة الوادي حيث الماء ودع الجانب والأوى

الرجوع والفتية جمع فتى وفعلة من أسماء الجمع وليس بناء يقاس عليه يقال صبي وصبية وغلام وغلمة ولا يقال غني وغنية لأنه غير مطرد في بابه والضرب معروف ومعنى ضربنا على آذانهم سلَّطنا عليهم النوم وهو من الكلام البالغ في الفصاحة يقال ضربه الله بالفالج إذا ابتلاه الله به قال قطرب هو كقول العرب ضرب الأمير على يد فلان إذا منعه من التصرف قال الأسود بن يعفر وكان ضريراً .

وَمِنَ الْحَوَادِثِ لَا أَبَالَكَ أَنَّنِي ضُرِبَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِالْأَسْدَادِ[١]

والحزب الجماعة والأمد الغاية قال النابغة :

إِلَّا لِمِثْلِكَ أَوْ مَنْ أَنْتَ سَابِقُهُ سَبْقَ الْجَوَادِ إِذَا اسْتَوْلَى عَلَى الْأَمَدِ[٢]

[**الإعراب**] سنين نصب على الظرف وعدداً منصوب على ضربين (أحدهما) على المصدر المعنى تعدُّ عدداً ويجوز أن يكون نعتاً لسنين . المعنى سنين ذات عدد قال الزجاج والفائدة في قولك عدد في الأشياء المعدودات أنك تريد توكيد كثرة الشيء لأنه إذا قل فهم مقداره ومقدار عدده فلم يحتج إلى أن يعد فالعدد في قولك أقمت أياماً عدداً إنك تريد بها الكثرة وجائز أن يؤكد بعدد معنى الجماعة في أنها قد خرجت من معنى الواحد قال وأمداً منصوب على نوعين (أحدهما) التمييز (والآخر) على أحصى أمداً فيكون العامل فيه أحصى كأنه قال لنعلم أهؤلاء أحصى للأمد أم هؤلاء ويكون منصوباً بلبثوا ويكون أحصى متعلقاً بلما فيكون المعنى أيّ الحزبين أحصى للبثهم في الأمد قال أبو علي إن انتصابه على التمييز عندي غير مستقيم وذلك لأنه لا يخلو من أن يحمل أحصى على أن يكون فعلاً ماضياً أو أفعل نحو أحسن وأعلم فلا يجوز أن يكون أحصى بمعنى أفعل من كذا وغير مثال للماضي من وجهين (أحدهما) أنه يقال أحصى يحصي وفي التنزيل أحصاه الله ونسوه وأفعل يفعل لا يقال فيه هو أفعل من كذا وأما قولهم ما أولاه بالخير وما أعطاه الدرهم فمن الشاذ النادر الذي حكمه أن يحفظ ولا يقاس عليه (والآخر) إن ما ينتصب على التمييز في نحو قولهم هو أكثر مالاً وأعز علماً يكون في المعنى فاعلاً ألا ترى أن المال هو الذي كثر والعلم هو الذي عز وليس ما في الآية كذلك ألا ترى أن الأمد ليس هو الذي أحصى فهو خارج عن حد هذه الأسماء وإذا كان ماضياً كان المعنى لنعلم أيّ الحزبين أحصى أمداً للبثهم فيكون الأمد على هذا منتصباً بأنه مفعول به والعامل فيه أحصى .

(١) سدت على الطريق أي عميت على مذاهبي وواحد الإسداد أسد .

(٢) أمد الخيل في الرهان : مدافعها في السباق ومنتهى غاياتها الذي تسبق إليه .

[**النزول**] محمد بن إسحق بإسناده عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس أن النضر بن الحرث بن كلدة وعقبة بن أبي معيط أنفذهما قريش إلى احبار اليهود بالمدينة وقالوا لهما سلاهم عن محمد وصِفا لهم صفته وخبِّراهم بقوله ﴿ **فإنهم أهل الكتاب الأول** ﴾ وعندهم من علم الأنبياء ما ليس عندنا فخرجا حتى قدما المدينة فسألا إحبار اليهود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقالا لهم ما قالت قريش فقال لهما احبار اليهود اسألوه عن ثلاث فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإن لم يفعل فهو رجل متقول فرأوا فيه رأيكم سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم فإنه قد كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه وسلوه عن الروح ما هو وفي رواية أخرى فإن أخبركم عن الثنتين ولم يخبركم بالروح فهو نبي فانصرفا إلى مكة فقالا يا معاشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد وقصّا عليهم القصة فجاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسألوه فقال أخبركم بما سألتم عنه غداً ولم يستثن فانصرفوا عنه فمكث صلى الله عليه وآله وسلم خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه في ذلك وحياً ولا يأتيه جبرائيل حتى أرجف أهل مكة وتكلموا في ذلك فشقَّ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يتكلم به أهل مكة عليه ثم جاءه جبرائيل (ع) عن الله سبحانه بسورة الكهف وفيها ما سألوه عنه عن أمر الفتية والرجل الطواف وأنزل عليه ﴿ **ويسألونك عن الروح** ﴾ الآية قال ابن إسحق فذكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لجبرائيل حين جاءه لقد احتبست عني يا جبرائيل فقال له جبرائيل (ع) ﴿ **وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا** ﴾ الآية .

[**المعنى**] ﴿ ﴿ **أم حسبت** ﴾ معناه بل أحسبت يا محمد ﴿ **إن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً** ﴾ فلخلق السماوات والأرض أعجب من هذا عن مجاهد وقتادة ويحتمل أنه لما استبطأ الجواب حين سألوه عن القصة قيل له أحسبت أن هذا شيء عجيب حرصاً على إيمانهم حتى قوي طمعك إنك إذا أخبرتهم به آمنوا والمراد بالكهف كهف الجبل الذي أوى إليه القوم الذين قصَّ الله أخبارهم واختلف في معنى الرقيم فقيل إنه إسم الوادي الذي كان فيه الكهف عن ابن عباس والضحاك وقيل الكهف غار في الجبل والرقيم الجبل نفسه عن الحسن وقيل الرقيم القرية التي خرج منها أصحاب الكهف عن كعب والسدي وقيل هو لوح من حجارة كتبوا فيه قصة أصحاب الكهف ثم وضعوه على باب الكهف عن سعيد بن جبير واختاره البلخي والجبائي وقيل جعل ذلك اللوح في خزائن الملوك لأنه من عجائب الأمور وقيل الرقيم كتاب ولذلك الكتاب خبر فلم يخبر الله تعالى عما فيه عن ابن زيد وقيل إن أصحاب الرقيم هم النفر الثلاثة الذين دخلوا في غار فانسد عليهم فقالوا ليدعوا الله تعالى

كل واحد منا بعمله حتى يفرج الله عنا ففعلوا فنجاهم الله ورواه النعمان بن بشير مرفوعاً ﴿ **إذ أوى الفتية إلى الكهف** ﴾ أي اذكر لقومك إذا إلتجأ أولئك الشبان إلى الكهف وجعلوه مأواهم هرباً بدينهم إلى الله ﴿ **فقالوا** ﴾ حين آووا إليه ﴿ **ربنا آتنا من لدنك رحمة** ﴾ أي نعمة ننجو بها من قومنا وفرِّج عنا ما نزل بنا ﴿ **وهيّىء لنا من أمرنا رشداً** ﴾ أي هيىء واصلح لنا من أمرنا ما نصيب به الرشد وقيل هيىء لنا مخرجاً من الغار في سلامة عن ابن عباس وقيل معناه دلنا على أمر فيه نجاتنا لأن الرشد والنجاة بمعنى وقيل يسر لنا من أمرنا ما نلتمس به رضاك وهو الرشد وقالوا هؤلاء الفتية قوم آمنوا بالله تعالى وكانوا يخفـون الإسلام خوفاً من ملكهم وكان اسم الملك دقيانوس واسم مدينتهم أفسوس وكان ملكهم يعبد الأصنام ويدعو إليها ويقتل من خالفه وقيل أنه كان مجوسياً يدعو إلى دين المجوس والفتية كانوا على دين المسيح لما برح أهل الإنجيل وقيل كانوا من خواص الملك وكان يُسِرُّ كل واحد منهم إيمانه عن صاحبه ثم إتفق أنهم إجتمعوا وأظهروا أمرهم فأووا إلى الكهف عن عبيد بن عمير وقيل إنهم كانوا قبل بعث عيسى (ع) ﴿ **فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً** ﴾ معناه أنمناهم سنين ذات عدد وتأويله فأجبنا دعاءهم وسددنا آذانهم بالنوم الغالب على نفوذ الأصوات إليها سنين كثيرة لأن النائم إنما ينتبه بسماع الصوت ودلَّ سبحانه بذلك على أنهم لم يموتوا وكانوا نيامـاً في أمن وراحة وجمام نفس وهذا من فصيح لغات القرآن التي لا يمكن أن يترجم بمعنى يوافق اللفظ ﴿ **ثم بعثناهم** ﴾ أي أيقظناهم من نومهم ﴿ **لنعلم أيُّ الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً** ﴾ أي ليظهر معلومنا على ما علمناه وذكرنا الوجه في أمثاله فيما سبق والمعنى لننظر أي الحزبين من المؤمنين والكافرين من قوم أصحاب الكهف عدَّ أمد لبثهم وعلم ذلك وكأنـه وقع بينهم تنازع في مدة لبثهم في الكهف بعد خروجهم من بيتهم فبعثهم الله ليبين ذلك ويظهـر وقيل يعني بالحزبين أصحاب الكهف لما إستيقظوا اختلفوا في تعداد لبثهم وذلك قوله ﴿ **وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم** ﴾ الآية .

[**النظم**] إتصل قوله ﴿ **أم حسبت أن أصحـاب الكهف** ﴾ الآية بمـا قبلها من وجـوه (أحدها) أنه لما أخبر عن زينة الأرض وعن الابتلاء عقَّبه بذكر الفتية التي تركت زينة الدنيا واختارت طاعة الله وفارقت ديارها وأموالها حثاً على الإقتداء بهم (والآخر) إنه اتصل بقوله ﴿ **فعلك باخع نفسك على آثارهم** ﴾ أي فلا تأسف عليهم لأنه لا يضرك كفرك والله ناصرك وحافظك من أعـدائك كمـا حفظ أصحاب الكهف (والثـالث) إنه اتصـل بقولـه ﴿ **ويبشر المؤمنين** ﴾ أي وينصرهم كما نصر أصحاب الكهف .

﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم
بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ
قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟
مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟
مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ
ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ
فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم
مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾

[**القراءة**] قرأ أهل المدينة وابن عامر والأعشى والبرجمي عن أبي بكر مَرْفِقاً بفتح الميم وكسر الفاء والباقون مِرْفَقاً بكسر الميم وفتح الفاء .

[**الحجة**] قال الزجاج وذكر قطرب وغيره اللغتين جميعاً في مرفق الأمر ومرفق اليد ومرفق اليد بالكسر أجود قال أبو الحسن مرفقاً أي شيئاً يرتفقون به مثل المقطع ونحوه ومرفقاً جعله إسماً مثل المسجد أو يكون لغة قال أبو علي قوله جعله إسماً أي جعل المرفق إسماً ولم يجعلوه إسم المكان ولا المصدر من رفق يرفق كما أن المسجد ليس باسم الموضع من سجد يسجد وقوله ﴿ **أو يكون لغة** ﴾ أو يجعله في اسم المصدر كما جاء المطلع ونحوه ولو كان على القياس لفتحت اللام .

[**اللغة**] الشطط الخروج عن الحد بالغلو فيه وأصله مجاوزة الحد في البعد وشطت الجارية تشط شططاً وشطاطة إذا جاوزت الحد في الطول واشط في السوم إذا جاوز القدر بالغلو فيه والإعتزال التنحي عن الأمر والتعزل بمعناه قال :

يَا بَيْتَ عَاتِكَةَ الَّتِي أَتَعَزَّلُ حَذَرَ الْعِدىٰ وَبِهِ الْفُؤَادُ مُوَكَّلُ(١)

(١) قائله الأخوص .

وسمي عمرو بن عبيد وأصحابه معتزلة لما اعتزلوا حلقة الحسن .

[**الإعراب**] كسر إنهم فتية على الإستئناف . إذ قاموا يتعلق بربطنا أي في الوقت الذي قاموا فيه وشططاً منصوب على المصدر . المعنى لقد قلنا قولاً شططاً وما يعبدون في موضع نصب عطفاً على الهاء والميم في إعتزلتموهم والمراد الأصنام التي يعبدونها من دون الله ويجوز أن تكون ما مصدرية أي وعبادتهم إلا عبادة الله فحذف المضاف والاستثناء على هذا من الهاء والميم وإن جعلت ما موصولة كان الإستثناء من مفعول يعبدون إستثناء منقطعاً .

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه قصة أصحاب الكهف فقال ﴿ **نحن نقص عليك** ﴾ أي نتلو عليك يا محمد ﴿ **نبأهم** ﴾ أي خبرهم ﴿ **بالحق** ﴾ أي بالصدق والصحة ﴿ **إنهم فتية** ﴾ أي أحداث وشباب ﴿ **آمنوا بربهم وزدناهم هدى** ﴾ أي بصيرة في الدين ورغبة في الثبات عليه بالألطاف المقوّية لدواعيهم إلى الإيمان وحكم لهم سبحانه بالفتوة لأن رأس الفتوة الإيمان وقيل الفتوة بذل الندى وترك الأذى وترك الشكوى عن مجاهد وقيل هي إجتناب المحارم واستعمال المكارم ﴿ **وربطنا على قلوبهم** ﴾ أي شددنا عليها بالإلطاف والخواطر القويّة للإيمان حتى وطّنوا أنفسهم على إظهار الحق والثبات على الدين والصبر على المشاق ومفارقة الوطن ﴿ **إذ ناموا** ﴾ أي حين قاموا بين يدي ملكهم الجبار دقيانوس الذي كان يفتن أهل الإيمان عن دينهم ﴿ **فقالوا** ﴾ بين يديه ﴿ **ربنا رب السماوات والأرض** ﴾ أي ربنا الذي نعبده خالق السماوات والأرض ﴿ **لن ندعو من دونه إلّهاً** ﴾ أي لن نعبد إلّهاً سواه معه ﴿ **لقد قلنا إذا شططا** ﴾ معناه إن دعونا مع الله إلّهاً آخر فلقد قلنا إذاً قولاً مجاوزاً للحق غاية في البطلان ﴿ **هؤلاء قومنا** ﴾ أي أهل بلدنا ﴿ **اتخذوا من دونه** ﴾ أي من دون الله ﴿ **آلهة** ﴾ يعبدونها ﴿ **لولا يأتون عليهم بسلطان بيّن** ﴾ أي هلا يأتون على عبادتهم غير الله بحجة ظاهرة وفي هذا ذم زجر للتقليد وإشارة إلى أنه لا يجوز أن يقبل دين إلا بحجة واضحة ﴿ **فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً** ﴾ فزعم أن له شريكاً في العبادة ﴿ **وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله** ﴾ قال ابن عباس وهذا من قول تمليخا وهو رئيس أصحاب الكهف قال لهم فإذا فارقتموهم وتنحيتم عنهم جانباً يعني عبدة الأصنام وفارقتم ما يعبدون أي أصنامهم إلا الله فإنكم لن تتركوا عبادته وذلك إن أُولئك كانوا يشركون بالله ويجوز أنه كان فيهم من يعبد الله مع عبادة الأصنام فقال إذا اعتزلتم الأصنام ولم تعتزلوا الله ولا عبادته فيكون الإستثناء متصلاً ويجوز أن يكون جميعهم كانوا يعبدون الأوثان من دون الله فيكون الإستثناء منقطعاً

﴿ فأووا إلى الكهف ﴾ أي صيروا إليه واجعلوه مأواكم ﴿ ينشر لكم ربكم من رحمته ﴾ أي يبسط عليكم ربكم من نعمته ﴿ ويهيىء لكم من أمركم مرفقاً ﴾ أي ويسهل عليكم ما تخافون من الملك وظلمه ويأتيكم باليسر والرفق واللطف عن ابن عباس وكلما ارتفقت فهو مرفق وقيل معناه ويصلح لكم من أمر معاشركم ما ترتفقون به وفي هذا دلالة على عظم منزلة الهجرة في الدين وعلى قبح المقام في دار الكفر إذا كان لا يمكن المقام فيها إلا بإظهار كلمة الكفر وبالله التوفيق .

﴿ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾

[القراءة] قرأ ابن عامر ويعقوب تَزْوَرُّ بتشديد الزاي وقرأ أهل الكوفة تزاور بالتخفيف والباقون تَزَّاوَرُ بتشديد الزاي وقرأ أهل الحجاز لملئّت بالتشديد والباقون بالتخفيف وفي الشواذ قراءة الجحدري تَزْوارُّ وقراءة الحسن وتَقَلُّبهم بفتح التاء والقاف والباء وضم اللام .

[الحجة] من قرأ تزّاور فإنه تتزاور فادغم التاء في الزاي ومن قرأ تزاور حذف الثانية وخفف الكلمة بالحذف كما حذف أُولئك بالإدغام ومن قرأ تَزْوَرُّ فقد قال أبو الحسن لا معنى له في هذا الموضع إنما يقال هو مزور عني أي منقبض عني يدل عليه قول عنترة :

فَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ الْقَنَا بِلَبَانِهِ   وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُمِ(١)

(١) يصف فرسه وشكواه من وقوع الرماح على صدره في الحرب . واللبان : الصدر . والتحمحم : حنين الفرس في صهيله .

قال أبو علي والذي حسن القراءة به قول جرير :

عَسَفْنَ عَنِ الأَدَاعِسِ مِنْ مَهِيلٍ وَفِي الأَظْعَانِ عَنْ طَلْحَ أَزْوِرَارُ[١]

فظاهر استعمال هذا في الأظعان مثل إستعماله في الشمس وتزاور على وزن تفاعل وتزوار على وزن تفعال من الأزويرار وقوله ﴿ لملئت منهم ﴾ بالتشديد للتكثير قال أبو الحسن الخفيفة أجود لا يكادون يقولون ملأ مني رعباً وإنما يقولون ملأتني رعباً قال أبو علي يدل على قول أبي الحسن قول امرىء القيس « فَتَمْلأُ بَيْتَنَا أَقِطاً وَسَمْناً »[٢] وقول الأعشى « وَقَدْ مَلَئَتْ بَكْرٌ وَمَنْ لَفَّ لَفَّها » وانشدوا في التثقيل قول المخبل السعدي « فمَّلأ مِنْ كَعْب بْنِ عَوْفٍ سَلاسِلُه » ومن قرأ وتقلبهم فإنه نصبه بفعل مضمر دلَّ عليه ما قبله فكأنه قال وترى أو تشاهد تقلبهم .

[**اللغة**] القرض القطع يقال قرضت الموضع إذا قطعته وجاوزته قال الكسائي هو المجازاة يقال قرضني فلان يقرضني وجذاني يجذوني بمعنى قال ذو الرمة :

إلىٰ ظُعُنٍ يَقْرِضْنَ أَجْوَازَ مُشْرِفٍ شِمَالاً وَعَنْ أَيْمَانِهِنَّ الْفَوَارِسُ[٣]

ويستعمل القرض في أشياء غير هذا منه القطع للثوب وغيره ومنه المقراض ومنه قرض الفأر قال أبو الدرداء « إن قارضتهم قارضوك وإن تركتهم لم يتركوك » يعني إن طعنت فيهم وعبتهم فعلوا بك مثله وإن تركتهم من ذلك لم يتركوك والقراض بلغة الحجاز المضاربة والقرض هو قول الشعر القصيدة منه خاصة دون الرجز ومنه قيل للشعر القريض قال الأغلب العجلي « أرجزا تريد أم قريضاً » والفجوة المتسع من الأرض وجمعه فجوات وفجاء ممدود وفجوة الدار ساحتها والإيقاظ جمع يقظ ويقظان قال الراجز « ووجدوا إخوتهم إيقاظاً » والرقود جمع راقد ورقد يرقد رقاداً ورقوداً والوصيد من أوصدت الباب أي أغلقته وجمعه وصائد ويقال وصيد وأصيد وأوصدت وأصدت مثل ورخت الكتاب وأرخته ووكدت الأمر وأكدته .

[**الإعراب**] وترى الشمس إلى قوله ﴿ **وهم في فجوة** ﴾ منه متعلق بالرؤية وقوله ﴿ **إذا**

---

(١) الدعس : الأثر . والمهيل : التل من الرمل . والطلح : موضع .

(٢) بعده « وحسبك من غنى شبع وری ».

(٣) الطعن : جمع الظعينة : الهودج . والأجواز جمع الجوز : وسط الشيء . ومشرف والفوارس : موضعان يقول نظرت إلى ظعن يجزن بين هذين الموضعين .

طلعت وإذا غربت ﴾ كلاهما بجوابهما في موضع المفعول الثاني والحال والجملة التي هي وهم في فجوة منه في موضع الحال وكلبهم باسط ذراعيه أعمل اسم الفاعل حيث نصب به ذراعيه وإن كان بمعنى الماضي لأنه حكاية حال كما قال هذا من شيعته وهذا من عدوه وهذا يشار به إلى الحاضر ولم يكن المشار إليهما حاضرين حين قصَّ القصة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكنه على تلك الحال قصَّ القصة. فهو المهتدي كتب في المصحف هنا بغير ياء وفي الأعراف بالياء وحذف الياء جائز في الأسماء خاصة ولا يجوز في الأفعال لأن حذف الياء في الفعل دليل الجزم وحذف الياء في الأسماء واقع إذاً لم يكن الألف واللام نحو مهتدٍ فادخلت الألف واللام وترك الحرف على ما كان عليه ودلَّت الكسرة على الياء المحذوفة قال الزجاج لو اطلعت بكسر الواو ويجوز الضم والكسر أجود لأن الواو ساكنة والطاء ساكنة والأصل في إلتقاء الساكنين الكسر وجاز الضم لأن الضم من جنس الواو ولكنه إذا كان بعد الساكن مضموم فالضم هناك أحسن نحو أوِ انْقُض قرىء بالضم والكسر. فراراً منصوب على المصدر لأن معنى وليت فررت ورعباً منصوب على التمييز يقال امتلأت فرقاً وامتلأ الإناء ماء.

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه حالهم في الكهف فقال ﴿ **وترى الشمس** ﴾ أي لو رأيتها لرأيت ﴿ **إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين** ﴾ أي تميل وقت طلوعها عن كهفهم إلى جهة اليمين ﴿ **وإذا غربت تقرضهم** ﴾ أي تعدل عنهم وتتركهم ﴿ **ذات الشمال** ﴾ إلى جهة الشمال شمال الكهف أي لا تدخل كهفهم وقيل تقرضهم أي تجاوزهم منحرفة عنهم عن ابن عباس ﴿ **وهم في فجوة منه** ﴾ أي في متسع من الكهف وقيل في فضاء منه عن قتادة وقيل كان متسعاً داخل الكهف بحيث لا يراه من كان ببابه وينالهم نسيم الريح ثم أخبر سبحانه عن لطفه بهم وحفظه إيّاهم في مضجعهم واختياره لهم أصلح المواضع لرقادهم فبوّأهم مكاناً من الكهف مستقبلاً بنات النعش تميل الشمس عنهم طالعة وغاربة كيلا يؤذيهم حرَّها أو تغير ألوانهم أو تبلي ثيابهم وهم في متسع ينالهم فيه روح الريح وكان باب الغار مقابل القطب الشمالي ﴿ **ذلك من آيات الله** ﴾ أي من أدلته وبرهانه ﴿ **من يهد الله فهو المهتدي** ﴾ مثل أصحاب الكهف ﴿ **ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً** ﴾ مثل قوم أصحاب الكهف ﴿ **وتحسبهم إيقاظاً** ﴾ أي لو رأيتهم لحسبتهم منتبهين ﴿ **وهم رقود** ﴾ أي نائمون في الحقيقة قال الجبائي وجماعة لأنهم مفتحو العيون يتنفسون كأنهم يريدون أن يتكلموا ولا يتكلمون وقيل إنهم ينقلبون كما ينقلب اليقظان ﴿ **ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال** ﴾ معناه ونقلبهم تارة عن اليمين إلى الشمال وتارة عن الشمال إلى اليمين كما يتقلب النائم لأنهم لو لم ينقلبوا

لأكلتهم الأرض ولبليت ثيابهم لطول مكثهم على جانب واحد وقيـل كانـوا يقلّبون كـل عام تقلبتين عن أبي هريرة وقيل كان تقلبهم كل عام مرة عن ابن عباس وقوله ﴿ **وكلبهم** ﴾ قال ابن عباس وأكثر المفسرين أنهم هربـوا من ملكهم ليلاً فمـرُّوا براع معـه كلب فتبعهم على دينهم وتبعه كلبه وقيل أنهم مرُّوا بكلب فتبعهم فـطردوه فعاد ففعلوا ذلـك مراراً فقـال لهم الكلب ما تريدون مني لا تخشوا خيانة فأنا أحبُّ أولياء الله فنامـوا حتى أحرسكم عن كعب وقيـل كان ذلـك كلب صيدهم وقيـل كان ذلـك الكلب أصفر اللون عن مقـاتل وقيـل كـان أنمرواسمه قطمير عن ابن عباس وفي تفسير الحسن أن ذلك الكلب مكث هناك ثلاث مائة وتسع سنين بغير طعام ولا شراب ولا نـوم ولا قيام ﴿ **بـاسط ذراعيه** ﴾ هـو أن يلقيهما على الأرض مبسوطتين كافتراش السبع ﴿ **بالوصيـد** ﴾ أي بفنا الكهف عن ابن عبـاس ومجاهـد وقتادة وقيل بالباب وقيل بباب الفجوة أو فناء الفجوة لا باب الكهف لأن الكفار خرجـوا إلى باب الكهف في طلبهم ثم إنصرفوا ولو رأوا الكلب على باب الغار لدخلوه وكذلك لو كـان بالقرب من الباب ولما إنصرفوا آيسين عنهم فـإنهم سدّوا بـاب الغار بـالحجارة فجـاء رجل بماشيته إلى باب الغار وأخرج الحجارة واتخذ لماشيته كِنّاً عند باب الغار وهم كانوا في فجوة من الغار عن الجبائي وقيل الوصيـد عتبة البـاب عن عطا ﴿ **لـو أطلعت عليهم لوليت منهم فراراً** ﴾ معناه لـو أشرفت عليهم ورأيتهم في كهفهم على حـالتهم لفررت عنهم وأعـرضت عنهم هرباً لاستيحاشك المـوضع ﴿ **ولملئت منهم رعبـاً** ﴾ أي ولملىء قلبك خـوفاً وفـزعاً وذلك إن الله منعهم بالرعب لئلا يصل إليهم أحد حتى يبلغ الكتاب أجله فيهم وقيل كانوا في مكان موحش من رآه فزع ولا يمتنع أن الكفار لما أتوا باب الكهف فزعوا من وحشة المكان فسدُّوا باب الكهف ليهلكوا فيه وجعل سبحانه ذلك لطفاً لئلا ينالهم مكروه من سبع وغيـره وليكونوا محروسين من كل سوء وقيل إنهم كانت أظفارهم قد طالت وكذلك شعورهم ولذلك يأخذ الرعب منهم وهذا لا يصح لقوله تعالى حكاية عنهم ﴿ **لبثنا يوماً أو بعض يوم** ﴾ وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال غزوت مع معاوية نحـو الروم فمـرّوا بالكهف الـذي فيه أصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقلت له ليس هذا لك فقد منع ذلك من هو خير منك قال الله تعالى ﴿ **لو أطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً** ﴾ فقال معاوية لا أنتهي حتى أعلم علمهم فبعث رجالاً فلما دخلوا الكهف أرسـل الله عليهم ريحاً أخرجتهم .

﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ

كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ
فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ
طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾
إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن
تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

[**القراءة**] قرأ أبو عمرو وأبو بكر وحمزة وخلف بِوَرْقكم ساكنة الراء والباقون بكسر الراء وروي عن أبي عمرو بإدغام الكاف في القاف وفي الشواذ قراءة أبي رجاء بورقكم بكسر الواو والإدغام .

[**الحجة**] في ورقكم أربع لغات فتح الواو وكسر الراء وهو الأصل وفتح الواو وسكون الراء وكسر الواو وسكون الراء والإدغام قال ابن جني هذا عند أصحابنا مخفي غير مدغم لكنه اخفى كسرة القاف فظنها القراء مدغمة ومعاذ الله لو كانت مدغمة لوجب نقل كسرة القاف إلى الراء كقولهم برد وبرق وللقراء في هذا عادة أن يعبروا عن المخفي بالمدغم للطف ذلك عليهم .

[**الإعراب**] كم لبثتم تقديره كم يوماً لبثتم فكم منصوبة بلبثتم والمميز محذوف الا ترى ان جوابه لبثنا يوماً أو بعض يوم فلينظر أيها ازكى طعاماً الجملة التي هي أيها ازكى مفعول فلينظر وطعاماً تمييز .

[**المعنى**] **﴿وكذلك بعثناهم﴾** معناه وكما فعلنا بهم الأمور العجيبة وحفظناهم تلك المدة المديدة بعثناهم من تلك الرقدة وأحييناهم من تلك النومة التي أشبهت الموت **﴿ليتساءلوا بينهم﴾** أي ليكون بينهم تساؤل وتنازع واختلاف في مدة لبثهم فينتبهوا بذلك على معرفة صانعهم ويزدادوا يقيناً إلى يقينهم **﴿قال قائل منهم كم لبثتم﴾** في نومكم **﴿قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾** قال المفسرون انهم دخلوا الكهف غدوة وبعثهم الله في آخر النهار فلذلك قالوا يوماً فلما رأوا الشمس قالوا أو بعض يوم وكان قد بقيت من النهار بقية **﴿قالوا ربكم أعلم بما لبثتم﴾** وهذا القائل هو تمليخا رئيسهم عن ابن عباس ردَّ علم ذلك إلى الله تعالى

﴿**فابعثوا أحدكم بورقكم هذه**﴾ والورق الدراهم وكان معهم دراهم عليها صورة الملك الذي كان في زمانهم عن ابن عباس ﴿**إلى المدينة**﴾ يعني المدينة التي خرجوا منها ﴿**فلينظر أيها ازكى طعاماً**﴾ أي أطهر وأحل ذبيحه عن ابن عباس قال لأنَّ عامتهم كانت مجوساً وفيهم قوم مؤمنون يخفون إيمانهم وقيل أطيب طعاماً عن الكلبي وقيل أكثر طعاماً من قولهم زكى المال إذا زاد عن عكرمة وذلك لأن خير الطعام إنما يوجد عند من كثر طعامه وقيل كان من طعام أهل المدينة ما لا يستحله اصحاب الكهف ﴿**فليأتكم برزق منه**﴾ أي فليأتكم بما ترزقون أكله ﴿**وليتلطف**﴾ أي وليدقق النظر ويتحيل حتى لا يطلع عليه وقيل وليتلطف في الشراء فلا يماكس البائع ولا ينازعه ﴿**ولا يشعرن بكم احداً**﴾ أي لا يخبرنَّ بكم ولا بمكانكم احداً من أهل المدينة ﴿**إنهم إن يظهروا عليكم**﴾ أي يشرفوا ويطلعوا عليكم ويعلموا بمكانكم ﴿**يرجموكم**﴾ أي يقتلوكم بالرجم وهو من اخبث القتل عن الحسن وقيل معناه يؤذوكم ويشتموكم يقال رجمه بلسانه عن ابن جريج ﴿**أو يعيدوكم في ملتهم**﴾ أي يردُّوكم إلى دينهم ﴿**ولن تفلحوا إذا ابدا**﴾ معناه ومتى فعلتم ذلك لن تفوزوا أبداً بشيء من الخير ومتى قيل من أكره على الكفر فأظهره فإنه مفلح فكيف تصحُّ الآية فالجواب يجوز أن يكون أراد يعيدوكم الى دينهم بالاستدعاء دون الإكراه ويجوز أن يكون في ذلك الوقت كان لا يجوز التقية في اظهار الكفر .

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾

وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىۡءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ
وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَۚ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ
مِنۡ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾

[اللغة] عثر على الشيء يعثر عثراً إذا طلع عليه واعثرت عليه غيري والعاثور حفرة تحفر ليصطاد به الاسد يقال للرجل إذا تورط وقع في عاثور وأصله من العثار والمراء الجدال ما ريت الرجل امارية مراء .

[الإعراب] إذ يتنازعون يجوز أن يكون منصوباً بقوله اعثرنا أي اطلعنا عليهم في وقت المنازعة في أمرهم ويجوز أن يكون منصوباً بقوله ليعلموا وإنما دخلت الواو في قوله وثامنهم ولم يدخل في الأولين لأن هاهنا عطف جملة على جملة وهناك وصف النكرة بجملة فإن التقدير هم سبعة وهم ثلاثة فثلاثة مرفوع بأنه خبر مبتدأ محذوف ورابعهم كلبهم وصف لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم صفة لخمسة وهذا قول علي بن عيسى قال وفرق ما بينهما ان السبعة أصل للمبالغة في العدد لأن جلائل الأمور سبعة سعبة وأقول قد وجدت لأبي علي الفارسي في هذا كلاماً طويلاً سألخصه لك وأهذّبه فضل تهذيب قال إن الجملتين الملتبسة احداهما بالاخرى وهي ان تكون غير اجنبية منها على ضربين (أحدهما) ان تعطف بحرف العطف والآخر ان توصل بها بغير حرف العطف فما يوصل بها بما قبلها بغير حرف العطف من الجملة على أربعة أضرب (أحدها) أن تكون صفة (والآخر) أن تكون حالاً (والثالث) أن تكون تفسيراً (والرابع) أن لا تكون على أحد هذه الأوجه الثلاثة لكن يكون في الجملة الثانية ذكر مما في الأولى أو ممن فيها فالأول نحو مررت برجل أبوه قائم وبغلام يقوم ولا وجه لادخال حرف العطف على هذا لأن الصفة تبين الموصوف وتخصّصه فلو عطفت لخرجت بالعطف من ان تكون صفة لأن العطف ليس الثاني وهو المعطوف فيه بالأول وإنما يشرك الثاني في اعراب الأول والصفة هو الموصوف في المعنى (واما) الثاني وهو أن تكون حالاً فلا مدخل لحرف العطف عليه أيضاً لأن الحال مثل الصفة في انها تفرق بين هيأتين أو هيآت كما ان الصفة تفرق بين موصوفين أو موصوفات وهي مثل المفعول في أنها تكون بعد كلام تام فكما لا يدخل الحرف العاطف بين الصفة والموصوف ولا بين المفعول وما عمل فيه كذلك لا يدخل بين الحال وذي الحال والجمل الواقعة موقع الحال إما أن تكون من فعل وفاعل أو من مبتدأ وخبر نحو رأيت زيداً يضحك وجاء زيد أبوه منطلق قال الشاعر :

وَلَــوْلَا جَنَــانُ الــلَّيْــلِ مَــا آبَ عَــامِــرٌ إلىٰ جَعْفَــرٍ سِــرْبَــالُــهُ لَمْ يُمَــزَّقِ(١)

(وأما) الثالث وهي الجملة التي تكون تفسيراً لما قبلها فنحو قوله وعد الله الذين آمنوا ثم قال لهم مغفرة وأجر عظيم فالمغفرة تفسير الوعد الذي وعدوا فأما قوله تعالى ﴿**هل أدلكم على تجارة تنجيكم**﴾ ثم قال تؤمنون بالله فتؤمنون على لفظ الخبر ومعناه الأمر بدلالة قوله يغفر لكم وحسن ان يكون الأمر على لفظ الخبر لوقوعه كالتفسير لما قبله من ذكر التجارة وحكم التفسير أن يكون خبراً فلذلك حسن كون الأمر على لفظ الخبر هنا (وأما) الرابع الذي لا يكون اتصاله على الوجوه الثلاثة ويكون في الجملة الثانية ذكر مما في الأولى فإن هذا الوجه يتصل بما قبله على وجهين (أحدهما) بحرف عطف كما يتبع الأجنبية إياها بحرف عطف وذلك نحو زيد أبوك وأخوه عمرو فهذه قد نزلت منزلة الأجنبية من الأولى في العطف بالواو نحو قام زيد وخرج عمرو وزيد قائم وبكر خارج والآخر ان يتبع الثانية الأولى بغير حرف عطف كقوله سبحانه انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ويقول في آية أخرى وكانوا يصرّون بالواو وقوله سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم والدليل على أن هذا نوع آخر خارج عن الأنواع الثلاثة أن قوله وثامنهم كلبهم بعد الجملة المحذوف مبتدأها لا يخلو من ان يكون حالاً أو صفة أو تفسيراً أو جملة منقطعة من الأول ولا يجوز أن يكون في موضع الحال لأن ما قبلها من الكلام لا معنى فعل فيه عاملاً في الحال والحال لا بدَّ لها من عامل فيها ولا يمكن ان يجعل المبتدأ المضمر هذا وما أشبهه من أسماء الاشارة فينتصب الحال عنها لأن المخبر عنهم هاهنا ليسوا بمشار اليهم في وقت الاخبار وانما المراد الإخبار عن عددهم ولو كانوا بحيث يشار اليهم لم يقع الاختلاف في عددهم ولا يجوز أن يكون تفسيراً لأن التفسير هو المفسر في المعنى ولا يجوز أن يكون شيء من جزء الجملة التي هي رابعهم كلبهم شيئاً من جزء التي هي هم ثلاثة ولا يجوز أيضاً أن يكون صفة للنكرة التي قبلها لأنه لا يخلو في الوصف من أحد أمرين اما ان يعمل اسم فاعل كما يعمل سائر اسماء الفاعلين الجارية على أفعالها فيرتفع ما بعده به واما أن يجعل جملة في موضع وصف ولا يعمل اسم الفاعل عمل الفعل فيكون مبتدأ وخبراً ولا يجوز الأول لأنه في معنى الماضي والماضي لا يقدر فيه الانفصال وانما يقدر في الحاضر والآتي لأنه كما أعرب من الأفعال المضارعة ما كان حاضراً وآتياً كذلك لم يعمل الماضي من

(١) قائله سلامة بن جندل وجنان الليل اي ما ستر من ظلمته. وآب: رجع والشاهد في سرباله لم يمزق » فإن هذه جملة اسمية من مبتدأ وخبر وقد وقعت حالاً من عامر الذي هو فاعل « آب » وقد ربط الشاعر جمله الحال الاسمية بالضمير .

اسماء الفاعلين ولولا المضي لم يمتنع اعمال قوله رابعهم وسادسهم ولا تكون أيضاً الجملة صفة لثلاثة كما توصف النكرات بالجمل لأن هذه جملة مستأنفة وليست على حدّ الصفة بل على حدّ ما بعدها من قوله وثامنهم كلبهم فحذفت الواو واستغني عنها اذا كانت انما تذكر لتدل على الاتصال وما في الجملة من ذكر ما في الأولى كأنه يستغنى به عن ذكر الواو لأن الحرف يدل على ايصاله وما في الجملة من ذكر ما تقدمها اتصال أيضاً فيستغنى به ويكتفى بذلك منه وهذا فصل جامع في النحو جليل الموقع كثير الفائدة اذا تأمله المتأمل حق التأمل وأحكمه أشرف به على كثير من المسائل ان شاء الله وأما من قال ان هذه الواو واو الثمانية واستدل بقوله حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها لأن للجنة ثمانية أبواب فشيء لا يعرفه النحويون .

[**المعنى**] **﴿وكذلك أعثرنا عليهم﴾** أي وكما أنمناهم وبعثناهم اطلعنا وأعثرنا عليهم أهل المدينة وجملة أمرهم وحالهم على ما قاله المفسرون انهم لما هربوا من ملكهم ودخلوا الكهف أمر الملك ان يسدَّ عليهم باب الكهف ويدعوهم كما هم في الكهف فيموتوا عطشاً وجوعاً وليكن كهفهم الذي اختاروه قبراً لهم وهو يظن أنهم ايقاظ ثم ان رجلين مؤمنين كتبا شأن الفتية وانسابهم وأسماءهم وخبرهم في لوح من رصاص وجعلاه في تابوت من نحاس وجعلا التابوت في البنيان الذي بنوا على باب الكهف وقالا لعل الله يظهر على هؤلاء الفتية قوماً مؤمنين قبل يوم القيامة ليعلموا خبرهم حين يقرأون هذا الكتاب ثم انقرض أهل ذلك الزمان وخلفت بعدهم قرون وملوك كثيرة وملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له ندليس وقيل بندوسيس عن محمد بن إسحاق وتحزب الناس في ملكه أحزاباً منهم من يؤمن بالله ويعلم ان الساعة حق ومنهم من يكذب فكبر ذلك على الملك الصالح وبكى إلى الله وتضرع وقال أي رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم بها ان البعث حق وان الساعة حق آتية لا ريب فيها فألقى الله في نفس رجل من أهل ذلك البلد الذي فيه الكهف ان يهدم البنيان الذي على فم الكهف فيبني به حظيرة لغنمه ففعل ذلك وبعث الله الفتية من نومهم فأرسلوا أحدهم ليطلب لهم طعاماً فاطلع الناس على أمرهم وبعثوا إلى الملك الصالح يعلمونه الخبر ليعجل القدوم عليهم وينظر إلى آية من آيات الله جعلها الله في ملكه فلما بلغه الخبر حمد الله وركب معه مدينته حتى أتوا أهل الكهف فذلك قوله وكذلك اعثرنا عليهم **﴿ليعلموا أن وعد الله﴾** بالبعث والثواب والعقاب **﴿حق وإن الساعة لا ريب فيها﴾** أي أن القيامة لا شك فيها فإن من قدر على أن ينيم جماعة تلك المدة المديدة أحياء ثم يوقظهم قدر أيضاً على أن يميتهم ثم يحييهم بعد ذلك **﴿إذ يتنازعون بينهم أمرهم﴾** أي فعلنا ذلك حين تنازعوا

في البعث فمنهم من أنكره ومنهم ن قال يبعث الأرواح دون الأجسام ومنهم من أثبت البعث فيهما وأضاف الأمر اليهم لتنازعهم فيه كما يقال ما صنعتم في أمـركم عن عكرمـة وقيل ان معناه إذ يتنازعون في قدر مكثهم في الكهف وفي عددهم وفيما يفعـل بهم بعد أن اطلعـوا عليهم وذلك انه لما دخل الملك عليهم مع الناس وجعلوا يسألونهم سقطوا ميتين فقال الملك ان هذا الأمر عجيب فما ترون فاختلفوا فقال بعضهم ابنوا عليهم بنياناً كما تبنى المقابر وقال بعضهم اتخذوا مسجداً على باب الكهف وهذا التنازع كان منهم بعد العلم بموتهم عن ابن عباس **﴿فقالوا﴾** أي قال مشركـو ذلك الوقت **﴿ابنوا عليهم بنياناً﴾** أي استروهم من النـاس بأن تجعلوهم وراء ذلك البنيان كما يقال بنى عليه جداراً إذا حوطه وجعله وراء الجدار **﴿ ربهم أعلم بهم﴾** معناه ربهم أعلم بحالهم فيما تنازعوا فيه وقيل انه قال ذلك بعضهم ومعناه ربهم أي خـالقهم الذي أنـامهم وبعثهم أعلم بحالهم وكيفيـة أمرهم وقيـل معناه ربهم أعلم بهم أأحياء نيام هم أم أموات فقد قيل انهم ماتوا وقيل أنهم لا يموتون إلى يوم القيامة **﴿قال الذين غلبوا على أمرهم﴾** يعني الملك المؤمن وأصحابه وقيل اولياء اصحاب الكهف من المؤمنين وقيل رؤساء البلد الـذين استولـوا على امرهم عن الجبـائي **﴿لنتخذن عليهم مسجـداً﴾** أي معبداً وموضعاً للعبادة والسجود يتعبد النـاس فيه ببـركاتهم ودلَّ ذلـك على أن الغلبة كـانت للمؤمنين وقيل مسجداً يصلي فيه أصحاب الكهف إذا استيقظوا عن الحسن وقد روي أيضاً أن أصحاب الكهف لما دخل صاحبهم إليهم وأخبرهم بما كانوا عنه غافلين من مدة مقامهم سألوا الله تعالى أن يعيدهم إلى حالتهم الأولى فأعـادهم إليها وحـال بين من قصدهم وبين الوصول إليهم بأن أضلهم عن الطريق إلى الكهف الذي كانـوا فيه فلم يهتـدوا إليه ثم بيَّن سبحانه تنازعهم في عددهم فقال **﴿سيقولـون﴾** أي سيقول قـوم من المختلفين في عددهم **﴿ثلاثة﴾** أي هم ثلاثة **﴿رابعهم كلبهم ويقولون﴾** أي ويقول آخرون هم **﴿خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب﴾** أي قذفا بالظن من غير يقين عن قتادة **﴿ويقولون﴾** أي ويقول آخرهم هم **﴿سبعة وثامنهم كلبهم﴾** وقيل ان هذا اخبار من الله تعالى بأنه سيقع نزاع في عددهم ثم وقع ذلك لما وفد نصارى نجران إلى النبي ﷺ فجرى ذكر أصحاب الكهف فقالت اليعقوبية منهم كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقالت النسطورية كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم **﴿قل﴾** يا محمـد **﴿ربي أعلم بعدتهم مـا يعلمهم إلا قليل﴾** من الناس عن قتادة وقيل قليل من أهل الكتاب عن عطـا وقال ابن عباس انا من ذلك القليل هم سبعة وثامنهم كلبهم والأظهر أن يكون عرف ذلك من جهة النبي ﷺ وروى الضحاك عن ابن عباس انه قال هم مكسليمنا وتمليخا ومرطولس ونينونس وسارينونس ودربونس وكشوطبونس وهـو الراعي **﴿فـلا تمار فيهم﴾** أي فـلا تجادل الخـائضين في عددهم وشـأنهم **﴿إلا مراء**

ظاهراً﴾ فيه وجوه (أحدها) ان معناه الا تجادلهم إلا بما أظهرنا لك من أمرهم عن ابن عباس وقتادة ومجاهد أي لا تجادل إلا بحجة ودلالة واخبار من الله سبحانه وهو المراء الظاهر (وثانيها) ان المراد لا تجادلهم إلا جدالاً ظاهراً وهو ان تقول لهم أثبتم عدداً وخالفكم غيركم وكلا القولين يحتمل الصدق والكذب فهلمّوا بحجة تشهد لكم (وثالثها) ان المراد الا مراء يشهده الناس ويحضرونه فلو أخبرتهم في غير ملأ من الناس لكذبوا عليك ولبّسوا على الضعفة فادّعوا أنهم كانوا يعرفونه لأن ذلك من غوامض علومهم **﴿ولا تستفت فيهم منهم أحداً﴾** معناه ولا تستخبر في أهل الكهف وفي مقدار عددهم من أهل الكتاب احداً ولا تستفتهم من جهتهم عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والخطاب للنبي ﷺ والمراد غيره لئلا يرجعوا في ذلك إلى مساءلة اليهود فإنه كان واثقاً بخبر الله تعالى **﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾** قد ذكر في معناه وجوه (أحدها) انه نهي من الله تعالى لنبيه ﷺ ان يقول إني أفعل شيئاً في الغد إلا أن يقيد ذلك بمشيئة الله تعالى فيقول إن شاء الله قال الأخفش وفيه اضمار القول وتقديره إلا أن تقول إن شاء الله ولما حذف تقول نقل إن شاء الله إلى لفظ الاستقبال فيكون هذا تأديباً من الله للعباد وتعليماً لهم ان يعلقوا ما يخبرون به بهذه اللفظة حتى يخرج عن حد القطع فلا يلزمهم كذب او حنث إذا لم يفعلوا ذلك لمانع وهذا معنى قول ابن عباس (وثانيها) ان قوله ان يشاء الله بمعنى المصدر وتعلق بما تعلق به على ظاهره وتقديره ولا تقولن إني فاعل شيئاً غداً إلا مشية الله عن الفراء وهذا وجه حسن يطابق الظاهر ولا يحتاج فيه إلى بناء الكلام على محذوف ومعناه ولا تقل إني أفعل إلا ما يشاء الله ويريده وإذا كان الله تعالى لا يشاء إلا الطاعات فكأنه قال لا تقل إني أفعل إلا الطاعات ولا يطعن على هذا جواز الأخبار عما يفعل من المباحات التي لا يشاؤها الله تعالى لأن هذا النهي نهي تنزيه لا نهي تحريم بدلالة انه لو لم يقل ذلك لم يأثم بلا خلاف (وثالثها) انه نهى عن ان يقول الانسان سأفعل غداً وهو يجوز الاحترام قبل ان يفعل ما أخبر به فلا يوجد مخبره على ما أخبر به فهو كذب ولا يأمن ايضاً ان لا يوجد مخبره بحدوث شيء من فعل الله تعالى نحو المرض والعجز وبأن يبدو له هو في ذلك فلا يسلم خبره من الكذب إلا بالاستثناء الذي ذكره الله تعالى فإذا قال إني صائر غداً الى المسجد ان شاء الله امن من ان يكون خبره هذا كذباً لأن الله تعالى إن شاء أن يلجئه الى المصير إلى المسجد غداً حصل المصير إليه منه لا محالة فلا يكون خبره هذا كذباً وان لم يوجد المصير منه إلى المسجد لأنه لم يوجد ما استثناه في ذلك من مشيئة الله تعالى عن الجبائي وقد ذكرنا فيما قبل ما جاء في الرواية ان النبي ﷺ سئل عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين فقال أخبركم عنه غداً ولم يستثن فاحتبس الوحي عنه

اياماً حتى شق عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية بأمره بالاستثناء بمشيئة الله تعالى وقوله ﴿**واذكر ربك إذا نسيت**﴾ فيه وجهان (أحدهما) انه كلام متصل بما قبله ثم اختلف في ذلك فقيل معناه واذكر ربك إذا نسيت الاستثناء ثم تذكرت فقل إن شاء الله وإن كان بعد يوم أو شهر أو سنة عن ابن عباس وقد روي ذلك عن أئمتنا (ع) ويمكن أن يكون الوجه فيه انه إذا استثنى بعد النسيان فإنه يحصل له ثواب المستثنى من غير أن يؤثر الاستثناء بعد انفصال الكلام في الكلام وفي ابطال الحنث وسقوط الكفارة في اليمين وهو الأشبه بمراد ابن عباس في قوله وقيل فاذكر الاستثناء ما لم تقم من المجلس عن الحسن ومجاهد وقيل فاذكر الاستثناء إذا تذكرت ما لم ينقطع الكلام وهو الأوجه وقيل معناه واذكر ربك إذا نسيت الاستثناء بأن تندم على ما قطعت عليه من الخبر عن الأصم (والآخر) انه كلام مستأنف غير متعلق بما قبله ثم اختلف في معناه فقيل معناه واذكر ربك اذا غضبت بالاستغفار ليزول عنك الغضب عن عكرمة وقيل انه أمر بالانقطاع الى الله تعالى ومعناه واذكر ربك اذا نسيت شيئاً بك اليه حاجة بذكره لك عن الجبائي وقيل المراد به الصلاة والمعنى اذا نسيت صلاة فصلّها إذا ذكرتها عن الضحاك والسدي قال السيد الأجل المرتضى قدس الله روحه اعلم ان للاستثناء الداخل على الكلام وجوها مختلفة فقد يدخل في الإيمان والطلاق والعتاق وسائر العقود وما يجري مجراها من الاخبار فإذا دخل في ذلك اقتضى التوقف عن امضاء الكلام والمنع من لزوم ما يلزم به ولذلك يصير ما يتكلم به كأنه لا حكم له ولذلك يصحُّ على هذا الوجه أن يستثني الانسان في الماضي فيقول قد دخلت الدار ان شاء الله تعالى ليخرج بهذا الاستثناء من أن يكون كلامه خبراً قاطعاً او يلزم به حكم وإنما لم يصح دخوله في المعاصي على هذا الوجه لأن فيه اظهار الانقطاع الى الله تعالى والمعاصي لا يصح ذلك فيها وهذا الوجه احد ما يحتمله تأويل الآية وقد يدخل الاستثناء في الكلام ويراد به اللطف والتسهيل وهذا الوجه يختص بالطاعت ولهذا جرى قول القائل لأقضين غداً ما عليَّ من الدين أو لأصلّين غداً إن شاء الله مجرى ان يقول اني فاعل ان لطف الله تعالى فيه وسهله ومتى قصد الحالف هذا الوجه لم يجب إذا لم يقع منه الفعل ان يكون حانثاً أو كاذباً لأنه إذا لم يقع علمنا انه لم يلطف فيه لأنه لا لطف له وهذا الوجه لا يصح ان يقال في الآية لأنه يختص الطاعات والآية تتناول كل ما لم يكن قبيحاً بدلالة اجماع المسلمين على حسن استثناء ما تضمنه في كل فعل لم يكن قبيحاً وقد يدخل الاستثناء في الكلام ويراد به التسهيل والاقدار والتخلية والبقاء على ما هو عليه من الأحوال وهذا هو المراد إذا دخل في المباحات وهذا الوجه يمكن في الآية وقد يدخل في الكلام استثناء المشيئة في الكلام وإن لم يرد به شيء من المتقدم ذكره بل

يكون الغرض الانقطاع الى الله تعالى من غير ان يقصد به الى شيء من هذه الوجوه ويكون هذا الاستثناء غير معتدٍّ به في كونه كاذباً أو صادقاً لأنه في الحكم كأنه قـال لأفعلن كذا ان وصلت الى مرادي مع انقطاعي الى الله تعالى واظهاري الحاجة اليه وهذا الوجه ايضاً يمكن في الآية ومتى تؤمل جملة ما ذكرناه من الكلام عرف به الجواب عن المسألـة التي لا يزال يسأل عنها من يذهب الى خلاف العدل من قولهم لو كان الله تعالى إنما يريد الطاعات من الأفعال دون المعاصي لوجب إذا قال عليه الدين لغيره وطالبه به والله لأعطينك حقك غداً إن شاء الله أن يكون كاذباً أو حانثاً إذا لم يفعل لأن الله تعالى قد شاء ذلك منه عندكم وان كان لم يقع ولكان يجب ان تلزمه به الكفارة وان لا يؤثر هذا الاستثناء في يمينه ولا يخرجه من كونه حانثاً كما انه لو قال والله لأعطينك حقك غداً ان قام زيد فقام ولم يعطه يكـون حانثـاً وفي التزلل الحنث خروج من الاجماع انتهى كلامه رضي الله عنه وقوله **﴿وقل عسى ان يهـدين ربي لأقرب من هذا رشداً﴾** معناه قل عسى ربي أن يعطيني من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون اقرب من الرشد وأدل من قصة اصحاب الكهف عن الزجاج ثم ان الله سبحانه فعل به ذلك حيث آتاه من علم غيوب اخبار المرسلين وآثارهم ما هو واضح في الدلالة وأقرب الى الرشد من خبر اصحاب الكهف وقيل ان معناه أدع الله ان يذكرك اذا نسيت شيئاً وقل ان لم يذكرني الله ذلك الذي نسيت فإنه يذكرني ما هو أنفع لي منه عن الجبائي .

﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة غير عاصم ثلاثمائة سنين مضافاً والباقون بالتنوين وقرأ ولا تشرك بالتاء مجزوماً ابن عامر وروح وزيد عن يعقوب وسهل والباقون ولا يشرك بالرفع والياء .

[**الحجة**] قال أبو الحسن يكون السنين لثلاثمائـة قال ولا تحسن اضـافة المـائة الى

السنين لأنه لا تكاد العرب تقول مائة سنين قـال وهو جـائز في ذا المعنى وقـد يقولـه بعض العرب قال أبو علي ومما يدل على صحة قول من قال ثلاثمائـة سنين ان هذا الضـرب من العدد الذي يضاف في اللغة المشهورة الى الآحاد نحو ثلاثمائة رجل وأربعمائة ثوب قد جاء مضافاً الى الجمع في قول الشاعر

فَمَـا زَوَّدُونِـي غَـيْـرَ سَـحْـقِ عِـمَـامَـةٍ وَخَـمْسِ مِيءٍ مِـنـهَـا قَـسِيٌّ وزَايِـفُ[١]

وذلك ان قوله مِيءٍ لا يخلو من ان يكون في الأصل كأنه فعلة فجمع على فِعْـل مثل سِدْرَة وسِدْر أو يكون فَعْلة فجمع على فعول مثل بدرة وبدور ومانة[٢] ومؤن قال « عظيمات الكـلاكل والمؤون » والأولى حمله على فعـول وانه خفف كمـا يخفف في القوافي كقـولـه « كنَهْوَرَ كانَ مِنْ أعْقـابِ السُّمى »[٣] ثم كسر فـاؤه كما يكسـر في نحو حلي وقـال غيره ان العرب قد تضع الجمع هنا موضع الواحـد لأن الأصل ان تكـون الاضافـة الى الجمع قـال الشاعر :

ثَـلاثَـمِـائـيـنَ قَـدْ مَـضَـيْـنَ كَوامِلاً وَهـا أَنـا ذا قَـدْ أبْـتَـغـي مَـرَّ رابِـعِ

فجاء به على الأصل ومن نوَّن ثلاثمائة ففي نصب سنين قولان (أحدهما) أن يكون سنين بدلاً من ثلاثمائة أو عطف بيان (والآخر) أن يكون تمييزاً كما تقول عندي عشرة أرطال زيتاً قال الربيع بن ضبيع الفزاري .

إذا عَـاشَ الْـفَـتى مِـائَـتَـيْـنِ عَـامـاً فَـقَـدْ ذَهَـبَ الـلَّذاذةُ وَالْـفَـتـاءُ

قال الزجـاج ويجوز أن يكـون سنين من نعت المائـة فيكون مجـروراً وهو راجـع في المعنى إلى ثلاث كما قال عنترة :

فِـيـهَـا اثْـنَـتـانِ وَأَرْبَـعُـونَ حَـلُوبَـةً سُـوداً كَخَـافِـيَـةِ الْـغُـرابِ الأَسْحَـمِ

فجعل سوداً نعتاً لحلوبة وهو في المعنى نعت لجملة العدد قال أبو علي لا يمتنع أن يكون الشاعر جعل حلوبة جمعاً وجعل سوداً وصفاً لها وإذا كان المراد به الجمع فلا يمتنع أن

(١) السحق : الثوب الخلق البالي . ودرهم قسي زائف : رديء .

(٢) المانة : الخاصرة .

(٣) الكنهور من السحاب : المتراكب الثخين . والسمى على فعول جمع سماء : المطر وذكر في هامش اللسان أن هذا الشطر لا وزن له معروف .

يقع تفسيراً لهذا الضرب من العدد من حيث كان على لفظ الآحـاد كما يقـال عشرون نفـراً وثلاثون قبيلاً ومن قرأ ولا تشرك بالتاء فإنه على النهي عن الإشراك والقـراءة الأخرى أشيـع وأولى لتقدم أسماء الغيبة وهو قوله ما لهم من دونه من وليّ والمعنى ولا يشرك الله في حكمه أحداً .

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه عن مقدار مدة لبثهم فقال ﴿ **ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين** ﴾ معناه وأقام أصحاب الكهف من يوم دخلوا الكهف إلى أن بعثهم الله وأطلع عليهم الخلق ثلاثمائة سنة ﴿ **وازدادوا تسعاً** ﴾ أي تسع سنين إلا أنه استغنى بما تقدَّم عن إعادة ذكر تفسير التسع كما يقال عندي مائة درهم وخمسة ﴿ **قل الله أعلم بما لبثوا** ﴾ معناه إن حاجَّك يا محمد أهل الكتاب في ذلك فقل الله أعلم بما لبثوا وذلك أن أهل نجران قالوا أما الثلاثمائة فقد عرفناها وأما التسع فلا علم لنا بها وقيل أن معناه الله أعلم بما لبثوا إلى أن ماتوا وحكي عن قتادة أنه قال قوله ﴿ **ولبثوا في كهفهم** ﴾ الآية حكاية عن قول اليهود وقوى ذلـك بقولـه ﴿ **قل الله أعلم بما لبثوا** ﴾ فذكر أنه سبحانه العالم بمقدار لبثهم دون غيره وقد ضعف هـذا الوجه بأن أخبار الله لا ينبغي صرفها إلى الحكاية إلا بدليل قاطع ولو كان الأمر على ما قاله لم تكن مدة لبثهم مذكورة ومن المعلوم أن الله سبحانه أراد بالآية الاستدلال على عجيب قدرته وباهر آيته وذلك لا يتم إلا بعد معرفة مدة لبثهم فالمراد بقوله ﴿ **قل الله أعلم بما لبثوا** ﴾ بعد بيان مدة لبثهم ابطال قول أهل الكتاب واختلافهم في مدة لبثهم فتقديره قـل يا محمـد الله أعلم بمدة لبثهم وقد أخبر بها فخذوا بما أخبر الله تعالى ودعوا قول أهل الكتاب فهـو أعلم بذلك منهم ﴿ **له غيب السماوات والأرض** ﴾ والغيب أن يكـون الشيء بحيث لا يقع عليـه الإدراك أي لا يغيب عن الله سبحانه شيء لأنه لا يكون بحيث لا يدركه فيعلم ما غاب في السماوات والأرض عن إدراك العباد ﴿ **أبصر به وأسمع** ﴾ هذا لفظ التعجب ومعناه ما أبصره وأسمعه أي ما أبصر الله تعالى لكل مبصر وما أسمعه لكل مسموع فلا يخفى عليه من ذلك وإنما أخرجه مخرج التعجب على وجه التعظيم وروى أن يهـودياً سـأل علي بن أبي طالب (ع) عن مدة لبثهم فأخبر بما في القرآن فقال أنا نجد في كتابنا ثـلاثمائـة فقال (ع) ذاك بسني الشمي وهذا بسني القمر وقوله ﴿ **ما لهم من دونه من ولي** ﴾ أي ليس لأهل السماوات والأرض من دون الله من ناصر يتولى نصرتهم ﴿ **ولا يشرك** ﴾ الله ﴿ **في حكمه أحداً** ﴾ فلا يجوز أن يحكم حاكم بغير ما حكم الله تعالى به وقيل معناه أنه لا يشرك الله في حكمه بما يخبر به من الغيب أحداً وعلى القراءة الأخرى معناه ولا تشرك أنت أيها الإنسان في حكمه أحداً ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ ﴿ **واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك** ﴾ أي واقـرأ عليهم ما

أوحى الله إليك من أخبار أصحاب الكهف وغيرهم فإن الحق فيه وقيل معناه اتبع القرآن واعمل به ﴿ **لا مبدل لكلماته** ﴾ أي لا مغير لما أخبر الله به فيه وما أمر به وعلى هذا فيكون التقدير لا مبدل لحكم كلماته ﴿ **ولن تجد من دونه ملتحداً** ﴾ معناه إن لم تتبع القرآن فلن تجد من دون الله ملجأ عن مجاهد وقيل حرزاً عن ابن عباس وقيل موئلاً عن قتادة وقيل معدلاً ومحيصاً عن الزجاج وأبي مسلم والأقوال متقاربة في المعنى يقال لحد إلى كذا أو التحد إذا مال إليه .

﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ
رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ
تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا
وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن
شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا
أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي
ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾

[القراءة] قرأ ابن عامر وحده بالغداوة والباقون بالغداة وفي الشواذ قراءة الحسن ولا تعد عينيك وقراءة عمرو بن فائد من أغفلنا قلبه .

[**الحجة**] قال أبو علي أما غدوة فهو اسم موضوع للتعريف وإذا كان كذلك فلا ينبغي أن تدخل عليه الألف واللام كما لا تدخل على سائر الأعلام وإن كانت قد كتبت في المصحف بالواو ولم يدل على ذلك كما أنهم كتبوا الصلوة بالواو وهي ألف وحجة من أدخل اللام المعرفة عليها أنه قد يجوز وإن كانت معرفة أن تتنكر كما حكاه أبو زيد من أنهم يقولون لقيته فينة والفينة بعد الفينة ففينة مثل غدوة في التعريف بدلالة امتناع الانصراف وقد دخلت عليه لام التعريف وذلك أن يقدر من أمة كلها له مثل هذا الإسم فيدخل التنكير لذلك ويقوي

هذا تثنية الأعلام وجمعها وقوله « لا هيثم الليلة للمطي » وقولهم أما النضرة فلا نضرة لك فأجرى مجرى ما يكون شائعاً في الجنس وكذلك الغدوة وأما قوله ولا تعد عينيك فإنه منقول من عدت عيناك إذا جاوزتا وهو من قولهم جاء القوم عدا زيداً أي جاوز بعضهم زيداً ثم نقل إلى أعديت عيني عن كذا أي صرفتها عنه قال الشاعر :

حَتّى لَحِقْنا بِهِمْ تُعْدِي فَوارِسُنا كَأَنَّنا رَعْنُ قفٍّ يَرْفَعُ الآلا(١)

أي تعدي فوارسنا خيلهم عن كذا فحذف المفعول بعد المفعول أو تعديها من عدا الفرس أي جرى وعلى أن أصلهما واحد لأن الفرس إذا عدا فقد جاوز مكاناً إلى غيره وأما من قرأ من أغفلنا قلبه فمعناه ولا تطع من ظننا غافلين عنه وهو من قولهم أغفلت الرجل أي وجدته غافلاً قال الأعشى :

أثْوى وَقَصَّرَ لَيْلَةً لِيُزَوِّدا فَمضى وَأَخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَةَ مَوْعِداً(٢)

أي صادفه مخلفاً .

[**اللغة**] الفرط التجاوز للحق والخروج عنه من قولهم أفرط إفراطاً إذا أسرف والسرادق الفسطاط المحيط بما فيه ويقال السرادق ثوف يدار حول الفسطاط قال رؤبة .

يا حَكَم بْنَ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجارُودِ سُرادِقُ الْمَجْدِ عَلَيْك مَمْدُودُ

والمهل خثارة الزيت وقيل هو النحاس الذائب والمرتفق المتكأ من المرفق يقال ارتفق إذا اتكأ على مرفقه قال أبو ذؤيب :

باتَ الخَلِيُّ وَبِتُّ اللَّيلَ مُرْتَفِقاً كأَنَّ عَيْنِيَ فِيهَا ٱلصّابُ مَذْبُوحُ(٣)

ويقال إنه مأخوذ من الرفق والمنفعة .

[**النزول**] نزلت الآية الأولى في سلمان وأبي ذر وصهيب وعمار وحباب وغيرهم من

(١) الرعن : الأنف العظيم من الجبل تراه متقدماً. والقف: ما ارتفع من الأرض والأل : شيء كالسراب تراه في أول النهار وآخره كأنه يرفع الشخوص وقوله « يرفع الالا » مقلوب أي يرفعه الأل .

(٢) قوله فمضى أي مضى العاشق .

(٣) الخلى : الفارغ . والصاب : شجر مر وقيل: عصارة شجر مر وربما نزت منه قطرةفتقع في العين كأنها شهاب نار وربما أضعف البصر .

فقراء أصحاب النبي ﷺ وذلك أن المؤلفة قلوبهم جاؤوا إلى رسول الله ﷺ وهم عيينة بن الحصين والأقرع بن حابس وذووهم فقالوا يا رسول الله إن جلست في صدر المجلس ونحيت عنا هؤلاء روائح صنانهم[١] وكانت عليهم جبات الصوف جلسنا نحن إليك وأخذنا عنك فلا يمنعنا من الدخول عليك إلا هؤلاء فلما نزلت الآية قام النبي ﷺ يلتمسهم فأصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله عز وجل فقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات .

[**المعنى**] ثم أمر الله سبحانه نبيه ﷺ بالصبر مع المؤمنين فقال ﴿ **واصبر نفسك** ﴾ يا محمد أي احبس نفسك ﴿ **مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي** ﴾ أي يداومون على الصلاة والدعاء عند الصباح والمساء لا شغل لهم غيره ويستفتحون يومهم بالدعاء ويختمونه بالدعاء ﴿ **يريدون وجهه** ﴾ أي رضوانه وقيل يريدون تعظيمه والقربة إليه دون الرياء والسمعة ﴿ **ولا تعد عيناك عنهم** ﴾ أي ولا تتجاوز عيناك عنهم بالنظر إلى غيرهم من أبناء الدنيا ﴿ **تريد زينة الحياة الدنيا** ﴾ تريد في موضع الحال أي مريداً مجالسة أهل الشرف والغنى وكان النبي ﷺ حريصاً على إيمان العظماء من المشركين طمعاً في إيمان اتباعهم ولم يمل إلى الدنيا وزينتها قط ولا إلى أهلها وإنما كان يلين في بعض الأحايين للرؤساء طمعاً في إيمانهم فعوتب بهذه الآية وأمر بالإقبال على فقراء المؤمنين وان لا يرفع بصره عنهم مريداً مجالسة الأشراف ﴿ **ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا** ﴾ قيل في معناه أقوال (أحدها) أن معناه ولا تطع من جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا بتعريضه للغفلة ولهذا قال واتَّبع هواه ومثله فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم (وثانيها) أغفلنا قلبه أي نسبنا قلبه إلى الغفلة كما يقال أكفره إذا نسبه إلى الكفر وسمّاه كافراً كقول الكميت :

وَطَائِفَةٌ قَدْ أَكْفَرُونِي بِحُبِّكُمْ وَطَائِفَةٌ قَالُوا مُسِيءٌ وَمُذْنِبُ

(وثالثها) أغفلنا قلبه صادفناه غافلاً عن ذكرنا كما قالت العرب سألناكم فما أفحمناكم وقاتلناكم فما أَجْبَنّاكُم (ورابعها) أغفلنا قلبه أي جعلناه غفلاً لم نسمه بسمة قلوب المؤمنين ولم نعلم فيه علامة المؤمنين لتعرفه الملائكة بتلك السمة تقول العرب أغفل فلان ماشيته إذا لم يسمها بسمة تعرف (وخامسها) أن معناه ولا تطع من تركنا قلبه خذلناه وخلينا بينه وبين الشيطان بتركه أمرنا عن الحسن ﴿ **واتبع هواه** ﴾ أي لا تطع من اتَّبع هواه في شهواته وأفعاله

(١) الصنان : نتن الابط .

﴿ وكان أمره فرطاً ﴾ أي سرفاً وافراطاً عن مقاتل والجبائي وقيل تجاوزاً للحد عن الأخفش وقيل ضياعاً وهلاكاً عن مجاهد والسدي قال الزجاج ومن قدم العجز في أمره أضاعه وأهلكه فيكون المعنى في هذا أنه ترك الإيمان والاستدلال بآيات الله واتبع الهوى ثم قال سبحانه ﴿ وقل ﴾ يا محمد لهؤلاء الذين أمروك بتنحية الفقراء ﴿ الحق من ربكم ﴾ أي هذا الحق من ربكم يعني القرآن وقيل معناه الذي أتيتكم به الحق عن الزجاج من ربكم يعني لم آتكم به من قبل نفسي وإنما أتيتكم به من قبل الله وقيل معناه ظهرت الحجة ووضح الحق من ربكم وزالت الشبهة ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ هذا وعيد من الله سبحانه وانذار ولذلك عقَّبه بقوله ﴿ إنا أعتدنا ﴾ وإنما جاز التهديد بلفظ الأمر لأن المهدد كالمأمور بإهانة نفسه ومعناه فليختر كل لنفسه ما شاء فإنهم لا ينفعون الله تعالى بإيمانهم ولا يضرونه بكفرهم وإنما يرجع النفع والضرُّ إليهم ﴿ إنا أعتدنا ﴾ أي هيَّأنا وأعددنا ﴿ للظالمين ﴾ أي الكافرين الذين ظلموا أنفسهم بعبادة غير الله تعالى ﴿ ناراً أحاط بهم سرادقها ﴾ والسرادق حائط من نار يحيط بهم عن ابن عباس وقيل هو دخان النار ولهبها يصل إليهم قبل وصولهم إليها وهو الذي في قوله إلى ظل ذي ثلاث شعب عن قتادة وقيل أراد أن النار أحاطت بهم من جميع جوانبهم فشبَّه ذلك في السرداق عن أبي مسلم ﴿ وإن يستغيثوا ﴾ من شدة العطش وحرّ النار ﴿ يغاثوا بماء كالمهل ﴾ وهو كل شيء أذيب كالرصاص والنحاس والصفر عن ابن مسعود وقيل كعكر الزيت إذا قرب إليه سقطت فروة رأسه روى ذلك مرفوعاً وقيل كدردي الزيت عن ابن عباس وقيل هو القيح والدم عن مجاهد وقيل هو الذي انتهى حره عن سعيد بن جبير وقيل أنه ماء أسود وأن جهنم سوداء وماؤها أسود وشجرها أسود وأهلها سود عن الضحاك ﴿ يشوي الوجوه ﴾ أي ينضجها عند دنوّه منها ويحرقها وإنما جعل سبحانه ذلك إغاثة لاقترانه بذكر الإغاثة ﴿ بئس الشراب ﴾ ذلك المهل ﴿ وساءت ﴾ النار ﴿ مرتفقاً ﴾ أي متكئاً لهم قيل ساءت مجتمعاً مأخوذ من المرافقة وهي الاجتماع عن مجاهد وقيل منزلاً ومستقراً عن ابن عباس وعطاء .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾

[**اللغة**] العدن الإقامة يقال عدن بالمكان يعدن عدناً والأساور جمع أسوار على حذف الزيادة لأن الأصل أساوير عن قطرب وأبي عبيدة وقيل جمع اسورة وأسورة جمع سوار عن الزجاج وهو سوار عن الزجاج وهو سوار اليد بالكسر وقد حكي سوار بالضم والسندس ما رقَّ من الديباج واحده سندسة والاستبرق الغليظ من الديباج وقيل هو الحرير قال قال المرقش :

تَـرَاهُـنَّ يَلْبِسْـنَ الْـمَشَـاعِـرَ مَـرَّةً وَإِسْتَبْـرَقَ ٱلدِّيبَاجِ طَوْراً لِبَاسُهَا(١)

والأرائك جمع أريكة وهي السرير قال :

خُـدُودٌ جَفَتْ فِي ٱلسَّيْـرِ حَتَّى كَـأَنَّمَـا يُبَـاشِـرْنَ بِـالْمَعْـزَاءِ مَسَّ الأَرَائِـكِ(٢)

قال الزجاج الأرائك الفرش في الحجال قال الأعشى .

بَيْنَ ٱلـرُّوَاقِ وَجَـانِبٍ مِـنْ سِتْـرِهَـا مِنْـهَـا وَبَيْـنَ أَرِيـكَـةِ الأَنْـضَـادِ(٣)

[**الإعراب**] قيل في خبر ان الذين آمنوا أقوال (أحدها) أنه قوله أنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً وعلى هذا فيكون في الخبر محذوفاً كأنه لا نضيع أجر من أحسن عملاً منهم (والثاني) أن يكون الخبر أولئك لهم جنات عدن ويكون أنا لا نضيع الخ اعتراضاً بين الاسم والخبر (والثالث) أن المعنى انا لا نضيع أجرهم لأن من أحسن عملاً في المعنى هم الذين آمنوا .

[**المعنى**] لما تقدَّم الوعيد عقَّبه سبحانه بذكر الوعد فقال ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ من الطاعات ﴿ **انا لا نضيع أجر من أحسن عملاً** ﴾ أي لا نترك أعمالهم تذهب ضياعاً بل نجازيهم ونوفيهم أجورهم من غير بخس ﴿ **أولئك لهم جنات عدن** ﴾ أي إقامة لهم لأنهم يبقون فيها ببقاء الله دائماً أبداً وقيل عدن بطنان الجنة أي وسطها وهي جنة من الجنان عن ابن مسعود وعلى هذا فإنما جمع لسعتها ولأن كل ناحية منها تصلح أن تكون جنة ﴿ **تجري من تحتهم الأنهار** ﴾ لأنهم على غرف في الجنة كما قال وهم في الغرفات آمنون وقيل أن أنهار الجنة تجري في أخاديد من الأرض فلذلك قال تجري من تحتهم الأنهار ﴿ **يحلون فيها من أساور من ذهب** ﴾ أي يجعل لهم فيها حليّ من أساور وقيل أنه يحلى كل

(١) المشاعر جمع المشعر بمعنى الشعار: ما تحت الدثار من اللباس وهو ما يلي شعر الجسد .

(٢) المعزاء: الأرض الحزنة ذات الحجارة .

(٣) الانضاد جمع النضد: السرير يجعل عليه المتاع والثياب .

واحد بثلاثة أساور سوار من فضة وسوار من ذهب وسوار من لؤلؤ وياقوت عن سعيد بن جبير ﴿ ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق ﴾ أي من الديباج الرقيق والغليظ وقيل إن الاستبرق فارسي معرَّب أصله استبره قيل هو الديباج المنسوج بالذهب ﴿ متكئين فيها على الأرائك ﴾ أي متنعمين في تلك الجنات على السرر في الحجال وإنما قال متكئين لأن الاتكاء يفيد أنهم منعمون في الأمن والراحة فإن الإنسان لا يتكىء إلا في حال الأمن والسلامة ﴿ نعم الثواب ﴾ أي طاب ثوابهم وعظم عن ابن عباس ﴿ حسنت ﴾ الأرائك ﴿ مرتفقاً ﴾ أي موضع ارتفاق وقيل منزلاً ومجلساً ومجتمعاً .

﴿ ۞وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾

[القراءة] قرأ أبو جعفر وعاصم ويعقوب وسهل وكان له ثمر وأحيط بثمره في الموضعين بالفتح ووافق رويس في الأول وقرأ أبو عمرو بضم الثاء وسكون الميم في الموضعين والباقون بضم الثاء والميم في الحرفين وقرأ أهل الحجاز وابن عامر خيراً منهما بزيادة ميم وكذلك هو في مصاحفهم وقرأ أهل العراق منها بغير ميم .

[الحجة] قال أبو علي الثمرة ما يجتنى من ذي الثمر وجمعها ثمرات ويجمع على ثمر كبقرة وبقر وعلى ثمار كرقبة ورقاب وعلى هذا تشبيه المخلوقات بغير المخلوقات وقد يشبه كل واحد منهما بالآخر ويجوز في القياس أن يكسر ثمار على ثُمُر ككتاب وكتب وقراءة أبي عمرو وكان له ثُمْر يجوز أن يكون جمع ثمار كما يخفف كُتْب ويجوز أن يكون ثُمْر جمع ثمرة

كبدنة وبُدْن وخشبة وخشب ويجوز أن يكون ثمر واحدة كعنق وطنب فعلى أيّ هذه الوجوه كان جاز اسكان العين منه كذلك في قوله ﴿ وأحيط بثمره ﴾ وقال بعض أهل اللغة الثُمُر المال والثَمَر المأكول وجاء في التفسير قريب من هذا قالوا الثمر النخل والشجر ولم يرد به الثمرة والثمر على ما روي عن عدة من السلف بل الأصول التي تحمل الثمرة لا نفس الثمر بدلالة قوله فأصبح يقلّب كفيه على ما أنفق فيها أي في الجنة والنفقة إنما تكون على ذوات الثمرة في أغلب العرف وكانت الآفة التي أرسلت إليها اصطلمت الأصول واجتاحتها كما جاء في صفة الجنة الأخرى فأصبحت كالصريم أي كالليل في سوادها لاحتراقها وكالنهار في بياضها وما بطل من خضرتها بالآفة النازلة بها وحكي عن أبي عمرو ثُمْر والثُمْر أنواع المال فإذا اصطلم الثمر فاجتيح دخلت الثمرة فيه ولا يمكن أن يصاب الأصل ولا تصاب الثمرة وإذا كان كذلك فمن قرأ بثُمُره وثُمْره كان قوله أبين ممن قرأ بالفتح ويجوز القراءة بالفتح كأنه أخبر عن بعض ما أصيب وأمسك عن بعض وقوله خيراً منها منقلباً فالافراد لأنه أقرب إلى الجنة المفردة في قوله ودخل جنته والتثنية لتقدم ذكر الجنتين .

[**اللغة**] حفَّ القوم بالشيء إذا أطافوا به وحفافا الشيء جانباه كأنهما أطافا به قال طرفة :

كَأَنَّ جَنَاحَيْ مَضْرَحِيٍّ تَكَنَّفَا حِفَافَيْهِ شُكَّا في ٱلعَسِيبِ بِمِسْرَدِ(١)

والمحاورة مراجعة الكلام في المخاطبة ويقال كلمت فلاناً فما رجع إليَّ حواراً ومحورة وحويراً .

[**الإعراب**] إنما قال أتت على لفظ كلتا فإنه بمنزلة كل في أنه مفرد اللفظ ولو قال أتتا على المعنى لجاز قال الشاعر في التوحيد :

وَكِلْتَاهُمَا قَدْ خُطَّ لِي فِي صَحِيفَتِي فَلَا ٱلعَيْشَ أَهْوَاهُ وَلَا الْمَوْتَ أَرْوَحُ(٢)

[**المعنى**] ثم ضرب الله لعباده مثلاً يستفيئهم به إلى طاعته ويزجرهم عن معصيته وكفران نعمته فقال مخاطباً لنبيّه ﷺ ﴿ **واضرب لهم مثلاً رجلين** ﴾ روي عن ابن عباس أنه قال يريد ابني ملك كان في بني إسرائيل توفي وترك ابنين وترك مالاً جزيلاً فأخذ أحدهما حقه منه وهو المؤمن منهما فتقرَّب إلى الله تعالى وأخذ الآخر حقَّه فتملك به ضياعاً منها هاتان

(١) يصف ناحيتي عسيب ذنب الناقة وشبه شعر ذنبها في طوله بجناحي النسر. والمضرحي: النسر. وشك الشيء بالشيء : انتظمه . والعسيب: عظم الذنب والمسرد: الابرة .

(٢) أروح الشيء : وجد ريحه .

الجنتان وفي تفسير علي بن إبراهيم بن هاشم أنه يريد رجلاً كـان له بستـانان كبيـران كثيرا الثمار كما حكى سبحانه وكان له جار فقير فافتخر الغني على الفقير وقال له أنا أكثر منك مالا واعزُّ نفراً وهذا أليق بالظاهر ﴿ **وجعلنا بينهما زرعـاً** ﴾ أي بستانين أجنهمـا الاشجار ﴿ **من أعناب وحففناهما بنخل** ﴾ أي جعلنا النخل مطيفاً بهما ﴿ **وجعلنا بينهما زرعاً** ﴾ أي وجعلنا بين البستانين مزرعة فكملت النعمة بالعنب والتمر والزرع ﴿ **كلتا الجنتين آتت أكلها** ﴾ أي كل واحدة من البستانين آتت غلتها وأخرجت ثمرتها وسمّاه أكلاً لأنه مأكول ﴿ **ولم تظلم منه شيئاً** ﴾ أي لم تنقص منه شيئاً بل أدّته على التمام والكمال كما قال الشاعر :

وَيَـظْلِمُنِي مَـالِي كَـذٰا وَلَـوَىٰ يَـدِي ... لَـوىٰ يَـدَهُ اللهُ ٱلَّـذي هُـوَ غَـالِبُـهْ[1]

أي ينقصني مالي ﴿ **وفجرنا خلالهما نهراً** ﴾ أي شققنـا وسط الجنتين نهراً يسقيهمـا حتى يكون الماء قريباً منهما يصل إليهما من غير كدٍّ وتعب ويكون ثمرهما وزرعهمـا بدوام الماء فيهما أو في وأروى ﴿ **وكان له ثمر** ﴾ قيل أن معناه وكان للنخل الذي فيهما ثمر وقيل معناه وكان للرجل ثمر ملكه من غير جنتيه كما يملك الناس ثماراً لا يملكون أصلها عن ابن عباس وقيل كان لهذا الرجل مع هذين البستانين الذهب والفضة عن مجاهـد وقيل كـان له معهما جميع الأموال عن قتادة وابن عباس في رواية أخرى ﴿ **فقال لصاحبه وهو يحاوره** ﴾ أي فقال الكافر لصاحبه المؤمن وهو يخاطبه ويراجعه في الكلام ﴿ **أنا اكثر منك مـالاً وأعز نفراً** ﴾ أي أعز عشيرة ورهطاً وسمى العشيرة نفراً لأنهم ينفرون معه في حوائجه وقيل معناه أعز خدماً وولداً عن قتادة ومقاتل ﴿ **ودخل جنته وهو ظالم لنفسه** ﴾ أي ودخل الكافر بستانه وهو ظالم لنفسه بكفره وعصيانه ﴿ **قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً** ﴾ أي ما أقدر أن تفنى هذه الجنة وهذه الثمار أبداً وقيل يريد ما أظن هذه الدنيا تفنى أبداً ﴿ **وما أظن الساعة قائمة** ﴾ أي وما أحسب القيامة آتية كائنة على ما يقوله الموحدون ﴿ **ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً** ﴾ معناه ولئن كانت القيامة والبعث حقاً كما يقوله الموحدون لأجدن خيراً من هذه الجنة قال الزجاج وهذا يدل على أن صاحبه المؤمن قد أعلمه أن الساعة تقوم وأنه يبعث فأجابه بأن قال له ولئن رددت إلى ربي أي كما أعطاني هذه في الدنيا سيعطيني في الآخرة أفضل منها لكرامتي عليه ظن الجاهل أنه أوتي ما أوتي لكرامته على الله تعالى وقيل معناه لأكتسبن في الآخرة خيراً من هذه التي اكتسبتها في الدنيا ومن قرأ منهما ردَّ الكناية إلى الجنّتين اللّتين تقدَّم ذكرهما وفي هذا دلالة على أنه لم يكن قاطعاً على نفي المعاد بل كان شاكاً فيه .

---

(١) قائله فرعان بن أعرف التميمي وكان له ابن عاق يقال له منازل وفيه يقول البيت وفي رواية اللسان « تظلم مالي هكذا. اهـ » وفي رواية غيره « تغمط حقي باطلا. اهـ » .

﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ
أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ
رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ
دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ج إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ
مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ
وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾
أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ
بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ
عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن
لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ
ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ج هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾

[القراءة] قرأ ابن عامر وابن فليح والبرجمي ويعقوب لكنا بإثبات الألف في الوصل والوقف وقرأ الباقون لكن بحذف الألف في الوصل وقرأ البخاري لورش بالوجهين بالوصل ولا خلاف في إثبات الألف في الوقف إلا قتيبة فإنه قرأ بغير ألف في الوصل والوقف وفي الشواذ قراءة أبي بن كعب والحسن لكن أنا وقراءة عيسى الثقفي لكن هو الله ربي وقرأ البرجمي عن أبي بكر غُوراً بضم الغين هاهنا وفي الملك وقرأ ولم يكن له فئة بالياء أهل الكوفة غير عاصم والباقون ولم تكن بالتاء وقرأ أبو عمرو الوَلاية بفتح الواو ولله الحقُ بالرفع وقرأ الكسائي الوِلاية بكسر الواو والحقُ بالرفع وقرأ حمزة وخلف الوِلاية بكسر الواو والحقِ بالجر وقرأ الباقون الوَلاية بفتح الواو والحقِ بالجر وقرأ عاصم وحمزة وخلف عقباً ساكنة القاف والباقون بضم القاف .

[**الحجة**] قال الزجاج من قرأ لكنَّ بتشديد النون فهو لكن أنا في الأصل فطرحت الهمزة على النون فتحركت بالفتح فصارت لكنن بنونين مفتوحين فاجتمع الحرفان من جنس واحد فأدغمت النون الأولى في الثانية وحذفت الألف في الوصل لأن ألف أنا تثبت في الوقف وتحذف في الأصل في أجود اللغات نحو أنَ قمت بغير الألف ويجوز أنا قمت بإثبات الألف وهوضعيف جداً ومن قرأ لكنا فأثبت الألف في الوصل فإنه على لغة من قال أنا قمت فأثبت الألف قال الشاعر :

أَنَــا شَيْخُ ٱلعَشِيْــرَةِ فَـاعْــرِفُــونِي حَمِيــداً قَـدْ تَـذَرَّيْتُ ٱلسَّنَــامــا(١)

إلا أن إثبات الألف في لكنا هو الجيد لأن الهمزة قد حذفت من أنا فصار إثبات الألف عوضاً من الهمزة قال أبو علي لا أرى قوله إن إثبات الألف هو الجيد لأنه صار عوضاً من الهمزة كما قال لأن هذه الألف تلحق للوقف مثل الهاء في ماهيه وحسابيه والهاء في مثل هذا الطرف مثل ألف الوصل في ذلك الطرف فكما إن إثبات همزة الوصل في الوصل خطأ كذلك الهاء والألف في الوصل خطأ فلا يلزم أن يثبت عوض من الهمزة المحذوفة ألا ترى أن الهمزة في وَيْلُمِّه قد حذفت حذفاً على غير ما يوجبه قياس التخفيف ولا يعوض منها فأنّ لا يعوض منها في التخفيف القياسي أجدر لأن الهمزة هنا في تقدير الثبات ولولا ذلك لم يحرك حرف اللين في نحو جَيَلْ في جَيْأَلْ ومونة في مؤنة قال وقد تجيء هذه الألف مثبتة في الشعر نحو قول الأعشى :

فَكَيْـفَ أَنَــا وَانتِحَــالِي ٱلقَـوافِيَ بَـعْـدَ الْـمَشِـيبِ كَـفىٰ ذاكَ عَــارا

وقول الآخر أنا شيخ العشيرة « البيت » ولا يكون ذلك مختاراً في القراءة ومن قرأ لكنا في الوصل فإنه يحتمل أمرين (أحدهما) أن يجعل الضمير المتصل مثل المنفصل الذي هو نحن فيدغم النون من لكن لسكونها في النون من علامة الضمير فيكون على هذا لكنا بإثبات الألف وصلاً ووقفاً لا غير ألا ترى أن أحداً لا يحذف الألف من نحو فعلنا وقوله هو من هو الله ربي ضمير الحديث والقصة كما أنه في قوله ﴿ **فإذا هي شاخصة** ﴾ وقوله ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ كذلك والتقدير الأمر الله أحد لأن هذا الضمير يدخل على المبتدأ والخبر فيصير المبتدأ والخبر موضع خبره كما أنه في أنَّ وكأنَّ وظننت وما يدخل على المبتدأ والخبر كذلك وعاد الضمير على الضمير الذي دخلت عليه لكن على المعنى ولو عاد على اللفظ لكان لكنا

(١) سنام كل شيء : أعلاه . وتذريت السنام أي علوته وفرعته .

هو الله ربنا ودخلت لكن مخففة على الضمير كما دخلت في قوله ﴿ إن معكم ﴾ والوجه الآخر أن سيبويه حكى أنه سمع من يقول أعطني ابيضَّهْ فشدَّد والحق الهاء بالتشديد للوقف والهاء مثل الألف في سبسبًا والياء في عيهلّي وأجرى الهاء مجراهما في الإطلاق كما كانت مثلهما في نحو قوله :

صَفِيَّةُ قُومِي وَلَا تَجْزَعِي وَبَكِّي ٱلنِّسَاءَ عَلَىٰ حَمْزَةٍ

فهذا الذي حكاه سيبويه في الكلام وليس في شعر وكذلك الآية يكون الألف فيها كالهاء ولا يكون الهاء للوقف ألا ترى إن الهاء للوقف لا يبين بها المعرب ولا ما ضارع المعرب فعلى أحد هذين الوجهين يكون قول من أثبت الألف في الوصل أو عليهما جميعاً ولو كانت فاصلة لكانت مثل فأضلونا السبيلا ﴿ وأما ﴾ قراءة أبي لكن أنا فهي الأصل في قراءة الجماعة لكن على ما تقدَّم بيانه لأن ألف أنا محذوف في الوصل قال الشاعر:

وَتَرْمِينَنِي بِالْطَرْفِ أَيْ أَنْتَ مُذْنِبٌ وَتَقْلِينَنِي لَكِنَّ إِيَّاكَ لا أَقْلِي

أي لكن أنا وأنا مرفوع بالإبتداء وخبره الجملة المركبة من المبتدأ والخبر التي هي هو الله ربي والعائد على المبتدأ من الجملة الياء في ربي ومن قرأ لَكِنْ هو الله ربي فاعرابه واضح وأما من قرأ غُوراً فيمكن أن يكون غُوراً لغة في غَور وإنما جاز أن يقع المصدر موقع الصفة للمبالغة كما قال الشاعر :

تَظِلُّ جِيَادُهُ نَوْحاً عَلَيْهِ مُقَلَّدَةً أَعِنَّتَهَا صُفُونَا

وأما قوله ولم يكن له فئة بالياء فإن الياء والتاء هنا حسن وأما قوله هنالك الوِلاية لله الحق فقد حكى أبو عبيدة عن أبي عمرو إن الوِلاية هنا لحن لأن الكسر في فعالة يجيء فيما كان صنعة ومعنى متقلداً كالكِتابة والإمارة والخِلافة وما أشبه ذلك وليس هنا معنى تولى أمرٍ إنما هو الولاية من الدين وكذلك التي في الأنفال ما لكم من ولايتهم من شيء وقال بعض أهل اللغة الوَلاية النصر يقال هم أهل وَلاية عليك أي متناصرون عليك والوِلاية ولاية السلطان قال وقد يجوز الفتح في هذه والكسر في تلك كما قالوا الوِكالة والوَكالة والوِصاية والوَصاية بمعنى واحد فعلى هذا يجوز الكسر في الولاية في هذا الموضع ومن كسر القاف من الحقِ فجعله من وصف الله تعالى وصفه بالحق وهو مصدر كما وصفه بالعدل والسلام والمعنى ذو الحق وذو السلام وكذلك الإِلَه معنى ذو العبادة ويدل عليه قوله ﴿ ويعلمون إن الله هو الحق المبين ﴾ ومن رفع الحق جعله صفة للولاية ومعنى وصف الولاية بالحق أنه لا

يشوبها غيره ولا يخاف فيها ما يخاف في سائر الولايات من غير الحق وأما قوله ﴿ عُقْبا ﴾ فإن ما كان على فعل جاز تخفيفه على ما تقدَّم ذكره .

[**اللغة**] أصل الحسبان السهام التي ترمى لتجري في طلق واحد وكأن ذلك من رمي الأساورة وأصل الباب الحساب وإنما يقال لما يرمي به حسبان لأنه يكثر كثرة الحساب قال الزجاج الصعيد الطريق الذي لا نبات فيه والزلق الأرض الملساء المستوية لا نبات فيها ولا شيء وأصل الزلق ما تزلق عنه الإقدام فلا يثبت عليه .

[**الإعراب**] ما شاء الله يحتمل أن يكون ما رفعا وتقديره الأمر ما شاء الله فيكون موصولاً والضمير العائد إليه يكون محذوفاً لطول الكلام ويجوز أن يكون التقدير ما شاء الله كائن ويحتمل أن يكون ما في موضع نصب على معنى الشرط والجزاء ويكون الجواب محذوفاً وتقديره أيُّ شيء شاء الله كان ومثله في حذف الجواب قوله فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض«أن ترن أنا أقل » أقل منصوب بأنه مفعول ثان لترن وأنا إن شئت كان توكيداً أو وصفاً لياء المتكلم وإن شئت كان فصلاً كما تقول كنت أنت القائم يا هذا قاله الزجاج ويجوز رفع أقل وقد قرأ بها عيسى بن عمر فيكون أنا مبتدأ وأقل خبره والجملة في موضع نصب بأن يكون المفعول الثاني لترني وقوله فعسى الفاء جواب قوله أن ترني وثواباً وعقباً منصوبان على التمييز .

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه جواب المؤمن للكافر فقال ﴿ **قال له صاحبه وهو يحاوره** ﴾ أي يخاطبه ويجيبه مكفراً له بما قاله ﴿ **أكفرت بالذي خلقك من تراب** ﴾ يعني أصل الخلقة أي خلق أباكِ من تراب وهو آدم (ع) وقيل لما كانت النطفة خلقها الله سبحانه بمجرى العادة من الغذاء والغذاء ينبت من تراب جاز أن يقول خلقك من تراب ﴿ **ثم من نطفة ثم سواك رجلاً** ﴾ أي نقلك من حال إلى حال حتى جعلك بشراً سوياً معتدل الخلقة والقامة وإنما كفره بإنكاره المعاد وفي هذا دلالة على أن الشك في البعث والنشور كفر ﴿ **لكنا هو الله ربي** ﴾ تقديره لكن أنا أقول هو الله ربي وخالقي ورازقي فإن افتخرت عليَّ بدنياك فإن افتخاري بالتوحيد ﴿ **ولا أشرك بربي أحداً** ﴾ أي لا أشرك بعبادتي إيَّاه أحداً سواه بل أوجهها إليه وحده خالصاً وإنما استحال الشرك في العبادة لأنها لا تستحق إلا بأصول النعم وبالنعمة التي لا يوازنها نعمة منعم وذلك لا يقدر عليه أحد إلا الله تعالى ثم قال ﴿ **ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة لا بالله** ﴾ معناه وقال لصاحبه الكافر هلا حين دخلت بستانك فرأيت تلك الثمار والزرع شكرت لله تعالى وقلت ما شاء الله كان وإني وإن تعبت في جمعه وعمارته

فليس ذلك إلا بقدرة الله وتيسيره ولو شاء لحال بيني وبين ذلك ولنزع البركة عنه فإنه لا يتوى أحد على ما في يديه من النعمة إلا بالله ولا يكون له إلا ما شاء الله ثم رجع إلى نفسه فقال ﴿ **أن ترني أنا أقل منك مالاً وولداً فعسى ربي أن يؤتيني خيراً من جنتك**﴾ معناه إن كنت تراني اليوم فقيراً أقل منك مالاً وعشيرة وأولاداً فلعل الله أن يؤتيني بستاناً خيراً من بستانك في الآخرة أو في الدنيا والآخرة ﴿ **ويرسل عليها حسباناً من السماء** ﴾ أي ويرسل على جنتك عذاباً أو ناراً من السماء فيحرقها عن ابن عباس وقتادة وقيل يرسل عليها عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك عن الزجاج وقيل ويرسل عليها مرامي من عذابه إما برداً وإما حجارة أو غيرهما مما يشاء من أنواع العذاب ﴿ **فتصبح صعيداً زلقاً** ﴾ أي أرضاً مستوية لا نبات عليها تزلق عنها القدم فتصير أضرَّ أرض من بعد أن كانت أُنفع أرض ﴿ **أو يصبح ماؤها غوراً** ﴾ أي غائراً ذاهباً في باطن غامض منقطعاً فيكون أعدم أرض للماء بعد أن كانت أوجد أرض للماء ﴿ **فلن تستطيع له طلباً** ﴾ أي فلن تقدر على طلبه إذا غار ولا يبقى له أثر تطلبه به فلن تستطيع ردَّه قيل معناه فلن تستطيع طلب غير ذلك الماء بدلاً عنه إلى هنا انتهى مناظرة صاحبه وإنذاره ثم قال سبحانه ﴿ **وأحيط بثمره** ﴾ معناه أهلك وأُحيط العذاب بأشجاره ونخيله فهلكت عن آخرها تقول أحيط ببني فلان إذا هلكوا عن آخرهم وأصل الإحاطة إدارة الحائط على الشيء وفي الخبر أن الله عز وجل أرسل عليها ناراً فأهلكها وغار ماؤها ﴿ **فأصبح** ﴾ هذا الكافر ﴿ **يقلب كفيه** ﴾ تأسفاً وتحسراً ﴿ **على ما أنفق فيها** ﴾ من المال وهو أن يضرب يديه واحدة على الأخرى عن ابن عباس وتقليب الكفين يفعله النادم كثيراً فصار عبارة عن الندم ﴿ **وهي خاوية على عروشها** ﴾ أي ساقطة على سقوفها وما عرش لكرومها وذلك أن السقف ينهدم أولاً ثم ينهدم الحائط على السقف وقيل إن العروش الأبنية ومعناه خالية على بيوتها قد ذهب شجرها وبقيت جدرانها لا خير فيها ﴿ **ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحداً**﴾ ندم على الكفر لفناء ماله لا لوجوب الإيمان فلم ينفعه ولو ندم على الكفر فآمن بالله تحقيقاً لانتفع به وقيل إنه ندم على ما كان منه من الشرك بالله تعالى وآمن ﴿ **ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله** ﴾ أي لم يكن لهذا الكافر جماعة يدفعون عذاب الله عنه وقيل الفئة الجند قال العجاج « كما يجوز الفئة الكمي » ﴿ **وما كان منتصراً** ﴾ أي وما كان ممتنعاً عن قتادة قيل معناه وما كان مسترداً بدل ما ذهب عنه قال ابن عباس وهذان الرجلان هما اللذان ذكرهما الله تعالى في سورة الصافات في قوله ﴿ **اني كان لي قرين** ﴾ يقول أئنك لمن المصدقين إلى قوله ﴿ **فاطلع فرآه في سواء الجحيم** ﴾ وروى هشام بن سالم وابان بن عثمان عن الصادق (ع) قال عجبت لمن خاف كيف لا يفزع إلى قوله ﴿ **سبحانه حسبنا الله**

ونعم الوكيل ﴾ فإني سمعت الله يقول بعقبها ﴿ **فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لهم يمسسهم سوء** ﴾ وعجبت لمن اغتمَّ كيف لا يفزع إلى قوله ﴿ **لا إله إلا أنت سبحانك** ﴾ إني كنت من الظالمين فإني سمعت الله سبحانه يقول ﴿ **بعقبها فاستجبنا له ونجيّناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين** ﴾ وعجبت لمن مكر به كيف لا يفزع إلى قوله ﴿ **وأفوّض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد** ﴾ فإني سمعت الله عز وجل يقول بعقبها فوقاه الله سيئات ما مكروا وعجبت لمن أراد الدنيا وزينتها كيف لا يفزع إلى قوله ﴿ **ما شاء الله لا قوة إلا بالله** ﴾ فإني سمعت الله يقول ﴿ **بعقبها** ﴾ فعسى ربي أن يؤتيني خيراً من جنتك وعسى موجبة وقوله ﴿ **هنالك الولاية لله الحق** ﴾ أخبر سبحانه أن في ذلك الموضع وفي ذلك الوقت الذي يتنازع فيه الكافر والمؤمن الولاية بالنصرة والاعزاز لله عز وجل فهو الذي يتولى أمر عباده المؤمنين ويملك النصرة لمن أراد وقيل هنالك إشارة إلى يوم القيامة وتقديره الولاية يوم القيامة لله يريد يومئذ يتولون الله ويؤمنون به ويتبرؤون مما كانوا يعبدون عن القتيبي وقيل معناه هنالك ينصر المؤمنين ويخذل الكافرين فالولاية يومئذ خالصة له لا يملكها أحد من العباد ﴿ **هو خير ثوابا** ﴾ أي هو أفضل ثواباً ممن يرجي ثواباً على تقدير لو كان يثيب غيره لكان هو خير ثواباً ﴿ **وخير عقباً** ﴾ أي عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره فهو خير عقب طاعة ثم حذف المضاف إليه والعقب والعقبى والعاقبة بمعنى .

﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم
مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ
ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ
مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ
خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾ وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى
ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُواْ
عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ

أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويوم تُسَيَّر بضم التاء وفتح الياء الجبالُ رفع والباقون نُسير بالنون وكسر الياء والجبالَ نصب .

[**الحجة**] قال أبو علي حجة من بنى الفعل للمفعول به قوله ﴿ **وسُيِّرت الجبال** ﴾ وقوله ﴿ **وإذا الجبال سيرت** ﴾ ومن قرأ نسير فلأنه أشبه بما بعده من قوله ﴿ **وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً** ﴾ .

[**اللغة**] الهشيم ما يكسر ويحطم من يبس النبات والذر والتذرية تطيير الريح الأشياء الخفيفة في كل جهة يقال ذرته الريح تذروه وذرَّته وأَذْرَتْه وأذريت الرجل عن الدابة إذا ألقيته عنها قال الشاعر :

فَقُلْتُ لَـهُ صَـوِّبْ وَلَا تُـجْهِـدَنَّـهُ فَيـذْرُكَ مِنْ أُخْرىَ القَطَاةِ فَتَـزْلَقِ(١)

والمغادرة الترك ومنه الغدر لأن ترك الوفاء ومنه الغدير لترك الماء فيه والإشفاق الخوف من وقوع مكروه مع تجويز أن لا يقع وأصله الرقة ومنه الشفق الحمرة الرقيقة التي تكون في السماء وشفقة الإنسان على ولده رقته عليه .

[**الإعراب**] صفا نصب على الحال أي مصفوفين . أن لن نجعل أن هذه مخففة من الثقيلة ولن نجعل لكم موعد أخبره وقال قد كتبت في المصحف اللام مفصولة ولا وجه له . لا يغادر في موضع نصب على الحال .

[**المعنى**] ثم أمر سبحانه نبيَّه صلى الله عليه وآله وسلم أن يضرب المثل للدنيا تزهيداً فيها وترغيباً في الآخرة فقال ﴿ **واضرب** ﴾ يا محمد ﴿ **لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من**

---

(١) صوب الفرس : أرسله في الجري . والقطاة : مقعد الرديف من الدابة .

السماء فاختلط به نبات الأرض ﴾ أي نبت بذلك الماء نبات التفّ بعضه ببعض يروق حسناً وغضاضة وهذا مفسر في سورة يونس (ع) ﴿ **فأصبح هشيمـاً** ﴾ أي كسيراً مفتتـاً ﴿ **تذروه الرياح** ﴾ فتنقله من موضع إلى موضع فانقلاب الدنيا كانقلاب هذا النبات ﴿ **وكان الله على كل شيء مقتدراً** ﴾ أي قادراً لا يجوز عليه المنع قـال الحسن أي كان الله مقتـدراً على كل شيء قبل كونه قال الزجاج وتأويله أن ما شاهدتم من قدرته ليس بحادث وأنه كذلك كان لم يزل هذا مذهب سيبويه وقيل إنه إخبار عن الماضي ودلالة على المستقبل وهذا المثل إنما هو للمتكبرين الذين اغترّوا بأموالهم واستنكفوا عن مجالسة فقراء المؤمنين أخبرهم الله سبحانه أن ما كان من الدنيا لا يراد الله سبحانه به فهو كالنبت الحسن على المطر لا مادة له فهو يروق ما خالطه ذلك الماء فإذا إنقطع عنه عاد هشيماً لا ينتفع به ثم قال ﴿ **المال والبنون زينة الحياة الدنيا** ﴾ أي يتفاخر بهما ويتزين بهما في الدنيا ولا ينتفع بهما في الآخرة وإنما سمّاهما زينة لأن في المال جمالاً وفي البنين قوة ودفعاً فصارا زينة الحياة الدنيا وكلاهما لا يبقى للإنسان فينتفع به في الآخرة ﴿ **والباقيات الصالحات** ﴾ وهي الطاعـات لله تعالى وجميـع الحسنات لأن ثوابها يبقى أبداً عن ابن عباس وقتادة ﴿ **خير عند ربك ثواباً وخير أملاً** ﴾ أي أفضل ثواباً وأصدق أملاً من المال والبنين وسائر زهرات الدنيا فإن من الآمال كواذب وهذا أمل لا يكذب لأن من عمل الطاعة وجد ما يأمله عليها من الثواب وقيل إن الباقيات الصالحات هي ما كان يأتي به سلمان وصهيب وفقراء المسلمين وهو سبحان الله والحمد لله ولا إلّه إلا الله والله أكبر عن ابن عباس في رواية عطا ومجاهد وعكرمة وروى أنس بـن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لجلسائه خذوا جُنّتكم قالوا إحذر عدو قـال خذوا جنتكم من النـار قولـوا سبحـان الله والحمد لله ولا إلّـه إلا الله والله أكبـر فـإنهم المقـدمـات وهن المجيبـات وهن المعقبات وهن الباقيات الصالحات ورواه أصحابنا عن أبي عبد الله (ع) عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال ولذكر الله أكبر قال ذكر الله عندما أحل أو حرم وروي عن النبي صلى الله عليـه وآله وسلم أنـه قال إن عجـزتم عن الليل أن تكـابدوه وعن العـدو أن تجاهدوه فـلا تعجزوا عن قـول سبحان الله والحمـد لله ولا إلّه إلا الله والله أكبـر فإنهن من الباقيات الصالحات فقولوهـا وقيل هي الصلوات الخمس عن ابن مسعـود وسعيد بن جبيـر ومسـروق والنخعي وروي ذلك عن أبي عبـد الله (ع) وروي عنه أيضـاً أن من البـاقيـات الصالحات القيام بالليل لصلاة الليل وقيل إن الباقيات الصـالحات هن البنـات الصالحـات والأولى حملها على العموم فيدخل فيها جميع الطاعات والخيرات وفي كتاب ابن عقدة أن أبا عبد الله (ع) قال للحصين بن عبد الرحمن يا حصين لا تستصغر مودّتنا فإنها من الباقيات

الصالحات قال يا ابن رسول الله ما استصغرها ولكن أحمد الله عليها وإنما سميت الطاعات صالحات لأنها أصلح الأعمال للمكلف من حيث أمر بها ووعد الثواب عليها وتوعد بالعقاب على تركها ﴿ **ويوم نسير الجبال** ﴾ قيل إنه يتعلق بما قبله وتقديره والباقيات الصالحات خير ثواباً في هذا اليوم وقيل أنه إبتداء كلام وتقديره واذكر يوم نسير الجبال يعني يوم القيامة ، وتسيير الجبال قلعها عن أماكنها فإن الله سبحانه يقلعها ويجعلها هباء منثوراً وقيل نسيرها على وجه الأرض كما تسير السحاب في السماء ثم يجعلها كثيباً مهيلاً كما قال ﴿ **يوم ترجف الأرض والجبال** ﴾ الآية ثم يصيرها كالعهن المنفوش ثم يصيرها هباء منبثاً في الهواء كما قال وبسَّت الجبال بسّاً فكانت هباء منبثاً ثم يصيرها بمنزلة السراب كما قال وسيرت الجبال فكانت سراباً ﴿ **وترى الأرض بارزة** ﴾ أي ظاهرة ليس عليها شيء من جبل أو بناء أو شجر يسترها عن عيون الناظرين وقيل إن معناه وترى باطن الأرض ظاهراً قد برز من كان في بطنها فصاروا على ظهرها عن عطا وتقديره وترى ما في الأرض بارزاً فهو مثل قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ترمي الأرض بأفلاذ كبدها ﴿ **وحشرناهم** ﴾ أي وبعثناهم من قبورهم وجمعناهم في الموقف ﴿ **فلم نغادر منهم أحداً** ﴾ أي فلم نترك منهم أحداً إلّا حشرناه ﴿ **وعرضوا على ربك** ﴾ يعني المحشورين يعرضون على لله تعالى يوم القيامة ﴿ **صفاً** ﴾ أي مصفوفين كل زمرة وأمة صفاً وقيل يعرضون صفاً بعد صف كالصفوف في الصلاة وقيل يعرضون صفاً واحداً لا يحجب بعضهم بعضاً ويقال لهم ﴿ **لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة** ﴾ معناه لقد جئتمونا ضعفاء فقراء عاجزين في الموضع الذي لا يملك فيه الحكم غيرنا كما كنتم في ابتداء الخلق لا تملكون شيئاً وقيل معناه ليس معكم شيء مما اكتسبتموه في الدنيا من الأموال والأولاد والخدم تنتفعون به كما كنتم في أول الخلق وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال يحشر الناس من قبورهم يوم القيامة حفاة عراة غُرْلاً(١) فقالت عائشة يا رسول الله أما يستحي بعضهم من بعض فقال ﷺ لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه ﴿ **بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً** ﴾ أي ويقال لهم أيضاً بل زعمتم في دار الدنيا أن الله لم يجعل لكم موعداً للبعث والجزاء والحساب يوم القيامة ﴿ **ووضع الكتاب** ﴾ أي ووضع الكتب فإن الكتاب إسم جنس والمعنى ووضعت صحائف بني آدم في أيديهم وقيل معناه ووضع الحساب فعبَّر عن الحساب بالكتاب لأنهم يحاسبون على أعمالهم المكتوبة عن الكلبي ﴿ **فترى المجرمين مشفقين مما فيه** ﴾ أي خائفين مما فيه من الأعمال السيئة ﴿ **ويقولون يا ويلتنا** ﴾ هذه لفظة يقولها الإنسان إذا وقع

(١) الغرل جمع الأغرل : الأقلف .

في شدة فيدعو على نفسه بالويل والثبور ﴿ ما لهذا الكتاب ﴾ أي أيُّ شيء لهذا الكتاب ﴿ لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴾ أي لا يترك صغيرة من الذنوب ولا كبيرة إلا عدَّها وأثبتها وحواها وقد مرَّ تفسير الصغيرة والكبيرة في سورة النساء وأنث الصغيرة والكبيرة بمعنى الفعلة والخصلة ﴿ ووجدوا ما عملوا حاضراً ﴾ أي مكتوباً في الكتاب مثبتاً وقيل معناه وجدوا جزاء ما عملوا حاضراً فجعل وجود الجزاء كوجود الأعمال توسعاً ﴿ ولا يظلم ربك أحداً ﴾ معناه ولا ينقص ربك ثواب محسن ولا يزيد في عقاب مسيء وفي هذا دلالة على أنه سبحانه لا يعاقب الأطفال لأنه إذا كان لا يزيد في عقوبة المذنب فكيف يعاقب من ليس بمذنب .

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾

[**القراءة**] قرأ أبو جعفر ما أشهدناهم بالنون على التعظيم والباقون ما أشهدتهم بالتاء وقرأ حمزة ويوم نقول بالنون والباقون بالياء .

[**الحجة**] من قرأ نقول بالنون حمله على ما تقدم في المعنى فكما ان كنت للمتكلم فكذلك نقول ومن قرأ بالياء فحجته ان الكلام قد انقضى فالمعنى ويوم يقول الله نادوا شركائي وهذا يقوي القراءة بالياء لأنه لو كانت بالنون لكان الاشبه ان يقول نادوا شركاءنا .

[**اللغة**] الفسق الخروج إلى حال تضر يقال فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها

وفسقت الفأرة إذا خرجت من حجرها قال رؤبة :

يَـهْـوِيـنَ فِـي نَـجْـدٍ وَغَـوْراً غـائـراً   فَـواسِـقـاً عَـنْ قَـصْـدِهـا جَـوائِـرا

قال أبو عبيدة هذه التسمية لم نسمعها في شيء من أشعار الجاهلية ولا أحاديثها وإنما تكلم بها العرب بعد نزول القرآن وقال المبرد الأمر على ما ذكره أبو عبيدة وهي كلمة فصيحة على السنة العرب وقال قطرب فسق عن أمر ربه أي عن رد أمر به كقولهم كسوته عن عرى وأطعمته عن جوع والعضد ما بين المرفق إلى الكتف وفيه خمس لغات عضُد وعَضَد وعَضِد وعُضُد وعَضْد وعَضَدْتُ فلاناً أَعَنْتُه وفلان عضدي استعارة واعتضد به اي استعان. قال ثعلب كل شيء حال بين شيئين فهو موبق من وبق يبق وبوقاً إذا هلك وحكى الزجاج وبق الرجل يوبق وبقاً .

[**الإعراب**] بئس للظالمين بدلاً اسم بئس مضمر فُسِّر بقوله بدلاً وقوله للظالمين فصّل بين بئس وبين ما انتصب على التمييز والتقدير بئس البدل للظالمين ذرية ابليس فذرية ابليس هو المخصص بالذم عن أبي علي الفارسي .

[**المعنى**] ثم أمر سبحانه نبيَّه ﷺ أن يُذكّر هؤلاء المتكبرين عن مجالسة الفقراء قصة إبليس وما أورثه الكبر فقال ﴿**وإذ قلنا**﴾ أي واذكر يا محمد إذ قلنا ﴿**للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس**﴾ قد مرَّ تفسيره فيما تقدَّم وإنما تقرر هذا القول في القرآن لأجل ما بعده مما يحتاج اتصاله به فهو كالمعنى الذي يفيد امراً في مواضع كثيرة للاخبار عنه بأخبار مختلفة وقوله ﴿**كان من الجن**﴾ من قال ان ابليس لم يكن من الملائكة استدلَّ بهذا لأن الجن غير الملائكة كما أنهم غير الإنس ومن قال انه كان من الملائكة قال ان المعنى كان من الذين يستترون عن الأبصار مأخوذ من الجن وهو الستر وقيل كان من قبيل من الملائكة يقال لهم الجن كانوا خزان الجنان فأضيفوا اليها كقولك كوفي بصري وضعف الأولون هذين الوجهين لأن لفظ الجن إذا أطلق فالمفهوم منه هذا الجنس المعروف لا الملائكة ﴿**ففسق عن أمر ربه**﴾ أي خرج عن طاعة ربه ثم خاطب الله سبحانه المشركين فقال ﴿**أفتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو**﴾ معناه أفتتبعون أمر إبليس وأمر ذريته وتتخذونهم أولياء تتولونهم بالطاعة من دوني وهم جميعاً أعداءٌ لكم والعاقل حقيق بأن يتَّهم عدوَّه على نفسه وهذا استفهام بمعنى الانكار والتوبيخ قال مجاهد ذريته الشياطين وقال الحسن الجن من ذريته ﴿**بئس للظالمين بدلاً**﴾ تقديره بئس البدل للظالمين بدلاً ومعناه بئس ما استبدلوا بعبادة

ربهم إذا أطاعوا إبليس عن الحسن وقيل بئس البدل طاعة الشيطان عن طاعة الرحمن عن قتادة ﴿ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم﴾ أي ما أحضرت ابليس وذريته خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم مستعيناً بهم على ذلك ولا استعنت ببعضهم على خلق بعض وهذا اخبار عن كمال قدرته واستغنائه عن الأنصار والأعوان ويدل عليه قوله ﴿وما كنت متخذ المضلين عضداً﴾ أي الشياطين الذين يضلون الناس أعواناً يعضدونني عليه وكثيراً ما يستعمل العضد بمعنى العون وإنما وحده هنا لوفاق الفواصل وقيل ان معنى الآية انكم اتبعتم الشيطان كما يتبع من يكون عنده علم لا ينال إلا من جهته وانا ما اطلعتهم على خلق السماوات والأرض ولا على خلق أنفسهم ولم اعطهم العلم بأنه كيف تخلق الأشياء فمن أين تتبعونهم وقيل معناه ما أحضرت مشركي العرب وهؤلاء الكفار خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم أي وما احضرت بعضهم خلق بعض بل لم يكونوا موجودين فخلقتهم فمن أين قالوا ان الملائكة بنات الله ومن اين ادَّعوا ذلك ﴿ويوم يقول﴾ يريد يوم القيامة يقول الله للمشركين وعبدة الأصنام ﴿نادوا شركائي الذين زعمتم﴾ في الدنيا انهم شركائي ليدفعوا عنكم العذاب ﴿فدعوهم﴾ يعني المشركين يدعون أولئك الشركاء الذين عبدوهم مع الله ﴿فلم يستجيبوا لهم﴾ أي فلا يستجيبون لهم ولا ينفعونهم شيئاً ﴿وجعلنا بينهم﴾ أي بين المؤمنين والكافرين ﴿موبقاً﴾ وهو اسم واد عميق فرَّق الله به سبحانه بين أهل الهدى وأهل الضلالة عن مجاهد وقتادة وقيل بين المعبودين وعبدتهم موبقاً أي حاجزاً عن ابن الاعرابي أي فأدخلنا من كانوا يزعمون أنهم معبودهم مثل الملائكة والمسيح والجنة وأدخلنا الكفار النار وقيل معناه جعلنا تواصلهم في الدنيا موبقاً أي مهلكاً لهم في الآخرة عن الفراء وروي ذلك عن قتادة وابن عباس فالبين على هذا القول معناه التواصل والمعنى ان تواصلهم وتوادهم في الكفر صار سبب هلاكهم في الآخرة وقيل موبقاً عداوة عن الحسن فكأنه قال عداوة مهلكة وروي عن انس بن مالك انه قال الموبق واد في جهنم من قيح ودم .

[**النظم**] وجه اتصال قوله﴿ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض﴾ بما قبله أنه يتصل اتصال الحجة التي تكشف حيرة الشبهة لأنه بمنزلة أن يقال انكم قد أقبلتم على اتباع ابليس وذريته وتركتم أمر الله تعالى مع كثرة الحجج ولو أشهدتهم خلق السماوات والأرض لم يزيدوا على ما فعلتم من اتباعهم وقيل انه سبحانه بيَّن بذلك انه المتفرد بالخلق والاختراع لا شريك له فيه فلا ينبغي ان تشركوا معه في العبادة غيره او تدعوا غيره إلَهاً .

﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا
وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ
مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ
ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن
تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ
ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ
لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة قُبُلا بضمتين والباقون قِبَلاً .

[**الحجة**] قد ذكرنا الوجه في سورة الأنعام(١) .

[**اللغة**] المواقعة ملابسة الشيء بشدة ومنه وقائع الحروب وأوقع به ايقاعاً والتوقع الترقب لوقوع الشيء والمصرف المَعْدِل قال أبو كثير

أَزُهَيْرُ هَلْ عَنْ شَيْبَةٍ مِنْ مَصْرِفٍ ... أَمْ لا خُلُودَ لِبَاذِلٍ مُتَكَلِّفِ

والتصريف تنقيل المعنى في الجهات المختلفة والادحاض الاذهاب بالشيء إلى الهلاك ومكان دحض أي مزلق مزل لا يثبت عليه خف ولا حافر ولا قدم قال « وَحَادَ كَمَا حَادَ البَعِيرُ عَنِ الدَّحْضِ »(٢) .

[**الإعراب**] أن يؤمنوا في موضع نصب والمعنى ما منع الناس من الإيمان إلا طلب أن يأتيهم فيكون أن يأتيهم في موضع رفع وما أنذروا في موضع نصب عطفاً على آياتي وهزواً هو المفعول الثاني لاتّخذوا.

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه حال المجرمين فقال **﴿ورأى المجرمون النار﴾** يعني

---

(١) راجع ج ٢ من هذه الطبعة .

(٢) هذا عجز بيت قاله طرفة وقبله « رديت ونجى اليشكري حذاره » .

المشركين رأوا النار وهي تتلظى حنقاً عليهم عن ابن عباس وقيل هو عام في أصحاب الكبائر **﴿فظنُّوا أنهم مواقعوها﴾** أي علموا انهم داخلون فيها واقعون في عذابها **﴿ولم يجدوا عنها مصرفاً﴾** أي مَعْدِلاً وموضعاً ينصرفون اليه ليتخلصوا منها **﴿ولقد صرفنا﴾** أي بيَّنا **﴿في هذا القرآن للناس من كل مثل﴾** وتصريفها ترديدها من نوع واحد وأنواع مختلفة ليتفكروا فيها وقد مرَّ تفسيره في بني إسرائيل **﴿وكان الإنسان اكثر شيء جدلاً﴾** يريد بالإنسان النضر بن الحارث عن ابن عباس ويريد أبي بن خلف عن الكلبي وقال الزجاج معناه وكأن الكافر يدل عليه قوله ويجادل الذين كفروا بالباطل **﴿وما منع الناس ان يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم﴾** معناه ما منعهم من الإيمان بعد مجيء الدلالة ومن أن يستغفروا ربهم على ما سبق من معاصيهم **﴿إلا أن تأتيهم سنة الأولين﴾** أي إلا طلب ان تأتيهم العادة في الأولين من عذاب الاستئصال حيث آتاهم العذاب من حيث لا يشعرون حين امتنعوا من قبول الهدى والإيمان **﴿أو يأتيهم العذاب قبلاً﴾** أو طلب أن يأتيهم العذاب عياناً مقابلة من حيث يرونه وتأويله انهم بامتناعهم من الإيمان بمنزلة من يطلب هذا حتى يؤمنوا كرهاً لأنهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم وهذا كما يقول القائل لغيره ما منعك ان تقبل قولي إلا أن تضرب على أن المشركين قد طلبوا مثل ذلك فقالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ومن قرأ قِبلاً فهو في معنى الأول ويجوز أن يكون أيضاً جمع قبيل وهو الجماعة أي يأتيهم العذاب ضروباً من كل جهة ثم بيَّن سبحانه انه قد أزاح العلة وأظهر الحجة وأوضح المحجة فقال **﴿ وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين﴾** أي لم نرسل الرسل إلى الخلق الا مبشرين لهم بالجنة إذا أطاعوا أو مخوفين لهم بالنار إذا عصوا **﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل﴾** أي ويناظر الكفار دفعاً عن مذاهبهم بالباطل **﴿ليدحضوا به الحق﴾** أي ليزيلوا الحق عن قراره قال ابن عباس يريد المستهزئين والمقتسمين واتباعهم وجدالهم بالباطل انهم الزموه أن يأتي بالآيات على أهوائهم على ما كانوا يقترحونه ليبطلوا به ما جاء به محمد ﷺ يقال ادحضت حجته أي أبطلتها **﴿واتخذوا آياتي﴾** يعني القرآن **﴿وما أنذروا﴾** أي ما تخوفوا به من البعث والنار **﴿هزواً﴾** مهزواً به استهزؤوا به .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن

تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾

[**القراءة**] قرأ حفص عن عاصم لمَهلِكهم بفتح الميم وكسر اللام وكذلك في النمل وما شهدنا مَهْلِك وقرأ حماد ويحيى عن أبي بكر بفتح الميم واللام وقرأ الأعشى والبرجمي عنه هاهنا بالضم وهناك بالفتح وقرأ الباقون لمُهلَكهم ومُهلَك بضم الميم وفتح اللام .

[**الحجة**] من قرأ لمُهْلَكهم فإن المُهْلَك يجوز أن يكون مصدراً ويجوز أن يكون وقتاً فيكون معناه لاهلاكهم او لوقت اهلاكهم ومن قرأ لمَهْلِكِهم فالمراد لوقت هلاكهم ومن قرأ بفتح الميم واللام فهو مصدر مثل الهلاك وقد حكي ان تميماً يقول هلكني زيد وعلى هذا حمل بعضهم قوله « ومَهْمَهٍ هٰالِكِ مَنْ تَعَرَّجا »[1] فقال هو بمعنى مَهْلِك فيكون هالك مضافاً الى المفعول به واذا لم يكن بمعنى مهلك يكون هالك مضافاً الى الفاعل مثل حسن الوجه وكذلك قوله لمَهْلِكهم على قراءة حفص أو لَمَهْلَكهم بفتح اللام والميم فأنه مصدر فعلى قول من عدّى هلكت يكون مضافاً الى المفعول به وعلى قول من لم يعدّه يكون مضافاً الى الفاعل .

[**الإعراب**] تلك القرى تلك رفع بالابتداء والقرى صفة لها مبينة لها وأهلكناهم في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ ويجوز أن يكون موضع تلك القرى نصباً بفعل مضمر يكون أهلكناهم مفسّراً لذلك الفعل وتقديره وأهلكنا تلك القرى أهلكناهم .

[**المعنى**] ثم قال سبحانه ﴿ **ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها** ﴾ معناه ليس احد أظلم لنفسه ممن ذكر أي وعظ بالقرآن وآياته ونبّه على أدلة التوحيد فأعرض عنها جانباً ﴿**ونسي ما قدّمت يداه**﴾ أي نسي المعاصي التي استحق بها العقاب وقيل معناه تذكر واشتغل عنه استخفافاً به وقلة معرفة بعاقبته لانه نسي ذلك ثم قال سبحانه ﴿**إنا جعلنا على قلوبهم**

(١) هذا صدر بيت قاله العجاج وبعده « هائلة أهواله من أدلجا » والمه مه : المفازة البعيدة. وحكى عن **الأصمعي** في قوله هالك من تعرجا اي هالك المتعرجين ان لم يهذبوا في السير أي من تعرض فيه هلك .

اكنة﴾ وهي جمع كنان ﴿أن يفقهوه﴾ أي كراهة أن يفقهوه او لئلا يفقهوه ﴿وفي آذانهم وقرا﴾ أي ثقلاً وقد تقدَّم بيان هذا فيما مضى وجملته انه على التمثيل كما قال في موضع آخر وإذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً فالمعنى كأنَّ على قلوبهم أكنة ان يفقـه وفي آذانهم وقراً ان يسمـع ﴿وإن تدعهم الى الهـدى فلن يهتدوا إذاً أبـداً﴾ أخبر سبحانه أنهم لا يؤمنون ابداً وقد خرج مخبره موافقاً لخبره فماتوا على كفرهم ﴿وربك الغفور ذو الرحمة﴾ معناه وربك الساتر على عباده الغافر لذنوب المؤمنين ذو النعمة والافضال على خلقه وقيل الغفور التائب ذو الرحمة للمصرٌ بأن يمهل ولا يعجل وقيـل الغفور لا يؤاخـذهم عاجلاً ذو الرحمة يؤخّرهم ليتوبوا ﴿ لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجَّل لهم العذاب ﴾ في الدنيا ﴿بل لهم موعد﴾ وهو يوم القيامة والبعث ﴿لن يجدوا من دونـه موئـلاً﴾ أي ملجأ عن ابن عباس وقتادة وقيل محرزاً عن مجاهد وقيل منجا ينجيهم عن أبي عبيد قال يقال لا وَأَلَتْ نفسه أي لا نَجَتْ قال الأعشى

وَقَـدْ أُخَـالِسُ رَبَّ الْـبَيْـتِ غَـفْـلَتَـهُ وَقَـدْ يُـحَـاذِرُ مِـنّـي ثُـمَّ لا يَئِـلُ

وقال الآخر

لا وَأَلَـتْ نَـفْـسُـكَ خَـلَّيْـتَـهـا لِلْعَـامِـرِيّـيـنَ وَلَـمْ تُـكْـلَـمِ(١)

﴿وتلك القرى﴾ إشارة إلى قرى عاد وثمود وغيرهم ﴿أهلكناهم لما ظلموا﴾ بتكذيب أنبياء الله وجحود آياته ﴿وجعلنا لمهلكهم﴾ أي وجعلنا لـوقت إهلاكهم أو لـوقت هلاكهم ﴿موعداً﴾ معلوماً يهلكون فيه لمصلحة اقتضت تأخيره اليه وإنما قال سبحانه تلك القرى ثم قال اهلكناهم ولم يقل أهلكناها لأن القرية هي المسكن نحو المدينة والبلدة وهي لا تستحق الهلاك وإنما يستحق الهلاك اهلها ولذلك قال لما ظلموا يعني أهل القـرية الذين أهلكناهم .

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا

(١) كلمه كلما : جرحه .

جَاوَزَا قَالَ لِفَتَنٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَـٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾

[**القراءة**] قرأ حفص وما انسانيهُ بضم الهاء وفي الفتح بما عاهد عليه الله بضم الهاء والباقون بكسر الهاء من غير بلوغ الياء إلا ابن كثير فإنه يثبت الياء في الوصل وقد تقدَّم القول في وجه ذلك .

[**اللغة**] لا أبرح أي لا أزال ولو كان معناه لا أزول كان محالاً لأنه إذا لم يزل من مكانه لم يقطع ارضاً قال الشاعر

وَأَبْـرَحُ مَـا أدامَ الـلَّهُ قَـوْمِـي رَخِيُّ الْبَـالِ مُنْتَـطِقـاً مُـجِيـداً(١)

أي لا أزال والحقب الدهر والزمان وجمعه احقاب قال الزجاج والحقب ثمانـون سنة والسَرب المسلك والمذهب ومعناه في اللغة المحفور في الأرض لا نفاذ لـه ويقال للذاهب في الأرض سارب قال الشاعر

أَنَّـى سَـرَبْـتِ وَكُـنْـتِ غَـيْـرَ سَـرُوبٍ وَتَـقَـرُّبُ الأَحْـلامِ غَـيْـرُ قَـرِيـبِ(٢)

والنصب والوصب والتعب نظائر وهو الوهن الذي يكون على الكدّ .

[**الإعراب**] سرباً منصوب على وجهين أحدهما ان يكون مفعولاً ثانياً لاتخذكما يقال اتخذت طريقي مكان كذا واتخذت طريقي في السرب والآخر أن يكـون مصدراً يـدل عليه اتخذ سبيله في البحر فكأنه قال فسرب الحوت سرباً وقوله ان اذكره في موضع نصب بدل من الهاء في انسانيـه والمعنى وما انسـاني ان أذكره الا الشيـطان وعجباً منصـوب على وجهين (أحدهما) ان يكون على قول يوشع اتخـذ الحوت سبيله في البحـر عجباً (والآخـر) ان يكون قال يوشع واتخذ سبيله في البحر فأجابه موسى (ع) فقـال عجباً فكـأنه قـال اعجب

(١) قائله خداش بن زهير وفي رواية الاشموني « بحمد الله منتطقا ا هـ ». ومنتطقاً اي لا يزال يجنب فرسه الجواد من قولهم جاء فلان منتطقاً فرسه: اذا جنبه ولم يركبه وقيل: اراد انه لا يزال ينطق القول .

عجباً وقصصاً ووضع موضع الحال تقديره يقصان الاثر قصصاً والقصص اتباع الأثر وقال احد المحققين عجباً في موضع حال تقديره قال ذلك متعجباً وقصصاً مصـدر لفعـل مضمـر يدل عليه قـوله فارتدا على آثارهما فإن معناه فاقتصا الأثر .

[النزول] ذكر علي بن إبراهيم في تفسيره قال لما أخبر رسول الله ﷺ قـريشاً بخبـر أصحاب الكهف قالوا أخبرنا عن العالم الذي أمر الله موسى (ع) ان يتبعه من هو كيف تبعه وما قصته فأنزل الله تعالى

[المعنى] **﴿وإذ قال موسى لفتاه﴾** أكثر المفسرين على أنه مـوسى بن عمران وفتـاه يوشع بن نون وسماه فتاه لأنه صَحَبه ولازمه سفراً وحضراً للتعلم منه وقيل لأنه كان يخـدمه ولهذا قال له آتنا غداءنا وهو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب وقال محمد بن اسحاق يقول أهل الكتاب إن موسى الذي طلب الخضر هو موسى بن ميشا بن يوسف وكان نبياً في بني إسرائيل قبل موسى بن عمران إلا أن الذي عليه الجمهور أنه موسى بن عمران ولأن اطلاقه يوجب صرفه إلى موسى بن عمران كما ان اطلاق محمد ﷺ ينصرف الى نبينا ﷺ قـال علي بـن ابراهيم حـدثني محمد بن علي بن بـلال قال اختلف يـونس وهشـام بن إبراهيم في العالم الذي أتاه موسى أيهما كان أعلم وهل يجوز أن يكون على موسى حجة في وقته وهو حجة الله على خلقه فكتبوا الى أبي الحسن الرضا ع) يسألونه عن ذلك فكتب في الجواب أتى موسى العالم فأصابه في جزيرة من جزائر البحر فسلَّم عليه موسى فأنكر السلام إذ كان بأرض ليس بها سلام قال من انت قال انا موسى بن عمران قال أنت موسى بن عمران الذي كلّمه الله تكليماً قال نعم قال فما حاجتك قال جئت لتعلمني مما علمت رشداً قال اني وكلت بأمر لا تطيقه ووكلت بأمر لا أطيقه الخبر بطوله **﴿لا أبرح حتى ابلغ مجمع البحرين﴾** معناه لا ازال امضي وامشي ولا أسلك طريقاً آخر حتى أبلغ ملتقى البحرين بحر فارس وبحر الروم ومما يلي المغرب بحر الروم ومما يلي المشرق بحر فارس عن قتادة وقـال محمد بن كعب هو طنجة وروي عنه افريقية وكان وعد ان يلقى عنده الخضـر **﴿أو أمضي حقباً﴾** أي دهراً عن ابن عبّاس وقيل سبعين سنة عن مجاهد وقيل ثمانين سنة عن عبد الله بن عمر **﴿فلما بلغا مجمع بينهما﴾** أي فلما بلغ الموضع الذي يجتمع فيه رأس البحرين **﴿نسيا حوتهما﴾** أي تركاه وقيل أنّه ضلَّ الحوت عنهما حين اتخذ سبيله في البحر سرباً فسمي ضلاله عنهمـا نسياناً منهما له وقيل انه من النسيان والناسي له كان أحدهما وهو يوشـع ، فأضيف النسيـان اليهما كما يقال نسي القوم زادهم إذا نسيه متعهد امرهم وقيل ان النسيان وجد منهما جميعاً

فإن يوشع نسي أن يحمل الحوت او ان يذكر موسى ما قد رأى من امره ونسي موسى ان يأمره فيه بشيء فصار كل واحد منهما ناسياً لغيره ما نسيه الآخر وقوله ﴿**فاتخذ سبيله في البحر سرباً**﴾ أي فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكاً يذهب فيه وذلك ان موسى وفتاه تزودا حوتاً مملوحاً عن ابن عباس وقيل حوتاً طرياً عن الحسن ثم انطلقا يمشيان على شاطىء البحر حتى انتهيا الى صخرة على ساحل البحر فأويا إليها وعنده عين ماء تسمى عين الحياة فجلس يوشع بن نون وتوضأ من تلك العين فانتضح على الحوت شيء من ذلك الماء فعاش ووثب في الماء وجعل يضرب بذنبه الماء فكان لا يسلك طريقاً في البحر إلا صار الماء جامداً فذلك معنى قوله فاتخذ سبيله في البحر سرباً ﴿**فلما جاوزا**﴾ ذلك المكان ﴿**قال**﴾ موسى ﴿**لفتاه آتنا غداءنا**﴾ قيل أنهما انطلقا بقية يومهما وليلتهما فلما كان من الغد قال موسى ليوشع آتنا غداءنا أي اعطنا ما نتغدى به والغداء طعام الغداة والعشاء طعام العشي والانسان الى الغداء اشدُّ حاجة منه إلى العشاء ﴿**لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً**﴾ أي تعباً وشدة قالوا ان الله تعالى القى على موسى الجوع ليتذكر حديث الحوت ﴿**قال**﴾ له يوشع عند ذلك ﴿**أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت**﴾ ومعناه ان يوشع تذكر قصة الحوت لما دعا موسى بالطعام ليأكل فقال له أرأيت حين رجعنا إلى الصخرة ونزلنا هناك فإني تركت الحوت وفقدته وقيل نسيته ونسيت حديثه وقيل فيه اضمار اي نسيت أن أذكر لك امر الحوت ثم اعتذر فقال ﴿**وما انسانيه إلا الشيطان ان أذكره**﴾ وذلك أنه لو ذكر لموسى (ع) قصة الحوت عند الصخرة لما جاوزها موسى ولما ناله النصب الذي اشكاه ولم يلق في سفره النصب إلا يومئذ ﴿**واتخذ سبيله في البحر عجباً**﴾ أي سبيلاً عجباً وهو أن الماء انجاب عنه وبقي كالكوة لم يلتئم وقيل ان كلام يوشع قد انقطع عند قوله واتخذ سبيله في البحر فقال موسى عند ذلك عجباً كيف كان ذاك وقيل ان معناه واتخذ موسى سبيل الحوت في البحر عجباً عن ابن عباس والمعنى دخل موسى الكوة على أثر الحوت فإذا هو بالخضر ﴿**قال ذلك ما كنا نبغ**﴾ قال موسى (ع) ذلك ما كنا نطلب من العلامة ﴿**فارتدا على آثارهما**﴾ أي رجعا وعادا عودهما على بدئهما في الطريق الذي جاءا منه يقصان آثارهما ﴿**قصصاً**﴾ أي ويتبعانها ويوشع أمام موسى (ع) حتى انتهيا إلى مدخل الحوت .

[**القصة**] سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اخبرني أبي ابن كعب قال خطبنا رسول الله ﷺ فقال ان موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسُئل أيُّ الناس اعلم قال انا فعتب الله عليه إذا لم يردَّ العلم اليه فأوحى الله إليه انَّ لي عبداً بمجمع البحرين هو اعلم منك قال

موسى يا رب فكيف لي به قال تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكتل[١] ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر واتخذ سبيله في البحر سرباً وامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمر الله تعالى به فقال فتاه أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة الآية قال وكان للحوت سرباً ولموسى ولفتاه عجباً فقال موسى ذلك ما كنا نبغ الآية قال رجعا يقصّان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة فوجدا رجلاً مسجى بثوب فسلَّم عليه موسى فقال الخضر وأنى بارضك السلام قال انا موسى قال موسى بني إسرائيل قال نعم أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً قال انك لن تستطيع معي صبراً يا موسى اني على علم من علم الله لا تعلمه علمنيه وانت على علم من علم الله علمك لا أعلمه انا فقال له موسى ستجدني إن شاء الله صابراً. لا أعصي لك أمراً فقال له الخضر فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكراً فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة وكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير قول فلما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من الواح السفينة بالقدوم[٢] فقال له موسى قوم قد حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئاً أمراً قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبراً قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسراً قال وقال رسول الله ﷺ كانت الأولى من موسى (ع) نسيانا وقال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذا أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه بيده فأقلعه فقتله فقال له موسى أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً قال ألم اقل لك انك لن تستطيع معي صبراً قال وهذه أشدّ من الأولى قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني إلى قوله يريد ان ينقض كان مائلاً فقال الخضر (ع) بيده فأقامه فقال موسى (ع) قوم قد أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه اجراً قال هذا فراق بيني وبينك فقال رسول الله ﷺ وددنا ان موسى كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما قال سعيد بن جبير كان ابن عباس يقرأ وكان امامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً وكان يقرأ

(١) المكتل: الزنبيل يجعل فيه التمر وغيره.

(٢) القدوم: آلة النجر والنحت.

واما الغلام فكان كافراً وكان ابواه مؤمنين رواه البخاري ومسلم في الصحيحين وروى اصحابنا عن أبي عبد الله (ع) أيضاً انه كان يقرأ كل سفينة صالحة غصبا وروي ذلك أيضاً عن أبي جعفر قال وهي قراءة امير المؤمنين (ع).

﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَـٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ * قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾

[القراءة] قرأ أبو عمرو ويعقوب رَشَداً بالفتح والباقون رُشْداً بضم الراء وسكون الشين وقرأ فلا تسألني مشددة النون مدني شامي والباقون خفيفة النون ولم يخالفوا في إثبات الياء فيه وصلا ووقفا لأنها مثبتة في جميع المصاحف وقرأ ليَغرَق بفتح الياء والراء اهلُها بالرفع كوفي غير عاصم والباقون لتُغرق بضم التاء أهلَها بالنصب وقرأ زكية بغير الف كوفي وشامي

وسهل والباقون زاكية وقرأ نُكُراً بضمتين مدني غير اسماعيل وأبو بكر ويعقـوب وسهل وابن ذكوان والباقون نُكْراً ساكنة الكاف.

[**الحجة**] قال ابو علي الرَشَد والرُشد لغتان وقد اجرى العرب كل واحد منهما مجرى الآخر فقالوا أَسَد وأُسْد وخَشَب وخُشْب فجمعوا فَعَلا على فُعُل ثم فُعُلاَ أيضاً على فُعْل وذلك قوله والفلك التي تجري في البحر وفي آية أُخرى في الفلك المشحون فهذا يدلك على أنهم أجروهما مجرى واحد ومن قرأ فلا تسألنّي بالتشديد فإنه لما ادخل النون الثقيلة بني الفعل معها على الفتح قال والقراءة بالتاء في لتَغرق اولى ليكون الفعل مسنداً إلى المخاطب كما كان المعطوف عليه كذلك وهو اخرقتها وهذا يأتي في معنى الياء أيضاً لأنهم إذا اغرقهم غرقوا وقوله نكراً فعل وهو من امثلة الصفات قالوا ناقة أُجُد ومشية سُجُح فمن خفف ذلك كما يخفف نحو العنق والطنب والشغل فالتخفيف فيه مستمر.

[**اللغة**] الإمر الداهية العظيمة قال الشاعر:

لَقَدْ لَقِي الأَقْرانُ مِنّي نُكْراً داهِيَةً دَهْياءَ إدّاً إمْراً[1]

وهو مأخوذ من الأمر لأنه الفاسد الذي يحتاج أن يؤمر بتركه إلى الصلاح ومنه رجل إمَّر إذا كان ضعيف الرأي لأنه يحتاج أن يؤمر حتى يقوّى رأيه ومنه أمِرَ القوم أي كثروا ومعناه احتاجوا إلى من يأمرهم وينهاهم ومنه الأمر من الأمور اي الشيء الذي من شأنه أن يؤمر فيه.

[**الإعراب**] قوله رشداً يجوز أن ينتصب على انه مفعول له ويكون المعنى هل اتبعك للرشد أو لطلب الرشد على ان تعلمني فيكون على ان تعلمني حالاً من قوله اتبعك ويجوز ان يكون قوله رشداً مفعولاً به وتقديره اتبعك على ان تعلمني رشداً مما علمته ويكون العلم الذي يتعدى إلى مفعول واحد فيتعدى بتضعيف العين إلى مفعولين والمعنى على ان تعلمني أمراً ذا رشد وعلماً ذا رشد أو خبراً نصب على المصدر والمعنى لم يخبره خبراً.

[**المعنى**] **﴿فوجدا عبداً من عبادنا﴾** أي صادف موسى وفتاه وادركا عبداً من عبادنا قائماً على الصخرة يصلي وهو الخضر (ع) واسمه بليا بن ملكان وإنما سمي خضراً لأنه إذا صلى في مكان اخضرّ ما حوله وروي مرفوعاً انه قعد على فروة بيضاء فاهتزت تحته خضراء وقيل انه رآه على طنفسة خضراء فسلم عليه فقال وعليك السلام يا نبيَّ بني إسرائيل فقال له موسى وما ادراك من انا ومن اخبرك اني نبيٌّ قال من دلّك عليَّ واختلف في هذا العبد فقال

(١) قائله الراجز وفي اللسان «قد لقي اهـ.».

بعضهم انه كان ملكاً أمر الله تعالى موسى ان يأخذ عنه ما حمله إياه من علم بواطن الأشياء وقال الاكثرون انه كان من البشر ثم اختلفوا فقال الجبائي وغيره انه كان نبياً لأنه لا يجوز ان يتبع النبي من ليس بنبي ليتعلم منه العلم لما في ذلك من الغضاضة على النبي وكان ابن الاخشيد يجوّز ان لا يكون نبياً ويكون عبداً صالحاً أودعه الله من علم باطن الأمور ما لم يودعه غيره وهذا ليس بالوجه ومتى قيل كيف يكون نبي اعلم من موسى في وقته قلنا يجوز ان يكون الخضر خُصَّ بعلم ما لا يتعلق بالاداء فاستعلم موسى من جهته ذلك العلم فقط وإن كان موسى اعلم منه في العلوم التي يؤدّيها من قبل الله تعالى ﴿**آتيناه رحمة من عندنا**﴾ يعني النبوة وقيل طول الحياة ﴿**علمناه من لدنا علما**﴾ أي علما من علم الغيب عن ابن عباس وقال الصادق (ع) كان عنده علم لم يكتب لموسى (ع) في الالواح وكان موسى يظن ان جميع الأشياء التي يحتاج اليها في تابوته وان جميع العلم قد كتب له في الألواح﴿**قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً**﴾أي علماً ذا رشد قال قتادة لو كان أحد مكتفياً من العلم لاكتفى نجي الله موسى ولكنّه قال هل اتبعك الآية عظَّمه (ع) بهذا القول غاية التعظيم حيث أضاف العلم إليه ورضي باتباعه وخاطبه بمثل هذا الخطاب والرشد العلوم الدينية التي ترشد إلى الحق وقيل هو علوم الالطاف الدينية التي تخفى على الناس ﴿**قال**﴾ العالم ﴿**انك لن تستطيع معي صبراً**﴾ أي يثقل عليك الصبر ولا يخف عليك ولم يرد انه لا يقدر على الصبر وإنما قال ذلك لأن موسى (ع) كان يأخذ الأمور على ظواهرها والخضر كان يحكم بما علمه الله من بواطنها فلا يسهل على موسى مشاهدة ذلك ثم قال ﴿**وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً**﴾ أي كيف تصبر على ما ظاهره عندك منكر وانت لم تعرف باطنه ولم تعلم حقيقته والخبر العلم وفي هذا دلالة على انه لم يرد بقوله لن تستطيع معي صبراً نفي الاستطاعة للصبر لأنه لو أراد ذلك لكان لا يستطيع الصبر سواء علم أو لم يعلم ﴿**قال**﴾ موسى ﴿**ستجدني إن شاء الله صابراً**﴾ أي اصبر على ما أرى منك ﴿**ولا أعصي لك أمراً**﴾ تأمرني به ولا أخالفك فيه قال الزجاج وفيما فعله موسى (ع) وهو من جملة الأنبياء من طلب العلم والرحلة فيه ما يدل على انه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم وان كان قد بلغ نهايته وانه يجب ان يتواضع لمن هو اعلم منه وإنما قيَّد (ع) صبره بمشيئة الله لأنه اخبر به على ظاهر الحال فجوز أن لا يصبر فيما بعد بأن يعجز عنه فقال إن شاء الله ليخرج بذلك من ان يكون كاذباً ﴿**قال**﴾ الخضر له ﴿**فإن اتبعتني**﴾ واقتفيت أثري ﴿**فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكراً**﴾ أي لا تسألني عن شيء افعله مما تنكره ولا تعلم باطنه حتى اكون انا الذي أُفَسِّره لك ﴿**فانطلقا**﴾ يمشيان على شاطىء البحر ﴿**حتى إذا ركبا في السفينة خرقها**﴾

ومعناه انهما أرادا أن يعبرا في البحر إلى أرض أخرى فاتيا معبرا فعرف صاحب السفينة الخضر (ع) فحملهما فلما ركبا في السفينة خرق الخضر (ع) السفينة أي شقّها حتى دخلها الماء وقيل انه قلع لوحين مما يلي الماء فحشاهما موسى (ع) بثوبه و ﴿**وقال**﴾ منكراً عليه ﴿**أخرقتها لتغرق أهلها**﴾ ولم يقل لنغرق وإن كان في غرقها غرق جميعهم لأنه أشْفَقَ على القوم اكثر من اشفاقه على نفسه جريا على عادة الأنبياء ثم قال بعد انكاره ذلك ﴿**لقد جئت شيئاً أمراً**﴾ أي منكراً عظيماً يقال أمر الأمر أمراً إذا كبر والإمر الاسم منه ﴿**فقال**﴾ له الخضر ﴿**ألم اقل**﴾ لك ﴿**انك لن تستطيع معي صبراً**﴾ أي ألم أقل حين رغبت في اتباعي ان نفسك لا تطاوعك على الصبر معي فتذكر موسى ما بذل له من الشرط ثم (قال) معتذراً مستقيلاً ﴿**لا تؤاخذني بما نسيت**﴾ أي غفلت من التسليم لك وترك الانكار عليك وهو من النسيان الذي هو ضدّ الذكر وروي عن أبي ابن كعب قال انه لم ينس ولكنه من معاريض الكلام وقيل بما تركت من وصيتك وعهدك عن ابن عباس وعلى هذا فيكون من النسيان بمعنى الترك لا بمعنى الغفلة والسهو ﴿**ولا ترهقني من أمري عسراً**﴾ أي لا تكلفني مشقة تقول ارهقته عسراً إذا كلفته ذاك والمعنى عاملني باليسر ولا تعاملني بالعسر ولا تضيق علي الأمر في صحبتي إياك ﴿**فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله**﴾ ومعناه فخرجا من البحر وانطلقا يمشيان في البر يعني موسى والخضر ولم يذكر يوشع لأنه كان تابعا لموسى أو كان قد تأخر عنهما وهو الأظهر لاختصاص موسى بالنبوة واجتماعه مع الخضر (ع) في البحر فلقيا غلاماً يلعب مع الصبيان فذبحه بالسكين عن سعيد بن جبير وكان من احسن اولئك الغلمان واصبحهم وقيل صرعه ثم نزع رأسه من جسده وقيل ضربه برجله فقتله وقال الأصم كان شاباً بالغاً لأن غير البالغ لا يستحق القتل وقد يسمى الرجل غلاماً قالت ليلى الأخيلية.

شَفَاهَا مِنَ ٱلعُضَالِ ٱلَّذي بِهَا غُلامٌ إذا هَزَّ ٱلقَنَاةَ سَقَاهَا[1]

﴿**قال أقتلت نفساً زكية**﴾ أي طاهرة من الذنوب وزكية بريئة من الذنوب وقيل الزاكية التي لم تذنب والزكية التي أذنبت ثم تابت حكي ذلك عن أبي عمرو بن العلاء وقيل الزكية أشد مبالغة من الزاكية عن تغلب وقيل الزاكية في البدن والزكية في الدين ﴿**بغير نفس**﴾ أي بغير قتل نفس يريد القود ﴿**لقد جئت شيئاً نكراً**﴾ أي قطعيا منكراً لا يعرف في شرع والمنكر اشد من الامر عن قتادة وإنما قال ذلك لأن قلبه صار كالمغلوب عليه حين رأى قتله ﴿**قال**﴾ العالم ﴿**ألم اقل لك انك لن تستطيع معي صبراً**﴾ أعاد هذا القول لتأكيد الأمر عليه والتحقيق لما قاله اولاً مع النهي عن العود بمثل سؤاله.

---

(١) داء عضال: شديد معى غالب.

﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي ۖ
قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ
ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن
يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ
بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا
ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا
وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ
أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ
أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ
فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ
أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا
رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع
عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

[القراءة] قرأ يعقوب برواية روح وزيد فلا تصحبني والباقون فلا تصاحبني وقرأ أهل المدينة وأبو بكر عن عاصم من لدني خفيفة النون والباقون لدني بالتشديد وقرأ ابن كثير واهل البصرة لَتَخِذت بكسر الخاء مخففة وابن كثير يظهر منه الذال والباقون لَتَّخذت وعاصم يظهر الذال والآخرون يدغمون وقرأ أهل المدينة وأبو عمرو أن يُبَدِّلهما بفتح الباء وتشديد الدال وكذلك في التحريم أن يُبَدِّله وفي القلم أن يُبَدِّلنا والباقون بسكون الباء وتخفيف الدال وقرأ

رُحُما بضم الحاء أبو جعفر وابن عامر وعاصم وعباس ويعقوب وسهل والباقون بسكون الحاء وفي الشواذ قراءة النبي ﷺ جداراً يريد أن يُنقض بضم الياء وقراءة علي بن ابي طالب (ع) وعكرمة ويحيى بن يعمر ينقاص بصاد غير معجمة وبالألف وقراءة عبد الله والأعمش يريد لينقض.

[**الحجة**] من قرأ فلا تصحبني فمعناه لا تكون صاحبي ومن قرأ فلا تصاحبني فمعناه إن طلبت صحبتك فلا تتابعني على ذلك وأما قوله من لدنيّ فإن الاجود تشديد النون لأن أصل لدن الاسكان فإذا ضفتها إلى نفسك زدت نوناً لتسلم سكون النون الأولى تقول من لدن زيد ومن لدنّي كما تقول عن زيد وعنّي ومن قرأ لدني لم يجز له أن يقول عني لأن لدن اسم غير متمكن ومن وعن حرفان جاء المعنى ولدن مع ذلك اثقل مِنْ مِنْ وعن والدليل على ان الأسماء يجوز فيها حذف النون قولهم قدني في معنى حسبي ويجوز قدي قال (قَدْنِيَ مِنْ نَصْرِ الْخُبَيْبَيْنِ قَدِي)(١) فجاء باللغتين وقال أبو زيد اتخذنا مالاً نتخذه اتخاذاً وتَخِذْتُ اتخذ تخذا وقال أبو علي وجه الادغام ان هذه الحروف متقاربة فيدغم بعضها في بعض كما يدغم سائر المتقاربة فالتاء والدال والطاء والظاء والذال والثاء يدغم بعضها في بعض للمقاربة فأما الصاد والسين والزاء فيدغم بعضها في بعض ويدغم فيها الحروف الستة ولا يدغمن في الستة لما يختل من ادغامها في مقاربها من الصفير واما قوله ان يبدلهما فإنَّ ابدل وبدَّل متقاربان في المعنى كما ان انزل ونزل كذلك واما قوله رُحُما فإن الرُّحُم والرُّحْم هاهنا الرحمة قال رؤبة:

يَا مُنْزِلَ ٱلرُّحْمِ عَلَى إِدْرِيسِ   وَمُنْزِلَ اللَّعْنِ على إِبْلِيسِ

قال ابن جني قوله يريد ان ينقض معناه قد قارب أو شارف ذلك فهو عائد إلى معنى يكاد وقد جاء ذلك عنهم وانشد أبو الحسن.

كَادَتْ وَكِدْتُ(٢) وَتِلْكَ خَيْرُ إِرَادَةٍ   لَوْ عَادَ مِنْ لَهْوِ ٱلصَّبَابَةِ مَا مَضَى

وحسن هنا لفظ الإرادة لأنه اقوى في وقوع الفعل وذلك انها داعية الى وقوعه وهي

(١) هذا صدر بيت وبعده «ليس الامام بالشحيح الملحد». ونسبه الجوهري الى حميد بن ثور الهلالي وفي كلام غيره الى حميد الارقط تعرض فيه بعبد الله بن الزبير و «الخبيبين» يروى على صيغة المثنى ويروى على الجمع فعلى الاول عنى عبد الله وأخاه كمصعب أو هو وابنه خبيباً وعلى الثاني اراد هو وشعيته « والملحد » من الحد الرجل اي ظلم في الحرم وانتهك حرمته.

(٢) اي ارادت واردت.

أيضاً لا تصح الا مع الحياة ولا يصح الفعل الا لذي الحياة وليس كذلك كاد لأنه قد يقارب الأمر ما لا حياة له نحو ميل الحائط واشراق ضوء الفجر وينقاضُ اي ينكسر يقال قِضْتُهُ نقاص قال:

فِـرَاقٌ كَقَيْصِ ٱلسِّنِ فَـالصَّبْـرَ إِنَّـهُ ... لِـكُـلِّ أُنَـاسٍ كَسْـرَةٌ وَجُـبُـورٌ[١]

وقالوا أيضاً قضته فانقاض بضاد معجمة يعني هدمته فانهدم قال (كَأَنَّها هَدَمٌ في الْجَفْرِ مُنْقَاضُ)[٢] وقراءة العامة ينقض يحتمل أمرين (أحدهما) ان يكون ينفعل من القضة وهي الحصى الصغار (والآخر) ان يكون يفعل من نقضت الشيء كقراءة النبي ﷺ يريد ان ينقض فيكون كيزور ويرعوي ونحوهما مما جاء من غير الالوان والعيوب ومن قرأ لينقض فإن شئت قلت اللام زائدة فيه واحتججت فيه بقراءة النبي ﷺ وان شئت قلت تقديره ارادته لكذا كقولك قيامه لكذا وجلوسه لكذا ثم وضع الفعل موضع مصدره كما انشد أبو زيد:

فَقَـالُـوا مَـا تَشَـاءُ فَقُلْتُ أَلْـهُـوا ... إِلـىَ الإِصْبَـاحِ آثِـرَ ذي أَثِـيـرِ[٣]

أي اللهو فوضع ألهو موضع مصدره وأنشد أيضاً .

وَأَهْـلَكَـنـي لَكُـمْ فـي كُـلِّ يَـوْمٍ ... تَـعَـوُّجُكُـمْ عَـلَيَّ وَأَسْـتَقِـيـمُ

أي واستقامتي وكاللام هنا اللام في قوله:

أُرِيـدُ لأَنْسَىٰ ذِكْـرَهَـا فَكَـأَنَّمـا ... تَمَثَّلَ لِـي لَيْلَـىٰ بِكُـلِّ سَبِيلِ

فيحتمل اللام هنا الوجهين اللذين تقدَّم ذكرهما:

[اللغة] الانقضاض السقوط بسرعة قال ذو الرمة (فَأَنْقَضَّ كَالْكَوْكَبِ الدُّرّيِ مُنْصَلِتاً) والوراء والخلف واحد وهو نقيض جهة القدام ويستعمل وراء بمعنى القدام أيضاً على الاتساع لأنها جهة مقابلة لجهة فكان كل واحد من الجهتين وراء الاخرى قال الشاعر:

أَتَـرْجُـو بَنُـو مَـرْوَانَ سَمْعِي وَطَـاعَتي ... وَقَـوْمـي تَـمـيـمٌ وَٱلْـفَـلاةُ وَرَائِـيـا

وقال لبيد :

أَلَـيْسَ وَرَاءِي إِنْ تَـرَاخَـتْ مَـنِـيَّـتـي ... لُـزُومُ ٱلْعَصَـا تَحْنُـو عَلَيْهَـا الأَصَـابِـعُ

(١) قائله أبو ذؤيب وفي اللسان «عشرة عثرة وجبور» ويروى «كقيض» بالضاد ايضاً .

(٢) الجفر: البئر الواسعة التي لم تطو.

(٣) قائله عروة بن الورد. وآثر ذي أثير أي اول كل شيء .

وقال الفراء يجوز ذلك في الزمان دون الاجسام قال علي بن عيسى وغيره ويجوز في الاجسام التي لا وجه لها كحجرين متقابلين كل واحد منهما وراء الآخر والارهاق ادراك الشيء بما يغشاه ورهقه الفارس اي غشيه وادركه غلام مراهق إذا قارب ان يغشاه حال البلوغ ويقال ارهقه امراً أي الحقه اياه قال الأزهري الرهق جهل الإنسان وارهقه عسراً كلفه اياه وجاء في الحديث كان النبي ﷺ إذا دخل مكة مراهقاً خرج إلى عرفة اي ضاق عليه الوقت .

[الاعراب] قال الزجاج قوله هذا فراق بيني وبينك زعم سيبويه ان معنى مثل هذا التوكيد يعني هذا فراق بيننا أي هذا فراق اتصالنا ومثله من الكلام اخزى الله الكاذب مني ومنك وهذا لا يكون إلا بالواو ولا يجوز هذا فراق بيني فبينك لأن معنى الواو الاجتماع ومعنى الفاء ان يأتي الثاني في اثر الاول ومساكين لا ينصرف لأنه جمع ليس له في الآحاد نظير ﴿رحمة من ربك﴾ منصوب على ضربين (أحدهما) ان المعنى فعلنا ذلك رحمة اي للرحمة كما تقول انقذتك من الهلكة رحمة لك (والآخر) أن يكون منصوباً على المصدر لأن معنى قوله فأراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمهما الله بذلك .

[المعنى] ﴿قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني﴾ أي قال له موسى جواباً إن سألتك عن شيء بعد هذه المرة أو بعد هذه النفس وقتلها فلا تتركني اصحبك ﴿قد بلغت من لدني عذراً﴾ أي قد اعذرت فيما بيني وبينك وقد اخبرتني اني لا استطيع معك صبراً عن ابن عباس وهذا اقرار من موسى (ع) بأن الخضر قد قدم اليه ما يوجب العذر عنده فلا يلزمه ما انكره وروي ان النبي ﷺ تلا هذه الآية فقال استحيي نبي الله موسى ولو صبر لرأى الفا من العجائب ﴿فانطلقا حتى إذا أتيا اهل قرية﴾ وهي انطاكية عن ابن عباس وقيل ايلة عن ابن سيرين ومحمد بن كعب وقيل هي قرية على ساحل البحر يقال لها ناصرة وبها سميت النصارى نصارى وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) ﴿استطعما اهلها﴾ أي سألاهم الطعام ﴿فأبوا ان يضيفوهما﴾ والتضييف والإضافة بمعنى واحد أي لم يضيفهما احد من اهل القرية وروى ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال كانوا اهل قرية لئام وقال ابو عبد الله (ع) لم يضيفوهما ولا يضيفون بعدهما أحداً إلى ان تقوم الساعة ﴿فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض﴾ وصف الجدار بالإرادة مجاز ومعناه قرب ان ينقض واشرف على ان ينهدم وذلك على التشبيه بحال من يريد الفعل في الثاني وهذا من فصيح كلام العرب ومثله في أشعارهم كثير قال الراعي يصف الإبل .

في مَهْمَهٍ قَلِقَتْ بِهَا هاماتُها قَلَقَ آلفُؤوسِ إذا أَرَدْنَ فُصُولا

وقال الآخر :

يُـريـدُ الـرُّمْـحُ صَـدْرَ أَبـي بَـرَاءٍ وَيَـرْغَـبُ عَـنْ دِمَـاءِ بَـني عَـقـيـلِ

وقريب منه قول الآخر:

إنَّ دَهْـراً يَـلِفُّ شَـمْـلي بِـسُـعْـدَيْ لَـزَمَـانٌ يَـهُـمُّ بِـالإِحْـسَـانِ

أي كأنه يهمّ وقال عنترة يصف فرسه:

فَـأَزْوَرَّ مِنْ وَقْـعِ آلقَـنَـا بِلَبَـانِـهِ وَشَكَـا إليَّ بِـعَبْـرَةٍ وَتَـحَمْـحُـمِ[(١)]

﴿فأقامه﴾ أي سوّاه قيل انه دفع الجدار بيده فاستقام عن سعيد بن جبير ﴿قال لو شئت لتخذت عليه أجراً ﴾ معناه إنهم لما بخلوا عليهما بالطعام وأقام الخضر جدارهم المشرف على الانهدام عجب موسى من ذلك فقال لو شئت لعملت هذا بأجر تأخذه منهم حتى كنا نسدُّ به جوعتنا ﴿قال هذا فراق بين وبينك﴾ معناه هذا الكلام والانكار على ترك الأجر هو المفرق بيننا وقيل معناه هذا وقت فراق اتصالنا وكرّر بين تأكيداً عن الزجاج وقيل معناه هذا الذي قلته سبب الفراق بين وبينك ثم قال له ﴿سأنبئك﴾ أي سأخبرك ﴿بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً﴾ أي بتفسير الأشياء التي لم تستطع على الامساك عن السؤال عنها صبراً ﴿أما السفينة فكانت لمساكين﴾ معناه اما السبب في خرقي السفينة فهو أنها كانت لفقراء لا شيء لهم يكفيهم قد سكنتهم قلة ذات ايديهم ﴿يعملون في البحر﴾ اي يعملون بها في البحر ويتعيَّشون بها ﴿فأردت أن أعيبها﴾ أي احدث فيها عيباً ﴿وكان وراءهم﴾ أي وكان قدامهم ﴿ملك يأخذ كل سفينة﴾ صحيحة أو غير معيبة ﴿غضباً﴾ عن قتادة وابن عباس قال عباد بن صهيب قدمت الكوفة لاسمع من إسماعيل بن ابي خالد فمررت بشيخ جالس فقلت يا شيخ كيف امرُّ إلى منزل إسماعيل بن أبي خالد فقال لي وراءك فقلت ارجع فقال اقول وراءك وترجع فقلت أليس ورائي خلفي قال لا ثم قال حدثني عكرمة عن ابن عباس وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً قال ولو كان وراءهم لكانوا قد جاوزوه ولكن كان بين ايديهم قال الخضر إنما خرقتها لأن الملك إذا رآها منخرقة تركها ورقعها أهلها بقطعة خشب فانتفعوا بها وقيل يحتمل ان الملك كان خلفهم وكان طريقهم في الرجوع عليه ولم يعلم به اصحاب السفينة وعلم به الخضر (ع) ﴿وأما الغلام فكان ابواه مؤمنين﴾ وروي عن أبي وابن عباس انهما كانا يقرءآن واما الغلام فكان كافراً وابواه مؤمنين وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع)

(١) مر البيت في صفحة ٧٠٣ .

ومعناه واما الغلام الذي قتله فإنما قتلته لأنه كان كافراً **﴿فخشينا ان يرهقهما طغياناً وكفراً﴾** أي فعلمنا انه إن بقي يرهق أبويه أي يغشيهما طغياناً وكفراً وهو من كلام الله تعالى وقيل معناه فخفنا ان يحمل ابويه على الطغيان والكفر بأن يباشر ما لا يمكنهما منعه منه فيحملهما على الذبِّ عنه والتعصب له فيؤدّي ذلك إلى أمور يكون مجاوزة للحد في العصيان والكفر وهو من كلام الخضر لأن الله تعالى لا يجوز عليه الخشية وقيل معناه فكرهنا ان يرهق الغلام ابويه إثماً وظلماً بطغيانه وكفره **﴿فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة﴾** أي ولداً خيراً منه ديناً وطهارة وصلاحاً **﴿واقرب رحما﴾** أي وارحم بهما عن قتادة والزكاة الصلاح والزكي الصالح والرحم العطف والرحمة وقيل معناه ابرّ بـوالديه وأوصل للرحم عن ابن عباس وقيل معناه وأقرب ان يرحما به قال قتادة قال مطرف ايم الله انا لنعلم انهما فرحا به يوم ولد وحزنا عليه يوم قتل ولو عاش كان فيه مهلكتهما فرضي رجل ما قسم الله له فإنه قضـاء الله للمؤمن خي من قضائـه لنفسه وما قضى لك يا ابن آدم فيما تكره خير مما قضى لك فيما تحب فـاستخر الله وارض بقضائه وروي انهما ابدلا بالغلام المقتول جارية فولدت سبعين نبياً عن أبي عبد الله (ع) وقيل انه تزوجها نبي من الأنبياء فولدت له نبياً هدى الله على يديه أمة من الأمم عن الكلبي وفي قتل الغلام دلالة على وجوب اللطف على ما نذهب اليه لان المفهوم من الآية انه تدبير من الله تعالى لم يكن يجوز خلافه وأنه إذا علم من حال الإنسان أنه يفسد عند شيء يجب عليه في الحكمة أن يذهب ذلك الشيء حتى لا يقع هذا الفساد ومتى قيل أنه لو حصل لنا العلم بذلك كما حصل لذلك العالم هل كان يحسن منا القتل قلنا أن هذا العلم لا يحصل إلا للأنبياء وعند حصول العلم به يحسن ذلك ومتى قيل إن الله كان قادراً على إزالة حياة الغلام بالموت من غير الم فتزول التبقية التي هي المفسدة من غير ادخال ايلام عليه بالقتل فلم أمر بالقتل فالجواب من وجهين (أحدهما) ان الله تعـالى قد علم ان ابـويه لا يثبتـان على الإيمان إلا بقتل هذا الغلام فتعين وجه الوجوب في القتل (والآخر) ان تبقيه الغلام إذا كانت مفسدة فالله تعالى مخير في إزالتها بالموت من غير ألم وبالقتل لأن القتل وإن كان فيه ألم يلحق المقتول فإن بإزائه اعواضاً كثيرة توازي ذلك الألم ويزيد عليه اضعافـاً كثيرة فيصيـر القتل بـالمنافـع العظيمة التي بإزائه كأنه ليس بألم ويدخل في قبيل النفع والاحسان **﴿وأما الجدار فكان﴾** أي فإنما أقمته لأنه كان **﴿لغلامين يتيمين في المدينة﴾** يعني القرية المذكورة في قوله أتيا أهل قرية **﴿وكان تحته كنز لهما﴾** والكنز هو كل مال مذخور من ذهب أو فضة وغير ذلك واختلف في هذا الكنز فقيل كانت صحف علم مدفونة تحته عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقال ابن عباس ما كان ذلك الكنز الا علمـاً وقيل كـان كنزاً من الـذهب والفضة عن قتـادة

وعكرمة واختاره الجبائي ورواه ابو الدرداء عن النبي ﷺ وقيل كان لوحاً من ذهب وفيه مكتوب عجباً لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن. عجباً لمن ايقن بالرزق كيف يتعب. عجباً لمن أيقن بالموت كيف يفرح. عجباً لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل. عجباً لمن رأى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله عن ابن عباس والحسن وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع) وفي بعض الروايات زيادة ونقصان وهذا القول يجمع القولين الأولين لأنه يتضمن إن الكنز كان مالاً كتب فيه علم فهو مال وعلم **﴿وكان أبوهما صالحا﴾** بيّن سبحانه انه حفظ الغلامين بصلاح أبيهما ولم يذكر منهما صلاحاً عن ابن عباس وروي عن أبي عبد الله (ع) انه كان بينهما وبين ذلك الأب الصالح سبعة آباء وقال ﷺ ان الله ليصلح بصلاح الرجل المؤمن ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله فلا يزالون في حفظ الله لكرامته على الله **﴿فأراد ربك ان يبلغا أشدهما﴾** أي ينتهيا إلى الوقت الذي يعرفان فيه نفع انفسهما وحفظ مالهما وهو ان يكبرا ويعقلا **﴿ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك﴾** أي نعمة من ربك والمعنى ان كل ما فعلته رحمة من الله تعالى اي رحم الله بذلك المساكين وابوي الغلام واليتيمين رحمة **﴿وما فعلته عن امري﴾** أي وما فعلت ذلك من قبل نفسي وإنما فعلته بأمر الله تعالى قال ابن عباس يريد انكشف لي من الله علم فعملت به ثم قال **﴿ذلك﴾** الذي قتله لك **﴿تأويل ما لم تستطع عليه صبراً﴾** أي ثقل عليك مشاهدته ورؤيته واستنكرته يقال استطاع يستطيع واسطاع يسطيع قال أبو علي الجبائي لا يجوز ان يكون الخضر حياً إلى وقتنا هذا لأنه لو كان لعرفه الناس ولم يخف مكانه ولانه لا نبي بعد نبينا ﷺ وهذا الذي ذكره غير صحيح لأن تبقيته في مقدور الله تعالى ويجوز أن تنخرق العادة للأنبياء صلوات الله عليهم بالاجماع ولا يمتنع ايضاً ان يكون بحيث لا يتعرف الى احد وان الناس وإن كانوا يشاهدونه لا يعرفونه وقوله انه لا نبي بعد نبينا مسلم ولكن نبوة الخضر (ع) كانت ثابتة قبل نبوة نبينا محمد ﷺ وأما شرعه لو كان له شرع خاص فإنه منسوخ بشريعة نبينا ولو كان داعياً إلى شريعة من تقدمه من الأنبياء فإن شريعة نبينا ﷺ ناسخة لها فلا يؤدي إلى ما قاله الجبائي.

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا

تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ
أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ
نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾

[**القراءة**] قرأ ابن عامر وأهل الكوفة فَأَتْبَع ثم أَتْبَع بهمزة القطع وفتحها وتخفيف التاء وسكونها والباقون فاتَّبع بهمزة الوصل وتشديد التاء وفتحها وقرأ أبو جعفر وابن عامر وأهل الكوفة غير حفص حامية والباقون حمئه بغير ألف مهموز.

[**الحجة**] قال ابو علي تبع فعل يتعدّى إلى مفعول واحد فإذا نقلته بالهمزة تعدّى إلى مفعولين يدلك على ذلك قوله واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة وأما اتَّبع فإنه افتعل يتعدى إلى مفعول واحد كما يتعدّى فعل إليه مثل حفرته واحتفرته وشويته واشتويته ومن قرأ فَأتْبَع سبباً تقديره فأتْبَع سبباً سبباً أو أتْبع امره سبباً أو أتْبع ما هو عليه سبباً فحذف أحد المفعولين كما حذف في قوله لينذر بأساً شديداً ولا يكادون يفقهون قولا والمعنى لينذر الناس بأساً شديداً ولا يكادون يفقهون أحداً قولاً ومن قرأ فَأتّبع سبباً فالمعنى اتجه في كل وجه وجهناه له وأمرناه به السبب الذي ينال به صلاح ما مكن منه وقال أبو عبيدة معناه اتبع طريقاً وأثراً ومن قرأ حمئة فعلى فعلة ومن قرأ حامية فهي فاعلة من حيث تحمي فهي حامية وروي عن الحسن أنه قال حارة ويجوز فيمن قرأ حامية أن يكون فاعلة من الحماة فخفف الهمزة على قياس قول أبي الحسن فيقلبها ياء محضة وان خففها على قول الخليل كانت بين بين قال سيبويه وهو قول العرب .

[**اللغة**] القرن قرن الشاة وغيرها وقرون الشعر الذوائب ومنه قول ابي سفيان ولا الروم ذوات القرون أراد قرون شعورهم لأنهم كانوا يطولونه والذكر حضور المعنى للنفس وقد يكون بالقلب وهو التفكر وقد يكون باللسان وكل ما وصل شيئاً إلى شيء فهو سبب بقال للطريق إلى الشيء سبب وللحبل سبب وللباب سبب والحمأة الطين الأسود يقال حمئت البئر تحماً فهي حمئة إذا صار فيها الحمأة قال ابو الأسود.

تَجِيءُ بِمِلْئِهَا طَوْراً وَطَوْراً   تَجِيءُ بِحَمْأةٍ وَقَلِيلِ مَاءِ

وحمأت البئر اخرجت منه الحمأة واحمأتها القيت فيها الحمأة.

[**الإعراب**] إما ان تعذب وإما ان تتخذ فيهم حسناً أنْ مع الفعل في موضع نصب بفعل مضمر كما ان قوله فاما منا بعد واما فداء كذلك ويجوز ان يكون ان مع الفعل في موضع المبتدأ والخبر مضمر اي اما العذاب واقع منك فيهم واما اتخاذ أمر ذي حسن واقع منك فيهم فحذف الخبر لطول الكلام بالصلة وهذا اظهر والأول عن أحمد بن يحيى.

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه قصة ذي القرنين فقال **﴿ويسألونك﴾** يا محمد **﴿عن ذي القرنين﴾** أي عن خبره وقصته لا عن شخصه واختلف فيه فقيل انه نبي مبعوث فتح الله على يديه الأرض عن مجاهد وعبد الله بن عمر وقيل انه كان ملكاً عادلاً وروي عن علي بن ابي طالب (ع) انه كان عبداً صالحاً احب الله وأحبه الله واحبه وناصح الله وناصحه قد أمر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه ضربة بالسيف فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع اليهم فدعاهم إلى الله فضربوه على قرنه الآخر بالسيف فذلك قرناه وفيكم مثله يعني نفسه (ع) وفي سبب تسميته بذي القرنين اقوال أخر (منها) انه سمي به لأنه كانت له ضفيرتان عن الحسن (ومنها) أنه كان على رأسه شبه القرنين تواريه العمامة عن يعلى بن عبيد ومنها انه بلغ قطري الأرض من المشرق والمغرب فسمي بذلك لاستيلائه على قرن الشمس من مغربها وقرنها من مطلعها عن الزهري واختاره الزجاج (ومنها) انه رأى في منامه انه دنى من الشمس حتى اخذ بقرنيها في شرقها وغربها فقصَّ رؤياه على قومه فسمُّوه ذا القرنين عن وهب (ومنها) انه عاش عيش قرنين فانقرض في وقته قرنان من الناس وهو حي (ومنها) انه كان كريم الطرفين من اهل بيت الشرف من قبل ابيه وامه قال معاذ بن جبل كان من ابناء الروم واسمه الاسكندر وهو الذي بنى الاسكندرية **﴿قل سأتلوا عليكم منه ذكراً﴾** معناه قل يا محمد سأقرأ عليكم منه خبراً وقصة **﴿أنا مكنا له في الأرض﴾** أي بسطنا يده في الأرض وملكناه حتى استولى عليها وقام بمصالحها وروي عن علي (ع) انه قال سخَّر الله له السحاب فحمله عليها ومدَّ له في الاسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء فهذا معنى تمكينه في الأرض وهو انه سهل عليه المسير فيها وذلَّل له طريقها وحزونها حتى تمكن منها انى شاء **﴿وآتيناه من كل شيء سبباً﴾** أي فأعطيناه من كل شيء علماً يتسبب به إلى إرادته ويبلغ به إلى حاجته عن ابن عباس وقتادة والضحاك وقيل معناه وآتيناه من كل شيء يستعين به الملوك على فتح البلاد ومحاربة الاعداء عن الجبائي وقيل معناه وآتيناه من كل شيء سبيلاً كما قال سبحانه لعليّ ابلغ الأسباب اسباب السماوات اي سبلها **﴿فأتبع سبباً﴾** معناه فأتبع طريقاً واحداً في سلوكه قال الزجاج معناه فأتبع سبباً من الاسباب التي اوتي بها وذلك انه أوتي من كل شيء سبباً فأتبع من تلك الاسباب التي أوتي سبباً في المسير إلى المغرب ومن قرأ فاتبع سبباً فمعناه

لحق كقوله فأتبعه الشيطان والاصل فيه ما مرَّ ذكره في الحجة **﴿حتى إذا بلغ مغرب الشمس﴾** اي موضع غروبها انه انتهى إلى آخر العمارة من جانب المغرب وبلغ قوماً لم يكن وراءهم أحد إلى موضع غروب الشمس ولم يرد بذلك انه بلغ إلى موضع الغروب لأنه لا يصل إليه أحد **﴿وجدها تغرب﴾** معناه وجدها كأنها تغرب **﴿في عين حمئة﴾** وان كانت تغرب في ورائها عن الجبائي وابن مسلم والبلخي لأن الشمس لا تزايل الفلك ولا تدخل عين الماء ولأنه قال وجد عندها قوماً ولكن لما بلغ ذو القرنين ذلك الموضع تراءى له كأن الشمس تغرب في عين كما ان من كان في البحر رآها كأنها تغرب في الماء ومن كان في البرّ يراها كأنها تغرب في الأرض الملساء والعين الحمئة هي ذات الحمأة وهي الطين الأسود المنتن والحامية الحارة وعن كعب قال أجدها في التوراة تغرب في ماء وطين وقوله **﴿ووجد عندها قوماً﴾** معناه ووجد عند العين ناساً **﴿قلنا ياذا القرنين إما ان تعذب وإما ان تتخذ فيهم حسناً﴾** في هذا دلالة على ان القوم كانوا كفاراً والمعنى اما ان تعذب بالقتل من أقام منهم على الشرك وأما ان تأسرهم وتمسكهم بعد الأمر لتعلمهم الهدى وتستنقذهم من العمى وقيل معناه واما ان تعفو عنهم واستدَّل من ذهب الى ان ذو القرنين كان نبياً بهذا قال لأن أمر الله تعالى لا يعلم الا بالوحي والوحي لا يجوز إلا على الأنبياء وقال الكلبي ان الله تعالى الهمه ولم يوح إليه وقال ابن الأنباري ان كان ذو القرنين نبياً فإن الله تعالى قال له كما يقول للأنبياء إما بتكليم أو بوحي وان لم يكن نبياً فإن معنى قلنا الهمنا لأن الالهام ينوب عن الوحي قال سبحانه واوحينا إلى أم موسى أي وألهمناها قال قتادة فقضي ذو القرنين فيهم بقضاء الله تعالى وكان عالماً بالسياسة قال **﴿أما من ظلم﴾** اي اشرك عن ابن عباس **﴿فسوف نعذبه﴾** أي نقتله إذا لم يرجع عن الشرك **﴿ثم يرد إلى ربه﴾** بعد قتلي اياه **﴿فيعذبه عذاباً نكراً﴾** أي منكراً غير معهود يعني في النار وهو أشد من القتل في الدنيا .

﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ
وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾
ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ
عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا
بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة غير ابي بكر ويعقوب فله جزاء بالنصب والتنوين. والباقون جزاءُ الحسنى بالرفع والإضافة.

[**الحجة**] قال ابو علي من قال فله جزاءُ الحسنى كان المعنى فله جزاء الخلال الحسنى التي عملها لأن الإيمان والعمل الصالح خلال ومن قال فله جزاءَ الحسنى فالمعنى له الحسنى جزاءً فجزاءً مصدر وقع موقع الحال أي فله الحسنى مجزية وقال أبو الحسن وهذا لا يكاد العرب تتكلم به مقدماً الا في الشعر:

[المعنى] **﴿وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى﴾** مرَّ معناه **﴿وسنقول له من أمرنا يسراً﴾** أي سنقول له قولاً جميلاً وسنأمره بما يتيسر عليه ولا نوآخذه بما مضى من كفره **﴿ثم اتبع سبباً﴾** أي طريقاً آخر من الأرض ليؤديه إلى مطلع الشمس ويوصله إلى المشرق **﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس﴾** أي بلغ موضع ابتداء العمارة من الجانب الذي تطلع منه الشمس **﴿وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً﴾** معناه انه لم يكن بها جبل ولا شجر ولا بناء لأن أرضهم لم يكن يثبت عليها بناء فكانوا إذا طلعت الشمس يغورون في المياه والاسراب وإذا غربت تصرفوا في أمورهم عن الحسن وقتادة وابن جريج وروى ابو بصير عن أبي جعفر (ع) قال لم يعلموا صنعة البيوت وقوله كذلك معناه مثل ذلك القبيل الذي كانوا عند مغرب الشمس في ان حكمهم حكم اولئك قيل ان معناه انه اتبع سبباً إلى مطلع الشمس مثل ما اتبع سبباً إلى مغرب الشمس وتمَّ الكلام عند قوله **﴿كذلك﴾** ثم ابتدأ سبحانه فقال **﴿وقد أُحطنا بما لديه خبراً﴾** أي علمنا ما كان عند ذي القرنين من الجيوش والعدة وآلات السياسة وقيل معناه أحطنا علماً بصلاحه واستقلاله بما ملكناه قبل أن يفعله كما علمناه بعد أن فعله ولم يخف علينا حاله وفي قوله بما لديه إشارة إلى حسن الثناء عليه والرضا بافعاله لامتثاله أمر الله تعالى في كل أحواله **﴿ثم اتبع سبباً﴾** معناه ثم اتبع مسلكاً بالغاً مما يبلغه قطراً من اقطار الأرض وهذا يقوي قول من قال إن الأرض كروية الشكل لانه لم يأخذ في الطريق الذي كان قد عاد فيه وإنما اخذ في طريق آخر.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ
وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟
يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ

نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾

[**القراءة**] قرأ ابن كثير وابو عمرو بين السدين وسدا بالفتح هنا وفي ياسين بالضم وقرأ أهل الكوفة غير عاصم بين السُّدين بضم السين وسَدًّا حيث كان بالفتح وقرأ حفصُ الجميع بالفتح وقرأ الباقون الجميع بالضم كل القرآن وقرأ أهل الكوفة غير عاصم يُفْقِهون بضم الياء وكسر القاف والباقون بفتح الياء والقاف وقرأ عاصم يأجوج ومأجوج بالهمزة ومثله في الأنبياء وقرأ الباقون بغير همزة فيهما في السورتين وقرأ أهل الكوفة غير عاصم خراجا وفي المؤمنين خراجا فخراج ربك كله بالالف والباقون خرجاً بغير الف في الموضعين فخراج ربك بالالف وقرأ ابن كثير ما مكنني بنونين والباقون بنون واحدة مشددة وقرأيحيى عن أبي بكر ردما اتوني بالوصل وقرأ حمزة ويحيى عن أبي بكر قال ايتوني بالوصل ايضاً والباقون آتوني بقطع الالف في الحرفين وقرأ اهل المدينة والكوفة غير ابي بكر بين الصَّدَفين بفتح الصاد والدال وقرأ الباقون بضم الصاد والدال غير أبي بكر فإنه قرأ بضم الصاد وسكون الدال وقرأ حمزة غير خلاد فما اسْطّاعوا مشددة الطاء والباقون خفيفة الطاء وقرأ أهل الكوفة دكاء بالمد والهمزة والباقون دكا منونا غير مهموز.

[**الحجة**] قال ابو عبيدة كل شيء وجدته العرب من فعل الله من الجبال والشعاب فهو سُدّ بالضم وما بناه الادميون فهو سَدٌّ وقال غيره هما لغتان كالضَعْفِ والضُعف والفَقْر والفُقْر قال أبو علي يجوز أن يكون السَّد بالفتح مصدراً والسُّد بالضم المسدود كالاشياء التي يفصل فيها بين المصادر والاسماء نحو السُّقي والسَقي والشُرب والشَرب فإذا كان كذلك فالاشبه بين

السُّدَّين لأنه المسدود ويجوز فيمن فتح السدين ان يجعله اسماً للمسدود نحو نَسْج اليمن وضَرْبُ الأمير بمعنى المنسوج والمضروب ومن قرأ لا يكادون يُفقهون فإن فقهت يتعدى الى مفعول واحد نحو فقهت السنة فإذا نقلته تعدى الى مفعولين فيكون المعنى فيمن ضم لا يكادون يُفْقِهون أحداً قولاً فحذف أحد المفعولين كما حذف من قوله فاتبعوهم مشْرقين والمعنى فاتبعوهم جندهم مشرقين وقوله فأتبعهم فرعون وجنوده اي فأتبعهم فرعون طلبه إياهم او تَتَبُّعه لهم والحذف في هذا النحو كثير قال ابو علي يأجوج ان جعلته عربياً فهو يفعول من أج نحو يربوع ومن لم يهمز امكن ان يكون خفف الهمزة فقلبها الفاً فهو على قوله يفعول ايضاً وان كانت الألف في يأجوج ليس على التخفيف فإنه فاعول من ي ج ج فإن جعلت الكلمة من هذا الأصل كانت الهمزة فيها كمن قال سأق[1] ونحو ذلك مما جاء مهموزاً ولم يتبع ان يهمز ويكون الامتناع من صرفه على هذا للتأنيث والتعريف كأنه اسم القبيلة كمجوس واما مأجوج فمن همز فمفعول من اج فالكلمتان على هذا من اصل واحد ومن لم يهمز فإنه فاعول من مج فالكلمتان على هذا من أصلين وليسا من اصل واحد ويكون ترك الصرف فيه أيضاً للتعريف والتأنيث فإن جعلتهما من العجمية فهذه التمثيلات لا تصح فيهما وإنما امتنعا من الصرف للعجمة والتعريف وقوله هل نجعل لك خرجاً أي هل نجعل لك عطية نخرجها إليك من أموالنا وكذلك قوله أم تسألهم خرجاً أي مالا يخرجونه إليك فأما المضروب على الأرض فالخراج وقد يجوز في غير ضرائب الأرض الخراج بدلالة قول العجاج (يَوْم خَرَاجٍ يَخْرُجُ السَّمَرَّجا)[2] فهذا ليس على الضرائب التي الزمت الأرضين لأن ذلك لا يضاف إلى وقت من يوم وغيره وإنما هو شيء مؤبَّد لا يتغير وقوله ما مكّني باظهار المثلين فلأن الثاني منهما غير لازم لأنك قد تقول قد مكنتك ومكنته فلا تلزم النون فلما لم تلزم لم يعتد بها كما ان التاء في اقتتلوا كذلك ومن ادغم لم ينزله منزلة مالا يلزم فأدغم كما ان من قال قِتّلوا في اقتتلوا كان كذلك قال أبو علي ومكن مكانه فهو مكين فعل غير متعد فإذا ضعَّفت العين عدّيته بذلك وحجة من قرأ ردما ايتوني ايتوني ان اشبه بأعيوني بقوة لأنه كلفهم المعونة على عمل السد ولم يقبل الخرج الذي بذلوه له وقوله ايتوني الذي معناه جيئوني إنما هو معونة على ما كلفهم في قوله فأعينوني بقوة وأما آتوني فمعناه اعطوني، فاعطوني يجوز ان يكون على المناولة ويجوز ان يكون على الاتهاب وائتوني المقصورة لا يحتمل الاجيئوني فيكون احسن هنا لا ختصاصه بالمعونة فقط دون ان يكون سؤال عين والعطية قد تكون هبة قال.

---

(١) السأق لغة في الساق.

(٢) السمرج : استخراج الخراج في ثلاث مرات، فارسي معرب.

وَمِنّا الَّذي أَعْطى الرَّسُولُ عَطِيَّةً أُسارى تَميمٍ وَالْعُيُونُ دَوامِعُ

فالعطية تجري مجرى الهبة لهم والإنعام عليهم في فكّ الاسر وقد تكون بمعنى المناولة ووجه قراءة من قرأ آتوني أنه لم يرد بأتوني العطية والهبة ولكن تكليف المناولة بالانفس كما كان قراءة من قرأ أيتوني لا يصرف إلى استدعائه تمليك عين بهبة ولا بغيرها فأما انتصاب زبر الحديد فإنك تقول أئتيك بدرهم قال :

أَتَيْتَ بِعَبْدِ اللهِ فِي الْقَيْدِ مُوثَقاً فَهَلاّ سَعيداً ذا الْخِيانَةِ وَالْغَدْرِ

فيصل الفعل إلى المفعول الثاني بحرف جرّ ثم يجوز أن يحذف الحرف اتساعاً فيصل الفعل إلى المفعول الثاني على حد أمرتك الخير ونحوه والصَّدَفْ والصُّدُف والصُّدْف لغات فاشية قال أبو عبيدة الصّدفان جنبتا الجبل ومن قرأ ائتوني أفرغ عليه قطراً فمعناه جيئوني به كما قلناه في ائتوني زبر الحديد في اتصال الفعل إلى المفعول الثاني بحرف الجر إلا أنه أعمل الفعل الثاني فلو أعمل الفعل الأول لكان ائتوني أفرغه عليه بقطر إلا أن يقدر أن الفعل يصل إلى المفعول الثاني بلا حرف كما كان كذلك في قوله ﴿ **ائتوني زبر الحديد** ﴾ وجميع ما مرَّبنا في التنزيل من هذا النحو انما هو على أعمال الثاني كما يختاره سيبويه فمن ذلك قوله﴿**يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة**﴾ومنه قوله﴿**هاؤم اقرأوا كتابيه**﴾ ووجه من قرأ آتوني أن المعنى ناولوني قطراً أفرغ عليه قطراً إلا أنه أعمل الثاني من الفعلين كما أعمل الثاني من قصر ائتوني وقراءة حمزة فما اسْطّاعوا إنما هو على ادغام التاء في الطاء ولم يلق حركتها على السين فيحرّك ما لا يتحرك ولكن ادغم مع أن الساكن الذي قبل المدغم ليس حرف مد وقد قرأت القراء غير حرف من هذا النحو وقد تقدَّم ذكر وجه هذا النحو ومما يؤكّد ذلك أن سيبويه أنشد :

كَأَنَّهُ بَعْدَ كَلالِ الزّاجِرِ وَمِسْحِهِ مُرُّ عِقابٍ كاسِرِ[1]

والحذف في اسطاعوا والاثبات في استطاعوا كل واحد منهما أحسن من الادغام على هذا الوجه الذي هو جمع بين السين الساكنة والتاء المدغمة وهي ساكنة أيضاً وأما قوله جعله دكا فإنه يحتمل أمرين (أحدهما) أنه لما قال جعله دكا كان بمنزلة خلق وعمل فكأنه قال دكه دكاً فحمله على الفعل الذي دلَّ عليه قوله جعله والوجه الآخر أن يكون جعله ذا دكّ فحذف المضاف ويمكن أن يكون حالاً في هذا الوجه ومن قرأ دكاء فعلى حذف المضاف كأنه جعله

(١) مر البيت مفسراً في ج ١ فراجع .

مثل دكاء قالوا ناقة دكاء أي لا سنام لها ولا بدَّ من تقدير الحذف لأن الجبل مذكر فلا يوصف بدكاء .

[**اللغة**] السد وضع ما ينتفي به الخرق يقال سَدَّه يسدُّه ومنه سدد السهم لأنه سدّ عليه طرق الإضطراب ومنه السداد الصواب والردم السد والحاجز يقال رَدَم فلان موضع كذا يَرْدِمه رَدْماً والثوب المُرَدَّم الخلق المرقع ومنه قول عنترة :

هَـلْ غَـادَرَ الـشُّـعَـرَاءَ مِنْ مُـتَـرَدَّمِ أَمْ هَـلْ عَـرَفْتَ الـدَّارَ بَعْـدَ تَـوَهُّمِ

أي هل تركوا من قول يؤلف تأليف الثوب المرقع والزبرة الجملة المجتمعة من الحديد والصفر ونحوهما وأصله الاجتماع ومنه الزبور وزبرت الكتاب إذا كتبته لأنك جمعت حروفه قال أبو عبيدة القطر الحديد المذاب وأنشد :

حُسَـامٌ كَلَوْنِ الْمِلْحِ صَافٍ حَـدِيدُهُ جُـرَازٌ مِنْ أَقْطَارِ الْحَـدِيدِ الْمُنَعَّتِ[١]

وأصله من القطر لأن الرصاص والحديد إذا أذيب قطر كما يقطر الماء وفي استطاع ثلاث لغات استطاع يستطيع واسطاع يسطيع واستاع يستيع بحذف الطاء استثقلوا اجتماعهما وهما من مخرج واحد فأما اسطاع يسطيع بقطع الألف وهو أطاع أفعل فزادوا السين عوضاً من ذهاب حركة الواو لأن أصل أطاع أطوع ومثله اهراق يهريق زادوا الهاء في أراق يريق وليس هذا العوض بلازم ألا ترى أن ما كان نحوه لم يلزمه هذا العوض .

[**المعنى**] ﴿ **حتى إذا بلغ بين السدين** ﴾ ثم أخبر سبحانه عن حال ذي القرنين بعد منصرفه عن المشرق أنه سلك طريقاً إلى أن بلغ بين السدين ووصل إلى ما بينهما وهما الجبلان اللذان جعل الردم بينهما وهو الحاجز بين يأجوج ومأجوج ومَنْ وراءَهم عن ابن عباس وقتادة والضحاك وقيل أراد بالسدين الموضع الذي فيه السدان اليوم لأنه لو كان هناك سدّ لم يكن لطبهم السد معنى والسدّ الموضع المسدود لا المنفتح ﴿ **وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً** ﴾ أي خصّوا بلغة كادوا لا يعرفون غيرها قال ابن عباس كادوا لا يفقهون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم وإنما قال لا يكادون لأنهم فهموا بعض الأشياء عنهم وإن كان بعد شدة ولذلك حكى الله عنهم أنهم ﴿ **قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض** ﴾ ويجوز أن يكون الله سبحانه فهّم ذا القرنين لسانهم كما فهم سليمان (ع)

---

(١) سيف جراز : قاطع .

منطق الطير أو قالوا له بترجمان أن يأجوج ومأجوج مفسدون في أرضهم وفسادهم أنهم كانوا يخرجون فيقتلونهم ويأكلون لحومهم ودوابهم وقيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يدعون شيئاً أخضر إلا أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه عن الكلبي وقيل أرادوا أنهم سيفسدون في المستقبل عند خروجهم وورد في الخبر عن حذيفة قال سألت رسول الله ﷺ عن يأجوج ومأجوج فقال يأجوج أمة ومأجوج أمة كل أمة أربعمائة أمة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كل قد حمل السلاح قلت يا رسول الله صفهم لنا قال هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرز قلت يا رسول الله وما الأرز قال شجر بالشام طوال وصنف منهم طولهم وعرضهم سواء وهؤلاء الذين لا يقوم لهم خيل ولا حديد وصنف منهم يفترش احدى أذنيه ويلتحف بالأخرى ولا يمرُّون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا خنزير إلا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية قال وهب ومقاتل أنهم من ولد يافث بن نوح أبي الترك وقال السدي الترك سرية من يأجوج ومأجوج خرجت تغير فجاء ذو القرنين فضرب السد فبقيت خارجه وقال قتادة ان ذا القرنين بنى السد على إحدى وعشرين قبيلة وبقيت منهم قبيلة دون السد فهم الترك وقال كعب هم نادرة في ولد بني آدم وذلك أن آدم (ع) احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج فهم متصلون بنا من جهة الأب دون الأم وهذا بعيد وقوله ﴿ **فهل نجعل لك خرجاً** ﴾ أو خراجاً معناه فهل نجعل لك بعضاً من أموالنا ﴿ **على أن تجعل بيننا وبينهم سداً** ﴾ أي حائطاً وقيل في الفرق بين الخرج والخراج أن الخراج اسم لما يخرج من الأرض والخرج اسم لما يخرج من المال وقيل الخراج الغلة والخرج الاجرة وقيل الخراج ما يؤخذ عن الأرض والخرج ما يؤخذ عن الرقاب قاله أبو عمرو وقيل الخراج ما يؤخذ في كل سنة والخرج ما يؤخذ دفعة عن تغلب ﴿ **قال** ﴾ ذو القرنين ﴿ **ما مكني فيه ربي خير** ﴾ أي أعطاني ربي من المال ومكني فيه من الاتساع في الدنيا خير مما عرضتموه عليَّ من الأجر ﴿ **فأعينوني بقوة** ﴾ أي برجال فيكون معناه بقوة الأبدان وقيل بعمل تعملونه معي عن الزجاج وقيل بآلة العمل وذلك زبر الحديد والصفر ﴿ **أجعل بينكم وبينهم ردماً** ﴾ أي سداً وحاجزاً قال ابن عباس الردم أشد الحجاب وقيل هو السد المتراكب بعضه على بعض ﴿ **آتوني زبر الحديد** ﴾ أي أعطوني قطع الحديد أو جيئوا بقطع الحديد على القراءة الأخرى وفي الكلام حذف وهو أنهم أتوه بما طلبه منهم من زبر الحديد ليعمل الردم في وجوه يأجوج ومأجوج فبناه ﴿ **حتى إذا ساوى بين الصدفين** ﴾ أي سوّى بين جانبي الجبل بما جعل بينهما من الزبر قال الأزهري يقال لجانبي الجبل صدفان لتصادفهما أي تحاذيهما وتلاقيهما وقيل هما جبلان كل واحد

منهما منعدل عن الآخر كأنه قد صدف عنه وقوله ﴿ **قال انفخوا** ﴾ معناه قال ذو القرنين انفخوا النار على الزبر أمرهم أن يؤتى بمنافخ الحدادين فينفخوا في نـار الحديـد التي أوقدت فيـه ﴿ **حتى إذا جعله ناراً** ﴾ أي حتى إذا جعل الحديد كالنار في منظره من الحمي واللهب فصار قطعة واحدة لزم بعضها بعضاً ﴿ **قال آتوني أفرغ عليه قطراً** ﴾ أي أعطوني نحـاساً مـذاباً أو صفراً مذاباً أو حديداً مذاباً أصبه على السدين الجبلين حتى ينسد الثقب الـذي فيه ويصيـر جـداراً مصمتاً فكـانت حجارتـه الحديـد وطينه النحـاس الذائب عن ابن عبـاس ومجـاهـد والضحاك قال قتادة فهو كـالبرد المحبـر طريقـة سوداء وطـريقة حمـراء ﴿ **فما اسـطاعوا أن يظهروه** ﴾ معنا فلما تمَّ لم يستطع يأجوج ومأجوج أن يعلوه ويصعدوه يقال ظهرت السطح إذا علوته ﴿ **وما استطاعوا له نقباً** ﴾ أي ولم يستطيعوا أن ينقبـوا أسفله لكثافتـه وصلابتـه ونفي بذلك كل عيب يكون في السـد وقيل أن هـذا السد وراء بحـر الروم بين جبلين هنـاك يلي مؤخرهما البحر المحيط وقيل أنه وراء دربند وخزران من ناحيـة أرمينية وإذربيجـان وقيل أن مقدار ارتفاع السد مائتا ذراع وعرض الحـائط نحو من خمسين ذراعـاً ﴿ **قال** ﴾ ذو القـرنين ﴿ **هذا رحمة من ربي** ﴾ أي هذا السد نعمة من الله لعباده أنعم بها عليهم في دفع شر يأجوج ومأجوج عنهم ﴿ **فإذا جاء وعد ربي** ﴾ يعني إذا جاء وقت أشـراط الساعـة ووقت خروجهم الذي قدَّره الله تعالى ﴿ **جعله دكاء** ﴾ أي جعل السد أرضاً مستوياً مع الأرض مدكوكاً أو ذا دك وإنما يكون ذلك بعد قتل عيسى بن مريم الدجال عن ابن مسعود وجاء في الحديث أنهم يدأبون في حفره نهارهم حتى إذا أمسـوا وكادوا يبصـرون شعاع الشمس قـالوا نـرجع غـداً ونفتحه ولا يستثنون فيعودون من الغد وقد استوى كما كان حتى إذا جاء وعد الله قالوا غـداً نفتح ونخرج إن شاء الله فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه بالأمس فيخرقونه ويخرجون على الناس فينشفون المياه ويتحصن الناس في حصونهم منهم فيرمون سهامهم إلى السماء فترجع وفيها كهيئة الدماء فيقولون قد قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء فيبعث الله عليهم نغفاً في أقفائهم(١) فيدخل في آذانهم فيهلكون بها فقال النبي ﷺ والذي نفس محمد بيده أن دواب الأرض لتسمن وتسكر من لحومهم سكراً وفي تفسير الكلبي أن الخضر وأليسع يجتمعان كل ليلة على ذلك السد يحجبان يأجوج ومأجوج عن الخروج ﴿ **وكان وعد ربي حقاً** ﴾ أي وكان ما وعد الله بأن يفعله لا بدَّ من كونه فإنه حقّ إذ لا يجوز أن يخلف وعده .

﴿ * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي

(١) النغف : دود يسقط من أنوف الإبل والغنم . وقيل : دود أبيض يكون في النوى إذا انقع .

ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ
عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟
لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى
مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾
قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ
لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟
وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾

[**القراءة**] قرأ أبو بكر في رواية الأعشى والبرجمي عنه وزيد عن يعقوب أفحَسْبُ الذين كفروا برفع الباء وسكون السين وهو قراءة أمير المؤمنين (ع) وابن يعمر والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك وابن أبي ليلى وهذا من الأحرف التي اختارها أبو بكر وخالف عاصماً فيها وذكر أنه أدخلها في قراءة عاصم من قراءة أمير المؤمنين (ع) حتى استخلص قراءته وقرأ الباقون أفحَسِبَ بكسر السين وفتح الباء .

[**الحجة**]قال ابن جني معناه أفحَسْبُ الكافرين وحظهم ومطلوبهم أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء بل يجب أن يَعبدوا أنفسُهم مثلهم فيكون كلهم عبيداً وأولياء لي ونحوه قوله تعالى ﴿ **وتلك نعمة تمنّها عليّ ان عبدت بني إسرائيل** ﴾ أي اتخذتهم عبيداً لك وهذا أيضاً هو المعنى إذا كانت القراءة أفحسب الذين كفروا إلا أن حسب ساكنة السين اذهب في الذم لهم وذلك لأنه جعله غاية مرادهم ومجموع مطلوبهم وليست القراءة الأخرى كذلك .

[**اللغة**] الترك التخلية والتريكة بيضة النعام كأنها تركت بالعراء والتريكة أيضاً الروضة يغفلها الناس فلا يرعونها والترك ضد الأخذ والترك في الحقيقة لا يجوز على الله تعالى وإنما

يجوز على العاذر بعذره إلا أنه يتوسع فيه فيعير فيه عن الإخلال بالشيء بالترك والموج اضطراب الماء بتراكب بعضه على بعض والنُزُل ما يُهيأ للنزيل وهو الضيف قال الشاعر :

نَـزِيـلُ الْقَـوْمِ أَعْـظَمُهُمْ حُقُـوقـاً وَحَـقُّ اللهِ فـي حَـقِّ الـنَّـزِيـلِ

وطعام ذو نُزْل ونَزَل بفتح النون والزاء أيضاً ذو فضل .

[**الإعراب**] أن يتخذوا في موضع نصب بوقوع حسب عليه ومن قرأ فَحَسْبُ بالرفع وسكون السين فإن يتخذوا في موضع رفع أعمالاً منصوب على التمييز لأنه لما قال بالأخسرين كان مبهماً لا يدل على ما خسروه فبيَّن ذلك الخسران في أي نوع وقع والذين يصلح أن يكون في موضع جر على الصفة للأخسرين ويصلح أن يكون في موضع رفع على الاستئناف أي هم الذين ضل سعيهم .

[**المعنى**] ثم أخبر سبحانه عن حال تلك الأمم فقال ﴿ **وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض** ﴾ أي وتركنا يأجوج ومأجوج يوم انقضاء أمر السد يموجون في الدنيا مختلطين لكثرتهم ويكون حالهم كحال الماء الذي يتموج باضطراب أمواجه وقيل أنه أراد سائر الخلق من الجن والإنس أي وتركناهم يوم خروج يأجوج ومأجوج يختلطون بعضهم ببعض لأن ذلك علم للساعة ثم ذكر سبحانه نفخ الصور فقال ﴿ **ونفخ في الصور** ﴾ لأن خروج يأجوج ومأجوج من أشراط الساعة واختلف في الصور فقيل هو قرن ينفخ فيه عن ابن عباس وابن عمر وقيل هو جمع صورة فإن الله سبحانه يصوّر الخلق في القبور كما صوَّرهم في أرحام الأمهات ثم ينفخ فيهم الأرواح كما نفخ وهم في أرحام أمهاتهم عن الحسن وأبي عبيدة وقيل أنه ينفخ إسرافيل في الصور ثلاث نفخات فالنفخة الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق التي يصعق من في السماوات والأرض بها فيموتون والثالثة نفخة القيام لرب العالمين فيحشر الناس بها من قبورهم ﴿ **فجمعناهم جمعاً** ﴾ أي حشرنا الخلق يوم القيامة كلهم في صعيد واحد ﴿ **وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً** ﴾ أي أظهرنا جهنم وأبرزناها لهم حتى شاهدوها ورأوا ألوان عذابها قبل دخولها ثم وصف الكافرين فقال ﴿ **الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري** ﴾ ذكر سبحانه السبب الذي استحقُّوا به النار يعني الذين غفلوا عن الاعتبار بقدرتي الموجب لذكري وأعرضوا عن التفكر في آياتي ودلائلي فصاروا بمنزلة من يكون في ء نه غطاء يمنعه من الإدراك ﴿ **وكانوا لا يستطيعون سمعاً** ﴾ أي وكان يثقل عليهم سماع القرآن وذكر الله تعالى كما يقال فلان لا يستطيع النظر إليك ولا يستطيع أن يسمع كلامك أي يثقل عليه ذلك وأراد بالعين هنا عين القلب كما يضاف العمى إلى القلب ﴿ **أفحسب الذين**

كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء﴾معناه أفحسب الذين جحدوا توحيد الله أن يتخذوا من دوني أرباباً ينصرونهم ويدفعون عقابي عنهم والمراد بالعباد المسيح والملائكة الذين عبدوهم من دون الله وهم براء منهم ومن كل مشرك بالله تعالى وقيل معناه أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا من دوني آلهة وأنا لا أغضب لنفسي عليهم ولا أعاقبهم عن ابن عباس ويدل على هذا المحذوف قوله ﴿ **إنا اعتدنا جهنم للكافرين نزلاً** ﴾ أي منزلاً عن الزجاج وهو معنى قول ابن عباس يريد هي مثواهم ومصيرهم وقيل معناه أنا جعلنا جهنم معدة مهيأة للكافرين عندنا كما يهيّأ النزل للضيف ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **هل ننبئكم** ﴾ أي هل نخبركم ﴿ **بالأخسرينَ أعمالاً** ﴾ أي بأخسر الناس أعمالاً والمعنى بالقوم الذين هم أخسر الناس فيما عملوا وهم كفار أهل الكتاب اليهود والنصارى ﴿ **الذين ضل سعيهم** ﴾ أي بطل عملهم واجتهادهم ﴿ **في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً** ﴾ أي يظنون أنهم بفعلهم محسنون وان أفعالهم طاعة وقربة وروى العياشي بإسناده قال قام ابن الكواء إلى أمير المؤمنين (ع) فسأله عن أهل هذه الآية فقال أولئك أهل الكتاب كفروا بربهم وابتدعوا في دينهم فحبطت أعمالهم وما أهل النهر منهم ببعيد يعني الخوارج ﴿ **أولٓئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم** ﴾ أي جحدوا بحجج الله وبيناته ولقاء جزائه في الآخرة فبطلت وضاعت أعمالهم التي عملوها لأنهم أوقعوها على خلاف الوجه الذي أمرهم الله به ﴿ **فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا** ﴾ أي لا قيمة لهم عندنا ولا كرامة ولا نعتد بهم بل نستخف بهم ونعاقبهم تقول العرب ما لفلان عندنا وزن أي قدر ومنزلة ويوصف الجاهل بأنه لا وزن له لخفته بسرعة بطشه وقلة تثبته وروي في الصحيح أن النبي ﷺ قال إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن جناح بعوضة ﴿ **ذلك جزاؤهم جهنم** ﴾ معناه الأمر ذلك الذي ذكرت من حبوط أعمالهم وخيبة قدرهم ثم ابتدأ سبحانه فقال جزاؤهم جهنم ﴿ **بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً** ﴾ أي بكفرهم واتخاذهم آياتي أي أدلتي الدالة على توحيدي يعني القرآن ورسلي هزواً أي مهزوًّا به .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ
فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا
لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا

بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة غير عاصم أن ينفد بالياء والباقون تنفد بالتاء وفي الشواذ قراءة ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وسليمان التيمي ولو جئنا بمثله مداداً .

[**الحجة**] قال أبو علي تنفد بالتاء أحسن لأن المسند إليه للفعل مؤنث والمذكر حسن أيضاً لأن التأنيث ليس بحقيقي ومن قرأ مدداً فهو منصوب على الحال كما يقال جئتك بزيد عوناً لك ومدداً لك ويجوز أن ينتصب على المصدر بفعل مضمر يدل عليه قوله ﴿ **ولو جئنا بمثله** ﴾ فكأنه قال أمددنا به أمداداً ثم وضع مدداً موضع امداداً وقال الزجاج هو منصوب على التمييز ومن قال جئنا بمثله مداداً فإنه ينتصب على التمييز والمعنى بمثله من المداد ويكون مثل قولك لي مثله عبداً أي من العبيد وعلى التمرة مثلها زبداً أي من الزبد .

[**اللغة**] الفردوس البستان الذي يجتمع فيه التمر والزهر وسائر ما يمتع ويلذ قال الزجاج هو البستان الذي يجمع محاسن كل بستان قال وقال قوم أن الفردوس الأودية التي تنبت ضروباً من النبت وقالوا هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية ولم نجده في أشعار العرب إلا في بيت حسان :

فَإِنَّ ثَوَابَ اللهِ كُلَّ مُوَحِّدِ   جِنَانٌ مِنَ الْفِرْدَوْسِ فيها يُخَلَّدُ

والحِوَل التحول يقال قد حال من مكانه حِوَلاً كما قالوا في المصادر صَغُر صِغراً وَعَظُم عِظَماً وعاد في حبها عِوَداً وقيل إن الحِوَل أيضاً الحيلة وقيل أن الحِوَل بمعنى التحويل يقال حوَّلوا عنها تحويلاً وحِوَلاً عن الأزهري وابن الأعرابي والمداد التي يكتب به والمدد المصدر وهو مجيء شيء بعد شيء والكلمة الواحدة من الكلام وقد يقال للقصيدة كلمة لأنها قطعة واحدة من الكلام ﴿ **ومما** ﴾ يسأل عنه فيقال إن الكلمات لأقل العدد فكيف جاء بها هاهنا والجواب أن العرب تستغني بالجمع القليل عن الجمع الكثير وبالكثير عن القليل قال الله تعالى ﴿ **وهم في الغرفات آمنون** ﴾ والغرف في الجنة أكثر من أن تحصى وقال ﴿ **هم درجات عند الله** ﴾ وقال حسان :

لَنـا الْجَفَنـاتُ الغُـرِّ يَلْمَعْنَ في الضُّحى وَأَسْيـافُنـا يَقْـطُرْنَ مِنْ نَـجْـدَةٍ دَمـا[(١)]

وكان أبو علي الفارسي ينكر الحكاية التي تروى عن النابغة وأنه قال لحسان قللت جفناتكم وأسيافكم[(٢)] فقال لا يصح هذا عن النابغة .

[**الإعراب**] إن جعلت نزلاً بمعنى المنزل فهو خبر كان على ظاهره وإن جعلته بمعنى ما يقام للنازل قدَّرت المضاف على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمهما نـزلا ويجوز أن يكون نزلا جمع نازل فيكون نصبا على الحال من الضمير في لهم ومعنى كان أنه كان في علم الله تعالى قبل أن يخلقوا عن ابن الأنباري وقوله فليعمل يجوز كسر اللام واسكانها والأصل الكسر إلا أنه يثقل في اللفظ .

[**المعنى**] لمّا تقدَّم ذكر حال الكافرين عقَّبه سبحانه بذكر حال المؤمنين فقال ﴿ **إن الذين آمنوا** ﴾ أي صدقوا الله ورسوله ﴿ **وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس** ﴾ أي كان في حكم الله وعلمه لهم بساتين الفردوس وهو أطيب موضع في الجنة وأوسطها وأفضلها وأرفعها عن قتادة وقيل هو الجنة الملتفة الأشجار عن قتادة وقيل هو البستان الذي فيه الأعناب عن كعب وروى عبادة بن الصامت عن النبيﷺ قال الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض الفردوس أعلاها درجة منها تفجر أنهار الجنة الأربعة فإذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس ﴿ **نزلاً** ﴾ أي منزلاً ومأوى وقيل ذات نزول ﴿ **خالدين فيها** ﴾ أي دائمين فيها ﴿ **لا يبغون عنها حولاً** ﴾ أي لا يطلبون عن تلك الجنات تحولاً إلى موضع آخر لطيبتها وحصول مرادهم فيها ثم أمر سبحانه نبيَّهﷺ فقال ﴿ **قل** ﴾ يا محمد لجميع المكلفين ﴿ **لو كان البحر** ﴾ وهو اسم الجنس أي لو كان البحر بمائه ﴿ **مداداً لكلمات ربي** ﴾ أي مداداً ليكتب به ما يقدر الله عليه من الكلام والحكم وقيل أراد بالكلمات ما يقدر سبحانه على أن يخلقه من الأشياء ويأمر به كما قال في عيسى(ع)﴿**وكلمته ألقاها إلى**

---

(١) الجفنات : القصاع . والغر: البيض. أراد أنها بيض من كثرة الشحم وبياض اللحم. يصف قومه بالجود والشجاعة .

(٢) حكى أن النابغة الذبياني كان يضرب له بسوق عكاظ قبة حمراء من آدم فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها فصدف أن أنشده حسان يوماً هذا البيت فقال النابغة : أنت شاعر ولكنك أقللت جفانك وأسيافك، أراد أن أسياف جمع لادنى العدد والكثير السيوف، والجفنات كذلك لأدنى العدد والكثير الجفان . وفي هذا البيت كلام للخنساء أيضاً فإنها قالت لحسان: لقد قلت يلمعن بالضحى وكان حقه بالدجى، وقلت: الغر وكان حقه البيض ويقطرن وكان الأجمل يسلن أو يفضن .

مريم ﴾ وقيل أراد بالكلمات ما وعد لأهل الثواب وأوعد لأهل العقاب عن أبي مسلم ﴿ لنفد البحر ﴾ أي لفنى ماء البحر ﴿ قبل أن تنفد كلمات ربي ﴾ وقيل أن كلماته المراد بها مقدوراته وحكمته وعجائبه وقوله ﴿ ولو جئنا بمثله مدداً ﴾ أي ولو جئنا بمثل البحر مدداً له أي عوناً وزيادة لما نفد ذلك وقيل أراد بكلمات ربي معاني كلمات ربي وفوائدها وهي القرآن وسائر كتبه ولم يرد بذلك أعيان الكلمات لأنه قد فرغ من كتابتها فيكون تقدير قل لو كان البحر مداداً لكتابة معاني كلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كتابة معاني كلمات ربي فحذف لأن المعنى مفهوم والمداد هو الجائي وا لآتي شيئاً بعد شيء قال ابن الأنباري سمي المداد مداداً لأمداده الكاتب ويقال للزيت الذي يوقد به السراج مداداً وروى عكرمة عن ابن عباس قال لما نزل قوله ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ قالت اليهود أوتينا علماً كثيراً أوتينا التوراة وفيها علم كثير فأنزل الله هذه الآية ولذلك قال الحسن أراد بالكلمات العلم فإنه لا يدرك ولا يحصى ونظيره ﴿ ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام ﴾ الآية ثم قال ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ إنما أنا بشر مثلكم ﴾ قال ابن عباس علَّم الله نبيَّه التواضع لئلا يزهى على خلقه فأمره أن يقرَّ على نفسه بأنه آدمي كغيره إلا أنه أكرم بالوحي وهو قوله ﴿ يوحى إليَّ إنما إلٰهكم إلٰه واحد ﴾ لا شريك له أي لا فضل لي عليكم إلا بالدين والنبوة ولا علم لي إلا ما علمنيه الله تعالى ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه ﴾ أي فمن كان يطمع في لقاء ثواب ربه ويأمله ويقر بالبعث إليه والوقوف بين يديه وقيل معناه فمن كان يخشى لقاء عقاب ربه وقيل أن الرجاء يشتمل على كلا المعنيين الخوف والأمل وأنشد في ذلك قول الشاعر :

فَـلا كُـلُّ مَـا تَـرْجُـو مِنَ الْخَيْـرِ كَـائِنٌ وَلاَ كُـلُّ مَـا تَـرْجُـو مِـنَ الـشَّـرِّ وَاقِـعٌ

﴿ فليعمل عملاً صالحاً ﴾ أي خالصاً لله تعالى يتقرّب به إليه ﴿ ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ غيره من ملك أو بشر أو حجر أو شجر عن الحسن وقيل معناه لا يرائي في عبادته أحداً عن سعيد بن جبير وقال مجاهد جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال إني أتصدق وأصل الرحم ولا أصنع ذلك إلا لله فيُذْكر ذلك مني وأُحْمَد عليه فيسرُّني ذلك وأعجب به فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يقل شيئاً فنزلت الآية قال عطاء عن ابن عباس إن الله تعالى قال ﴿ ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ ولم يقل ولا يشرك به لأنه أراد العمل الذي يعمل لله ويحب أن يحمد عليه قال ولذلك يستحب للرجل أن يدفع صدقته إلى غيره ليقسمها كيلا يعظمه من يصله بها وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال قال الله عز وجل ﴿ أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه

بريء ﴾ فهو للذي أشرك أورده مسلم في الصحيح وروي عن عبادة بن الصامت وشداد بن أوس قالا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من صلى صلاة يرائي بها فقد أشرك ومن صام صوماً يرائي به فقد أشرك ثم قرأ هذه الآية وروي أن أبا الحسن الرضا (ع) دخل يوماً على المأمون فرآه يتوضأ للصلاة والغلام يصب على يده الماء فقال لا تشرك بعبادة ربك أحداً فصرف المأمون الغلام وتولى إتمام وضوئه بنفسه وقيل إن هذه الآية آخر آية نزلت من القرآن وروى الشيخ أبو جعفر بن بابويه بإسناده عن عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده عن علي (ع) قال ما من عبد يقرأ ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم ﴾ إلى آخره إلا كان له نوراً في مضجعه إلى بيت الحرام فإن كان من أهل البيت الحرام كان له نوراً إلى بيت المقدس وقال أبو عبد الله (ع) ما من أحد يقرأ آخر الكهف عند النوم الا يتيقظ في الساعة التي يريدها .

[**النظم**] وجه اتصال الآية الثانية وهي قوله ﴿ **قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي** ﴾ بما قبلها أنه لما تقدَّم الأمر والنهي والوعد والوعيد وعقَّب ذلك سبحانه ببيان أن مقدوراته لا تتناهى وأنه قادر على ما يشاء في أفعاله وأوامره على حسب المصالح فمن الواجب على المكلف أن يمتثل أمره ونهيه ويثق بوعده ويتقي وعيده .

(١٩) سورة مريم مكية وآياتها ثمان وتسعون

وهي مكية بالإجماع .

[**عدد آيها**] وهي ثمان وتسعون آية عراقي شامي والمدني الأول وتسع مكي والمدني الأخير .

[**إختلافها**] ثلاث آيات كهيعص كوفي الرحمن مداً غير الكوفي في الكتاب إبراهيم مكي والمدني الأخير .

[**فضلها**] أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من قرأها أعطي من الأجر بعدد من صدَّق بزكريا وكذَّب به ويحيى ومريم وعيسى وموسى وهارون وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل عشر حسنات وبعدد من دعى لله ولداً وبعدد من لم يدع له ولداً وقال الصادق (ع) من أدْمَنَ قراءة سورة مريم لم يمت في الدنيا حتى يصيب منها ما يغنيه في نفسه وماله وولده وكان في الآخرة من أصحاب عيسى بن مريم (ع) وأعطي من الأجر في الآخرة ملك سليمان بن داود في الدنيا .

[**تفسيرها**] ختم الله سبحانه سورة الكهف بذكر التوحيد والدعاء إليه وافتتح هذه السورة بذكر الأنبياء الذين كانوا على تلك الطريقة بعثاً على الإقتداء بهم والإهتداء بهديهم وحثاً عليه فقال :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ

رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ
ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفۡتُ
ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ
وَلِيّٗا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ﴿٦﴾

[**القراءة**] قرأ أبو عمرو كهيعص بأمالة ها وفتح يا وقـرأ ابن عامـر بروايـة ابن ذكوان وحمزة وخلف بفتح ها وأمالة يا وقرأ الكسائي بأمالة ها ويا وروي ذلك عن اليزيدي عن أبي عمرو وعن يحيى عن أبي بكر والباقون بفتحها وقرأ أبو عمرو والكسائي يرثني ويرث بالجزم فيهما والباقون بالرفع فيهما وفي الشواذ قـراءة الحسن ذَكَرَ رَحْمَـةَ ربك وقـراءة عثمان وابن عباس وزيد بن ثابت وعلي بن الحسين ومحمد بن علي البـاقر وابن يعمـر وسعيد بن جبيـر وأني خفت الموالي بفتح الخاء وتشديد الفاء وكسر التاء وقراءة علي بن أبي طالب (ع) وابن عباس وجعفر بن محمد وابن يعمر والحسن والجحدري وقتادة وأبي نهيك يرثني وأرث من آل يعقوب .

[**الحجة**] قال أبو علي القول في أمالة هذه الحروف أنها لا تمتنع لأنها ليست بحروف معنى وإنما هي أسماء لهذه الأصوات قال سيبويه قالوا بأمالاتها لأنهـا أسماء لمـا يتهجى به فجازت فيها الأمالة كما جازت في الأسماء ويدلـك على أنها أسمـاء أنك إذا أخبـرت عنها أعربتها وإن كنت لا تعربها قبل ذلك كما أن أسماء العدد إذا أخبرت عنها أعربتها فكما أن أسماء العدد قبل أن تعربها أسماء فكذلك هذه الحروف وإذا كانت أسماء ساغت الإمالة فيها فأما من لم يمل فعلى مذهب أهل الحجاز وكلهم أخفى نون عين إلا حفصاً فإنه بيَّن النون وقال أبو عثمان وبيان النون مع حروف الفم لحن إلا أن هذه الحـروف تجري على الـوقف عليها والقطع لها عما بعدها فحكمها البيان وأن لا تخفى فكذلك أسماء العدد حكمها على الوقف وعلى أنها منفصلة عما بعدها ومما يبين أنها على الوقف أنهم قالوا ثلاثة أربعة نقلوا حركة الهمزة إلى الهاء لسكونها ولم يقلبوها تاء وإن كانت موصولة لما كانت النية بها الوقف فكذلك النـون ينبغي أن تبين لأنها في نيـة الوقف والإنفصـال مما بعـدها ولمن لم يبين أن يستدل بتركهم قطع الهمزة في ألَم الله ألا ترى أن الهمزة لم تقطع وإن كان ما هي منه في تقدير الإنفصال مما قبله فكذلك لم يبين النون من عين لأنها جعلت في حكم الإتصال كما

كانت الهمزة فيما ذكرنا كذلك قال أبو الحسن التبيين يعني تبيين النون أجود في العربية لأن حروف الهجاء والعدد يفصل بعضها من بعض قال وعامة القراء على خلاف التبيين ووجهه الرفع في قوله ﴿ يرثني ويرث ﴾ إنه سأل ربه ولياً وارثاً وليس المعنى على الجزاء أي إن وهبته يرث ووجه الجزم أنه على الجزاء وجواب الدعاء ومن قرأ يرثني وأرث فمعناه التجريد وتقديره فهب لي ولياً يرثني منه وأرث من آل يعقوب وهذا الوارث نفسه قال ابن جني قال وهذا ضرب من العربية غريب فكأنه جرد منه وارثاً ومثل قوله تعالى ﴿ لهم فيها دار الخلد ﴾ وهي نفسها دار الخلد فكأنه جرد من الدار داراً وعليه قول الأخطل :

بِنَــزْوَةِ لُصٍّ بَعْــدَ مَــا مَــرَّ مُصْعَبٌ ... بِــأَشْعَثَ لاَ يُفْلى وَلاَ هُــوَ يَـقْمَــلُ

ومصعب نفسه هو الأشعث فكأنه إستخلص منه أشعث وأما قراءة الحسن ذَكَرَ رَحْمَةَ ربك فإن فاعل ذكر ضمير ما تقدم أي هذا المتلو من القرآن الذي هذه الحروف أوله وفاتحته بذكر رحمة ربك وعلى هذا أيضاً يرتفع قوله ﴿ ذكر رحمة ربك ﴾ أي هذا القرآن ذكر رحمة ربك وإن شئت كان التقدير ومما نقص عليك ذكر رحمة ربك فيكون على الوجه الأول ذكر خبر مبتدأ وعلى الوجه الثاني يكون مبتدأ ومن قال خفت الموالي فمعناه قل بنو عمي وأهلي ومعنى من ورائي أي من أخلفه بعدي فقوله من ورائي حال متوقعة محكية أي متصوراً متوقعاً كونهم بعدي ومثله مسألة الكتاب مررت برجل معه صقر صائداً به غداً أي متصوراً به صيده به غداً .

[**اللغة**] الوهن الضعف ونقصان القوة يقال وهن يهن وهنا والإشتعال إنتشار شعاع النار وقوله ﴿ واشتعل الرأس شيباً ﴾ من أحسن الاستعارات والمعنى اشتعل الشيب في الرأس وانتشر كما ينتشر شعاع النار قال الزجاج يقال للشيب إذا كثر جداً قد اشتعل رأس فلان وأنشد للبيد :

إنْ تَــرِيْ رَأْسِيَ أَمْســىٰ وٰاضِحــاً ... سَـلَطَ الشَّـيْبُ عَـلَيْـهِ فَــاشْـتَـعَــل

والدعاء طلب الفعل من المدعو وفي مقابلته الإجابة كما إن في مقابلة الأمر الطاعة والمولى أصله من الولي وهو القرب وسمي ابن العم مولى لأنه يليه في النسب وقال ابن الأنباري في كتاب مشكل القرآن المولى في اللغة ينقسم على ثمانية أقسام المنعِمُ المعتق والمنعَمُ عليه المعتق والولي والأولى بالشيء وابن العم والجار والصهر والحليف واستشهد على كل قسم من هذه الأقسام بشيء من الشعر ومما استشهد به في أنه بمعنى الولي والأولى قول الأخطل :

فَأَصْبَحْتَ مَوْلاها مِنَ النَّاسِ بَعْدَهُ   وَأَحْرىٰ قُرَيْشٍ أنْ تُهابَ وَتُحْمَدا

وقوله أيضاً يخاطب بني أمية :

أعْطاكُمُ اللهُ جَدّاً تَنْصُرُونَ بِهِ   لا جَدَّ إلّا صَغِيرٌ بَعْدُ مُحْتَقَرُ
لَمْ يَأْشِرُوا فِيهِ إذْ كانُوا مَوالِيَهُ   وَلَوْ يَكُونُ لِقَوْمٍ غَيْرِهِمْ أَشَرُوا

والعاقر المرأة التي لا تلد يقال إمرأة عاقر ورجل عاقر لا يولد له ولد قال الشاعر :

لَبِئْسَ الفَتى إنْ كُنْتُ أسْوَدَ عاقِراً   جَباناً فَما عُذْري لَدىٰ كُلِّ مَحْضَرِ

والعقر في البدن الجرح ومنه أخذ العاقر لأنه نقص أصل الخلقة أما بالجراحة وأما بإمتناع الولادة وعقرتُ الفرس بالسيف ضربتُ قوائمه والجعل على أربعة أقسام بمعنى الأحداث كقولهم جعل البناء أي أحدثه وبمعنى أن يحدث ما يتغير به كقولهم جعل الطين خزفاً وبمعنى أن يحدث فيه حكماً كقولهم جعل فلاناً فاسقاً أي بما أحدث فيه من حكمه وتسميته وبمعنى أن يحدث ما يدعوه إلى أن يفعل كقولهم جعله أن يقتل زيداً أي بأن أمره به ودعاه إلى قتله .

[**الإعراب**] ذكرُ مرتفع بالمضمر وتقديره هذا الذي يتلوه عليك ذكر رحمة ربك وهو مصدر مضاف إلى ما هو المفعول في المعنى ورحمة مصدر مضاف إلى الفاعل وعبده مفعول رحمة وزكريا بدل من عبده أو عطف بيان ويقرأ بالقصر والمد وقوله قال ﴿ **رب أني وهن العظم مني** ﴾ بيان وتفسير للنداء الخفي وشيبا منصوب على التمييز والتقدير واشتعل الرأس من الشيب بدعائك تقديره بدعائي إياك فالمصدر مضاف إلى المفعول كقوله ﴿ **من دعاء الخير** ﴾ وبسؤال نعجتك .

[**المعنى**] ﴿**كهيعص**﴾ قد بيّنا في أول البقرة إختلاف العلماء في الحروف المعجم التي في أوائل السور وشرحنا أقوالهم هناك وحدث عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال أن كاف من كريم وها من هاد وياء من حكيم وعين من عليم وصاد من صادق وفي رواية عطا والكلبي عنه أن معناه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق أيديهم عالم ببريته صادق في وعده وعلى هذا فإن كل واحد من هذه الحروف يدل على صفة من صفات الله عز وجل وروي عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال في دعائه اسألك يا كهيعص ﴿ **ذكر رحمة ربك عبده زكريا** ﴾ أي هذا خبر رحمة ربك زكريا عبده ويعني بالرحمة إجابته إياه حين دعاه

وسأله الولد وزكريا اسم نبي من أنبياء بني إسرائيل كان من أولاد هارون بن عمران أخي موسى بن عمران وقيل إن معناه ذكر ربك عبده بالرحمة ﴿ **إذ نادى ربه نداء خفياً** ﴾ أي حين دعا ربه دعاء خفياً خافياً سراً غير جهر يخفيه في نفسه لا يريد به رياء وفي هذا دلالة على أن المستحب في الدعاء الإخفاء وإن ذلك أقرب إلى الإجابة وفي الحديث خير الدعاء الخفي وخير الرزق ما يكفي وقيل إنما أخفاه لئلا يهزأ به الناس فيقول إنظروا إلى هذا الشيخ يسأل الولد على الكبر ﴿ **قال رب إني وهن العظم مني** ﴾ أي ضعف وإنما أضاف الوهن إلى العظم لأن العظم مع صلابته إذا ضعف وتناقص فكيف باللحم والعصب وقيل إنما خصَّ العظم لأنه شكا ضعف البطش والبطش إنما يكون بالعظم دون اللحم وغيره ﴿ **واشتعل الرأس شيباً** ﴾ معناه أن الشيب قد عمَّ الرأس وهو نذير الموت عن أبي مسلم وقيل معناه تلألأ الشيب في رأسي لكثرته عن ابن الأنباري وصف حاله خضوعاً وتذللاً لا تعريفاً ﴿ **ولم أكن بدعائك رب شقياً** ﴾ أي ولم أكن بدعائي إياك فيما مضى مخيباً محروماً والمعنى أنك قد عوَّدتني حسن الإجابة وما خيبتني فيما سألتك ولا حرمتني الإستجابة فيما دعوتك فلا تخيبني فيما اسألك ولا تحرمني إجابتك فيما أدعوك يقال شقي فلان بحاجته إذا تعب بسببها ولم يحصل مطلوبه منها ﴿ **وإني خفت الموالي** ﴾ وهم الكلالة عن ابن عباس وقيل العصبة عن مجاهد وقيل لهم العمومة وبنو العم عن أبي جعفر (ع) وقيل بنو العم وكانوا أشرار بني إسرائيل عن الجبائي وقيل هم الورثة عن الكلبي ﴿ **من ورائي** ﴾ أي من خلفي ﴿ **وكانت امرأتي عاقراً** ﴾ أي عقيماً لا تلد ﴿ **فهب لي من لدنك ولياً** ﴾ أي ولداً يليني فيكون أولى بميراثي ﴿ **يرثني** ﴾ إن قرأته بالجزم فالمعنى أن تهبه لي يرثني وإن رفعته جعلته صفة لولي والمعنى ولياً وارثاً لي ﴿ **ويرث من آل يعقوب** ﴾ وهو يعقوب بن ماتان وأخوه عمران بن ماتان أبو مريم عن الكلبي ومقاتل وقيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم لأن زكريا كان متزوجاً بأخت أم مريم بنت عمران ونسبها يرجع إلى يعقوب لأنها من ولد سليمان بن داود (ع) وهو من ولد يهوذا بن يعقوب وزكريا من ولد هارون وهو من ولد لاوي بن يعقوب عن السدي ثم إختلف في معناه فيل معناه يرثني مالي ويرث من آل يعقوب النبوة عن أبي صالح وقيل معناه يرث نبوتي ونبوة آل يعقوب عن الحسن ومجاهد واستدل أصحابنا بالآية على أن الأنبياء يورثون المال وأن المراد بالإرث المذكور فيها المال دون العلم والنبوة بأن قالوا إن لفظ الميراث في اللغة والشريعة لا يطلق إلا على ما ينتقل من الموروث إلى الوارث كالأموال ولا يستعمل في غير المال إلا على طريق المجاز والتوسع ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز بغير دلالة أيضاً فإن زكريا (ع) قال في دعائه ﴿ **واجعله رب رضياً** ﴾ أي إجعل يا رب ذلك الولي

الذي يرثني مرضياً عندك ممتثلاً لأمرك ومتى حملنا الإرث على النبوة لم يكن لذلك معنى وكان لغوا عبثاً ألا ترى أنه لا يحسن أن يقول أحد اللهم إبعث لنا نبياً واجعله عاقلاً مرضياً في أخلاقه لأنه إذا كان نبياً فقد دخل الرضا وماهو أعظم من الرضا في النبوة ويقوي ما قلناه أن زكريا صرَّح بأنه يخاف بني عمه بعده بقوله ﴿ **وإني خفت الموالي من ورائي** ﴾ وإنما يطلب وارثاً لأجل خوفه ولا يليق خوفه منهم إلا بالمال دون النبوة والعلم لأنه (ع) كان أعلم بالله تعالى من أن يخاف أن يبعث نبياً من ليس بأهل للنبوة وأن يورث علمه وحكمته من ليس لهما بأهل ولأنه إنما بعث لإذاعة العلم ونشره في الناس فكيف يخاف من الأمر الذي هو الغرض في بعثته فإن قيل أن هذا يرجع عليكم في وراثة المال لأن في ذلك إضافة الضن والبخل إليه قلنا معاذ الله أن يستوي الأمران فإن المال قد يرزق المؤمن والكافر والصالح والطالح ولا يمتنع أن يأسى على بني عمه إذا كانوا من أهل الفساد أن يظفروا بماله فيصرفوه فيما لا ينبغي بل في ذلك غاية الحكمة فإن تقوية الفساق وإعانتهم على أفعالهم المذمومة محظورة في الدين فمن عدَّ ذلك بخلاً وضناً فهو غير منصف وقوله ﴿ **خفت الموالي من ورائي** ﴾ يفهم منه أن خوفه إنما كان من أخلاقهم وأفعالهم ومعاني فيهم لا من أعيانهم كما أن من خاف الله تعالى فإنما خاف عقابه فالمراد به خفت تضييع الموالي مالي وإنفاقهم إياه في معصية الله تعالى .

﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ
سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا
وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ
هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل
لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾
فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً
وَعَشِيًّا ﴿١١﴾

[**القراءة**] قرأ حمزة والكسائي عِتيا وصِليا وجِثيا وبِكيا بكسر أوائلها وحفص كذلك إلا

في بكيا فإنه يضم الباء منها والباقون بالضم في الجميع وقرأ حمزة والكسائي خلقناك والباقون خلقتك .

[**الحجة**] قال أبو علي أعلم أن ما كان على فعول كان على ضربين (أحدهما) أن يكون جمعاً والآخر أن يكون مصدراً وقد جاءت أحرف في غير المصادر وهي قليلة والجمع إذا كان على فعول من معتل اللام جاء على ضربين (أحدهما) أن يكون اللام واواً والآخر أن يكون ياء فما كانت اللام منه واواً من هذه الجموع قلبت إلى الياء وذلك نحو حقو وحقي وعصا وعصي وقد جاءت حروف قليلة من ذلك على الأصل فمن ذلك ما حكاه سيبويه من قولهم أنكم لتنظرون في نُجُوّ كثيرة وقولهم فُتُوّ في جمع فتى فما كان كذلك فإن كسر الفاء فيه مطرد وذلك نحو وليّ وحقيّ وعصيّ وإنما جاز ذلك لأنها غيرت تغييرين وهما أن الواو التي هي لام قلبت والواو التي كانت قبلها قلبت أيضاً فلما غيرت تغييرين قوياً على هذا التغيير من كسر الفاء وأما ما كان لامه ياء نحو ثدي وحلي ونجي فقد كسروا الفاء أيضاً منه فقالوا حلي وثدي وإن لم يغير تغييرين فقد أجروا الياء هاهنا مجرى الواو كما أجروا الياء في أتسر واتبس افتعل من اليسر واليبس مجرى الواو وفي إتصل واتهب فأما ما كان من ذلك مصدراً فما كان من الواو فالقياس فيه أن يصح نحو العتو والعلو لأن واوه لم يلزمها الإنقلاب كما لزمها الإنقلاب في الجمع ولكن لما كانوا قد قلبوا الواو في هذا النحو وإن كان مفرداً نحو معدى ومرضى قلبوا ذلك أيضاً في نحو عتي ثم أجرى المصدر مجرى الجمع في كسر الفاء منه فأما ما كان من هذه المصادر من الياء فليس يستمر الكسر في فائه كما استمر في الجمع وفي المصادر التي من الواو ألا ترى أن المضي في نحو فما استطاعوا مضياً ليس أحد يروي فيه الكسر فيما علمنا وحكى أبو عمرو عن أبي زيد آوى إليه إوِيا ومما يؤكد الكسر في هذا النحو إنهم قد قالوا قسي فألزموها كسر القاف وذلك إنه قلبت الواو إلى موضع اللام فلما وقعت موقعها قلبت كما تقلب الواو إذا كانت لاماً وكسرت الفاء وألزمت الكسرة وحجة من قال قد خلقتك إن قبله قال ربك وحجة من قال خلقناك قوله فيما بعد ﴿ **وحناناً من لدنا** ﴾ ولأنه قد جاء بلفظ الجمع بعد لفظ الأفراد قال سبحانه ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده** ﴾ ثم قال ﴿ **وآتينا موسى الكتاب** ﴾ .

[**اللغة**] الغلام اسم المذكر أول ما يبلغ ومنه اشتق اغتلم الرجل إذا اشتدت شهوته للجماع ثم يستعمل في التلميذ فيقال غلام تغلب العتي والعسي بمعنى يقال عتا يعتو عتوا وعتيا وعسى يعسو عسوا وعسيا فهو عات وعاس إذا غيَّره طول الزمان إلى حال اليبس

والجفاف وفي حرف أبي وقد بلغت من الكبر عسيا والإيحاء إلقاء المعنى إلى النفس في خفية بسرعة وأصله من قولهم أَلْوَحىٰ أَلْوَحىٰ أي الإسراع الإسراع .

[**الإعراب**] ﴿**إسمه يحيى**﴾ جملة إسمية مجرورة الموضع صفة الغلام كذلك في موضع رفع لأنه خبر مبتدأ محذوف أي الأمر كما قيل لك ﴿**ولم تك**﴾ أصله لم تكن حذفت النون منه لكثرته في الكلام فكأنه جزم مرتين وسوياً منصوب على الحال ﴿**إن سبّحوا**﴾ يجوز أن يكون التقدير أي سبّحوا ويجوز أن يكون أنه سبحوا فخفف وأضمر الاسم ولم يعرض من المضمر شيئاً كقوله ﴿ **لولا أن منَّ الله علينا** ﴾ كما جاء العوض في قوله ﴿ **ليعلم أن قد أبلغوا** ﴾ وعلم أن سيكون منكم مرضى وحسبوا أن لا تكون فتنة فيمن رفع . وبكرة وعشياً منصوبان على الظرف .

[**المعنى**] ﴿ **يا زكريا إنا نبشرك بغلام** ﴾ هاهنا حذف معناه فاستجاب الله دعاء زكريا وأوحى إليه يا زكريا إنا نخبرك على السنة الملائكة بخبر يرى السرور به في وجهك وهو أن يولد لك ابن ﴿ **اسمه يحيى** ﴾ وقد تقدَّم تفسيره في سورة آل عمران[١] ﴿ **لم نجعل له من قبل سميا** ﴾ أي لم يسم أحد قبله باسمه عن قتادة وابن جريج والسدي وابن زيد وفي هذا تشريف له من وجهين (أحدهما) إن الله سبحانه تولى تسميته ولم يكلها إلى الأبوين والآخر أنّه سمّاه باسم لم يسبق إليه يدل ذلك الإسم على فضله وقال أبو عبد الله (ع) وكذلك الحسين (ع) لم يكن له من قبل سميا ولم تبك السماء إلا عليهما أربعين صباحاً قيل له وما كان بكاؤها قال كانت تطلع حمراء وتغيب حمراء وكان قاتل يحيى ولد زنا وقاتل الحسين (ع) ولد زنا وروى سفيان بن عيينة عن علي بن زيد عن علي بن الحسين (ع) قال خرجنا مع الحسين (ع) فما نزل منزلاً ولا ارتحل منه إلا ذكر يحيى بن زكريا وقال يوماً ومن هوان الدنيا على الله عز وجل أن رأس يحيى بن زكريا أهدي إلى بغي من بغايا بني إسرائيل وقيل إن معنى قوله ﴿ **لم نجعل له من قبل سمياً** ﴾ لم تلد العواقر مثله ولداً وهو كقوله ﴿ **هل تعلم له سمياً** ﴾ أي مثلاً عن ابن عباس ومجاهد ﴿ **قال ربي أنى يكون لي غلام** ﴾ فسَّرناه ني سورة آل عمران[٢] ﴿ **وكانت امرأتي عاقراً** ﴾ قال الحسن إنما قال ذلك على جهة الاستخبار أي

(١) راجع الجزء الأول
(٢) بنو شمجى بن جرم : حي من قضاعة والمعيز : جمع المعز . وقوله ﴿ ويمنحها ﴾ أي يعطيها وهو على رواية الأصمعي كما في اللسان لكن في رواية ابن الأعرابي ﴿ ويمنعها ﴾ وقوله ﴿ حنانك ﴾ ا . هـ قال ابن المنظور فسره إبن الإعرابي فقال : معناه رحمتك يا رحمان فأغنني عنهم . وفسر الأصمعي حنانك برحمتك أيضاً أي أنزل عليهم رحمتك ورزقك فرواية ابن الأعرابي وتفسيره تسخط وذم . ورواية الأصمعي وتفسيره تشكر وحمد .

أتعيدنا شابين أم ترزقنا الولد شيخين ﴿ **وقد بلغت من الكبر عتياً** ﴾ معناه وقد بلغت من كبر السن إلى حال اليبس والجفاف ونحول العظم عن قتادة ومجاهد قال قتادة كان له بضع وتسعون سنة ﴿ **قال كذلك** ﴾ أي قال الله سبحانه الأمر على ما أخبرتك من هبة الولد على الكبر ﴿ **قال ربك هو علي هين** ﴾ أردُّ عليك قوتك حتى تقوى على الجماع وافتق رحم امرأتك بالولد عن ابن عباس ﴿ **وقد خلقتك من قبل** ﴾ أي من قبل يحيى ﴿ **ولم تك شيئاً** ﴾ أي أنشأتك وأوجدتك ولم تك شيئاً موجوداً فإزالة عقر زوجتك وإزالة ما يمنع قبول الولد أيسر في الإعتبار من إبتداء الإنشاء وروى الحكم بن عيينة عن أبي جعفر (ع) قال إنما ولد يحيى بعد البشارة له من الله بخمس سنين ﴿ **قال** ﴾ زكريا يا ﴿ **ربي اجعل لي آية** ﴾ أي دلالة وعلامة استدلُّ بها على وقت كونه ﴿ **قال** ﴾ الله تعالى ﴿ **آيتك** ﴾ أي علامتك على ذلك ﴿ **أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً** ﴾ أي وأنت سويٌّ صحيح سليم من غير علة قال ابن عباس إعتقل لسانه من غير مرض ثلاثة أيام وقال قتادة والسدي إعتقل لسانه من غير بأس ولا خرس فإنه كان يقرأ الزبور ويدعو إلى الله ويسبّحه ولا يمكنه أن يكلم الناس وهذا أمر خارج عن العادة ﴿ **فخرج على قومه من المحراب** ﴾ أي من مصلاه عن ابن زيد وسمي المحراب محراباً لأن المتوجه إليه في صلاته كالمحارب للشيطان على صلاته والأصل فيه مجلس الأشراف الذي يحارب دونه ذبّاً عن أهله قالوا وكان زكريا قد أخبر قومه بما بشّر به فلما خرج عليهم وامتنع من كلامهم علموا إجابة دعائه فسرُّوا به ﴿ **فأوحى إليهم** ﴾ أي أشار إليهم وأومى بيده وقيل كتب لهم في الأرض عن مجاهد ﴿ **إن سبّحوا بكرة وعشياً** ﴾ أي صلّوا بكرة وعشياً عن الحسن وقتادة وتسمى الصلاة سبحة وتسبيحاً لما فيها من التسبيح وقيل أراد التسبيح بعينه وقال ابن جريج أشرف عليهم زكريا من فوق غرفة كان يصلي فيها لا يصعد إليها إلا بسلّم وكانوا يصلون معه الفجر والعشاء فكان يخرج إليهم فيأذن لهم بلسانه فلما إعتقل لسانه خرج على عادته وأذن لهم بغير كلام فعرفوا عند ذلك أنه قد جاء وقت حمل امرأته بيحيى فمكث ثلاثة أيام لا يقدر على الكلام معهم ويقدر على التسبيح والدعاء .

﴿ يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا
مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا
عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾

[**اللغة**] أصل الحنان الرحمة يقال حنانك وحنانيك وقال امرؤ القيس :

وَيَمْنَحُهـا بَنُـو شَمَجَى بْـنِ جَـرْمٍ　　مَعِيـزَهُـمُ حَنـانَـكَ ذَا الْحَنـانِ

وقال آخر :

فَـالَتْ حَنـان مـا أتىٰ بِـكَ هٰـاهُنـا　　أذُو نَسَبٍ أمْ أنْتَ بِـالحَيِّ عـارِفُ

أي أمْرُنا حنانٌ قال أبو عبيدة وأكثر ما يستعمل بلفظ التثنية قال طرفة :

أبـا مُنْـذرٍ أفْنَيْتَ فَـاسْتَبْقِ بَعْضَنـا　　حَنانَيْكَ بَعْضُ آلشَّرِّ أهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

وتحنن عليه أي تعطف عليه قال الحطيئة لعمر بن الخطاب :

تَـحَنَّـنْ عَـلَيَّ هَـدٰاكَ الْـمَلِيـكُ　　فَـإنَّ لِـكُـلِّ مَـقٰـامٍ مَـقٰـالا

وحننت عليه أحن حنيناً وحناناً وحنة الرجل امرأته والجبار الذي لا يرى لأحد عليه حقاً وفيه جبرية وجبروت والجبار من النخل ما فات اليد .

[**الإعراب**] « بقوة » الباء في موضع الحال أي خذ الكتاب مجداً مجتهداً .

[**المعنى**] ثم قال سبحانه ﴿ **يا يحيى خذ الكتاب بقوة** ﴾ هاهنا إختصار عجيب تقديره فوهبنا له يحيى وأعطيناه الفهم والعقل وقلنا له يا يحيى خذ الكتاب يعني التوراة بما قواك الله عليه وأيدك به ومعناه وأنت قادر على أخذه قوي على العمل به وقيل معناه بجد وصحة عزيمة على القيام بما فيه ﴿ **وآتيناه الحكم صبياً** ﴾ أي آتيناه النبوة في حال صباه وهو ابن ثلاث سنين عن ابن عباس وروى العياشي بإسناده عن علي بن اسباط قال قدمت المدينة و نا أريد مصر فدخلت على أبي جعفر محمد بن علي الرضا (ع) وهو إذ ذاك خماسي فجعلت أتأمله لأصفه لأصحابنا بمصر فنظر إليَّ فقال لي يا علي إن الله قد أخذ في الأمامة كما أخذ في النبوة قال فلما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً وقال وآتيناه الحكم صبياً فقد يجوز أن يعطي الحكم ابن أربعين سنة ويجوز أن يعطاه الصبي وقيل إن الحكم الفهم وهو أنه أعطي فهم الكتاب حتى حصل له عظيم الفائدة عن مجاهد وعن معمر قال إن الصبيان قالوا ليحيى إذهب بنا لنلعب فقال ما للعب خلقنا فأنزل الله فيه ﴿ **وآتيناه الحكم صبياً** ﴾ وروي ذلك عن أبي الحسن الرضا (ع) ﴿ **وحناناً من لدنا** ﴾ والحنان العطف والرحمة أي وآتيناه رحمة من عندنا عن ابن عباس وقتادة والحسن وقيل معناه تحننا على العباد ورقة قلب عليهم ليدعوهم إلى طاعة الله تعالى عن الجبائي وقيل معناه محبة منا عن عكرمة وأصله الشفقة والرقة ومنه حنين الناقة وهو صوتها

إذا اشتاقت إلى ولدها وقيل معناه تحنن الله عليه كان إذا قال يا رب قال الله ﴿ **لبيك يا يحيى** ﴾ وهو المروي عن الباقر (ع) وقيل معناه تعطفاً منا عن مجاهد فهذه خمسة أقوال ﴿ **وزكاة** ﴾ أي وعملاً صالحاً زاكياً عن قتادة والضحاك وابن جريج وقيل زكاة لمن قبل دينه حتى يكونوا أزكياء عن الحسن وقيل يعني بالزكاة طاعة الله والإخلاص عن ابن عباس وقيل معناه وصدقة تصدق الله به على أبويه عن الكلبي وقيل معناه وزكيناه بحسن الثناء عليه كما يزكي الشهود الإنسان عن الجبائي فهذه خمسة أقوال ﴿ **وكان تقياً** ﴾ أي مخلصاً مطيعاً متقياً لما نهى الله عنه قالوا وكان من تقواه أنه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها « سؤال » يقال لم أضاف الله سبحانه كونه زكاة إلى نفسه وهو إنما كان مطيعاً زكياً بفعله « وجوابه » إنه إنما صار كذلك بإلطاف من الله لا سيما في تلك الحالة من الصغر ولأنه إنما إهتدى بهداية الله إياه ﴿ **وبرّاً بوالديه** ﴾ أي باراً بوالديه محسناً إليهما مطيعاً لهما لطيفاً بهما طالباً مرضاتهما ﴿ **ولم يكن جباراً** ﴾ أي متكبراً متطاولاً على الخلق وقيل الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب عن ابن عباس ﴿ **عصياً** ﴾ أي عاصياً لربه فعيل بمعنى فاعل ﴿ **وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً** ﴾ أي سلام عليه منا في هذه الأيام عن عطاء وقيل وسلامة وأمان له منا عن الكلبي ومعناه سلامة وأمن له يوم ولد من عبث الشيطان به وإغوائه إياه ويوم يموت من بلاء الدنيا ومن عذاب القبر ويوم يبعث حياً من هول المطلع وعذاب النار وإنما قال حياً تأكيداً لقوله ﴿ **يبعث** ﴾ وقيل يعني أنه يبعث مع الشهداء لأنهم وصفوا بأنهم أحياء قال سفيان بن عيينة أوحش ما يكون الإنسان في ثلاثة مواطن يوم ولد فيرى نفسه خارجاً مما كان فيه ويوم يموت فيرى قوماً لم يكن عاينهم وإحكاماً ليس له بها عهد ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر عظيم فخصَّ الله سبحانه يحيى بالكرامة والسلام والسلامة في المواطن الثلاثة وقيل إن السلام الأول يوم الولادة تفضل والثاني والثالث على وجه الثواب والجزاء .

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ

وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾

[**القراءة**] قرأ أبو عمرو وورش وقالون برواية الحلواني ويعقوب ليهب بالياء والباقون لأهب بالهمزة .

[**الحجة**] قال أبو علي حجة من قال لأهب فأسند الفعل إلى المتكلم والهبة لله تعالى ومنه إن الرسول والوكيل قد يسند هذا النحو إلى نفسه وإن كان الفعل للموكل أو المرسل للعلم بأنه مترجم عنه ومن قال ليهب لك فهو على تصحيح اللفظ في المعنى ففي قوله تعالى ﴿ **ليهب** ﴾ ضمير من قوله ﴿ **ربك** ﴾ وهو سبحانه الواهب وزعموا أن في حرفي أبيّ وابن مسعود ليهب ولو خففت الهمزة من لأهب لكان في قول أبي الحسن ليهب فتقلبها ياء محضة وفي قول الخليل لأهب يجعلها بين الياء والهمزة .

[**اللغة**] النبذ أصله الطرح والانتباذ إفتعال منه ومنه قوله ﴿ **فنبذوه وراء ظهورهم** ﴾ أي ألقوه وانتبذ فلان ناحية أي تنحى ناحية وجلس فلان نبذة من الناس ونبذة بفتح النون وضمها أي ناحية وإنما يقال ذلك إذا جلس قريباً منهم حتى لو نبذوا إليه شيئاً لوصل إليه فالإنتباذ إتخاذ الشيء بإلقاء غيره عنه والمكان الشرقي الذي كان في جهة الشرق قال جرير :

هَبَّتْ جَنُوبُ فَذِكْرىٰ مٰا ذَكَرْتُكُمُ ... عِنْدَ ٱلصَّفٰاةِ إلىٰ شَرْقِيِّ حَوْرانَـا

[**الإعراب**] مكاناً نصب على الظرف بشراً سوياً منصوب على الحال .

[**المعنى**] ثم عطف سبحانه قصة مريم وعيسى (ع) على قصة زكريا ويحيى (ع) فقال ﴿ **واذكر في الكتاب** ﴾ أي في كتابك هذا وهو القرآن ﴿ **مريم** ﴾ أي حديث مريم وولادتها عيسى وصلاحها ليقتدي الناس بها ولتكون معجزة لك ﴿ **إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً** ﴾ أي انفردت من أهلها إلى مكان في جهة المشرق وقعدت ناحية منهم قال ابن عباس إنما اتخذت النصارى المشرق قبله لأنها إنتبذت مكانا شرقياً وقيل اتخذت مكاناً تنفرد فيه للعبادة لئلا تشتغل بكلام الناس عن الجبائي وقيل تباعدت عن قومها حتى لا يرونها عن الأصم وأبي مسلم وقيل إنها تمنت أن تجد خلوة فتفلي رأسها فخرجت من يوم شديد البرد فجلست في مشرقة للشمس عن عطا ﴿ **فاتخذت من دونهم حجاباً** ﴾ أي فضربت من دون أهلها لئلا يروها ستراً وحاجزاً بينها وبينهم ﴿ **فأرسلنا إليها روحنا** ﴾ يعني جبرائيل (ع) عن ابن عباس والحسن وقتادة وغيرهم وسمّاه الله روحاً لأنه روحاني وأضافه إلى نفسه تشريفاً له ﴿ **فتمثل لها بشراً سوياً** ﴾ معناه فأتاها جبرائيل فانتصب بين يديها في صورة آدمي صحيح لم ينقص منه

شيء وقال أبو مسلم أن الروح الذي خلق منه المسيح تصور لها إنسان والأول هو الوجه لإجماع المفسرين عليه وقال عكرمة كانت مريم إذا حاضت خرجت من المسجد وكانت عند خالتها امرأة زكريا أيام حيضها فإذا طهرت عادت إلى بيتها في المسجد فبينا هي في مشرقة لها في ناحية الدار وقد ضربت بينها وبين أهلها ستراً لتغتسل وتمتشط إذ دخل عليها جبرائيل في صورة رجل شاب أمرد سوي الخلق فأنكرته فاستعاذت بالله منه ﴿ **قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً** ﴾ معناه إني أعتصم بالرحمن من شرك فاخرج من عندي إن كنت تقياً « سؤال » يقال كيف شرطت في التعوذ منه أن يكون تقياً والتقي لا يحتاج أن يتعوذ منه وإنما يتعوذ من غير التقي « والجواب » إن التقي إذا تعوذ بالرحمن منه إرتدع عما يسخط الله ففي ذلك تخويف وترهيب له وهذا كما تقول إن كنت مؤمناً فلا تظلمني فالمعنى إن كنت تقياً فاتعظ واخرج وروي عن علي (ع) أنه قال علمت إن التقي ينهاه التقى عن المعصية وقيل إن معنى قوله ﴿ **إن كنت تقياً** ﴾ ما كنت تقياً حيث إستحللت النظر إليَّ وخلوت بي فلما سمع جبرائيل (ع) منها هذا القول ﴿ **قال** ﴾ لها ﴿ **إنما أنا رسول ربك لأهب لك** ﴾ وقد بيَّنا معنى القراءتين ﴿ **غلاماً زكياً** ﴾ أي ولداً طاهراً من الأدناس وقيل نامياً في أفعال الخير وقيل يريد نبياً عن ابن عباس ﴿**قالت**﴾ مريم ﴿**انى يكون لي غلام**﴾أي كيف يكون لي ولد ﴿**ولم يمسسني بشر**﴾على وجه الزوجية ﴿ **ولم أك بغيا** ﴾ أي ولم أكن زانية وإنما قالت ذلك لأن الولد في العادة يكون من إحدى هاتين الجهتين والمعنى أني لست بذات زوج وغير ذات الزوج لا تلد إلا عن فجور ولست فاجرة وإنما يقال للفاجرة بغيّ بمعنى أنها تبغي الزنا أي تطلبه وفي هذه الآيات دلالة على جواز إظهار المعجزات لغير الأنبياء لأن من المعلوم أن مريم ليست بنبية وإن رؤية الملك على صورة البشر وبشارة الملك إياها وولادتها من غير وطيء إلى غيرها من الآيات التي أتاها الله بها من أكبر المعجزات ومن لم يجوِّز إظهار المعجزات على غير النبي إختلفت أقوالهم في ذلك قال الجبائي وابنه أنها معجزات لزكريا (ع) وقال البلخي أنها معجزات لعيسى على سبيل الإرهاص والتأسيس لنبوته .

﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ

إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا
مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ
سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا
جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا
فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾
فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾
يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾
فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾
قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾

[**القراءة**] قرأ حمزة وحفص نسياً بفتح النون والباقون نسياً بكسر النون وقرأ من تحتها بكسر الميم أهل المدينة والكوفة غير أبي بكر وسهل فالباقون مَنْ تحتها وقرأ حفص عن عاصم تُساقِط بضم التاء وكسر القاف وقرأ حماد عن عاصم وبصير عن الكسائي ويعقوب وسهل يساقط بالياء وتشديد السين وقراءة حمزة تساقط بفتح التاء وتخفيف السين والباقون تساقط بفتح التاء وتشديد السين وفي الشواذ قراءة مسروق يساقط بضم الياء وتخفيف السين وقرأ طلحة بن سليمان رطباً جنياً بكسر الجيم فإما ترين بسكون الياء والتخفيف .

[**الحجة**] قال أبو علي قال أبو الحسن النَسْي هو الشيء الحقير ينسى نحو النعل والسوط وقال غيره النسي أغفل ما من شيء حقير وقال بعضهم ما إذا ذكر لم يطلب وقالوا الكسر على اللغتين قال الشنفري :

كَأَنَّ لَهَا فِي الأَرْضِ نِسْياً تَقُصُّهُ عَلَى أَمِّهَا وَإِنْ تُخَاطِبْكَ تَبْلِتِ[1]

(١) النسي : الشيء المطروح لا يؤبه له . وبلت ـ بالفتح ـ : إذا قطع . وبالكسر : إذا سكن . قيل أنه يصف جارية بالحياء .

وقال في قوله من تحتها أنه جبرائيـل أو عيسى وقال بعض أهـل التأويـل لا يكون إلا عيسى (ع) ولا يكون جبرائيل لأنه لو كان جبرائيل لناداها من فـوقها وقـد يجوز أن يكـون جبرائيل وليس قوله ﴿ **من تحتها** ﴾ يراد به الجهة السفلى وإنما المراد من دونها بدلالة قوله ﴿ **قد جعل ربك تحتك سرياً** ﴾ ولم يكن النهر محاذياً لهذه الجهة ولكن المعنى جعله دونك وقد يقال فلان تحتنا أي دوننا في الموضع والأشبه أن يكون المنادي لها عيسى فإنه أشد إزالة لما خامر قلبها من الإغتمام وإذا قال من تحتها كان عاماً وضـع موضـع الخاص والمـراد به عيسى قال والوجوه كلها كما في تساقط متفقة في المعنى إلا قراءة حفص ألا ترى أن من قرأ تساقط إنما هي تتساقط فحذف التاء التي يدغمها غيره وكلهم جعل فاعـل الفعل الـذي هو تساقط أو تساقط في رواية حفص النخلة ويجوز أن يكون فاعل تساقط أو تسـاقط هي جذع النخلة إلا أنه لما حذف المضاف أسند الفعل إلى النخلة في اللفظ فأما تعديتهم تسقط فهـو تفاعل لأن تفاعل مطاوع فاعل فكما عدي نحو تفعل في نحو تجرعته وتمزته فكذلك عدى تفاعل فمما جاء من ذلك في الشعر قول أوفى بن مطر :

تَـخَـاطَـأَتِ ٱلـنَّـبْـلُ أحْـشَـاءَهُ وَأخَّـرَ يَـوْمِي فَـلَمْ يَـعْـجَـلِ[1]

وقول الآخر :

تَـطَالَـعَـنـا خِـيـالاتُ لِسَـلْمَى كَـمَـا يَتَـطَالَـعُ ٱلـدَّيْـنَ ٱلـغَـرِمُ

وقول امرىء القيس :

وَمِثْلِكَ بَيْضَـاءُ ٱلـعَـوَارِضِ طِفْـلَةً لَعُوبٍ تُنَاسَانِي إذَا قُمْتَ سِرْبَالي[2]

أراد تنسيني ومن قرأ بالياء أمكن أن يكون فاعله الهز لأنَّ قوله ﴿ **هزي** ﴾ قد دلَّ عليه فإذا كان كذلك جاز أن يضمره كما أضمر الكذب في قوله ﴿ **من كذب كان شراً له** ﴾ ويمكن أن يكون الجذع ويجوز في الفعل إذا أسند إلى الجذع وجهان (أحدهما) إن الفعل أُضيف إلى الجذع كما أُضيف إلى النخلة برمتها لأن الجذع معظمهـا (والآخر) أن يكـون الجذع منفرداً عن النخلة يسقط عليها ويكون سقوط الرطب من الجذع آية لعيسى (ع) ويصير سقوط الرطب من الجذع أسكن لنفسها وأشدُّ إزالة لاهتمامهـا وسقوط الـرطب من الجذع منفـرداً

---

(١) وقبل هذا البيت قوله

ألا أبـلـغ خـلـتـي جـابـراً بـأن خـلـيـلـك لـم يـقـتـل

(٢) جارية طفلة : ناعمة .

من النخل مثل رزقها الذي كان يأتيها المحراب في قوله تعالى ﴿ **كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً**﴾إلى قوله ﴿ **هو من عند الله** ﴾ وقوله ﴿ **رطباً** ﴾ في هذه الوجوه منصوب على أنه مفعول به ويجوز في قوله ﴿ **تساقط عليك** ﴾ أي تساقط عليك ثمرة النخلة رطباً فحذف المضاف الذي هو الثمرة ويكون إنتصاب رطب على الحال وجاز أن يضمر الثمر وإن لم يجر لها ذكر لأن ذكر النخلة يدل عليها فأما الباء في قوله ﴿ **وهزي إليك بجذع النخلة** ﴾ فيحتمل أمرين (أحدهما) أن يكون زيادة كقوله ﴿ **ألقى بيده وألقى يده** ﴾ وقوله :

بِـوَادٍ يَمَـانٍ يُنْبِتُ ٱلشَّثَّ صَـدْرُهُ وَأَسْفَلُهُ بِـالْـمَـرْخِ وَٱلشَّبَهَـانِ(١)

ونحو ذلك ويجوز أن يكون المعنى وهزي اليك بهز جذع النخلة رطباً كما قال ذو الرمة :

وَصَـوَّحَ ٱلبَقْـلَ نَـآجٌ تَجِيءُ بِـهِ هَيْفُ يَمَـانِيَةٌ فِي مَـرِّهَـا نَكَبُ

أي تجيء بمجيئة هيف يعني إذا جاء النئاج جاء الهيف وكذلك إذا هزت الجذع هزت بهزه رطباً أي فإذا هززت الرطب سقط وأما قراءة مسروق يساقط فإنه بمعنى يسقط شيئاً بعد شيء وأنشد ابن جني قول ضابىء البرجمي :

يُسَـاقِطُ عَنْهُ رَوْقُـهُ ضَـارِبَـاتِهَـا سِقَـاطَ حَـدِيـدِ ٱلْقِينِ أَخْـوَلَ أَخْـوَلا

أي يسقط قرن هذا الثور ضاريات كلاب الصيد لطعنه إياها به شيئاً بعد شيء وأما قراءة طلحة رطباً جنياً فإنه إتبع كسرة الجيم كسرةالنون قال ابن جني شبَّه النون وإن لم يكن من حروف الحلق بهن في نحو الشخير والنخير والرغيف وأما تَرَيَن فهي شاذ لكنه جاء في لغة إثبات النون في الجزم وأنشد أبو الحسن :

لَـوْلا فَـوَارِسُ مِنْ قَيْسٍ وَأُسْـرَتِهِمْ يَـوْمَ ٱلصُّلَيْفاءِ لَمْ يُـوفُونَ بِـالجَـارِ(٢)

[**اللغة**] القصي البعيد والقاصي خلاف الداني وقوله ﴿ **فأجاءها** ﴾ أي جاء بها المخاض وهو مما يعدى تارة بالباء وتارة بهمزة النقل قال زهير :

وَجَـارٍ سَـارَ مُـعْـتَـمِـداً عَـلَيْـنَـا أَجَـاءَتْـهُ الْـمَـخَـاوِفُ وَٱلـرَّجَـاءُ

(١) نسبه في اللسان إلى الأحول اليشكري . والشث : شجر طيب الريح . والمرخ والشبهان أيضاً : قسمان من الأشجار البرية .

(٢) وفي اللسان « لولا فوارس من نعم وأسرتهم . ا . هـ » وقال ابن المنظور : صليفاء : موضع .

أي جاءت به ويروى جاء قال الكسائي تميم تقول ما أجاءك إلى هذا وما أمشاك إليه ومن أمثالهم شَرٌّ أجاءك إلى مُخَّة عرقوب(١) وتميم تقول أمشاك والسري النهر لأنه يسري بجريانه قال لبيد :

فَتَوَسَّطَا عَرْضَ ٱلسَّرِيِّ فَصَدَّعَا مَسْجُورَةً مُتَجَاوِراً قُلاَّمُهَا(٢)

ويقال قررت به عيناً أقر قروراً فهي لغة قريش وأهل نجد يقولون قررت به بفتح العين أقر قراراً كما يقولون قررت بالمكان بالفتح والجَنيّ بمعنى المجنيّ من جنيت الثمرة وأجنيتها إذا قطعتها وقال ابن أخت جذيمة :

هٰذا جَنَايَ وَخِيَارُهُ فِيهِ إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَىٰ فِيهِ(٣)

وفي معناه قول الكميت يمدح أهل البيت (ع)

خِيَارَهَا يَجْتَنُونَ فِيهِ إذ آلـ ـجَانُونَ فِي ذِي أَكُفِّهِم أرِبُوا(٤)

قال أبو مسلم الفري مأخوذ من فِرى الأديم إذا قطعه على وجه الإصلاح ثم يستعمل في الكذب وقال الزجاج يقال فلان يفري الفري إذا كان يعمل عملاً يبالغ فيه قال الراجز « قَدْ كُنْتِ تَفْرِينَ بِهِ الْفَرِيّا »(٥) .

[**الإعراب**] عيناً منصوب على التمييز فأما ترين أصله تَرَأينّ إلا إن الإستعمال بغير همز والياء فيه ضمير المؤنث وإنما حركت لإلتقاء الساكنين وهما الياء والنون الأولى من المشددة كما تقول للمرأة أرضين زيداً وقوله من كان في المهد صبياً كان هنا بمعنى الحدوث والوقوع والتقدير كيف نكلّم من وجد في المهد « صبياً » نصب على الحال من كان ومثل كان

(١) المخة : القطعة من المخ مثل يضرب في الحاجة إلى لئيم . لأن المراد من العرقوب عرقوب الرجل ، وأنه لا مخ له .

(٢) البيت من معلقته المشهورة وضمير التثنية من توسطا وصدعا يرجع إلى العير والأتان . والتصديع : التشقيق : ومسجورة أي مملوءة ماءاً . والقلام ضرب من النبت . قال الزوزني : وتحرير المعنى أنهما قد وردا عين ممتلية ماءاً فدخلا فيها من عرض نهرها وقد تجاوز نبتها .

(٣) قائله عمرو بن عدي بن اخت جذيمة وله في هذا البيت قصة ذكره الميداني في مجمع الامثال ج ٢ : ٣٦١ وقد تمثل به أمير المؤمنين (ع) حسن امر بكنس بيت المال ورشه وقد قسم بين المسلمين ما فيه من الأموال .

(٤) اربت بده : أي قطعت وافتقر صاحبها .

(٥) ذكره بتمامه في اللسان في مادة « فرى » .

هاهنا قوله وإن كان ذو عسرة ومثله قول الربيع :

إِذَا كَـانَ آلـشِّـتَـاءُ فَـأَدْفِـئُـونِـي فَـإِنَّ آلشَّيْـخَ يَهْـدِمُـهُ إِلشِّتَـاءُ(١)

ويجوز أن يكون كان هنا مزيدة كما في قول الشاعر :

جِـيَـادُ بَنِـي أَبِي بَـكْـرٍ تَسامى عَلَى كَـانَ الْمُسَـوَّمَـةِ آلعِـرَابِ(٢)

فعلى هذا يكون العامل في الحال نكلم قال الزجاج الأجود أن يكون مَنْ في معنى الشرط والجزاء فيكون المعنى من يكن في المهد صبياً فكيف نكلمه ويكون صبياً حالاً كما تقول من كان لا يسمع ولا يعقل فكيف أخاطبه .

[المعنى] ﴿**قال كذلك**﴾ أي قال لها جبرائيل حين سمع تعجبها من هذه البشارة الأمر كذلك أي كما وصفت لك ﴿**قال ربك هو علي هين**﴾ أي احداث الولد من غير زوج للمرأةسهل متأت لا يشق علي ﴿**ولنجعله آية للناس**﴾ معناه ولنجعله علامة ظاهرة وآية باهرة للناس على نبوته ودلالةعلى براءة أُمِّه ﴿**ورحمة منا**﴾ له ولنجعله نعمة منا على الخلق يهتدون بسببه ﴿**وكان أمراً مقضياً**﴾ أي وكان خلق عيسى من غير ذكر أمراً كائناً مفروغاً عنه محتوماً قضى الله سبحانه بأن يكون وحكم به ﴿**فحملته**﴾ أي فحملت مريم بعيسى فحبلت في الحال قيل ان جبرائيل أخذ ردن قميصها باصبعه فنفخ فيه فحملت مريم من ساعتها ووجدت حس الحمل وقيل نفخ في كمها فحملت عن ابن جريج وروي عن الباقر (ع) إنه تناول جيب مدرعتها فنفخ فيه نفخة فكمل الولد في الرحم من ساعته كما يكمل الولد في أرحام النساء تسعة أشهر فخرجت من المستحم وهي حامل محج مثقل فنظرت إليها خالتها فأنكرتها ومضت مريم على وجهها مستحية من خالتها ومن زكريا ﴿**فانتبذت به مكاناً قصياً**﴾ أي تنحت بالحمل إلى مكان بعيد وقيل معناه انفردت به مكاناً بعيداً من قومها حياء من أهلها وخوفاً من أن يتهموها بسوء واختلفوا في مدة حملها فقيل ساعة واحدة قال ابن عباس لم يكن بين الانتباذ والحمل إلا ساعة واحدة لأنه تعالى لم يذكر بينهما فصلاً لأنه قال فحملته فانتبذت به فأجاءها والفاء للتعقيب وقيل حملت به في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زاغت الشمس من يومها وهي بنت عشر سنين عن مقاتل وقيل كانت مدة حملها تسع ساعات

(١) أدفأه : أسخنه وقائله ربيع بن ضبع الفزاري وهو من المعمرين وهذا البيت من قصيدة قالها بعد ما بلغ من العمر مأتي سنة ذكره الشريف المرتضى (ر ه) في الأمالي ج ١ : ٢٥٤ فراجع .

(٢) قوله تسامى أصله تتسامى من السمو بمعنى الرفعة وفي رواية الاشموني « سراة بني أبي بكر ا هـ » .

وهذا مروي عن ابن أبي عبد الله (ع) وقيل ستة أشهر وقيل ثمانية أشهر وكان ذلك آية وذلك انه لم يعش مولود وضع لثمانية اشهر غيره ﴿فأجاءها المخاض﴾ أي الجاها الطلق أي وجع الولادة ﴿إلى جذع النخلة﴾ فالتجأت اليها لتستند اليها عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وقيل أجاءها أي جاء بها قال ابن عباس نظرت مريم إلى أكمة فصعدت مسرعة اليها فإذا عليها جذع نخلة نخرة ليس لها سعف والجذع ساق النخلة والالف واللام دخلت للعهد لا للجنس أي النخلة المعروفة فلما ولدت ﴿قالت يا ليتني متُّ قبل هذا وكنت نسياً منسياً﴾ أي شيئاً حقيراً متروكاً عن ابن عباس وقيل شيئاً لا يذكر ولا يعرف عن قتادة وقيل حيضة ملقاة عن عكرمة والضحاك ومجاهد قال ابن عباس فسمع جبرائيل كلامها وعرف جزعها ﴿فناداها من تحتها﴾ وكان أسفل منها تحت اكمة ﴿ألا تحزني﴾ وهو قول السدي وقتادة والضحاك ان المنادي جبرائيل ناداها من سفح الجبل وقيل ناداها عيسى عن مجاهد والحسن ووهب وسعيد بن جبير وابن زيد وابن جرير والجبائي وإنما تمنَّت (ع) الموت كراهية لأن يعصي الله فيها وقيل استحياء من الناس ان يظنوا بها سوءاً عن السدي وروي عن الصادق (ع) لأنها لم تر في قومها رشيداً ذا فراسة ينزهها من السوء ﴿قد جعل ربك تحتك سرياً﴾ أي ناداها جبرائيل أو عيسى ليزول ما عندها من الغم والجزع لا تغتمي قد جعل ربك تحت قدميك نهراً تشربين منه وتتطهرين من النفاس عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير قالوا وكان نهراً قد انقطع الماء عنه فأرسل الله الماء فيه لمريم واحيى ذلك الجذع حتى أثمر وأورق وقيل ضرب جبرائيل (ع) برجله فظهر ماء عذب وقيل بل ضرب عيسى برجله فظهرت عين ماء تجري وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وقيل السري عيسى (ع) عن الحسن وابن زيد والجبائي والسري وهو الشريف الرفيع قال الحسن كان والله عبداً سرياً ﴿وهزي اليك بجذع النخلة﴾ معناه اجذبي إليك بجذع النخلة والباء مزيدة وقال الفراء العرب تقول هزَّه وهزَّ به ﴿تساقط عليك رطباً جنياً﴾ مرَّ معناه وقال الباقر (ع) لم تستشف النفساء بمثل الرطب ان الله أطعمه مريم في نفاسها وقالوا ان الجذع كان يابساً لا ثمر عليه إذ لو كان عليه ثمر لهزته من غير ان تؤمر به وكان في الشتاء فصار معجزة بخروج الرطب في غير أوانه وبخروجه دفعة واحدة فإن العادة ان يكون نوراً اولاً ثم يصير بلحاً ثم بسرا وروي انه لم يكن للجذع رأس فضربته برجلها فأورقت وأثمرت وانتثر عليها الرطب جنياً والشجرة التي لا رأس لها لا تثمر في العادة وقيل ان تلك النخلة كانت برنية وقيل كانت عجوة وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) ﴿فكلي واشربي﴾ أي كلي يا مريم من هذا الرطب واشربي من هذا الماء ﴿وقري عيناً﴾ جاء في التفسير وطيبي نفساً وقيل معناه لتقرَّ عينك سروراً بهذا الولد الذي ترين لأن

دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة وقيـل معناه لتسكن عينـك سكون سـرور برؤيتـك ما تحبين **﴿فإما ترين من البشر احداً﴾** فسألك عن ولدك **﴿فقولي إني نذرت للرحمن صوماً﴾** أي صمتاً عن ابن عباس والمعنى أوجبت على نفسي لله ان لا أتكلم وقيل صوماً أي امساكاً عن الطعام والشراب والكلام عن قتادة وانما أمرت بالصمت ليكفيها الكلام ولدها بما يبرىء به ساحتها عن ابن مسعود وابن زيد ووهب وقيل كان في بني إسرائيل من أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم الصائم حتى يمسي يدل على هذا قولـه **﴿فلن أكلم اليوم انسياً﴾** أي إني صائم فلن أكلم اليوم أحداً وكان قد أذن لها أن تتكلم بهذا القدر ثم تسكت ولا تتكلم بشيء آخر عن السدي وقيل كان الله تعالى أمرها بأن تنذر لله الصمت وإذا كلمها أحد تومىء بأنها نذرت لله صمتاً لأنه لا يجوز أن يأمرها بأن تخبر بأنها نذرت ولـم تنذر لأن ذلك كذب عن أبي علي الجبائي **﴿فأتت به قومها تحمله﴾** أي فأتت مريم بعيسى حاملةله وذلك أنها لفَّته في خرقةوحملته إلى قومها **﴿قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً﴾** أي أمراً عظيماً بديعاً إذ لم تلد انثى قبلك من غير رجل عن مجاهد وقتادة والسدي وقيل امراً قبيحاً منكراً من الافتراء وهو الكذب عن الجبائي **﴿يا أخت هارون﴾** قيل فيه أقوال (أحدها) ان هارون هذا كان رجلاً صالحاً في بني إسرائيل ينسب إليه كل من عرف بالصلاح عن ابن عباس وقتـادة وكعب وابن زيد والمغيرة بن شعبة يرفعه الى النبي ﷺ وقيل انه لما مات شيع جنازته أربعون الفاً كلهم يسمى هارون فقولهم يا أخت هارون معناه يا شبيهة هارون في الصلاح ما كان هذا معروفاً منك (وثانيها) ان هارون كان أخاها لأبيها ليس من أمها وكان معروفاً بحسن الطريقة عن الكلبي (وثالثها) ان هارون اخو موسى (ع) فنسبت اليه لأنها من ولده كما يقال يا أخا تميم عن السدي (ورابعها) انه كان رجلاً فاسقاً مشهوراً بالعهر والفساد فنسبت إليه وقيل لها يا شبيهته في قبح فعله عن سعيد بن جبير **﴿ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا﴾** أي كان أبواك صالحين فمن اين جئت بهذا الولد **﴿فأشارت اليه﴾** أي فأومت إلى عيسى (ع) بأن كلّموه واستشهدوه على براءة ساحتي فتعجبوا من ذلك ثم **﴿قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً﴾** معناه كيف نكلم صبياً في المهد وقيل صبياً في الحجر رضيعاً وكان المهد حجر امه الذي تربيه فيه اذ لم تكن هيأت له مهداً عن قتادة وقيل انهم غضبـوا عند اشـارتها إليـه وقالوا لسخريتهـا بنا اشدُّ علينا من زناها فلما تكلم عيسى (ع) قالوا ان هذا الأمر عظيم عن السدي **﴿قال﴾** عيسى (ع) **﴿إني عبد الله﴾** قدم اقراره بالعبودية ليبطل به قول من يدعي له الربوبية وكأن الله سبحانه أنطقه بذلك لعلمه بما يقوله الغـالون فيـه ثم قال **﴿آتـاني الكتاب وجعلني نبياً﴾** أي حكم لي باتيان الكتاب والنبوة وقيل ان الله تعالى اكمل عقله في صغـره وأرسله إلى عباده وكان نبياً مبعوثاً إلى الناس في ذلك الوقت مكلفاً عاقلاً ولذلـك كانت لـه

تلك المعجزة عن الحسن والجبائي وقيل انه كلمهم وهو ابن أربعين يوماً عن وهب وقيل يوم ولد عن ابن عباس وأكثر المفسرين هو الظاهر وقيل ان معناه اني عبد الله سيؤتيني الكتاب وسيجعلني نبياً وكان ذلك معجزة لمريم (ع) على براءة ساحتها .

﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١)
وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ
وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ
الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ
إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٣٥)

[**القراءة**] قرأ عاصم وابن عامر ويعقوب قول الحق بالنصب والباقون بالرفع وفي الشواذ قراءة أبي مجلز وأبي نهيك وبراً بوالدتي بكسر الباء .

[**الحجة**] قال أبو علي قول الحق الرفع فيه على أن قوله ذلك عيسى بن مريم كلام والمبتدأ المضمر ما دلَّ عليه هذا الكلام أي هذا الكلام قول الحق ويجوز أن يضمر هو ويجعله كناية عن عيسى (ع) أي هو قول الحق لأنه قد قيل فيه روح الله وكلمته والكلمة قول وأما النصب فعلى أن قوله ذلك عيسى بن مريم يدل على أحق قول الحق وتقول هذا زيد الحق لا الباطل لأن قولك هذا زيد عندك بمنزلة أحق فكأنك قلت أحق الحق وأحق قول الحق ومن قال وبراً بوالدتي فكأنه قال والزمني براً بوالدتي ويكون معطوفاً على موضع الجار والمجرور من قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة وعليه بيت الكتاب « يَذْهَبْنَ فِي نَجْدٍ وَغَوْراً غائراً » أي ويسلكن غوراً وان شئت حملته على حذف المضاف بمعنى وجعلني ذا بر وان شئت جعلته اياه على المبالغة كقول الخنساء « فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وإِدْبارٌ »[1] .

[**اللغة**] السلام مصدر سلمت والسلام جمع سلامة والسلام اسم من أسماء الله تعالى وسلام مما يبتدأ به في النكرة لأنه اسم يكثر استعماله يقال سلام عليك والسلام عليك

(١) وقبله « ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت » وقد مر في صفحة : ٤٣١ .

وأسماء الاجناس يكثر الابتداء بها وفائدة نكرتها قريب من فائدة معرفتها تقول لبيك وخير بين يديك وإن شئت قلت والخير بين يديك الا أنه لما جرى ذكر سلام قبل هذا الموضع بغير ألف ولام كان الأحسن أن يرد ثانية بالألف واللام .

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه تمام كلام عيسى (ع) فقال ﴿**وجعلني مباركاً أينما كنت**﴾ أي وجعلني معلماً للخير عن مجاهد وقيل نفاعاً حيث ما توجهت والبركة نماء الخير والمبارك الذي ينتمي الخير به وقيل ثابتاً دائماً على الإيمان والطاعة وأصل البركة الثبوت عن الجبائي ﴿**وأوصاني بالصلاة والزكاة**﴾ أي بإقامة الصلاة وأداء الزكاة ﴿**ما دمت**﴾ أي ما بقيت ﴿**حياً**﴾ مكلفاً ﴿**وبراً بوالدتي**﴾ أي واجعلني باراً بها أؤدّي شكرها فيما قاسته بسببي ﴿**ولم يجعلني جباراً**﴾ أي متجبراً ﴿**شقياً**﴾ والمعنى اني بلطفه وتوفيقه كنت محسناً إلى والدتي متواضعاً في نفسي حتى لم أكن من الجبابرة الأشقياء ﴿**والسلام عليَّ**﴾ أي والسلامة عليَّ من الله ﴿**يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً**﴾ أي في هذه الأحوال الثلاث وقد مرَّ تفسيرها قبل في قصة يحيى وفي هذه الآيات دلالة على أنه يجوز ان يصف الإنسان نفسه بصفات المدح إذا أراد تعريفها إلى غيره لا على وجه الافتخار قيل ولما كلَّمهم عيسى (ع) بهذا علموا براءة مريم ثم سكت عيسى (ع) فلم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان ﴿**ذلك عيسى بن مريم**﴾ معناه ذلك الذي قال إني عبد الله عيسى بن مريم لا ما يقوله النصارى من انه ابن الله وأنه إلّه ﴿**قول الحق**﴾ مرَّ معناه في الحجة ﴿**الذي فيه يمترون**﴾ أي يشكون يعني اليهود والنصارى فزعمت اليهود انه ساحر كذاب وزعمت النصارى أنه ابن الله وثالث ثلاثة وقيل وهو افتراء النصارى واختلافهم فبعضهم قالوا هو الله وقال بعضهم ابن الله وقال بعضهم ثالث ثلاثة ثم كذّبهم الله تعالى فقال ﴿**ما كان لله أن يتخذ من ولد**﴾ معناه ما كان ينبغي لله أن يتخذ من ولد أي ما يصلح له ولا يستقيم عن ابن الانباري قال فنابت اللام عن الفعل وذلك ان من اتخذ ولداً فإنما يتخذه من جنسه لأن الولد مجانس للوالد والله تعالى ليس كمثله شيء فلا يكون له سبحانه ولد ولا يتخذ ولداً وقوله من ولد من هذه هي الذي تدل على نفي الواحد والجماعة فالمعنى أنه لا يجوز أن يتخذ ولداً واحداً ولا أكثر ثم نزَّه سبحانه نفسه عن ذلك فقال ﴿ **سبحانه** ﴾ ثم بيَّن السبب في كون عيسى من غير أب فقال ﴿ **إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون** ﴾ وقد مرَّ تفسيره فيما مضى والمعنى أنه لا يتعذر عليه ايجاء شيء على الوجه الذي أراده .

﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ

فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ
فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ
يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ
يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا
يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة وابن عامر وروح وزيد عن يعقوب وإن الله بكسر الهمزة والباقون بالفتح .

[**الحجة**] قال أبو علي حجة من كسر انه جعله مستأنفاً كما ان المعطوف عليه مستأنف وحجة من فتح انه حمله على قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة وبأن الله ربي وربكم .

[**الإعراب والمعنى**] قوله **﴿وإن الله ربي وربكم﴾** من فتح الهمزة ففيه أربعة أوجه (أحدها) ان المعنى وقضى ان الله ربي وربكم عن أبي عمرو بن العلاء (والثاني) انه معطوف على كلام عيسى أي وأوصاني بأن الله ربي وربكم (والثالث) ذلك عيسى بن مريم وذلك ان الله ربي وربكم عن الفراء (والرابع) ان العامل فيه فاعبدوه والتقدير ولأن الله ربي وربكم **﴿فاعبدوه﴾** فحذف الجار ومن كسر الهمزة جاز أن يكون معطوفاً على قوله **﴿قال إني عبد الله﴾** أي وقال إن الله ربي وربكم وجاز أن يكون ابتداء كلام من الله تعالى أو أمر من الله لرسوله ان يقول ذاك وقوله **﴿هذا صراط مستقيم﴾** معناه هذا طريق واضح فالزموه وقيل إن المعنى هذا الذي أخبرتكم إن الله أمرني به هو الدين المستقيم الذي لا اعوجاج فيه **﴿فاختلف الاحزاب من بينهم﴾** الاختلاف في المذهب ان يعتقد كل قوم خلاف ما يعتقده الآخرون والاحزاب جمع حزب وهو الجمع المنقطع في رأيه عن غيره **﴿وتحزبوا﴾** أي صاروا أحزاباً فالمعنى ان الأحزاب من أهل الكتاب اختلفوا في عيسى (ع) فقال قوم منهم هو الله وهم اليعقوبية وقال آخرون هو ابن الله وهم النسطورية وقال آخرون هو ثالث ثلاثة وهم الاسرائيلية وقال المسلمون هو عبد الله عن قتادة ومجاهد وإنما قال من بينهم لأن منهم

من ثبت على الحق وقيل ان من زائدة والمعنى اختلفوا بينهم ﴿**فويل**﴾ أي فشدة عذاب وهي كلمة وعيد ﴿**للذين كفروا**﴾ بالله بقولهم في المسيح ﴿**من مشهد يوم عظيم**﴾ المشهد بمعنى الشهود والحضور أي من حضورهم ذلك اليوم وهو يوم القيامة وسمي عظيماً لعظم أهواله وقيل ويل لهم من مجمع يوم اي من الفضيحة على رؤوس الجمع يومئذ ﴿**أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا**﴾ قيل فيه وجهان (أحدهما) ان التقدير صاروا ذوي سمع وبصر والجار والمجرور في موضع رفع لأنه فاعل اسمع والمعنى ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامةوان كانوا في الدنيا صمّاً وبكماً عن الحق عن الحسن ومعناه الاخبار عن قوة علومهم بالله تعالى في تلك الحال ومثله قوله فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴿**لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين**﴾ يعني ان الكافرين في الدنيا آثروا الهوى على الهدى فهم في ذهاب عن الدين وعدول عن الحق والمراد أنهم في الدنيا جاهلون وفي الآخرة عارفون حيث لا تنفعهم المعرفة وقال ابو مسلم وهذا يدل على أن قوله سبحانه صم بكم عمي ليس معناه الآفة في الأذن واللسان والعين بل هو انهم لا يتدبرون ما يسمعون ويرون ولا يعتبرون ألا ترى أنه جعل قوله ﴿**لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين**﴾ في مقابلته فأقام السمع والبصر مقام الهدى إذ جعله في مقابلة الضلال المبين (والثاني) ان معناه اسمعهم وأبصرهم أي بصرهم وبيّن لهم انهم إذا أتوا مع الناس إلى موضع الجزاء سيكونون في ضلال مبين عن الجنة والثواب عن الجبائي قال ويجوز أن يكون المعنى أسمع الناس بهؤلاء الأنبياء وأبصرهم بهم ليعرفوهم ويعرفوا خبرهم فيؤمنوا بهم لكن من كفر بهم من الظالمين اليوم يعني يوم القيامة في ضلال عن الجنة وهذا بعيد وقد استدرك على الجبائي في قوله والأولى والأظهر في الآية الوجه الأول ﴿**وأنذرهم يوم الحسرة**﴾ الخطاب للنبي ﷺ والمعنى خوّف يا محمد كفار مكة يوم يتحسر المسيء هلا احسن العمل والمحسن هلا ازداد من العمل وهو يوم القيامة وقيل إنما يتحسر المستحق للعقاب فأما المؤمن فلا يتحسر وروى مسلم في الصحيح بالإسناد عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ إذا دخل اهل الجنة الجنة وأهل النار النار قيل يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون وقيل يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيجاء بالموت كأنه كبش املح فيقال لهم تعرفون الموت فيقولون هذا هذا وكل قد عرفه قال فيقدم فيذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت وقال وذلك قوله ﴿**وأنذرهم يوم الحسرة**﴾ الآية ورواه اصحابنا عن أبي جعفر (ع) وأبي عبد الله (ع) ثم جاء في آخره فيفرح أهل الجنة فرحاً لو كان أحد يومئذ ميتاً لماتوا فرحاً ويشهق أهل النار شهقة لو كان أحد ميتاً لماتوا ﴿**إذا قضي الأمر**﴾ أي فرغ من الأمر وانقطعت الآمال وأدخل قوم النار وقوم الجنة وقيل معناه

انقضى أمر الدنيا فلا يرجع اليها الاستدراك الفائت وقيل معناه حكم بين الخلائق بالعدل وقيل قضي على أهل الجنة بالخلود وقضي على أهل النار بالخلود **﴿وهم في غفلة﴾** في الدنيا عن ذلك ومعناه إنهم مشغولون اليوم بما لا يعنيهم غافلون عن أحوال الآخرة **﴿وهم لا يؤمنون﴾** أي لا يصدّقون بذلك ثم أخبر سبحانه عن نفسه فقال **﴿إنا نحن نرث الأرض ومن عليها﴾** أي نميت سكانها فنرثها ومن عليها من العقلاء لأنّا نميتهم ونهلكهم فلا يبقى فيها مالك ومتصرف **﴿وإلينا يُرجعون﴾** أي إلينا يردُّون بعد الموت أي إلى حيث لا يملك الأمر والنهي غيرنا .

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا
نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ
وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ
فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ
إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ
عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ
أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾
قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾
وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ
بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن
رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾

[**القراءة**] قد ذكرنا الاختلاف بين القراء في قوله يا أبت والوجه في ذلك في سورة يوسف (ع) .

[**اللغة**] الصديق هو كثير التصديق بالحق حتى يصير علماً فيه والرغبة عن الشيء نقيض الرغبة فيه والترغيب الدعاء إلى الرغبة في الشيء والانتهاء الامتناع من الفعل المنهي عنه يقال نهاه عن الأمر فانتهى وأصله النهاية والنهى زجر عن الخروج من النهاية المذكورة والتناهي بلوغ نهاية الحد والرجم الرمي بالحجارة والرجم الشتم وأصله من الرَّجَم والرِّجَام وهو الحجارة والملي الدهر الطويل قال الفراء يقال كنت عندنا مُلْوة ومَلْوةً ومِلْوةً ومُلاوةً ومِلاوةً وكله من طول المقام والحفي المستقصي في السؤال والخفي اللطيف بعموم النعمة وأصل الباب الاستقصاء تقول تحفيت به أي بالغت في اكرامه وحفوته من كل خير بالغت في منعه واحفيت شاربي بالغت في اخذه حتى استأصلته واحفيت في السؤال بالغت وكل شيء استوصل فقد احتفى وتقول العرب جاءني لسان فلان أي مدحه وذمَّه قال عامر بن الحرث

إِنِّي أَتَتْنِي لِسَانٌ لَا أُسُرُّ بِهَا ... مِنْ عَلْوَ لَا عَجَبٌ مِنْهَا وَلَا سُخُرُ
جَاءَتْ مُرَجَّمَةً قَدْ كُنْتُ أَحْذَرُهَا ... لَوْ كَانَ يَنْفَعُنِي الإِشْفَاقُ وَالْحَذَرُ

[**الإعراب**] قال الزجاج انعرب تقول في النداء يا أبت ويا أمت ولا يقال قال ابتي كذا وقالت أمتي كذا وزعم الخليل وسيبويه أنهما بمنزلة قولهم يا عمة ويا خالة وزعم أنه بمنزلة قولهم رجل ربعة وغلام يفعة وان الهاء عوض من ياء الاضافة في يا أبي ويا أمي وقوله ملياً منصوب على الظرف وكلا مفعول جعلنا .

[**المعنى**] ثم ذكر سبحانه قصة إبراهيم (ع) فقال ﴿**واذكر**﴾ يا محمد ﴿**في الكتاب**﴾ أي القرآن ﴿**إبراهيم إنه كان صديقاً**﴾ أي كثير التصديق في أمور الدين عن الجبائي وقيل صادقاً مبالغاً في الصدق فيما يخبر عن الله تعالى عن أبي مسلم ﴿**نبياً**﴾ أي علياً رفيع الشأن برسالة الله تعالى ﴿**إذ قال لأبيه**﴾ آزر ﴿**يا أبت**﴾ أي يا أبي ودخلت التاء للمبالغة في تحقيق الاضافة ﴿**لم تعبد ما لا يسمع**﴾ دعاء من يدعوه ﴿**ولا يبصر**﴾ من يتقرب إليه ويعبده ﴿**ولا يغني عنك شيئاً**﴾ من أمور الدنيا أي لا يكفيك شيئاً فلا ينفعك ولا يضرُّك ﴿**يا أبت إني قد جاءني من العلم**﴾ بالله والمعرفة ﴿**ما لم يأتك فاتبعني**﴾ على ذلك واقتد بي فيه ﴿**اهدك صراطاً سوياً**﴾ أي أوضح لك طريقاً مستقيماً معتدلاً غير جائر بك عن الحق إلى الضلال ﴿**يا أبت لا تعبد الشيطان**﴾ أي لا تطعه فيما يدعوك إليه فتكون بمنزلة من عبده ولا شبهة ان الكافر لا يعبد الشيطان ولكن من أطاع شيئاً فقد عبده ﴿**إن الشيطان كان للرحمن**

عصياً﴾ أي عاصياً **﴿يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن﴾** أي يصبك عذاب من جهة الله سبحانه لاصرارك على الكفر **﴿فتكون للشيطان ولياً﴾** أي فتكون موكولاً الى الشيطان وهو لا يغني عنك شيئاً عن الجبائي وقيل معناه فتكون لاحقاً بالشيطان باللعن والخذلان واللاحق يسمى التالي والذي يتلو الشيء والذي يليه سواء عن أبي مسلم وقيل فتكون له قريناً في النار وقيل معناه فيكون الشيطان وليّ نصرتك ولم يقل فيكون الشيطان وليك لأنه أبلغ في الفضيحة وإنما أراد زجره عن موالاة الشيطان لا تحقيق النصرة يعني إذا لم يكن لك الا نصرته فأنت مخذول لا ناصر لك وقد بيّنا فيما مضى ان الذي يقوله أصحابنا ان هذا الخطاب من ابراهيم(ع) إنما توجّه إلى من سمّاه الله أباً له لأنه كان جدّاً لابراهيم(ع) لامه وان أباه الذي ولّده كان اسمه تارخ لاجماع الطائفة على أن آباء نبينا ﷺ إلى آدم (ع) كلهم مسلمون موحّدون ولما روي عنه ﷺ انه قال لم يزل ينقلني الله تعالى من اصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات حتى أخرجني في عالمكم هذا والكافر غير موصوف بالطهارة لقوله تعالى **﴿إنما المشركون نجس قال﴾** آزر مجيباً لإبراهيم (ع) حين دعاه إلى الإيمان **﴿أراغب أنت عن آلهتي﴾** أي أمعرض أنت عن عبادة آلهتي التي هي الأصنام **﴿يا إبراهيم﴾** وتارك لها وزاهد فيها **﴿لئن لم تنته﴾** أي لئن لم تمتنع عن هذا **﴿لأرجمنك﴾** بالحجارة عن الحسن والجبائي وقيل لأرمينك بالذنب والعيب واشتمنك عن السدي وابن جريج وقيل معناه لأقتلنك **﴿واهجرني ملياً﴾** أي فارقني دهراً طويلاً عن الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير والسدي وقيل ملياً سوياً سليماً عن عقوبتي عن ابن عباس وقتادة وعطاء والضحاك من قولهم فلان ملي بهذا الأمر اذا كان كاملاً فيه مضطلعاً به **﴿قال﴾** إبراهيم **﴿سلام عليك﴾** سلام توديع وهجر على ألطف الوجوه وهو سلام متاركة ومباعدة منه عن الجبائي وأبي مسلم وقيل هذا سلام إكرام وبرّ فقابل جفوة أبيه بالبر تأدية لحق الأبوة اي هجرتك على وجه جميل من غير عقوق **﴿سأستغفر لك ربي﴾** قيل فيه أقوال (أحدها) انه إنما وعده بالاستغفار على مقتضى العقل ولم يكن بعد قد استقرَّ قبح الاستغفار للمشركين (وثانيها) انه قال سأستغفر لك ربي على ما يصح ويجوز من تركك عبادة الأوثان واخلاص العبادة لله تعالى عن الجبائي (وثالثها) ان معناه سأدعو الله ان لا يعذبك في الدنيا عن الأصم **﴿إنه كان ربي حفياً﴾** أي باراً لطيفاً رحيماً عن ابن عباس ومقاتل وقيل ان الله عوّدني احسانه وكان لي مكرماً وقيل كان عالماً بي وبما ابتغيه من مجالدتك لعله يهديك **﴿واعتزلكم وما تدعون من دون الله﴾** أي واتنحى منكم جانباً وأعتزل عبادة ما تدعون من دونه من الاصنام **﴿وادعوا﴾** أي واعبد **﴿ربي عسى ان لا أكون بدعاء ربي شقياً﴾** كما شقيتم بدعاء الاصنام وإنما ذكر عسى على وجه

الخضوع وقيل معناه لعله يقبل طاعتي وعبادتي ولا أشقى بالرد فإن المؤمن بين الرجاء والخوف ﴿**فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله**﴾ أي فارقهم وهاجرهم الى الأرض المقدسة ﴿**وهبنا له إسحاق**﴾ ولداً ﴿**ويعقوب**﴾ ولد ولد ﴿**وكلا جعلنا نبياً**﴾ أي انسنا وحشته من فراقهم بأولاد كرام على الله وكلا من هذين جعلناه نبياً يقتدى به في الدين ﴿**ووهبنا له من رحمتنا**﴾ أي نعمتنا سوى الأولاد والنبوة من نعم الدين والدنيا ﴿**وجعلنا لهم لسان صدق عليا**﴾ أي ثناء حسناً في الناس علياً مرتفعاً سائراً في الناس وكل أهل الأديان يتولون ابراهيم وذريته ويثنون عليهم ويدعون أنهم على دينهم وقيل معناه وأعلينا ذكرهم بأن محمداً ﷺ وأمته يذكرونهم بالجميل إلى قيام القيامة وقيل هو ما يتلى في التشهد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم .

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾

[**القراءة**] قرأ أهل الكوفة مخلَصاً بفتح اللام والباقون مخلِصاً بكسرها .

[**الحجة**] من كسر اللام فحجّته واخلصوا دينهم لله ومن فتحها فحجته انا أخلصناهم .

[**اللغة**] يقال ناجاه يناجيه إذا اختصّه بكلام ألقاه إليه وأصل النجاة الارتفاع من الأرض ومنه النجاة أيضاً وهو الأرتفاع عن الهلكة والنجاة السرعة لأنه ارتفاع في السير ومنه المناجاة لأنه ارتفاع الحديث إلى المحدث والنجي بمعنى المناجي كالجليس والضجيع وقيل نجي مصدر بمعنى ارتفاع لأن معنى قربناه رفعناه ويجوز أن يكون التقدير وقربناه مكاناً رفيعاً .

[**المعنى**] ثم ذكر سبحانه حديث موسى (ع) فقال ﴿ **واذكر** ﴾ يا محمد ﴿ **في**

الكتاب ﴾ الذي هو القرآن ﴿ **مـوسى أنه كـان مخلصاً** ﴾ أخلص العبـادة لله تعالى وأخلص نفسه لاداء الرسالة وبفتـح اللام يكـون معناه أخلصـه الله بالنبـوة واختاره للرسـالة ﴿ **وكـان رسولاً** ﴾ إلى فرعون وقومه ﴿ **نبياً** ﴾ رفيع الشأن عـالي القدر ﴿ **ونـاديناه من جـانب الطور الأيمن** ﴾ الطور جبل بالشام نـاداه الله تعالى من جـانبه اليمين وهي يمين مـوسى وقيل من جانب اليمين من الطور يريد حيث أقبل من مدين ورأى النار في الشجرة وهو قوله ﴿ **يا موسى إني أنا الله رب العالمين** ﴾ ﴿ **وقربناه نجياً** ﴾ أي مناجياً كليماً قال ابن عباس قرَّبه الله وكلَّمه ومعنى هذا التقريب أنه أسمعه كلامه وقيل قرَّبه حتى سمع صرير القلم الذي كتبت به التوراة وقيل قرَّبناه أي ورفعنا منزلته وأعلينا محله حتى صار محله منا في الكرامة والمنزلة محل من قربه مولاه في مجلس كرامته فهو تقريب كرامة واصطفاء لا تقريب مسافة وادناء إذ هو سبحانه لا يوصف بالحلول في مكان فيقرب من بعد أو يبعد من قرب أو يكون أحد أقرب إليـه من غيره ﴿ **ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيـاً** ﴾ أي أنعمنا عليـه بأخيـه هارون حيث قـال واجعل لي وزيراً من أهلي هارون وجعلناه نبياً أشركناه في أمره وشددنا به ازره ﴿ **واذكر في الكتاب** ﴾ الذي هو القرآن ﴿ **اسماعيل** ﴾ بن إبراهيم أيضاً ﴿ **أنه كان صـادق الوعـد** ﴾ إذا وعد بشيء وفى به ولم يخلف ﴿ **وكان** ﴾ مع ذلك ﴿ **رسولاً نبيـاً** ﴾ إلى جرهم وقـد مضى معناه قال ابن عباس أنه واعد رجلاً أن ينتظره في مكان ونسي الرجل فانتظره سنة حتى أتاه الرجل وذلك مروي عن أبي عبد الله (ع) وقيل أقام ينتظره ثلاثة أيـام عن مقاتـل وقيل أن اسماعيل بن إبراهيم (ع) مات قبل أبيه إبراهيم (ع) وان هذا هو اسماعيل بن حزقيل بعثه الله إلى قومه فسلخوا جلدة وجهه وفروة رأسه فخيَّره الله فيما شاء من عذابهم فاستعفاه ورضي بثوابه وفوَّض أمرهم إلى الله تعالى في عفوه وعقابه ورواه أصحابنا عن أبي عبد الله (ع) ثم قال في آخره أتاه ملك من ربه يقرئه السلام ويقول قد رأيت ما صنع بك وقد أمرني بطاعتك فمرني بما شئت فقال يكون لي بالحسين (ع) أسوة ﴿ **وكان يأمر أهله** ﴾ أي قومه وعترتـه وعشيرته وقيل أمته عن الحسن ﴿ **بالصلاة والزكاة** ﴾ وقيل أنه كـان يأمر أهله بصلاة الليـل وصدقة النهار ﴿ **وكان** ﴾ مع ذلك ﴿ **عند ربه مرضياً** ﴾ قد رضي أعماله لأنها كلها طاعات لم تكن فيها قبائح وقيل مرضياً معناه صالحاً زكياً رضياً فحصل له عنده المنزلة العظيمة .

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَـٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ

عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن
ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ
ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ ۩ * فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ
خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾
إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا
يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾

[**اللغة**] العلي العظيم العلو والعلي العظيم فيما يقدر به على الأمور ومنه يوصف الله تعالى بأنه علي والفرق بين العلي والرفيع أن العلي قد يكون بمعنى الاقتدار وبمعنى علو المكان والرفيع من رفع المكان لا غير ولذلك لا يوصف الله تعالى بأنه رفيع وأما رفيع الدرجات فإنه وصف للدرجات بالرفعة وبكي وزنه فعول وهو جمع باك ويجوز أن يكون مصدراً بمعنى البكاء والخلف بفتح اللام يستعمل في الصالح وبسكون اللام في الطالح وقد يستعمل كل واحد في الآخر قال لبيد :

ذَهَبَ ٱلَّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ وَبَقِيتُ فِي خَلْفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ(١)

[**الإعراب**] سجداً وبكياً نصب على الحال وتقديره خروا ساجدين وباكين قال الزجاج وهي حال مقدرة المعنى خروا مقدرين السجود لأن الإنسان في حال خروره لا يكون ساجداً إلا من تاب في موضع نصب أي فسوف يلقون العذاب إلا التائبين فيكون الاستثناء متصلاً ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعاً من غير الأول ويكون المعنى لكن من تاب وآمن فأولئك يدخلون الجنة .

[**المعنى**] ثم ذكر سبحانه حديث إدريس فقال ﴿ **واذكر** ﴾ يا محمد ﴿ **في الكتاب** ﴾ الذي هو القرآن ﴿ **إدريس** ﴾ وهو جد أب نوح (ع) واسمه في التوراة أخنوخ وقيل أنه سمي

(١) هذا بيت من قصيدة مشهورة قالها في رثاء أخيه من أمه أربد بن قيس وقد خرج مع عامر بن الطفيل ليغدرا برسول الله ﷺ فدعا عليهما في قصة مشهورة فماتا من رجوعهما وقد مر البيت في ج ٢ بمعناه فراجع . .

إدريس لكثرة درسه الكتب وهو أول من خط بالقلم وكان خياطاً وأول من خاط الثياب وقيل أن الله تعالى علَّمه النجوم والحساب وعلم الهيأة وكان ذلك معجزة له ﴿ **انه كان صديقاً نبياً** ﴾ مرَّ معناه ﴿ **ورفعناه مكاناً علياً** ﴾ أي عالياً رفيعاً وقيل أنه رفع إلى السماء الرابعة عن أنس وأبي سعيد الخدري وكعب ومجاهد وقيل إلى السماء السادسة عن ابن عباس والضحاك قال مجاهد رفع إدريس (ع) كما رفع عيسى (ع) وهو حيٌّ لم يمت وقال آخرون أنه قبض روحه بين السماء الرابعة والخامسة وروي ذلك عن أبي جعفر وقيل أن معناه ورفعنا محله ومرتبته بالرسالة كقوله تعالى ﴿ **ورفعنا لك ذكرك** ﴾ ولم يرد به رفعة المكان عن الحسن والجبائي وأبي مسلم ولما فصل سبحانه ذكر النبيين ووصف كلا منهم بصفة تخصّه جمعهم في المدح والثناء فقال ﴿ **أولئك** ﴾ تقدَّم ذكرهم ﴿ **الذين أنعم الله عليهم** ﴾ بالنبوة وقيل بالثواب وبسائر النعم الدينية والدنيوية ﴿ **من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل** ﴾ إنما فرَّق سبحانه ذكر نسبهم مع أن كلهم كانوا من ذرية آدم (ع) لتبيان مراتبهم في شرف النسب فكان لإدريس شرف القرب لآدم لأنه جد نوح (ع) وكان إبراهيم من ذرية من حمل مع نوح لأنه من ولد سام بن نوح وكان إسماعيل وإسحاق ويعقوب من ذرية إبراهيم لما تباعدوا من آدم حصل لهم شرف إبراهيم وكان موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى من ذرية إسرائيل ﴿ **وممن هدينا واجتبينا** ﴾ قيل انه تمَّ الكلام عند قوله إسرائيل ثم ابتدأ فقال وممن هدينا واجتبينا من الأمم قوم إذا تُتلى عليهم آيات الرحمن خرُّوا سجداً وبكياً فحذف لدلالة الكلام عليه عن أبي مسلم وروي عن علي بن الحسين (ع) أنه قال نحن عنينا بها وقيل بل المراد به الأنبياء الذين تقدَّم ذكرهم من ذرية آدم وممن هديناهم واجتبيناهم أي هديناهم إلى الحق فاهتدوا واخترناهم من بين الخلق ثم وصفهم فقال ﴿ **إذا تتلى عليهم** ﴾ أي تقرأ عليهم ﴿ **آيات الرحمن** ﴾ وهو القرآن عن ابن عباس ﴿ **خرُّوا سجداً** ﴾ أي ساجدين لله ﴿ **وبكياً** ﴾ أي باكين متضرعين إليه بيَّن الله سبحانه أنهم مع جلالة قدرهم كانوا يبكون عند ذكر آيات الله وهؤلاء العصاة ساهون لاهون مع إحاطة السيئات بهم ثم أخبر سبحانه فقال ﴿ **فخلف من بعدهم خلف** ﴾ والخلف البدل السيىء معناه من بعد النبيين المذكورين قوم سوء وقيل هم اليهود ومن تبعهم لأنهم من ولد إسرائيل وقيل هم من هذه الأمة عند قيام الساعة عن مجاهد وقتادة ﴿ **أضاعوا الصلاة** ﴾ تركوها عن محمد بن كعب وقيل أضاعوها بتأخيرها عن مواقيتها من غير أن تركوها أصلاً عن ابن مسعود وإبراهيم وعمر بن عبد العزيز والضحاك وهو المروي عن أبي عبد الله (ع) ﴿ **واتبعوا الشهوات** ﴾ أي انفذوا الشهوات فيما حرَّم الله عليهم فقال وهب فخلف من بعدهم خلف

شرابون للقهوات لعابون بالكعبات ركابون للشهوات متبعون للّذات تاركون للجمعات مضيّعون للصلوات ﴿ **فسوف يلقون غياً** ﴾ أي يلقون مجازاة الغي عن الزجاج وهذا كقوله ﴿**ومن يفعل ذلك يلق إثاماً**﴾أي مجازاةالآثام وقيل يلقون غياً أي شراً وخيبةعن ابن عباس وابن زيد ومنه قول الشاعر « ومن يغو لا يعدم على الغي لائما » أي يخب وقيل الغي واد في جهنم عن ابن مسعود وعطاء وكعب ﴿ **إلا من تاب** ﴾ أي ندم على ما سلف ﴿ **وآمن** ﴾ في مستقبل عمره ﴿ **وعمل صالحاً** ﴾ من الواجبات والمندوبات ﴿ **فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً** ﴾ ومن قرأ يدخلون بضم الياء وفتح الخاء أراد أن الله سبحانه يدخلهم الجنة بأن يأمرهم بدخولها وهذا يطابق قوله ﴿ **ولا يظلمون** ﴾ ومن قرأ يدخلون أراد أنهم يدخلونها بأمر الله والمعنيان واحد ولا يبخسون شيئاً من ثوابهم بل يوفيه الله إليهم على التمام والكمال وفي هذا دلالة على أن الله لا يمنع أحداً ثواب عمله ولا يبطله لأنه سبحانه سمى ذلك ظلماً .

﴿ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَـٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَـٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾

[**القراءة**] قرأ رويس عن يعقوب نُوَّرِث بالتشديد والباقون نورث وفي بعض الروايات عن أبي عمرو هل تعلم يدغم اللام في التاء والأكثر الإظهار .

[**الحجة**] يقال أورثه وورثه بمعنى قال أبو علي يرى سيبويه أن إدغام اللام في التاء والدال والطاء والصاد والزاي والسين جائز لأن مخرج اللام قريب من مخارجهن وهي حروف

طرف اللسان وأنشد لمزاحم العقيلي :

فَـذَرْ ذا وَلَـكِـنْ هَـتُّـعِـيـنُ مُـتَـيَّـمـاً عَلىٰ ضَـوْءِ بَـرْقٍ آخِـرَ اللَّيْـلِ نـاصِبِ[1]

[**الإعراب**] جنات عدن بالنصب على البدل من قوله ﴿ **الجنة** ﴾ وقوله ﴿ **بالغيب** ﴾ في موضع الحال أي كائنة بالغيب وذو الحال جنات عدن وسلاماً استثناء منقطع فكأنه قال لا يسمعون فيها كلاماً يؤلمهم ولكن يسمعون سلاماً وما نتنزل إلا بأمر ربك تقديره قل ما نتنزل فاضمر القول . ﴿ **له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذٰلك** ﴾ قال أبو علي هذه الآية تدل على أن الأزمنة ثلاثة ماض وهو قوله ما بين أيدينا ومستقبل وهو قوله وما خلفنا وحال وهو قوله وما بين ذلك ﴿ **وما كان ربك نسيا رب السماوات والأرض** ﴾ بدل من اسم كان وإن شئت كان خبر مبتدأ محذوف وإن شئت كان مبتدأ وقوله ﴿ **فاعبده** ﴾ خبره وهذا على قول الأخفش دون سيبويه .

[**النزول**] قيل أن العاص بن وائل السهمي لم يعط أجرة أجير استعمله وقال لو كان ما يقوله محمد حقاً فنحن أولى بالجنة ونعيمها فحينئذ أوّفره أجره فنزل ﴿ **تلك الجنة التي نورث** ﴾ الآية وقيل احتبس الوحي أياماً لما سئل النبي ﷺ عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين والروح فشقَّ ذلك عليه فلما أتاه جبرائيل استبطأه فنزلت ﴿ **وما نتنزل إلا بأمر ربك** ﴾ الآية عن عكرمة والضحاك وقتادة والكلبي ومقاتل .

[**المعنى**] ثم وصف سبحانه الجنة فقال ﴿ **جنات عدن** ﴾ أي جنات إقامة يقال عدن بالمكان إذا أقام به ووحَّد في الآية المتقدمة وجمع ههنا فكأنه جنة تشتمل على جنات وقيل لأن لكل واحد من المؤمنين جنة تجمعها الجنة العظماء ﴿ **التي وعد الرحمن عباده بالغيب** ﴾ المراد بالعباد المؤمنون كما قال فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وقيل أنه يتناول المؤمن والكافر ولكن بشرط رجوع الكافر عن كفره وقال بالغيب لأنهم غابوا عما فيها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت عن ابن عباس والمعنى أنه وعدهم أمراً لم يكونوا يشاهدونه فصدَّقوه وهو غائب عنهم ﴿ **انه كان وعده** ﴾ أي موعوده ﴿ **مأتيا** ﴾ أي آتيا لا محالة والمفعول هنا بمعنى الفاعل لأن ما آتيته فقد أتاك وما أتاك فقد أتيته يقال أتيت على خمسين سنة وأتت عليَّ خمسون سنة وقيل إن الموعود هو الجنة والجنة مأتية يأتيها المؤمنون ﴿ **لا يسمعون فيها لغواً** ﴾ أي لا يسمعون في تلك الجنات القول الذي لا معنى له يستفاد وهو اللغو وقيل قد

---

(١) أصله هل تعين ادغم اللام في التاء .

يكون اللغو الهزل وما يلغي من الكلام مثل الفحش والأباطيل ﴿ **إلا سلاماً** ﴾ أي إلا سلام الملائكة عليهم وسلام بعضهم على بعض قال الزجاج السلام إسم جامع لكل خير لأنه يتضمن السلامة أي يسمعون ما يسلمهم ﴿ **ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا** ﴾ قال المفسرون ليس في الجنة شمس ولا قمر فيكون لهم بكرة وعشياً والمراد أنهم يؤتون برزقهم على ما يعرفونه من مقدار الغداء والعشاء وقيل كانت العرب إذا أصاب أحدهم الغداء والعشاء لعجبت به وكانت تكره الوجبة وهي الأكلة الواحدة في اليوم فأخبر الله تعالى أن لهم في الجنة رزقهم بكرة وعشياً على قدر ذلك الوقت وليس ثَمَّ ليل وإنما هو ضوء ونور عن قتادة وقيل أنهم يعرفون مقدار الليل بارخاء الحجب وإغلاق الأبواب ومقدار النهار يرفع الحجب وفتح الأبواب ﴿ **تلك الجنة التي** ﴾ هي مذكورة في قوله ﴿ **فأولئك يدخلون الجنة التي** ﴾ ﴿ **نورث من عبادنا من كان تقيا** ﴾ أي إنما نملك تلك الجنة من كان تقياً في دار الدنيا بترك المعاصي وفعل الطاعات وإنما قال نورث مع أنه ليس بتمليك نقل من غيرهم إليهم لأنه شبه بالميراث من جهة أنه تمليك بحال استؤنفت عن حال قد انقضت من أمر الدنيا كما ينقضي حال الميت من أمر الدنيا عن الجبائي وقيل إنه تعالى أورثهم من الجنة المساكن والمنازل التي كانت لأهل النار لو أطاعوا الله تعالى وأضاف العباد إلى نفسه لأنه أراد المؤمنين ﴿ **وما نتنزل إلا بأمر ربك** ﴾ قال ابن عباس إن النبي ﷺ قال لجبرائيل ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزل ﴿ **وما نتنزل إلا بأمر ربك** ﴾ الآية أي إذا أمرنا نزلنا عليك وهو قول مجاهد وقتادة والضحاك وقيل أنه قول أهل الجنة إنا لا نتنزل موضعاً من الجنة إلا بأمر الله تعالى عن أبي مسلم ﴿ **له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك** ﴾ معناه له ما بين أيدينا من أمر الآخرة وما خلفنا أي ما مضى من أمر الدنيا وما بين ذلك أي ما بين النفختين عن ابن عباس وقتادة والضحاك والربيع قال مقاتل وما بين النفختين أربعون سنة وقيل معناه ابتداء خلقنا ومنتهى آجالنا ومدة حياتنا وقيل ما بين أيدينا ما بقي من أمر الدنيا وما خلفنا ما مضى من الدنيا وما بين ذلك من حياتنا أي هو المدبر لنا في الأوقات الماضية والآتية والذاهبة وقيل ما بين أيدينا أي الأرض عند نزولنا وما خلفنا السماوات إذ نزلنا منها وما بين ذلك السماء والأرض ﴿ **وما كان ربك نسياً** ﴾ قيل هذا تمام حكاية قول الملائكة وقول أهل الجنة وقيل بل تمَّ الكلام قبله ثم أخبر الله سبحانه عن نفسه ومعناه أنه سبحانه ليس ممن ينسى ويخرج عن كونه عالماً لأنه عالم لذاته وتقديره وما نسيك يا محمد وإن أخَّر الوحي عنك وقيل ما كان ربك ناسياً لأحد حتى لا يبعثه يوم القيامة عن أبي مسلم ﴿ **رب السماوات والأرض** ﴾ أي خالقهما ومدبّرهما ﴿ **وما بينهما** ﴾ من الخلائق والأشياء ﴿ **فاعبده** ﴾ وحده لا شريك له ﴿ **واصطبر لعبادته** ﴾

أي اصبر على تحمل مشقة عبادته ثم قال لنبيه ﷺ ﴿ **هل تعلم له سميا** ﴾ أي مثلاً وشبيهاً عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج وسعيد بن جبير وقيل هل تعلم أحداً يستحق أن يسمى إلٰهاً إلا هو عن الكلبي وقيل هل تعلم أحداً يسمى إلٰهاً خالقاً رازقاً محيياً مميتاً قادراً على الثواب والعقاب سواه حتى تعبده فإذا لم تعلم ذلك فالزم عبادته وهذا استفهام بمعنى النفي أي لا تعلم من يسمى بلفظة الله .

﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾

[**القراءة**] قرأ نافع وعاصم وابن عامر وروح وزيد عن يعقوب وسهل أولا يذكر خفيفاً والباقون أولا يُذَكِّر بالتشديد .

[**الحجة**] قال أبو علي التذكر يراد به التدبر والتفكر وليس تذكراً عن نسيان والثقيلة كأنه في هذا المعنى أكثر فمن ذلك قوله ﴿ **أولم نعمركم** ﴾ ما يتذكر فيه من تذكر وقال إنما يتذكر أولو الألباب فأضافته إلى أولي الألباب يدل على أن المراد به النظر والتفكر والخفيفة في هذا المعنى دون ذلك في الكثرة وقد قال الله تعالى إن هذه تذكرة فمن شاء ذكره وزعموا أنه في حرف أبي أولا يتذكر وأما قوله ولم يك شيئاً فمعناه لم يك شيئاً موجوداً وليس يراد أنه قبل الخلق لم يقع عليه اسم شيء وهذا كقوله تعالى هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً وقد قال أن زلزلة الساعة شيء عظيم .

[**اللغة**] الجثي جمع الجاثي وهو الذي برك على ركبتيه وأصله جثو فعول من جثى يجثو وقد تقدم القول فيه في أوائل السورة والشيعة الجماعة المتعاونون على أمر واحد من الأمور ومنه تشايع القوم إذا تعاونوا والصليّ مصدر صَلِي يصلي صَلِيًّا مثل لَقِي يلقي لَقِيًّا وصَلىٰ يَصلِي صُلِيًّا مثل مَضى يمضِي مُضِيًّا .

[**الإعراب**] العامل في قوله ﴿ **أإذا ما متُّ** ﴾ مضمرٌ دلَّ عليه قوله ﴿ **سوف أخرج حيا** ﴾ والتقدير أإذا ما متُّ بعثت ولا يجوز أن يعمل فيه أخرج لأن ما بعد اللام لا يعمل فيما قبله كما أن ما بعد أن كذلك وما بعد الاستفهام وحرف النفي وقد ذكرنا ذلك في مواضع والشياطين يحتمل أن يكون منصوباً بأنه مفعول به أي ونحشر الشياطين ويحتمل أن يكون مفعولاً معه بمعنى لنحشرنهم مع الشياطين وجثيا منصوب على الحال وعتيا منصوب على التمييز وكذلك صليا فأما الرفع في أيُّهم أشدّ قال الزجاج فيه ثلاثة أقوال (أحدها) قال سيبويه عن يونس أن لننزعن معلقة لم تعمل شيئاً فكان قول يونس ثم لننزعن من كل شيعة ثم استأنف فقال أيهم (والثاني) حكى سيبويه عن الخليل أنه بمعنى الذين يقال لهم أيهم أشد على الرحمن عتيا ومثله قول الشاعر :

وَلَقَدْ أَبَيْتُ مِنَ الْقَنَاةِ بِمَنْزِلٍ   فَأَبَيْتُ لاَ حَرِجٌ وَلاَ مَحْرُومُ

والمعنى فأبيت بمنزلة الذي يقال لا هو حرج ولا محروم (والثالث) قال سيبويه أن أيهم مبنية على الضم لأنها خالفت أخواتها بأن استعمل معها حذف الابتداء تقول اضرب أيهم أفضل تريد أيهم هو أفضل فيحسن الاستعمال كذلك بحذف هو ولا يحسن أضرب من أفضل حتى تقول من هو أفضل ولا يحسن كل ما أطيب حتى تقول كل ما هو أطيب قال فلما خالفت من وما والذي لا تقول فيه أيضاً خذ الذي أفضل حتى تقول خذ الذي هو أفضل فلما خالفت الإختلاف بنيت على الضم في الإضافة والنصب حسن وإن كنت قد حذفت هو لأن هو قد يجوز حذفها وقد قرىء تماماً على الذي أحسن على معنى الذي هو أحسن قال أبو علي ينبغي أن يكون مراد يونس بقوله أن الفعل معلق أنه معمل في موضع من كل شيعة وليس يريد به أنه غير معمل في شيء البتة بل يريد أنه معمل في موضع الجار والمجرور لأن لفظ التعليق إنما يستعمل فيما يعمل في الموضع دون اللفظ ولو أراد أنه لا عمل له في لفظ ولا موضع لقال ملغى ولم يقل معلق كما تقول في زيد ظننت منطلق أنه ملغى وإذا كان كذلك كان قول الكسائي في الآية مثل قول يونس لأن الكسائي قال أن قوله ﴿ **لننزعن من كل شيعة** ﴾ كقولك أكلت من طعام فإن كان كذلك كان أيهم منقطعاً من هذه الجملة وكانت جملة مستأنفة فإن قال قائل لم زعم سيبويه أنه إذا حذف العائد من الصلة وجب البناء على الضم فالجواب أن الصلة تبين الموصول وتوضحه كما أن المضاف إليه يبين المضاف ويخصصّه فكما أن المضاف إليه لما حذف بني المضاف فكذلك لما حذف العائد من الصلة إلى الموصول هنا بني فإن قال ما ينكر أن لا يكون حذف المبتدأ العائد من الصلة عوض

حذف المضاف إليه من المضافات لأن المحذوف هنا بعض الجملة وفي المضاف قد حذف المضاف كله قيل أن حذف العائد هنا نظير حذف المضاف إليه هناك ألا ترى أن الذي يبين به الموصول ويتضح إنما هو الراجع الذي في الجملة ولولا الراجع لم يبيّن وإذا كان المبين له الراجع من الجملة فالحذف منها كان بمنزلة حذف المضاف إليه من المضاف .

[**النزول**] نزل قوله ﴿ **ويقول الإنسان** ﴾ الآية في أبيّ بن خلف الجمحي وذلك أنه أخذ عظماً بالياً فجعل يَفُتّه بيده ويذريه في الريح ويقول زعم محمدﷺ أن الله يبعثنا بعد أن نموت ونكون عظاماً مثل هذا إنَّ هذا شيء لا يكونُ أبداً عن الكلبي وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة في رواية عطاء عن ابن عباس .

[**المعنى**] لمَّا تقدَّم ذكر الوعد والوعيد والبعث والنشور حكى سبحانه عقيبه قول منكري البعث وردَّ عليهم بأوضح بيان وأجلى برهان فقال ﴿ **ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حياً** ﴾ هذا استفهام المراد به الانكار والاستهزاء أي أإذا ما متُّ أعادني الله حياً فقال سبحانه مجيباً لهذا الكافر ﴿ **أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل** ﴾ أي أولا يتذكر هذا الجاحد حال ابتداء خلقه فيستدل بالابتداء على الإعادة وقيل أن الإنسان هنا مفرد في اللفظ مجموع في المعنى يريد جميع منكري البعث ﴿ **ولم يك شيئاً** ﴾ معناه ولم يك شيئاً كائناً أو مذكوراً (سؤال » قيل كيف تدل النشأة الأولى على النشأة الثانية والواحد منا يقدر على أفعاله كالحركات والسكنات والأصوات وغيرها ولا يقدر على إعادتها « والجواب » من وجوه (أحدها) أنه سبحانه خلق الأجسام والحياة فيها والبقاء جائز عليها فيجب أن يقدر على إعادتها بخلاف أفعالنا فإنها لا تبقى ولا يصح الإعادة عليها (والثاني) أن الابتداء أصعب من الإعادة فإذا كان قادراً على الابتداء فلأن يكون قادراً على الإعادة أولى (والثالث) أنه سبحانه استدل بخلق الأجسام على أنه قادر لذاته إذ القادر بقدرة لا يصح منه فعل الأجسام وإذا كان قادراً لذاته ويقدر على إيجاد ما يصح وجوده وقتين قدر على إعادته ثم حقق سبحانه أمر الإعادة فقال ﴿ **فوربك** ﴾ يا محمد ﴿ **لنحشرنهم والشياطين** ﴾ أي لنجمعنهم ونبعثنهم من قبورهم مقرنين بأوليائهم من الشياطين وقيل لنحشرنهم ولنحشرن الشياطين أيضاً ﴿ **ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً** ﴾ أي مستوفزين على الركب عن قتادة والمعنى يجثون حول جهنم متخاصمين ويتبرأ بعضهم من بعض لأن المحاسبة تكون بقرب جهنم وقيل جثياً أي جماعات جماعات عن ابن عباس كأنه قيل زمراً وهو جمع جثوة وجثوة هي المجموع من التراب والحجارة وقيل معناه قياماً على الركب وذلك لضيق المكان بهم لا يمكنهم أن

يجلسوا عن السدي ﴿ ثم لننزعن من كل شيعة ﴾ أي لنستخرجن من كل جماعة ﴿ أيهم أشد على الرحمن عتيا ﴾ أي الأعتى فالأعتى منهم قال قتادة لننزعن من كل أهل دين قادتهم ورؤوسهم في الشر والعتي هاهنا مصدر كالعتو وهو التمرد في العصيان وقيل يبدأ بالأكثر جرماً فالأكثر عن مجاهد وأبي الأحوص ﴿ ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا ﴾ أي لنحن أعلم بالذين هم أولى بشدة العذاب وأحق بعظيم العقاب وأجدر بلزوم النار .

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي
الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا
بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا
وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ
أَثَاثًا وَرِئْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا
حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ
هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾

[**القراءة**] قرأ الكسائي وروح وزيد عن يعقوب ثم نُنْجي بالتخفيف والباقون نُنَجّي بالتشديد وقرأ ابن كثير مُقاماً بضم الميم والباقون بفتحها وقرأ أهل المدينة غير ورش وابن عامر والأعشى والبرجمي عن أبي بكر وريّا بغير همز مشددة الياء والباقون ورئياً مهموزة في الشواذ قراءة طلحة وريا خفيفة بلا همز وقراءة سعيد بن جبير وزيا بالزاي .

[**الحجة**] أنجاه ينجيه ونجاه ينجيه بمعنى والمصدر واسم الموضع من باب يفعُل يجيىء على مفعَل فالمقام بفتح الميم يصلح أن يكون مصدراً من قام يقوم ويصلح أن يكون اسم الموضع والمقام المصدر والموضع من أقام يقيم فأما قول زهير :

وَفِيهِمْ مَقَامَاتٌ حِسَانٌ وُجُوهُهُمْ وَأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ[1]

(١) أندية جمع الندي بمعنى العطاء. وينتابها أي يقصدها .

فإنما هو على حذف المضاف أي أهل مقامات ومشاهد وروي عن الأصمعي أنه قال المجلس القوم وأنشد « واستبَّ بعدك يا كليبِ المجلس »[١] قال أبو علي المجلس موضع الجلوس فالمعنى على أهل المجلس كما أن المعنى على أهل المقامات قال السكري المقامة المجلس والمقام المنزل وقوله خير مقاماً من ضمَّ الميم جعله اسماً للمثوى ومن فتح كان كذلك أيضاً ألا ترى أن الندي والنادي هما المجلس فمن ذلك قوله تعالى ﴿ **وتأتون في ناديكم المنكر** ﴾ ويدل على ذلك قوله ﴿ **وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا** ﴾ فإنه لا يراد به الحدث إنما يراد به حسن الشارة والهيئة والمنظر وهذا إنما يكون في الأماكن وأما قوله ورئيا قال أبو علي رؤي فعل من رأيت فكأنه اسم لما ظهر وليس المصدر وإنما المصدر الرأي والرؤية يدل على ذلك قوله يرونهم مثليهم رأي العين فالرأي الفعل والرِءْي المرئي كالطَحْن والطِحْن والسَقْي والسِقْي والرَعْي والرِعي ومن خفف الهمزة من ورئيا لزم أن يبدل منها الياء لانكسار ما قبلها كما يبدل من ذئب وبئر فإذا أبدل منها الياء وقعت ساكنة قبل حرف مثله فلا بدَّ من الادغام وليس يجوز الاظهار في هذا كما جاز إظهار الواو في نحو رؤيا ورؤية يعني إذا خففت الهمزة فيها لأن الياء في ريا قبل مثل ووقعت في رؤيا قبل ما يجري مجرى المقارب قال ابن جني من قرأ وريّا مشددة فإنه فعل أما من رأيت وأما من رويت وأصله وهو من الهمزة وريا كرعيا فخففت الهمزة وأبدلت ياء وادغمت الياء الثانية ويجوز أن يكون من رويت لأن للريان نضارة وحسناً فيتفق معناه ومعنى وزيا بالزاي وأصله على هذا زوي فأبدلت الواو ياء وأدغمت في الياء وأما ريا مخففة فيحتمل أن يكون مقلوبة من فعل إلى فلع فصار في التقدير رئيا ثم حذفت الهمزة وألقيت حركتها على الياء قبلها فصارت ريا ويحتمل أن يكون ريا من رويت ثم خففت بحذف إحدى الياءين فصارت ريا وأما الزاي بالزاي ففعل من زويت أي جمعت ذلك وذلك أنه لا يقال لمن له شيء واحد من آلته له زي حتى يكثر آلته المستحسنة وأنشد ابن دريد :

أَهَاجَتْكَ الظَّعَائِنُ يَوْمَ بَانُوا ... بِذِي الزِّيّ الْجَمِيلِ مِنَ الأَثَاثِ

[**اللغة**] الحتم القطع بالأمر والحتم والجزم والقطع بمعنى والندي والنادي المجلس الذي قد اجتمع فيه أهله ومنه دار الندوة وهي دار قصي بمكة وكانوا يجتمعون فيه للتشاور تيمناً به وقد ندوت القوم أندوهم إذا جمعتهم في مجلس وأصل الندى أنه مجلس أهل الندى وهو الكرم قال حاتم :

---

(١) استب أي سب كل واحد منهم الآخر .

وَدُعِيتُ فِي أُوْلَى النَّدِيّ وَلَمْ يُنْظَرْ إِلَيَّ بِأَعْيُنٍ خُزْرٍ[١]

والأثاث المتاع من الفرش والثياب التي تزين بها واحدها أثاثة وقيل لا واحد لها والري ما يراه الرجل من ظاهر أحوال القوم وهو اسم للمرئي كالذبح اسم للمذبوح .

[**الإعراب**] وإن منكم إلا واردها تقديره وما أحد ثابت منكم فأحد مبتدأ ومنكم صفة وواردها خبر وجثياً منصوب على الحال. مقاماً ونديّاً منصوبان على التمييز « كم أهلكنا » كم نصب بأهلكنا والتقدير كم قرناً أهلكنا من جملة القرون فحذف المميز بدلالة الكلام عليه فليمدد له الرحمن مداً لفظه لفظ الأمر ومعناه خبر والتقدير فمدَّ له الرحمن مدّاً وباب الأمر والخبر يتداخلان فكما أن قوله ﴿ **والمطلقات يتربصن** ﴾ تقديره فليتربصن فجعل لفظ الخبر بمعنى الأمر فكذا هاهنا جعل لفظ الأمر بمعنى الخبر وقوله ﴿ **ما يوعدون** ﴾ مفعول رأوا وأما العذاب وأما الساعة بدل من ما يوعدون وقوله من هو شرٌّ مكاناً تعليق فعلى هذا يكون هو فصلاً والفصل بين كلمة الاستفهام وخبره عزيز فالأولى أن يكون مـن هنا بمعنى الذي وفي موضع نصب بسيعلمون وهو شرٌّ مبتدأ وخبر والجملة صلة من .

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه أحوالهم بوم الحشر فقال ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ أي ما منكم أحد إلا واردها والهاء في واردها راجعة إلى جهنم واختلف العلماء في معنى الورود على قولين (أحدهما) أن ورودها هو الوصول إليها والإشراف عليها لا الدخول فيها وهو قول ابن مسعود والحسن وقتادة واختاره أبو مسلم واستدلوا على ذلك بقوله تعالى ﴿ **ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون** ﴾ وقوله تعالى فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه وبأنك تقول وردت بلد كذا وماء كذا أي أشرفت عليه دخلته أولم تدخله وفي أمثال العرب « إِنْ تَرِدِ الْمَاءَ بِمَاءٍ أَكْيَسُ »[٢] وقال زهير :

فَلَمَّا وَرَدْنَ الْمَاءَ زُرْقاً جِمَامُهُ وَضَعْنَ عِصِيَّ الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ[٣]

أراد فلما بلغن الماء أقمن عليه قال الزجاج والحجة القاطعة في ذلك قـوله سبحـانه ﴿ **إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها** ﴾ فهذا يـدل

(١) الأخزر: الذي ينظر بمؤخر عينيه يقال قوم خزر .

(٢) يعني أن ترد الماء ومعك ماء أقرب إلى الحزم والكياسة من التفريط في حمله أي لا تقصر في حمل الماء ولو كنت وارداً على الماء.

(٣) يضرب في الأخذ بالحزم والاحتياط في الأمور ووضع العصى كناية عن الإقامة لأن المسافرين إذا قاموا وضعوا عصيهم والتخيم: ابتناء الخيمة .

على أن أهل الحسنى لا يدخلونها قالوا فمعناه إنهم واردون حول جهنم للمحاسبة ويدل عليه قوله ﴿ **ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا** ﴾ ثم يدخل النار من هو أهلها وقال بعضهم معناه إنهم واردون عرصة القيامة التي تجمع كل برّ وفاجر (والآخر) أن ورودها بمعنى دخولها بدلالة قوله تعالى ﴿ **فأوردهم النار** ﴾ وقوله ﴿ **وأنتم لها واردون** ﴾ لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وهو قول ابن عباس وجابر وأكثر المفسرين ويدل عليه قوله ﴿ **ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا** ﴾ ولم يقل وندخل الظالمين وإنما يقال نذر ونترك للشيء الذي قد حصل في مكانه ثم اختلف هؤلاء فقال بعضهم إنه للمشركين خاصة ويكون قوله وإن منكم المراد به منهم كما قال سبحانه وسقاهم ربهم شراباً طهوراً إن هذا كان لكم جزاء أي لهم وروي في الشواذ عن ابن عباس أنه قرأ وإن منهم وقال الأكثرون أنه خطاب لجميع المكلفين فلا يبقى برّ ولا فاجر إلا ويدخلها فيكون برداً وسلاماً على المؤمنين وعذاباً لازماً للكافرين قال السدي سألت مرة الهمداني عن هذه الآية فحدثني أن عبد الله بن مسعود حدثهم عن رسول الله ﷺ قال يرد الناس النار ثم يصدرون بأعمالهم فأولهم كلمع البرق ثم كمر الريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب ثم كشد الرجل ثم كمشيه وروى أبو صالح غالب بن سليمان عن كثير بن زياد عن أبي سمينة قال اختلفا في الورود فقال قوم لا يدخلها مؤمن وقال آخرون يدخلونها جميعاً ثم ينجي الله الذين اتقوا فلقيت جابر بن عبد الله فسألته فأومى بإصبعيه إلى أذنيه وقال صمتاً إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا يدخلها فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم حتى أن للنار أو قال لجهنم ضجيجاً من بردها ﴿ **ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً** ﴾ وروي مرفوعاً عن يعلى بن منبه عن رسول الله ﷺ قال تقول النار للمؤمن يوم القيامة جُزْيا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي وروي عن النبي ﷺ أنه سئل عن معنى الآية فقال إن الله تعالى يجعل النار كالسمن الجامد ويجمع عليها الخلق ثم ينادي المنادي أن خذي أصحابك وذري أصحابي قال ﷺ فوالذي نفسي بيده لهي أعرف بأصحابها من الوالدة بولدها وروي عن الحسن أنه رأى رجلاً يضحك فقال هل علمت أنك وارد النار قال نعم قال وهل علمت أنك خارج منها قال لا قال فبم هذا الضحك وكان الحسن لم ير ضاحكاً قط حتى مات وقيل أن الفائدة في ذلك ما روي في بعض الأخبار أن الله تعالى لا يدخل أحداً الجنة حتى يطلعه على النار وما فيها من العذاب ليعلم تمام فضل الله عليه وكمال لطفه واحسانه إليه فيزداد لذلك فرحاً وسروراً بالجنة ونعيمها ولا يدخل أحد النار حتى يطلعه على الجنة وما فيها من أنواع النعيم والثواب ليكون ذلك زيادة عقوبة له حسرة على ما فاته من الجنة ونعيمها وقال مجاهد الحمّى

حظ كل مؤمن من النار ثم قرأ وإن منكم إلا واردها فعلى هذا من حمَّ من المؤمنين فقد وردها وقد ورد في الخبر أن الحمى من قيح جهنم وروي أن رسول الله ﷺ عاد مريضاً فقال أبشر أن الله عز وجل يقول الحمى هي ناري أسلّطها على عبدي المؤمن في الدنيا لتكون حظه من النار وقوله ﴿ **كان على ربك حتماً مقضياً** ﴾ أي كائناً واقعاً لا محالة قد قضى بأنه يكون وعلى كلمة وجوب فمعناه أوجب الله ذلك على نفسه وفيه دلالة على أنه يجب عليه سبحانه أشياء من طريق الحكمة خلافاً لم يذهب إليه أهل الجبر ﴿ **ثم ننجي الذين اتقوا** ﴾ الشرك وصدقوا عن ابن عباس ﴿ **ونذر الظالمين** ﴾ أي ونقرُّ المشركين والكفار على حالهم ﴿ **فيها** ﴾ أي في جهنم ﴿ **جثياً** ﴾ أي باركين على ركبهم وقيل جماعات على ما مرَّ تفسيره وقيل المراد بالظالمين كل ظالم وعاص ثم قال سبحانه ﴿ **وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات** ﴾ ومعناه وإذا يتلى على الكافرين آياتنا المنزلة في القرآن ظاهرات الحجج والأدلة يمكن تفهم معانيها ﴿ **قال الذين كفروا للذين آمنوا أيُّ الفريقين خير مقاماً** ﴾ أي قال الذين جحدوا وحدانية الله وكذَّبوا أنبياءه للذين صدقوا بذلك مستفهمين لهم وغرضهم الانكار أيُّ الفريقين أي أنحن أم أنتم خير منزلاً ومسكناً أي موضع إقامة ﴿ **واحسن ندياً** ﴾ أي مجلساً وإنما تفاخروا بالمال وزينة الدنيا ولم يتفكروا في العاقبة ولبَّسوا على الضعفة بأن من كان ذا مال في الدنيا فكذلك يكون في الآخرة ثم نبَّههم سبحانه على فساد هذا الاعتقاد بأن قال ﴿ **وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورءيا** ﴾ قال ابن عباس الأثاث المتاع وزينة الدنيا والرءي المنظر والهيئة والمعنى أن الله تعالى قد أهلك قبلهم أمماً وجماعات كانوا أكثر أموالاً وأحسن منظراً منهم فأهلك أموالهم وأفسد عليهم صورهم ولم تغن عنهم أموالهم ولا جمالهم كذلك لا يغني عن هؤلاء وقيل أن المعني بالآية النضر بن الحارث وذووه وكانوا يرجلون شعورهم ويلبسون خز ثيابهم ويفتخرون بشارتهم وهيآتهم على أصحاب النبي ﷺ ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ ﴿ **قل** ﴾ يا محمد ﴿ **من كان في الضلالة** ﴾ عن الحق والعدول عن اتباعه ﴿ **فليمدد له الرحمن مداً** ﴾ هذا لفظ أمر معناه الخبر وتأويله أن الله سبحانه جعل جزاء ضلالته أن يمدَّ له بأن يتركه فيها كما قال ﴿ **ونذرهم في طغيانهم يعمهون** ﴾ إلا أن لفظ الأمر يؤكد معنى الخبر فكان المتكلم يقول افعل ذلك وأمر نفسي به فالمعنى فليعش ما شاء وأضاف ذلك إلى نفسه لأنه سبحانه يبقيه في الدنيا أي فليعش ما شاء الله من السنين والأعوام فإنه لا ينفعه طول عمره ﴿ **حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب** ﴾ أي عذاب الاستئصال عن الأصم وقيل عذاب وقت البأس وقيل عذاب القبر وقيل عذاب السيف ﴿ **وإما الساعة** ﴾ أي القيامة وعذاب النار ﴿ **فسيعلمون** ﴾ حين يرون العذاب ﴿ **من هو شر مكاناً** ﴾ أي أهم أم المؤمنون لأن مكانهم جهنم ومكان

المؤمنين الجنة ﴿ وأضعف جنداً ﴾ أي ويعلمون أجندهم أضعف أم جند النبي ﷺ والمسلمين وهذا ردٌّ لقولهم أيُّ الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً .

﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾

[**القراءة**] قرأ حمزة والكسائي وُلْدا بضم الواو وسكون اللام في هذه السورة أربعة مواضع وفي الزخرف ان كان للرحمن وُلدو في نوح ووُلده فهذه ستة مواضع وقرأ أهل البصرة وابن كثير وخلف في سورة نوح بالضم فقط وقرأ الباقون بفتح الواو واللام في جميع القرآن .

[**الحجة**] قال الفراء من أمثال بني أسد « وُلْدُكِ مَنْ دَمَّى عِقَبَيْكِ »(١) قال وكان معاذ الحرشي يقول لا يكون الولد إلا جمعا وهذا واحد يعني الذي في المثل وأنشد

فَلَيْتَ فُلاناً كانَ في بَطْنِ أُمِّهِ وَلَيْتَ فُلاناً كانَ وُلْدَ حِمارِ

قال أبو علي يجوز أن يكون جمعاً كأسد وأُسْد ويجوز أن يكون واحداً فيكون وَلَد ووُلْد كحَزَن وحُزْن وعَرَب وعُرْب فلا يكون كقول معاذ انه لا يكون إلا جمعاً وما أنشده الفراء من قوله « وليت فلاناً كان ولد حمار » يدل على أنه واحد ليس بجمع فهو مثل الفلك الذي يكون

(١) الخطاب لامرأة من بني القين اي من نفست به فأدمى النفاس عقبيك فهو ابنك لا هذا الذي اتخذته ولداً بقولك ابني ابني .

مرة جمعاً ومرة واحداً .

[**الإعراب**] أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً الموصول هو المفعول الأول لرأيت والاستفهام في موضع المفعول الثاني وهو قوله تعالى ﴿**أطلع الغيب**﴾ الآية قال الزجاج كلا زجر وردع وتنبيه أي هذا مما يرتدع به وينبّه على وجه الضلالة فيه وقال الفراء يكون صلة لما بعدها كقولك كلا ورب الكعبة وقال أبو حاتم جاءت في القرآن على وجهين بمعنى لا يكون ذلك وبمعنى الا التي للتنبيه وجاءت في مواضع متوجهة على التأويلين ويدل على ذلك أنها قد تكون مبتداة مثل قوله علّم الانسان ما لم يعلم ثم ابتدأ كلا إن الإنسان ليطغى قال الاعشى

كَــلاَّ زَعَـمْـتُـمْ بِــأَنَّــا لا نُـقَــاتِـلُـكُـمْ إِنَّــا لأَمْـثَــالِـكُـمْ يَــا قَــوْمَـنَــا قُـتُــلُ

وقال أبو العباس لا يوقف على كلا لأنها جواب والفائدة تقع فيما بعدها وقيل يجوز الوقف عليه ومن مشكلات الوقف في القرآن الوقف على كلا وقد قسمه القرآن على أربعة أقسام (أحدها) ما يحسن الوقف عليه ويحسن الابتداء به (والثاني) يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء به (والثالث) يحسن الابتداء به ولا يحسن الوقف عليه (والرابع) لا يحسن الوقف عليه ولا الابتدا به وهو في القرآن في ثلاثة وثلاثين موضعاً وليس في النصف الأول شيء منه فأما القسم الأول وهو ما يحسن الوقف عليه والابتداء به فعشرة مواضع قوله ام اتخذوا عند الرحمن عهداً كلا وقوله ليكونوا لهم عزاً كلا وقوله تعالى ﴿**لعلي اعمل صالحاً فيما تركت**﴾ كلا وقوله الذين الحقتم به شركاء كلا وقوله ثم ينجيه كلا وقوله ان يدخل جنة نعيم كلا وقوله ان أزيد كلا وقوله صحفاً منشرة كلا وقوله ربي اهانن كلا وقوله ان ماله اخلده كلا فمن جعل كلا في هذه المواضيع رداً للأول بمعنى لا ليس الأمر كذلك وقف عليه ومن جعله بمعنى إلا التي للتنبيه او بمعنى حقاً ابتدأ به وهو يحتمل الوجهين في هذه المواضع (وأما الثاني) وهو ما يحسن الوقف عليه ولا يحسن الابتداء به فموضعان قوله فأخاف أن يقتلون قال كلا وقوله إنا لمدركون قال كلا (وأما الثالث) وهو ما يحسن الابتداء به ولا يحسن الوقف عليه فتسعة عشر موضعاً قوله كلا انها تذكرة كلا والقمر كلا إنه تذكرة كلا لما يقض ما أمره كلا بل تكذبون بالدين كلا إذا بلغت التراقي كلا لا وزر كلا بل يحبون العاجلة كلا سيعلمون كلا بل ران على قلوبهم كلا إن كتاب الفجار كلا ان كتاب الأبرار كلا إنهم عن ربهم كلا إذا دكت الأرض دكاً كلا ان الانسان ليطغى كلا لئن لم ينته كلا لا تطعه كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون. يحسن الابتداء بكلا في هذه المواضع ولا يحسن الوقف عليه لأنه

ليس بمعنى الرد للأول وقال بعضهم إنه يحسن الوقف على كلا في جميع القرآن لأنه بمعنى انتبه الا في موضع واحد وهو قوله كلا والقمر لأنه موصول باليمين بمنزلة قوله اي وربي وأما (الرابع) فموضعان ثم كلا سيعلمون ثم كلا سوف تعلمون لا يحسن الوقف على ثم لأنه حرف عطف ولا على كلا لأن الفائدة فيما بعد هذين الحرفين .

[**النزول**] روي في الصحيح عن خباب بن الارت قال كنت رجلاً غنياً وكان لي على العاص بن وائل دين فأتيته اتقاضاه فقال لي لا أقضيك حتى تكفر بمحمد ﷺ فقلت لن اكفر به حتى تموت وتبعث قال فإني لمبعوث بعد الموت فسوف أقضيك دينك إذا رجعت إلى مال وولد قال فنزلت الآية أفرأيت الذي كفر بآياتنا .

[**المعنى**] ثم بيَّن سبحانه حال المؤمن فقال سبحانه **﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾** قيل معناه ويزيد الله الذين اهتدوا بالمنسوخ هدى بالناسخ عن مقاتل وقيل يزيدهم هدى بالمعونة على طاعاته والتوفيق لابتغاء مرضاته وهو ما يفتحه لهم من الدلالات وما يفعله بهم من الألطاف المقربة من الحسنات **﴿والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً﴾** قد مرَّ تفسيره في سورة الكهف وجملته أن الأعمال الصالحة التي تبقى ببقاء ثوابها وتنفع صاحبها في الدنيا والآخرة خير ثواباً من مقامات الكفارات التي يفتخرون بها كل الافتخار **﴿وخير مردا﴾** أي خير عاقبة ومنفعة يقال هذا الشيء أرد عليك أي أنفع وأعود عليك لأن العمل الصالح ذاهب عنه بفقده له فيرده الله تعالى عليه برد ثوابه اليه حتى يجده في نفسه **﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا﴾** أفرأيت كلمة تعجيب ومعناه أرأيت هذا الكافر الذي كفر بأدلتنا من القرآن وغيره وهو العاص بن وائل عن ابن عباس ومجاهد وقيل الوليد بن المغيرة عن الحسن وقيل هو عام فيمن له هذه الصفة عن أبي مسلم **﴿وقال لأوتين مالاً وولداً﴾** استهزاء أي لأعطين مالاً وولداً في الجنة عن الكلبي وقيل اعطي في الدنيا أي ان أقمت على دين آبائي وعبادة آلهتي اعطيت مالاً وولداً **﴿اطلع الغيب﴾** هذه همزة الاستفهام دخلت على همزة الوصل فسقطت همزة الوصل ومعناه اعلم الغيب حتى يعلم أهو في الجنة أم لا عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه أنظر في اللوح المحفوظ عن الكلبي وتأويله أشرف على علم الغيب حتى علم أنه سنؤتيه مالاً وولداً وانه ان بعث رزق مالاً وولداً **﴿أم اتخذ عند الرحمن عهداً﴾** أي اتخذ عند الله عهداً بعمل صالح قدَّمه عن قتادة وقيل معناه أم عهد الله إليه انه يدخل الجنة عن الكلبي وقيل معناه أم قال لا إله إلا الله فيرحمه الله بها عن ابن عباس **﴿كلا﴾** أي ليس الأمر على ما قال من انه يؤتى المال والولد ويجوز أن يكون المعنى كلا انه لم يطلع الغيب ولم يتخذ عند الله عهداً

﴿سنكتب ما يقول﴾ أي سنأمر الحفظة باثباته عليه لنجازيه به في الآخرة ونوافقه عليه ﴿ونمد له من العذاب مداً﴾ أي نصل له بعض العذاب بالبعض ونزيده عذاباً فوق العذاب فلا ينقطع عذابه أبداً وأكّد الفعل بالمصدر كما يؤكّد بالتكرير ﴿ونرثه ما يقول﴾ أي ما عنده من المال والولد بإهلاكنا إياه وابطال ملكه عن ابن عباس وقتادة وابن زيد ﴿ويأتينا فرداً﴾ أي يأتي الآخرة وحيداً بلا مال ولا ولد ولا عدة ولا عدد ﴿واتخذوا من دون الله آلهة﴾ يعني أن هؤلاء الكفار الذين وصفتهم اتخذوا آلهة أي أصناماً عبدوها ﴿ليكونوا لهم عزاً﴾ أي ليكونوا لهم شفعاء في الآخرة عن الفراء وهذا معنى قول ابن عباس ليمنعوهم مني وذلك انهم رجوا منها الشفاعة والنصرة والمراد ليصيروا بهم إلى العز قال الله سبحانه ﴿كلا﴾ أي ليس الأمر كما ظنوا بل صاروا بهم إلى الذل والعذاب ﴿سيكفرون بعبادتهم﴾ أي سيجحدون بأن يكونوا عبدوها ويتبرؤون منها لما يشاهدون من سوء عاقبة أمرهم ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وقيل معناه ان المعبودين سيكفرون بعبادة المشركين لها ويكذبونهم فيها كما قال حكاية عنهم تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون عن الجبائي ﴿ويكونون عليهم ضداً﴾ قال الأخفش الضد يكون واحداً وجمعاً كالرسول والعدو ومعناه ويكونون عوناً عليهم واعداء لهم يخاصمونهم ويكذبونهم وقيل ويكونون قرناء لهم في النار ويلعنونهم ويتبرؤون منهم عن قتادة وقيل ويكونون اعداءهم يوم القيامة وكانوا في الدنيا أولياءهم عن القتيبي .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا
تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى
ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾
لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟
ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ
يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟
لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾

[**القراءة**] في الشواذ رواية قتادة عن الحسن يحشر المتقون ويساق المجرمون قال فقلت انها بالنون يا أبا سعيد قال وهي للمتقين إذاً وقراءة السلمي شيئاً إذا بفتح الهمزة وقرأ أبو جعفر وابن كثير وحفص تكاد بالتاء يتفطرن بالتاء وفتح الطاء مشددة وفي عسق ومثله وقرأ نافع والكسائي يكاد بالياء يتفطرن في السورتين وقرأ أبو عمرو وأبو بكر وهبيرة عن حفص ويعقوب تكاد بالتاء ينفطرن بالياء والنون وكسر الطاء في السورتين وقرأ ابن عامر وحمزة وخلف هاهنا تكاد بالتاء ينفطرن بالنون مثل أبي عمرو وفي عسق تكاد بالتاء يتفطرن بالتاء أيضاً .

[**الحجة**] حجة من قرأ يحشر ويساق قوله تعالى **﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا﴾** والأَدُّ بالفتح القوة قال « نَضَوْتَ عَنّي شِرَةً وَادّاً »[1] فعلى هذا يمكن أن يكون المعنى لقد جئتم شيئاً أدٍ أي ذا قوة وإن شئت وصفته بالمصدر كقولهم رجل عدل وضيف والانفطار مطاوعة الفطر يقال فطره فانفطر والتفطر مطاوعة التفطير يقال فطرته فتفطر وكأنه أليق بهذا الموضع لما فيه من معنى المبالغة وتكرير الفعل وذهب أبو الحسن في معنى قوله تكاد السماوات إلى أن معنى تكاد تريد وكذلك قال في قوله كذلك كدنا ليوسف أي أردنا له وأنشد

كَادَتْ وكِدْتَ وتِلْكَ خَيْرُ إرَادَةٍ لَوْ عَادَ مِنْ ذِكْرِ الصَّبَابَةِ مَا مَضَىٰ

وكذلك قوله في أكاد أخفيها أي أريد أخفيها وعلى هذا فسَّر غيره قول الافوه .

فَإِنْ تَجَمَّعَ أَوْتَادٌ وَأَعْمِدَةٌ وَسَاكِنٌ بَلَغُوا الأَمْرَ الَّذي كَادُوا

أي أرادوا قال المعنى يردن لا انهن ينفطرن ولا يدنون من ذلك ولكن من هممن به اعظاماً لقول المشركين ولا يكون على من همَّ بالشيء ان يدنو منه ألا ترى أن رجلاً لو أراد أن ينال السماء لم يدن من ذلك وقد كانت منه ارادة وقد قال بعض المتأولين في قوله تكاد السماوات يتفطرن منه هدّا مثل كانت العرب إذا سمعت كذباً أو منكراً تعاظمته وعظمته بالمثل الذي عندها عظيماً فقالت كادت الأرض تنشق وأظلم علي ما بين السماء والأرض فلما افتروا على الله الكذب ضرب مثل كذبهم بأهول الأشياء وأعظمها قال أبو علي ومما يقرب من هذا قول الشاعر

أَلَمْ تَرَ صَدْعاً في السَّمَاءِ مُبَيِّناً عَلى ابْنِ لُبَيْنَى الحَارِثِ بْنِ هِشَامِ

---

(١) وفي اللسان « نضون عني شدة وأداً » وبعده « من بعدما كنت صملاً نهداً » .

وقول الآخر

وَأَصْبَحَ بَطْنُ مَكَّةَ مُقْشَعِرّاً كَأَنَّ الأَرْضَ لَيْسَ بِهَا هِشَامُ

وقال الآخر

لمّا أَتىٰ خَبَرُ الزُّبَيْرِ تَوٰاضَعَتْ سُورُ الْمَدِينَةِ وَالْجِبٰالُ الخُشَّعُ

[اللغة] الأزّ الازعاج إلى الأمر يقال ازّه يأزّه أزّاً وأزيزاً إذا هزَّه بالازعاج إلى أمر من الأمور وازَّت القِدر أزيزاً إذا غلت ومنه الحديث أنه كان يصلي وأزيز جوفه كأزيز المرجل من البكاء وازت الشيء إلى الشيء ضممته إليه والوفد جمع وافد وقد يجمع وفوداً أيضاً وَفَد يَفِد وفداً وأوفد على الشيء أشرف عليه والسَوْق الحثُّ على السير ساقه يسوقه سوقاً ومنه الساق لاستمرار السير بها أو لأن القدم يسوقها ومنه السُوق لأنه يساق بها البيع والشرى شيئاً بعد شيء والورد الجماعة التي ترد الماء يقال ورد الماء يرد ورداً والادّ الأمر العظيم قال الراجز

قَدْ لَقِيَ الأَعْدَاءُ مِنّي نُكْراً دَاهِيَةً دَهْيَاءَ إدّاً إمراً

والانفطار الانشقاق والتفطر التشقق والهد الهدم بشدة صوت .

[الإعراب] تؤزهم جملة في موضع الحال ومفعول نعد لهم محذوف والتقدير نعد أعمالهم عداً ويوم نحشر ظرف قوله نعد لهم ويجوز أن ينتصب بقوله لا يملكون الشفاعة أي لا يملكون في ذلك اليوم وفداً منصوب على الحال من المتقين أي وافدين ووردا كذلك أي واردين إلا من اتخذ هو موصول وصلة في موضع رفع لأنه بدل من الواو في يملكون ويجوز أن يكون في محل النصب لأنه استثناء منقطع فإنَّ من اتخذ عند الرحمن عهداً لا يكون من المجرمين وقوله تنشق الأرض جملة معطوفة على الجملة التي قبلها وتقديره وتكاد الأرض تنشق والجبال تخرُّ وهذا منصوب على المصدر في المعنى تقديره تخرُّ خروراً وتهد هدّاً ويجوز أن يكون في موضع الحال وان دعوا مفعول له والتقدير لأن دعوا أي لأجل ذلك .

[المعنى] ثم خاطب سبحانه نبيَّه ﷺ فقال ﴿ألم تر﴾ يا محمد ﴿إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين﴾ أي خلينا بينهم وبين الشياطين إذا وسوسوا اليهم ودعوهم إلى الضلال حتى اغووهم ولم نحل بينهم وبينهم بالإلجاء ولا بالمنع وعبّر عن ذلك بالارسال على سبيل المجاز والتوسع كما يقال لمن خلى بين الكلب وغيره أرسل كلبه عليه عن الجبائي وقيل معناه سلَّطناهم عليهم ويكون في معنى التخلية أيضاً على ما ذكرناه ﴿تؤزهم أزاً﴾ أي

تزعجهم ازعاجاً من الطاعة إلى المعصية عن ابن عباس وقيل تغريهم اغراء بالشر تقول امض امض في هذا الأمر حتى توقعهم في النار عن سعيد بن جبير ﴿**فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا**﴾ معناه فلتطب نفسك يا محمد ولا تستعجل لهم العذاب فإن مدة بقائهم قليلة فإنا نعد لهم الأيام والسنين وما دخل تحت العد فكان قد نفد وقيل معناه نعدُّ أنفاسهم في الدنيا فهي معدودة إلى الأجل الذي أجلناه لعذابهم عن ابن عباس وهذا من أبلغ الوعيد وقيل معناه نعد اعمالهم على ما ذكرناه قبل ﴿**يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً**﴾ أي اذكر لهم يا محمد اليوم الذي نجمع فيه من اتقى الله في الدنيا بطاعته واجتنب معاصيه إلى الرحمن أي إلى جنته ودار كرامته وفوداً وجماعات عن الأخفش وقيل ركباناً يؤتون بنوق لم ير مثلها عليها رحائل الذهب وازمتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة عن أمير المؤمنين (ع) وابن عباس ﴿**ونسوق المجرمين الى جهنم وردا**﴾ أي ونحثّ المجرمين على المسير إلى جهنم عطاشاً كالابل التي ترد عطاشا مشاة على أرجلهم عن ابن عباس والحسن وقتادة وسمى العطاش ورداً لأنهم يردون لطلب الماء وقيل الورد النصيب أي هم نصيب جهنم من الفريقين والمؤمنون نصيب الجنة عن أبي مسلم ﴿**لا يملكون الشفاعة**﴾ أي لا يقدرون على الشفاعة فلا يشفعون ولا يشفع لهم حين يشفع أهل الإيمان بعضهم لبعض لأن ملك الشفاعة على وجهين (أحدهما) أن يشفع للغير (والآخر) ان يستدعي الشفاعة من غيره لنفسه فبيَّن سبحانه ان هؤلاء الكفار لا تنفذ شفاعة غيرهم فيهم ولا شفاعة لهم لغيرهم ثم استثنى سبحانه فقال ﴿**إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً**﴾ أي لا يملكون الشفاعة إلا هؤلاء وقيل لا يشفع إلا لهؤلاء والعهد هو الإيمان والاقرار بوحدانية الله تعالى وتصديق أنبيائه وقيل هو شهادة أن لا إلّه إلا الله وأن يتبرأ إلى الله من الحول والقوة ولا يرجو إلا الله عن ابن عباس وقيل معناه لا يشفع إلا من وعد له الرحمن باطلاق الشفاعة كالأنبياء والشهداء والعلماء والمؤمنين على ما ورد به الأخبار وقال علي بن إبراهيم بن هاشم في تفسيره حدثني أبي عن الحسن بن محبوب عن سليمان بن جعفر (ع) عن أبي عبد الله (ع) عن أبيه عن آبائه (ع) قال قال رسول الله ﷺ من لم يحسن وصيته عند الموت كان نقصاً في مروءته قيل يا رسول الله وكيف يوصي الميت قال إذا حضرته وفاته واجتمع الناس إليه قال اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم إني أعهد إليك في دار الدنيا اني اشهد ان لا إلّه إلا أنت وحدك لا شريك لك وان محمداً ﷺ عبدك ورسولك وأن الجنة حق وأن النار حق وأن البعث حق والحساب حق والقدر والميزان حق وأن الدين كما وصفت وأن الإسلام كما شرعت وأن القول كما حدثت بأن القرآن كما أنزلت وانك أنت الله الحق المبين جزى الله محمداً عنا خير

الجزاء وحيا الله محمد وآله بالسلام اللهم باعدني عند كربتي ويا صاحبي عند شدتي ويا ولي نعمتي وإلهي وإله آبائي لا تكلني الى نفسي طرفة عين فإنك ان تكلني الى نفسي أقرب من الشر وأبعد من الخير وآنس في القبر وحشتي وأجعل له عهداً يوم القاك منشوراً ثم يوصي بحاجته وتصديق هذه الوصية في سورة مريم في قوله لا يملكون الشافعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً فهذا عهد الميت والوصية حق على كل مسلم وحق عليه أن يحفظ هذه الوصية ويعلمها وقال أمير المؤمنين علي (ع) علمنيها رسول الله ﷺ وقال علمنيها جبرائيل (ع) **﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً﴾** هذا اخبار عن اليهود والنصارى ومشركي العرب فإن اليهود قالوا عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال مشركو العرب الملائكة بنات الله **﴿لقد جئتم شيئاً إدّاً﴾** هاهنا حذف تقديره قل لهم يا محمد لقد جئتم بشيء منكر عظيم شنيع فظيع فلما حذف الباء وصل الفعل اليه فنصبه **﴿تكاد السماوات يتفطرن منه﴾** أي أرادت السماوات ان تنشق لعظم فريتهم اعظاماً لقولهم ومعناه لو انشقت السماوات بشيء عظيم لكانت تنشق من هذا **﴿وتنشق الأرض﴾** أي وكادت الأرض تنشق **﴿وتخر الجبال﴾** أي كادت الجبال تسقط **﴿هداً﴾** أي كسراً شديداً عن ابن عباس وقيل هدماً عن عطاء **﴿ان دعوا للرحمن ولداً﴾** أي لأن دعوا للرحمن ولداً او من دعوا للرحمن ولداً أي بسبب دعوتهم أو مسميتهم له ولداً **﴿وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً﴾** أي ما يصلح للرحمن ولا يليق به اتخاذ الولد وليس من صفته ذلك لأن اثبات الولد له يقتضي حدوثه وخروجه من صفة الإلهية واتخاذ الولد يدل على الحاجة تعالى عن ذلك وتقدس .

﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾ لَّقَدۡ
أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴿٩٥﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾
فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴿٩٧﴾
وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ
لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴿٩٨﴾

[**اللغة**] اللدد شدة الخصومة وفي التنزيل ألدُّ الخصام أي أشدُّ الخصام خصومةوجمع الألد لدّ قال الشاعر

إنَّ تَـحْتَ الأشْجَـارِ حـزماً وَعَـزْمـاً وَخَـصِـيـمـاً أَلَـدُّ ذا مِـعْـلاقِ

أي شديد الخصومة والركز الصوت الخفي وأصل الركز الحسن ومنه الركاز لأنه يحس به مال من تقدم بالكشف عنه قال ذو الرمة

وَقَـدْ تَـوَجَّسَ رِكْـزاً مِـنْ سَنَـابِـكِـهـا أو كَـانَ صَـاحِـبَ أرْضٍ أوْ بِـهِ المُـومُ

الأرض الرعدة والموم البرسام وأصل الاحساس الإدراك بالحاسة .

[**الإعراب**] كل مبتدأ ومن في موضع خبر والجار والمجرور من صلته وأتى الرحمن في موضع رفع خبر كل وهو مضاف الى المفعول ووحد كلا على اللفظ وعبداً في موضع الحال من الضمير من اتى وهل تحس منهم من احد من الأولى يتعلق بتحس والثانية مزيدة ويجوز ان يكون تقديره هل تحس احداً منهم ويكون منهم في موضع الصفة لأحد فلما قدم على الموصوف انتصب على الحال .

[**المعنى**] ثم قال سبحانه ﴿**إن كل من في السماوات والأرض إلا أتى الرحمن عبداً**﴾ أي ما كل من في السماوات والأرض من الملائكة والانس والجن إلا ويأتي الله سبحانه عبداً مملوكاً خاضعاً ذليلاً ومثله قوله وكل أتوه داخرين والمعنى ان الخلق عبيده خلقهم وربّاهم وجرى عليهم حكمه وان عيسى وعزيراً والملائكة من جملة العبيد وفي هذا دلالة على ان النبوة والعبودية لا يجتمعان وانه إذا ملك الانسان ابنه عتق عليه ﴿**لقد أحصاهم وعدَّهم عدّاً**﴾ أي علم تفاصيلهم واعدادهم فكأنه سبحانه عدَّهم إذ لا يخفى عليه شيء من أحوالهم ﴿ **وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً** ﴾ أي كل واحد منهم يأتي المحشر والموضع الذي لا يملك الأمر فيه إلا الله فرداً وحيداً مفرداً ليس له مال ولا ولد ولا ناصر مشغولاً بنفسه لا يهمُّه همّ غيره ثم ذكر سبحانه المؤمنين فقال ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وُدّاً**﴾ قيل فيه أقوال (أحدها) انها خاصة في علي بن أبي طالب (ع) فما من مؤمن إلا وفي قلبة محبة لعلي (ع) عن ابن عباس وفي تفسير ابي حمزة الثمالي حدثني أبو جعفر الباقر (ع) قال قال رسول الله ﷺ لعلي (ع) قل اللهم اجعل لي عندك عهداً واجعل لي في قلوب المؤمنين وُدّاً فقالهما علي (ع) فنزلت هذه الآية وروي

نحوه عن جابر بن عبد الله الأنصاري (والثاني) انها عامة في جميع المؤمنين يجعل الله لهم المحبة والإلفة والمقة في قلوب الصالحين قال هرم بن حبان ما أقبل عبد بقلبه إلى الله إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين اليه حتى يرزقهم مودَّتهم ورحمتهم ومحبتهم وقال الربيع بن انس إن الله إذا أحب مؤمناً قال لجبرائيل إني أحببت فلاناً فأحبّه فيحبّه جبرائيل ثم ينادي في السماء إلا ان الله احب فلاناً فأحبُّوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له قبول في اهل الأرض فعلى هذا يكون المعنى يحبُّهم الله ويحبّبهم إلى الناس (والثالث) ان معناه يجعل الله لهم محبة في قلوب اعدائهم ومخالفيهم ليدخلوا في دينهم ويعتزوا بهم (الرابع) يجعل بعضهم يحب بعضاً فيكون كل واحد منهم عضداً لأخيه المؤمن ويكونون يداً واحدة على من خالفهم (والخامس) ان معناه سيجعل لهم ودّاً في الآخرة فيحبّ بعضهم بعضاً كمحبة الوالد لولده وفي ذلك اعظم السرور وأتم النعمة عن الجبائي ويؤيد القول الأول ماصحّ عن أمير المؤمنين (ع) انه قال لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على ان يبغضني ما أبغضني ولو صببت الدنيا بجملتها على المنافق على أن يحبني ما أحبني وذلك انه قضى فانقضى على لسان النبي الامي انه قال لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ ﴿**فإنما يسرناه بلسانك**﴾ أي يسرنا القرآن بأن أنزلناه بلسانك وهي لغة العرب ليسهل عليهم معرفته ولو كان بلسان آخر ما عرفوه عن أبي مسلم وقيل معناه يسرناه قراءة القرآن على لسانك ومكّناك من قراءته عن الجبائي ﴿**لتبشر به المتقين**﴾ أي لتبشر بالقرآن الذين يتقون الشرك والكبائر أي تخبرهم بما تسرُّهم مما اعدَّه الله لهم ﴿**وتنذر به قوماً لداً**﴾ أي شداداً في الخصومة عن ابن عباس يعني قريشاً وقيل قوماً ذوي جدل مخاصمين عن قتادة ثم أنذرهم سبحانه وخفَّوهم بقوله ﴿**وكم أهلكنا قبلهم من قرن**﴾ أي قبل هؤلاء من قرن مكذبين للرسل وفيه تسلية للنبي ﷺ والمعنى لا يهمنك كفرهم وشقاقهم فإن وبال ذلك راجع إليهم وقد أهلكنا قبلهم من كان مثلهم ﴿**هل تحس منهم من احد**﴾ أي هل تبصر منهم أحداً ﴿**أو تسمع له ركزاً**﴾ أي صوتاً عن ابن عباس وقتادة وقيل حسا عن ابن زيد والمعنى انهم ذهبوا فلا يرى لهم عين ولا يسمع لهم صوت وكانوا اكثر اموالاً وأعظم أجساماً وأشد خصاماً من هؤلاء فلم يغنهم ذلك لما أردنا اهلاكهم فحكم هؤلاء الكفار حكم أولئك في أنه لا يبقى منهم عين ولا أثر والحمد لله رب العالمين .

تمّ الجزء السادس من كتاب مجمع البيان في علوم القرآن

فهرس المجلد الثالث
من مجمع البيان في تفسير القرآن

وهو حاو للجزء الخامس والسادس حسب تجزئة المصنف

وفيه تفسير سور التوبة ويونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والنحل والإسراء والكهف ومريم

﴿ سورة التوبة ﴾

صفحة

٤ براءة من الله ورسوله إلى قوله وان الله مخزي الكافرين
٧ وأذان من الله ورسوله إلى قوله إن الله يحب المتقين
١٠ فإذا انسلخ الأشهر الحرم إلى قوله ذلك بأنهم قوم لا يعلمون
١٣ كيف يكون للمشركين عهد عند الله إلى قوله وأكثرهم فاسقون
١٥ اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً إلى قوله إن كنتم مؤمنين
١٨ قاتلوهم يعذبهم الله إلى قوله والله عليم حكيم
١٩ أم حسبتم أن تتركوا
٢٠ ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله إلى قوله أن يكونوا من المهتدين
٢٢ أجعلتم سقاية الحاج إلى قوله إن الله عنده أجر عظيم

صفحة

٢٤ يا أيها الذين آمنوا إلى قوله والله لا يهدي القوم الفاسقين
٢٦ لقد نصركم الله في مواطن كثيرة
٢٦ ثم أنزل الله سكينته إلى قوله والله غفور رحيم
٣٢ يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس
٣٣ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله
٣٤ وقالت اليهود عزير ابن الله إلى قوله سبحانه عما يشركون
٣٧ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم إلى قوله ولو كره المشركون
٣٨ يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان إلى قوله ما كنتم تكنزون
٤١ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً
٤٤ إنما النسيء زيادة في الكفر
٤٦ يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم إلى قوله والله على كل شيء قدير
٤٨ إلا تنصروه فقد نصره الله

صفحة

٥٠ انفروا خفافاً وثقالاً إلى قوله وتعلم الكاذبين
٥٢ لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر إلى قوله وهم كارهون
٥٦ ومنهم من يقول إئذن لي إلى قوله إنا معكم متربصون
٥٨ قل انفقوا طوعاً أو كرها
٥٨ فلا تعجبك أموالهم
٦٠ ويحلفون بالله إنهم لمنكم إلى قوله وهم يجمحون
٦٢ ومنهم من يلمزك في الصدقات إلى قوله إلى الله راغبون
٦٤ إنما الصدقات للفقراء والمساكين
٦٦ ومنهم الذين يؤذون النبي إلى قوله ذلك الخزي العظيم
٦٩ يحذر المنافقون أن تنزل عليهم إلى قوله كانوا مجرمين
٧٢ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض إلى قوله أنفسهم يظلمون
٧٥ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض إلى قوله وبئس المصير
٧٧ يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر
٨٠ ومنهم من عاهد الله إلى قوله علام الغيوب
٨٣ الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين إلى قوله والله لا يهدي القوم الفاسقين

صفحة

٨٤ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله إلى قوله فاقعدوا مع الخالفين
٨٦ ولا تصل على أحد منهم مات أبداً إلى قوله وهم كافرون
٨٨ وإذا أنزلت سورة إلى قوله ذلك الفوز العظيم
٨٩ وجاء المعذرون من الأعراب ليس على الضعفاء ولا على المرضى إلى قوله فهم لا يعلمون
٩٢ يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم
٩٢ سيحلفون بالله لكم إلى قوله عن القوم الفاسقين
٩٤ الاعراب أشد كفراً ونفاقاً إلى قوله إن الله غفور رحيم
٩٦ والسابقون الأولون من المهاجرين
٩٩ وممن حولكم من الأعراب إلى قوله إن الله غفور رحيم
١٠١ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم إلى قوله فينبئكم بما كنتم تعملون
١٠٤ وآخرون مرجون لأمر الله
١٠٥ والذين اتخذوا مسجداً ضراراً إلى قوله والله عليم حكيم
١١٢ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم إلى قوله وبشر المؤمنين
١١٥ ما كان للنبي والذين آمنوا إلى قوله إن إبراهيم لأواه حليم

صفحة

١١٦ وما كان الله ليضل قوماً إلى قوله من ولي ولا نصير
١١٨ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين إلى قوله إن الله هو التواب الرحيم
١٢٢ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
١٢٢ ما كان لأهل المدينة ومن حولهم إلى قوله ما كانوا يعملون
١٢٤ وما كان المؤمنون لينفروا كافة إلى قوله وهم كافرون
١٢٨ أولا يرون أنهم يفتنون إلى قوله رؤوف رحيم
١٢٨ فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو

﴿ يونس ﴾

١٣١ بسم الله الرحمن الرحيم آلر إلى قوله ان هذا لساحر مبين
١٣٤ ان ربكم الذي خلق السماوات والأرض إلى قوله بما كانوا يكفرون
١٣٨ هو الذي جعل الشمس ضياء إلى قوله لآيات لقوم يتقون
١٣٩ ان الذين لا يرجون لقاءنا إلى قوله أن الحمد لله رب العالمين
١٤١ ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم إلى قوله ما كانوا يعملون
١٤٤ ولقد أهلكنا القرون من قبلكم إلى قوله لننظر كيف تعملون

صفحة

١٤٥ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات إلى قوله انه لا يفلح المجرمون
١٤٧ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم إلى قوله إني معكم من المنتظرين
١٥٠ وإذا أذقنا الناس رحمة إلى قوله لنكونن من الشاكرين
١٥٠ فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق
١٥٤ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء إلى قوله صراط مستقيم
١٥٦ للذين أحسنوا الحسنى إلى قوله أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون
١٥٨ ويوم نحشرهم جميعاً
١٥٨ هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت
١٦١ قل من يرزقكم من السماء والأرض إلى قوله انهم لا يؤمنون
١٦٣ قل هل من شركائكم إلى قوله عليم بما يفعلون
١٦٦ وما كان هذا القرآن أن يفترى إلى قوله وربك أعلم بالمفسدين
١٦٨ وان كذبوك فقل لي عملي إلى قوله أنفسهم يظلمون
١٧٠ ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلى قوله وهم لا يظلمون
١٧٢ ويقولون متى هذا الوعد إلى قوله بما كنتم تكسبون

صفحة

١٧٤ ويستنبئونك أحق هو إلى قوله هو يحيي ويميت وإليه ترجعون
١٧٦ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم إلى قوله خير مما يجمعون
١٧٨ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم
١٧٨ وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن
١٨٠ ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم إلى قوله هو السميع العليم
١٨٣ ألا ان لله من في السماوات ومن في الأرض إلى قوله بما كانوا يكفرون
١٨٥ واتل عليهم نبأ نوح إلى قوله كيف كان عاقبة المنذرين
١٨٨ ثم بعثنا من بعده رسلاً إلى قوله وما نحن لكما بمؤمنين
١٨٩ وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم إلى قوله ولو كره المجرمون
١٩١ فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه
١٩١ وقال موسى يا قوم ان كنتم إلى قوله من القوم الكافرين
١٩٣ وأوحينا إلى موسى وأخيه إلى قوله الذين لا يعلمون
١٩٦ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر إلى قوله عن آياتنا لغافلون
١٩٩ ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق إلى قوله حتى يروا العذاب الأليم
٢٠٢ فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها

صفحة

٢٠٥ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض إلى قوله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون
٢٠٧ قل انظروا ماذا في السماوات والأرض إلى قوله ننج المؤمنين
٢٠٩ قل يا أيها الناس إلى قوله وهو الغفور الرحيم
٢١١ قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم

﴿ سورة هود ﴾

٢١٣ آلر كتاب أحكمت آياته إلى قوله وهو على كل شيء قدير
٢١٥ ألا أنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه
٢١٦ وما من دابة في الأرض إلى قوله ما كانوا به يستهزئون
٢١٩ ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة إلى قوله أولئك لهم مغفرة وأجر كبير
٢٢٠ فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك إلى قوله فهل أنتم مسلمون
٢٢٣ من كان يريد الحياة الدنيا
٢٢٣ أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار
٢٢٤ أفمن كان على بينة من ربه إلى قوله هم الأخسرون
٢٢٩ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إلى

صفحة

قوله وأنتم لها كارهون
٢٣٥ ويا قوم لا أسئلكم عليه مالاً إلى قوله إني إذاً لمن الظالمين
٢٣٧ قالوا يا نوح قد جادلتنا إلى قوله وأنا بريء مما تجرمون
٢٣٩ وأوحي إلى نوح إلى قوله ويحل عليه عذاب مقيم
٢٤٢ حتى إذا جاء أمرنا إلى قوله فكان من المغرقين
٢٤٩ وقيل يا أرض ابلعي ماءك
٢٥١ ونادى نوح ربه إلى قوله ان العاقبة للمتقين
٢٥٥ وإلى عاد أخاهم هودا إلى قوله ونجيناهم من عذاب غليظ
٢٥٦ واتبعوا في هذه الدنيا لعنة
٢٦٠ وإلى ثمود أخاهم صالحاً إلى قوله ألا بعدا لثمود
٢٦٦ ولقد جاءت رسلنا ابراهيم إلى قوله عذاب غير مردود
٢٧٥ ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم إلى قوله وما هي من الظالمين ببعيد
٢٨٢ وإلى مدين أخاهم شعيباً إلى قوله وما أنا عليكم بحفيظ
٢٨٣ قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي إلى قوله كما بعدت ثمود
٢٨٩ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى قوله وما أمر فرعون برشيد

صفحة

٢٨٩ واتبعوا في هذه لعنة إلى قوله وذلك يوم مشهود
٢٩٢ وما نؤخره إلا لأجل معدود إلى قوله لهم فيها زفير وشهيق
٢٩٢ خالدين فيها ما دامت السماوات إلى قوله عطاء غير مجذوذ
٣٠٠ فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء إلى قوله انه بما تعملون بصير
٣٠٤ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا إلى قوله وأهلها مصلحون
٣٠٩ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة إلى قوله بغافل عما تعملون

﴿ سورة يوسف ﴾

٣١٥ آلر تلك آيات الكتاب المبين إلى قوله لمن الغافلين
٣١٧ إذ قال يوسف لأبيه إلى قوله ان ربك حكيم عليم
٣٢١ لقد كان في يوسف واخوته إلى قوله ان كنتم فاعلين
٣٢٥ قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف إلى قوله وانا له لحافظون
٣٢٨ قال إنه ليحزنني أن تذهبوا به إلى قوله والله المستعان على ما تصفون
٣٣٤ فجاءت سيارة فأرسلوا واردهم إلى قوله وكانوا فيه من الزاهدين

صفحة

٣٣٧ وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته اكرمي مثواه
٣٣٧ ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً
٣٣٩ وراودته التي هو في بيتها عن نفسه
٣٤١ ولقد همَّت به وهمَّ بها
٣٤٥ واستبقا الباب وقدت قمصه من دبر إلى قوله إنك كنت من الخاطئين
٣٤٨ وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه
٣٤٨ قالت فذلكن الذي لمتنني فيه إلى قوله حتى حين
٣٥٥ ودخل معه السجن فتيان إلى قوله ولكن أكثر الناس لا يشكرون
٣٥٧ يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار
٣٥٨ ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها إلى قوله فلبث في السجن بضع سنين
٣٦٠ وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان إلى قوله إلا قليلاً مما تأكلون
٣٦١ ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد إلى قوله وفيه يعصرون
٣٦٥ وقال الملك ائتوني به إلى قوله إن ربي غفور رحيم
٣٦٨ وقال الملك إئتوني به إلى قوله للذين آمنوا وكانوا يتقون
٣٧٣ وجاء أخوة يوسف فدخلوا عليه

صفحة

فعرفهم إلى قوله وأنا خير المنزلين
٣٧٤ فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي إلى قوله لعلهم يرجعون
٣٧٦ فلما رجعوا إلى أبيهم إلى قوله قال الله على ما نقول وكيل
٣٧٩ وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد إلى قوله ولكن أكثر الناس لا يعلمون
٣٨١ ولما دخلوا على يوسف إلى قوله وفوق كل ذي علم عليم
٣٨٧ قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل إلى قوله وهو خير الحاكمين
٣٩١ ارجعوا إلى أبيكم
٣٩١ وسئل القرية التي كنا فيها إلى قوله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون
٣٩٥ فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر إلى قوله إذ أنتم جاهلون
٣٩٦ قالوا تالله لقد آثرك الله علينا إلى قوله وأتوني بأهلكم أجمعين
٤٠١ ولما فصلت العير قال أبوهم إلى قوله إنه هو الغفور الرحيم
٤٠٣ فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه إلى قوله وهم يمكرون
٤٠٨ وما أكثر الناس إلى قوله وهم لا يشعرون
٤١٠ قل هذه سبيلي إلى قوله أفلا تعقلون

صفحة

٤١٢ حتى إذا استيأس الرسل إلى قوله لقوم يؤمنون

الجزء السادس

﴿ سورة الرعد ﴾

٤١٩ سورة الرعد آلمر تلك آيات الكتاب إلى قوله بلقاء ربكم توقنون
٤٢١ وهو الذي مدَّ الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً
٤٢١ وفي الأرض قطع متجاورات
٤٢٤ وإن تعجب فعجب قولهم إلى قوله ولكل قوم هاد
٤٢٨ الله يعلم ما تحمل كل انثى إلى قوله ومالهم من دونه من وال
٤٣٢ هو الذي يريكم البرق إلى قوله بالغدو والآصال
٤٣٧ قل من رب السماوات والأرض إلى قوله وهو الواحد القهار
٤٣٩ أنزل من السماء ماء
٤٣٩ للذين استجابوا لربهم
٤٤٢ أفمن يعلم أنما أنزل إليك إلى قوله فنعم عقبى الدار
٤٤٥ والذين ينقضون عهد الله إلى قوله طوبى لهم وحسن مآب
٤٤٨ كذلك أرسلناك في أمة إلى قوله ان الله لا يخلف الميعاد

صفحة

٤٥٢ ولقد اتهزىء برسل من قبلك إلى قوله ومالهم من الله من واق
٤٥٤ مثل الجنة التي وعد المتقون إلى قوله إليه ادعوا وإليه مآب
٤٥٤ وكذلك أنزلناه حكماً عربياً
٤٥٦ ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك إلى قوله فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب
٤٥٩ أولم يروا أنا نأتي الأرض إلى قوله ومن عنده علم الكتاب

﴿ سورة إبراهيم ﴾

٤٦٣ آلر كتاب أنزلناه إليك إلى قوله أولئك في ضلال بعيد
٤٦٥ وما أرسلنا من رسول إلى قوله بلاء من ربكم عظيم
٤٦٧ وإذ تأذن ربكم إلى قوله فأتونا بسلطان مبين
٤٧١ قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم إلى قوله وعلى الله فليتوكل المتوكلون
٤٧١ وقال الذين كفروا لرسلهم إلى قوله ذلك هو الضلال البعيد
٤٧٥ ألم تر أن الله خلق السماوات والأرض بالحق إلى قوله ما لنا من محيص
٤٧٧ وقال الشيطان لما قضي الأمر إلى قوله إن الظالمين لهم عذاب أليم

صفحة

٤٧٩ وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات إلى قوله وفرعها في السماء
٤٧٩ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض
٤٨١ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت إلى قوله فإن مصيركم إلى النار
٤٨٤ قل لعبادي الذين آمنوا إلى قوله إن الإنسان لظلوم كفار
٤٨٧ وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً إلى قوله يوم يقوم الحساب
٤٩١ ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إلى قوله وضربنا لكم الأمثال
٤٩٤ وقد مكروا مكرهم إلى قوله وليذكر أولوا الألباب

﴿ سورة الحجر ﴾

٥٠١ آلر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين إلى قوله وما يستأخرون
٥٠٥ وقالوا يا أيها الذي نزّل عليه الذكر انك لمجنون إلى قوله فأتبعه شهاب مبين
٥١٠ والأرض مددناها إلى قوله أنه حكيم عليم
٥١٤ ولقد خلقنا الانسان من صلصال إلى قوله مع الساجدين

صفحة

٥١٤ وقال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين
٥١٧ قال رب فانظرني إلى يوم يبعثون إلى قوله جزء مقسوم
٥٢٠ ان المتقين في جنات وعيون إلى قوله وإن عذابي هو العذاب الأليم
٥٢١ ونبّئهم عن ضيف إبراهيم إلى قوله انها لمن الغابرين
٥٢٤ فلما جاء آل لوط المرسلين إلى قوله لفي سكرتهم يعمهون
٥٢٦ فأخذتهم الصيحة مشرقين إلى قوله ما كانوا يكسبون
٥٢٩ وما خلقنا السماوات والأرض إلى قوله الذين جعلوا القرآن عضين
٥٣٢ فوربك لنسألنهم أجمعين إلى قوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين

﴿ سورة النحل ﴾

٥٣٥ أتى أمر الله فلا تستعجلوه إلى قوله لا إلّه إلا أنا فاتقون
٥٣٨ خلق السماوات والأرض بالحق إلى قوله إن ربكم لرؤوف رحيم
٥٤٠ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة إلى قوله ومنه شجر فيه تسيمون
٥٤٠ وسخّر لكم الليل والنهار إلى قوله إن في ذلك لآية لقوم يذكرون

صفحة

٥٤٣ وهو الذي سخّر لكم البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً إلى قوله إن الله لغفور رحيم
٥٤٦ والله يعلم ما تسرون وما تعلنون إلى قوله إنه لا يحب المستكبرين
٥٤٧ وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم إلى قوله فلبئس مثوى المتكبرين
٥٥٠ وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم إلى قوله ما كانوا به يستهزئون
٥٥٢ وقال الذين اشركوا إلى قوله وما لهم من ناصرين
٥٥٤ وأقسموا بالله جهل إيمانهم إلى قوله كن فيكون
٥٥٦ والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا إلى قوله ولعلهم يتفكرون
٥٥٨ أفأمن الذين مكروا السيئات إلى قوله ويفعلون ما يؤمرون
٥٦٢ وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إلى قوله فسوف تعلمون
٥٦٤ ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم إلى قوله وهو العزيز الحكيم
٥٦٧ ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة
٥٦٩ ويجعلون لله ما يكرهون إلى قوله لقوم يسمعون
٥٧٤ وإن لكم في الانعام لعبرة إلى قوله ان الله عليم قدير
٥٧٤ والله فضّل بعضكم على بعض في

صفحة

الرزق إلى قوله وأنتم لا تعلمون
٥٧٧ ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً إلى قوله ان الله على كل شيء قدير
٥٧٩ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً
٥٧٩ ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء إلى قوله ومتاعاً إلى حين
٥٨٢ والله جعل لكم مما خلق ظلالاً إلى قوله ولا هم ينظرون
٥٨٤ وإذا رءا الذين أشركوا شركاءهم إلى قوله لعلكم تذكرون
٥٨٨ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم إلى قوله ولكم عذاب عظيم
٥٩١ ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً إلى قوله والذين هم به مشركون

﴿ سورة بني إسرائيل ﴾

٦٠٧ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً إلى قوله انه كان عبداً شكورا
٦١٢ وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب إلى قوله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا
٦١٧ ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم إلى قوله وكل شيء فصلناه تفصيلا
٦٢٠ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه إلى قوله حتى نبعث رسولا
٦٢٣ وإذا أردنا أن نهلك قرية إلى قوله

صفحة

فتقعد مذموماً مخذولا
٦٢٨ وقضى ربك أن لا تعبدوا الا إياه إلى قوله فإنه كان للأوابين غفورا
٦٣٢ وآت ذا القربى حقه والمسكين إلى قوله إنه كان بعباده خبيراً بصيرا
٦٣٥ ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق إلى قوله ذلك خير وأحسن تأويلا
٦٣٩ ولا تقف ما ليس لك به علم إلى قوله لتقولون قولاً عظيما
٦٤٢ ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا إلى قوله انه كان حليماً غفورا
٦٤٤ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك إلى قوله فلا يستطيعون سبيلا
٦٤٧ وقالوا أإذا كنا عظاماً ورفاتاً إلى قوله ان لبثتم إلا قليلا
٦٤٩ وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إلى قوله وآتينا داود زبورا
٦٤٩ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى قوله ان عذاب ربك كان محذورا
٦٥٢ وان من قرية الا نحن مهلكوها إلى قوله فما يزيدهم إلا طغياناً كبيرا
٦٥٥ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم إلى قوله جزاء موفورا
٦٥٥ ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
٦٥٨ ربكم الذي يزجي لكم الفلك إلى قوله لكم علينا به تبيعا
٦٦٠ ولقد كرمنا بني آدم إلى قوله وأضل سبيلا

صفحة

٦٦٤ وان كادوا ليفتنونك إلى قوله ثم لا تجد لك علينا نصيرا
٦٦٦ وإن كادوا ليستغزونك من الأرض إلى قوله ولا تجد لسنتنا تحويلا
٦٦٨ أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى قوله ان الباطل كان زهوقا
٦٧٢ وننزل من القرآن ما هو شفاء إلى قوله فربكم أعلم بمن هو اهدى سبيلا
٦٧٣ ويسألونك عن الروح إلى قوله إلا كفورا
٦٧٦ وقالوا لن نؤمن لك إلى قوله من السماء ملكاً رسولا
٦٨٠ قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم إلى قوله وكان الإنسان قتورا
٦٨٣ ولقد آتينا موسى إلى قوله وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا
٦٨٤ وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس
٦٨٦ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إلى قوله وكبره تكبيراً

﴿سورة الكهف﴾

٦٩١ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب إلى قوله ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا
٦٩٤ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها إلى قوله أحصى لما لبثوا أمدا
٦٩٩ نحن نقص عليك نبأهم بالحق إلى

صفحة

قوله ويهيىء لكم من أمركم مرفقا
٧٠١ وترى الشمس إذا طلعت إلى قوله ولملئت منهم رعبا
٧٠٤ وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم إلى قوله ولن تفلحوا إذا أبدا
٧٠٦ وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا إلى قوله منهم أحدا
٧٠٧ ولا تقولن لشيء إلى قوله لأقرب من هذا رشدا
٧١٣ ولبثوا في كهفهم إلى قوله ولن تجد من دونه ملتحدا
٧١٦ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم إلى قوله بئس الشراب وساءت مرتفقا
٧١٩ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إلى قوله وحسنت مرتفقا
٧٢١ واضرب لهم مثلاً رجلين إلى قوله لأجدن خيراً منها منقلبا
٧٢٤ قال له صاحبه وهو يحاوره إلى قوله هو خير ثواباً وخير عقباً
٧٢٩ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا إلى قوله ولا يظلم ربك أحدا
٧٣٢ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
٧٣٣ ما اشهدتهم خلق السماوات والأرض إلى قوله وجعلنا بينهم موبقا
٧٣٦ ورآ المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها إلى قوله وما أنذروا هزوا
٧٣٧ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه

صفحة

٧٣٨ وربك الغفور ذو الرحمة إلى قوله وجعلنا لمهلكهم موعدا
٧٣٩ وإذ قال موسى لفتاه إلى قوله فارتدا على آثارهما قصصا
٧٤٤ فوجدا عبدا من عبادنا إلى قوله لن تستطيع معي صبرا
٧٤٨ قال ان سألتك عن شيء بعدها إلى قوله تسطع عليه صبرا
٧٥٤ ويسألونك عن ذي القرنين إلى قوله فأتبع سببا
٧٥٤ حتى إذا بلغ مغرب الشمس إلى قوله فيعذبه عذابا نكرا
٧٥٧ وأما من آمن وعمل صالحاً إلى قوله وكان وعد ربي حقا
٧٦٤ وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض إلى قوله ورسلي هزوا
٧٦٧ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات إلى قوله ولا يشرك بعبادة وبه أحدا

﴿ سورة مريم ﴾

٧٧٢ كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا إلى قوله واجعله رب رضيا
٧٧٧ يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى إلى قوله ان سبحوه بكرة وعشيا
٧٨٠ يا يحيى خذ الكتاب بقوة إلى قوله يوم يبعث حيا

صفحة

٧٨٢ واذكر في الكتاب مريم
٧٨٢ فاتخذت من دونهم حجاباً إلى قوله ولم أك بغيا
٧٨٤ قال كذلك قال ربك هو علي هين إلى قوله آتاني الكتاب وجعلني نبيا
٧٩٢ وجعلني مباركا أين ما كنت إلى قوله فإنما يقول له كن فيكون
٧٩٣ وان الله ربي وربكم فاعبدوه إلى قوله وإلينا يرجعون
٧٩٦ واذكر في الكتاب إبراهيم إلى قوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا
٧٩٩ واذكر في الكتاب موسى إلى قوله عند ربه مرضيا
٨٠١ واذكر في الكتاب ادريس إلى قوله ولا يظلمون شيئاً

صفحة

٨٠٣ جنات عدن التي وعد الرحمن عباده إلى قوله هل تعلم له سميّا
٨٠٦ ويقول الإنسان أإذا ما مت
٨٠٦ أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه إلى قوله هم أولى بها صليا
٨٠٩ وإن منكم إلا واردها إلى قوله وأضعف جندا
٨١٤ أفرأيت الذي كفر بآياتنا إلى قوله ويكونون عليهم ضدا
٨١٧ ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين إلى قوله أن يتخذ ولدا
٨٢١ ان كل من في السماوات والأرض إلى قوله أو تسمع لهم ركزا

كتابخانه
بنیاد دایرة المعارف اسلامی

شماره ثبت ٣٥٤٤١
رده‌بندی ....
....
تاریخ ١٣٧٦/٤/٢٦

تاریخ برگشت

۱۳۷۳ /	۴/ ۲۲	خانم قطبی
~~۱۳۷۴~~	~~/۳/ ۲۷~~	~~خانم قطبی~~